McGill University Libraries
3101389488Y

McGill University Libraries
3 101 389 488 Y

AP .M266
INSTITUTE
OF
ISLAMIC
STUDIES
ch 68 22359 ★ v. 4
McGILL
UNIVERSITY

FEB 20 1995

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاربعاء غرة ذي القعدة سنة ١٣١٨ — ٢٠ فبراير (شباط) سنة ١٩٠١)

فاتحة السنة الرابعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق فسوّى ، والذي قدر فهدى ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

وبعد فان المنار يدخل بهذا الجزء في العام الرابع من حياته وقد نما النمو الطبيعيّ المقدّر له من أول نشأته وساعد حركة الاصلاح بصوته الضعيف ولقي صاحبه من الألاقيّ بعض لقي الذين تصدوا للاصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين

من كان الله معه لا يضره كيد الكائدين ، ولا يحبط عمله إرجاف المرجفين ، وان عظمت مظاهرهم وألقابهم ، وعلت منازلهم واحسابهم ، بل جرت سنته تعالى في خلقه بان الضعيف ينتصر بالحق على القوي ، والرشيد يغلب بالصدق والثبات على الغويّ ، « ونريد ان نمُنّ على الذين

22359

استُضْعِفوا فى الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين »

ما لقيتْ دعوة الحق من المعارضة بعض ما لقيت من الانتشار ، ولا صادفت من التدسية والاخفاء مثلما صادفت من التزكية والاشتهار ، وماكان الا ماكان فى الحسبان ، وليس فى الامكان ابدع مما كان ، ومن حاول الخروج بالكون عن سنته ، وتكييف عالم الاجتماع ماليس في طبيعته ، كان جديراً بالخذلان ، وبذلك خاب فلان وفلان ، وخفي هذا على بعض الناس فكانوا من القانطين ، وضل آخرون فى فهم قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين ، »

الحق ثقيل ولا سيما على المبطلين ، والجدُّ مملول ولا سيما من الهازلين ، ولذلك اشار علينا بعض الناصحين من محبي الاصلاح بان نضم الى المقالات الاصلاحية والعلمية ، شيئاً من النبذ الادبية ، وان نضيف الى انتقاد التقاليد والعادات ، بعض الاخبار والملح والفكاهات ، لان هذا ادعى الى ترويح النفس ، وتوفير الانس ، ولهذا وسعنا المجلة فزدنا فى صفحاتها ، ونوعنا موضوعاتها ، ولكننا لم نزد فى الثمن ، كما ذدنا فى المثمن ، لان بضاعة العلم والدين لا تزال عندنا على قلتها فى كساد ، وبضاعة الشهوات واللذات فى رواج وازدياد ، فيسهل على اكثر المتعلمين منا أن ينفقوا البِدَر فى سبيل الهوى ، ويصعب عليهم ان يبذلوا النزر اليسير فى سبيل الهدى ، فما بالك بغيرهم الخالى من مثل غيرتهم ، والمحروم من الشعور بحميتهم ، « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » ووفقهم لمعرفة انفسهم ومن معهم لعلهم يرشدون ، اللهم و « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين »

صاحب المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

الداء والدواء

خلق الله تعالى الانسان فى احسن تقويم ، وكرّمه بضروب من التكريم ، خلقه من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ، خلقه جاهلاً لا يعلم شيئاً ثم منحه هدايات الحواس والعقل والنبوة ، خلقه فقيراً محتاجاً الى كل شيء ، وسخر له بفضله كل شيء ، فالاكوان تعمل به وهو يعمل فى الاكوان ، ويظهر ما انطوت عليه من الابداع والاتقان ، مستعيناً بتلك الهدايات الموهوبة ، على اعماله المكسوبة ، حتى يصل كل من الانسان والاكوان الى ما أُعد له ، ويبلغ الكتاب فيهما اجله ، واعنى بالكتاب كتاب الغيب المكنون ، « قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وما يشعرون أيّان يبعثون ، بل ادّارَكَ علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم منها عمُون ، »

جلَّت حكمة الله جعل حياة الانسان الفردية ، مثالاً ونموذجاً لحياته القومية ، يرتقى الفرد منه بالتدريج ويتربى متأثراً بحالة الاكوان ، وما تعرضه عليه شؤون أخيه الانسان ، فمنه ماينمو ويرتقى باطراد . ومنه مايعرض له المرض والفساد ، فيتوقف سيره ، قبل ان يتم دَوْره ، فاما شقاء وارتقاء ، وإما موتاً وفناء ، وكذلك الامم فى اطوارها ، والشعوب فى ادوارها ، وهذه قصصها واخبارها ، ماسعدوا الا بما كانوا يعملون ، وما حل بهم الشقاء الا بما كانوا يكسبون ، « وماظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون

استعان أناس بالحواس على الحسنات ، واستعان بها آخرون على اجتراح السيئات ، ووصل قوم بالعقل الى احاسن الاعمال ، واستعمله آخرون

فى سيء الفعال ، واهتدى بالدين امم الى الصراط المستقيم ، ووقع به آخرون فى العـذاب الاليم ، « وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العـلم بغياً بينهم . وما اختلف فيه الاالذين أوتوه من بعد ماجاءهم البينات . ولقدذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لايفقهون بها ولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل أولئك هم الغافلون. »

غر أمةً ممن كان قبلنا دينهم، فحسبوا ان انتسابهم اليه هو كافلهم وضمينهم ، وناصرهم ومعينهم ، فقصروا فى الاعمال ، واستبدلوا النقص بالـكمال ، فحل بهم الخزى والنكال ، وما اغنى عنهم الانتساب الى الانبياء ، والاعتماد على الاصفياء ، والاستمداد من الاولياء ، ولا افادهم قولهم نحن شعب الله، الذى فضله على العالمين واصطفاه ، وحملة كتابه التوراه ، « ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون . ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون »

الغرور فى الدين ، هو الجرثومة التى تولدت منها جميع امراض المسلمين ، كما حل بمن كان قبلهم ، وحُذِّروا ان يكونوا مثلهم ، فقد جاء فى الحديث المتفق على صحته « لَتَتَّبِعُنَّ سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع » والمسلمون يعترفون بهذا اجمالاً ولكنهم ينكرونه عند التفصيل . فاذا عددت لهم البدع والتقاليد التى فتنوا بها، وحرفوا معانى كتاب الله تعالى واولوه برأيهم لترويجها، يلوون ألسنتهم إنكاراً ، ويُنغضون رؤسهم اعراضاً وازوراراً ، واذا وصفت بهذا الغرور بعض رجال الدين ، من شيوخهم وآبائهم الميتين ، « يجادلونك فى الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت

وهم ينظرون ، »

هذا الغرور فى الدين ، الذى اصبنا به من بعد الخلفاء الراشدين ، هو نقيض الغرور الذى رُمي به الذين سبقونا بالايمان ، والذى قال فيه القرآن ، « إذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غرَّ هؤلاء دينهم » فان ذلك الغرور هو تصدي ثلاثمائة ونيف من المؤمنين ، لزُهاء الف من المشركين ، من ورائهم الوف وزحوف من الفرسان ، وليس وراء أولئك المؤمنين الا النساء والضعفاء والصبيان ، وهذا الغرور هو خذلان ثلاثمائة مليون من المسلمين ووقوعهم بين انياب الحوادث ، ومخالب الكوارث ، لا يحمون حقيقتهم ، ولا يدافعون عن حوزتهم ، ولكنهم يستنجدون بالقبور ولا ينجدون ، ويستنصرون بأرواح الموتى ولا ينصرون ، « او لا يرون انهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذَّكرون ، »

تولدت جراثيم هـذا الغرور بالدين فى العصر الاول عند ما فتح المسلمون البلاد ، ودوَّخوا العباد ، وجلسوا على كرسىّ السيادة ، وضموا عليهم قطرَيْ السـعادة ، فحسبوا أنهـم غمروا بهذا الانعام ، لمجرد انتسابهم للاسلام ، ثم دلهم القياس الفاسد على ان هذا اللقب (مسلمون) يعطيهم سعادة الآخرة كما اعطاهم سـعادة الدنيا وكان لهم من الاحاديث الموضوعة وسوء فهم الصحيحة ما يؤيد القياس ، وبعد الوهم والالتباس ، فقصروا فيما امرهم الدين من الاصلاح للدنيا ، كما قصروا فى عمل الصلاح للاخرى ، فاخذهم العذاب من حيث لا يشعرون ، « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ، » (١)

(١) فسر العلامة البيضاوي وغيره الظلم هنا بالشرك اى ان الله تعالى لا يهلك

ويا ليتهم اذا عُذّبوا بسلب سعادة الدنيا رجعوا الى قياسهم وخافوا ان يحرموا سعادة الآخرة ايضاً اذاهم استرسلوا فى هذا الغرور ، ولم يخرجوا من هذا الديجور ، ثم رجعوا الى انفسهم ، وبحثوا عن اسباب سعادة سلفهم ، وتبينوا أنها الاعمال ، لا الأمانىّ والآمال ، ثم استنّوا بسنتهم ، واستقاموا على طريقتهم ، ولم يتكلوا على شفاعتهم ، ويجعلوها مناط سعادتهم ، واعتبروا بقول خليل الرحمن ، عليه الصلاة والسلام إذ قال لابيه « لأستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء » وبما كان من حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابى طالب . وبحديث الصحيحين : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه « وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِين » فقال « يامعشر قريش اشتروا انفسكم من الله لا اغنى عنكم من الله شيئاً . يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً . ياعباس عمّ رسول الله لا اغني عنك من الله شيئاً . يافاطمة بنت محمد سليني من ما لى ماشئت لا اغني عنك من الله شيئاً » نعم وان اعتقاد الخلف انهم يسعدون فى الدنيا بامداد سلفهم تكذيب للحس والعيان ، واعتقادَ انهم بهم ينجون فى الآخرة اعراض عن السنة والقرآن ، فالاحتجاج بعد هذا بقول فلان وورد فلان جنون ، « ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون »

ما وقف المسلمون بغرورهم فى دينهم عند حد بل عم عندهم كل شيء حتى حكموه بالعلم الذي يرشد اليه، فجعلوه صاداً عنه، وبالدنيا التي يأمر بعمرانها، فحسبوه مؤذناً بخرابها، وبالعقل الذي بني عليه، فجعلوه عدواً له، ولما نزلت بهم

الامم بالشرك اذا كانوا مصلحين فى الاعمال وهذا مشاهد وناهيك بالمسلمين واليابان

آثار علمية دينية

القسم الديني (*)

﴿ القسم الثانى من الامالى الدينية فى النبوات ﴾

(الدرس الثامن عشر — الحاجة الى الوحي والنبوة)

تكلمنا فى العدد الماضى عن الوحي من حيث إضافته الى الله تعالى وكونه كلامه والاستدلال على ذلك بالعقل والنقل على الوجه الذى كان عليه الصحابة وأئمة السلف الصالحين رضى الله تعالى عنهم ولذلك جعلناه فى قسم (الالهيات) وكان مقتضى الترتيب المعقول ان يكون هذا المبحث برمته فى قسم النبوّات لان النبوّة انما تكون بوحي الله وكلامه . ونتكلم الآن عن الوحي من حيث حاجة البشر اليه وحال من جاؤا به

المسئلة (٥٣) الارواح الخالدة — الاعتقاد بأن للبشر ارواحاً تبقى بعد الموت ولها حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا هو الأساس الذى قام عليه بناء الدين المطلق فلولاه لم يكن للدين معنى ولا فائدة بل لم يوجد أصلاً . وكل فائدة أفادها الدين للبشر من وثنيين وموحدين فمصدرها هذا الاعتقاد . ما علّم قدماء المصريين صناعة البناء وما يتبعها ويلزمها من الهندسة وجر الاثقال حتى بنوا مثل الاهرام وغير ذلك من العلوم والصناعات الا الاعتقاد بخلود النفس . وكذلك قل فى الكلدانيين والصينيين والهنود واليونانيين والرمانيين والفرس والاسرائيليين والعرب

(*) ضاق هذا العدد عن نشر تفسير القرآن لفضيلة مفتى الديار المصرية

هذا الاعتقاد فطريٌ في البشر ولذلك وجد في كل جيل من اجيالهم في كل طور من اطوارهم فليس هو من استنباط الافكار، ولا من التخيلات والتصورات فتتحكم فيه الانظار، نعم لما ولع الناس بالعلوم النظرية ابتلوا بالتشكيك في كل شيء حتى في الوجدانيات والمحسوسات ومنهم من انكر الروح ولكن هذا الانكار لم يلتفت اليه الا نفر قليل من المستعبدين لنظرياتهم لأنهم يقربون من السفسطائية الذين انكروا كل شيء حتى انفسهم وحتى انكارهم. وقد وجد — والحمد لله — من النظار من رد على منكري الروح بنظريات موجبة اقوى من نظرياتهم السالبة ولا حاجة بنا الى الخوض في ذلك لاننا نخاطب في دروسنا قوماً لم يبتلوا بانكار انفسهم وارواحهم

هذه مقدمة تمهيدية لبيان الحاجة الى الوحي وارسال الرسل ولا بد منها في اثبات كون الوحي هو الذي يبين طريق السعادة في الحياة الآخرة وهذا هو جزء الغرض وتمامه ان نبين اننا محتاجون الى الوحي في سعادة الدنيا وسعادة الآخرة جميعاً لاننا نعتقد ان في اتباع الدين سعادة الدارين كما بيناه في المسئلة الاولى من الدرس الاول

م (٥٤) الحاجة الى الوحي في الدنيا — لا نزاع في أن الانسان خلق ليعيش مجتمعاً اوكما يقول الحكماء « الانسان مدنيٌ بالطبع » ولم يعط من الالهام الفطري مايغنيه عن التعلم والتربية بل خلقه الله محتاجاً لكل شيء وعاجزاً عن كل شيء بنفسه ولذلك اعطاه خالقه استعداداً غير محدود وجعل رغائبه وامانيه غير محدودة. ابتلاه بشهوات تسوقه الى تحصيل رغائبه واعطاه قوى يستعين بها على ذلك ويدافع بها من ينازعه او يصده عنه. ولا شك

ان هذه الرغائب والشهوات تكون مثارات للتنازع بين ذويها اذ ليس فى فطرة الانسان ولا فى طبيعة الاكوان ما يوقف كل انسان عند حد من حظوظه لا يتعداه . نعم ان نوع الانسان يتربى بالعالم ولكن هذه التربية ما كانت كافية له في جيل من اجياله للوقوف عند حد يعين لكل فرد من افراده حقوقه وواجباته على وجه ملزم له بالوقوف عنده الا بالدين وكل دين تصلح به شؤن البشر فهو حق منبعه الوحي الالهي وان كنا نجهل مبدأ كل دين عرف فى التاريخ انه احدث اصلاحاً وكيفية طروء التحريف والتغيير عليه حتى صار اصلاحه مشوباً بافساد

يبلغ البشر بالاستفادة من التربية الكونية بالتدريج الطويل مبلغاً عظيماً ثم يكونون على ما أوتوه من علم وحكمة ابعد عن التهذيب والاصلاح وهم فى نهايتهم من اهل الدين فى بدايتهم . واعظم عبرة امامنا الامم الاوروبية فان العلوم الكونية قد ارتقت عندهم ارتقاء لم يعرف له مثل فى تاريخ الانسان وقد صلح بها وبما بقى من آثار الدين عندهم حالهم الدنيوى ولكنهم لا يقاربون فى هذا الصلاح ما كان عليه المسلمون فى العصر الاول عند ما كان صلاحهم بالدين وحده غير مدعوم بالعلوم الكونية والتربية العالمية . هل بلغ ملك اوربى فى العدل والرحمة وسائر الفضائل مبلغ احد الخلفاء الراشدين الذين كانوا قبل الاسلام وحوشاً ضارية يفترس بعضها بعضاً فرباهم الدين على الكبر تربية تعجز عنها العلوم الكونية بدون تعليم الوحى الصحيح وان مخضها الدهر بضع قرون . انظر الى فظائع ابناء القرن العشرين فى الصين وراجع تاريخ اهل القرن الاول من المسلمين . انظر كيف ساوى عمر بن الخطاب بين صهر الرسول عليه الصلاة والسلام وابن عمه وبين

رجل من آحاد اليهود وكيف ان دول اوروبا لا ترضى بمساواة احقر صعلوك من بلادها لاعظم امير شرقى فى الحقوق . انظر كيف افتتحت تلك الشراذم من المسلمين بلاد الروم والفرس والفراعنة فكان اهلها راضين بحكمهم مفضلين لهم على قومهم وابناء ملتهم حتى ترك معظمهم لغته ودينه طائعاً مختاراً من غير دعاة تناديهم ولا مدارس تربيهم وكيف ان الاوربيين يدخلون البلاد فلا يرون من اهلها الا كراهة ومقتاً يتضاعف ويزداد بازدياد أيام حكمهم مع انه ما تسنى لهم دخول ارض الا بعد ما جار اهلها عن صراط الدين واستهانوا بالعدل . انظر كيف كان المسلمون فى بداوتهم يدخلون البلاد فيطهرونها من الارجاس الظاهرة والباطنة وكيف ان الاوربيين ما دخلوا قرية الا وافسدوا اخلاق اهلها وآدابهم بالخمر والفحش والميسر . ولا سعة معنا فى هذا الدرس لتمام المقابلة بين مدنية المسلمين فى القرن الاول ومدنية اوروبا فى القرن العشرين او القرن الخامس من قرون ترقيها فى الحضارة (سنبسط الكلام عن المدنيتين فى غير هذه الدروس من اجزاء المنار الآتية ان شاء الله تعالى) نعم ان المسلمين انحرفوا عن صراط سلفهم فادبهم الله تعالى بسلب كثير مما كان اعطاهم ولذلك ذهب بهاء دينهم قبل ان تكمل مدنيتهم المادية ونرجو ان يكون ما حل بهم من العقوبة كافياً لانابتهم ورجوعهم الى رشدهم وعند ذلك اذا قالوا يسمع لهم واذا افتخروا يشهد العالم بصدقهم فى فخارهم فهم الآن حجة من لا دين له على كل دين . لان دينهم اذا لم يكن طريقاً لسعادة الدنيا فلا يمكن ان يكون سواه ، وان قررت القوة خلاف ما قررناه ،

(للكلام تتمة)

القسم الادبي

(رواية عربية)

اخرج ابن عساكر فى تاريخه بسند متصل عن ابن الاعرابى فقال بلغنى انه كان رجل من بنى حنيفة يقال له جحدر بن مالك فتاكا شجاعاً قد اغار على اهل حجر وناحيتها فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله باليمامة يوبخه بتلاعب جحدر به ويأمره بالاجتهاد فى طلبه فلما وصل اليه الكتاب أرسل الى فتية من بني يربوع فجعل لهم جعلاً عظيما ان هم قتلوا جحدراً أو اتوا به اسيراً فانطلقوا حتى اذا كانوا قريباً منه ارسلوا اليه انهم يريدون الانقطاع اليه والتحرز به فاطمأن اليهم ووثق بهم فلما اصابوا منه غرة شدوه كتافاً وقدموا به على العامل فوجه به معهم الى الحجاج فلما أدخل على الحجاج قال له من انت قال انا جحدر بن مالك قال ماحملك على ما كان منك قال جراءة الجنان وجفاء السلطان وكَلَب الزمان . قال وماالذى بلغ منك فجرئ جنانك قال لو بلانى الامير اكرمه الله لوجدنى من صالح الاعوان وبهم الفرسان ولوجدنى من انصح رعيته وذلك انى ما لقيت فارساً قط الا وكنت عليه فى نفسى مقتدراً قال له الحجاج إناقاذفون بك فى حائر فيه أسد عاقر ضار فان هو قتلك كفانا مؤنتك وان أنت قتلته خلينا سبيلك قال اصلح الله الامير عظمت المنة وقويت المحنة قال الحجاج فانا لسنا تاركيك لتقاتله الا وانت مكبل بالحديد فأمر الحجاج فغُلت يمينه الى عنقه وارسل به الى السجن فقال جحدر لبعض من يخرج الى اليمامة تحمل عنى شعراً وانشأ يقول

تأوّبنى فبت لها كنيعاً … هموم لا تفارقنى حوان (١)
هى العوّاد لا عوّاد قومي … اطلن عيادتى فى ذا المكان
اذا ما قلت قد اجلين عنى … ثنى ريعانهن علىّ ثان (٢)
فان مقر منزلهن قلبي … فقد انفهنه فالقلب آن (٣)
أليس الله يعلم ان قلبي … يحبك ايها البرق اليمانى
واهوى اعيد اليك طرفى … على عدواء من شغل وشان (٤)
ألا قد هاجنى فازددت شوقاً … بكاء حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحن أعجمي … على غصنين من غَرَب وبان
فقلت لصاحبي وكنت احذو … ببعض الطير ماذا تحذوان
فقالا الدار جامعة قريباً … فقلت بل انتما متمنيان
فكان البان ان بانت سليمى … وفى الغرب اغتراب غير دان
أليس الليل يجمع ام عمرو … وايانا فذاك بنا تدانى
بلى وترى الهلال كما اراه … ويعلوها النهار كما علانى
فما بين التفرق غير سبع … بقين من المحرم او ثمان
فيا اخوي من جشم بن سعد … أقلا اللوم ان لم تنفعانى
اذا جاوزتما سعفات حجر … واودية اليمانى فأنعيانى
الى قوم اذا سمعوا بنعيي … بكى شبانهم وبكى الغوانى

---

(١) تأوبنى اتانى ليلا وكنيعاً من كنع اذا خضع ولان والحوانى فسر بأنه من الحين بالفتح وهو الهلاك فهو اذن مقلوب اصله حوائن جمع حائنة وهى النازلة المهلكة (٢) ريعان كل شىء اوله (٣) انفهه أتعبه واعياه والآنى المتناهى الحرارة (٤) العدواء بضم ففتح المكان الذى لا يطمئن من قعد عليه وعدواء الشغل موانعه

وقولا جحدر أمسى رهينا يحاذر وقع مصقول يمانى
يحاذر صولة الحجاج ظلماً وما الحجاج ظلاماً لجانِ
ألم ترني عددت اخاحروب اذا لم اجن كنت مجنّ جان
فان أهلك قرب فتى سيبكى على مهذب رخص البنان
ولم أك ماقضيت ذنوب نفسى ولاحق المهند والسنان

قال وكتب الحجاج الى عامله بكسكر ان يوجه اليه بأسد ضارعات يجر على عجل فارسل به فلما ورد الاسد على الحجاج امر به فجعل فى حائرٍ (١) واجيع ثلاثة ايام وارسل الى جحدر فاتى به من السجن ويده اليمنى مغلولة الى عنقه واعطيَ سيفاً والحجاج وجلساؤه فى منظرة لهم فلما نظر جحدر الى الاسد انشأ يقول

ليث وليث فى مجال ضنك كلاهما ذو أنفٍ ومحك
وشدة فى نفسه وفتك ان يكشف الله قناع الشك
فهو احق منزل بترك

فلما نظره الاسد زأر زأرة شديدة وتمطى واقبل نحوه فلما صار منه على قدر رمح وثب وثبة شديدة فتلقاه جحدر بالسيف فضربه ضربة حتى خالط ذباب السيف لهواته فخر الاسد كانه خيمة قد صرعتها الريح وسقط جحدر على ظهره من شدة وثبة الاسد وموضع الكبول فكبّر الحجاج والناس جميعاً واكرم جحدراً واحسن جائزته. واخرجه ابن بكار فى الموفقيات بطوله من طريق آخر عن عبد الله ابن ابى عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر. ولجحدر فى الاسد قصيدة بديعة نذكرها فى جزء آخر

---

(١) الحائر شبه حوض يجمع فيه ماء المطر

الهدايا والتقاريظ

بين يدينا الآن ١٤ مصنفاً من المطبوعات الحديثة بعضها من المؤلفات القديمة وبعضها من الحديثة ولم نوفق لمطالعتها فننتقدها ولكننا ننوه بها فى الجملة مكتفين بتصفح بعض صفحاتها

(إيثار الحق على الخلق . فى رد الخلافات الى المذهب الحق) كتاب جليل وسفر كبير الفه السيد ابو عبد الله محمد بن المرتضى اليمانى احد مجتهدى القرن الثامن الهجرى وقد طبعته شركة طبع الكتب العربية فى مطبعة الآداب والمؤيد بالاتقان والنظافة المعهودين فى الكتب التى تطبعها . الكتاب فى أصول العقائد وقد اقتصر فيه على ما نطق به الكتاب والسنة غالباً وترك الخوض فى النظريات الفلسفية التى زادوها فى علم عقائد الدين ولكنه توسع كغيره فيما توسع فيه المتكلمون كمسئلة خلق الافعال ومسئلة الصفات ونقل كثيراً من كلام النظار . والمزية الكبرى التى امتاز بها كتابه على كتب العقائد المتداولة انه لم يتعصب لمذهب مخصوص ولم يخف اللائمة فى تقرير ما يعتقده ان كان مخالفاً لما عليه الناس لانه آثر الحق على الخلق وهو اقرب الى اهل الاثر منه الى اهل النظر وعهدنا باكثر المتكلمين التقصير فى علم الرواية ويمكننا ان نقول ينبغى لكل مشتغل بعلم الدين الاطلاع على هذا الكتاب

(الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية) يذكرنا التنويه بهذا الكتاب كل مصنف تطبعه هذه الشركة فانه كان نادر الوجود وهو من اجل الكتب الاسلامية ومؤلفه العلامة شمس الدين محمد بن قيم الجوزية وهو يطلب كسابقة من إدارة المؤيد ومن جميع المكاتب بمصر

(الحديقة الفكرية . فى اثبات الله بالبراهين الطبيعيـة) كتاب الفـه ونشره بالطبع حديثاً صديقنا الكاتب الفاضل محمد افندى فريد وجدى واسمه يدل على موضوعه بحث فيـه مباحث دينيـة عصرية على طريقته الجديدة فى هذه المباحث وتكلم فيه عن (الانسان والايمان) وعن الايمان فى دور الفطرة ودور الفلسفة ودور العلم وانتقل من هذا الى شبه ملاحدة الماديين وابطالها ثم عقد فصلا آخر فى (المادة وما وراءها) وبيـان انتهاء دور الالحاد . وأطال فى هذا الفصل الكلام فى مسئلة استحضار الارواح ثم تكلم عن الايمـان فى الدور الرابع وهو رجوع الانسان الى دور الفطرة الاولى وبيان ان الاسلام هو دين الفطرة وهذا خاتمة الكتاب . اما طبعه فحسبنا أن نقول انه فى مطبعة الترقى وعلى احسن ورق فيها وثمنـه ثمانية قروش فنحث القرآء على الاطلاع عليـه ولا سيما ابناء المدارس النظامية الذين يدرسون العلوم العصرية ولعلنا نوفق للعود الى الكلام فيه بعد تمام مطالعته

(تاريخ آداب اللغة العربية) لما علم الكاتب الاديب محمد بك دياب المفتش الثانى للغة العربية فى نظارة المعارف ان بعض علماء المانيا عنوا بالتأليف فى تاريخ آداب لغتنا الشريفة هزته الاريحية العربية الى اجابة اقتراح صديق له فى تأليف هذا الكتاب (تاريخ آداب اللغة) وقد أصدر منه بالطبع جزآن طبع اولهما فى مطبعة جريدة الاسلام والآخر فى مطبعة الترقي المتقنة . وفى كل جزء منهما ما لا يستغنى عن الوقوف عليـه من الفوائد كالكلام فى نشأة اللغة وترقيها وتاريخ الكتابة العربية والخط وتاريخ المصنفات . وتاريخ الفنون والانشاء فهذه الموضوعات تفتح للمشتغلين بهذا الفن ابواباً واسعة

فى البحث والتحرير

ولا يسلم الكتاب من نقد لاسيما فى المباحث المبتكرة فقد فتحته لهذا الغرض فجاء امامى الكلام على كتاب (اساس البلاغة) للزمخشرى فرأيت المصنف ذهب فى الكلام عليه مذهب من يرى انه معجم من معاجم اللغة فانه قال : « والكتاب ليس قاصراً على افادة اللغة بل يرشد ايضاً الى مناهج الانشاء لكثرة ما فيه من السجع والشواهد والامثال » فجعل افادة معانى الكلم هو الغرض الاول والارشاد الى مناهج الانشاء امراً عرضياً او ثانوياً . ثم قال « ولحسن ترتيبه يسهل على الطالب الكشف منه على معانى الكلم لكن ربما ابطأ به عن نوال(كذا) المطلوب اقتصار المؤلف فى الغالب على وضع الكلمات فى التراكيب دون ذكر معانيها صراحاً اعتماداً على فهم المطالع واستنباطه معنى الكلمة من الجملة فلهذا ربما يصح ان يقال انه كتاب مطالعة لا مراجعة » وههنا قارب الصواب وهو ان الكتاب انما وضع لبيان التراكيب المختارة والاساليب البليغة فى جميع ضروب القول ومناحيه فهو كتاب دراسة ومطالعة حتماً . وتدل خطبته على ذلك فليرجع اليها من شاء . وسننشر شيئاً من مختارات الكتاب فى جزء آخر

(انيس الجليس) هى — ولا ازيد القرآء معرفة بها — المجلة النسائية العربية الوحيدة المعروفة بحسن الاختيار للمواضيع الادبية والتهذيبية الجديرة باطلاع السيدات عليها وقد دخلت فى سنتها الرابعة فنهنئ منشئتها الفاضلة البارعة الكسندره افرينوه بنجاحها ونرجو لمجلتها الغراء زيادة الاشتهار . ودوام الانتشار

باب التربية والتعليم

﴿ الطريق القويم . للتربية والتعليم (١) ﴾

(٢٧) من اراسم الى هيلانه فى ٢ اغسطس سنة — ١٨٥

اذكر ان رجلاً فاضلاً من أصدقائى كان قد وجد فى نفسه انبعاثاً الى التربية فاوجب عليها الاشتغال بها ثم انه انتُدِب لادارة مدرسة كان غيره انشأها فالفى نظام التأديب فيها بالغاً من الشدة غايتها اذ رأى فيها افراداً من التلامذة يخصون بالعقوبة دون غيرهم فيقضون ساعات الاستراحة فى فنائها كل يوم جثياً اوقياما فى مواقف الجزاء ولم يكن يعوزها شيء مما تشرف به من طرق العقاب كالتكليف بمضاعف العمل والحبس والمنع من الخروج لانها كانت سائرة على الاصول القديمة القويمة ! فما لبث صديقى هذا ان ابطل كل ذلك النظام التعذيبي دفعة واحدة لعلمه بأنه لا يرهب الا الجبناء ولا ينشأ عنه اثر للتهذيب فى نفوس المتعلمين وقال للتلامذة انا اعلم من سيعاقبكم بعد الآن ان أنتم اسأتم ذلك هو وجدانكم الذى لا ينجو من سوط عذابه من اعفى من ضرب العصا

كان شعار هذا المربى فى تعليمه « لا قلنسوة لعالم ولا لحمار » (٢)

وكان التلامذة قبل وجوده فى المدرسة لا يتسنى لهم ان يخطوا خطوة فى دهاليزها الطويلة وفي عرصاتها وقاعاتها الفسيحة الا وهم مصطفون مثنى

---

(١) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر (٢) القلنسوة فى نظام التعليم الاوروبي شارة العلماء ينالها من اتم دراسته وادى الامتحان فيها

مثنى تحت رعاية كبير لهم كانوا يسمونه ضابط الرجالة تهكماً به ويكرهونه من صميم افئدتهم ولا يفترون عن مما حكته وابتلائه بضروب الحيل والخبث فجمعهم المعلم الجديد ليلقي عليهم نبأ عظيماً فقال لهم : إعلموا انكم من الغد احرار لا سيطرة لأحد عليكم وانه لن يرعاكم فى سيركم وسيرتكم سوى عين الواجب الذى تشعرون به . ولا أرانى بعد هذا فى حاجة الى القول بأن كلا منهم بمجرد سماعه هذا التنبيه قد اعتبر طاعة النظام من أمس الامور به والزمها له

وبينما كان فى يوم من الايام مجتازاً حديقة المدرسة بصر بتلميذ تسلق عريشة كرم ممتد على جدار عتيق يتدفق من فوقه ضوء الشمس وانشأ يأكل من قطوفه اكلاً لمًّا فتظاهر له بالغفلة عن فعله ورجاه ان يلتمس له امين المدرسة فاتاه من فوره يتبعه الغلام النهاب والريبة تدبُّ الى نفسه فقال المدير للامين كيف يصح ايها السيد ان لا يعطي هذا الغلام من الطعام كفايته فانه لم يكد يخرج من قاعة المائدة حتى جاء الى الكرم وطفق يجنى قطوفه خلسة فارجو ان تأخذه الآن بنفسك وترده الى المطعم ليأكل ما يكفيه .

كان هذا المربي اقل الناس شبهاً بمديري المدارس وكان من اجل ذلك محبوبا لتلامذته فانى كثيراً ما رثيت لحال معلم الاطفال الذى هو شهيد الشهداء لمقتهم اياه مع احسانه اليهم وعلى كل حال لست ادرى ان كنت مخطئاً فى ذلك او مصيباً وانى لا اخال الطفل كفوراً بنعمة معلميه ولكنهم هم الذين ارادوا ان يطعموه من باكورة العلم صاباً وعلقماً كيف لا وفى التعلم سعادة المتعلمين وفى التمرين والتدريب حياة لكل قوة من قوى الانسان

ولا شيء الا وهو يطلب الوجود والظهور والنمو وهكذا شأن التلميذ وانما القهر هو الذى يحيل فرحه الى ترح ومرحه الى خمود فانه يجيء الى المدرسة وللحياة فيه دوي كدوي النحل فيجد مديرها عابس الوجه متمسكاً بالكتب واثقاً بها ثقة الظالم الغاشم فيا له من تنشيط للاحداث وترغيب لهم فى التعليم . ! !

الكتاب الذى ينبغي ان يتعلم منه الحدث هو صحيفة الموجودات والمدارس خلو منها

انك اذا دخلت غرفة من غرف المدارس لا تجدين فيها سوى مكاتب ملطخة بالمداد ومقاعد من الخشب غير مستوية القوائم وجدراناً اربعة عارية من الزينة وسقفاً مرفوعاً على خُشب غليظة خشنة يمتد بينها نسيج العناكب التى هى عوامل الضجر المحزنة فاذا نظرت خارج تلك الغرفة من نوافذها المفتوحة رأيت الطيور مطلقة السراح مغردة فى الجو كانها تسخر من التلامذة فان الكون الخارجي "كله اصوات واضواء واشكال والوان تدعو الطفل الى التعلم بواسطة مشاعره واما هذه الغرفة فلا شيء فيها يستلفت نظره فقلما يوجد فيها صورة وشيء من خرائط تقويم البلدان وما عساه يوجد من الصور فدميم قبيح ومن الخرائط فهو يشبه خط قدماء المصريين فى غموضه وتجرده من الرونق وقصوره عن تمام البيان فأقسم بالله على المتولين امر التربية ان يدخلوا فى هذه المقابر التى اعدوها للاحداث نفحة من نفحات العالم الخارجى وشعاعاً من اشعة الحياة

كل امة تعنى بالتربية حق العناية ينبغى ان لا تخلو مدرسة من مدارسها من نظارة معظمة (ميكروسكوب) لمضاعفة اجرام الاشياء التى لا ترى

بمجرد النظر ومن مِرْقب (تليسكوب) تسهل به رؤية اشكال اقرب الكواكب الى الارض ومن كرة جوفاء تمثل فى باطنها اقسام الدنيا (جيوراما) ومن مَرْبى للحيوانات والنباتات المائية ومرآة للصور الماثلة (استير يوسكوب) وبالجملة يجب ان يوجد فيها جميع الادوات اللازمة لتحصيل معنى الكون وآياته الكبري فى أذهان الناشئين .

اعلم ان اللفظ والخط طريقتان قاصرتان جداً عن ايصال العلوم الى نفس الحدث وان اللازم له انما هو رؤية الاشياء فلمربيه توجيه فكره ولو قبل تعليمه القراءة الى أمور كثيرة لا تخرج بحال عن متناول ادراكه . ورأيي فيما عليه المربون الآن هو انهم يفرطون فى التعجيل بتعليمه بعضاً من فروع العلم كان حقها التأجيل وفى تأجيل بعض آخر كان اولى بالتعجيل وكان يجب عليهم فى اختيار العلوم وترتيبها ان يرجعوا الى درس القوانين التى يجري عليها الانسان فى نموّ جسمه ونفسه وعقله .

قولهم « لما يجيء وقتى » كلمة تصدق على معظم قوى الانسان فى ساعة ما من عمره فالطفل يدرك من الاشياء أبعادها وعلاماتها الظاهرة ولكن عقله فى غاية القصور عن الاحاطة بما بينها من الروابط فهو اشد قصوراً عن النفوذ فيما تجري عليه من القوانين وعن تتبع سلسلة الاسباب التى نشأت عنها خصوصاً واليافع يتأثر بالقضايا الشعرية وترتاح نفسه اليها ولا يميل الى القضايا المنطقية والاصول الحكمية ومن حاول استمالته اليها فقد عبث والسبب فى هذا ان ضروب الاستعداد المناسبة لهذه العلوم العقلية لما توجد فيه او انه لم يوجد منها الا جراثيمها فالادراك لفظ عام يدخل فى مفهومه عدة قوى متمايزة كل التمايز لا تمو الا بالتدريج ولكل

منهاطور كمون ثم تظهر تابعة فى ذلك لجملة من الحوادث تتغير بتغير الاشخاص وما يحيط بهم ولكنها على التحقيق محدودة بنواميس الكون والزمان فافكارنا ووجداناتنا لها اعمار كاعمارنا .

الشيء الواحد يقتضي ان يتعلمه الانسان عدة مرات ومن وجوه مختلفة . خذى لك مثلاً : الطفل لا يرى في الوردة بادىء بدء الا وردة ثم اذا نمت فيه قوة الادراك قليلاً قليلاً انتزع من شكلها ولونها ورائحتها مثالاً عقلياً ممتازاً يعرف به الوردة كلما وقعت فى يده وهو فى هذا الطور من الحياة لا يهتم بمرتبتها التى عينها لها علماء النبات فى ترتيبهم ولا بتركيبها ومعيشتها فتلك طائفة من الشؤون والافكار يجب على مربيه الاحتراس التام من الخوض معه فيها اذا كان يعنيه ان لا يُضل مدركته وكذلك الشأن فى جميع الموجودات .

اذا اردت ان اعلم « اميل » علم طبقات الارض (الجيولوجيا) مثلاً وهو العلم الذى يعتبره العارفون ابا العلوم فانى انبهه اولاً الى ما يوجد فى الاحجار بل فى حصا الطرق من اشكال المخلوقات العضوية المنطبعة عليها فان حبه للاستطلاع وميله للاستئثار بالمعرفة مع مساعدة الفرص يعودانه فى اقرب وقت على تمييز أهم العلامات التى توجد فى دفائن الارض من بقايا تلك المخلوقات فجميع ذلك مناسب لسنه او قريب منه ثم بعد ذلك ببضع سنين ادعوه الى ان يقيس ما يكون قد جمعه من هذه النموذجات بعضه ببعض وان يرتبها على حسب ما بينها من التشابه وفى هذا الوقت دون غيره اتلطف فى تسريب معنى اطوار الارض وعهودها الى ذهنه واقص عليه تاريخها مستعيناً بتلك الحصا والحجارة فقد قال شكسبير « ان فى الحجارة

لموعظة وذكرى » وانا اقول ان فيها ما هو اسمى من ذلك فهى وحي يعلمنا كيف خلقت الارض ثم اذا بلغ « اميل » الثامنة عشرة او التاسعة عشرة من عمره اي صار فى سن يؤهله لفهم كل ما أقوله له حق الفهم استعنت بعلم طبقات الارض على تعليمه حكمة التاريخ فهو امثل مقدمة لها .

فيما كاشفتك به من افكارى هذه غناء عن تعريفك اننا لا ينبغى لنا فى تعليم « اميل » ان نعول على شيء من المؤلفات الموجودة فالوجيزة منها والصغيرة والكتب المدرسية التى بين أيدى الاطفال جميعها وضعت لغير الوجهة التى نقصدها فانها مختصرات علمية توهم واضعوها انها تكون ملائمة لادراك الاحداث بسهولة عباراتها وليس العيب ههنا فى شكل الكتب وانما هو فى أصل وضعها فان أول شيء يتسنى للطفل إدراكه من نظام الكون هو ما كان يدركه منه الانسان فى أول نشأته قبل تقدم العلوم وتقسيمها فالمعلمون لا يفتأون ينسون ان التعاريف والتقاسيم والقوانين لم توجد الا بعد التجارب كما ان علوم اللغة متأخرة عنها فى الوجود وكذلك علوم الدين ويغيب عن اذهانهم ان علوم الانسان لم تتكون البتة بالصورة التى يتعلمها عليها الاحداث الآن فان الانسان لم يصل الى ايجاد طائفة من العلم محدودة الا بالانتقال من حادثة جزئية الى اخرى ومن سلسلة من الحوادث مرتبطة بعضها ببعض الى غيرها وبعد ان وجدت له طائفة منها نشأ يستنبط لها القوانين التى تضبطها ثم تفرعت دوحة المعارف وتمايزت فروعها وانفصل كل علم عن الآخر

فالجرى فى تعليم الطفل على غير هذه الطريقة قلب لنظام عقل الانسان فالمعلمون انما يلقون عليه نتائج العلوم وخلاصاتها قبل ان تؤسس قوته

الحاكمة بمبادئها وتدعم بمقدماتها فتريهم ينحدرون مرة واحدة من الذروة التي رقى اليها العلم فى عصرنا بعمل الاجيال الماضية الى ما هو فيه من حضيض الجهل . والذى يستحسن أولئك المعلمون تسميته مبادئ العلوم انما هو فى حق الطفل من ثمرات العقل المبالغ فى تحضيرها ومن نتائج ربط الاشياء بعضها ببعض .

انا لا اجرى على هذه الطريقة فى تعليم « اميل » فانى اود قبل ان اعلمه تاريخ الموجودات ان اعرفه بما فى الكون فأجعل له به انساً بأن اوجه نظره الى حوادث الحرارة والضوء والكهرباء قبل تعليمه قوانين علم الطبيعة واعلمه شيئاً من اوصاف اشكال الاجرام السماوية ومواقعها من قبة الفلك قبل الخوض معه فى علم الهيأة بل ان قصدى الى ان اشرح له فى المستقبل ما اعلمه من نواميس الكون اقل بكثير منه الى ايقاظ وجدان الملاحظة فيه فان تعليم الطفل ليس بشيء يذكر وانما الامر الخطير هوان يؤتى وسيلة التعلم بنفسه وتحرك فيه دواعي الاقبال عليه فدروس « لاميل » كلها لا يكون فيها الا ماكان له شأن فى تنبيه عقله وتقويته لانه مرجع جميع علومنا على اختلافها .

قد رأيت مما قدمته لك انه قد قضي عليك ان تكوني « لاميل » كتاباً يأخذ عنه علمه فلا تستعيني بشيء من صغار الكتب وموجزاتها ومختصراتها وعليك ان تلتمسى له أبسط المعانى وأليقها بحالة ادراكه مع التدرج فى ذلك بحسب ارتقائه فى الفهم وان تجعلى تعليمك مطابقاً لاحوال سنه . اه

(استدراك) سقط من السطر الاخير من الصفحة ٨٤٨ «المكتوبة ٨١٨ غلطاً» كلمتان فكتب «ومصادفات الحق والباطل» والصواب «ومصادفات يتردد بينها الحق والباطل»

المرأة الجديدة — تتمة التقريظ

وأما الفصل الخامس ففى (التربية والحجاب) واهم مسائله (١) قوله ان الحجاب جعل المرأة فى حكم القاصر لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع ان الشرع يعترف لها فى تدبير شؤنها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وان ضرره الاعظم انه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها . و(٢) انه ينبغى ان تربى كتربية الرجل فى جسمها وآدابها وعقلها . و (٣) قوله « متى انتهت تربية البنت باتخاذ مايلزم من الوسائل لتنمية قواها الجسمية وملكاتها العقلية وبلغت الخامسة عشرة من عمرها » ينبغى ان تطاق لها الحرية فى مخالطة الرجال « لان قهر الانسان لهواه وجعله تحت سلطان العقل يستدعى قوة عظيمة فى الارادة . ولا توجد هذه القوة فى الارادة باقامة الحوائل المادية بينه وبين النقائص ولا بمجرد حشو ذهنه بالقواعد الادبية وانما تتولد بالتعرض لملاقاة الحوادث والتعود على مغالبتها والتغلب عليها . فمزاولة الاعمال ومشاهدة الحوادث واختبار الامور ومخالطة الناس والاحتكاك بهم والتجارب كل هذه الاشياء هى منابع للعلم والآداب الصحيحة . بها ترتقي النفوس الكريمة حتى تبلغ أعلى الدرجات وامامها تنهزم النفوس الضعيفة وتهبط الى اسفل الدركات » اه

و (٤) ذكر قول معترض حض على النظر الى مدنيتنا القديمة التي ذكر من اصولها احتجاب النساء وقال انها نفس الكمال . والرد عليه بوجوب اخذ الاهبه لمقاومة سلطة العادات الموروثة اذا خشينا ان تسلبنا ارادتنا واختيارنا وذلك بالالتفات الى المدنية الاسلامية ووزنها بميزان العقل والتدبر

فى اسباب ارتقاء الامة الاسلامية واسباب انحطاطها واستخلاص قاعدة من ذلك يمكننا ان نقيم عليه بناء ننتفع به اليوم او فى ما يستقبل من الزمان

ثم ذكر ظهور الاسلام فى جزيرة العرب وفتوحاته واخذ العلوم والصنائع ممن فتح المسلمون بلادهم وما كان من النهضة العلمية وقال بعد ذلك ما نصه : « على هذين الاساسين شِيّدت المدنية الاسلامية الاساسِ الديني" الذى كون من القبائل العربية امة واحدة خاضعة لحاكم واحد ولشرع واحد . والاساس العلمي" الذى ارتقت به عقول الامة الاسلامية وآدابها الى الحد الذي كان فى استطاعتها ان تصل اليه فى ذلك العهد » . ثم ذكر ان قوة العلم كانت ضعيفه فى ذلك العصر واكثر اصوله ظنية وان الفقهآء تغلبوا على رجال العلم ورموهم بالكفر والزندقة حتى نفر الناس من دراسة العلم . قال « ثم غلوا فى دينهم وشطوا فى رأيهم حتى قالوا فى العلوم الدينية نفسها انها لا بد ان تقف عند حد لا يجوز لاحد ان يتجاوزه فقرروا ان ما وضعه بعض الفقهآء هو الحق الابدي الذي لا يجوز لاحد ان يخالفه وكأنهم رأوا من قواعد الدين ان تُسدّ ابواب فضل الله على اهله أجمعين » ثم عقب هذا بكلمة جليلة ذكر بعدها ما كان من ارتقاء العلم فى اوربا وهى :

« هذا النزاع الذى قام بين اهل الدين وأهل العلم ولا أقول بين الدين والعلم لم يكن خاصاً بالامم الاسلامية بل وقع كذلك عند الامم الاوربية » ثم ذكر بعض الاكتشافات الحديثه فى العلم وتغلب اهله على رجال الدين واستنتج من ذلك قوله :

« فاذا كان التمدن الاسلامي بدأ وانتهى قبل ان يكشف الغطاء عن اصول العلوم كما بيناه فكيف يمكن ان نعتقد ان هذا التمدن كان « نموذج

الكمال البشري » يهمنا ان لا نبخس أسلافنا حقهم ولا ننقص من شأنهم ولكن يهمنا مع ذلك ان لا نغش انفسنا بان تخيل انهم وصلوا الى غاية من الكمال ليس وراءها غاية . نحن طلاب حقيقة اذا عثرنا عليها جهرنا بها مهما تألم القرآء من سماعها . لذلك نرى من الواجب علينا ان نقول انه يجب على كل مسلم ان يدرس التمدن الاسلامي ويقف على ظواهره وخفاياه لانه يحتوى على كثير من اصول حالتنا الحاضرة ويجب عليه ان يعجب به لانه عمل انتفعت به الانسانية وكملت به ماكان ناقصاً منها فى بعض ادوارها ولكن كثيراً من ظواهر هذا التمدن لايمكن ان يدخل فى نظام معيشتنا الاجتماعية الحالية » اه

وقد بين السبب فى عدم هذا الامكان من جهة العلوم الكونية قبله وبين بعد سبب ذلك من جهة النظامات السياسية وانتقد السلطة المطلقة التى جرى عليها الخلفاء والملوك وما كان فيها من الاستبداد الذى ساعد عليه عدم تحديد الفقهاء للعقوبات بل تركوا انواع التعزير مفوضة للحاكم ثم بين انه لم يكن عندهم شيء من العلوم السياسية والاجتماعية والاقتصادية حتى ان ابن خلدون لم يذكر فى كتابه وهو الكتاب الوحيد الذى وضع عند المسلمين فى الاصول الاجتماعية كلمة واحدة فى (العائلة) . ثم بين ان الحالة العائلية كانت خالية من كل نظام . ثم بين ذلك من جهة الآداب فذكر ان المسلمين لم يأتوا للعالم بأصول جديدة فيها واما عملهم بها فذكر ان التاريخ يشهد على ان كل عصر لايخلو من الطيب والردئ وأشار الى اهم ما ينتقد على المسلمين كتمزيق الدولة العربية بالمنازعات الداخلية وكشرب بعض بعض الامراء والعظماء الخمر جهراً فى مجالس الجوارى والقيان وغير ذلك .

ثم قرر بعد ذلك الرد على من قال ان المدنيـة الاسلامية كانت « نموذج الكمال البشرى » وان المسلمين كانوا حائزين جميع انواع « الكمالات الاخلاقية الصحيحة » وقرر ان الحجاب اذا كان عادة من عاداتهم التى لم تكن كلها كاملة فلا ينافى ذلك انه لايليق فى عصرنا . ثم قال مانصه بالحرف « وغنيٌّ عن البيان اننا عندكلامنا على المدنية الاسـلامية لم نقصد الحكم عليها من جهة الدين بل من جهة العلوم والفنون والصنائع والآداب والعادات التى يكون مجموعها الحالة الاجتماعيـة التى اختصت بها . ذلك لأن عامل الدين لم يكن وحده المؤثر فى وجود تلك الحالة الاجتماعية فهو على ما به من قوة السلطان على الاخلاق لم ينتج الأثراً مناسباً لدرجة عقول وآداب الامم التى سبقت » ثم حتم بوجوب بناء مدنيتنا على العلوم العصرية التى بنى عليها الاوربيون مدنيتهم

والمسألة (٥) من مهمات هذا الفصل البحث فى زعم الذين يعترفون بتقدم الغربيين علينا فى الصنائع وانكار تقدمهم فى الآداب ولم يُبق الاسهاب فى المسئلة الرابعة مجالاً لتخليص شى منها و إنما اطلت فى هذه لانها اهم مسائل الكتاب فى الحقيقة ولان الناس يلغطون فيها قولاً وكتابة على غير بصيرة بل يكذبون على المؤلف ويتهمونه بانه طعن بالدين الاسلامي نفسه وقال انه غير كاف لمدنية المسلمين فى هذا العصر ونحو ذلك مما يرمى به من لاقيمة للصدق ولا للدين فى نفوسهم . نعم ان كلامه فى هذا الموضوع لايسلم من استدراك وانتقاد سنبينه فى بقية مقالاتنا فى (مدنية العرب) .

واما خاتمة الكتاب فسنكتب عنها شيئاً فى الجزء الآتى ان شاء الله تعالى

رأى الناس فى الكتاب ورأينا فيه

قلنا فى تقريظ كتاب (تحرير المرأة) ماعدنا معناه فى تقريظ المرأة الجديدة من انا لم نر فى مكتوب العصر شيئاً أثر فى مسلمى مصر مثل هذين الكتابين وكنا قد استبشرنا لهذا التأثر لدلالته على ان فى الامة ذماء ورمقاً من الحياة يهيج احساسها للنفور من الضارّ فى اعتقادهم وان لم يرتق الى العناية بالنافع فى الاخذ به ولكن هذا الاستبشار غير صاف من الكدورة ولا محل هنا لبيان السبب فى ذلك اذ لا يفى به الا مقالة او مقالات فى شعور الامة ووجدانها وتأثيره فى اعمالها .

قلنا فى الجزء الماضى ان من الناس من قرظ كتاب المرأة الجديدة ومن انتقده ونذكر ههنا ان المنتقدين هم الاكثرون بحسب ما يظهر لنا من كتاباتهم فى الجرائد ومحاوراتهم فى الأندية والسمار . يقول هؤلاء المنتقدون ان هذا الكتاب وسابقه ما الفا الا لاقناع المسلمين بأن يعطوا نساءهم الحرية المطلقة بمعاشرة من يردن من الرجال وان يكنّ كنساء الافرنج مكشوفات الوجوه والرؤس يختلفن الى الملاهى والمراقص ويذهبن فى التهتك كل مذهب . هذا ما يلهج به الجماهير يتلقفه بعضهم من بعض واكثرهم لم يقرأ الكتاب . ومنهم من يزيد على ذلك مسئلة المدنية الاسلامية والمدنية الغربية وقد ذكرنا طعنهم فيها آنفاً

ان كان الكتابان ألفا لهاتين الغايتين او اشتملا عليها فنحن وجميع المسلمين بل وجميع العقلاء نقول إنهما باطلان جديران بالمقت والرفض لان ذلك يجر الى فتنة فى الارض وفساد كبير ويكون به خيار نسائنا فى التهتك والتبذل أبعد غوراً من شر نساء الافرنج لان لهؤلاء من التربية والعلم الذى لم يصلن

اليه الا بعد عدة قرون ما ليس لنا شيء منه ونحن لما نبتدء بالتربية ابتداء .
ولكن هل الكتابان كما يقولون ؟ الجواب ما قلناه فى تقريظ كتاب (تحرير المرأة) فى العام الماضى من ان المؤلف غالى فى بيان مضار التشديد والمبالغة فى الحجاب وبالغ جداً فى جعل نجاح المسلمين متوقفاً على ازالة الحجاب المعهود فى الاذهان والموجود أثره فى الاعيان ... بحيث ان هذه المغالاة والمبالغة المصوغة فى قالب الاسلوب الكتابى المؤثر تذهب بوجدان القاريء الى وجوب تمزيق هذا الحجاب لأنه لم يحجب الا العلوم والفضائل عن نصف الامة . وقد رأينا من افاضل المعتدلين فى الانكار على كتاب المرأة الجديدة من قال ان هذا هو الضرر الحقيقى من قراءة الكتاب وقال : انى كنت اقرأه فأشعر بوجدانى قد تغير واعتقادى بوجوب بقاء الحجاب قد تزلزل واضطرب فأترك القراءة ليثوب اليّ وجدانى الاول ويسكن اعتقادي فيه ثم اعود اليها . فقلت له ربما تكون هذه المغالاة مقصودة للمؤلف لان الداعى الى شيء ينبغى له لاجل ارجاع من يدعوهم الى الاعتدال الذى هو الحق أن يقف على الطرف المقابل لما هم فيه فان كانوا فى جانب التفريط يقف فى جانب الافراط لينتهى التجاذب بينه وبينهم الى الوسط ولو وقف فى الوسط وجذبهم وجذبوه يخرج كل منهما عنه او يبقى فى محله ولا فائدة فى ذلك ومن هنا يقول الناس لابد من شيء من الباطل لاجل الوصول الى الحق . وقد قال الامام الغزالى ان وعد القرآن ووعيده مبنى على هذه القاعدة فمثل قوله تعالى « ياعباديَ الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً » انما يعالج به الذين غلبت عليهم خشية الله والخوف من عذابه وافرطوا

فيها حتى كادوا يقنطون من رحمته تعالى . واما الذين غاب عليهم التهاون وادى بهم الافراط فى الرجاء الى الغرور وكادوا يأمنون مكر الله وعذابه وتجرؤا على المعاصى فيجب ان يعالجوا بمثل قوله تعالى « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » واذا ذكروا تلك الآية ذُكّروا بمثل قوله تعالى « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وهكذا يجب ان يكون المرشد كالطبيب يعطى كل مريض ما مسّت اليه حاجته ويناسب حاله . ثم إن من فوائد هذه المبالغة أن أثارت افكار الناس للبحث وكل الباحثين اوجلهم موافق له على سوء حالة المرأة المصرية او المسلمة ووجوب تربيتها وتعليمها وقد كان المانع الاكبر منهما عند الجماهير هو الحجاب ولكنهم يخالفونه فى توقف التربية والتعليم فى كمالهما على تخفيف الحجاب او منعه فاذا انتهت هذه المناقشات بانصراف همة الامة الى تربية وتعليم مع بقاء الحجاب نتقدم الى الامام ويكون الفضل الاكبر فى ذلك لقاسم بك يعترف له به بعض المنصفين الآن ويحفظه له التاريخ الى آخر الزمان

استفتاء البابلى فى المرأة الجديدة

من اعجب ما احدثه كتاب (المرأة الجديدة) فى نفوس الناس ان محمد افندى عبده البابلي كتب الى فضيلة مفتى الديار المصرية كتاباً مفتوحاً وزعه على الناس ونشره فى الجرائد يسأل فيه : « هل رفع الحجاب عن المرأة واطلاقها فى سبيل حريتها بالطريقة التى يريدها صاحب كتاب (المرأة الجديدة) يسمح به الشرع الشريف ام لا » ثم طبع استلفاتاً الى هذا الكتاب المفتوح ووزعه فى الازقة والشوارع وارسله الى الجرائد قبل ان يرسله الى

فضيلة المفتي المخاطب به حتى ان الاستاذ المفتي لم يعلم به الا بعد ان أطلعته انا عليه ونحن نجيب هذا السائل المستلفت فنقول :

(١) ان الاستفتاء جاء على خلاف المعهود في مثله ولم يفهم احد من العقلاء معنى توزيع السؤال مطبوعاً على الناس لا سيما قبل ايصاله الى المسؤول بل انا في شك من ارساله اليه قياساً على الاستلفات الذي رآه عندي لاول مرة. ولا يقال ان الغرض الفائدة لان الفائدة انما تكون في الجواب وربما كان اكثر الذين وزع عليهم الكتاب المفتوح والاستلفات من خالي الذهن عن كتاب المرأة الجديدة. فيظهر ان للسائل غرضاً غير الافادة

(٢) لا يخفى على السائل وغيره ان الاستفتاء عن كتاب يستلزم ان يقرأ المفتي ذلك الكتاب كله وذلك تكليف الشطط لان اصحاب الاعمال الكثيرة كمفتي القطر المصري يجب ان يختصر في الاسئلة التي تلقى اليهم لان كثرة اعمالهم لا تسمح لهم بقراءة الاسئلة المطولة والجواب عنها الذي يستدعي التفصيل والتطويل غالباً وانا نعلم ان الاسئلة التي ترفع الى شيخ الاسلام في دار الخلافة لا يكتفون فيها بالاختصار حتى يذكرون الجواب ويسألون عنه فيكتب شيخ الاسلام كلمة (اولور) اذا كان الجواب بالايجاب وكلمة (اولماز) اذا كان سلباً . والسائل يعلم ان مفتي الديار المصرية هو رئيس الجمعية الخيرية الاسلامية التي هي اعظم جمعية للمسلمين في البلاد العربية كلها وهو ايضاً عضو عامل في مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى وله اعمال اخرى في نظارة الحقانية وهو شيخ رواق الحنفية الذي هو اعظم رواق في الازهر وناظر على اوقاف كبيرة وعضو في مجلس ادارة الازهر ويؤلف ويقرأ في الازهر درساً في علم البلاغة ودرساً في تفسير

القرآن الشريف ولا يخفى ما يستلزمه هذا الدرس من المطالعة والمراجعة. ويعلم انه من الدقة فى أعماله بحيث اذا رفع اليه استفتاء من المحاكم عن قتل جان يقرأ جميع اوراق القضية وان كانت تعد بالمئات . ويعلم ايضاً انه مقصود من الناس بقضاء المصالح فلا يخلو يوم من عدة اشخاص يطلبون منه قضاء مصالحهم . فهل مثل هذا يستفتى عن كتاب . ويكلف بقراءته ليبين رأيه فيه . كلا انه يجب على شيخ الجامع الازهر ان يؤلف بمعرفة المفتى ومساعدته لجنة من العلماء لانتقاد الكتب التى تنشر بين المسلمين يكون افرادها من البارعين فى جميع الفنون بحيث ينتقد كل صنف ما هو عالم به ثم ينشر ذلك فى الجرائد فان فى الكتب المنسوبة للمتقدمين ما ينشر وفيه من الافساد فى الدين والدنيا فوق ما يتصوره كل منتقد على كتاب (المرأة الجديدة)

(٣) ان الفتوى فى الكتاب لا يمكن ان يفهمها احد الا اذا اطلع على السؤال والسؤال يدخل فيه الكتاب كله فيحتاج كل من اطلع على الفتوى ان يقرأ الكتاب اولاً فاذا كان ضاراً تكون الفتوى سبباً فى اذاعة الضرر

(٤) اذا أفتى مفتى الديار المصرية فى الكتاب فلا شك ان فتواه تكون بمقتضى مذهب الحنفية الذى عينته الحكومة ليفتى به فاذا لم توافق فتواه غرض صاحب الكتاب يمكنه ان يقول كما قال فى كتابيه ان اصلاح شؤن المسلمين يتوقف على عدم التقيد بقول امام واحد بل يجب أن ينظر فى المصلحة وتطبق على قول أيّ امام ولا يخفى انه نقل عن بعض الائمة فى تحرير المرأة جواز كشف الوجه والكفين وجواز معاملة الرجال فى غير خلوة وهذا كل ما يطلبه من ابطال الحجاب

كل هذا يدلنا على ان السائل اخطأ فى السؤال وانه لا يلقى جواباً

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

قسم الاحاديث الموضوعة — الموضوعات فى العلماء والزهاد

ذكرنا فى الجزئين ٢٧و٢٨ من السنة الماضية بعض الاحاديث الموضوعة فى تعظيم العلماء وإطرائهم وبقى علينا بقية منها وان نذكر الاحاديث الموضوعة فى انتقادهم على عدم العمل وانتقاد العباد بغير علم . واكثر الموضوعات فى الاطراء وضعها علماء السوء لتعظيم أنفسهم على المتصوفة الذين تخصهم العامة بالتعظيم والاكرام واعتقاد الولاية واكثر تلك الاحاديث الانتقادية وضعها مدعو الصلاح والولاية للحط من شأن العلماء الذين يظهر من عملهم انهم لا يريدون بعلمهم الا المال والجاه وهكذا كانت المحاسدة بين الفريقين الا من عصم ربك من المخلصين . ولكن الانتصار كان للعلماء الا فى الازمنة التى ساد فيها الجهل وصار الامراء كالعامة فى اعتقاد جهلة مدعين الولاية اوالمتظاهرين بالصلاح وآل الامر الى مشاركة العلماء لهم فى هذا الاعتقاد او التظاهر به لئلا يتهموا وتنحرف عنهم العامة فيفوتهم الانتفاع منها . ولا تنس استثناء المخلصين وقليل ما هم

فمن هذه الموضوعات حديث : يكون فى آخر الزمان علماء يرغبون الناس في الآخرة ولا يرغبون . ويزهدون الناس فى الدنيا ولا يزهدون وينبسطون عند الكبراء . وينقبضون عند الفقراء . وينهون عن غشيان الامراء . (اى زيارتهم والتردد عليهم) ولا ينتهون . أولئك الجبارون عند

الرحمن . وفى اسناده نوح بن أبى مريم أحد المشهورين بالكذب . ولا يغرنك كون مضمونه واقعاً الآن فتستدل به على صحته فانهم ما وضعوه الا لواقع متحقق وما كل صحيح المعنى يصح رواية .

ومنها حديث يأتى على امتى زمان يحسد الفقهاء بعضهم بعضاً ويغار بعضهم على بعض كتغاير التيوس . فى اسناده متهم بالوضع وان صح معناه

ومنها حديث : من فتنة العالم ان يكون الكلام أحب اليه من الاستماع . وهو موضوع . ومنها حديث : هلاك امتى عالم فاجر وعابد جاهل وشرار الشرار شرار العلماء وخيار الخيار خيار العلماء . لم يوجد وان صح معناه

ومنها حديث : لا تجوز شهادة العلماء بعضهم على بعض . قالوا اسناده لا يصح . ومنها حديث : الزبانية اسرع الى فسقة حملة القرآن منهم الى عبدة الاوثان . وهو موضوع وقال ابن حبان باطل وفى اسناده من يتهم بالوضع وذكر له فى اللآلئ المصنوعة طرقاً لا يصح منها شيء

ومنها حديث : المتعبد بغير فقه كالحمار فى الطاحونة ما اتخذ الله من وليٍّ جاهل ولو اتخذه لعلمه . قال ابن حجر ليس بثابت . قلت كانوا يحتجون به على الجهال الاميين الذين يدعون الولاية ويصدقهم العوام لتظاهرهم بالصلاح وما كان هؤلاء ينتهون عن دعواهم لان لهم من العامة قوة يغلبون بها الحق على قاعدة بسمارك . وقد انكر بالحديث احد العلماء على احد أدعياء الاولياء الجهلاء وكان لم يره وبلغ الوليّ ذلك فاتفق ان اجتمعا فى مجلس مصادفة فابتدر الولى العالمَ بقوله « اتخذنى وعلمنى » فعدها له الناس مكاشفة وزادوا به اعتقاداً لان كرامة وهمية كهذه تهدم الف قاعدة من قواعد العلم والدين . وهذا العلم الذى يسميه الصوفية اللدنى لا يتناول

علوم الرواية والاحكام كالحديث والفقه واللغة كما بينه الفقيه ابن حجر فى الفتاوى الحديثية ولذلك تجد اكابر الصوفية الصادقين يحتجون بالاحاديث الموضوعة اذا لم يكونوا من المحدثين ولكن اين من يعقل ومن يفهم ؟

ومنها حديث : اشد الناس حسرة يوم القيامة رجل امكنه طلب العلم فى الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علماً فانتفع به من سمعه منه دونه . قال ابن عساكر منكر

ومنها حديث : من نصح جاهلاً عاداه . قالوا لم يرد مرفوعاً اى لم ينسبه احد للنبي صلى الله عليه وسلم وقد جاء فى كلام بعض السلف . اقول اذا اراد قائله بالجاهل الاحمق السفيه فله وجه واما اذا اراد غير العالم فهو خطأ وضلال يقتضى ترك التعليم والنصيحة وفى ذلك محو الدين بالمرة

ومنها حديث : يقول الله عز وجل يوم القيامة يامعشر العلماء انى لم اضع علمى فيكم الا لمعرفتى بكم قوموا فانى قد غفرت لكم . رواه ابن عدي عن واثلة بن الاسقع مرفوعاً وقال هذا منكر لم يتابع عثمان بن عبد الرحمن القرشي عليه الثقات . وله اسناد آخر عند ابن عدي عن ابى موسى الاشعري مرفوعاً وقال فى اسناده طلحة بن يزيد متروك وهذا الحديث بهذا الاسناد باطل . ومنها حديث : ان العالم الرحيم يجيء يوم القيامة وان نوره قد اضاء يمشى فيه بين المشرق والمغرب كما يضيء الكوكب الدري . رواه ابو نعيم والخطيب قال فى الميزان هذا خبر باطل

ومنها حديث : اذا كان يوم القيامة جاء أصحاب الحديث بأيديهم المحابر فيأمر الله جبريل ان يأتيهم ويسألهم وهو اعلم بهم فيقول من انتم ؟ فيقولون نحن اصحاب الحديث فيقول الله تعالى ادخلوا الجنة على ماكان منكم

طالما كنتم تصلون على نبي فى دار الدنيا . قال الخطيب موضوع والحمل فيه على الرقي يعنى محمد بن يوسف بن يعقوب الرقي . وقد ذكره الذهبي فى الميزان وقال انه وضع هذا الحديث . اقول حيا الله تعالى علماء الحديث

ومنها حديث : من حفظ على امتى اربعين حديثاً لقى الله يوم القيامة فقيهاً عالماً . رواه ابن عبد البر وضعفه ولكن قال صاحب الذيل هو من أباطيل اسحق الملطى وقال فى المقاصد طرقه فى جزء ليس فيها طريق تسلم من علة قادحة . وقال البيهقى هو متن مشهور وليس له اسناد صحيح . اقول وسبب شهرته عناية العلماء بحفظ الاربعينات رجاء ان يكون ثابتاً فى الواقع وإن لم يصح سنده

وقد ورد فى العلماء والعباد احاديث اخرى تكلم فيها بعض واحتج بها آخرون . منها حديث : شرار العلماء الذين يأتون الامراء وخيار الامراء الذين يأتون العلماء . روى ابن ماجه شطره الاول بسند ضعيف . وروى بلفظ العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم . قيل هو موضوع وفى إسناده مجهول ومتروك وتعقب ذلك .

وما زال العلماء العاملون والصوفية المخلصون يحتجون بهذا الحديث وما ورد فى معناه لانه مؤيد بسيرة السلف الصالح وكانوا يتهمون كل عالم يغشى مجالس الامراء والسلاطين الا اذا كان بمقدار ما يؤدى النصيحة الواجبة ولم يأخذ من عطاياهم شيئاً . واحياء علوم الدين طافح باثار السلف فى ذلك . وقد انقلب الامر الآن فاننا نرى من الناس من يستدل على حسن حال المنتسبين الى العلم والصلاح بالقرب من الملوك والامراء وربما

يعدون من كراماتهم ما يمنحونه من الحلي والحلل الذهبية والفضية التى تسمى النياشين وكسوة الرتبة والتشريف فلا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم . ومنها حديث اكثر منافقى هذه الامة قراؤها . رواه احمد والطبراني . والقراء العلماء والله اعلم .

(ثانيا) قد حذت جريدة طرابلس حذو المنار بالكلام فى الموضوعات فاستحقت بذلك الثناء .

﴿ انتقاد الاخلاق والعادات ﴾

« لمعري العصر . فى فلسفة الشعر . محمد افندى حافظ ابراهيم »

لحا الله الايام جيش احاربه ... فهذي مواضيه وهذى كتائبه
وهمين ضاق القلب والصدر عنهما ... غرام اعانيه وعيش أغالبه
وليل كمطل القوم كابدت طوله ... وأيقنت انى لا محالة صاحبه
كأنّ دياجيه صحيفة ملحد ... تخط بها أعماله ومثالبه
قريت به جيش الصبابة والاسى ... وأنزلته صدراً تداعت جوانبه
وعلمت نفسى كظم غيظى ولم ابح ... بما فعلت بين الضلوع قواضبه
تماسكت حتى لو رأى القوم حالتى ... رأوا رجلاً هانت عليه مصائبه
رجائى فى قومى ضعيف كأنه ... جنان وزير سودته مناصبه
ودائى كداء الدين عز دواؤه ... وحظي كحظ الشرق نحس كواكبه
فياليت لى وجدان قومي فأرتضى ... حياتى ولا اشقى بما انا طالبه
ينامون تحت الضيم والارض رحبة ... لمن بات يأبى جانب الذل جانبه
يضيق على السوريّ رحب بلاده ... فيركب للاهوال ما هو راكبه
فما هى الا ان تجشمه النوى ... وما هو الا ان تشد ركائبه

ويحرج بالرومى مذهب رزقه فتفرج فى عرض البلاد مذاهبه
أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا فى السفر ما انت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه
فلو ان شخصاً قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت فى مصر حواء امنّا يلوح محياها لنا ونراقبه
وفى يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه
وخلفهما موسى وعيسى واحمد وجيش من الاملاك ماجت مواكبه
وقالوا لنا رفع الحجاب محلل لقلنا نعم حق ولكن نجانبه

(باب الاخبار التاريخية) ضاق هذا الجزء عن هذا الباب وسنثبته فى الجزء الآتى ويدخل فيه باقى ترجمة ملكة الانكليز وغير ذلك

(من الادارة) من ينقصه شئ من اعداد سنة المنار الثالثة او فهرس المجلد الثانى فليطلبه يرسل اليه . واما فهرس المجلد الثالث فسيوزع مع الجزء الآتى ان شاء الله تعالى . ونرجو من غيرة المشتركين الذين لم يدفعوا قيمة الاشتراك ان يتفضلوا بارسالها . ونخص بالذكر اهل تونس والجزائر ومراكش وجاوه والهند ولهؤلاء الخيار فى ارسال القيمة حوالة على ادارة البوسطة او على احد البنوك فى القاهرة .

(تصحيح) ذكرنا فى الصفحة ٨٦٢ من الجزء الماضي ان سعادتلو عبد الغنى باشا العابد هو شقيق صاحب العطوفة الشهير احمد عزت بك العابد الكاتب الثانى لمولانا السلطان الاعظم وكان ذلك سبق قلم والصواب أنه ابن عمه لا شقيقه

المنار

١٣١٥

مجلة علمية ادبية تهذيبية ملية اخبارية

« تصدر في غرة كل شهر عربي وفي السادس عشر منه »

لمنشئها

« السيد محمد رشيد رضا »

عنوانها (مصر — ادارة مجلة المنار) والتلغرافي « المنار بمصر »

(المجلد الرابع)

قيمة الاشتراك فيها خمسون غرشاً اميرياً في السنة وفي الخارج ١٦ فرنكا
وفي الهند عشر روبيات

« حقوق اعادة الطبع محفوظة لمنشئ المجلة »

فهرست

« المجلد الرابع من المنار »

صحيفة

أئمة أهل السنة واتباعهم ٤٦٧
ابن الزيات الوزير ٦٧٣
ابو محجن الصحابي — قصته ٩٠٢
ابو النجم الراجز — طرفه ٢٢٩
ابو الهدى افندي ٥٩٢
الاجتهاد والتقليد ١٦١
« والوحدة الاسلامية ٢٠٥
« — حكمه ٢٢١
الاحاديث الموضوعة في العلما والزهاد ٣٥
« القدسية والقرآن ٤٩٧
احتجاب (كتاب) ١٩١
الاسد — وصفه شعراً ٦٤
اسلام بيت من الفرس ٥١٤
الاستقلال والاتكال ٦٠١
الاسلام (مستقبله) ٧٥٨
« والمسلمون ٩٢٥
الاشارة الى محاسن التجارة (كتاب) ٢٧٣
اشهر مشاهير الاسلام (كتاب) ٨٣٦
الاصلاح على قدر الاستعداد ٦٨١
اصلاح الدولة العلية ٩٢١
أعرابية — حنينها الى الوطن ١٠٣
الاعطار الافرنجية — طهارتها ٥٠ و٨٢١
ورد على ذي فضول و٨٦٦

صحيفة

الاعياد والمواسم ١٦٠
الافرنج — خيانتهم ٥١٦
الف ليلة وليلة (كتاب) ٩١٢
الامير عبد الرحمن — كتابه وحاله ٧٥
« « (وفاته) ٥٩١ و٦٣٩
و٦٦٨ و٧١٢
امير الافغان الجديد ٧٠٩
الامراء والحكام (والاحاديث فيهم) ٧٣٢
و٧٧٣ و٨٠٩
الاميرة ناظلى هانم ٩١٠
ام عاصم — وفاتها ٤٧٨
اميل القرن التاسع عشر (كتاب) ١٩ و١٠٨
و٢٦١ و٣٣٨ و٥٧٨ و٦٥٩ و٧٧٨ و٩٠٥
الانبياء والاولياء استمدادهم ٤٦٠
« والفلاسفة ٢٠٠
الانتقاد — مقالة فلسفية ١٢١
الانشا العصرى (كتاب) ٩١٢
انيس الجليس (مجلة) ١٨
اهل الذمة (وصية الاسلام بهم) ٧٧٦
ايثار الحق على الخلق (كتاب) ١٦

ب

البخل والسخاء ٢٠١ و٢٤١

صحيفة

البخلاء (نوادرهم) ٢٧٧
بشارة باشا تقلا (وفاته) ٣١٧
البطريكخانة القبطية وأحكامها ٥٥٦

ت

تاريخ آداب اللغة العربية (كتاب) ١٧
تحفة الابصار والبصائر (في الجنازة والمقابر) ٧٩٦
تربية احساس الشفقة والرحمة ٥٨١
التربية الانكليزية ٢٦٨
« الحديثة (كتاب) ٦٣٠
تربية الخيال ٣٤١و٧٠٥و٧٧٨
« الذاكرة ٧٧٨
التربية والتعليم (طريقتهما) ١٩
« « (مؤتمرها بالهند) ٨٧١
تركيا الفتاة ١٦٠
التسحير في رمضان ٠٥٦
التعصب والتساهل ٥٥٥
التعليم الاسلامي في سيراليون ٧٠٧
« والتربية (بالفانوس السحري) ٢٦١
« بالجامع الاعظم بتونس ٣٨٧
« باللغة العامية المصرية ٨٢٧و٨٧٦
تعليم التاريخ الطبيعي بالفانوس السحري ٩٠٥
« السباحة وتربية العضلات ٩٤٧
« العربية في المدارس تأخرها بتقدمها ٢٦٦
« الفطري والمدارس ١٠٨

صحيفة

تعليم القراءة والخط والرسم ٥٧٨و٦٥٩
« معاهد الارض ٣٣٨
تفسير الفاتحة ومشكلات القرآن ٧٩٤
تفسير القرآن ١٧٠و٢١٧و٢٤٧و٢٩٨
٣٣١و٤٨٩ و٥٣٠ و٦٤٨ و٧٦٧ و٩٣٣
تفسير «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون»
٣٠٢
التقبيل — مضاره ١٠٠
التقليد (خطبة) ٣٢١
« (نهي الأئمة عنه) ٥٢١ ٥٦٧و٦٩٢
« والوحدة الاسلامية ٨٥٢
تقويم المؤيد ١٩٠
تمثال فرعون (اكتشافه) ٢٢٥
تنبيه الافهام (كتاب ١٠٧
توفيق بك الحموي (وفاته) ٤٧٨

ث

الثلج المصنوع ٥٠٤

ج

جحدر وخبره مع الحجاج ١٣
جذيمة والزبا (قصة) ٦٢٩و٦٧٣
الجرائد — مطل المشتركين ٩١٩
الجفر والزايرجه ٥١
جمعية ام القرى ٩٥٦
الجمعية الخيرية الاسلامية ٣٤٧و٧١٥
الجمعيات الدينية في فرنسا ١٥٧
جمعية الكتاب المصرية ٩٥٥

	صحيفة
« ندوة العلماء (بالهند)	٢٧٩و٣٩٨
« اليهود الصهيونية	٨٠١
جواهر العلوم (كتاب)	٩١١

ح

الحاجة الى الوحي	٩و١٤٠
حب المحمدة الحقة	٥٦١
حديث مع شيخ الازهر	١٥٧
الحديقة الفكرية (كتاب)	١٧
حرب الانكليز والبوير	٦٤٠
الحرب الروسية العثمانية	١٩٢و٢٣١
حرية العرب	١٤٧
الحسبة في الاسلام	٢٧٢
حقوق الملل ومعاهدات الدول	٥٤٣
الحكومة الاسلامية — نوعها	٧٧٣
حياة أمة بعد موتها	٨٠١

خ

خاتمة السنة الرابعة للمنار	٩٥٩
الخديوى الاحتفال بقدومه	٦٧٤
« سفره للسودان	٦٧٦و٧٩٨
« لبسه البرنيطة	٥٠٩
« نصيحة له	٦٣٩
خريستوفورس جباره (وفاته)	٤٧٩
خطبة أبي بكر الصديق	٧٣٣
« أساس البلاغه	٦١
« عمر بن الخطاب	٧٣٥
الخلاف في الدين (النجاة منه)	٢٨٧

	صحيفة
الخمر أم الخبائث (مضارها)	٨٨١
« (حرمتها وعقوبتها)	٨٩٧
خيانة الخدم	٩٥٨

د

الداء والدواء (الغرور بالدين)	٠٠٣
دائرة المعارف	١٨٨
دعاوى وضع اليد (كتاب)	١٩٠
دليل الحيران في الكشف عن آيات القرآن	١٠٧
الدنيا في باريس	٥٤٤
الدولة العلية وفرنسا (خلافها)	٤٧٧
الدين — حكم الاستهزاء به وبعلمائه	٩٥٦
ديوان حافظ	٤٢٢و٤٦٨و٥٠٦و٥٨٧

ذ

الذكر والنوبة عند المتصوفة	٧٠٣

ر

الرجال والنساء — اختلاطهما	٤٨١
الرسل عليهم السلام — وظائفهم	٦١٥و٦٨٨
« الشبهات على وظائفهم	٧٣٧
الرقص الافرنجي	٩١٧
الرمز بالحروف للأسماء	٠٦٧
رمضان — قصيدة فيه	٧٨٧
رواية عربية — جحدر مع الحجاج	١٣
الروح والكرامات والكشف	٣٠٧

صحيفة

ز

الزايرجة والجفر ٥١
الزوجات — تعددهن ٤٨٢
زيارة القبور ٢٣٩و٣١٨و٣٥٣

س

السخاء والبخل ٢٠١و٢٤١
سكة حديد الحجاز ٣٥١
السلطان عبد الحميد — سخاؤه على رجاله ٦٣٤
سلمان الفارسي — إسلامه ٩٤٠
السنيون والشيعة (خلافهما) ١١٦و١٨٣
سوانح وبوارح (شعر) ٩٥١
السياسة والساسة ٧٢٨و٧٦٢و٨٣٩
السياسة الشرعية (كتاب) ٢٧٠

ش

شبهات المسيحيين (ردها) ١٧٩و٣٧٩و٤١١ و٤٤٨و٥٣٦و٥٧٤و٦١٩و ٦٤٨ و٧٤٣ و٨١٦
شجرة الدر (مجلة) ٤٠٠
الشجرة النبوية (كتاب) ٦٣١
الشعر والشعراء ٤٢٢و٤٦٨
شعر في الحضرة الالهية (للمعري) ٢١٢
» الاخلاق والعادات ٠٣٩
» بدوي في السياسة ٧٨٩
» بدوية فى الحنين الى الوطن ١٠٣
» في خلاف السنة والشيعة ١٨٤

صحيفة

شعر في السيمنغراف ٥٠٨
الشعور والوجدان. وشعائر الامم والاديان ٤٨١
» الغزل والنسيب ٢١٣و٧١٣و٧٨٨
» وصف الاسد ٠٦٤
شهيدة الامانة (قصة) ٤٧٥
شيخ الاسلام ومفتي مصر (حديثهما) ٤٠٦ و٥١٠
شيخ الازهر ٥١٧و٥١٩و٤٤٩و٦٣٦

ص

الصارم المنكي في الرد على السبكي ٥٤١
الصدر الاعظم. وفاة خليل وتولية سعيد ٧١٤
الصيام والايمان ٧٢١

ط

الطاعون في الكاب ٢٨٠
طبائع الاستبداد (كتاب) ١٠٥
الطب الحديث (مجلة) ٩١٢
الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ٠١٦
طفولية الأمة ٧١٨
الطلاق في الاسلام ١٢٧

ع

عبد المجيد الدهلوي الطيب (وفاته) ٥١٥
العشق وحرية العرب ١٤٧
» والعفة ١٥٣
عصمة الانبياء والخلاص ٨١٦

صحيفة
علماء الدين — الاستدلال بكلامهم ٢٥٦
علماء الدين — وظائفهم ٤٠١و٤٤١
العلماء والزهاد — الموضوعات فيهم ٣٥
علم الفراسة الحديث (كتاب) ٤٧٤
العلوم المحمودة والمذمومة ٢٢٢و٢٥٧
العفو عن الشيخ ابراهيم حرب ورفاقه ٣٥٠
عموم البعثة وعموم اللغة ٤٩٣
عيد الجلوس السلطانى ٤٧٥

غ

غاية البيان (كتاب) ٧٩٥
الغرانيق — دحض شبهتها ٨١
غرق — وصف حادثة ٥٨١
غلام روسي نجيب ٥٥٩

ف

فاتحة السنة الرابعة للمنار ٠٠١
فتح المنان في تقويم البلدان ٦٣٣
الفرائد الجمانية ٦٣٠
فرعون — اكتشاف تمثاله ٢٢٥
فصل الخطاب في المرأة والحجاب ٢٧٤
فضل نبينا على الانبياء ١٧٧
الفضائل والرذائل ٠٤١
الفقه الاسلامي ١٣٢و٤١٧و٤٥٣
الفقه والتصوف (رساله) ٨٣٨
» والقوانين ٢٢٤
فيصل التفرقة بين الايمان والزندقة ٩١١

صحيفة

ق

القبط — الوصية بهم ٧٧٦
القسطاس المستقيم ٣١٤و٦٧٠
القصص والاساطير — فائدتها ٣٤١
القضاء في الاسلام ٩٣٧
القمر — شعر فيه ٧٥١
قنصل عثماني بكلكته — طلبه ٧٤

ك

كتاب السودان (تاريخ) ٤٧٣
كرومر وكرزون حكمدار الهند — ورأيهما في التربية الاسلامية ٢٦٨
الكلام والتصوف — حكمهما ٢٥٧
الكوخ الهندى (كتاب) ٥٤٤
الكويت — فتنتها ٧٩٩

ل

لغة الاوردو فى دار الفنون ٧٤
» الجرائد (كتاب) ٥٩٠
اللغة العربية — وجوب تعميمها ٤٩٣
اللواء — رد عليه ٥١٠

م

الماء الطاهر والمتنجس ٣٠٤
مؤتمر التربية والتعليم بالهند ٨٧١
المؤيد . إنعام السلطان على صاحبه ٥٥٨
محك النظر (كتاب) ٧٩٦
الشيخ محمد راضي الكبير (وفاته) ٣٥١

صحيفة	
مدرسة خليل آغا	٣٩٣و٥١٣
مدرسة محمد على الصناعية	٨٠٠و٩١٥
مراكش	٧١٥و٩١٧
مراقي الترجمة (كتاب)	٦٣٢
المرأة الجديدة (كتاب)	٢٦و٣٢
المرأة في الاسلام (مجلة)	١٥٦
« المسلمة (كتاب)	٣١٥
المسلم الجغرافي والحقيقي	٧٥٨
المسلمون في افريقيا	١٩٦و٨٤٦
المصلح والمقلد (محاورات) ٥١و١٦٢	
و٢٠٥و٢٨١و٣٦١و٥٢١و٥٦٧و٨٥٢	
المظالم المشتركة (رسالة)	٢٧٣
معارج الوصول (كتاب)	٢٧٢
المعجزات والاختراعات الجديدة	٧٠٢
مفتي الديار المصرية ٤٠٦و٥٠٩و٥٤٠	
و٥٤٧و٥٤٩و٥٩٠و٨٤٠	
المفسدون بمصر (منشوراتهم)	٦٣٧
مقامات الحريري	٣٧٤
المقتطف (انتقاد عليه)	٦٧٠
مكتوب في حق مسلوب	٣٠٧
ملكة الانكليز — ترجمتها	١١٣
المنار — تقريظ واقتراح	٦٥
« المساواة في الاشتراك	٣٩٣
مهاجر أزهري	٧٢

صحيفة	
الموالد ومفاسدها	١١٩و٣٦٠و٦٧٧

ن

نبي الطب (دجال)	٧٦٠
ندوة العلماء في الهند	٢٧٩و٧٤٩
النساء والرجال (الاختلاط)	٤٨٢
« تغزلهن	٦٢٣
نساء المسلمين — محاورة بين تركية وافرنجيات	
٧٥٢و٨٣٢و٩١٣	
نساء المسلمين وتربية الدين	٨٤١
النصارى — زيادة عددهم عن المسلمين	٧٠٥
النعل المعبودة (في الكلشني)	١٢٠
نوادر الادباء (كتاب)	٩١٢
« الاعراب	٢٢٩

و

الواسطة ومذهب الوهابية	٤٦٢
« والزيارة او ابن تيمية والسبكي	٣١٨
و٣٥٣	
الوحي — أقسامه وامكانه	٢٥١
« دليله	٣٧١
ورده (قصه)	٩١٢
وسام الافتخار لعزة بك العابد	١١٦
الوطن — الحنين اليه	١٠٣
الوفد الاسلامي العثماني الى الصين	٢٣٨
ولي الجيزة او دجالها	٦٨٩

الجزء الثاني (المجلد الرابع)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الخميس ١٦ ذي القعدة سنة ١٣١٨ — ٧ مارث (اذار) سنة ١٩٠١ ﴾

الفضائل والرذائل (١)

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ المُؤْمِنِين

قالوا للانسان كمال مفروض عليه ان يسعى اليه ، وقالوا انه عرضة لنقص يجب عليه الترفع عنه ، وقالوا كماله في استيفاء ما يمكن من الفضائل، ونقصه في التلوث برذيلة من الرذائل ، فما هي الفضائل وما هي الرذائل؟؟

الفضائل سجايا للنفس من مقتضاها التأليف والتوفيق بين المتصفين بها كالسخاء والعفة والحياء ونحوها فالسخيان لا يتشاحان ولا يتنازعان في التعامل فان من سجية كل منهما البذل في الحق والمنع اذا اقتضاه الحق فكل يعرف حده فيقف عنده فلا يوجد موضوع للنزاع عند معاطاة الاعمال المالية . والاعفاء لا يتزاحمون على مشتهى من المشتهيات فان من خلق كل منهم التجافي عن الشهوة وفي طبيعته الايثار بالرغائب وهكذا اذا استقريت جميع ماعده علماء التهذيب من الصفات الفاضلة تجد ان من لوازم

(١) مقالة من العروة الوثقى والعنوان لنا

كل فضيلة منها التأليف بين المتصفين بها فى متعلق الاثر الناشئ عن تلك الفضيلة فاذا اجتمعت الفضائل او غلبت فى شخصين مالت نفوسهما الى الاتحاد والالتئام فى جميع الاعمال والمقاصد او جلها ودامت الوحدة بينهما بمقدار رسوخ الفضيلة فيهما وعلى هذا النحو يكون الامر فى الاشخاص الكثيرة . فالفضائل هى مناط الوحدة بين الهيئة الاجتماعية وعروة الاتحاد بين الآحاد تميل بكل منهما الى الآخر وتجذب الآخر الى من يشاكله حتى يكون الجمهور من الناس كواحد منهم يتحرك بارادة واحدة ويطلب فى حركته غاية واحدة .

مجموع الفضائل هو العدل فى جميع الاعمال فاذا شمل طائفة من نوع الانسان وقف بكل من آحادها عند حده فى عمله لا يتجاوزه بما يمس حقاً للآخر فبه يكون التكافؤ والتوازر . لكل شخص من افراد الانسان وجودٌ خاص به واودعت فيه العناية الآلهية من القوى ما به يحفظ وجوده وما به التناسل لبقاء النوع وهو فى هذا يساوى سائر افراد الحيوان لكن قضت حكمة الله ان يكون الانسان ممتازاً عن بقية الانواع الحيوانية بكون آخر ووجود أرقى وأعلى وهو كون الاجتماع حتى يتألف من افراده الكثيرة بنية واحدة يعمها اسم واحد والافراد فيها كاعضاء تختلف فى الوظائف والاشكال وانما كل يؤدي عمله لبقاء البنية الجامعة وتقويتها وتوفير حظها من الوجود ليعود اليه نصيب من عملها الكلي" كما اودع الله فى اعضاء أبداننا وبنيتنا الشخصية . والفضائل فى المجتمع الانسانى كقوة الحياة المستكملة فى كل عضو ما يقدره على أداء عمله مع الوقوف عند حد وظيفته كاليد بها البطش والتناول وليس بها الابصار والعين بها الابصار وتمييز

الاشكال والالوان وليس من وظائفها البطش والكل حي بحياة واحدة وان شئت قلت : الفضائل فى عالم الانسان كالجذبة العامة فى العالم الكبير فكما ان الجذبة العامة يحفظ بها نظام الكواكب والسيارات وبالتوازن فى الجاذبية ثبت كل كوكب فى مركزه وحفظت النسبة بينه وبين الكواكب الأخر وانتظم بها سيره فى مداره الخاص بتقدير العزيز العليم حتى تمت حكمة الله فى وجود الاكوان وبقائها . كذلك شأن الفضائل فى الاجتماع الانسانى بها يحفظ الله الوجود الشخصيَّ الى الاجل المحدود ويثبت البقاء النوعي الى ان يأتى أمر الله

أيّ امةّ يكون الواضع فيها والرافع ، والحارس والوازع ، والجالب والدافع ، وجميع من يدبر امورها ، ويسوسها فى شؤنها ، انما هم افراد منها من هاماتها او من لهازمها (من الاعلياء او الاوساط بل وسائر الاطراف) ويكون كل واحد منها قائماً بحق الكل ولا يختار مقصداً يعاكس مقصد الكل ولا يسعى الى غاية تميل به عن غاية الكل ولا يهمل عملاً يتعلق بالامة حتى يكون الجميع كالبنيان المتين لا تزعزعه العواصف ولا تدكه الزلازل وبقوة كل منهم يجتمع للامة قوة تحفظ بها موقعها وتدفع بها عن شرفها ومجدها وترد غارة الاغيار فهى الامة التى سادت فيها الفضائل واستعلت فيها مكارم الاخلاق .

ان امة هذا شأنها لا يتخالف افرادها الا للتآلف ولا يتغايرون الا للاتحاد فمثلهم فى اختلاف اعمالهم كمثل المتدابرين على محيط دائرة يتفارقان فى مبدإ السير ليتلاقيا على نقطة من المحيط ومثالهم فى تغاير مآخذهم لجلب منافعهم كجاذبى طرف خيطة واحدة (حبل واحد) كل آخذ بطرف مع تعادل القوتين ففى جذب احدهما لصاحبه ابعاد لنفسه عنه من وجه وحفظ

لمكان قربه منه من وجه آخر فلا يفترقان ولا يتباينان ولا تفنى منفعة احدهما فى منفعة الآخر . أما ان مسالك الافراد من هـذه الامة بما منحوه من الارتباط بينهـم تكون كانصاف دائرة مركزها حياة الامة وعظمتها ولا يخرج ولا واحد منهـم عن محيط الجنسية وانهـم فى جلب منافعها واستكمال فوائدها كالجداول تمد البحر لتستمد منه .

يرى كل واحد منهم ان ما تبتهج به النفوس البشرية وتمتاز بالميل اليه عن سائر الحيوانات من رفعة المكانة والغلب وبسط الجاه ونفاذ الكلمة انما يمكن نواله اذا توفر للامة حظها من هذه المزايا فيسعى جهده لابلاغ كل واحد من الامة أقصى مايؤهله استعداده ليأخذ بسهم مما يناله فلا يهمل ولا يخون فى الدفاع عن فرد من افرادها فضلاً عن هيئتها العامة والا فقد خان نفسه لانه ابطل آلة من آلات عمله وقطع سبباً من اسباب غايته ولا يحتقر واحداً من الآحاد ولا يزدري بعمله ويحسب الشخص من الامة وان كان صغيراً بمنزلة مسمار صغير فى آلة كبيرة لو سقط منها تعطلت الآلة بسقوطه .

عليك ان تنظر فى حقائق هـذه الصفات الفاضلة لتحكم بما ينشأ عنها من الأثر الذى بيناه — التعقل والتروّي وانطلاق الفكر من قيود الاوهام والعفة والسخاء والقناعة والدماثة (لين الجانب) والوقار والتواضع وعظم الهمة والصبر والحلم والشجاعة والايثار (تقديم الغير بالمنفعة على النفس) والنجدة والسماحة والصـدق والوفاء والامانة وسلامة الصـدر من الحقد والحسد والعفو والرفق والمروءة والحمية وحب العدالة والشفقة — أترى لو عمت هذه الصفات الجليلة امة من الامم او غلبت فى افرادها يكون بينها سوى

الاتحاد والالتئام التام ؟ هل يوجد مثار للخلاف والتنافر بين عاقلين حرين صادقين وفيين كريمين شجاعين رفيقين صابرين حليمين متواضعين وَقُورَين عفيفين رحيمين ؟ . اما والله لو نفخت نسمة من ارواح هذه الفضائل على ارض قوم وكانت مواتاً لأحيتها ، اوقفراً لأنبتتها ، أو جدباً لامطرتها من غيث الرحمة مايسبغ نعمةالله عليها ، ولاقامت لهامن الوحدة سياجاً لايخرق ، وحرزاً منيعاً لا يهتك ، وان اولى الامم بان تبلغ الكمال فى هذه السجايا الشريفة أمة قال نبيهم : انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق . الفضيلة حياة الامم تصون اجسامها عن تداخل العناصر الغريبة وتحفظها من الانحلال المؤدى الى الزوال . « وماكان ربك ليهلك القرى بظلم واهلهامصلحون » .

اما الرذائل فهى كيفيات خبيثة تعرض للانفس من طبيعتها التحليل والتفريق بين النفوس المتكيفة بها كالقحة (قلة الحياء) والبذاء (التطاول على الاعراض بما لا تقتضيه الحشمة والادب من الكلام) والسفه والبله والطيش والتهور والجبن والدناءة والجزع والحقد والحسد والكبرياء والعجب واللجاج والسخرية والغدروالخيانة والكذب والنفاق . فايّ صفة من هذه الصفات تلوث بها نفسان ألقت بينهما العداوة والبغضاء وذهبت بهما مذاهب الخلاف الى حيث لايبقى أمل فى الوفاق فان طبيعة كل منهما إما مجاوزة الحدود فى التعدى على الحقوق واما السقوط الى ما لا يمكن معه للشخص أداء الواجب لمن يشاركه فى الجنسية او الملية او القبيلة او العشيرة او باي نوع من انواع التعامل والانسان مجبول بالطبع على النفرة ممن يتعدَّى على حقوقه او يمنعه حقاً منها . وان شئت فتخيل وقحين بذيئين سفيهين جبانين بخيلين (كل منهما يمنع الآخر حقه) شرهين حاقدين

حاسدين متكبرين (كل لا يستحسن الا فعل نفسه) لجوجين خائنين غادرين كاذبين منافقين هل يمكن ان يجمعهما مقصد او توحّد بينهما غاية؟ أليس كل وصف على حدته قاضياً بانتباذ كل من صاحبه وان لم تكن داعية؟ وكفى بخلقه وصفته باعثاً قوياً للتنابذ.

هذه الرذائل اذا فشت فى امة نقضت بناءها. ونثرت اعضاءها. وبددتها شذَر مذر واستدعت بعد ذلك طبيعة الوجود الاجتماعيّ ان تسطو على هذه الامة قوة اجنبية عنها لتأخذها بالقهر، وتصرفها فى اعمال الحياة بالقسر، فان حاجاتهم فى المعيشة طالبة للاجتماع وهولا يمكن مع هذه الاوصاف ولابد من قوة خارجة تحفظ صورة الاجتماع الى حد الضرورة. هذه صفات إذا رسخت فى نفوس قوم صار بأسهم بينهم شديداً تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى. تراهم اعزة بعضهم على بعض اذلة للاجنبي عنهم يدعون اعداءهم للسيادة عليهم، ويفتخرون بالانتماء اليهم، يمهدون السبل للغالبين الى النكاية بهم، ويمكنون مخالب المغتالين من احشائهم. ويرون كل حسن من ابناء جنسهم قبيحاً، وكل جليل منهم حقيراً، اذا نطق اجنبي بما يدور على ألسنة صبيانهم عدوه من جوامع الكلم، ونفائس الحكم، واذا غاص احدهم بحر الوجود واستخرج لهم درر الحقائق وكشف لهم دقائق الاسرار عدوه من سقط المتاع وقالوا بلسان حالهم او مقالهم ليس فى الامكان ان يكون منا عارف ومن المحال ان يوجد بيننا خبير. ويغلب عليهم حب الفخفخة والفخر الكاذب ويتنافسون فى سفاسف الامور ودنياتها. يرتابون فى نصح الناصحين، وان قامت على صدقهم اقطع البراهين، يسخرون بالواعظين، وان كانوا فى طلب خيرهم من اخلص

المخلصين ، يبذلون جهدهم لخيبة من يسعى لاعلاء شأنهم ، وجمع كلمتهم ، ويقعدون له بكل سبيل يقيمون فى طريقه العقبات ، ويهيئون له اسباب العثار ، تراهم بتضارب اخلاقهم ، وتعاكس اطوارهم ، كالبدن المصاب بالفالج لا تنتظم لاعضائه حركة ولا يمكن تحريك عضو منه على وجه مخصوص لمقصد معلوم فتنفلت اعمالهم عن حد الضبط ، وتخرج عن قواعد الربط ، فساد طباعهم بهذه الاخلاق يجعلهم منبعاً للشر ، ومبعثاً للضر ، يصير الواحد منهم كالكلب الكَلِب اول ما يبدأ بعضّ صاحبه قبل الاجنبى بل كالمبتلى بجنون مطبق اول ما يفتك بمربيه ومهذبه ، ثم يثنى بطبيبه ومعالج دائه ، تكون الآحاد منهم كالامراض الاكالة من نحو الجذام والآكلة يمزقون الامة قطعاً وجذاذات بعد ما يشوهون وجهها ، ويشوشون هيئتها ، أولئك قوم يسامون فى مراعى الدنايا والخسايس لتغلب النذالة على سائر اوصافهم فيتنفَّجون على ابناء جلدتهم ويذلون لقزم الاجانب فضلاً عن عليتهم وبهذا يمكنون الذلّة فى نفوسهم لمن دونهم ويطبعونها على الخضوع للغرباء بل الاعداء الالدّاء من طبقة الى طبقة حتى تضمحل الامة وتنسخ هيئتها وتفنى فى أمة او ملة اخرى سنة الله فى تبدل الدول وفناء الامم « وكذلك أخذُ ربك إذا أخَذَ القرَى وهى ظالمةٌ ان أخْذَه أليمٌ شديد » (اعاذنا الله من هذه العاقبة وحرس امتنا وملتنا من الصير الى هذه النهاية) .

بقيت لنا لمحة نظر الى ما به تقتنى الفضائل ، وتمحَّص النفوس من الرذائل ، حتى تستعدّ الجمعيات البشرية الى الاتحاد ، وتصون به اكوانها من الفساد ، : كل مولود يولد على الفطرة ، مادّةٌ مستعدة لقبول كل شكل ،

والتلون بأي لون ، فهل ينال كمال الفضيلة من آبائه واسلافه ؛ أنّى يكون لهم حظ منها وقد كانوا ناشئين على مثل مانشأ عليه وَلِيدهم . يرشدنا رائد الحق الى ان الاعتدال فى أصول الاخلاق والتحلي بحلية الفضائل وترويض القوى والآلات البدنية على العمل بآثارها إنما يكون بالدين ولن يتم أثر الدين فى نفوس الآخذين به فيصيبوا حظاً وافراً مما يرشد اليه فيتمتعوا بحياة طيبة وعيشة مرضية الا اذا قام رؤساء الدين وحملته وحفظته بأداء وظائفهم من تبيين أوامره ونواهيه وتثبيتها فى العقول ودعوة الناس الى العمل بها ، وتنبيه الغافلين عن رعايتها ، وتذكير الساهين عن هديها . أما اذا اهمل خدمة الدين وظائفهم أو تهاونوا فى تأدية أعمالها ضعف اليقين فى النفوس وذهلت العقول عن مقتضيات العقائد الدينية واظلمت البصائر بالغفلة وتحكمت الشهوات البهيمية وتسلطت الحاجات المعاشية ومال ميزان الاختيار مع الهوى فخشرت الى الانفس أو فاد الرذائل فيحق على الناس كلمة العذاب ويحل بهم من الشقاء ما أشرنا اليه سابقاً .

هذه علل الخراب فى كل امة ولقد ظهر اثرها فى امم لا تحصى عدداً من بداية كون الانسان الى الآن ولم يزل آثار بعضها يشهد على ما فتكت به الرذائل بعد ما بدّلوا وغيّروا كما فى طائفة (الدهيرومنك) من سكنة الاقطار الهندية المعروفين عند الاوربيين بطائفة (ياريا) « قُلْ سِيرُوا فِى الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ » فالدين هو السائق الى السعادة فى الدنيا كما يسوق اليها فى الآخرة .

تقلب قلب الدهر على بعض طوائف من المسلمين فى اقطار مختلفة من الارض وسلبهم تيجان عزّهم وألقاها على هامات قوم آخرين واليوم ينازع

طوائف اخرى ولا نخاله يتغلب عليهم فكشف هذا عن نوع من الضعف ولا يكون ناشئاً الا عن شيء من الاهمال فى اتباع اوامر الشرع الاسلامي ونواهيه بحكم قول الله فى كتابه « انَّ اللهَ لاَ يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسِهم » وقد يكون ذلك وربما لا ينكر الآن ان كثيراً من عامة المسلمين وان صحت عقائدهم من حيث ما تعلق به الاعتقاد الا انهم لا ينهجون فى بعض اعمالهم منهاج الشريعة الغراء وهذا مما يحدث ضعفاً في الامة بقدر الميل عن جادة الاعتدال فى الفضائل والاعمال « وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم » .

الا ان المسلمين لم يزالوا على اصول الفضائل الموروثة عن اسلافهم ولهم حسن الاذعان لما جاء به شرعهم وكتاب الله متلوٌّ على السنتهم وسنة نبيهم يتناقلونها رواية ودراية وسير الخلفاء الراشدين والسلف الصالح مرسومة على صفحات نفوس الخاصة منهم فليس ما طرأ على بعضهم من الغفلة عن متابعة الشرع وما تسبب عنه من الضعف فى القوة الا عرضا لا يبقى وحالاً لا يدوم .

انظر نظرة انصاف الى ما اودعته آيات القرآن من غرر الفضائل وكرائم الشيم والى حرص المسلمين على احترام كتابهم وتبجيله تجد من نفسك حكماً باتاً بأن علماء الديانة الاسلامية لو نشطوا لأداء وظائفهم المفروضة عليهم بحكم وراثتهم لصاحب الشرع والمحتومة على ذمتهم بأمر الله الموجه الى الذين يعقلونه وهم هم فى قوله الحق « ولتكن منكم أمة يدعُون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون » وبالحض الالهي المفهوم من قوله « فلولا نفر من كل فرقة

منهم (المؤمنين) طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون » ولو قاموا يعظون العامة بما ينطق به القرآن ويذكرونهم بما كان عليه صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وخلفاؤه الناهجون على سنته من الاخلاق المحمودة والاعمال المبرورة لرأيت الامة الاسلامية ناشطة من عقالها متضافرة على اعادة مجدها وصيانة ولايتها العامة من الضعف وبيضة دينها من الصدع كل ذلك فى اقرب وقت ولن تكون الا صيحة واحدة فاذاهم قيام ينظرون .

ولا ريب ان الراسخين فى العلم من اهل الدين الاسلامى يعلمون أن ما أصيب به المسلمون فى هذه الازمان الاخيرة انما هو مما امتحنهم الله به جزآء على بعض مافرطوا وليس للناس على الله حجة فالرجآء فى هممهم وغيرتهم الدينية وحميتهم الملية ان يوجهوا العناية الى رتق الفتق قبل اتساعه ومداواة العلة قبل استحكامها فيذكروا أبناء الملة باحكام الله ويحكموا بينهم روابط الاخوة والالفة كما أمر الله فى كتابه وعلى لسان نبيه ويبذلوا الجهد لمحو اليأس والقنوط الذي ملك أفئدة البعض منهم ويقنعوهم بأنه لا ييأس من لطف الا الذين فى قلوبهم مرض وفى عقائدهم زيغ ويسيروا بهم فى سبيل يجمع كلمتهم ويوحد وجهتهم ويقوى فيهم اباءة الضيم والنفرة من الذل ويحرك فيهم روح الانفة حتى لا تسمح نفس أحدهم ان يأتي الدنيَّة فى دينه ويكشفوا لهم حقيقة وعد الله ووعده الحق فى قوله : « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين »

المحاورات بين المصلح والمقلد

اصل الجفر ومعناه . اضافته الى الشيعة . انكار نسبته لجعفر الصادق . الرواية والمروى . الباطنية وعصمة آل البيت وعبادتهم . ادعاء الحاكم الالوهية . المتكلمون وردهم على المعتزلة دون الباطنية ونحوهم . سبب الجدل بين الفقهاء . المنار والعلماء والاولياء . اسناد الجفر الى سيدنا على ورده . معنى الجفر وموضوعه . ملحمة ابن عربى . التصوير والصور . صدق الجفر والملاحم وكذبها . الجفر والامراء والملوك . الزايرجه والرمل والمندل والبروج .

المحاورة الخامسة — الجفر والزايرجه

لما عاد الشيخ المقلد والشاب المصلح الى المحاورة ، والمضي فى المباحثة والمناظرة ، بدأ الاول باعادة الشكر والثناء على الثانى لاهدائه مقدمة ابن خلدون واظهار الاغتباط بها وقال

(المقلد) : انى نظرت فى فهرس المقدمة قبل المطالعة فرأيت ذكر الجفر والزايرجة فكان هـذان البحثان اول شىء قرأته فى هذا الكتاب ليكون لى منهما مادة من جنس مادتك اناظرك بها . فأما الجفر فألفيت مؤلفها يميل الى انكاره ويذكر ان هارون بن سعيد العجلي رأس الزيدية (فرقة من الشـيعة) هو الذى يروي كتاب الجفر عن جعـفر الصادق (رضى الله عنه) وانه كان مبيناً لما سيقع لاهل البيت على العموم ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص بحسب ما اعطاهم الكشف الذى يقع لمثلهم من الاولياء . قال : وكان مكتوباً عند جعفر فى جلد ثور صغير فرواه عنه هارون العجلي وكتبه وسماه الجفر باسم الجلد الذى كتب فيه لان الجفر

فى اللغة هو الصغير وصار هذا الاسم علماً على هذا الكتاب عندهم وكان فيه تفسير القرآن وما فى باطنه من غرائب المعانى مروية عن جعفر الصادق . وبعد هذا انكر ابن خلدون صحة الرواية فى ذلك مع انه اثبت الكرامة لجعفر وآله عليهم الرضوان ولا اخال الا انك تبعت هذا الرجل فى انكار الجفر وان كان عدم صحة الرواية لا يقتضى عدم صحة المرويّ فى الواقع ونفس الامر . واما كلامه فى الزايرجة فلا اخفي عنك انى لم افهمه

(المصلح) : انى اود لو تطلع على كل ما اطلعت انا عليه مما نتكلم فيه لما فى ذلك من الاقتصاد فى زمن المناظرة ومن سهولة الاقناع والاقتناع ولا يختلجن فى نفسك انى اقلد ابن خلدون او غيره فى شيء مما اقول وانما اطلع على ما نقله هو وغيره واعتقد ما يترجح عندى بعد النظر الطويل . واما قولك : ان عدم صحة الرواية لا يقتضى عدم صحة المرويّ فلعلك تريد به ان عدم العلم بصحتها لا يقتضى ان المرويَّ غير واقع لجواز وقوعه مع عدم تصدى الثقات لنقله وروايته ولكن لا يسعك ان تنكر ان ما لا يعلم الا من طريق النقل لا يمكن الحكم بثبوته الا بالرواية الصحيحة فاذا لم توجد لا يسمح لنا الدين ولا العقل ان نقول بثبوته واذا انكرناه بناء على ان الاصل عدمه لا نُعذل ولا نلام . فكيف اذا وجد من التُّهم ما يقتضى الانكار وهو ما يقصه علينا التاريخ من سيرة فرق الشيعة المنتحلين لهذه البدع لا سيما فى عهد العبيديين الذين روجوا مذهب الباطنية الذى زلزل دين الاسلام زلزالاً وخرج بمسلمى الشيعة من الاعتقاد بعصمة آل البيت والحاقهم فى ذلك بالانبياء الى عبادتهم والقول بالوهيتهم فاذا كان شاعر المعز يقول فى مظلته

أمديرها من حيث دار لَشَدَّ ما زاحمت تحت ركابه جبريلا

ويقول

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

فان الحاكم لا يزال يعبد الى اليوم وكل ما قرأته عليك فى وصف الله تعالى من رسالة دين الدروز فى محاورتنا الماضية فانهم يريدون به الحاكم العبيدى وكذلك النصيرية يعبدونه وهم اشد الناس عناية بتعرف علم الغيب من الجفر والنجوم

(المقلد) : انى لأعجب لعلمائنا من المتكلمين والفقهاء كيف يسكتون عن هؤلاء الضالين المضلين ولا يزال يرد الاولون على المعتزلة وقد انقرضوا وانقرض مذهبهم ويرد الفقهاء بعضهم على بعض وكلهم من اهل السنة والجماعة .

(المصلح) : ان اكثر ماتراه من الجدل والرد والانكار من العلماء بعضهم على بعض ناشىء عن الاهواء فان المعتزلة هم السبب فى وجود علم الكلام — خاضوا فى امور لم يخض فيها السلف الصالح فانبرى آخرون لمناضلتهم وبعد ذلك تداعت دعائم العلم والنظر ولم يبق للمقلد من المتأخرين الا حكاية الفاظ المتقدمين وان ذهبت فائدتها بذهاب وقتها والاكتفاء بالسكوت عن البدع والضلالات التى حدثت بعد اولئك الائمة كالاشعري واصحابه وتكفير من يسأل عنها او تضليله الا ان تنشر وتلوّن بلون الدين ويوجد لها اتباع وانصار كبدع اهل الطريق فحينئذ يناضلون عنها بالتحريف والتأويل ، ويعكسون الحكم فيرمون منكرها بالكفر او التضليل ، كما هو مشاهد فى كل جيل وقبيل ، وأما الفقهاء فقد بين حجة الاسلام الغزالى في كتاب العلم من احياء علوم الدين ان السبب فى مجادلاتهم ومناضلاتهم

هو التزلف الى الامراء والخلفاء ، والتزاحم على منصب القضاء ، ولذلك تجد الوطيس لم يحم الا بين الحنفية والشافعية لأن المناصب كانت محصورة فيهم . على ان الحكم عليهم بالسكوت لايصح على عمومه فلا بد فى كل عصر من فرد او افراد ينصرون الحق ويخذلون الباطل ولكن غلبة الجهل على الأمة تسوّل لها الباطل وتزينه فى نفوسها فتعمى عن الحق ولا تبصره وقد نشر فى الجزء الثالث من منار السنة الثالثة نبذة فى حكم الشعوذة والروحانيات والعزائم والطلاسم نقل فيها عن الفقيه ابن حجر الهيتمى ان الاشتغال بالروحانيات هو الذى اضل الحاكم العبيدي حتى ادّعى الالوهية وفعل افاعيل من لايؤمن بالآخرة . فأحب ان تقرأ تلك النبذة

(المقلد) : ان المنار جريدة ضارّة تهين العلماء وتنكر الاولياء فلا احب ان أراها بل احمد الله انى لم اطلع عليها قط

(المصلح) : سبحان الله : كيف يصح لك وانت من اهل علم الدين ان تحكم على مالم تر والله يأمرك ان تتبيّن وتتثبت فيما يجيئك من الانباء عن الفساق الذين يغتابون الناس ويسعون بينهم بالنميمة . لا توجد عندنا جريدة تعلي من قدر العلماء كالمنار لانها تجعل فى ايديهم زمام الامة وتنيط بهم أمر اصلاحها وارجاعها الى مجدها الاول باصلاح التربية والتعليم ولا يذمه منهم الا من يشعر من نفسه بالقصور عن القيام بشيء من هذا الاصلاح واما الاولياء فالمنار لاينكرهم وانما ينهى عن اطرائهم والغلو فيهم بأن يدعون مع الله تعالى ويطلب منهم مالا يطلب الا منه سبحانه ولولا خشية الخروج عن موضوعنا لقرأت لك بعض كلامه فى ذلك

(المقلد) : كنت اسمع أن الجفر مأخوذ عن سيدنا على كرم الله وجهه

وينسبون للشيخ الاكبر محي الدين ابن عربى قدس سره جفراً يسمونه الشجرة النعمانية ويقولون انه يحتوى على جميع الحوادث العظيمة الى يوم القيامة .

(المصلح): نعم ان من الناس من يزعم ما ذكرت كالجرجاني. وقال ابن طلحة الجفر والجامعة كتابان جليلان احدهما ذكره الامام علي وهو يخطب على المنبر فى الكوفة والآخر أسرَّ به اليه النبى صلى الله عليه وسلم وأمره بتدوينه فكتبه عليٌ حروفاً متفرقة على طريقة سفر آدم فى جفر فاشتهر بين الناس لانه وجدفيه ما جرى للأولين والآخرين . اقول وكانوا يزعمون ان الجفر إخبار عن المغيبات صريحة او رموزاً ولما ارادوا ان يجعلوه علماً أدخلوه فى علم الحرف والعدد الذى هو بعد الروحانيات فى المرتبة واختلفوا فى وضعه وتكسيره فمنهم من كسره بالتكسير الصغير وزعموا انه جعفر الصادق ومنهم من يضعه بالتكسير المتوسط وهو الذى توضع به الاوفاق الحرفية ومنهم من يضعه بطريق التركيب الحرفى او العددي . ومن الناس من خلط بين الجفر والتنجيم وسمى كل ما كتب فى الملاحم والحدثان جفراً وان كان مبنياً على القرانات . ومنهم من يعتقد ان الجفر لا يكون الا عن كشف وان الرموز الحرفية والعددية وغيرها لم يضعها الشيخ محي الدين بن عربى فى جفره الا لاجل الابهام لكيلا يطلع الناس على الغيب فتفسد شؤنهم وقد اطلعت انا على الشجرة النعمانية فاذا هي رموز لا يفهم منها شيء .

وبالجملة لم يثبت ان لهذا الجفر اصلاً علمياً يرجع اليه فى معرفة الغيب والا لارتق وتسنى تحصيله لكل احد . ولم يعط الله تعالى علم الغيب لاحد الا ما أخبر به بعض الأنبياء عليهم السلام من احوال الآخرة والملائكة والجن

مما ثبت فى الوحي فنصدق بالقطعى منه إيماناً وتسليماً . نعم لا ننكر ان فى الناس محدَّثين وملهمين يخبرون بشيء ان سيقع فيقع كما قالوا لكن هذا نادر ومخصوص بالجزئيات . قال تعالى « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احداً الا من ارتضى من رسول »

(المقلد) : رأيت فى مقدمة ابن خلدون انه وقف على ملحمة منسوبة لابن العربى الحاتمي الذى هو الشيخ الاكبر فيها اوفاق عددية ورموز ملغوزة واشكال حيوانات تامة ورؤس مقطعة وتماثيل من حيوانات غريبة . وقد انكرها ابن خلدون وقال الغالب انها غير صحيحة لانها لم تنشأ عن اصل عليّ من نجامة ولا غيرها . وكان الاولى ان ينكر نسبها للشيخ الاكبر لوجود الصور والتماثيل فيها لان التصوير حرام يجل عنه ولىّ من اكابر الاولياء .

(المصلح) : ربما يعتقد ابن عربى وابن خلدون ان الصور المحرَّمة هى ما لها علاقة بالدين كصور الانبياء والاولياء لانها ربما تعظم تعظيماً دينياً فتكون أوثاناً تعبد عبادة لم يأذن بها الله تعالى فالنهي عن التصوير كالنهي عن بناء القبور وتشريفها واتخاذ المساجد عليها لا سيما قبور الانبياء والصالحين فقد لعن النبي صلى الله عليه وسلم من فعل ذلك بها واما الصور التى لا علاقة لها بالدين ولا هى مظنة التعظيم فلا تدخل فى علة النهى . اما قرأت فى صحيح البخاريّ وغيره حديث القرام (الستار) المصور الذى كان عند عائشة رضى الله عنها وكيف امر النبي صلى الله عليه وسلم بهتكه لانه كان منصوباً كالصور التى كانت تعبد فى الكعبة وطمسها ثم لما زالت صفة التعظيم باتخاذ القرام وسادة كان عليه السلام يتكئ عليها مع بقاء الصور فيها

(المقلد) : هـذا تعليل مخالف لكلام الفقهاء وأُجِلّ الشيخ الأكبر عن القول به

(المصلح) : أما علمت ان الشيخ الأكبر غير مقلد للفقهاء ولا لغيرهم وانه صرح فى فاتحة الفتوحات بانه لا يتقيد بمذهب سني ولا معتزلي ولا غير ذلك وصرح بان ليس كل ما يقوله المعتزلىّ باطلاً الخ وعلم ان بعض الناس ينسبه الى مذهب ابن حزم الظاهري فانكر ذلك وانشد

ويعزونى الى قول ابن حزم ولست اقول ما قال ابن حزم

(المقلد) : لقد صح من اخبار الجفر شيء كثير وذلك كقول الشيخ الأكبر فى الشجرة النعمانية على ما يقولون : « اذا دخل س فى ش . ظهر قبر محيي الدين . » وقد كان كذلك فان السلطان سليماً هو الذى اظهر قبر الشيخ عند ما دخل الشام وبناه واجرى عليه الاوقاف

(المصلح) : يوجد فى هذه الجفور الرمزية وغير الرمزية اخبار تقع وقد رأيت فى جفر منسوب للامام على كرم الله وجهه «ويل للاسكندرية ، من الاساطيل البحرية ، » وفى موضع آخر « ويل للقاهرة ، من العاهرة » وذلك ان من يخبر بأشياء كثيرة من شأنها ان تقع لا بد ان يصدق بعضها ولو كان الجفر حقاً لوقع كل ما اخبر به . واما الرموز فمجال التضليل فيها واسع وميدانه فسيح لان هذه الحروف تصدق على اشياء كثيرة وتنطبق عليها من غير ان تكون موضوعة لها . ولم يوضع ذلك الا لخداع الامراء والملوك لابتزاز اموالهم وابتغاء الزلفى عندهم وما أراك الا قد قرأت قصة الدانيالى فى مقدمة ابن خلدون (١) وما ذكره عن ملحمة الباجربقى الصوفى (٢) .

(١) قال ابن خلدون : حكى المؤرخون لاخبار بغداد انه كان بها ايام المقتدر

وقد ذكرت لك من قبل ان كلمة تصدق تخدع الجهلاء فيظنون ان الكلام كله صحيح

(المقلد) : نعم قرأت ذلك وانى اخبرك بخبر من هذا القبيل جرى لصاحبي الشيخ المصرى العالم بالزايرجه والحرف ولكنه من الاسرار التى لا اسمح لك ان تذكرها عنى . ذلك ان الامير . . . تنازع هو وحرمه فى امر ذي بال لا ينبغى التصريح به وانما يقال فى الجملة انه ارتكب ما يوجب حداً شديداً فعاقبته عليه بجناية ساءته وان كانت خيراً له وانكرت عليه ان العقوبة من قبلها فاستحضر الشيخ ليكشف له الحقيقة بالزايرجة فلما وقف على القصة بالاجمال والتمويه منهم علم ان المصلحة والمنفعة فى تبرئة الحرم المصون مما يتهمها به الامير فزعم بعد اعماله وحسابه ان الامر جاء من طبيعته لا من قبلها وانصرف بمال كثير

(الخليفة) وراق ذكى يعرف بالدانيالي يبل الاوراق ويكتب فيها بخط عتيق يرمز فيه بحروف من اسماء اهل الدولة ويشير بها الى ما يعرف ميلهم اليه من احوال الرفعة والجاه كانها ملاحم ويحصل على ما يريده منهم من الدنيا وانه وضع فى بعض دفاتره (م) مكررة ثلاث مرات وجاء به الى مفلح مولى المقتدر فقال له هذا كناية عنك وهو مفلح مولى المقتدر وذكر عنه ما يرضاه وينا له من الدولة ونصب لذلك علامات يموه بها عليه فبذل له ما اغناه به ثم وضعه للوزير ابن القاسم بن وهب على مفلح هذا وكان معزولاً فجاءه باوراق مثلها وذكر اسم الوزير بمثل هذه الحروف وبعلامات ذكرها وانه يلى الوزارة للثانى عشر من الخلفاء وتستقيم الامور على يديه ويقهر الاعداء وتعمر الدنيا فى ايامه واوقف مفلحاً على هذه الاوراق وذكر فيها كوائن أخرى وملاحم من هذا النوع مما وقع ومما لم يقع ونسب جميعه الى دانيال فأعجب به مفلح ووقف عليه المقتدر واهتدى من تلك الامور والعلامات الى ابن وهب وكان

(المصلح) : انظر الى امراء المشرق وملوكه الذين تروج عندهم هذه الخزعبلات كيف يزدادون تعاسة وشقاء عاماً بعد عام فمستقبلهم دائماً شر من ماضيهم وانظر الى ملوك اوروبا الذين يستعدون للمستقبل بما تعطيهم العلوم الصحيحة وسنن الكون كيف يزدادون قوة وعزة وارتقاء

(المقلد) : هل الرمل من قبيل الزايرجه والجفر فانى اراك درست هذه الاشياء .

(المصلح) : الزايرجه ضرب من اعمال الحساب وتكسير الحروف يقصد به معرفة الغيب وعدّه ابن خلدون من فروع السيمياء . والرمل من

ذلك سبباً لوزارته بمثل هذه الحيلة العريقة في الكذب والجهل بمثل هذه الالغاز اه

٢ وقال قبل ذلك : ووقفت بالمشرق ايضاً على ملحمة من حدثان دولة الترك منسوبة الى رجل من الصوفية يسمى الباجريقى وكلها الغاز بالحروف وذكر منها ابيات منها بعد ذكر رجل يسمى الاعرج الكلبي يأتي من المشرق :

اذا اتى زلزلت ياويح مصر من الـ زلزال ما زال حاء غير مقتطن
طاء وظاء وعين كلهم حبسوا هلكاً وينفق اموالاً بلا ثمن

ثم ساق حكاية الدانيالى وقال :

والظاهر ان هذه الملحمة التى ينسبونها الى الباجريقى من هذا النوع . ولقد سألت عنها اكمل الدين بن شيخ الحنفية من العجم بالديار المصرية عن هذه الملحمة وعن هذا الرجل الذى تنسب اليه من الصوفية وهو الباجريقى وكان عارفاً بطرائقهم فقال : «كان من القلندرية المبتدعة في حلق اللحية وكان يحدث عما يكون بطريق الكشف يومىء الى رجال معينين عنده ويلغز عليهم بحروف يعينها فى ضمنها لمن يراه منهم وربما يظهر نظم ذلك فى ابيات قليلة كان يتعاهدها فتوقلت عنه وولع الناس بها وجعلوها ملحمة مرموزة وهو امر ممتنع اذ الرمز انما يهدي الى كشفه قانون يعرف قبله ويوضع له واما مثل هذه الحروف فدلالتها على المراد منها مخصوصة بهذا النظم لا يتجاوزه» . فرأيت من كلام هذا الرجل الفاضل شفاء لما كان فى النفس من امر هذه الملحمة وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله . والله سبحانه وتعالى اعلم

قبيل الزايرجه قال ابن خلدون : استنبطه قوم من عامة المنجمين وسموه خط الرمل نسبة الى المادة التى يضعون فيها عملهم . وفصل القول فى محصول صناعتهم الباطلة ولعلك قرأته فهو صناعة والغيب لا يمكن ان يعرف بصناعة ومن آية بطلان هذا العمل انه لا يروج الا فى سوق الجهالة كما قال ابن خلدون فى اهله وهو : « ولقد نجد فى المدن صنفاً من الناس ينتحلون المعاش من ذلك لعلمهم بحرص الناس عليه فينتصبون لهم فى الطرقات والدكاكين يتعرضون لمن يسألهم عنه فتغدو عليهم وتروح نسوان المدينة وصبيانها وكثير من ضعفاء العقول يستكشفون عواقب امرهم فى الكسب والجاه والمعاش والمعاشرة والعداوة وامثال ذلك ما بين خط فى الرمل ويسمونه المنجم وطرق بالحصى والحبوب ويسمونه الحاسب ونظر فى المرايا والمياه ويسمونه ضارب المندَل وهو من المنكرات الفاشية فى الامصار لما تقرر فى الشريعة من ذم ذلك وان البشر محجوبون عن الغيب » الخ ما قرأت وانت ترى انهم زادوا فى هذا الزمان اموراً اخرى كالنظر فى ورق اللعب والنظر فى الكف . ومن ذلك كتاب البروج لابى معشر وغيره يحسبون اسم الرجل واسم امه بالجمَّل ويسقطون من المجموع اثنى عشر مرة بعد اخرى حتى لا يبقى الا اثنى عشر او دونها فينظرون فى الباب الذي يوافق العدد الباقى ويتعرفون منه تاريخ ذلك الرجل فى جميع شؤنه . وحسبك فى فساد هذا ان المتفقين فى اسم الاب والأُم تكون شؤنهم متحدة واننا لنشاهد فيهم السعيد والشقى والغنى والفقير والمالك والمملوك فحسبنا يامولاى بحثاً فى هذا الهذيان ولنتكلم فى الجد الذى هو اصل موضوعنا . فقبل الشيخ منه ذلك وانصرفا على موعد .

آثار علمية ادبية

القسم الادبي

(خطبة أساس البلاغة)

« خير منطوق به أمام كل كلام ، وافضل مصدَّر به كل كتاب ، حمد الله تعالى ومدحه بما تمدّح به نفسه فى كتابه الكريم ، وقرآنه المجيد ، من صفاته المجراة على اسمه لا على جهة الايضاح والتفصلة ، ولا على سبيل الاءبانة والتفرقة ، اذ ليس بالمشارك ، فى اسمه المبارك ، « رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً » وإنما هى تماجيد لذاته المكونة لجميع الذوات ، لاستعانة ثم بالاسباب ولاستظهار بالادوات ، . وأولى ما قُفّى به حمد الله الصلاة على النبى العربى المستل من سلالة عدنان ، المفضل باللسان ، الذى استخزنه الله الفصاحة والبيان ، وعلى عترته وصحابته مَدَارِهِ العربِ وفحولها ، وغرر بنى معد وحجولها ،

هذا — ولما أنزل الله كتابه مختصاً من بين الكتب السماوية بصفة البلاغة التى تقطعت عليها أعناق العتاق السبق ، ووَنَت عنها خُطا الجياد القرّح ، كان الموفق من العلماء الاعلام ، انصار ملة الاسلام ، الذابّين عن بيضة الحنيفية البيضاء ، المبرهنين على ما كان من العرب العرباء ، حين تُحدوا به من الاعراض عن المعارضة باسلات السنتهم ، والفزع الى المقارعة بأسنة أسلهم ، من كانت مطامح نظره ، ومطارح فكره ، الجهات التي توصل الى تبين مراسم البلغاء ، والعثور على مناظم الفصحاء ، والمخايرة

بين متداولات الفاظهم ، ومتعاورات اقوالهم ، والمعايرة بين ما انتقوا منها وانتخلوا ، وما انتفوا عنه فلم يتقبلوا ، وما استركوا واستنزلوا ، وما استفصحوا واستجزلوا ، والنظر فيما كان الناظر فيه على وجوه الاعجاز أوقف ، وبأسراره ولطائفه اعرف ، حتى يكون صدر يقينه اثلج ، وسهم احتجاجه افلج ، وحتى يقال هو من علم البيان حظى ، وفهمه فيه جاحظى

والى هذا الصوب ذهب عبد الله الفقير اليه محمود بن عمر الزمخشري عفا الله عنه فى تصنيف كتاب (اساس البلاغه) وهو كتاب لم تزل نعام القلوب اليه زفافة ، ورياح الآمال حوله هفافة ، وعيون الافاضل نحوه روامق ، وألسنتهم بتمنيه نواطق ، فلبَّث له العربية وما فصح من لغاتها ، وملح من بلاغاتها ، وما سمع من الاعراب فى بواديها ، ومن خطباء الحلل فى نواديها ، ومن قراضبة نجد فى اكلائها ومراتعها ، ومن سماسرة تهامة فى اسواقها ومجامعها ، وما تراجزت به السقاة على أفواه قُلُبها ، وتساجعت به الرّعاة على شفاه علبَها ، وما تقارضته شعراء قيس وتميم فى ساعات المماتنة ، وتزاملت به سفراء ثقيف وهذيل فى ايام المفاتنة ، وما طولع فى بطون الكتب ومتون الدفاتر من روائع الفاظ مفتنَّة ، وجوامع كلم فى احشائها مجتنَّة ،

ومن خصائص هذا الكتاب تخير ما وقع فى عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، او ما جاز وقوعه فيها ، وانطواؤه تحتها من التراكيب التى تملح وتحسن ، ولا تنقبض عنها الألسن ، لجريها رسلات على الأسلات ، ومرورها عذبات على العذبات ، ومنها التوقيف ، على مناهج التركيب والتأليف ، وتعريف مدارج التركيب والترصيف ، بسوق الكلمات

متناسقة لا مرسلة بددا ، ومتناظمة لاطرائق قِدَداً ، مع الاستكثار من نوابغ الكلم الهادية الى مراشد حر المنطق ، الدالة على ضالة المنطيق المفلق ، ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب الفصيح ، بافراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح ،

فمن حصل هذه الخصائص وكان له حظ من الاعراب الذى هو ميزان اوضاع العربية ومقياسها ، ومعيار حكمة الواضع وقسطاسها ، واصاب ذروا من علم المعانى ، وحظى برَسٍّ من علم البيان ، وكانت له قبل ذلك كله قريحة صحيحة ، وسليقة سليمة ، فحُل نثره ، وجزل شعره ، ولم يطل عليه ان يناهز المقدمين ، ويخاطر المقرمين ، وقد رتب الكتاب على اشهر ترتيب متداولاً ، واسهله متناوَلاً ، يهجم فيه الطالب على طلبته موضوعة على طرف الثُّمام وحبل الذراع ، من غير ان يحتاج فى التنقير عنها الى الايجاف والايضاع ، والى النظر فيما لا يوصل الا باعمال الفكر اليه ، وفيما دقق النظر فيه الخليل وسيبويه ، والله سبحانه وتعالى الموفق لافادة افاضل المسلمين ، ولما يتصل برضى رب العالمين ،

(المنار) نشرنا هذه الخطبة لتكون هادية لطلاب البلاغة الى منهاجها ومرشدة مريدي الفصاحة الى ينابيعها وأثباجها ، ولم نفسر الفاظها الغريبة ، ونشرح مغازيها العجيبة ، لنبعث همة التلامذة الى المراجعة والمكاشفة ، ونحملهم على المباحثة والمشارفة ، وننصح لهم أن يحفظوها ، ثم يقلدوها ويحتذوها ، فهكذا فليكتب الكاتبون ، وهكذا فليسمع الساجعون ، والا فلا

قصيدة جحدر فى الأسد

ذكرنا في الجزء الماضى ان جحدراً لما قتل الاسد انشد قصيدة . وهذه هي :

ياجُمل انك لو رأيت بسالتى	فى يوم هيج مردف وعجاج [١]
وتقدمى لليث أرسف نحوه	عنى أكابره عن الاخراج [٢]
جهم كأن جبينه لما بدا	طبق الرحا متفجر الاثباج [٣]
يرنو بناظرتين يحسب فيهما	من ظن خالهما شعاع سراج
شَثِن براثنه كأن نيوبه	زرق المعاول او شِباة زِجاج [٤]
وكأنما خيطت عليه عباءة	برقاء او خَلَقٌ من الديباج [٥]
قرنان محتضَران قد ربَّتهما	ام المنية غير ذات نتاج [٦]
وعلمت انى إن ابيت نزالة	انى من الحجاج لست بناج
فمشيت ارفل فى الحديد مكبلاً	بالموت نفسي عند ذاك اناجي
والناس منهم شامت وعصابة	عبراتهم لى بالحلوق شواجى
ففلقت هامته نخرّ كأنه	أطم تقوض مائل الابراج [٧]

(١) المردف من اردف الأمر القوم اذا دهمهم (٢) الرسف والرسفان مشى المقيد (٣) الجهم بالفتح الوجه الغليظ المجتمع فى سماجة ويقال جهم ككتف وجهيم كامير وصاحبه اجهم ويوصف به الاسد . والثبج مجرى الماء ووسط الشيء ومعظمه واعلاه ومن الحيوان ما بين الكاهل الى الظهر ويختلف الاستعمال . يقال ركب ثبج البحر اى معظمه والجمع اثباج وثبوج (٤) الشثن الغليظ . والمعاول جمع معول كمنبر الفاس العظيمة ينقر بها الصخر ووصفها بالزرقة كما يصفون النصل اذا كان صافياً والشباة الحد والزجاج بالكسر جمع زج وهو بالضم الحديدة في أسفل الرمح (٥) البرقاء اللامعة او التى اجتمع فيها بياض وسواد او صفرة . والخلق العتيق (٦) يعنى بالقرنين نفسه والاسد (٧) الاطم بضمتين الحصن والابراج هنا الاركان

ثم انثنيت وفى قميصى شاهد — مما جرى من شاخب الاوداج
ايقنتِ انى ذو حفاظ ماجد — من نسل أملاك ذوى اتواج (١)
فلئن قذفت الى المنية عامداً — انى لخيرك بعد ذاك لراج
علم النساء بانى لا انثنى — اذ لا يثقن بغيرة الازواج

تقريظ المنار الانور . واقتراح طلاب الازهر

جاءنا من بعض المشتغلين بعلم الادب فى الجامع الازهر تحت هذا العنوان ما يأتى

حضرة مولانا الاستاذ

إنى اذا كتبت اليك فانما اهدى لبحرك دُرَّه ، ولغيثك قطره ، واقدم لك بعض ما اقتبسته منك . فلو كنتُ خطيب إياد ، أو ابن زياد ، او الكاتب الذى تعقد ذؤابة قلمه ، بالسماك ونجمه ، وتسير معانيه ، كالفلك الدوار بما فيه ، واتيت بما فات الاوائل ، ولم تستطعه الاواخر ، لقلت ان لسانى فى بيانك شحذته ، وقلمى من بنانك اخذته ، على أنَّا قد آوينامنك الى ركن شديد ، وهيهات ان نستضىء بغير المنار أو نهتدي بغير الرشيد

وتالله انى لا أجد عبارة أصوّر بها ما فى القلوب من اطلاعكم الحق مطالعه ، وإلزامكم الباطل مضاجعه ، وتقدم المنار حتى دخل فى السنة الرابعة ، فان التصوير شىء ما ألفناه ، والتعبير عن الوجدان مثال ما احتذيناه ، ومنا من يخال انه كالمعيديّ تسمع به خير من ان تراه

فاذا كان المنار ، قدحمل الى الاقطار ، نفحة سارت بها الرياح ، وطلع

(١) جملة ايقنت جواب « لو رأيت » فى البيت الاول . والاملاك الملوك والاتواج التيجان والخطاب فى البيت بعده للحجاج

على أهلها طلوع الصباح ، فلينهج لاهل الازهر منهاجاً فى الادب يسلكونه، وليضع لهم مثالاً فى الاصلاح يحتذونه ، حتى يكون تصوير الشعور عندنا من الشعائر ، ونقتدر على وصف جليات الظواهر وخفيات الضمائر ، فنكون من حملة الاقلام ، وتؤدي بدايتنا الى الغاية المطلوبة والسلام .

محمد سعيد الرافعى

(المنار) — نشكر للكاتب الاديب حسن ظنه بنا ولو لا شغفنا باشتغال الازهريين بالكتابة والادب واغتباطنا بما نراه من نجابتهم لما خالفنا سنتنا بنشر هذا التقريظ

اما المنهاج الذى اقترحه فأحيله واخوانه من المشتغلين بالادب على قراءة خطبة اساس البلاغة المنشورة فى هذا الجزء واتباع ما ترشد اليه وأزيدهم الحث على مطالعة كتاب الاغانى وكتاب نهج البلاغة والجزء الثالث من احياء علوم الدين ان لم يطالعوا الكتاب كله ثم العمل بكتابة المقالات فى الموضوعات المختلفة وتعريضها للانتقاد فمن لا يَنتقد ولا يُنتقد . ولا يناظر الفضلاء ، ويساجل الادباء ، لايسلم من الخطأ والخطل ، ولا يتنبه لتجنب الزيغ والزلل ، وان شئت فقل لا يكمل له علم ولا عمل . واننا نقترح عليهم ان يتناظروا فى المواضيع الآتية . (١) هل غاية طلب العلم تحصيل ملكة الفهم . ام تحصيل ملكة العلم . (٢) فوائد قراءة الحواشى ومضارها (٣) هل يطلب من علماء الدين معرفة علوم الكون ولو إلماماً ام لا (٤) هل يجب على علماء الكلام استبدال الرد على فلاسفة هذا العصر ومبتدعته بالرد على قدماء الفلاسفة والمبتدعة الذين انقرضوا ام لا (٥) هل انتشر الدين الاسلامى بكونه حقاً يلائم حال البشر ام بالقوة والسيف (٦) هل افادت الجرائد

البلاد العربية ام اضرت بها . (٧) هل نفع الشرقيين دخول الاجانب بلاد الشرق ام اضر بهم . فهذه سبعة مواضيع متى رأينا اقلامهم تجول فيها نقترح عليهم غيرها . والمنار مستعد لنشر مناظراتهم بشرط الاختصار فى النبذ وان تعددت فى موضوع واحد والنزاهة التامة فى التخاطب ؟

(س) من حضرة القانوني البارع صاحب الامضاء (بحروفه)

لا أرى ختم الكتابة بحرف أو حرفين من اسم صاحبها لا يفهم اولا يفهمان ولا ارى لذلك معنى عاماً ذا شأن فى كل الاحوال فكثيراً ان لم يكن فى الأغلب يختتم الكاتب كتابته بحرف أو حرفين من اسمه ان لم يبالغ فى التستر والتخفى فلا يرمز حتى ولا بما يعرف بالنقطة

لماذا هذا لا يبغى ولا نريد ان تكون العلة عيباً فى الكتابة لوجه من الوجوه التي ترمي اليها فان الكاتب لا يقصد لنفسه هذا العيب حتى يضطر الى التخفى عن معرفة الناس او لا يرضاه لنفسه فيعمل وان عمل فما انا بالمعترض عليه هنا لرمزه او لعدم الرمز مطلقاً وانما لكتابته مع ذلك وانما الذى أعنيه بانكار اخفاء نفسه مطلقاً صاحب الكتابة التى لا عيب فيها مطلقاً بل التى هى مفيدة وأوجه الافادة كثيرة وهذا هو الاغلب فى ما اراه من الكتابات ذات اخفاء الاسم كله او الا ما هو فى حكم الكل

هذا تعجب منى لذلك طابت الىَّ النفس منى مرات اظهاره وعلى لسان مناركم الوضَّاح لاهتدى منه الى الحقيقة فلعلى مخطئ الى ان انفذت الارادة هذه المرَّة وحسبكم اختيارى لكم وما انتم بأُولى الحاجة وعليكم السلام فى الاوَّل وفى الختام ٢٣ فبراير سنة ١٩٠١ كتبه

مراد فرج المحامى بمصر

جواب المنار

من الناس من هو ممنوع من الكتابة فى الجرائد كأساتذة المدارس وبعض الموظفين ومن الناس من لا يحب اظهار اسمه اذا كتب اما ترفعاً لان الجرائد لم تزل غير مقدورة قدرها عندنا واما خوفاً من الحكم على كلامه بما يعتقد الناس من مشربه لان الاكثرين يعرفون حق القول وباطله بقائله لا بذاته ويريد هؤلاء أن يعودوا الناس على خلاف ذلك ومن هؤلاء من يرمز الى اسمه بالحروف او يختار لقباً مصنوعاً يعرف بهذا او ذاك بين خاصته وتلك فائدة خاصة . وللرمز فوائد اخرى عامة منها عدم اشتباه الكاتبين الذين لا يصرحون باسمائهم لا سيما اذا تكررت الكتابة فى موضوعات مختلفة . ومنها ان يميز الناس بين المقالات فيعرفوا رأي صاحب هذا الرمز من رأى غيره ويعرفوا مقصده وغرضه فيقبلون عليه او يعرضون عنه . واعتبر ذلك بمقالات « اسباب ونتائج » ومقالات « حكم ومواعظ » التى نشرت فى المؤيد من بضع سنين فقد عرف صاحبها بسداد الرأى حتى اعتنى الفاضل (محمد على كامل) صاحب دار الترقى بجمعها وطبعها لتتم فائدتها . وان قيل ان العناوين فى مثل هذا كافية للتمييز ومعرفة وحدة المصدر او تعدده فنقول ان العناوين مباحة لكل احد ولا يكاد يتفق كاتبان على رمز واحد لاسمهما وان الكاتب الواحد يكتب فى مواضيع مختلفة لا يصح ان يلتزم لها عنواناً واحداً . ومن الفائدة فى الرمز سهولة التعريف عند ارادته فاذا قلت لك ان ما كان يكتب فى المؤيد منذ سنتين بامضاء (م ر) هو لي والمراد بالحرفين محمد رشيد امكنك ان تتذكرها ان كنت قرأتها ولا يمكننى ان اعرّفها بعناوينها

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(الحيوان والانسان او — خاتمة رسائل اخوان الصفا)

هـذه الرسائل مشهورة عند اهل العلم والاطلاع فمنهم من يتنافس فيها لما احتوت عليه من الفلسفة والتصوف وغرائب العلوم ومنهم من يحظر النظر فيها لذلك وقل من يعرف مؤلفيها وهم على ما نقل عن ابي حيان التوحيدي زيد بن رفاعة وابو سليمان محمد بن مشعر البستى وابو حسن على بن هرون الزنجانى وابو احمد المهرجانى والعوفى وآخرون . ومرادهم بتأليفها إلباس الفلسفة لباس الدين ، ليقبلها أو يقبل عليها منكروها من جماهير المسلمين ، وأسلوبهم فى كتابتها غريب تلذ قراءته ، وتستملح عبارته ، وعذرهم فى هذا الطريق الوعر ، والمركب الخشن ، انهم فتنوا بفلسفة اليونان ، ورأوا انه لا بد منها للانسان ، ورأوا المسلمين يناصبون المشتغلين بها ويناهضونهم . ويضللونهم ويكفرونهم ، وحسبوا ان هذا المسلك لا يعارض ، وصاحبه ينهض ولا يناهض ، فخاب الامل ، وحبط العمل ، وكانوا عند تأليف رسائلهم بثوها فى الوراقين ، لتنتشر بسرعة فى العالمين ، وربما كانوا فى انفسهم مخلصين ، ولكن ما عتّم ان عتمت ، وبطنت عقيب ان ظهرت ، الى ان أحيت الطباعة رفاتها ، والامور مرهونة باوقاتها ،

طبعت الرسائل فى الهند فراجت حتى لا تكاد توجد نسخها وطبع منها فى مصر الجزء الاول ولم يتسنَّ لطابعه اتمامها . وفى هذه الايام تصدى النشيط الفاضل ، محمد على افندى كامل ، لطبع الجزء الاخير الذى هو زبدة الرسائل وخاتمتها فى مطبعة دار الترقي المتقنة بشكل لطيف ، على ورق نظيف ،

وهذا الجزء يصف تداعى الحيوانات على الانسان ، لدى ملك الجان ، وما جرى بينهم من المحاورات ، والمناظرات والمجادلات ، ونتيجة ذلك حكم ملك الجان ، بأن تكون انواع الحيوان ، فى تصرف الانسان ، فنحث أهل العلم والفضل ، وذوي الذكاء والنبل ، على الاطلاع على هذا الاسلوب الساحر ، مما ترك الاول للآخر ، ولكن رأينا أن لاتُحتذي هذه الرسائل بمزج الفلسفة بالدين ، فذلك مضيعة للامرين

(تاريخ دولة آل سلجوق) من انشاء الشهير عماد الدين محمد بن محمد ابن حامد الاصفهانى واختصره الفتح بن على بن محمد البندارى الاصفهانى (رحمهما الله تعالى) والكتاب كله سجع ممايسمونه السهل الممتنع . والوقوف على تاريخ هذه الدولة الاسلامية العظيمة لا يستغنى عنه من يهمه الوقوف على شؤن المسلمين ومعرفة احوالهم الاجتماعية . وقد طبع على نفقة شركة طبع الكتب العربية فى مطبعة الموسوعات طبعاً متقناً على ورق جيد وثمنه عشرة غروش اميرية

(تتمة البيان فى تاريخ الافغان) كان السيد جمال الدين الافغانى الفيلسوف الاسلامى الشهير كتب رسائل سماها «البيان فى الانكليز والافغان» كان لها وقع شديد فى البلاد الانكليزية عندمانشرت فى الجرائد المصرية التي انشأها تلامذة السيد فى مصر بارشاده وردت عليها الجرائد الانكليزية معظمة شأن السيد معجبة به ولم يكن قد اشتهر اسمه فى اوربا فتصدى هو للرد عليها حتى ان المستر غلادستون اضطر الى الرد على السيد بنفسه . ثم سأل السيد تلامذته أن يملى عليهم تاريخ الافغان فاملى عليهم مقالات نشرت فى جريدة مصر التى كانت يصدرها فى الاسكندرية فقيد الأدب والصحافة اديب بك

اسحق وسُمي مجموعها (تتمة البيان فى الانكليز والافغان) وذكر فيها محاربة الانكليز للأفغان والاستيلاء على بلادهم ثم اخراج الافغان لهم منها بالقوة وفيها ذكر اصل الافغان وتاريخهم وعاداتهم وسائر شؤنهم . وقد عثر على هذا التاريخ الاديب النشيط على افندي يوسف الكريدلى صاحب ومحرر جريدة العلم العثمانى وطبعه فى مطبعة الموسوعات طبعاً متقناً على ورق جيد وصدّره برسم امير الافغان الحالى الامير عبد الرحمن واهداه إياه . وفيه أيضاً رسم السيد جمال الدين . وثمن النسخة منه خمسة غروش اميرية ويباع فى جميع المكاتب الشهيرة فى القاهرة

(وردة) اسطورة علمية تاريخية « تمثل اخلاق المصريين وعاداتهم فى عهد رعمسيس الثانى وترسم للقارئ نظام حكومتهم وما وصلوا اليه من التقدم فى العلوم والمعارف . ابرزها من الآثار القديمة واوراق البردي الدكتور جورج ابيرس الالمانى » ونقلها الى العربية صديقنا الكاتب الفاضل محمد افندي مسعود أحد محرري جريدة المؤيد الغراء ونابغي الناشئة المصرية فى هذا العصر . وقد كان سبقه الى تعريبها من حيث لا يعلم الدكتور العالم الشهير يعقوب افندى صروف محرر مجلة المقتطف ولم يطبعها لانه لم يستأذن بطبعها من مؤلفها ولكن محمد افندى مسعود استأذن قبل ان يعرب . وقد طبع الجزء الأول منها وهو يزيد على ثلاثمائة صفحة بالحرف الصغير وتطلب من معربها فى ادارة المؤيد بمصر فنحث جميع القراء على مطالعتها

تنبيه مهم جداً

لدينا مقالة لفضيلة مفتى الديار المصرية فى اعظم شبهة على الدين فى كتب المسلمين وهى مسألة الغرانيق وتفسير الآية التى استدل بها عليها . وستنشر فى باب التفسير من الجزء الآتى

الأخبار التاريخية

(مهاجر ازهري)

من أيام جاء الى محل الافتاء في الجامع الازهر رجل انكليزى اسمه المستر هستنج وطلب مقابلة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية وعند مقابلته ابتدره بقوله : جئت ثلاث مرات لمقابلة حضرتكم فلم أجدكم هنا وهذه الرابعة والغرض ان اعرض لكم أن لى أملاكاً فى جهة ممباسه فى أفريقة سكانها مسلمون لكنهم لا يعرفون من دينهم الا قليلاً ولما علموا برحلتى هذه الى مصر طلبوا منى قبل السفر ان أحضر لهم عالماً دينياً يعلمهم احكام دينهم . قال ويمكننى أن أساعد من يسافر معى لهذه الغاية بأن انقله على نفقتى من ساحل زنجبار الى المحل الذي نقصده وا تكفل هناك بنفقة أكله وأعطيه بيتاً يسكنه وعليه أن ينفق على نفسه من هنا الى ساحل زنجبار ولا بد له هناك من الاقامة زمناً يتعلم فيه لغة القوم ليتمكن من ارشادهم . فعهد اليه فضيلة المفتى أن يراجعه بعد أيام فى ذلك

وقد وقع هذا الطلب على الاستاذ وقعاً شديداً لعلمه بأن العلماء المتخرجين من الازهر يأبون الوظائف فى بلاد السودان بالرواتب الكثيرة ولانه اذا لم يوجد فى الازهر وهو اكبر المدارس الاسلامية وأشهرها من يسهل عليه ان يهاجر الى الله تعالى لمجرد الارشاد ونشر الدين فذلك اكبر عار على هذه المدرسة بل على المسلمين كلهم الذين نشر أسلافهم الدين فى كل مكان ثم هو الآن يضمحل ويتلاشى ولا يغار عليه أحد من علمائه

الذين لاعمل لهم الا قراءة علومه . فرأى بعض الحاضرين اثر الحيرة فى الأمر بادياً على الاستاذ فقال له أنا اعرف رجلاً من النابغين فى الازهر المتصدرين لامتحان التدريس أرجو ان يقبل الهجرة لهذه الخدمة الاسلامية وهو الشيخ محمود عزوز وكان الأمر كذلك

وفى أثناء هذه المدة تقدم الشيخ محمود هذا للامتحان فنجح فيه واعطي درجة العالمية من الدرجة الثالثة بالاستحقاق كما علمناه من المصدر الصحيح . وقد استحضره فضيلة المفتي وذكّره بسيرة سلف الامة وكبار الأئمة رضى الله تعالى عنهم وكيف كانوا يهاجرون لاجل حديث واحد يتلقونه او نشر للدين عند قوم يقبلونه ودعاه الى الرحلة لمباسه ابتغاء وجه الله تعالى وثقة بوعده فلبي واجاب . ثم عرض الاستاذ المفتى خبره على ولىّ النعم مولانا الخديو المعظم وذكر لسموّه ما رآه من اخلاصه فسر حفظه الله بذلك سروراً عظيماً وجادت مكارمه بمبلغ من المال اعانة له على سعيه المشكور كما هو دأبه فى تعضيد كل عمل ينفع الدين والامة ويقال ان المبلغ الذي اعطي له مائة جنيه جزى الله تعالى سموه افضل الجزاء

ثم ان فضيلة الاستاذ شيخ الجامع الازهر اعطى لحضرة الشيخ محمود المذكور منشوراً يخاطب به مسلمى البلاد التى يهاجر اليها يوصيهم فيه بالثقة بحامل المنشور والاعتماد عليه فى فهم الدين وتلقى احكامه الشريفة النافعة . وقد سافر بالفعل فى ليلة الثلاثاء الماضية وودعه فى محطة مصر كثيرون من اخوانه الازهريين وغيرهم وزوده اكابر شيوخه فى الازهر الشريف بالدعوات الصالحة وكان نسى اخذ اجازة السفر فكتب صاحب السعادة محافظ العاصمة رسالة برقية الى محافظة السويس بالوصية به واعطائه

باسبورت السفر . فنسأل الله تعالى ان يسهل امره وينفع به ويجعل رحلته فاتحة خير وقدوة صالحة للازهريين فيوفقون للانتشار فى الارض لنشر الدين آمين

عريضة استرحام مسلمى بنغاله

نشرت جريدة « وطن » الهندية صورة عريضة عن لسان مسلمي أيالة بنغالة فى غربى الهند الذين يبلغون زهاء اربعين مليوناً (كذا) الى مولانا السلطان الاعظم عبد الحميد خان يطلبون فيها امرين جليلين احدهما تعيين قنصل للدولة العلية فى مدينة كلكته عاصمة هذه الأيالة « يمثل الدولة العلية فى عظمتها والخلافة الاسلامية فى جدتها » ويرجع اليه المسلمون فى الشؤن التى تقوى الرابطة بينهم وبين مسلمى السلطنة العثمانية ويفضون اليه بالحقوق والمصالح المتعلقة بخليفتهم . ومن ذلك انهم جمعوا مبلغاً عظيماً لاعانة سكة حديد الحجاز ويحتاجون الى من يرشدهم الى كيفية ارساله . وذكروا من فوائد هذا الامر امتداد التجارة العثمانية لاعتقادهم ان ما يُتجر به فى بلادهم من الطرابيش ونحوها هو من بلاد الدولة ومنه فائدة لها

والامر الثانى ان يصدر امره المطاع بادخال لغة مسلمى الهند (الاوردو) فى دار الفنون التى اسست فى دار الخلافة الاسلامية يوم عيد الجلوس الفضي وجعلها من اللغات التى تعلم جبراً لا اختياراً وذكر فى العريضة بعض فوائد رابطة اللغة وهى فوق ما ذكر . ثم التمست جريدة « وطن » من اصحاب الجرائد الاسلامية الشهيرة فى مصر والشام ودار السعادة ان يضموا اصواتهم الى صوت صاحبها بهذا الطلب ان استحسنوه وذكرت « المنار » فيما ذكرته منها . ونحن نستحسن هذا الطلب ونقول ان منافعه جليلة جداً فى كلا الامرين . اما تعيين قنصل للدولة فى كلكته

كما عينت فى بومباي وكراش بندر ومدراس فهو مما لا تقدر منافعه اذا كان أولئك القناصل من الرجال الاكفاء الذين يقدرون سلطة الدولة العلية الروحية قدرها ويعرفون كيف يستفيدون منها وحسبك ما جاء فى عريضة الاسترحام من ان اهل بنغاله نساء ورجالاً واطفالاً يعتقدون ان للسلطان عبد الحميد خان سلطة غيبية وراء الطبيعة والاسباب « فيتوسلون الى الله عند الحاجة لدفع ضر او لجلب خير باسمه الشريف » وذلك لانهم يعتقدون أن مايقرأونه فى الجرائد التركية والعربية من مدائحه وفضائله وفواضله ومعارفه وعوارفه وصلاحه واصلاحه كل ذلك من خوارق العادات الدالة على انه «ولى من اولياء الله تعالى جعله الله فى هذا الحين رحمة للعالمين» واستخدام هذا الاعتقاد بالحكمة له شأن لايكتنه الفكر كنهه . واما تعلم لغة الاوردو فمن الضرورى ان تعلم ايضاً فى مصر والشام ومراكش لافراد كثيرين يكونون وصلة بين الشعوب الاسلامية فى الجملة اما الاتصال الحقيقى الذى يرجوه طلاب الوحدة الاسلامية فلن يكون الا بتعميم اللغة العربية كما بيناه فى المجلد الاول من المنار

﴿ كتاب الامير عبد الرحمن خان ﴾

نقلت الجرائد الهندية فصولاً ضافية من تاريخ حياة الامير عبدالرحمن خان الذى ألفه بلغة (البشتو) اي لسان الافغان وترجم الى الانجليزية و (الاوردو) فأحببنا تعريبها ملخصة واثباتها على صفحات (المنار) تفكهة للقراء الكرام ولما انطوت عليه من الكلمات الحماسية والاشارات السياسية سيما ان الكلمة اذا صدرت من محلها وارباها كان لها من الامتزاج باجزاء النفوس والوقع على الاسماع ما لا يكون لغيرها وقد اعترف بفضل هذا الامير وسياسته وشدة تيقظه جميع الدول الغربية (والفضل ما شهدت به

الاعداء) . نشرت تلك الجرائد نقلاً عن الكتاب المذكور ما تعريبه :

ان اطوارى وشؤني التى جبلت عليها لا تلائم كثيراً مما عليه بعض ملوك زمانى وذلك لان احدهم انما همه التمتع بالملاذ ولبس التاج والقناعة من الملك بالتحية والالقاب واناطة مهام السلطنة بالوزراء والولاة واغفال امور الرعية والاحتجاب عنهم واما انا فلست ممن يغتر بتلك الترهات والخزعبلات ويلقى بزمام مملكته الى غيره ويقنع من الملك بالاسم واللقب بعد ان كنت اعلم ان الامة انما ولتني أمرها لما تعلمه فيّ من الكفاءة والسهر على مصالحها والذب عن حوزتها فأنا المسؤل عن ذلك لا غيري اذ كل راع مسؤل عن رعيته فلهذا لا اكل امراً من الامور الى أحد من أمرائى واركان دولتى بل انا الذي ادير شؤن المملكة وأحكم نظامها وأشيد دعائمها وانما عمالى وأمرائى آلة أديرها بيدي كيف أردت وشئت . وان بعض الملوك يرى ان مباشرة الاعمال باليد والمشي على الاقدام مخل بآداب الملوك وعندي ان مباشرة امور الرعية والمشي فى مصالحها والتردد الى المحال المقدسة كالجوامع والزيارات ومجالس العلم والذهاب الى بعض المحاكم والدوائر ولو سعياً على الاقدام مما يكتب فى صحائف حسنات الملوك ويحيي به ذكرهم بعد موتهم . وكيف أستنكف عن ذلك وقد كان الرسل والانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يستنكفون عنه وهذا سيد البشر قد كان يعين اهله فى أمور المنزل فاذا كنا مسلمين فلم لا تقتدى به وهو سيد الاولين والآخرين .

ومن المعلوم ان كل انسان ميال بالطبع الى شيء تألفه نفسه فى هذه العاجلة وأنا ميال الى التعب والعناء فيما به قوام مملكتي وأرى ان ذلك

التعب هو فى الحقيقة عين الراحة وقد تدربت عليه حتى صار لى طبعاً ولهذا تراني مع ما يعتورني من الامراض والآلام الشديدة لا انفك مصروف الافكار والحواس الى تدبير امور الامة ورأب صدعها ولمّ شعثها ولا ادع قلوب الناس معلقة بغيري بل انا الذى اتصفح عرائضهم سطراً سطراً فاوقع عليها بخط يدي ولذلك لا يكاد يوجد احد من الافغان الا وعنده اوراق عليها كتابة قلمي وقد احطت علماً باحوال رعيتي فقيرها وأميرها فلا تخفى عليّ منهم خافية الا ما تكن صدورهم وتنطوى عليه قلوبهم

وان لى فى كل بيت عيناً ابصر بها جميع اعمالهم واطوارهم وبابى مفتوح وبري ممنوح للصادر والوارد وانى مستعد لمواجهة كل احد وقضاء حاجته وسماع دعواه ومن كانت له عندي حاجة ومنعه عن الحضور لدي عذر فليكتبها ويرسلها اليّ وليجعل العنوان على الظرف هكذا (يصل الى الامير) فانه لا يتجرأ احد على فضها حتى اكون أنا الذى أفضها وأقرأها وارد جوابها بيدي ومن أراد مواجهتي فصدَّه بعض الحاشية فليكتب الى بذلك ويكاشف به بعض عيونى (اى الشرطة السرية) فانى اعاقب له خصمه ولا عذر لمن يتأخر من رعيتي عن مقابلتي لحاجة او زيارة فانى لا احتجب عن احد

وتصب فى معاملي انواع الاسلحة الجديدة وقصري مدجج بالاسلحة حتى محل منامي وقاعة جلوسى ويوجد تحت وسادتى مسدسان وذو شطوب يمانيّ وبندقيتان من الطرز الجديد كل ذلك اعددته لطوارق الحدثان ونوائب الازمان . وفرسي الادهم لا يزال امام عيني مسرجاً ملجماً عليه حقيبة مشحونة نضاراً احمر وجنودي الجرارة ابناء الموت وليوث الحروب على اهبة وتعبئة مستعدة لأدنى اشارة تصدر مني وانى لاعلم انه وان كانت

الكثرة تغلب الشجاعة الا ان القلة قد تغلب الكثرة ايضاً اذا كان امرها واحداً ورأيها مجتمعاً . وان الرجل الشجاع الحازم قادر على التحفظ بما لديه والذب عن حماه وشر الملوك من يكون طالعه على قومه ورعيته مشؤماً فلا احب ان اكون ذلك الرجل وقد كان يخطر فى بالى ان اتخلى عن الملك وانزوي فى بعض الكهوف والمغائر لاعداد الزاد ليوم لاينفع فيه مال ولابنون وأدع قومي يخوضون غمار الفتن ويصطلون اوار الحروب ويتساقون كؤس المنون ولكنى خشيت ان يسألنى رافع السماء وباسط الارض عندما اوقف بين يديه وحيداً فريداً لماذا اغفلت امور عبادي ونمت عن اصلاح شؤنهم فهذا الذى يصدنى عن ذلك ويحملنى على رؤية مصالحهم قائما وقاعـداً ومتكئاً ومستلقياً على فراشى وربما اخذتني السنة والاوراق فى يدي وعلى صدري وقد شغلت بذلك عن جميع شؤنى الذاتية واصبحت لا اتمكن من الدخول الى الحرم اكثر من مرتين فى العام بعد ان كنت ازورهن فى الاسبوع مرتين . وان لكل من ولديّ نصر الله خان وحبيب الله خان ثلاثة آلاف روبية فى الشهر للنفقات الضرورية وهذا علاوة على ما هو مقرر لهما من المآكل والملابس وما هو مرتب لحرمهما وحشمهما وتبلغ رواتب حرمي من خمسة آلاف الى ثمانية آلاف روبية فى الشهر مع ما يلزمهن من النفقات

وانه يسوءنى ما اراه من تقدم الامم الغربية وتقاعس المسلمين عامة وقومي خاصة وأود لو يستفيق المسلمون من سباتهم الذى اربى على سبات اصحاب اهل الكهف ويسترجعون أيامهم ويحافظون على مآثر اسلافهم ومفاخر آبائهم واجدادهم الذين وطدوا لهم الملك ودوّخوا لهم البلدان وهيهات

هيهات ذلك لان الداء اذا اعضل عز دواؤه

بيد انى لا آلو جهداً فى احكام دعائم مملكتى واصلاح شؤنها وتربية الامة الافغانية وانى لأعلم ان بعض الناس يتربصون بى الدوائر ويتمنون لى الحمام الذى لابد منه ويرون حياتى شجىً فى حلوقهم وقذى فى عيونهم وما اظن ان احداً من الملوك نعته السنة الجرائد مراراً وهو حي يرزق غيري اه .

هذا وان الامير يحيي كل الليل فى مصالح العباد وسماع التواريخ وسير الاوائل وسياسات الملوك ومسامرة ارباب الفضل والكمال ولا يزال هكذا الى الفجر فيتوضأ ويصلى الصبح جماعة ويقرأ ورده وما تيسر من كتاب الله المجيد وهو مستقبل القبلة الى ارتفاع الشمس فيضطجع على سريره وربما نام فى بعض الاحيان على كرسيه الجالس عليه او على الحصير الذى هو مصلاه فينام الى الساعة السابعة من النهار ثم يهبّ من نومه فيدخل عليه الحكماء والاطباء فيجسون نبضه ثم يدخل مغتسله فيغتسل ويبدل ثيابه ويشرب الشاي ويتناول ما تيسر من الطعام ثم يدخل الاطباء فيجسون نبضه ثم يدخل عليه وزراؤه وامراؤه وارباب الحوائج فيأمر وينهى ويقضي بما تقتضيه سياسته وبعد المغرب يدخل عليه سمّاره من الامراء والعلماء وارباب البيوتات واهل الكمال فى كل فن على اختلاف طبقاتهم ولا يخلو مجلسه من أعلى الناس الى ادناهم حتى (البنكية) وهم الذين يرفعون القاذورات من الكنف والشوارع ولا يزال على ما ذكر الى الصبح فيفعل مثل ما فعل بالامس وهلم جرا

والامير مسلم متمسك قوي الاعتقاد مثابر على العمل بالكتاب والسنة واقوال السلف والخلف حتى انه ليعتقد بوهميات الامور من ذلك ماحكاه

فى كتابه المتقدم الذكر وترجمته :

«قد كنت فى عنفوان الشباب اعتقد ان التمائم والعوذ لا تجدى شيئاً واظن ان ما كتب فى خواصها ترهات لا اصل لها الى ان هديت الى تميمة كتبها بعض الصلحاء بزعم انها تقي من الرصاص فما صدقت بذلك وظننت انها حيلة ساسانية ثم خطر لى ان اجربها فربطتها فى درّاجة واطلقت عليها الرصاص مراراً عديدة وفى كل مرة تخطئها يدي حتى ان الرصاص كاد يحرق ريشها ولم يصبها فزال من فكري ما كنت اتوهمه وربطت تلك التميمة بعضدي .» وكان الامير يقرأ مرة فى القرآن المجيد فبلغ قوله تعالى «فاذا جاء اجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» فكرّر الآية مراراً واطال فيها الفكر ثم قال عسى ان يرشدنى ربى الى عمل ينفعني فى ذلك اليوم ويقيني حر جهنم سعيد العسل

(المنار) صريح هذا الكلام ان حكومة الأمير مطلقة مفوضة لارادته ولكنه يسلك بها مسلك الاصلاح فليست عيونه وجواسيسه لمصلحة شخصه ولكنها لمصلحة البلاد والافغان قوم اشداء أولو عصبية ولولا حزم الامير واحتياطه لما تمكن من الاصلاح الذى قام به ولكنه اذا لم يؤسس حكومة شورية يخشى ان يزول من بعده هذا الاصلاح وتضعف امته العصبيات والتحزبات المعهودة فيها

واما مسئلة تميمة الرصاص فلعله اذاعها لييأس اعداؤه من اغتياله والا فان التجربة برمي طائر الدراجة بالرصاصة وعدم اصابته غير كافية فى اثبات منفعتها لجواز ان يخطئ الرامي الجمل فما بالك بالطائر . وظاهر ان الاعتقاد بالتمائم ليس من الدين كما بيناه فى المجلد الثانى والثالث من المنار

الجزء الثالث　　　　(المجلد الرابع)

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة ذى الحجة سنة ١٣١٨ — ٢١ مارث (اذار) سنة ١٩٠١)

مسئلة الغرانيق . وتفسير الآيات

تمهيد . مصارعة الحق والباطل . رفع الاسلام مقام الانبياء وحكمه بعصمتهم . عيث عشاق الروايات وافسادهم فى الدين . الروايات واختلافها فى مسئلة الغرانيق . مخالفة المحققين لها . الرجوع الى اهل العلم الصحيح في ازالة الحيرة . الطعن فى رواية تفسير التمنى بالقراءة . الطعن فى حديث الغرانيق رواية . الطعن فيه دراية . عصمة الانبياء . الوجوه الدالة على بطلان حديث الغرانيق . تفسير الآيات على الوجه الموافق لأسلوب القرآن المنطبق على العقائد الصحيحة . السياق وسابق الآيات . التفسير الاول وفيه المقابلة بين الآيات و آيات سورة آل عمران فى المحكمات والمتشابهات . التفسير الثانى . امانى الانبياء . سنة الله فيهم وفى اقوامهم . تأويل ثالث . وسواس الشيطان . اللغات فى الغرنوق ومعانيه . عدم ملائمة معانيه لوصف الآلهة . انتفاء نقل ذلك عن العرب . الجزم بان الحديث من وضع الاعاجم .

حديث الغرانيق صار مشهوراً عند المتأخرين لوجوده فى كثير من كتب التفسير التى تتناولها الايدي ولو صح لكان اكبر شبهة على الدين ولكن المقلد البحت الذى لا نظر له لا يبالي بالشبه ويقبل كل نقل ، وان

كان الفرع فيه ينفى الاصل ، وطـلاب العنَت يتشبثون بأهداب الشبه فيجعلونها معاول تهدم الاركان الثابتة ، وتنفي القضايا المبرهنة . ولذلك كثر الطعن فى هـذه الايام ، بدين الأسلام ، من دعاة النصرانية ، وبعض المفتونين بالشبه المادية ، واقوى تكأة لهؤلاء الطاعنين ماقاله بعض المفسرين فى مسئلة زيد وزينب وفى مسئلة الغرانيق ومسئلة أخرى . ولما كان كشف الشبهات وتخليص الحق من شوائب الباطل على وجـه تثق به النفوس ، وتطمئن اليه القلوب ، من وظائف أئمـة الدين ، واكابر العلماء الراسخين ، لجأ قوم الى حكيم الاسلام فى هذا العصر ، وامام المسلمين فى كل بادية ومصر ، مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ، فى أن يجلي لهم الحق فى المسئله الاولى فاجاب ، بما هو الحكمة وفصل الخطاب ، ونشرناه فى المنار ، ليشتهر فى الاقطار ، ثم سأله آخرون فى هذه الايام عن الثانية . فاجاب بما أزال الالتباس ، ومحّص ما فى صدور الناس ، جعل المسئلة أولا موضوع درس فى الازهر حضره الجماهير ، والجم الغفير ، ثم كتبها لتنشر فى المنار ، وتتناقل فى الامصار ، وهاك ما جاء من فضيلته ، بنصه وعبارته :

« وما أرسلنا منْ قبلكَ منْ رسولٍ ولا نبيٍّ الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أُمنيتِه فينسخُ اللهُ ما يلقى الشيطان ثم يُحكم اللهُ آياتهِ واللهُ عليمٌ حكيم . ليَجْعَلَ ما يُلقى الشيطانُ فتنةً للَّذِين فى قلوبهم مرضٌ والقاسيَةِ قلوبُهم وإنَّ الظالمين لفي شِقاق بعيد. وليَعْلمَ الذين اوتوا العلمَ أنه الحقُّ منْ ربك فيؤمنوا به فتخبِتَ لهُ قلوبُهم وإن الله لَهادِي الذين آمنوا الى صراط مستقيم . ولا يزال الذين كفروا فى مِرْيَةٍ منـه حتى تأتِيَهم الساعة بَغْتَةً أو يأتِيَهم عذاب

يوم عقيم »

قد يجد الباطل انصاراً ، فيتبوأ من نفوسهم داراً ، ويتخذ له منها قراراً ، وتذهب على ذلك الايام بعد الايام ، وتمضي عليه الاعوام إثر الاعوام ، وهو يلعب بأهله ، ويغلب اهواءهم بحيله ، حتى يقصروا نظرهم عليه ، ولا يجدوا ملجأ منه الا اليه ، فاذا أوتوا من ناحيته رضوا ، واذا عرض لهم الحق اعرضوا ، ولا يزالون كذلك الا أن تنحل به عُراهم ، وتفسد بعلله قواهم ، والحق لا يزال يعرض نفسه ، يستخدم مرّة لينه واخرى بأسه ، وهو الشابُّ الذى لا يهرم ، والعامل الصبور الذى لا يسأم ، وانما يُعرِض بوجهه عن الاغبياء ، ويُولّى ظهره الاشقياء ، ثم لا ينفك يرحمهم ، ولا يبرح يتعهدهم ، يسفر عليهم محيّاه ، ويرسل اليهم اشعة من سناه ، فاذا وافاهم وقد وهنت مُنَنهم ،(١) ومَرهت عيونهم ،(٢) وحلك ليلهم ، واشتد خبلهم ، صاح بهم منه صائح ، ورَمحهم من جنده رامح ،(٣) فقلق بالباطل مكانه ، وزلزلت من حوله اركانه ، وفزع يطلب النصير ، وثار يلتمس المجير ، فلا يجد الا اسباباً تقطعت به ، وأعضاداً فُتَّ فيها بسببه ،(٤) وقد رنّق قومه ،(٥) وعبس يومه ، فيحملق الى الحق يأخذه ببصره ، ويستنزله بنظره ، ولكن خاب الظن ، وبطل الفن ، ثم لا يلبث وهو الباطل ان يتحول عنده اليأس املاً ، ويجد من اليبس بللاً ، فيظن وهو هو ان الحق ناصره ، وان

(١) المنن جمع منة بالضم وهي القوة (٢) مرهت العين خلت من الكحل او فسدت لتركه (٣) رمحه طعنه بالرمح . والرامح ذو الرمح (٤) الفت الدق والكسر بالأصابع ويقولون « فت فى عضده » اذا كسر قوته وفرق عنه انصاره (٥) رنق القوم بالمكان (بتشديد النون) اقاموا وفى الامر خلطوا الرأى والطائر خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر

ستقوى به اواصره ، فيستنصر بجنده ، ويطلب النجدة من عنده ، واقرب ما يكون خصم الى الهلكة اذا اطمأن الى عدوه ، وامل الخير فى دنوه ، هذا شأن الباطل واهله ، مع تقلبه فى ملله ونحله ،

يعلم كل ناظر فى كتابنا الالهىّ (القرآن) ما رفع الاسلام من شأن الانبياء والمرسلين ، والمنزلة التى احلهم من حيث هم حملة الوحي وقدوة البشر فى الفضائل وصالح الاعمال وتنزيهه اياهم عما رماهم به اعداؤهم وما نسبه اليهم المعتقدون بأديانهم . ولا يخفى على احد من اهل النظر فى هذا الدين القويم انه قد قرر عصمة الرسل كافة من الزلل فى التبليغ والزيغ عن الوجهة التى وجهالله وجوههم نحوها من قول او عمل وخص خاتمهم محمداً صلى الله عليه وسلم فوق ذلك بمزايا فصلت فى ثنايا الكتاب العزيز

عصمة الرسل فى التبليغ عن الله اصل من اصول الاسلام شهد به الكتاب وايدته السنة واجمعت عليه الامة . وما خالف فيه بعض الفرق فانما هو فى غير الاخبار عن الله وابلاغ وحيه الى خلقه . ذلك الاصل الذى اعتمدت عليه الاديان حق لا يرتاب منه مليٌ يفهم ما معنى الدين

مع ذلك لم يعدم الباطل فيه اعواناً يعملون على هدمه وتوهين ركنه اولئك عشاق الروايات وعبدة النقل . نظروا نظرة فى قوله تعالى : « وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبيّ » — الآية وفيما روي عن ابن عباس (رضى الله عنهما) من أن تمنى بمعنى قرأ والامنية القراءة فعمي عليهم وجه التأويل الحق على فرض صحة الرواية عن ابن عباس فذهبوا يطلبون مابه يصح التأويل فى زعمهم فقيّض لهم من يروي فى ذلك احاديث تختلف طرقها وتتباين الفاظها وتتفق فى ان النبي صلى الله عليه وسلم عند مابلغ منه اذى المشركين

مابلغ واعرضوا عنه وجفاه قومه وعشيرته لعيبه اصنامهم وزرايته على آلهتهم اخذه الضجر من اعراضهم ولحرصه على اسلامهم وتهالكه عليه تمنى ان لا ينزل عليه ماينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقاً الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به ماتمناه حتى نزلت عليه سورة « والنجم اذا هوى » وهو فى نادى قوله ورُوي انه كان فى الصلاة وذلك التمنى آخذ بنفسه فطفق يقرأها فلما بلغ قوله : ومَناة الثالثةَ الاخرى « ألقى الشيطان فى امنيته » التى تمناها بان وسوس له بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط فمدح تلك الاصنام وذكر ان شفاعتهن ترتجي . فمنهم من قال انه عندما بلغ « ومناة الثالثة الاخرى » سها فقال : تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى . ومنهم من روى (الغرانقة العلى) ومنهم من روى (ان شفاعتهن ترتجى) بدون ذكر الغرانقة والغرانيق . ومنهم من قال انه قال (وانها لمع الغرانيق العلى) ومنهم من روى (وانهن لهن الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لهي التى ترتجى) ففرح المشركون بذلك وعند ما سجد فى آخر السورة سجدوا معه جميعاً

قال ابن حجر العسقلانى : وتعدد الطرق وصحة ثلاثة منها وان كانت مرسلة يدل على ان للواقعة اصلاً صحيحاً . وهذه الاسانيد الصحيحة — فى رأيه — وان كانت مراسيل يحتج بها من يرى الاحتجاج بالحديث المرسل بل ومن لا يراه كذلك لانها متعددة يعضد بعضها بعضاً اهـ ولولا خوف التطويل لاتيت بجميع تلك الروايات ما صح عنده منها وما لم يصح ولكن لا أرى حاجة اليه فى مقالي هذا

روى ذلك ابن جرير الطبري وشايعه عليه كثير من المفسرين . وفى

قوله

طباع الناس ألفُ الغريب، والتهافت على العجيب، فولعوا بهذه التفاسير واتخذوها عقدة إيمانهم حتى ظنوا — وبعض الظن اثم — ان لامعدل عنها، ولا سبيل فى فهم الآية الى سواها، ونسوا ما رآه جمهور المحققين فى تأويلها وذهب اليه الائمة فى بيانها، حتى ثارت ثائرة الشبه هذه الايام فى نفوس كثير منهم وهم يزعمون انهم مسلمون واحسوا ان ذلك الضرب من التفسير لا يتفق مع اصل العصمة في التبليغ وان فيه من الحجة للعدو مالا سبيل الى دفعه فلجأوا الى اهل العلم الصحيح يلتمسون منهم بيان المخرج مما سقطوا فيه. وتوهموا انهم يقررون لهم ما الفوا، ثم ينقذونهم من الحيرة مع ثباتهم على ماحرفوا، ولكن ضل رأيهم، وخاب ظنهم. وسيقامون على المنهج، ويرون الحق ناصعاً ابلج

فى صحيح البخارى : وقال ابن عباس فى « اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته » : اذا حدّث القى الشيطان فى حديثه فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم الله آياته. ويقال امنيته قراءته « الا امانيّ » يقرأون ولا يكتبون اه فتراه حكى تفسير الامنية بالقراءة بلفظ (يقال) بعد ما فسرها بالحديث رواية عن ابن عباس وهذا يدل على المغايرة بين التفسيرين فما يدعيه الشراح ان الحديث فى رأي ابن عباس بمعنى التلاوة يخالف ظاهر العبارة ثم حكايته تفسير الامنية بمعنى القراءة بلفظ (يقال) يفيد انه غير معتبر عنده

وقال صاحب الابريز ان تفسير تمنى بمعنى قرأ والامنية بمعنى القراءة مروي عن ابن عباس فى نسخة عليّ بن ابى طلحة عن ابن عباس ورواها عليّ ابن صالح كاتب الليث عن معاوية بن صالح عن علي بن ابى طلحة عن ابن عباس وقد علم ما للناس فى ابن ابى صالح كاتب الليث وان المحققين على

تضعيفه . اهـ — هذا ما فى الرواية عن ابن عباس وهى اصل هذه الفتنة وقد رأيت ان المحققين يضعفون راويها

واما قصة الغرانيق فمع ما فيها من الاختلاف الذى سبق ذكره جاء فى تميمها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يفطن لما ورد على لسانه وان جبريل جاءه بعد ذلك فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك فأنزل الله عليه « وما ارسلنا » الآيات تسلية له كما انزل لذلك قوله : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفتريَ علينا غيره واذاً لاتخذوك خليلاً . ولولا أن ثبتناك لقد كدتَ تركن اليهم شيئاً قليلاً . اذاً لأذقناك ضِعْفَ الحيوةِ وضِعف المماتِ ثم لاتجدلك علينا نصيراً . » وفى بعض الروايات : ان حديث الغرانيق فشا فى الناس حتى بلغ ارض الحبشة فساء ذلك المسلمين والنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت « وما ارسلنا » الآية . قال القسطلانى فى شرح البخاري : وقد طعن فى هذه القصة وسندها غير واحد من الائمة حتى قال ابن اسحق وقد سئل عنها : هى من وضع الزنادقة اهـ وكفى فى انكار حديث ان يقول فيه ابن اسحق انه من وضع الزنادقة مع حال ابن اسحق المعروفة عند المحدثين

وقال القاضي عياض : ان هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواه أحد بسند متصل سليم وانما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم . ثم نقل عن ابى بكر ابن العلاء ما يدل على سقم الرواية واضطراب الرواة فيها وما يقضي عليها بالوهن والسقوط عن درجة الاعتبار . وقال الامام ابو بكر ابن العربى — وكفى به حجة فى الرواية والتفسير — : ان جميع ما ورد فى هذه

القصة لا أصل له .

قال القاضي عياض والذى ورد فى الصحيح أن النبي صلى الله عليه سلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس اه وقد يكون ذلك لبلاغة السورة وشدة قرعها وعظم وقعها . ثم قال القاضي : قد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر أو ان يتسود عليه الشيطان ويشبّه عليه القرآن حتى يجعل فيه ماليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى يُفهمه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع فى حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفر او سهواً وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على لسانه أو قلبه لا عمداً ولا سهواً . او ان يشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقى الشيطان او يكون للشيطان عليه سبيل . اوان يتقوّل على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزّل عليه وقد قال الله تعالى « ولو تقوّل علينا بعض الاقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين » وقال « إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » (ووجه ثان) وهو استحاله هذه القصة نظرا وعرفاً وذلك ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام ، متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين ، وصناديد المشركين ، ممن يخفي عليه ذلك . وهذا لا يخفى على ادنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع فى

باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ، (ووجه ثالث) انه علم من عادة المنافقين ، ومعاندة المشركين ، وضعفة القلوب والجهلة من المسلمين ، نفورهم لأول وهلة ، وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة ، (١) وارتداد من فى قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ، ولم يحك احد فى هذه القصة شيئاً سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل . ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ، ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة ، كما فعلوا مكابرة فى قصة الاسراء . قال : ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو وجدت ، ولا تشغيب للمعادي حينئذ اشدّ من هذه الحادثة لو امكنت ، (٢) وما ورد عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ، فدل على بطلها ، واجتثاث اصلها ، ولا شك فى ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين ، (ووجه رابع) ذكر الرواة لهذه القصة ان فيها نزلت « وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك » الآيتان . وهذان الآيتان تردان الخبر الذى رووه لأن الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفترى ولولا ان ثبته لكاد يركن اليهم شيئاً قليلاً . فمضمون هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلاً فكيف كثيراً . وهم يروون فى أخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وانه صلى الله عليه وسلم قال : افتريت على الله وقلت ما لم يقل . وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له ؟ وهذا مثل قوله تعالى فى الآية الاخرى « ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمّت طائفة

(١) الفينة كالعيلة الساعة والحين (٢) التشغيب تهييج الشر

منهم ان يضلوك وما يُضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء » . قال القشيري ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كان ليفعل . قال ابن الانباري ماقارب الرسول ولا ركن . انتهى المطلوب من كلام القاضي رحمه الله . وقد اورد بعد ذلك كثيراً من القول فى توهين الرواية وتكذيبها

اما ما ذكره ابن حجر من ان القصة رويت مرسلة من ثلاث طرق على شرط الصحيح وانه يحتج بها الخ ما سبق فقد ذهب عليه كما قال فى الابريز ان العصمة من العقائد التى يطلب فيها اليقين فالحديث الذى يفيد خرمها ونقضها لا يقبل على ايِّ وجه جاء وقد عدَّ الاصوليون الخبر الذى يكون على تلك الصفة من الاخبار التي يجب القطع بكذبها . هذا لو فرض اتصال الحديث فما ظنك بالمراسيل وانما الخلاف فى الاحتجاج بالمرسل وعدم الاحتجاج به فيما هو من قبيل الاعمال وفروع الاحكام لا فى اصول العقائد ومعاقد الايمان بالرسل وما جاؤا به فهي هفوة من ابن حجر يغفرها الله له

هذا ما قاله الائمة جزاهم الله خيراً فى بيان فساد هذه القصة وانها لا اصل لها ولا عبرة برأي من خالفهم فلا يعتد بذكرها فى بعض كتب التفسير وان بلغ اربابها من الشهرة ما بلغوا وشهرة المبطل فى بطله لا تنفخ القوة فى قوله ولا تحمل على الأخذ برأيه

تفسير الآيات

والآن ارجع الى تفسير الآيات على الوجه الذى تحتمله الفاظها وتدل عليه عباراتها والله اعلم

لا يخفى على كل من يفهم اللغة العربية وقرأ شيئاً من القرآن ان قوله تعالى « وما ارسلنا مِن قبلك من رسول ولا نبي » الآيات يحكي قدراً قدر للمرسلين كافة لا يعدونه ، ولا يقفون دونه ، ويصف شنشنة عرفت فيهم وفى اممهم . فلو صح ما قال اولئك المفسرون لكان المعنى ان جميع الانبياء والمرسلين قد سلط الشيطان عليهم ، فخلط فى الوحي المنزل اليهم ، ولكنه بعد هذا الخلط ينسخ الله كلام الشيطان ويحكم الله آياته الخ . وهذا من اقبح ما يتصور متصور فى اختصاص الله تعالى لانبيائه ، واختيارهم من خاصة اوليائه ، فلندع هذا الهذيان ولنعد الى ما نحن بصدده

ذكر الله لنبيّه حالاً من أحوال الانبياء والمرسلين قبله ليبين له سنته فيهم . وذلك بعد أن قال « وانْ يكذبوك فقد كذَّبت قبلهم قومُ نوح وعادٌ وثمودُ وقومُ ابراهيم وقومُ لوط واصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكيرِ . » — الى آخر الآيات . ثم قال : « قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذيرٌ مبينٌ . فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزقٌ كريمٌ . والذين سعوا فى آياتنا معاجزين اولئك أصحاب الجحيم . وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى » الخ فالقصص السابق كان فى تكذيب الامم لأنبيائهم ثم تبعه الامر الالهيُّ بأن يقول النبى صلى الله عليه وسلم لقومه انى لم أرسل اليكم الا لانذاركم بعاقبة ما انتم عليه ولأبشر المؤمنين بالنعيم واما الذين يسعون فى الآيات والادلة التى اقيمها على الهدى وطرق السعادة ليحولوا عنها الانظار ، ويحجبوها عن الابصار ، ويفسدوا اثرها الذى اقيمت لاجله ويعاجزوا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين اى يسابقونهم ليعجزوهم ويسكتوهم عن القول وذلك

بلعبهم بالالفاظ وتحويلها عن مقصد قائلها كما يقع عادة من اهل الجدل والمماحكة هؤلاء الضالون المضلون هم اصحاب الجحيم . واعقب ذلك بما يفيد ان ما ابتُلي به النبي صلى الله عليه وسلم من المعاجزة فى الآيات قد ابتلي به الانبياء السابقون فلم يبعث نبي فى امة الا كان له خصوم يؤذونه بالتأويل والتحريف ويضادّون امانيه ويحولون بينه وبين مايبتغي بما يلقون فى سبيله من العثرات . فعلى هذا المعنى الذى يتفق مع ما لقيه الانبياء جميعاً يجب ان تفسر الآية وذلك يكون على وجهين

﴿ الاول ﴾ ان يكون تمنى بمعنى قرأ والامنية بمعنى القراءة وهو معنى قد يصح وقد ورد استعمال اللفظ فيه . قال حسان بن ثابت فى عثمان رضى الله عنهما :

تمنّى كتاب الله اول ليله وآخره لاقى حِمَام المقادر

وقال آخر

تمنى كتاب الله اول ليله تمنّيَ داود الزبور على رسل

غير ان الالقاء لا يكون على المعنى الذى ذكروه بل المعنى المفهوم من قولك « ألقيتُ فى حديث فلان » اذا ادخلت فيه ما ربما يحتمله لفظه ولا يكون قد اراده او نسبت اليه مالم يقله تعللاً بان ذلك الحديث يؤدى اليه . ونسبة الالقاء الى الشيطان لانه مثير الشبهات بوساوسه ، مفسد القلوب بدسائسه ، وكل ما يصدر من اهل الضلال يصح ان ينسب اليه ويكون المعنى : وما ارسلنا قبلك من رسول ولا نبي الا اذا حدث قومه عن ربه اوتلا وحياً انزل اليه فيه هدى لهم قام فى وجهه مشاغبون يحوّلون مايتلوه عليهم عن المراد منه ، ويتقولون عليه مالم يقله ، وينشرون ذلك بين الناس

ليبعدوهم عنه ، ويعدلوا بهم عن سبيله ، ثم يحق الله الحق ، ويبطل الباطل ، ولا زال الانبياء يصبرون على ما كُذِّبوا وأوذوا ويجاهدون فى الحق ولا يعتدُّون بتعجيز المعجزين ، ولا بهزء المستهزئين ، الى ان يظهر الحق بالمجاهدة، وينتصر على الباطل بالمجالدة ، فينسخ الله تلك الشبه ويجتثَّها من اصولها ، ويثبت آياته ويقررها ،وقد وضع الله هذه السنة فى الناس ليتميز الخبيث من الطيب فيفتتن الذين فى قلوبهم مرض وهم ضعفاء العقول بتلك الشبه والوساوس فينطلقون وراءها ويفتتن بها القاسية قلوبهم من اهل العناد والمجاحدة فيتخذونها سنداً يعتمدون عليها فى جدلهم ثم يتمحص الحق عند الذين أوتوا العلم ويخلص لهم بعد ورود كل شبهة عليه فيعلموا انه الحق من ربك فيصدقوا به فتخبت وتطمئن له قلوبهم . والذين أوتوا العلم هم الذين رزقوا قوة التميز بين البرهان القاطع الذى يستقر بالعقل فى قرارة اليقين ، وبين المغالطات وضروب السفسطة التى تطيش بالفهم ، وتطير به مع الوهم ، وتأخذ بالعقل تارة ذات الشمال واخرى ذات اليمين ، وسواء ارجعت الضمير فى « أنه الحق » الى ما جاءت به الآيات المحكمة من الهدى الالهى أو الى القرآن وهو أجلها فالمعنى من الصحة على ما يراه اهل التمكين .

هؤلاء الذين أوتوا العلم هم الذين آمنوا وهم الذين هداهم الله الى الصراط المستقيم ، ولم يجعل للوهم عليهم سلطاناً فيحيد بهم عن ذلك النهج القويم . واما الذين كفروا وهم ضعفاء العقول ومرضى القلوب او اهل العناد وزعماء الباطل وقساة الطباع الذين لا تلين افئدتهم ، ولا تبش للحق قلوبهم ، فأولئك لا يزالون فى ريب من الحق او الكتاب لا تستقر عقولهم عليه ، ولا يرجعون فى متصرفات شؤنهم اليه ، حتى تأتى ساعة هلاكهم

بغتة فيلاقون حسابهم عند ربهم . أو ان امتد بهم الزمن ، ومادّهم الاجل ، فسيصيبهم « عذاب يوم عقيم » يوم حرب يسامون فيه سوء عذاب القتل او الاسر ، ويقذفون الى مطارح الذل وقرارات الشر ، فلا يُنْتج لهم من ذلك اليوم خير ولا بركة ، بل يسلبون ما كان لديهم ويساقون الى مصارع الهلكة ، وهذا هو العقم فى اتم معانيه وأشأم درجاته

ما اقرب هذه الآيات فى مغازيها الى قوله تعالى فى سورة آل عمران « هو الذى أنزلَ عليك الكتابَ منه آيات محكْمات هنَّ أمُّ الكتاب وأُخر متشابهات . فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتَّبِعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا اللهُ . والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا وما يذَّكر الا أولو الالباب » وقد قالَ بعد ذلك : «ان الذين كفروا لن تُغنيَ عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وَقود النار » ثم قالَ : « قل للذين كفروا ستغلَبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد » الخ الآيات . وكأن احدى الطائفتين من القرآن شرح للاخرى . فالذين فى قلوبهم زيغ هم الذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم . والراسخون فى العلم هم الذين أوتوا العلم . وهؤلاء هم الذين يعلمون انه الحق من ربهم فيقولون آمنا به كل من عند ربنا فتخبت له قلوبهم وان الله لهاديهم الى صراط مستقيم . وأولئك هم الذين يفتتنون بالتأويل ، ويشتغلون بقالٍ وقيل ، بما يلقي اليهم الشيطان ، ويصرفهم عن مرامي البيان ، ويميل بهم عن محجة الفرقان ، وما يتكؤن عليه من الاموال والاولاد لن يغنى عنهم من الله شيئاً فستوافيهم آجالهم ، وتستقبلهم اعمالهم ، فان لم يوافهم الاجل على فراشهم ، فسيغلبون فى

هراشهم ،[١] وهذه سنة جميع الانبياء مع اممهم ، وسبيل الحق مع الباطل من يوم رفع الله الانسان الى منزلة يميز فيها بين سعادته وشقائه ، وبين ما يستبقيه ومايذهب ببقائه ، وكما لا مدخل لقصة الغرانيق فى آيات آل عمران لا مدخل لها فى آيات سورة الحج : هذا هو الوجه الاول فى تفسير آيات « وما ارسلنا » الى آخرها على تقدير ان تمَنَّى بمعنى قرأ وان الامنية بمعنى القراءة والله اعلم

(الوجه الثانى فى تفسير الآيات) ان التمنى على معناه المعروف وكذلك الامنيـة وهى افعوله بمعنى المُنية وجمعها امانىّ كما هو مشهور . قال ابو العباس احمد بن يحيى : التمنى حديث النفس بما يكون وبما لا يكون . قال : والتمنى سؤال الرب وفى الحديث « اذا تمنى احدكم فليتكثر فانما يسأل ربه » وفى رواية « فليكثر » . قال ابن الاثير : التمـني تشهي حصول الامر المرغوب فيه وحـديث النفس بما يكون وما لا يكون . وقال ابو بكر : تمنيت الشيء اي قدرته واحببت ان يصير الىّ . وكل ما قيل فى معنى التمنى على هذا الوجه فهو يرجع الى ما ذكرنا ويتبعه معنى الامنية

ما أرسل الله من رسول ولا نبي ليدعو قوماً الى هـدى جديد أو شرع سابق شرعه لهم ويحملهم على التصديق بكتاب جاء به نفسه ان كان رسولاً او جاء به غيره ان كان نبياً بعث ليحمل الناس على اتباع من سبقه الا وله أمنية فى قومه وهى أن يتبعوه ويتجاوزوا الى ما يدعوهم اليه ، ويستشفوا من دائهم بدوائه ، ويعصوا اهوائهم باجابة ندائه ، ومامن رسول الا وقد كان احرص على ايمان أمته ، وتصديقهم برسالته ، منه على طعامه

(١) الهراش المواثبة والمخاصمة

الذى يطعم ، وشرابه الذى يشرب ، وسكنه الذى يسكن اليه ، ويغدو عنه ويروح عليه ، وقدكان نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك فى المقام الاعلى ، والمكان الاسمى ، قال الله تعالى : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهـذا الحديث أسفاً » وقال : « وما أكثرُ الناس ولو حرصت بمؤمنين » وقال : « أفأنتَ تُكرِهُ الناسَ حتى يكونوا مؤمنين » وفى الآيات ما يطول سرده مما يدل على امانيه صلى الله عليه وسلم بهداية قومه واخراجهم من ظلمات ما كانوا فيه الى نور ما جاء به

وما من رسول ولا نبي الا اذا تمنى هذه الامنية السامية القى الشيطان فى سبيله العثرات ، واقام بينه وبين مقصده العقبات ، ووسوس فى صدور الناس ، وسلبهم الانتفاع بما وهبوا من قوة العقل والاحساس ، فثاروا فى وجهه ، وصـدوه عن قصده ، وعاجزوه حتى لقـد يعجزونه ، وجادلوه بالسلاح والقول حتى لقد يقهرونه ، فاذا ظهروا عليه والدعوة فى بدايتها وسهل عليهم ايذاؤه وهو قليل الاتباع ضعيف الانصار ظنوا الحق من جانبهم وكان فيما القوه من العوائق بينه وبين ما عمد اليه فتنة لهم

غلبت سنة الله فى ان يكون الرسل من اواسط قومهم او من المستضعفين فيهـم ليكون العامل فى الاذعان بالحـق محض الدليل وقوة البرهان وليكون الاختيار المطلق هـو الحامـل لمن يدعى اليه على قبوله ولكيلا يشارك الحق الباطل فى وسائله ، او يشاركه فى نصب شراكه وحبائله ، أنصار الباطل فى كل زمان هم اهل الانفة والقوة والجاه والاعتزاز بالأموال والاولاد والعشيرة والاعوان والغرور بالزخارف ، والزهو بكثرة المعارف ، وتلك الخصال انما تجتمع كلها او بعضها فى الرؤساء وذوي المـكانة

من الناس فتذهلهم عن انفسهم ، وتصرف نظارهم عن سبيل رشدهم ، فاذا دعا الى الحق داع عرفته القلوب النقية من اوضار هذه الفواتن ، وفزعت اليه النفوس الصافية والعقول المستعدة لقبوله بخلوصها من هذه الشواغل ، وقلما توجد الا عند الضعفاء واهل المسكنة . فاذا التف هؤلاء حول الداعى وظافروه على دعوته قام اولئك المغرورون يقولون « ما نراك الا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادي الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين » فاذا استدرجهم الله على سنته وجعل الجدال بينهم وبين المؤمنين سجالاً افتتن الذين فى قلوبهم مرض من أشياعهم ، وافتتنوا هم بما أصابوا من الظفر فى دفاعهم ، ولكن الله غالب على أمره فيمحق ما القاه الشيطان من هذه الشبهات ، ويرفع هذه الموانع وتلك العقبات ، ويهب السلطان لآياته فيحكمها ، ويثبت دعائمها ، وينشىء من ضعف انصارها قوة ، ويخلف لهم من ذلتهم عزة ، وتكون كلمة الله هى العليا ، وكلمة الشيطان هى السفلى ، « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض »

وفى حكاية هذه السنة الالهية التى أقام عليها الانبياء والمرسلين . تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم عما كان يلاقى من قومه ووعد له بأن سيكمل له دينه ، ويتم عليه وعلى المؤمنين نعمته ، مع استلفاتهم الى سيرة من سبقهم . « أحسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولمّا يأتكم مثل الذين خلو من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر

الله قريب » هذا هو التأويل الثانى فى معنى الآية ويدل عليه ما سبق من الآيات ويرشد اليه سياق القصص السابق فى قوله «وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح » الخ . وانت ترى ان قصة الغرانيق لا تتفق مع هذا المعنى الصحيح . وهناك تأويل ثالث ذكره صاحب الابريز وانى انقله بحروفه وما هو بالبعيد عن هذا بكثير . قال بعد ذكر امانى الانبياء فى اممهم وطمعهم فى ايمانهم وشأن نبينا صلى الله عليه وسلم فى ذلك على نحو يقرب مما ذكرناه فى الوجه الثانى :

« ثم الامة تختلف كما قال تعالى « ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » فأما من كفر فقد القى اليه الشيطان الوساوس القادحة له فى الرسالة الموجبة لكفره . وكذا المؤمن ايضاً لا يخلو ايضاً من وساويس لانها لازمة للايمان بالغيب فى الغالب وان كانت تختلف فى الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات . اذا تقرر هذا فمعنى تمنى انه يتمنى لهم الايمان ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح فهذه امنية كل رسول ونبى والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه فى قلوب امة الدعوة من الوساويس الموجبة لكفر بعضهم ويرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ويبقى ذلك عز وجل فى قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به . فخرج من هذا ان الوساويس تلقى اولاً فى قلوب الفريقين معاً غير انها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين » اه

وانت اذا نظرت بين هذا التفسير وبين ما سبقه تتبين الاحق بالترجيح

لو صح ما قاله نقلة قصة الغرانيق لارتفعت الثقة بالوحي وانتقض الاعتماد عليه كما قاله القاضى البيضاوي وغيره ولكان الكلام فى الناسخ

كالكلام فى المنسوخ يجوز ان يلقى فيه الشيطان ما يشاء ولانهدم اعظم ركن للشرائع الالهية وهو العصمة . وما يقال فى المخرج عن ذلك ينفر منه الذوق ولا ينظر اليه العقل . على ان وصف العرب لآلهتهم بأنها الغرانيق العلى لم يرد لا فى نظمهم ولا فى خطبهم ولم ينقل عن احد ان ذلك الوصف كان جارياً على ألسنتهم الا ما جاء فى معجم ياقوت غير مسند ولا معروف بطريق صحيح وهذا يدل على ان القصة من اختراع الزنادقة كما قال ابن اسحق وربما كانت منشأ ما أورده ياقوت . ولا يخفى ان الغُرنوق والغُرنَيْق لم يعرف فى اللغة الا اسماً لطائر مائى اسود أو ابيض أو هو اسم الكركى أو طائر يشبهه . والغرنيق (بالضم وكزنبور وقنديل وسَمَوْأل وفردوس وقرطاس وعُلابط) معناه الشاب الابيض الجميل وتسمى الخصلة من الشعر المفتلة الغرنوق كما يسمى به ضرب من الشجر . ويطلق الغرنوق والغرانق على ما يكون فى اصل العوسج اللين النبات . ويقال لِمّة غُرانِقة وغُرانِقِيّة اى ناعمة تفيئها الريح او الغرنوق الناعم المستتر من النبات الخ ولا شىء فى هذه المعانى يلائم الآلهة والاصنام ، حتى يطلق عليها فى فصيح القول الذى يعرض على ملوك البلاغة وامراء الكلام ، فلا اظنك تعتقد الا انها من مفتريات الاعاجم ومختلقات الملبسين ممن لا يميز بين حر الكلام ، وما استعبد منه لضعفاء الاحلام ، فراج ذلك على من يذهله الولوع بالرواية ، عما تقتضيه الدراية ، « ربنا لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدُنك رحمة انك انت الوهاب »

(الحديث المرسل) هو الذى سقط من سنده من بعد التابعي والجمهور يتوقفون عن الاحتجاج به لجواز ان يكون الساقط غير صحابى .

آثار علمية ادبية

((مضار اللثم والتقبيل))

امريكا مصدر العجائب ومعدن الغرائب غير ان العجائب والغرائب فيها فقدت بتجاوزها حدود التواتر الصفات اللاصقة بالشواذ والنوادر لانها حلت عند اهليها محل الاشياء العادية عند غيرهم

ومن انجب ما اتحفتنا به من غرائبها ما قرره حاكم ولاية نيوجرزي احدى ولاياتها من منع اشهى الاشياء الى الانسان ، وموضوع تغزل الشعراء فى كل زمان ، واول ماينبعث اليه بعامل الغريزة كل عاشق ولهان ، واقوى مؤكد للألفة فى قلوب الاحباب ، ألا وهو « لثم الثغور أو رشف الرضاب »

القارئ لهذا الخبر يحكم من اول وهلة ان الآمر بالمنع مصاب بخبل فى عقله ولكن الاطباء اجمعوا على حسن صنعه لان جراثيم الامراض المعدية كالحمى الوافدة مثلاً مقرها المنخران والفم فاذا لثم واحد آخر فى ثغره وكان احدهما مصاباً بهذا الداء أصيب الثانى به فى الحال بالعدوى من الانف أو الفم فالاولى بمن يريد وقاية نفسه من الامراض ان لايعرك مارن انفه بمارن انف من يقبل ثغره كما يفعل المتوحشون سكان بعض سواحل المحيط الهادى بل يحسن به ان يصافح من يريد السلام عليه باليد فان اليد خير وسيلة لتبادل التحية بين المهذبين

ولايخلو الحال من ان ينتقد قصار العقول على حاكم نيوجرزى لكونه

اصدر قراراً لا يمكنه القيام بالرقابة على تنفيذه ويسخر به والسخرية فى مثل هذه الاحوال اقرب ما يتدرع به الجهال ولكن كم الوف من المنشورات والقرارات التى لو عمل بنصوصها لاتقيت المعاطب ودرئت المصائب لم تلبث ممثلة فى حيز خواطر الحكام ألا ريثما يجف مدادها ثم اندرجت فى طيّ النسيان ودخلت فى خبر كان ؟ . .

فقرار حاكم نيوجرزى لم يكن والحالة هذه مظهراً من مظاهر الجنون ولا عملاً قصد به مجرد التحكم فى مرؤسيه من الاهالى اذ لا يسلم عقل عاقل أن رجلاً تعهد اليه امور ولاية بأسرها وينقاد لاوامره جميع سكانها يقضي شهوراً واياماً فى تشييد معالم قراره على اساسات متينة من الاسانيد العلمية بدون أن يأنس ميلاً من الاهالى الى ابطال عادة التقبيل الواضحة الاضرار بتأثيرها المادي فى صحة الانسان

فان الرجل شاهد من القوم فى ابان الامر تذمراً شديداً من ابطال عادة قديمة شائعة بينهم وهى تقبيل الانجيل بعد حلف اليمين امام القضاة وتتبع آثار المناقشات التى قامت بين القضاة والشهود بسبب ما كان يراه الفريق الاول من وجوب التقبيل وما كان ينزع اليه الفريق الثانى من الامتناع عنه واعتبر بما جنح اليه الشهود من الاصرار على الاباء وتفضيلهم دفع الغرامة المقررة قانوناً فى مثل هذه الاحوال على تقبيل كتاب لمسته شفاه الوف غيرهم من قبل . وليس الغريب فى الحادثة كلها تعنت فريقى القضاة والشهود وتمسكهما بما ذهب كل منهما اليه وانما الغريب اتحاد السلالة السكسونية فى النزعات والاميال فانه ما شاع خبر الشروع فى منع التقبيل بنيو جرزى حتى قامت قيامة الميكروبيين فى انكلترا وكندا واستراليا

ورفعوا اصواتهم مطالبين بمنع تقبيل الكتاب المقدس امام القضاة وحدثت بينهم وبين هؤلاء حادثات افضت الى مثل النتيجة التي ادى الخلاف اليها بين الفريقين في ولاية نيو جرزى

وكما يعود الى الامريكيين الفضل فى اقتراح ابطال تقبيل الانجيل يعود اليهم فضل حل هذه المشكلة على أحسن الطرق حيث قرروا تجليد هذا الكتاب بمادة السلولوئيد (مادة من السلولوز القاعدة فى تركيبها النتر والكافور) بدلاً عن الجلد لانه بحالته الجديدة يمكن غسله وتطهيره بالمواد المطهرة عقب كل قبلة

ولكن مسئلة القبلة بوجه العموم كانت قد أخذت دوراً مهماً فى المناقشات بين الناس واتسع خرقها ولم يكن تجليد الانجيل بالسلولوئد حاسما لها إذ تألفت فى الحال عصابة من الاهالي دعت نفسها «عصابة منع التقبيل» وسلمت مقاليد زعامتها لاحد نطس الاطباء فأثارت حرباً عواناً على اللثم والتقبيل وأبانت بالبراهين القاطعة مقدار ضررهما بالصحة ومن هذه الادلة ان اليابانيين يجهلون عادة التقبيل ولذا كانت جسومهم أبعد من جسوم غيرهم عن الامراض ، وقد ناقضه فى هذه الدعوى طبيب امريكي عاش طويلاً بمدينة طوكيو عاصمة اليابان حيث قال ان اليابانيين لا يجهلون عادة التقبيل العامة فى جميع الشعوب وغاية الامر أن حكومتهم منعت من تقبيل الاطفال خوفاً من وصول الامراض اليهم بالعدوى

ومهما يكن من الامر فقد استدرجت العصابة الى حزبها كبار الاطباء وثقات العلماء وقرروا اصدار منشور ببيان ما يدعو الى التخلي عن عادة التقبيل المضرة فان القبلة تنقسم الى قسمين — قبلة يقصد بها مجرد الشهوة

وهى لا يختلف اثنان فى ضررها اذ امتزاج اللعابين بارتشاف الرضاب اقوى موصل للجراثيم من المريض الى السليم . وقبلة ء طلاحية وهى التى اتفق الناس عليها لاظهار شوق أو الاعتراف بصنيع حسن وتكون عادة فى الوجنة او اليد ولسنا نرى ان ترك اثر من العاب الفم قد يكون مشحوناً بجراثيم الامراض المعدية عليهما يعد من مظاهرات الشوق او دلائل الشكر اذا كان مصير ذلك الاثر ان يكون مركزاً تنبعث منه جراثيم العدوى الى الكثيرين بواسطة من وسائط الانتقال التي يضيق المقام عن حصرها ولذا ننصح القراء بترك تلك العادة القبيحة فوق ضررها ونرجو ان يقوم بيننا امثال والى ولاية نيوجرزي ليرشدونا الى الصواب في اخص امورنا واجلبها نفعاً لنا م . م .

« الحنين الى الوطن »

قال فى المسامرة : حدثنا ابو ذر مصعب بن محمد بن مسعود الخشنى الخطيب الاديب قاضى كورة حيان بمسجد الاخضر بمدينة اشبيلية قال لما حملت نائلة بنت القرافصة الكلبية الى عثمان بن عفان رضى الله عنه كرهت فراق اهلها فقالت لضب اخيها :

ألست ترى بالله يا ضب اننى ... مرافقة نحو المدينة أركُبا
أما كان فى اولاد عمرو بن عامر ... لك الويل ما يغنى الخباء المحجّبا
أبى الله الا أن أكون غريبة ... بيثرب لا ام لديَّ ولا أبا

قال : وانشدنى ابن سكر بها بمسجد الشهداء

ألا يا حبذا وطنى واهلى ... وصحبي حين تذكرنى الصحاب

بلاد من غرانقة كرام بهم حلّى تميمىّ الشباب
وما عسل ببارد ماء مزنٍ على ظمأ لشاربه يشاب
بأشهى من تلقيكم الينا فكيف لنا به ومتى الاياب

وانشدتنى خديجة بنت عبدالوهاب بن هبة الله الصوفى القصارقول الاعرابيـة التى كان يهواها بعض خلفاء بنى العباس فتزوج بها فلم يوافقها هواء البلاد فلم تزل تنحل وتعتل وتتأوه مع ما هى عليـه من النعيم واللذة والامر والنهي فسألها عن شأنها فاخبرته بما تجد من الشوق الى البرارى واحاليب الرعاء وورود المياه التى تعوّدت فبنى لها قصراً على رأس البرية بشاطئ الدجلة سماه المعشوق يقابل مدينة سامُرَّا من الجانب الآخر وامر بالاغنام والرعاءان تسرح بين يديها وتتراءى أمامها فلم يزدها ذلك الا اشتياقاً الى وطنها فمر بها يوماً فى قصرها من حيث لا تشعر بمكانه فسمعها تنتحب وتبكى حتى ارتفع صوتها وعلا شهيقها وكبدالخليفة يتقطع رحمة فسمعها تقول:

وما ذنب اعرابية قذفت بها
صروف النوى من حيث لم تك ظنت
تمنت احاليب الرعاة وخيمة
بنجد فلم يقضى لها ما تمنت
اذا ذكرت ماء العـذيب وطيبـه
وبرد حصاه آخر الليـل حنت
لها أنّة عند العشاء وانة سحيراً ولولا انّتاها لجُنَّتِ

فخرج عليها الخليفة وقال: قد قضى ما تمنيت فالحقي باهلك من غير طلاق. فـامر عليها وقت اسر من ذلك وسرى ماء فى وجهها من حينها

فعجب الخليفة والتحقت باهلها بجميع ما كان عندها فى قصرها وكان الخليفة يهواها ويغشاها فى اهلها اذا تصيد اه

اقول ومن هذا الباب اقول بعضهم :

وحبّب اوطان الرجال اليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم   عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(طبائع الاستبداد . ومصارع الاستعباد)

كتاب جديد ظهر فى عالم الطباعة العربية - جديد فى وجوده جديد فى مباحثه ومسائله ، جديد فى حكمته وفلسفته ، وارشاده وسياسته ، حملت به فكرة عالم عامل ، ومحنّك عاقل ، حلب الدهر شطريه ، وعرف ما له وما عليه ، ولما تم حمله ، وأراد الله ان يظهر فى الوجود فضله ، وضعته تلك الفكرة الوقادة ، والقريحة النقادة ، فى ارض الحرية ، من هذه البلاد المصرية ، فكانت جريدة المؤيد ، أول مهد له تمهد ، ثم لم يلبث ان تم فصاله ، وظهر فى اثر ولاده كماله ، وتم له استقلاله ، وعم القارئين نواله ،

اطال هذا الرجل النظر فى الاستبداد . فرأى انه هو المخرب للبلاد ، وتبصر مليّاً فى الاستعباد ، فعلم انه هو المهلك للعباد ، فدرس من هذين الامرين الامرّين طبائعهما ، وتعرف مصارعهما ، ثم اتحف ناشئة قومه بنتيجة علمه ، وثمرة عقله وفهمه ، فوضع لهم بدر التمام ، على طرف الثمام ، وقرب اليهم ما كان على بعد سنين واعوام ، فجعله على مسافة يوم او ايام ،

يشتمل الكتاب على خطبة فى سبب تأليفه واهدائه للناشئة . ومقدمة

فى علم السياسة والدعوة للكتابة فى الاستبداد ويليه فصول فى تعريف الاستبداد وذويه . والاستبداد والدين . والاستبداد والعلم . والاستبداد والمجد . والاستبداد والمال . والاستبداد والاخلاق . والاستبداد والتربية . والاستبداد والترقى . والاستبداد والتخلص منه وفى هذا الفصل ٢٥ بحثاً من اهم المباحث السياسية والاجتماعية ذكرها المؤلف « تذكرة للكتاب ذوي الالباب وتنشيطاً للنجباء على الخوض فيها بترتيب » وهذا الفصل الاخير وما فيه مما لم ينشر فى المؤيد

اشار المؤلف لاسمه برمز « الرحالة ك » ليحكم الناس على القول بذاته لذاته وللناس شغف بمعرفة الفضلاء النابغين من امتهم وحفظ اسمائهم والقابهم فى الواح القلوب ودفاتر التاريخ . فأما الذين يعرفون شخص الاستاذ الهمام السيد الشيخ عبد الرحمن افندى الكواكبي الحلبي وفضله ، فيقولون اجدر بهذا الكتاب ان يكون له ، واما الذين لا يعرفونه فليحفظوا هذا الاسم الذى يطابق الرمز الى ان يجيء يوم يستبدل فيه هذا الرحالة التصريح ، بالرمز والتلميح ،

والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد بشكل كتاب (المرأة الجديدة) وصفحاته ١٨٣ وثمنه خمسة قروش ويباع فى مكتبة الترقى ومكتبة هندية ومكتبة الهلال ومن يدفع سبعة قروش اميرية يرسل اليه الكتاب مضموناً حيث كان والطلب يكون بهذا العنوان « القاهرة صندوق البوسطة نمرة ٥١٧ محمد افندى الوكيل » فنحث كل قارئ على قراءته ونرجو من مؤلفه ان يكتب لنا كتاباً آخر فى المباحث ٢٥ التى وضعها تذكرة للكتاب فلا يوفيها حقها غيره

﴿ تنبيه الافهام . الى مطالب الحياة الاجتماعية والاسلام ﴾

كتاب جديد اسمه يدل على شرف موضوعه وفائدة مباحثه من انشاء صديقنا الكاتب الفاضل رفيق بك العظم الشهير بغيرته وإجادته بمالايجيد فيه الا الأقل من كتابنا . والكتاب مؤلف من تسع مقالات خمس منها نشرت فى مجلة الموسوعات فكانت فى المكانة الاولى ممانشر فيها . وقد وشّى ذيل هذه المقالات بهوامش زادت فى فوائدها . واجدر بالذين يبحثون فى هذه الأيام عن المدنية الاسلامية كيف كانت ولم زالت وكيف ينبغى ان تكون وما النسبة بينها وبين المدنية الغربية ان يقرأوا هذه المقالات ويتدبروها ويتوسعوا فى مسائلها بحثاً وحوارا وكتابة وخطابة ودعوة الى العمل وقياماً به . وسنتحف قراء المنار بشىء منها عند سنوح الفرصة وعسى ان يسبقونا الى قراءتها برمتها وهى تطلب من صاحبها ومن مكتبة الترقى وغيرها

﴿ دليل الحيران . فى الكشف عن آيات القرآن . او (ترتيب زيبا) ﴾

لايوجد مسلم يشتغل بالكتابة والعلم الا ويحتاج للمراجعة والكشف عن آيات من القرآن الكريم فى أوقات كثيرة ومثل المسلمين من يشتغل بعلوم دينهم ولسانهم العربى فمن لم يكن حافظاً يضيع وقتاً طويلاً فى طلب كل آية يحتاج الى الوقوف عليها ولذلك مست الحاجة الى طريقة تسهل المراجعة على طالبها وقد سبق المتقدمون الى اتخاذ طرائق لم نعرف منها الا ماعرفنابه الطبع فمنها كتاب (نجوم الفرقان . فى اطرف القرآن) وهو يذكر جميع كلمات القرآن مرتبة على حروف المعجم ويذكر فى جانب كل كلمة رقم السورة اوالسورالتى وقعت فيها ورقم الآية او الآيات بالعدد . وقد

طبع فی المانیا وجعلت ارقامه افرنجیة . ومنها (ترتیب زیبا) للحاج صالح ناظم ومعناه (الترتیب الجمیل) وهو مرتب علی حروف المعجم بحسب أوائل الآیات غالباً فمتی عرفت اول الآیة تکشف فی فصل الحرف المبدوءة به تجدها . وقد جعل الفصول لاکثر الحروف علی انواع لکل کلمة مما یکثر فی الکلام نوع . فالآیات المبدوءة بکلمة « إن » نوع والمبدوءة بکلمة (اذا) نوع والمبدوءة بأدوات الاستفهام علی انواع وعلی ذلك فقس وکان هذا الکتاب قد طبع فی الاستانة العلیة ونفدت نسخه فانبری فی هذه الایام الفاضل الهمام ابراهیم بك رمزی فاعاد طبعه علی نفقته فی مطبعة (التمدن) المتقنة ولکنه غیّر اسمه بما ذکر فی العنوان وثمن النسخة منه ١٠ قروش وهو یطلب من المطبعة المذکورة بجوار ادارة المؤید بمصر

باب التربیة والتعلیم

﴿ التعلیم الفطری والمدارس(١) ﴾

(المکتوب ٤٨) من اراسم الی هیلانة فی ١٥ اغسطس سنة ١٨٥

لو انی عهد الیّ ببناء مدرسة کبری للناشئین فی امة من الامم العظیمة لبذلت وسعي فی ان ابث فی جدرانها من العلم روحاً وعقلاً

ذلك لان القائمین علی التعلیم لم یزالوا فی سبات من الغفلة عما کان لمعاهدة التربیة من التأثیر فی خیال المتعلمین خصوصاً فی سنیهم الاولی ولقد کان القدماء انفذ منا ادراکاً فی سر التعلیم بالمشاهدة وجروا فی ذلك

(١) معرب من باب الولد من کتاب امیل القرن التاسع عشر

على نواميس الفطرة الانسانية الحقة .

ليست المعابد والبيع عند جميع الامم الا مدارس اتخذها الكهنة والقسيسون فى الاديان القديمة والحديثة صحفاً لمجموع عقائدهم ومذاهبهم بما وجدوه لذلك من الوسائل الكبرى فى فن العمارة ونحت التماثيل وصناعة التصوير . وبقاء العبادات الى الآن يدلنا على درجة انتقاش الرموز والصور الاعتقادية فى اذهان العامة فان مخترعات الخيال التى يبرزها الرسم للوجود الخارجى فى صور فخيمة تبقى شائعة بين الناس بعد فناء الفكرة التى انتجتها بعدة قرون يشهد لذلك بقاء مظاهر المعتقدات الجمادية مع ان الامم قد كفت من عهد بعيد عن توهم انها لا تزال على عادتها فى عبادتها

اذا كنا قد رفعنا هياكل للآلهة الباطلة كالحرب والروع والظفر بالاعداء وجميع بلايا الانسان ومصائبه فما لنا لا نرفع للعلم هيكلاً ؟ واىّ كلفة فى هذا العمل على امة عظيمة ؟ لا يقال ان اول عائق دونه هو قلة المال وغلاء المواد اللازمة لاقامته لانى أرى اننا فى غنى عن الذهب والمرمر والخشب النفيس وفى مقدورنا ان لا نتعرض فى انشائه لشيء من صنوبر لبنان ، ولا من نفائس المعادن التى تم بها العظم والجلال لهيكل سليمان ، فان فى الجبس بل فى الورق المقوى غناء عن ذلك كله فى سبيل التربية اذا وجد له أناس صُنُع اليدين يهيؤنه ويستخدمونه فى الدلالة على المعانى وقد اصبح اليوم من الميسور تحصيل اهم مثُل الاشياء الخلقية والصناعية بنفقات زهيدة وذلك بفضل ما اخترع من افراغ صب المواد فى القواليب وان فيما يوجد بمعاهد التمثيل عندنا من تماثيل الزينة وصورها لبرهاناً ناطقاً بان فى قدرة

المصور ان ينقل الرائى الى رومة[١] وأثينا[٢] ومنفيس[٣] ببعض جولات يتحرك بها قلمه وبشيء من المغالطات البصرية لانه متى اتقن تمثيل ما يمثله من الاشياء فى شكله ولونه كاد أن يحدث فى الخيال ما يحدثه اصله من الاثر فلا عبرة بالمادة وبما يتخذ من الوسائل لبث الروح فيها مادامت الصورة تنبه المشاعر وتؤدى الى العقل معنى صحيحاً لما يراد تعريفه اياه .

كل دين اذا استكنهناه رأيناه يرجع الى فهم ما ذهب اليه اربابه من الآراء فى خلق العالم ونظامه لكن فهم هذه الآراء هو فى الغالب غاية فى الصعوبة وانه لولا الاستعانة بالرموز فى ادراكها لنبت عنها عقول الكافة نبوًا كلياً وأما الهيكل الذى أقصد رفعه للعلم فهو معرض تجلى فيه الحوادث على الناشئين بل هو تاريخ حيٌّ محسوس للعالم الذى يعيشون فيه مواده كلها موجودة لكنها متفرقة فيما عندنا من المتاحف والمكتبات والمجموعات ونحن عنها غافلون فليس من الحق ان يكلف اليافع بالتماسها فى أماكنها لان ما فى هذه الاماكن من العظام النخرة والحيوانات المصبرة وجذاذ الاوثان المكسرة انما يفيد العلماء وأما الاحداث فاللازم لافادتهم ايجاد مشهد تجتمع لهم فيه المثل الحية الكبرى للانسان وغيره من المخلوقات على صورة جاذبة لنفوسهم هذه معارضنا العامة التي تقام فى باريس ولوندرة قد تعلم منها الجهلة (وهم فى كل أمة سوادها الاعظم) من مناشئ الصناعة وتوزع الاجيال

(١) رومة هي عاصمة ايتاليا الآن وكانت فى غابر الازمان عاصمة مملكة الرومانيين ثم عاصمة لولايات السلطة الروحية ومقراً للبابا كما انها مقره الآن (٢) اثينا هى مدينة شهيرة من القدم فى بلاد اليونان وهي الآن قاعدة حكومة تلك البلاد (٣) منفيس مدينة كانت عاصمة لمصر فى الازمان الغابرة اطلالها قريبة من القاهرة

على سطح الارض واحوال الترقى فى الامم المختلفة اكثر مما يتعلمونه من جميع الكتب التى وضعت فى التدبير السياسى وتقويم البلدان فكيف اذا عزّزت مشاهدة الاشياء وكلت بتعليم خاص . تلك المعارض لا يتسنى اقامتها مسانهة وهى فوق ذلك لا تحتوى الا على طائفة من الوقائع والامور المخصوصة واذا كنت قد نوهت بها فانما قصدت بذلك ان ابين لك مايعود على الاحداث من الفائدة اذا اقيم لهم معهد آخر للعلوم تمثل لهم فيه صورها .

أصبح علم الكرة الارضية خلواً مما يستميل نفوس المتعلمين مورثاً للسآمة والضجر بمين ما رسمناه له من الخرائط والفناه فيه من الكتب أفلا يكون الحال على خلاف ذلك لو أن هذه الخرائط استعيضت بقماش تصور عليه الارض وما فيها تصويراً اذا جال النور فى ارجائه ضاعف مغالطة بصر الطفل فخيل له انه على الجانب الآخر للمحيط مثلا ؟ وليس يلزم لذلك الا مصور صادق فى عزيمته باذل نفسه من اجل البلوغ الى غايته

قام بفكر امريكى شجاع اسمه جون بانفارد يوماً من الايام ان يصور مجرى نهر المسيسيبي (١) فركبه وحده فى قارب مكشوف مصرّاً على انفاذ فكره غير مبال بما كان يعترضه من الصعوبات الكثيرة ويعتريه من الآلام الشديدة فيبست يداه وخشنتا بسبب استعمال المجذاف واحترق جلده بحر الشمس فصار عما قليل كواحد من هنود امريكا في لونه وقضى اسابيع كاملة بل شهوراً لم يصادف فيها انساناً يكلمه ولم يكن له رفيق سوى قريبته بلى كانت هذه الرفيقة تتكلم باعلى صوت كلاماً حقاً لا خطأ فيه يفهم بعض

(١) المسيسبى نهر عظيم فى امريكا الشمالية يصب فى خليج المكسيك بالقرب من مدينة نوفل اورليانس وطوله ٥٥٠٠ كيلو متر

طيور النهر والاجمة . وكان يخرج فى كل مساء من قاربه الى البر ويوقد ناراً فيشوى عليها ما يصطاده ثم يرقد ملتفاً فى غطائه مكفئاً فوقه القارب ليكون له جنة دون الحيوانات الوحشية وسقفاً يقيه طل الليل وكان عند شروق الشمس يهب من نومه ويمضى عامة يومه فى اجتياز النهر من شاطئ الى آخر على التوالى طلباً لمنظر جديد فكان يسترعي طرفه فى مكان خليج عميق وفى آخر اسراب من الطير وتستلفته فى ثالث جزيرة صغيرة عليها خضرة نضرة وهو لا يفتر عن تسويد ما يلاحظه فلم يغادر شيئاً مما يستحق التصوير الا رسمه خطفاً واختلاساً ولما فرغ من تقييد اشاراته وملاحظاته اتخذ له فى المدينة المسماة لويسفيل بولاية كنتوكي[٢] بيتاً من الخشب حيث أنشأ يصور ما قيده على القماش وما كان اطوله فقد بلغ ذرعه ثلاثة اميال . لا شك فى ان ذلك المصور كان اهلاً لان يأتى بطرفة من الطرف وان كان رسم مناظر المسيسيبي ليس فى الحقيقة الا حكاية صادقة لسفره خطها قلم الرسم خطاً بطيئاً ونحن على كل حال نرجو الله سبحانه ان يقيض لنا من يحتذى مثال جون بانقارد من المصورين وان يهبهم من الاقدام والاخلاص للعمل ماوهبه فانه لو تحقق ذلك لاصبحنا بسطح الكرة التى نسكنها اعلم مما نحن الآن بكثير .

وليت شعرى اى مانع يحول دون انفاذ عمل كهذا يكون تاريخاً للارض ومن يقطنها من الامم ؟ ربما قيل ان ذلك هو ما يقتضيه من انفاق المال الكثير فأقول هذا مسلم ولكنا ننفق فى تبديل سلاح بآخر أو طريقة

---

(١) كنتوكى هي احدى الولايات المتحدة بامريكا الجنوبية سكانها ١٨٥٥٤٥٠ نفساً وعاصمتها فرنكفورت

من طرق القتال بغيرها أو فى بناء بارجة أو اقامة حكومة جديدة متوسطة مدة بقائها ثمانية عشر شهراً على الاكثر اضعاف ما تقتضيه منا طريقة التربية المؤسسة على نواميس الفطرة الانسانية .

لاشأن لنا فى ذلك وعلينا التسليم والامتثال فان هيكلاً كالذى وصفته تتجلى فيه الوقائع والمعانى انما هو صورة من صور الخيال لا وجود له فى الخارج ولن يوجد بلا شك فيجب علينا اذن بناؤه فى المستقبل فى ذهن « اميل » بمواد اخرى . اه

(المنار) ان ما قاله المؤلف فى الاديان غير مسلم على اطلاقه ويظهر انه لم يطلع على الدين الاسلامى الذى هو دين الفطرة والمرشد الى سنن الفطرة فى التربية والتعليم وان كان يستنير باشعة شمسه من حيث لا يشعر

الاخبار التاريخية

(ملكة الانكليز)

تقدم فى الجزء الثانى والثلاثين من السنة الثالثة ذكر مولد هذه الملكة العاهلة ونشأتها وجلوسها وتتويجها وزواجها ونلم هنا بباقى سيرتها

(اخلاقها ودينها) تقدم فى مطاوي الكلام ما يشعر بدماثة اخلاق الملكة فيكتوريا وتهذيبها ويؤثر عنها شدة التمسك فى مذهبها البروتستنتى ولكنها كانت تظهر الاستياء من التحامل على رعاياها الكاثوليك . ومما يؤثر عنها فى المحافظة على يوم الاحد ان احد الوزراء أراد ان يعرض عليها أوراقاً ذات بال فى مساء السبت فرأى الوقت يضيق عن النظر فيها فاستأذنها

بان يحضر لعرضها فى صباح اليوم التالى فقالت : إن غداً الاحد ياحضرة اللورد . فقال : ان مصلحة البلاد لاتسمح بالتأجيل قالت اذن لابأس وفى صبيحة ذلك اليوم حضر ذلك الوزير سماع الوعظ فى الكنيسة مع الملكة كعادة امثاله وكان الوعظ فى « الواجب على المسيحى يوم الاحد » فلما انتهى قالت الملكة للوزير « هل أعجبك الوعظ » قال « كثيراً ياجلالة الملكة » قالت « لا اخفى عنك انى انا التى اوعزت الى الخطيب بهذا الموضوع فعسى أن يؤثر كلامه فينا » ثم أمرته ان يحضر فى اليوم التالى لعرض الاوراق ففعل . ويؤثر عنها انها قالت : « ان السر فى عظمة انكلترا هو الكتاب المقدس » وقالت : « ان التجارة وحدها لاتجعل الامة عظيمة وسعيدة وانكلترا انما بلغت ما بلغت من العظمة والسعادة بمعرفة الاله الحقيق » . نعم ان الانكليز اشد تمسكاً بالدين واقل تعصباً على المخالفين من جيرانهم الفرنساويين ولذلك تقدموا عليهم ولكن البوير اشد تديناً من الانكليز ولذلك انتصروا عليهم وقاوموهم الى الآن ولا يزال الحرب بينهما سجالا مع انهم فى الانكليز كالشامة فى جلد البعير . فليعتبر شبان المصريين الذين يتوهمون ان المدنية انما تكون بالكفر والتعطيل واتباع الشهوات البهيمية والغرور بالزخارف الظاهرية

(سياستها) الممالك انما تنهض وترتقى برجالها ووزرائها المسؤلين المحنكين ودولة انكلترا أغنى الدول بالساسة المهرة وقد رزقت الملكة فيكتوريا بانصار منهم نهضوا بالبلاد فى عهدها نهوض الاسود وهم اللورد ملبرن . والسر روبرت بيل . واللورد جون رسل . واللورد بامرستون . واللورد بيكنسفيلد . وارل دربى . وارل ابردين . والمستر غلادستون . واللورد

روزبرى . واللورد سالسبرى . هؤلاء هم الذين تولوا الوزارة الكبرى على عهدها ولهم من سائر الوزراء والنواب والحكام اعوان وانصار على شاكلتهم لانهم نتائج تعليم وتربية واحدة . ويظن كثيرون ان الملكة لم تكن الا آلة صماء لا عمل لها بذاتها ولا ارادة لها فى حكومتها والصواب انها كانت تنظر الاشياء الكلية وتبدى رأيها فيها . ومن الشواهد على هذا ان فى اللورد ملبرن حاول اقناعها بالادلة الخطابية بأن تصدق على مشروع مهم وكان يخاف ان لا ينجح فى ذلك فنوه بأمر المشروع ما شاء ان ينوه وقال « انه ياجلالة الملكة عظيم الاهمية » فقالت له : « ان اعظم المسائل واهمها عندي الآن هو امر التوقيع على مشروع لم أقتنع به »

وقد اتسع عمران الدولة البريطانية على عهدها فقد كانت مساحة البلاد الانكليزية ومستعمراتها يوم تولت عليها ٨٣٢٩٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها ١٦٨ مليوناً وما تولت عنها الا ومساحتها تزيد على ١١٢٥٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها يزيدون على ٤٠٠ مليون . وكان دخل الحكومة الانكليزية حين وُليت ٥٠ مليون جنيه من بلادها و ٢٥ مليون من الهند وبلغ قبل أن وَلت ١٢٠ مليوناً من بريطانيا وحدها ونحو ٧٠ مليوناً من الهند وثلاثين من استراليا و ٢٠ مليوناً من سائر المستعمرات

وكان للملكة نفوذ شخصي عظيم فى اوربا لكونها امرأة ولكبر سنها ولوشيجة الرحم المشتبكة بينها وبين اعظم ملوك الارض كعاهل الالمان وقيصر الروس . فكانت تحل بكتاب تخطه يمينها ما لا تحله النفاثات فى عقد السياسة من بواقع الرجال . ولذلك يظن ان بريطانيا قد فقدت بفقدها شمس المجد ونجم السعد وانها لن تكون بعدها كما كانت والله علام الغيوب

(تهنئة واستماحة) نهنئ القراء الكرام بعيد النحر المبارك وبمناسبة العيد وترك عمال المطبعة العمل قبيل نصف الشهر لا يصدر منار نصف ذي الحجة فنرجوهم السماح

(وسام الافتخار المرصع) انعم مولانا السلطان الاعظم ايده الله تعالى على اخلص المخلصين لذاته الكريمة عطوفتلو احمد عزت بك العابد بهذا الوسام العلي الشأن الذى هو جدير به فنهنئ عطوفته بذلك

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

(السنيون والشيعة فى حمص)

كتب الينا الاديب المهذب الحاج محمد طه السكاف الحمصى رسالة مطولة يشرح فيها اموراً تقع فى بعض القرى التابعة لحمص من الخلاف والنزاع والتفرق والشقاق بين الفريقين الذين يدعون اهل السنة والذين يدعون الشيعة وذكر بعض المسائل الخلافية التى يكثرون فيها الجدال والمراء كمسح الرجلين فى الوضوء والمتعة والمفاضلة بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم . ومن اعجب ما ذكره قوله ان العلماء فى حمص يكفرون الشيعة بمسئلة مسح الرجلين ويمنعون الناس من اكل ذبائحهم مع انها مسئلة اجتهادية ويشهد لمذهب الشيعة فيها ظاهر القرآن فان اعراب « وامسحوا برؤسكم وارجلكم » على قراءة النصب بالعطف على المحل اقرب من اعرابها على قراءة الجر بأن الارجل مجرورة بالمجاورة بل هذا غير معروف عن العرب

فى مثل هذا التركيب . ولا ينافى صحة المسح ثبوت الغسل فى السنة فانه مسح وزيادة ولذلك ارجحه بالعمل مع الاعتقاد بمقابله . وعهدنا بالعلماء الراسخين انهم يتوقفون عن تكفير من يخالفهم فى الاصول الدينية اذا كان متأوّلاً وان كانت مما يكفرون به غير المتأوّل .

وذكر الكاتب مسئلة فظيعة جداً وهى ان رجلين (احدهما الملازم مصطفى اغا والثانى احمد بن على الداغستانى) شتماه ولعناه وضرباه على وجهه بالنعال حتى كاد يموت ذلك بأنهما اتهماه ببغض سيدنا الصديق رضى الله عنه وشتمه وما كان الصديق شتاماً ولا لعاناً ولا معتدياً ولا رامياً للناس بالبهتان . وقد كانا سألاه عن الصديق فذكره بالخير واستمطر له الرضوان من الرحمن فلم يعبآ بقوله ولكن بما نم عليه الفاسقون . ثم انه ثبتت براءته عند القاضى الشرعى بعد ما لبث فى السجن سبعة عشر يوماً

هؤلاء الناس يزعمون انهم على هدى الاسلام ، وسنة النبي عليه الصلاة والسلام ، الذى أُمر ان يخاطب عبدة الاصنام ، بمثل « وانَّا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين ، قل لا تسألون عما اجرمنا ولا نسأل عما تعملون » ولولا هذه الطريقة الالهية المثلى لما ألفت قلوبهم « لو أنفقت ما فى الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم » .

هؤلاء المتحمسون المتعصبون وامثالهم هم الذين فرقوا كلمة هذا الدين وجعلوا اهله شيعاً حتي صار بأسهم بينهم شديداً ، وذهبت ريحهم ، وخبت مصابيحهم ، وتقوضت صياصيهم ، وتمكن العدوّ من نواصيهم ، وذاقوا مرارة الخلاف ، وآن لهم ان يعودوا الى الائتلاف ، فعسى ان يكون العلماء أول من يسعى بجمع كلمة المسلمين ووحدتهم

بعض البدع فى زيارة قبور الاولياء

قال العلامة الالوسى فى باب الاشارة من تفسير سورة النور مانصه قوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها » إشارة الى انه لاينبغى لمن يريد الدخول على الاولياء ان يدخل حتى يجد روح القبول والاذن بافاضة المَدَد الروحانى على قلبه المشار اليه بالاستئناس فانه قديكون للولى حال لايليق للداخل ان يحضره فيه وربما يضره ذلك . واطرد بعض الصوفية ذلك فيمن يريد الدخول لزيارة قبور الأولياء قدس الله تعالى اسرارهم فقال ينبغى لمن اراد ذلك ان يقف بالباب على اكمل ما يكون من الادب ويجمع حواسه ويعتمد بقلبه طالباً الاذن ويجعل شيخه واسطة بينه وبين الولى المزور فى ذلك فان حصل له انشراح صدر ومدد روحانى وفيض باطني فليدخل والافليرجع . وهذا هو المعنى بأدب الزيارة عندهم ولم نجد ذلك عن احد من السلف الصالح .
والشيعة عند زيارتهم للأئمة رضى الله تعالى عنهم ينادى احدهم : أأدخل يا امير المؤمنين او يا ابن بنت رسول الله عليه الصلاة والسلام او نحوذلك ويزعمون ان علامة الاذن حصول رقة القلب ودمع العين وهو ايضاً مما لم نعرفه عن احد من السلف ولا ذكره فقهاؤنا وما اظنه الا بدعة ولا يعد فاعله الا مضحكة للعقلاء . وكون المزور حياً فى قبره لا يستدعى الاستئذان فى الدخول لزيارته .وكذا ماذكره بعض الفقهاء من انه ينبغى للزائر التأدب مع المزور كما يتأدب معه حياً كما لايخفى

وقد رأيت بعد كتابتى هذه فى « الجوهر المنظم فى زيارة القبر المعظم » صلى الله تعالى على صاحبه وسلم لابن حجر المكي ما نصه : قال بعضهم

وينبغى ان يقف يعنى الزائر بالباب وقفة لطيفة كالمستأذن فى الدخول على العظماء انتهي وفيه انه لا أصل لذلك ولا حال ولا ادب يقتضيه انتهى . ومنه يعلم انه اذا لم يشرع ذلك فى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام فعدم مشروعيته فى زيارة غيره من باب اولى فاحفظ ذاك والله يعصمنا من البدع واياك اه

« الموالد »

جاء فى جريدة الوطن الغراء تحت هذا العنوان ما نصه

حضرات القراء أو المشتركين من عوام المسلمين وعلمائهم وفقرائهم وأغنيائهم لا تتوهموا أني مسيحي او اسرائيلي أ بوذي لا وشرف الاسلام وذويه ما انا الا رجلا مسلماً (كذا) أ باً واماًوجدوداً قدكنت فى شبيبتى جاهلا والشباب جنون لا أدرى ما هو الدين ولا ما هى الفضيلة . كنت اغضب اذا ارشد العالم الى الحقيقة واجارى الجهلاء فى تسميته (فيلسوف) اى غير مسلم حسب زعمهم مع أن المعنى بضد ذلك — وأفرح وينتعش فؤادى من خزعبلات الجهلاء التى ما اضر العوام الا الاصغاء اليها ولا اوقف الدين فى احرج المواقف الا تقاعس العلماء وتركهم هؤلاء الجهلاء يخوضون صفوف الدين ويهددون حصونه بترهاتهم الكاذبة حتى من الله علىّ بذرة من العقل وأبلغنى من العمر التاسعة والعشرين وارشدنى الى الطريق القويم فذهبت الى طنطا فى المولد الرجبي هذا العام ونظرت الموكب الذى يقوم به رجال الطرق والاشاير نظرة افقدت حواسي من شر ما لاقيته من الخرافات التى أفضت بالدين الاسلامى فى البلاد المصرية الى هذه الدرجة لقيت اللصوص والمتفقهين يذكرون الله بالسنتهم وعيونهم تتغازل مع النساء

وأفواههم ترسل واسع التقبيل اليهن .

لقيت الفقهاء يرتلو ن آيات القرآن فى الطريق . لقيت الطبل والزمر يشنفان الآذان . لقيت المغنيين ينشدون (عزيز حبك) و (كان عقلك فين) . لقيت النساء حاملات أولادهن على اكفهن خلف المواكب يزغرتن كأن السيد يزف للختان أو للتأهيل

هل اصل الموكب ياحضرات العلماء كان كما نراه الآن وهل كانت هذه الخرافات موجودة فيه فى الزمن السابق أم كان بخلاف ذلك وهل هذه البدع من ضمن واجبات الدين والسيد محتاج اليها أم لا . اسئلة نوجهها الى حضراتهم ونرجوهم الاجابة عليها وعن الباعث لتغاضيهم عن ابطال هذه العادات الخبيثة حتى نكتفي مؤنة تضاحك الغير علينا ولهم جزيل الفضل . اه بحروفه (اسماعيل يسري بالقرشية)

(النعل المعبودة)

ان فى مقام الشيخ الكلشنى المشهور بالولاية نعلاً عتيقة منسوبة لهذا الشيخ يعتقد عوام المصريين ان فيها سراً عجيباً وهى ان نقاعتها تطفىء نار العشق وتبرد حرارة الغرام ، وانها على العاشقين برد وسلام ، وان لها فوائد اخرى وهى دائماً منقوعة فى الماء فيأتى النساء والرجال ويشربون من ماءها للتبرك به . ومن كانت تتهم زوجها أو غير زوجها ممن يهمها شأنهم بالعشق تسقيه شيئاً من هذا الماء ولو بحيلة لا يشعر بها كأن تجعل الماء الذى تجتلبه من نقاعة النعل فى سقائه او تمزجه بشرابه . سمعت هذا من كثيرين وسأقصد مشاهدته بنفسى ان شاء الله تعالى . اما كون هذا عبادة فسيأتى بعد

(المجلد الرابع) الجزء الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر فى يوم السبت غرة محرم الحرام سنة ١٣١٩ — ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١ ﴾

الانتقاد

« من مقالات مولانا الاستاذ الحكيم صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده »
« مفتى الديار المصرية »

﴿ ما وعظك مثل لائم ✻ وما قوّمك مثل مقاوم ﴾

الانتقاد نفثة من الروح الالهيّ فى صدور البشر تظهر فى مناطقهم سوقاً للناقص الى الكمال وتنبيهاً يزعج الكامل عن موقفه الى طلب الغاية مما يليق به . الانتقاد قاصف من اللائمة تتنفس عنه القلوب وتنفتق به الالسنة لتقريع الناقصين فى أعمالهم ودفع طلاب الكمال الى منتهى ما يمكن لهم

جعل الله للحياة قواما وقوام الحياة بالادراك

انما الانسان كون عقليّ سلطان وجوده العقل فان صلح السلطان ونفذ حكمه صلح ذلك الكون وتم امره . ان الله لم يهمل العقل من ناصرين عزيزين حاذقين احدهما له والثانى له وعليه أما الاول فما قرن الله به من غريزة الميل للافضل ، والاصطفاء للأمثل ، وأما الثانى فما ألزمه

الصانع من الانقباض عن الدون ، والنفور عن منازل الهون ، فذاك يحدوه ، وهذا يسوقه ، وذاك يزين له الطلب ، وهذا يزعجه الى الهرب ، وكل منازل العقل صعود الا ادناها فعجز يقف بأهله على شفير العدم ، وكل منزلة بعد الادنى دنوٌّ من الكمال ، غير ان ما يسمو اليه العقل ، أشبه بما ينبسط اليه الوجود ، يمتد الى غير نهاية ، ويرتفع دون الوقوف عند غاية ، فليس يصل منتجع الكمال الى مقام الا ويرمى بطرفه الى ابعد منه . ومساقط العجز وبيئة المقام ، كثيرة الآلام ، تستوكرها افاعي الهموم ، وغائلات الغموم ، وقد جعلها الله من وراء العقل كلما التفت اليه راعه هول منظرها فتحفّزَ عنها ، الى منجاه منها ، ولا يزال يزجيه الخوف وتطير به الرغبة حتى يدنو من رفرف السعادة الاعلى

ولكن كلال البصائر البشرية قد يقف بها عند مظاهر غرارة ، وظواهر ختَّارة ، فتخالها طلبتها ، وتحسبها منيتها ، ولا تدرى ان بها هلكتها وفيها منيّتها ، فمثلها مثل الطير ينظر الى الحب المنثور ويَعْمَى عن الفخ المنصوب فاذا سقط للالتقاط وقع فى يد الحابل أو مثل المفترس يلوح له لائح الفريسة ولا يشعر بما أعد له صائده فاذا وثب عليها اتاه الصائد من مقتله ، وأعجله عن مأكله ،

لهذا وكل الله بالعقل منبهاً لا يغفل ، وحسيباً لا يهمل ، وكالئاً لا ينام يزعج الواقف ، ويحثحث المتريّث ، ويمسك الراجف ، ما سكن ساكن الى حال ، ولا قنع قانع بمنال ، الاهتف به ان ماتطلب امامك . ولا أوغل موغل فيما لا ينفعه ، ولا أوضع موضع الى ما يضره ، الاصاح به : تعست الجدود ، وأضرعت الخدود ، فخفض من سيرك ، وقوّم من سيرك والافالذل مقيلك ،

والهلكة مصيرك . ذلك الواعظ الحكيم والمؤدب العليم هو (الانتقاد) ينبث فى الفؤاد ثم يتجلى فى البيان ، على أسلَةِ اللسان ، فيفقهه العالمون ، ولا يهمله العاملون ، «فطرة الله التى فطر الناس عليها» أودع فى كل ناطق بصراً بشأن غيره أشد احاطة من بصره بشأن نفسه ومكن كلاًّ من تمييز أحوال الآخر حسنها من قبيحها ، وفاسدها من صحيحها ، ثم دفعه للنطق بما ألهمه ، والقضاء بما أحكمه ، فكان لكل انسان ابصار بعدد الناظرين اليه ، والعارفين بما عليه عمله ، كلها كبصره تريه الخير فيطلبه ، وتكشف له الشر فيجتنبه ، وجعل الله الناقدين اقساماً فمنهم ناظر الى الفضل لايعدوه فهو يذكر المنقبة ، ويغُض عن المثلبة ، ومن هذا القسم المفرطون فى الوفاء من الاصدقاء . ومنهم رقباء النقائص وجواسيس العيوب يروُون المساآت ، ويسكتون عن الحسنات ، وفيهم الحسّاد ، واهل الاحقاد ، ومنهم ناظرون بالعينين ، عارفون بالوجهين ، يذكرون للكمال نُبله ، ويلزمون النقص ويله ، وهؤلاء فى أعلى المنازل وفيهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله * ومن الناقدين فاسقون يكتمون ما يعرفون ، ويهرفون بما لا يعلمون ، وهم فى أخس المنازل . وليس فى الناس الا من تجتمع هذه الاقسام له وعليه . وما جعل الله بشراً يسلم منها ويحرم من بعضها فكأنها التى قال فيها « وان منكم الا واردها » وكلها صدى صوت الكمال الالهي الأعلى ينادى الكاملين ان يستزيدوا ، والناقصين ان يستجيدوا ،

هل لجاحدٍ ان يصغرِ قدر هذا الحسيب على أيّ وجه كان حسابه ؟ أو لجاهل ان ينكر حكمة الله فى تقييضه لنا ؟ او لواهم ان يذهب الى انه ليس من نظام الفطرة ؟ وانى أحيلك على خواطر نفسك اذا بلغك وانت

غربى مثلاً ان ملك الصين غدر بأحد أوليائه أو استصفى أموال رعيته او كلفهم ما لا يطيقون احتماله او اهمل فى مصلحة بلاده حتى تجرأ عليها اعداؤها او جبن عن دفع حادث ألم به وكان يستطيع دفعه ألا ترى من قلبك امتعاضاً عليه ومن نفسك ازراء بعمله وفى لسانك لهجة بلومه وهو منك على بعد المشرقين ؟ ولئن وصلت اليك روايات عدله ورعايته حقوق بلاده وحفظه لذمامه وجدت اليه من فؤادك ميلاً ومن رأيك لعمله استحساناً ومن لسانك عليه ثناء

ولو شئت حاكمتك الى مذاهب ميلك عندما تنظر فى تاريخ لمن سبقك فان مثَّل لك النظر فضلاً فى سيرة ، أو خزية فى جريرة ، ألست تجد من ميلك انبساطاً الى فواضل الغرر ، وانقباضاً عن مخازن العرر ، ثم انطلاقاً الى نشر ما وجدت ثم رأيت عضداً منك لاحدها كأنه قائم يستنصر فانت تنصره ، وتغيظاً على الآخر كانما يدعوك لعونه فانت تخذله ،

لا جرم ان النقد نائرة غريزية تقدح شررها على السابقين واللاحقين وكل نقد فحشوه لوم حتى ما كان منه قاصراً عند بث المحمدة والاقرار بالفضيلة فان حمد الكامل عذل للناقص على التقصير وازعاج للمحمود وزجر له عن ملابسة الاعياء فكأنى وصاحب الثناء يقول : ألا أيها القاعدون انهضوا ، ويا أيها المبرزون اركضوا ، واحذروا الوقفة فانها بداية القهقرى . تلك اقلام الحق ، فى السنة الخلق ، لا يصم عن نداءها الا أصم ، ولا يغبى عن انذارها ألا أبهم ،

على ذلك قام النظام الانساني فلولا الانتقاد ما شب علم عن نشأته ، ولا امتد ملك عن منبته ، أترى لو اغفل العلماء نقد الآراء واهملوا

البحث فى وجوه المزاعم اكانت تتسع دائرة العلم ، وتتجلى الحقائق للفهم ، ويعلم المحق من المبطل ؟ اولو اغمض الاعداء والاولياء عن سياسة السائس ، وتدبير الحاكم ، وهجروا النظر فى قوة الملك ، ولم يقرعوا كل عمل بمقارع النقد ، اكانت تستقيم محجة ، وتعتدل حجة ، او تعظم قوة ؟ كلا بل كان يحكم الغرور ، وتتسلط الغفلة ، ويعود الصواب خطلاً ، والنظام خللاً ، تلك سنة الله فى الاولين ، وهى كذلك فى الآخرين ،

فالمغبوط فى حاله من يستمع قول اللائمين ، ويستطلع خواطر المعترضين ، ويتصفح وجوه المتنكرين ، ذلك روح الحياة فيه يطلب حاجاته ، ويتحفظ من آفاته ، وليس فيما يملك الحازمون انفس لديهم ، من الانحاء عليهم ، بما ينبهم اذاغفلوا ، ويعلمهم اذا جهلوا ، ويهديهم اذاضلوا ، وينعشهم اذا زلوا ، وكما توجد نفائس الارشاد هذه عندالاولياء ، توجد عند الاعداء ، بل هي عند هؤلاء اجود فانهم يرفعون للمعايب اعلاماً بينة حتى لاتعود فيهاشبهة لناظر واحجى بالعقل ان لايمج من الانتقاد شيئاً حتى اكاذيب اهل الضغينة ، ورجوم ذوي السخيمة ، على مخالفتها للحقيقة . فان اباطيل اللوم تكون للعقل بمنزلة المسالح تقام فى الثغور زمن السلم حذراً مما عساه يطرقها من عدوان المغيرين عليها واقل ما يكون من العاقل فيها ان يقول : قيل فينا ولم نعمل فكيف بنا لو عملنا . فهي ان لم تهده الى مطلب ضل عنه ، ولم ترد اليه فائتاً كان ينفلت منه ، فقد تحفظه من السقوط فيما يجعل الكذب صدقاً ، والباطل حقاً ، فمن فسق لسانه ، وخالف بيانه جنانه ، وجاء يغير الحق فى ثلب غيره فقد افسد نفسه لصلاح عدوه ولله ما يقول بعض الصوفية : جزى الله الاعداء عنا كل خير فلولاهم ما نزلنا منازل القرب ، ولا حللنا

حظائر القدس . هذا وقد كفر قوم نعمة الانتقاد فظنوا صنع الله فيه عبثاً «نعوذ بالله» فوقَروا عنه آذانهم ، وعطلوا من ناحيته سمعهم ، وجعلوا اصابعهم فى صماليخهم (١) من صواعق زجره ، وقواصف نهيه وامره ، وضربوا بينهم وبين اهل النقد حجباً ، واقاموا دونهم استاراً ، وخيّل لهم الجهل ان صممهم عنه ، يقيهم منه ، وان قبوعهم فى أُهَب الغفلة (٢) يدرأ عنهم سهام اللوائم كأنهم لا يعلمون ان ذلك وقوع فى اشد مما خافوا ، واندفاع الى شر مما رهبوا ، فمثلهم كمثل بعض الطيور اذا رأى الصائد غمس رأسه فى الماء ظناً منه انه متى اغمض عن طالبه اغمض الطالب عنه فيكون بذلك قد يسر للصائد صيده ، وسهل عليه كيده ، ومن ثم تجدهم فى عمى عن شؤونهم وتخبط فى اعمالهم قد لزموا خطةً من الهون لو ابصر عقلهم بعض اطرافها لماتوا جزعاً من هول مافيها . كل ذلك واسلات الألسن واسنة الاقلام لاتألوا فى تقريعهم بل وصوت الحق الصريح يناديهم من عمائق ضمائرهم بئس ما اشتريتم لانفسكم لو كنتم تعلمون . وليُّهم عاتب ، وعدوهم عائب ، وهم فى غفلة من هذا بل لايشعرون

اولئك الذين ختم الله على سمعهم وطبع على قلوبهم فرقوا من ناموس الفطرة الالهية فهم اموات الارواح ، مضطربوا الاشباح ، ولا تنشق عنهم قبور الخمول حتى ينشرهم الله فى حياة اخرى يخضعون فيها للأحكام الكونية ويعملون على السنن الالهية ، فلينتظروا انا معهم من المنتظرين

---

(١) الصماليخ ج صملاخ وصملوخ وهو داخل خرق الاذن ويطلق على وسخها (٢) الاهب بضمتين جمع أهاب ككتاب وهو الجلد الذى لم يدبغ او أعم

القسم الديني

﴿ الطلاق فى الاسلام ﴾ (١)

ان اباحة تفارق الزّوجين هى نقطة متوسطة بين التغالى فى الاطلاق الموجودة فى الزنا الذى هو صحبة ساعة وبين التغالي فى القيد الذى هو التزام عدم انفكاك الاقتران مدى العمر وحد وسط بين طرفي الافراط والتفريط كما هو مشرب المنهج الاسلامي فى كل الامور . وفيه تسهيل للزواج والمناكحات الرادعة عن الالتجاء للزنا اذ يستصعب الزواج اذا لم يمكن الفراق . واننا لاننكر مافى التفارق من المضار التى ربما تحدث عنه ولكنها لاترجح عما فيه من المنافع التى تستلزمه عند الموازنة الصحيحة . ولايخفى ان ماتساوى طرفاه نفعاً وضراً فالشأن فيه الاباحة التى هى الاصل فى كل أمر وجانب الاطلاق مرجح عن جانب القيد اذا تساويا

هذا وان الطلاق كذلك اذا لم يكن لعذر أو إلجاء ضرورة فليس بمباح تماماً كسائر المباحات فى الشرع الاسلامى بل هو من قسم المكروهات التى لايستحسنها الشرع الاسلامى . ويعتبر الطلاق شأن السفهاء لان الشرع الاسلامي ينهى عن الجفاء بكل أنواعه. ويحث على الشفقة والانصاف والمروءة وحفظ الوداد والعهد . وانما الطلاق لابأس به اذا لم يمس بشىء من هذه المذكورات اى اذا لم يكن فيه مخالفة للانصاف والمروءة الخ .. فلا يكون الطلاق حينئذ الاكناية عن فرج ومخرج من ضنك المعيشة التى ربما تحدث بين الزوجين ولا مناص عنه الابافتراقهما واستغناء كل

(١) المقالة لأحد علماء حلب وجاءت فى رسالة مكاتب المؤيد في الاستانة العلية

منهما عن الآخر او استعواضه من هو خير له منه اذ ربما يبقيان على كره منهما أو احدهما فيكون نكد العيش الدائم لولا الطلاق

أترى اذا كان الرجل عنيناً والمرأة شابة حسناء وصار هو يحب الانفراد والانزواء وصارت هي تميل لاتيان ماتأتي النساء ولم يكن لاحدهما حاجة بالآخر فعلام نلزمهما بالتزام مالا يلزمهما من الحجر الدائم عن مبتغاهما؟ أرأيت اذا تباغضا لاسباب ما فعلام نلزم كلا منهما بالتزام صحبة بغيضه مدى عمره ؟ أرأيت اذا علم الرجل أن امرأته زانية وأراد ان يفارقها بدون ان يفضحها ويثبت عليها مايخل بشرفها . أرايت اذا عجز عن اثبات ما علمه من اتيانها الزنا فكيف نجبره على هذا الضيم؟ . ولقد رأينا كثيراً في بلادنا ممن يتدينون بتحريم المفارقة بدون ثبوت الزنا يعلمون الزنا من نسائهم ولا يقدرون على اثبات ما علموه فيمكثون على هذا الضيم مدى عمرهم كاتمين غيظهم بالرغم عنهم . فلمثل هذه الحكم اباحة الطلاق لا لأجل محض الشهوة ولذلك لاترى من أهل الاسلام المتربين على فضائل الاخلاق الاسلامية من يطلق زوجته لغير عذر مقبول من مثل هذه الاعذار . فان قيل: «فعلى هذا ينبغي ان يكون ابطال عقد الزواج متوقفاً على رضى كل من الطرفين معاً كسائر العقود . أو بيد كل منهما فأيهما لم يطب عيشه لدى صاحبه يفارقه لا ان يكون الرجل هو المالك لذلك دون المرأة » فنقول ليست اصول تفارق الزوجين في نظام الاسلام كما يتوهمه الغالط بل ان تفارق الزوجين اما ان يكون بابطال عقد الزوجية وفسخ المقاولة بحيث يرد كل منهما ماتملكه بالعقد فتسترد المرأة ماملكته للرجل من اباحة نفسها له دوماً واختصاصه بها ويسترد الرجل ما جعل لها من المال بمقابلة هذه الاباحة

الدائمة كله أو بعضه بحسب مايتراضيان عليه حين التفاسخ . فهذا التفارق بالتفاسخ يتوقف على رضاء الطرفين كسائر العقود ويسمى هذا النوع بالخلع أو المخالعة . واما ان يكون تفارق الزوجين على صورة الطلاق وهى أن يترك الرجل حق استباحته الدائمة للمرأة مع استكمال المرأة كل ماجعل وشرط لها من المال والنقد . فهذا أمر موكول للزوج الا اذا شرط فى أصل عقد الزواج بينهما أن يكون للمرأة ايضاً حق تطليق نفسها من الزوج فيراعى هذا الشرط وحينئذ متى شاءت طلقت نفسها واستردت تمليك بضعها الدائم لزوجها بدون ان يستردهو شيئاً أو ان يمتنع عن تأدية ماشرط لها حين العقد . وبذلك تعلم ان اصول المفارقة بين الزوجين منظور فيها لصورة اصل عقد الازدواج وصورة نقضه وانفكاكه . وان ما شرط فى أصل العقد مرعيّ وليس للزوج الا الرجحانية على المرأة بأنه اذا لم يشترط فى العقد شيء كان أمر الطلاق بيده دونها وحيث كان هذا أمراً معلوماً مشهوراً بين سائر أفراد الملة الاسلامية فيمكن لكل امرأة أن تشترط فى زواجها ان يكون أمر طلاقها بيدها فتساوى الرجل فى هذا الاستحقاق وانما كان أكثر النساء لا يشترطن ذلك لعدم الثقة منهن أن يتثبتن كتثبت الرجال على محافظة بقاء الزوجية لانهن بمقتضى تركيبهن الطبيعى اقل احتمالاً وتصبراً واشد خفة وطيشاً من الرجال واسرع تأثراً بالغضب لرقة بشرتهن ونقاوة عصبهن وكثيراً ما يستفزهنّ الغضب من سبب جزئى لا يقاع الطلاق بدون استيجاب السبب له فيوقعن الطلاق فى حال استيلاء الحدة عليهن ثم يندمن على مافرط منهن فلو اشترط الطلاق لهن دائماً لفشا وقوعه وكثر توقعه مع ان كثرة وقوعه بغير السبب الداعى يستوجب الندامة وكثرة

توقعه مخل بانتظام الراحة والتئام الالفة الروحية . وهو متوقع من جانبهن اكثر من توقعه من جانب الرجال

ولذلك كانت الارجحية للرجل على المرأة فى الطلاق بأن الاصل فيه أن يكون بيده دونها اذا جرى العقد على غير اشتراط شيء وللمرأة ما يقابل هذه الرجحانية التى للرجل وهي كون المهر الذى هو كالثمن يلزم من جانبه لها لا من جانبها له . وكذلك كل ما يقضى لها من النفقة أسوة أمثالها والمصارف البيتية عائدة عليه دون ان تكلف هى بأدنى شيء حتى ان لها عليه ان يقدم لها الطعام مطبوخاً مهيئاً بدون ان تتكلف بطبخه . وليس له ان يكلفها بشيء من الخدم الشاقة أو السافلة مع انه مكلف بتكبد المشاق فى سبيل الكسب لاجل النفقة عليها الا ان سامحته ببعض نفقتها أو سايرته بالتزام ما لا يلزمها من بعض خدمتها . وعليه كل نفقة ما يولد لهما من الاولاد حتى ليس له ان يجبرها على ارضاع ولدها . بل عليه ان يستأجر له مرضعاً غيرها اذا امتنعت هى عن ارضاعه .

ولا يخفى أن الارجحية التى أعطيت للمرأة هى الانسب بضعفها والارجحية التى أعطيت للرجال هى الانسب بقوة تثبتهم لا سيما وانه قد دفع المهر الأول ثم يلزمه عند المفارقة دفع المهر المؤخر فقل أن يسمح الرجل بتضييع هذه الاموال التى يدفعها فى المهر الاول والمهر الثانى بدون سبب ملجيء وداع قويّ . وحيث كان الاصل فى نظام الزوجية ان يدفع الرجل للمرأة ما يرضيها من المهر اسوة امثالها وان يشترط لها عند المفارقة مهراً ثانياً كان الاصل فى المفارقة التي تقتضى خسارته فى هذه الاموال دونها ان تكون موكولة اليه ولا يخفى على المنصف المتبصر مناسبة

الاصلين فى الجانبين ولياقتهما بحال الطرفين فلا يقال لماذا لم يكن الاصل فى الزواج ان يكون المهر من المرأة والرجحانية لها فى أمر المفارقة او ان يكون بدون مهر ولا رجحانية لاحدهما على الآخر فى شأن الطلاق . بل أيّ منهما اراد الطلاق اوقعه لان المرأة اذا ملكت امر الطلاق كذلك اكثرت ايقاعه رغماً عن الزوج وليس كذلك الرجل ولذلك لا تكاد ترى من يطلق زوجته الا بعد نفورها وطلبها الطلاق او تسببها له كما ان الرجل بحسب ما فيه من زيادة الاستعداد الطبيعي للكسب ينبغي ان يكون هو المعيل للمرأة فلذلك كان عليه المهر والنفقة .

نعم قد يكون الانسب بحال الطرفين بالنسبة لبعض الافراد مخالفة هذا الاصل وحينئذ يمكن الجري على خلافه بواسطة الاشتراط وانما كان هذا الاصل بالنظر لما هو الاصلح بالنسبة لحال الاكثر ثم ان من لم تشترط الطلاق لنفسها ولا يمكنها مفارقة زوجها عن امرها اذا ظلمها حقها بعدم ايفاء ما يترتب عليه لها او كلفها فوق ما يترتب له عليها ترفع امرها للحاكم فينهى الزوج فان لم ينته يجبره على طلاقها او يفرق بينهما مع تغريم الرجل كل ما اعطاه وشرطه لها حين العقد . فيكون حكمها كحكم من اشترطت الطلاق لنفسها فلا يتمكن الرجل من ظلم المرأة ولا المرأة من ظلم الرجل ولا يجبران على ضيم بكل حال . ثم انهما مهما تفارقا فلهما ان يتلافيا ما فرط منهما ويتراجعا اهـ . بالحرف

(المنار) نشرنا المقالة بحروفها على مافيها من الخطأ اللغويّ لما هى عليه من الصواب والسداد فى المعنى والابانة عن محاسن الحنيفية السمحة فلله دركاتبها الفاضل . وقد كنا نتذاكر فى مسئلة الطلاق مع صاحب الدولة

رياض باشافقال : زادعلينا الافرنج المتقدون فى التوسع بالطلاق حتى قرروا اخيراً ان يستقل به كل من الرجل والمرأة بعد ماكان مشروطاً عندهم باتفاقهما

الفقه الاسلامى

كتب بعض الشيوخ من اهل العلم الواقفين على احوال العصر المتألمين من تأخر المسلمين وضعفهم مكتوباً مطولاً الى صديق له فى القاهرة ينتقد فيه كتب العلم الاسلامية كلها ويبرأ الدين من الفنون المنسوبة اليه كالكلام واصول الفقه وفروعه ويقول انها كلها علوم ضارة ذهبت ببساطة الدين وسهولته وشغلت عن علوم الدنيا التى تعطى اصحابها القوة والعزة فكتب اليه صديقه وهو من الكتاب الفضلاء الباحثين فى الشؤون الاسلامية مكتوباً رد فيه بعض ماجاء فى المكتوب وسلم بالبعض فاحببنا ان يطلع علماؤنا لا سيما اهل الازهر الشريف على بعض ما يدور بين نبهاء المسلمين من البحث ليعلموا بالاجمال ان صراخنا ونداءنا اياهم طالبين اصلاح كتب التعليم وطريقته فى غاية الاعتدال فاخترنا الجواب لان صاحبه لم يغل فيه غلوَّ الاول فى الانكار وان كان لا يخلو مما ينكره عليه الفقهاء وها هو بحروفه :

كتابك ايها الفاضل ينبئ عن توغل الفكر فى مرامي بعيدة مدى الغاية وما استخرجه من الحقائق من خبايا التاريخ امور يوافقك على بعضها اخوك وبعضها نظريات تحتاج الى دقيق تأمل ويضيق عن الالمام باطراف المناقشة فيها هذا الكتاب فأرى ارجاءها الى فرصة الاجتماع اذا تيسر اولى

وانما هناك مسئلة أحب ان لايفوتنى الآن النظر فيها رغبة فى تعديل ما فى نفسك من جهتها وايقافاً لك على فكري الصراح فيها عسانا نجمع

طرفي الرأي الى دائرة واحدة تتلاقى فيها عند نقطة الحقيقة التى لا خلاف فيها

ذهبت الى ان علم الفروع انما هو مجموع قوانين وضعها البلخية والكرخية الخ من سميت وان هذه القوانين ليست من علوم الدين وربما حملتها على محمل ما سردت من العلوم التى رأيتها غير موافقة لحالة الزمان والمكان وأرى فى هذا مغالاة فى الفكر فيها نظر يظهر لك ظهوراً جلياً فيما يلى

انا اعتقد وانت تعتقد ان لا بد لكل امة قذفت بنفسها فى مضمار الحضارة من قانون جامع لجزئيات الحوادث تحفظ به نظامها وتمهد سبل الترقى لمجتمعها والاسلام وان جاء باسمى ماتتطلبه الحاجة المدنية والحياة الاجتماعية الا ان ما جاء به انما هو قواعد كلية وليس من شأنه وشأن الاديان عامة ان تحيط بالجزئيات التى لا تتناهى فى جانب الترقى والاجتماع وانما كانت الاحاطة بالجزئيات موكولة الى افهام رجال العلم والعقل من الامة فى وضعها عند الحاجة وارجاعها الى تلك القواعد والاصول على طرق معروفة اصطلح عليها علماء الاصول من المسلمين وقد فعل علماؤنا ما يجب عليهم من هذا القبيل واحاطوا بكثير من الجزئيات التى دعت اليها حاجة كل عصر الا ما فاتهم منها من تحديد بعض العقوبات وترتيب المحاكمات والتفريق بين الحقوق العمومية والحقوق الشخصية تفريقاً يتعين معه الاختصاص بالدعاوى العمومية التى كان القضاة خصماً وحكماً فيها فى آن واحد ولهذا اسباب كثيرة لا يسهل بيانها الا بعد معاناة صعوبة الاستقصاء وليس هذا محله

هذا والحق أولى ان يقال ويتبع ومثلك ايها الصديق من انقاد للحق

وظاهر اهله فان علماءنا برعوا فى علم الحقوق الى حد جعل هذا العلم عند المسلمين يكاد لا يترك صغيرة ولا كبيرة من الجزئيات الا احصاها الا انه مشوش بكثرة مااختلفوا فيه حتى على المسألة الواحدة ومنشأ هذا على ماأرى انفراد الآحاد بالتشريع (١) حتى من المخرجين والمرجحين بحيث يجوز الواحد منهم ما يمنعه الآخر وبالعكس وسببه التساهل من المسلمين فى ترك سلطة التشريع فوضى يتناولها من شاء ومن ليس بمعصوم من الافراد وهى السلطة العظيمة التى لم تسلمها أمة متمدنة قبل المسلمين للآحاد منفردين قط وانما كانت تسلم الى ثقات كل أمة مجتمعين لا منفردين

لو فهم المسلمون منذ استفحل أمرهم وعظمت للقوانين الجامعة لفروع الحوادث حاجتهم معنى ما يسمى عند علمائهم الاجماع وان من قواعد دينهم الكلية التكافل العام على مصالحهم العامة وان كل مصالحهم فى الحقيقة انما هى مرتبطة بأس المصالح وحياة الوجود ألا وهو القانون الكافل لراحة الجميع وسعادتهم لاستفادوا من هذا الى الآن فوائد لا يستقصيها العقل ولما تركوا امر القوانين فوضى لا يعتمد فيه الا على قال فلان وأفتى بخلافه فلان بل لكانوا عهدوا بتفريع الاحكام واستنباطها الى جماعات من اهل الفضل والاجتهاد ينوبون عنهم عند مسيس الحاجة فى تطبيق الاحكام على الحوادث فى كل زمان ومكان

ولكن لمّا لم يفهموا هذه القاعدة واغفلوا العناية والنظر بامر القوانين هل يجوز تركهم هملاً ؟ كلا لا يجوز اذن فوضع الائمة والعلماء لعلم الفروع الذى ذهبت الى انه مجموع قوانين وضعها فلان وفلان لازم وهم المتفضلون

(١) حيثما جاء التشريع هنا فالمراد به التفريع فاحترس

ودهاء المسلمين هم الملومون

ولا يخفى على فهمك ان تسليم سلطة التشريع لجمع لا لآحاد ليس فيه من حرج او مانع يمنعه من الدين والذى سوغ للفرد ان يضع او يستنبط ماشاء من الاحكام التي تمس اليها الحاجة يسوّغ للجمع كذلك وهو الاحوط ايضاً فى الدين والدنيا والفرق بين ما يضعه الواحد وبين ما يضعه الجمع عظيم جداً لا يخفى على بصير اذ ان ما يشعر به الواحد فى نفسه من الحاجة او يبلغه من العلم قد يشعر الآخر بخلافه او يحيط بما لا يحيط به ذاك ولا تمحص حقيقة الحاجة العامة الا باشتراك جماعة عظيمة بمثل هذا الشعور واحتكاك الافكار بطول التجارب لهذا ولكى يعلمنا الله سبحانه وتعالى فائدة تبادل الفكر واصول الشورى خصوصاً فى المصالح العامة امر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم باستشارة اصحابه بقوله تعالى (وشاورهم فى الامر) اى فى الشأن وهذا امر والاصل فيه الوجوب كما قرره الاصوليون ويتلو هذا فى مرتبة التعليم حديث التأبير المشهور وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبروا فانتم ادرى بامر دنياكم)

من هذا نعلم الفرق بين ما تمحصه العقول من الامور ذات الشأن فلا تصدر الا عن علم الجميع بمصلحتهم عامة وعلم كل فرد بمصلحته المستمدة من تلك خاصة فما بالك به فى التشريع خصوصاً وان الاجماع فيه يدعو الى ارتباط الاحكام برباط الاتفاق عليها من جمهور المتشرعين والعمل بها عند سائر الناس ويندفع بهذا خطر الفوضى القانونية التى يتخبط فيها المسلمون منذ اجيال كثيرة لكثرة الخلاف بين الائمة والمخرجين من علماء كل مذهب على مسائل المعاملات فضلاً عن العبادات وما ارانى الا معترفاً لك بان

هذا الخلاف الذى شوش نظام المعاملات بين الامة يكاد يجعل علم الفروع فى المرتبة التي ذكرت وباضطراب اعتقادك بفوائدها نوهت

واما ما قلته من ان علم الفروع ليس من علوم الدين وانما هو مجموع قوانين وضعها المتقدمون فليس ذلك كذلك بل رأيي فيه انه من علوم الدين باعتبار انه مستند الى أصول عامة فى الدين وانه قانون باعتبار انه داخل تحت حكم الرأي والقياس والاجتهاد او هو نتيجة تطبيق الاحكام على حوادث حدثت بعد للمسلمين وروعيت فى وضعها اصول الدين

والذى اراه ان اطلاق علم الدين على الفروع لازم من لوازم البقاء والاستمرار لاحكام الاسلام وباعث على احترام هـذا العلم احتراماً ينفع المسلمين كما ينفع كل امة تحترم الشرائع والقوانين واذا حملته على محمل ماذكرت من العلوم من حيث كونك تراها غير موافقة لحالة الزمان والمكان فيكفى فى تعديل فكرك من هذا القبيل امعان نظرك فيما سبق بسطه لديك لتعلم وانت اعلم به منى ان مسوغ الاجتهاد الذى هو تشريع فى الفروع ميسور لكل عالم من علماء الشريعة بلغ مرتبة الكفاءة غير محظور عليهم فى عصر من العصور ومنه يتضح لديك تيسر جعل الفروع موافقة لحالة كل زمان ومكان اذا نهض اهل العلم والفضل للنظر فى هذا الامر وشرعوا بوضع كتب خاصة باحكام المعاملات يتفق على اعتبارها دستوراً للعمل جمهور اهل المذاهب وهذا وان كان يتوقف على ما يسمونه التلفيق الا انه لا يمنع من التوفيق لان التلفيق جائز عند فقهائنا فى العبادات فما بالك به فى المعاملات

لا جرم ان علماءنا فى هـذا بين امرين كلاهما لا يمنع من تحرير علم

الفروع وجعله صالحاً لحالة الزمان والمكان وذلك انهم اما ان يعتبروا ان كل ما حرره الائمة وقرروه هو من الدين الذى هو حق لا ريب فيه فيلزمهم فى هذه الحال التسليم بما حرره جميعهم من الاحكام ويلزم من هذا جواز انتقاء الاحكام الموافقة لحالة العصر من كتب المذاهب وتدوينها فى كتاب خاص ليس فيه ادنى شائبة من مثارات الخلاف ليكون أشبه بقانون عام شامل لسائر حاجات الاجتماع يعمل به المسلمون على اختلاف مذاهبهم . واما ان لا يعتبروا ما حرره الائمة من الدين بل يعتبرونه رأياً أداهم اليه الاجتهاد وان هذا هو علة اختلافهم فى الاحكام منعاً وايجاباً بحيث يجوّز الواحد ما يمنعه الآخر وفى هذه الحال يجوز لهم الاجتهاد كما جاز لغيرهم فيتفق جميعهم على جعل علم الفروع علماً نافعاً فى العصر مراعى فيه جانب الحاجة مضافاً اليه ما فات المتقدمين من التوسع فى مناحي اخرى أصبح التوسع فيها الآن من ضروريات الحياة الاجتماعية وعليها بنى ترقى الحكومات والامم الغربية ترقياً لم تكن تحلم به الامم من قبل لا سيما وان الذى جوز للسلف التوسع فى الامور السياسية عند ما مست الحاجة اليها حتى وضعوا لها كتباً خاصة مستندة الى اصول الشريعة كالاحكام السلطانية والخراج وغيرها يجوّز للخلف التوسع فيما تمس اليه الحاجة الآن وتقتضى التوسع فيه حالة الزمان

على ان الشعور بالحاجة الى اصلاح امر القوانين الاجتماعية عند المسلمين قد دب فى العقلاء دبيب البرء فى الاطراف ولابد ان يعم سائر الجسم فنرجو الله سبحانه وتعالى ان ينبه علماءنا الكرام الى تلافى امر هذه الحاجة صوناً لعلم الفروع من ان يهجر وحرصاً على علوم الشريعة من ان

تصبح العناية بها اقل من العناية بالقوانين الوضعية التى الجأت الحاجة بعض الحكومات الاسلامية الى استعمالها دون القوانين الاسلامية ويراها بعضهم أجمع لحاجات الاجتماع وهى وان لم تكن كذلك ألبتة الا انها بسلامتها من مثارات الاختلاف وتقيد الحاكم والمحكوم بقيود خاصة منها لا تترك مجالاً للرأي ومكاناً للقيل والقال قد جعلت الرغبة اليها اميل والطريق الى انتظام الشؤون العامة بها اسد

هذا فكري فى النقطة التى اخترت ان اتجاذب واياك اطراف البحث فيها الآن وقد رأيت ما احتاج اليه النظر فيها من التطويل الممل فلو تناول البحث سائر ما فى كتابك لاحتاج ذلك الى كتاب كبير فالله نسأل ان يوفقنا واياك لخدمة الامة والدين ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم امين

(المنار) ان كثرة الخلاف فى الفقه والاضطراب فى التصحيح والترجيح المؤدي الى الاختلاف فى الفتوى والقضاء وما فى هذا من الضرر واختلال المصالح ثم ما فى كتب الفقه من الصعوبة فى الترتيب والتبويب كل ذلك اشعر المسلمين من زمن بعيد الى الحاجة الى اصلاح كتب الفقه ووضع كتاب او كتب فى الاقوال السديدة التى تنطبق على مصلحة الامة فى هذا العصر على وجه قريب التناول سهل الفهم . ثم قوى الفكر فى الاصلاح حتى انتهى الى القول بأن كتب الفقه التى بين ايدينا مضرة وان اكثر ما فيها من مخترعات عقول الناس الذين اكثرهم من الاعاجم كما جاء فى كتاب الشيخ المردود عليه بهذا الجواب

واكثر المعتدلين فى الشرق والغرب على الوجه الاول وقد كتب الينا بعض الفضلاء فى الجزائر من مدة بما يأتى :

«رأيت مقالة تناسب مشرب مجلتكم المفيدة فاحببت ان ابعث بها اليكم لتدرجوها فيها ان شئتم بعد تمهيد ترتبط به

فى الجزء الثانى صفحة ٢٤ من رحلة العلامة الشهير المرحوم الشيخ ابى سالم عبدالله العياشى المسماة بماء الموائد المطبوعة فى حاضرة فاس اواسط جمادى الثانية عام ١٣١٦ ما نصه »:

«انى كنت اود لو ان الله قيض لهذه الامة من يجمع اربعة من محققي علماء كل مذهب من هذه المذاهب الاربعة الموجودة ويختار لكل واحد جماعة من اهل مذهبه يستعين بهم فى المطالعة وتحقيق ما يشكل عليه من فروع الديانات فيأمر الاربعة بالاجتماع فى محل واحد فى وقت مخصوص من ليل اونهار بقصد تأليف ديوان فى فروع الفقه ويتخذ لهم كتاباً مهرة يستعينون بهم ويجري على الجميع من الجرايات ما يكون سبباً لفراغ بالهم لما هم بصدده وبعد مراجعة كل واحد منهم مع اصحابه ما يحتاج اليه من كتب مذهبه فى المحل الذى يؤلفون فيه يجتمعون فيتتبعون فروع الديانات الجزئيات من اول مسألة مدونة فى الفقه على قدر طاقتهم الى آخرها فيذكر كل واحد مشهور مذهبه فى كل نازلة فاذا علموا مشهور المذاهب فى كل مسألة مسألة نظر من تصدى للكتابة والتأليف عندهم الى المسائل المتفق عليها بينهم فاثبتها ولا يحكى شيئاً من الخلاف فيها ثم المسائل المختلف فيها يقتصر فيها على قول ثلاثة منهم ان اجتمعوا ويحذف قول الرابع ثم ان قال اثنان بقول واثنان بقول جعلها ذات قولين مشهورين ثم ان تباينت آراؤهم فى النازلة وهو قليل حكاها بلا تشهير وتكون مسألة خلاف ويقدم ما كان منها مستنداً الى كتاب ثم ما استند الى سنة ثم ما استند الى اثر صحابى قوي

ثم ما اخذ من الاجتهاد فاذا الف الديوان على هـذا الوصف وحمل الناس على اتباعه كان اقرب لضبط الانتشار الواقع الآن وكثرة الخلاف الواقع بين اهل المذاهب والتعصبات الفاحشة المؤدية الى تضليل بعضهم بعضاً » الخ انتهى ما تعلق بنقله الغرض بنصه وفصه كمال الدين المرغناني

من الجزائر فى ٢٣ من شوال سنة ١٣١٨

(المنار) اما رأينا فى الفقه فموافق لما جاء فى المحاورة بين المصلح والمقلد وقد ضاق عنها هذا الجزء وما قبله وستنشر فى الجزء الآتى ان شاء الله

﴿ القسم الثانى من الامالى الدينية فى النبوات ﴾

الدرس ١٩ — الحاجة الى الوحى والنبوة

بينا وجه حاجة الانسان الى الوحى لسعادته فى الحياة الدنيا من حيث انه نوع اجتماعي اودع فى طبيعة افراده من الرغائب والحظوظ ما يقتضى التباين والتنازع كما اودع فيها من حب الاجتماع والعجز عن تحصيل معظم ما تطالبها به الفطرة ما يدعو الى التعاون ، الذى يعارضه التخالف والتغابن . ولا يتم للنوع ارتقاؤه بل ولا بقاؤه مع هذه الغرائز المتعارضة فمن ثم كان محتاجاً الى ارشاد يوفق بين آثار هـذه الغرائز وعوارضها ، بما يذهب بتعارضها ، ويعرف كل فرد من الافراد حده ، ويجعل له من نفسه وازعاً يوقفه عنده ، ولم تكمل له هذه الحاجة الا بالدين . ويرد على هذا القول ثلاث شبهات (احداها) ان الانسان لا يتربى الا بالكون وما يعرض عليه من شؤنه واطواره فالذى تثبت له الوقائع الكونية انه ضار يرغب عنه ويجتنبه، والذى تثبت له انه نافع يرغب فيه ويجتلبه ، ولذلك لم تنتفع الامم الشعوب

بهدي الاديان ، الا بمقدار ما اعدتها له الاكوان ، وقد اجبنا عن هذه الشبهة فى الدرس السابق من غير ان نقررها . ولم يكن الجواب ناقضاً لمسئلة الاستعداد فقد ورد ان الانبياء امروا ان يخاطبوا الناس على قدر عقولهم وما منح الله تعالى الانسان الدين الا بعد ما ارتقى استعداده لفهمه «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » الخ

وقد ارتقى هدي الدين وارشاده بارتقاء الانسان حتى كمل بالاسلام على ما بينه استاذنا الاكبر فى رسالته وسيرتقى اهله وهم العالم الانسانى كله (بالنسبة الى الدعوة) حتى يفهموه حق فهمه وذلك بعد ما ترتقي علوم الفطرة والطبيعة اكمل ارتقاء كما قال تعالى « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنهم الحق »

(الشبهة الثانية) هى : ان الحكماء والعقلاء يمكنهم ان يضعوا للناس قوانين وحدوداً تغنيهم عن الوحي والشرائع السماوية . والجواب عنها انه اذا فرض ان فى استطاعة الحكماء ان يستقلوا بهذا الوضع فهل فى استطاعتهم ان يحملوا الناس جميعاً على قبوله والعمل به بغير وازع الدين ؟ فان قيل ان الحكماء يضعون القوانين والحكام يلزمون الناس بالعمل بها نقول :

لاترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

والوازع الدينى وازع نفسي لان مبدأ الدين من الالهامات الفطرية فى نفوس البشر . وأما وازع القوة فلا سلطان له إلاَّ على الظواهر فمتى أمن اهل البغي والتعدي من اطلاع الحاكمين يرتكبون ما شاء البغي ويجترحون ما احبت الشهوة من التعدي على الأموال والاعراض وراء الحجب والاستار وحيث لا تمتد أعين الشهداء ، ولا تصل معارف القضاة

والامرآء ، ثم ان القضاة والحكام أنفسهم اذا كانوا على غير دين ينتهكون المحرمات ، ويقترفون السيئآت ، ويساعدون الجناة ، ويشاركون الجباة ،

والحاصل ان الانسان لا يستغني فى حياته الاجتماعية عن حدود عادلة يقف افراده عندها فى معاملتهم ومعاشرتهم وان هذه الحدود لا تحترم ويوقف عندها الا اذا كانت على موافقتها للمصلحة العامة مضافة الى تلك السلطة الغيبية التى فطر الناس على الاعتقاد بها والخضوع لها وهذا عين حاجتهم الى الوحي لسعادة الدنيا . وقد تقدم المثال العملي فى اثبات هذه النظرية فى الدرس السابق .

(الشبهة الثالثة) لقائل ان يقول : ان أمم أوربا التي تحكم بالقوانين الوضعية هي أسعد من الامة الاسلامية وان الحكومات الاسلامية التي أخذت ببعض هذه القوانين كمصر والدولة العلية أحسن حالا ممن لم يأخذ بشيء منها كحكومة مراكش . والجواب يعرف مما كتبناه فى الدرس الماضى من المقابلة بين المسلمين فى نشأتهم الاولى وبين الاوربيين فى نهايتهم مع انهم لم يمرقوا كلهم من الدين الذى بني على وجوب طاعة الحكام وقد صرحنا مرارا ان المسلمين صاروا حجة على دينهم بل قلنا فى المقابلة المذكورة انهم حجة من لا دين له على كل دين .

(المسئلة ٥٦) الحاجة الى الوحي لسعادة الآخرة — خلق الله للانسان حواسَّ ومشاعر ووهبه عقلا وفكراً يهتدى بها الى مصالحه ومنافعه فى الدنيا كما قال « أعطى كل شيء خَلْقَهُ ثم هدى » وعلمنا ان هذه المواهب لم تكن كافية له لسعادته الدنيوية لولا الدين فما بالك بحياته الأخرى الغيبية التى يقصر عن تناولها حسه ولا يحيط بشيء من كنهها عقله وانما يشعر

بها وجدانه شعوراً مجملاً مبهماً ؛ وقد بين استاذنا فى «رسالة التوحيد» هذا الشعور أحسن بيان ، واستنتج منه وجه الحاجة الى الوحي بأجلى برهان ، والافضل ان نقتبسه بلفظه ومعناه ، لئلا يضيع شيء من فحواه ، قال حفظه الله ، :

«اتفقت كلمة البشر موحدين ووثنيين مليين وفلاسفة الاّ قليلاً لا يقام لهم وزن على ان لنفس الانسان بقاءً تحيا به بعد مفارقة البدن وانها لا تموت موت فناء وانما الموت المحتوم هو ضرب من البطون والخفاء وان اختلفت منازعهم فى تصوير ذلك البقاء وفيما تكون عليه النفس فيه وتباينت مشاربهم فى طرق الاستدلال عليه فمن قائل بالتناسخ فى اجساد البشر أو الحيوان على الدوام ومن ذاهب الى ان التناسخ ينتهى عند ما تبلغ النفس أعلى مراتب الكمال . ومنهم من قال انها متى فارقت الجسد عادت الى تجردها عن المادة حافظة لما فيه لذتها ، او ما به شقوتها ، . ومنهم من رأي انها تتعلق بأجسام اثيرية ، ألطف من هذه الاجسام المرئية ، وكان اختلاف المذاهب فى كنه السعادة والشقاء الأخرويين وفيما هو متاع الحياة الآخرة وفى الوسائل التى تعد للنعيم أو تبعد عن النكال الدائم وتضارب آراء الامم فيه قديماً وحديثاً مما لا تكاد تحصى وجوهه .

«هذا الشعور العامّ بحياة بعد هذه الحياة المنبثّ فى جميع الانفس عالمها وجاهلها وحشيها ومستأنسها باديها وحاضرها قديمها وحديثها لا يمكن ان يكون ضلة عقلية أو نزغة وهمية وانما هو من الالهامات التى اختص بها هذا النوع . فكما ألهم الانسان ان عقله وفكره هما عماد بقائه فى هذه الحياة الدنيا وان شذّ افراد منه ذهبوا الى ان العقل والفكر ليسا بكافيين

للارشاد فى عمل مّا او الى انه لا يمكن للعقل ان يوقن باعتقاد ولا للفكر ان يصل الى مجهول بل قالو ان لا وجود للعالم الا فى اختراع الخيال وانهم شاكّون حتى فى انهم شاكون ولم يطعن شذوذ هؤلاء فى صحة الإلهام العام المشعر لسائر افراد النوع ان الفكر والعقل هما ركن الحياة واس البقاء الى الاجل المحدود — كذلك قد ألهمت العقول وأشعرت النفوس ان هذا العمر القصير ليس هو منتهى ماللانسان فى الوجود بل الانسان ينزع هذا الجسد كما ينزع الثوب عن البدن ثم يكون حياً باقياً فى طور آخر وان لم يدرك كنهه. ذلك الهام يكاد يزاحم البديهة فى الجلاء يُشعِر كل نفس انها مستعدّة لقبول معلومات غير متناهية من طرق غير محصورة شيّقةً الى لذائذ غير محدودة ولا واقفة عندغاية مهيأةً لدرجات من الكمال لا تحددها اطراف المراتب والغايات معرّضة لآلام من الشهوات ونزعات الاهواء ونزوات الامراض على الاجساد ومصارعة الاجواء والحاجات وضروب من مثل ذلك لا تدخل تحت عد ولا تنتهى عند حد. إلهام يستلفتها بعد هذا الشعور الى ان واهب الوجود للأنواع انما قدر الاستعداد بقدر الحاجة فى البقاء ولم يعهد فى تصرفه العبث والكيل الجزاف فما كان استعداده لقبول مالا يتناهى من معلومات وآلام ولذائذ وكمالات لا يصح ان يكون بقاؤه قاصراً على ايام او سنين معدودات

« شعور يهيج بالارواح الى تحسّس هذا البقاء الأبدي وما عسى ان تكون عليه ، متى وصلت اليه ، وكيف الاهتداء واين السبيل ، وقدغاب المطلوب وأعوز الدليل ؟ ، شعورنا بالحاجة الى استعمال عقولنا فى تقويم هذه المعيشة القصيرة الأمد لم يكفنا فى الاستقامة على المنهج الاقوم بل لزمتنا

الحاجة الى التعليم والارشاد وقضاء الازمنة والاعصار ، فى تقويم الانظار ، وتعديل الافكار ، واصلاح الوجدان ، وتثقيف الأذهان ، ولا نزال الى الآن من همّ هذه الحياة الدنيا فى اضطراب لا ندرى متى نخلص منه ، وفى شوق الى طمأنينة لا نعلم متى ننتهى اليها ،

« هذا شأننا فى فهم عالم الشهادة فماذا نؤمل من عقولنا وافكارنا فى العلم بما فى عالم الغيب . هل فيما بين ايدينا من الشاهد معالم نهتدى بها الى الغائب وهل فى طرق الفكر ما يوصل كل احد الى معرفة ما قدر له فى حياة يشعر بها وبان لا مندوحة عن القدوم عليها ولكن لم يوهب من القوة ما ينفذ الى تفصيل ما اعد له فيها والشؤن التى لابد ان يكون عليها بعد مفارقة ما هو فيه او الى معرفة بيد من يكون تصريف تلك الشؤن؟ . هل فى أساليب النظر ما يأخذ بك الى اليقين بمناطها من الاعتقادات والاعمال وذلك الكون مجهول لديك ، وتلك الحياة فى غاية الغموض بالنسبة اليك ، ؟ كلا فان الصلة بين العالَمين تكاد تكون منقطعة الا فيك انت . فالنظر فى المعلومات الحاضرة ، لا يوصل الى اليقين بحقائق تلك العوالم المستقبلة ،

« أفليس من حكمة الصانع الحكيم ، الذى أقام امر الانسان على قاعدة الارشاد والتعليم ، الذى خلق الانسان ، وعلمه البيان ، علمه الكلام للتفاهم ، والكتاب للتراسل ، ان يجعل من مراتب الانفس البشرية مرتبة يعدلها بمحض فضله بعض من يصطفيه من خلقه وهو اعلم حيث يجعل رسالته يميزهم بالفطر السليمة ويبلغ بارواحهم من الكمال ما يليقون معه للاستشراق بانوار علمه ، والامانة على مكنون سره ، مما لو انكشف

لغيرهم انكشافه لهم لفاضت له نفسه ، او ذهبت بعقله جلالته وعظمه ، فيشرفون على الغيب باذنه ، ويعلمون ما سيكون من شأن الناس فيه ، ويكونون فى مراتبهم العلوية على نسبة من العالمين نهاية الشاهد ، وبداية الغائب ، فهم فى الدنيا كأنهم ليسوا من اهلها ، وهم وفد الآخرة فى لباس من ليس من سكانها ، ثم يتلقون من امره ان يحدثوا عن جلاله وما خفى على العقول من شؤن حضرته الرفيعة بما يشاء ان يعتقده العباد فيه وماقدر ان يكون له مدخل فى سعادتهم الاخروية وان يبينوا للناس من احوال الآخرة مالا بد لهم من علمه معبرين عنه بما تحتمله طاقة عقولهم ، ولا يبعد عن متناول افهامهم ، وان يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم فى تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم وتعلمهم ما هو مناط سعادتهم وشقائهم فى ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم بتفصيله ، اللاصق علمه باعماق ضمائرهم فى اجماله ، وتدخل فى ذلك جميع الاحكام المتعلقة بكليات الاعمال ظاهرة وباطنة ثم يؤيدهم بما لا تبلغه قوى البشر من الآيات حتى تقوم بهم الحجة ويتم الاقناع بصدق الرسالة فيكونون بذلك رسلاً من لدنه الى خلقه مبشرين ومنذرين ؟ ؟

« لاريب ان الذى احسن كل شىء خلقه ، وأبدع فى كل كائن صنعه ، وجاد على كل حى بما اليه حاجته ولم يحرم من رحمته حقيراً ولا جليلا من خلقه يكون من رأفته بالنوع الذى اجاد صنعه واقام له من قبول العلم مايقوم مقام المواهب التي اختص بها غيره ان ينقذه من حيرته ويخلصه من التخبط فى اهم حياتيه ، والضلال فى افضل حاليه ،

« يقول قائل : ولم لم يودع فى الغرائز ما تحتاج اليه من العلم ولم يضع

فيها الانقياد الى العمل وسلوك الطريق المؤدية الى الغاية فى الحياة الآخرة وماهذا النحو من عجائب الرحمة فى الهداية والتعليم ؟ وهو قول يصدر عن شطط العقل والغفلة عن موضوع البحث وهو النوع الانسانى ذلك النوع على ما به وما دخل فى تقويم جوهره من الروح المفكر وما اقتضاه ذلك من الاختلاف فى مراتب الاستعداد باختلاف افراده وان لا يكون كل فرد منه مستعداً لكل حال بطبعه وان يكون وضع وجوده على عماد البحث والاستدلال فلو ألهم حاجاته كما تلهم الحيوانات لم يكن هو ذلك النوع بل كان اما حيواناً آخر كالنحل والنمل اوملكاً من الملائكة ليس من سكان هذه الارض» اه

آثار علمية ادبية

العشق وحرية العرب

دخل يزيد بن معاوية على أبيه أيام حكمه مستأذناً بقتل ابى دَهْبَل وهب بن زمعة الجُمَحي" لانه اكثر التغزل فى اخته عاتكة واشتهر بعشقها وسارت بأشعاره الركبان وتغنّى بها الناس فقال معاوية وماذا قال ؟ فأنشده يزيد ابياتاً من قصيدة ابى دهبل النونية وهي :

طال ليلي وبتُّ كالمجنون ومللتُ الثَّواء فى جيرون
وأطلت المُقام بالشام حتى ظن أهلى مرجمات الظنون
فبكت خشية التفرق جُمْل كبكاء القرين إثر القرين

وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوّ اص ميزت من جوهر مكنون
واذا ما نسبتها لم تجدها فى سناء من المكارم دون

فلما انشد هذا البيت وما قبله قال له معاوية فى اثر كل واحد منهما هي كذلك يابني ولقد صدق. فلما انشد :

ثم خاصرتها الى القبة الخض راء تمشى فى مَرْمَرٍ مسنون

قال معاوية : كذب فى هذه يابنى . وبعد البيت :

قبة من مراجل ضربوها عند برد الشتاء فى قيطون
عن يساري اذا دخلت من البا ب وان كنت خارجاً عن يمينى
ولقد قلت اذ تطاول سقمى وتقلبت ليلتى فى فنون
ليت شعرى أمن هوى طار نومى ام برانى البارى قصير الجفون

وهذا البيت من الحسن بالمكان الذى تراه

وعزم معاوية ان يكلم ابادهبل فى الامر فتربص به حلمه حتى اذا كان فى يوم جمعة دخل عليه الناس وفيهم ابو دهبل فقال معاوية لحاجبه اذا اراد ابو دهبل الخروج فامنعه واردده اليّ وجعل الناس يسلمون وينصرفون فقام ابو دهبل ينصرف فناداه معاوية : يا أبادهبل اليّ فلما دنا اليه اجلسه حتى خلا به ثم قال له ما كنت ظننت ان فى قريش اشعر منك حيث تقول : « ولقد قلت اذ تطاول سقمى » الى آخر البيتين — غير انك قلت : « وهى زهراء » — البيت والذى بعده — والله ان فتاة أبوها معاوية وجدها ابو سفيان وجدتها هند بنت عتبة لكما ذكرت وأيّ شىء زدت فى قدرها ولقد أسأت فى قولك : « ثم خاصرتها » — البيت فقال والله يا أمير المؤمنين ما قلت هذا وانما قيل على لسانى. فقال له معاوية : أما

من جهتي فلا خوف عليك لانني أعلم صيانة ابنتي نفسها واعرف ان فتيان الشعراء يتركون ان يقولوا النسيب في كل من جاز ان يقولوه فيه وكل من لم يجز وإنما اكره لك جوار يزيد واخاف عليك وثباته فان له سورة الشباب وأنفة الملوك . فحذر ابو دهبل وخرج الى مكة ويقال ان معاوية اراد ذلك لتنقضي المقالة عن ابنته

اما سبب عشق ابي دهبل لعاتكة فقد روي فيه انها لما حجت نزلت من مكة بذي طوى فبينما هي ذات يوم جالسة في وقت الهاجرة وقد اشتد الحر وانقطع الطريق امرت جواريها فرفعن الستر وهي جالسة في مجلسها وعليها شفوف لها (ثياب رقيقة) تنظر الى الطريق فمر ابو دهبل فوقف طويلاً ينظر اليها ويمتع نظره بمحاسنها وهي غافلة عنه فلما فطنت له شتمته وامرت بارخاء الستر فقال :

اني دعاني الحين فاقتادني ... حتى رأيت الظبي بالباب
يا حسنه اذا سبني مدبراً ... مستتراً عني بجلباب
سبحان من وقفها حسرة ... صبّت على القلب بأوصاب
يذود عني ان تطلبتها ... ابٌ لها ليس بوهاب
احلّها قصراً منيع الذرى ... يحمى بأبواب وحجاب

ثم انشد ابو دهبل هذه الابيات بعض اخوانه فشاعت بمكة وتناشدها الناس وغنى بها المغنون وسمعتها عاتكة انشاداً وغناء فضحكت واعجبتها وبعثت اليه بكسوة وجرت الرسل بينهما فلما صدرت عن مكة خرج معها الى الشام فكان ينزل قريباً منها وكانت تتعاهده بالبر واللطف حتى وردت دمشق وورد معها فانقطعت عن لقائه في بيت الامارة والملك

ولم يعد يراها فمرض مرضاً طويلاً وانشد القصيدة النونية المذكورة آنفاً

ولما عاد الى مكة خوفاً من يزيد كان يكاتب عاتكة . وبينما معاوية ذات يوم فى مجلسه اذ جاءه خصيّ له فقال يا امير المؤمنين لقد سقط الى عاتكة اليوم كتاب فلما قرأته بكت ثم اخذته فوضعته تحت مصلاها وما وما زالت خاثرة النفس منذ اليوم فقال له اذهب فالطف بها حتى تحتال على اخذ الكتاب ففعل الخصيّ واتى بالكتاب واذا فيه :

أعاتك هلاَّ اذا بخلت فلا ترَى ۞ لذى صبوة زلفى اليك ولا يُرق
رددت فؤاداً قد تولى به الهوى ۞ وسكّنتِ عيناً لا تملُّ ولا ترقا
ولكن خلعت القلب بالوعد والمنى ۞ ولم أرَ يوماً منك جوداً ولاصدقاً
أتنسين أيامي بربعك مدنفاً ۞ صريعاً بأرض الشام ذا جسد ملق
وليس صديق يرتضى لوصية ۞ وادعو لدائى بالشراب فما اسق
واكبر همي ان ارى لك مرسلاً ۞ فطول نهاري جالس ارقب الطرقا
فوا كبدي اذ ليس لى منك مجلس ۞ فأشكو الذي بى من هواك وما ألقى
رأيتك تزدادين للصب غلظة ۞ ويزداد قلبي كل يوم لكم عشقا

فلما قرأه معاوية بعث الى ابنه يزيد فأتى ووجده مطرقاً فقال له ما هذا الأمر ؟ فقال امرٌ اقلقنى وامضنى وما ادري ما اعمل فى شأنه قال وما هو ؟ قال هذا الفاسق ابو دهبل كتب بهذه الأبيات الى اختك عاتكة فلم تزل باكية فما ترى فيه ؟ قال الامر هين عبد من عبيدك يكمن له فى ازقة مكة فيريحنا منه . فقال معاوية : أفٍّ لك والله ان تقتل رجلاً من قريش هذا حاله صدق الناس قوله وجعلونا احدوثة ابداً . فقال يزيد يا أمير المؤمنين انه قال قصيدة أخرى تناشدها اهل مكة وسارت حتى

بلغتني واوجعتني وحملتني على ما اشرت به فقال ما هي فانشد

ألا لا تقل مهلاً فقد ذهب المهل وما كان من يَلْحى محبّاً له عقل
لقد كان فى حولين حالا ولم ازر هواي وان خوفت عن حبها شغل
حمى الملك الجبار عنى لقاءها فمن دونها تخشى المتالف والقتل
فلا خير فى حب يخاف وباله ولا فى حبيب لا يكون له وصل
فواكبدى انى اشتهرت بحبها ولم يك فيما بيننا ساعة بذل
ويا عجباً انى اكاتم حبها وقد شاع حتى قطعت دونها السبل

فقال معاوية : قد والله رفهت عنى لانى ارى انه يشكو عدم الوصل فالخطب فيه يسير قم عنى . فقام يزيد وحج معاوية فى تلك السنة ولما انقضت ايام الحج كتاب اسماء وجوه قريش واشرافهم وشعرائهم وكتب فيهم اسم ابى دهبل ثم دعا بهم ففرق الصّلات الجزيلة فلما قبض ابو دهبل صلته وقام ينصرف دعا به معاوية فرجع اليه فقال له يا ابا دهبل مالى رأيت يزيد ساخطاً عليك فى قواريض تأتيه عنك وشعر لا تزال تنطق به وانفذته الى اخصامنا وموالينا فطفق ابو دهبل يعتذر ويحلف انه مكذوب عليه فقال له معاوية لا بأس عليك وما يضرك ذلك عندنا فهل تأهلت قال لا . قال فأى بنات عمك احب اليك قال فلانة قال زوجتكها واصدقتها الفي دينار وامرت لك بألف دينار اخرى . فلما قبضها قال : ان رأى امير المؤمنين ان يعفو لى عما مضى فان نطقت ببيت فى معنى ما سبق منى فقد ابحت به دمي وفلانة التى زوجتنيها طالق البتة فسر معاوية بذلك وضمن له رضى يزيد عنه ووعده بادرار ماوصله به فى كل سنة وانصرف الى دمشق .قالوا ولم يحج معاوية فى تلك السنة الا لاجل ذلك

(المنار) فى القصة فوائد لمن يتأمل ويستفيد (منها) حرية العرب وتساهلهم فى العشق وغيره مع اولادهم وغير اولادهم وفى لوازمه ما لم ينتهك العرض وتلمس العفة وتبتذل الصيانة (على ان العشق والعفة لا ينفكان فى قرن كما سنبينه) الم تر الى معاوية كيف اجاب يزيد حين قال له ان ابا دهبل يقول فى ابنتك

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغوّ اص ميزت من جوهر مكنون

بقوله : لقد صدق يا بنى انها لكذلك ثم لما قال له انه قال « ثم خاصرتها » البيت قال لقد كذب . الم تر انه لم يعاتب ابنته ولم ينصحها لانه يعلم ان العشق طور من اطوار النفس يغري به العذل والتثريب ، ولا ينجع فيه الوعظ والتأديب ، ألم تر انه قال لابى دهبل « أما من جهتى فلا خوف عليك لانى اعلم صيانة ابنتى نفسها واعرف ان فتيان الشعراء يتركون ان يقولوا النسيب » الخ

(ومنها) الطريقة المثلى فى تربية الفتيان والفتيات فى طور العشق والحب . اذا علم الجاهل الاخرق ان ولده عشق وساءه ذلك وخشي مغبته يبادر الى اطفاء لوعته باللوم والتعنيف ، والعذل والتوبيخ ، وذم المحبوب ، وانتحال المثالب والعيوب ، وماهذا اللوم الاعين الاغراء ، وماذلك الاطفاء الا إضرام وإذكاء ،

كالذى طأطأ الشهاب ليطفى وهو أدنى له الى التضريم

والعليم الحليم يبادر الى قطع الصلات ، وابطال المعاملات ، بخفيّ العمل ، ولطائف الحيل ، كما فعل معاوية فى اخراج أبى دهبل من الشام أولاً ثم فى تزويجه واكرامه بحيث ألجأه الى ان يعطى العهد من نفسه على ترك التشبيب

الجزء الخامس (المجلد الرابع)

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد ١٦ محرم الحرام سنة ١٣١٩ — ٥ مايو (ايار) سنة ١٩٠١)

المحاورات بين المصلح والمقلد

« المحاورة السادسة — الاجتهاد والتقليد »

لما عاد الشيخ والشاب للمباحثة ، والمثافنة للمنافثة ، قال الاول

(المقلد) : انني من يوم سمعت منك تلك الكلمة الغريبة وانا لا انفك مشتغلاً بالمطالعة فى باب الاجتهاد من كتب الاصول استعداداً لهذا اليوم واعني بالكلمة ما لم تنسه من قولك ان فيما قالوه عن المهدى كلمة إصلاح وهى إبطال المذاهب وجعل المسلمين على طريقة واحدة كما هو اصل الإسلام وانني اعتقد كما يعتقد كل من يعرف الاسلام وعلومه انه لو لا الائمة الاربعة لضاع الدين بالمرّة وأن لهم رضى الله تعالى عنهم المنة فى عنق كل مسلم الى يوم القيامة وان الخروج عن مذاهبهم مروق من الدين والعياذ بالله تعالى

(المصلح) : لا انازعك فى مدح الائمة رضى الله تعالى عنهم ولا انكر شيئاً من فضلهم ولكنني اقول كلمة تعرف بها بطلان قولك الاخير

وهي ان الاسلام قبلهم كان خيراً من زمنهم وكان فى زمنهم الذى لم يقلدهم فيه الا قليل من الناس خيراً منه فيما بعده من الأزمنة التى اقامهم الناس فيها مقام الأنبياء بل ان من اتباعهم من قدمهم عليهم عند تعارض كلامهم مع الحديث الصحيح فانهم يردون كلام النبي المعصوم مع اعتقادهم صحة سنده لقول نقل عن امامهم ويتعللون باحتمالات ضعيفة كقولهم يحتمل ان يكون الحديث نسخ ويحتمل ان عند إمامنا حديثاً آخر يعارضه . ولا شك ان هؤلاء المقلدين قد خرجوا بغلوهم فى التقليد عن التقليد لأنهم لو قلدوا الائمة فى آدابهم وسيرتهم وتمسكهم بما صح عندهم من السنة لما ردوا كلام المعصوم لكلام غير المعصوم الذى يجوز عليه الخطأ والجهل بالحكم . وكانوا يأمرون بان يترك قولهم اذا خالف الحديث . بل تسلق هؤلاء الغالون بمثل ذلك الى القرآن نفسه وهو المتواتر القطعي والإمام المبين وتجرأ بعضهم على تقرير قاعدة البابوات فى الاسلام وهي انه لايجوز لأحدان يأخذ دينه من الكتاب لأنه لايفهمه وإنما يفهمه رجال الدين فيجب عليه ان يأخذ بكل ما قالوا وان خالف الكتاب ولا يجوز له ان يأخذ بالكتاب اذا خالف ما قالوا بل لا يجوز له ان يتصدى لفهم أحكام دينه منه مطلقاً . ومثل هذا قال بعض فقهائنا قال : لايجوز لأحد ان يقول هذا حلال وهذا حرام لأن الله قال كذا او لأن رسوله قال كذا بل لأن فلاناً الفقيه قال كذا . وهذا مصداق قوله صلى الله تعالى عليه وسلم « لتتبعنّ سنن من قبلكم » الحديث . وفى آخره قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى ؟ قال « فمن ؟ »

(المقلد) : ليس كل ما فعله اليهود والنصارى باطلاً فيكون اتباعهم

فيه باطلاً على ان الاتباع المذموم هو ماكان عن قصد ولم يقصد المسلمين قط اتباع البابوات وغيرهم من النصارى وإنما اتبعوا فى ذلك الدليل الذى قام عندهم على وجوب التقليد على من يعجز عن الاجتهاد ومن كان عاجزاً لا يجوز له ان يتحكم بفهمه الضعيف بل عليه ان يأخذ باقوال الثقات الذين يثق بفهمهم الدين حق فهمه

(المصلح) : المذموم فى ذاته يذم فاعله مطلقاً فان افتحره افتحاراً كان الذم عليه وحده وان سنه واتبعه عليه غيره فعليه إثمه وإثم من عمل به وان كان فيه مقلداً فهو اخس ، واحرى بالتعس ، ولا اطيل الآن فيما اخذه المسلمون عمن سبقهم فانه يشغلنا الآن عن جوهر البحث وانما اقدم لك مسائل فى بحث التقليد تكون مقدمات للاصل الذى اريد تقريره فى الوحدة الاسلامية ونسبة المذاهب اليها فاقول

(المقدمة الاولى) ان العلوم الكسبية التى توجد بوجود الحاجة اليها تنقسم مسائلها الى قسمين قسم يسهل فهمه من دليله او بدليله على كل واحد من الناس وقسم يعسر اخذه من الدليل على الأكثرين وينهض به فى كل عصر أفراد مجتهدون يتفرغون له ويستقلون ببيانه ويتبعهم من يحتاج الى ذلك من سائر الناس ولم يوجد علم من العلوم الحقيقية تعلو جميع مسائله عن تناول عقول الدهماء ويستقل بها افراد فى وقت من الأوقات ويعجز سائر البشر عنها . ومتى وجد العلم فى أمة فانه ينمو ويكمل بالتدريج وسنة الله تعالى فى ذلك ان المتأخر يكون ارقى من المتقدم لأن بداية الآخر من نهاية الأول ما لم يطرأ على الامة من الامراض الاجتماعية ما يوقف سير العلم فيها . وفى هذه الحالة لا يقال إن سنة الله تبدلت او بطلت لان

سنة الله تعالى فى المرضى غير سنته فى الاصحاء فاننا اذا غرسنا شجرة او ولد لنا ولد ومرّ عليه فى طور النموّ زمن ولم ينمُ فيه لايصح لنا ان نستدل بذلك على انكار سنة النموّ فى النبات والحيوان بل علينا ان نبحث عن مرضه الذى عارض النموّ ونعالجه ليعود الى الأصل

(المقلد) : من أين جئت بهذه القاعدة التى لا تنطبق على علم الدين فاني لم ارها فى كتاب ولا سمعتها من احد من مشايخنا وما اراك الا مفتجراً لها فان لم يكن لك فيها نقل صحيح لا اسلم لك بها

(المصلح) : انى اخذت هذه القاعدة من الوجود وهو ارشد المعلمين وقد سلمت لي من قبل ان العلم الصحيح هو ما يشهد له الوجود . ولا يستثنى من هذه القاعدة الا العلوم المعدودة المسائل المحدودة الدلائل اذا استقصيت مسائلها او احصي منها قدر تتعذر الزيادة عليه وذلك كاللغة فاننا اذا احصينا مفردات لغة قوم او أحصينا بعضها وانقرضت الامة بعد ذلك يتعذر على المتأخر ان يزيد على المتقدم الذى احصى . فاذا قلت ان علم الدين من هذا القبيل فقد منعت الاجتهاد على الأولين والآخرين الا ما يتعلق بنقل الدين عمن جاء به وهو الشارع صلى الله عليه وسلم ومنعت التقليد ايضاً لأن الراوي لا يسمى مقلداً لمن روى هو عنه لأن التقليد هو أخذك بقول غيرك او رأيه لذاته لا لمعرفة دليله بحيث لو رجع لرجعت

(المقلد) : لا اقول ان جميع مسائل الدين مروية عن الشارع بالتفصيل والمرويّ انما هو الأصول الكلية وبعض الجزئيات والاجتهاد يكون باستنباط سائر الجزئيات بالقياس وغيره وبفهم النصوص والتميز

بين ما يصح الاحتجاج به وما لا يصح وبوجوه الترجيح عند التعارض وغير ذلك مما هو مشروح فى علم الأصول

(المصلح) : إذن تصدق قاعدتى فى علم الدين فالمسائل التى يسهل على كل احد فهمها بدليلها هى ما نقل عن الشارع لا سيما اذا كان النقل بالعمل او بين اجماله بالعمل وادلة هذه المسائل هى كونها مروية عن الشارع لان جميع ماورد عنه يجب ان يؤخذ بالتسليم من كل من اعتقد بالرسالة ويبقى التفاضل بين العارفين بهذه المسائل والاحكام فى الفقه بها بمعرفة حكمها وأسرارها . وسأبين منزلة هذه المسائل من الدين ، ومنزلة ما يؤخذ من استنباط المجتهدين ، بعد بيان المقدمات التي بدأت بها

(المقلد) : اذا تسنى لكل احد ان يفهم ما نقل من الدين عن الشارع بالعمل ككيفية الصلاة والصوم وغيرهما من العبادات فلا يتسنى لهم ان يفهموا ما نقل بالقول الا بواسطة المجتهد

(المصلح) : ان من المقدمات التى اردت سردها ما هو جواب عن قولك هذا وليكن (المقدمة الثانية) وهى ان فهم القرآن والسنة اسهل من فهم كتب الفقهاء لان كلامهما عربيٌّ مبين واسلوبهما فصيح لا شائبة للعجمة فيه فمن تعلم العربية ووقف على مفرداتها واساليبها لا يعانى فى فهمهما عشر معشار مايعانيه فى فهم كتب الفقهاء لاختلاف اساليبهم وبعدها فى الاكثر عن اسلوب اللغة الفصيح ولكثرة اصطلاحاتهم وخلافاتهم ولاضطراب الكثيرين منهم فى الفهم . ومن ينكر ان الله تعالى اعلم بدينه من الفقهاء واقدر على بيان ما علمه منهم او ينكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم بمراد الله من سائر خلقه واقدر على بيان ما علمه وانه قام حق القيام بأمر الله عز

وجل « يا أيها الرسولُ بلّغ ما أنزل اليك من ربّكَ وان لم تفعل فما بلّغت رسالته » ؟؟

(المقلد): ان المجتهدين بينوا مراد الله ورسوله لمن لم يستطع فهم كلامهما والفقهاء بينوا مراد المجتهدين لمن لم يستطع فهم كلامهم

(المصلح) : لقد اكثرت الوسائط وغفلت عن قولي الاول وهو ان الله ورسوله اقدر على البيان ممن عداهما وان القول بأن بيان الرسول لم يكن كافياً للامة قول بأنه لم يبلغ رسالة ربه ومن يقول بهذا ؟ أما تعلم العربية فمن اسهل الامور على كل عاقل . ألم يهدِ لك كيف نبغ فيها الاعاجم عندما كانت داعية الدين سائقة لهم اليها ؟ وهل هي الا لغة من احسن اللغات أو أحسنها واننا نرى الاطفال يتعلمون فى المدارس عدة من اللغات التي هي دون العربية فى التهذيب وسلامة الذوق وسهولة النطق

(المقلد) : ان اذهان الناس وعقولهم فى هذا الزمان اضعف مما كانت عليه فى ازمنة المجتهدين ومن بعدهم كالزمخشرى والشيخ عبدالقاهر الجرجانى والسكاكي واضرابهم والدليل على هذا ان احدنا يمكث فى الجامع الازهر عشرين سنة ولا يقدر ان يفهم من كلامهم حق الفهم الا ما تلقاه عن المشايخ الذين تلقفوه عمن قبلهم

(المصلح) : بعيشك لا تلجئنى الى التكرار فى القول فقد قلت لك آنفاً ان هذا مرض اجتماعى عارض يجب ان نعالجه ومتى اصبنا علاجه الحقيقي يزول وتظهر فى ابناء عصرنا سنة الله فى ترقى الانسان كما ظاهرة فى غيرنا من الامم الذين يرتقون فى لغتهم وجميع علومهم . وان خمس سنين كافية لان يتعلم الطالب العربية فيخرج كاتباً وخطيباً يفهم جميع كلام البلغاء

اذا وجد من يعرف طريقة التعليم المثلى . ولكن اهل الازهر لا يعرفون هذه الطريقة ولا يقبلون من يعرفها من غيرهم واذا لم تصدقوا فجربوا وانا الذى اقوم بذلك أو ادلكم على من يقوم به

(المقلد) : انى لا استطيع ان انكر عليك ذلك ولا ان اسلم لك به فدعنا منه واذكر لى بقية مقدماتك فانى اراك تخلق لى مسائل غير ما اتعبت نفسى فى مطالعته عدة اشهر وارجو ان تجيء مناسبته فى النتيجة

(المصلح) : المقدمة الثالثة — لو ان اكثر الناس يعجزون عن فهم الدين مما يبلغ الرسول من كتاب يكتب ويتلى وسنة يعمل بها لما كلفهم الله به (المقدمة الرابعة) ان الله امر الناس بان يكونوا على بصيرة فى دينهم فقال « قل هذه سبيلى ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني »

(المقدمة الخامسة) : ان الله تعالى ذم التقليد ونعى على اهله ووبخهم فى آيات منها قوله تعالى بعد الاحتجاج على المشركين وبيان انه لا حجة لهم: « بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمةٍ وانا على آثارهم مهتدون ، وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذيرٍ الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمةٍ وانا على آثارهم مقتدون ، قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون . » فقد احتج على المقلّدين بأنه يجب عليهم النظر واتباع ما هو أهدى ولم يعذرهم بالتقليد فدلّ على انه غير مقبول عنده . ولو كان التقليد عذراً لأحد لكان جميع الكفار والمشركين معذورين عند الله تعالى فى عدم اتباع الحق بحجة أنهم ليس لهم نظر يميزون به بينه وبين الباطل

(المقلد) : ان التقليد ليس عذراً فى اصول الدين وعقائده بخلاف الفروع

(المصلح) : ان فهم فروع الدين بأدلتها اسهل من فهم اصوله وعقائده بالبرهان لأن ادلة الفروع هو نقلها بطريقة تثق بها النفس ولكن العقائد لا بد فيها من براهين عقلية فكيف يكلفهم بالشاق ويعذرهم بما لا مشقة فيه . نعم ان استنباط المسائل النادرة بالقياس والرأي اصعب من فهم العقيدة ببرهانها ولكن هذه المسائل مما يعذر الفقهاء الجاهل بها اذا لم يرعها فى عمله وسيأتى بيان ذلك . وانت تعلم ان ما علم من الدين بالضرورة من مسائل الاعمال حكمه حكم العقائد كالصلاة بالكيفية المعروفة وعدد ركعاتها وكالصوم والزكاة والحج وكل هذا منقول بالعمل تواتراً لا كلفة على احد فى فهمه وانما موضع البحث المسائل الشاذة والنادرة . (المقدمة السادسة): ان الله تعالى ايد الانبياء بالآيات الدالة على صدقهم ليكون متبعهم على بصيرة وبينة فى دينه ولم يؤيد المجتهدين بمثل ذلك فمن اخذ بقولهم لا يكون على بصيرة ومن كان كذلك فهو على غير سبيل الرسول بحكم النص (المقدمة السابعة) اننا نهينا عن السؤال عمّا لم يبين لنا . قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تُبْدَ لكم تَسؤكُم » . وفى صحيح مسلم : خطبنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال : « ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا » فقال رجل — هو الاقرع بن حابس — أكلّ عام يارسول الله . فسكت عليه الصلاة والسلام حتى قالها ثلاثاً فقال صلى الله تعالى عليه وسلم « لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم » ثم قال « ذرونى ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه » وذكر ابن حبان ان الآية نزلت لذلك . وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « ان الله قدفرض

فرائض فلا تضيعوها وحدَّ حدوداً فلا تعتدوها وحرم اشياء فلا تنتهكوها وسكت عن اشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها » رواه الدار قطنى عن ابى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه واورده النووىّ فى الاربعين وحسنه وصححه ابن الصلاح ورواه آخرون . كل هذا كان قبل اكمال الدين أفلا يكون بعد اكماله آكد وأولى ؟ ولكننا لم نمتثل كل هذه الاوامر والنواهى وأنشأنا نفرض مسائل ونخترع لها احكاماً نستدل عليها بضروب من الآراء والاقيسة الخفية او غير الخفية وهي تتعلق بأمور العبادات التى لا مجال للعقل فيها فوسعنا الدين بذلك وجعلناه اضعاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم واوقعنا المسلمين فى الحرج والعسر المنفيين بنص القرآن ولا حجة لنا فى هذا الا تقليد بعض الفقهاء الذين فرضتم علينا اتباع ما يقولون وان خالف صريحاً ما يقول الله ورسوله

(المقلد) : اعوذ بالله اعوذ بالله ما اراك يا هـذا الا ظاهرياً تنكر القياس وهو من اصول الدين وتزعم ان الائمة زادوا فى الدين ما ليس منه

(المصلح) : مهلاً مهلاً أنا لا انكر القياس بالمرة ولكننى اقول كما قالوا : ان الأمور التعبدية لا قياس فيها وأقول ان العبادات كلها قد تمت وكملت فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم كالعقائد فليس لأحد ان يزيد فى الدين شيئاً يتعلق بالعبادة كما لا يزيد شيئاً يتعلق بالعقائد لأن الاعتقادات والعبادات هي الدين الذى قال الله تعالى فيه « اليومَ أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتى ورَضيتُ لكم الإسلام ديناً » واما القياس والرأي الذى تسميه الحنفية استحساناً فينبغى ان يكون مخصوصاً فيما يختلف باختلاف الزمان والمكان كالمعاملات والأقضية واما الاعتقاد والعبادة اللذان يرضاهما

الله تعالى فلا يختلفان باختلاف الزمان وهذه هي (المقدمة السابعة) مما اردت تقديمه على بيان رأيي في الوحدة الاسلامية مع احترام الائمة والاعتراف بفضلهم والاهتداء بهديهم (المقدمة الثامنة) هي ان الأئمة انفسهم نهوا عن التقليد وحرموه وسأتلو عليك اقوالهم فيه . وأما النتيجة فهي

(المقلد) : انظرني فقد كلّ ذهني وسمعت ما لم يكن يخطر لي ببال. انظرني حتى اراجع تفسير الآيات التي اوردتها وشروح الاحاديث التي سردتها ، وسأعود اليك قبل عيد الاضحى لإتمام المناظرة وان كان الوقت قصيراً وكان في عزمي ان اقضي أيام العيد في الأرياف

(المصلح) : لك ذلك وانني انتقد على الناس لا سيما الوجهاء منهم مغادرة بيوتهم في ايام العيد الذي يستحب فيه الفرح والسرور مع الأهل والاقارب الا من كان اهله خارج مصر وكان موظفاً يتربص مثل هذه الفرصة لزيارتهم . ثم انصرفا على ان يعودا عن قريب

﴿ باب التفسير من القسم الديني ﴾

«ملخص مما أملاه في الازهر . مولانا الاستاذ الاكبر . صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده»
« مفتي الديار المصرية »

ومِنَ الناس مَنْ يقولُ آمنَّا باللهِ وباليوم الآخر وما هُمْ بمؤمنين . يُخادِعون اللهَ والذين آمنوا وما يَخدعون الا أنفسَهم وما يَشعُرون . في قلوبهم مرض فزادَهم الله مرضاً ولهم عذابٌ اليمٌ بما كانوا يكذبون

أورد الاستاذ اولاً كلام التفسير (الجلالين) وبحث فيه وبينه كالعادة ومما انتقده عليه ان كلامه يوهم ان هذه الآيات لا تتعلق بما قبلها

مع انها تتمة له . وذكر ان يوم القيامة سمى باليوم الآخر لانه آخر الايام فان اليوم الذى كانت به الحياة الاولى هو ابتداء طور جديد من الحياة ينتهي بالموت ويوم القيامة ابتداء طور آخر لا موت بعده . ثم قال مامثاله ملخصاً :

قدمنا ان الكلام من اول السورة فى القرآن واقسام الناس بازائه . وذكرنا منهم ثلاث فرق — فرقتان فيه هدى لهما احداهما المتقون وبين حالهم بقوله «الذين يؤمنون بالغيب» الخ ومنهم الذين كانوا يدعون الحنيفيين كما تقدم . والثانية هى المذكورة فى قوله تعالى « والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما انزل من قبلك » الخ وهم كل من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب وغيرهم

وبينا انه يوجد بازاء هاتين الطائفتين طائفتان أخريان لا ترجى هدايتهما بالقرآن . الاولى منهما هي المشروح حالها فى قوله تعالى « ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون » الخ وهي كما قدمنا تنقسم الى قسمين — جاحدين لا يسمعون ومعاندين يعرفون الحق ولا يذعنون . وهذه الآيات التى نحن بصدد تفسيرها الآن هي المبينة حال الفرقة الرابعة وهي فرقة من الناس توجد فى كل امة وفى كل عصر . وليست الايات كما قيل فى أولئك النفر من المنافقين الذين كانوا فى عصر التنزيل ولذلك لم يقل عنهم انهم يقولون « وآمنا بك يا محمد » وما كان القرآن ليعتني بأولئك النفر الذين لم يلبثوا ان انقرضوا كل هذه العناية ويطيل فى بيان حالهم اكثر مما اطال فى الاصناف الثلاثة الذين هم سائر الناس

نعم ان الآيات على عمومها تنطبق على من كان منهم فى عصر التنزيل وتصف

حالهم وهي مع ذلك عبرة ناطقة لمن يجيء من هذا الصنف الى يوم القيامة وقد كانت مؤلفة من اليهود والنصارى والصابئين والمجوس ولم يحك عنهم دعوى الايمان بالانبياء والاعمال الصالحة مع ان منهم الذين كانوا يدعون ذلك لان الايمان باليوم الآخر يتضمن ذلك فهو يعرف من قبل الانبياء وهذا من ضروب ايجاز القرآن التى بلغت حد الاعجاز

يقال : ان أولئك القوم كانوا معتقدين بالله وباليوم الآخر فلم قال « وما هم بمؤمنين » والجواب ان اعتقادهم التقليديّ الضعيف لم يكن له اثر فى اخلاقهم واعمالهم فلو حُصل ما فى صدورهم ومحّص ما فى قلوبهم وعرفت مناشئ الاعمال من نفوسهم لوجد ان ما كان لهم من عمل صالح كصلاة وصدقة فانما مبعثه رئاء الناس وحب السمعة وهم من وراء ذلك منغمسون فى الشرور كالافساد والكذب والغش والخيانة والطمع وغير ذلك من الرذائل التى حكاها عنهم الكتاب والسنة . وهذه الاعمال تدل على انهم لا يؤمنون بالله كما يحب ويرضى ان يؤمن به وهو ان يشعر المؤمن بعظيم سلطانه ويعلم انه مهيمن على السرائر ، وعالم بما فى الضمائر ، فيرضيه بظاهره وباطنه . كانوا يكتفون ببعض ظواهر العبادات يظنون انهم يرضون الله تعالى بذلك . والعمل الظاهريّ الذى لا يصدقه الباطن اذا قصد به ارضاء آخر يسمى فى اللغة مداجاة ومداراة ومخادعة فان كان يقصد به المخادعة فظاهر والا فيكفي لصحة الاطلاق ان العمل عمل المخادع ، لا عمل الطائع الخاضع ، وهذا هو مراد القرآن بالنسبة لهؤلاء الذين هم من اهل الكتاب المؤمنين بالله ايماناً ناقصاً لم يقدروا الله حق قدره ويستحيل ان يقصد المؤمن بالله تعالى مخادعته ولكنهم لجهلهم بالله ظنوا ماسوّغ وصفهم بما

ذكر عنهم . فهذا هو معنى قوله تعالى «يخادعون الله والذين آمنوا» واما قوله «وما يخدعون الا انفسهم» فهو بيان للواقع فان هذه الاعمال لا قيمة لها عند الله تعالى خلافاً لما يتوهمونه عن غير هدى ولا بينة .

اذا رجع الانسان الى نفسه واصغى لمناجاة سره يجد عندما يهم بعمل شيء ان فى قلبه طريقين ، وفى نفسه خصمين مختصمين ، احدهما يأمره بالعمل وسلوك الطريق الاعوج . والآخر ينهاه عن العوج ويأمره بالاستقامة على المنهج ، ولا يترجح عنده باعث الشر ولا يجيب داعى السوء الا اذا خدع نفسه بعد المشاورة والمذاكرة المطوية فيها وألفتها عن الحق وزين لها الباطل . وهذه الشؤون النفسية فى غاية الخفاء تكون المنازعة ثم المخادعة ثم الترجيح ويمر ذلك كله كلمح البصر وربما لا يلتفت اليه الانسان بفكره ولذلك قال «وما يشعرون» فان الشعور هو ادراك ما خفي

هؤلاء المغرورون اذا عرض زاجر الدين بينهم وبين شهواتهم قام لهم من انفسهم ما يسهل لهم امره من امل فى الغفران أو تأويل الى غير المراد او تحريف الى ما يخالف القصد من الخطاب وذلك بما رسخ فى نفوسهم من ملكات السوء المغشاة بصور من العقائد الملونة بما قد يتجلى للأعين فيما يسمونه ايماناً وماهم فى الحقيقة بمؤمنين وانما هم خادعون مخدوعون ولكنهم لما عُمّيَ عليهم من امر انفسهم لا يشعرون لان ذلك يمر فى انفسهم وهم عنه غافلون

وفرق ظاهر بين ماتستحضره النفس من المعلومات وما هو راسخ فيها من تلك المعلومات وباعث لها على العمل . فمن العلوم ما هو ثابت فى النفس ممتزج فيها امتزاج الاخلاق والصفات وهو العلم الحقيقي الذى تصدر

عنه الاعمال وربما يغفل الانسان عنه ولا يلاحظه عند ما يعمل وفرق بين ملاحظة العلم واستحضاره وبين وجوده وتحققه فى نفسه . ومن العلوم ما يلاحظ الانسان انه عنده فهو صورة عند النفس تستحضره عند المناسبة ويغيب عنها عند عدمها لأنه لم يشرب به القلب ولم يمتزج بالنفس فيصير صفة من صفاتها الراسخة التى لا تزايلها . فاستحضار هذا العلم كاستحضار الكتاب واللوح وادراك ما فيه ثم الذهول عنه ونسيانه عند الاشتغال بشىء آخر

فهؤلاء الذين يخدعون انفسهم ويخدعون الله تعالى عندهم علم تنبعث عنه اعمالهم وهو تصديقهم بما فى شهواتهم من المصلحة لذواتهم وهو الذى رجّح عندهم اختيار مافيه قضاؤها والانصباب الى ماتدعو اليه وهو ما أنساهم ما كانوا خزنوا فى انفسهم من صور الاعتقادات الدينية فابعدهم ذلك عن الاعتقاد الحقيقي الذى يعتد به وجعله رسماً مخزوناً فى الخيال ، لا اثر له فى الاعمال ، يدّعونه بألسنتهم وتكذبهم فى دعواهم اعمالهم واحوالهم ولذلك نسبهم الى الدعوى القولية ولم يقل فيهم ما قال فى ذلك الفريق الاول « الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » فانه ذكر إيمانهم واعقبه بذكر العمل الذي يشهد له . ومن هنا يعلم ما هو الايمان الذى يعتد به القرآن وهو يظهر لمن يقرأ القرآن ليحاسب به نفسه ويزن ايمانه وأعماله بما حكم به على ايمان من قبله واعمالهم لا لمن يقرأه على انه قصة تاريخية مات من من حكم عليهم . فان كان مات من كانوا سبب النزول فالقرآن حي لا يموت ينطبق حكمه ويحكم سلطانه على الناس فى كل زمان

ثم قال تعالى : « فى قلوبهم مرضٌ » عهد عند العرب التعبير عن العقول بالقلوب والمرض هو ما يطرأ على العقول فيضعف تعقلها وادراكها والشك

والوهم من اعراض هذا المرض فهو ظلمة تعرض للعقل فتقف بشعاعه ان ينفذ الى ما وراء التكاليف والاحكام من الاسرار والحكم . وهذا النفوذ هو الفقه فى الدين الذى يسوق النفس الى الاخذ به ظاهراً وباطناً وقد عبر القرآن عن فقد امثال هؤلاء لهذا بقوله « لهم قلوبٌ لا يفقهون بها » . وربما كان التعبير عن العقول بالقلوب فى مثل هذا المقام لأن القلب هو محل الوجدان الذى هو السائق الى الأعمال . فصورة الاعتقاد اذا تناولها العقل من طريق التقليد والتسليم فجعلها فى زاوية من زوايا الدماغ لم يكن لها سلطان على الوجدان ولا تأثير فى القلب . واعتقادٌ لا يصحبه هذا السلطان ولا يصدرعنه هذا التأثير لا يعتد الله تعالى به ولا يستفيد الانسان منه كما تقدم آنفاً . فمن لم يطرق الايمان قلبه بقوة البرهان بحيث يكون هو المصرّف له فى أعماله لا ينفعه ايمانه الا اذا تمرّن على الاعمال الصالحة عن فهم واخلاص حتى يحدث لقلبه الوجدان الصالح فأهل اليقين يبعثهم يقينهم على العمل الصالح واهل التقليد تلحقهم اعمالهم الصالحة بأهل اليقين فى الانتفاع بايمانهم . وهذا الفريق الذى تحكى عنه الآيات فَقَدَ الأمرين معاً

قال الاستاذ : ولضعف العقل اسباب منها ما هو فطريٌّ كما هو حال اهل البله والعته وهو الذى لا يكلف صاحبه ولا يلام . ومنها ما يكون من فساد التربية العقلية كما هو حال المقلدين الذين لا يستعملون عقولهم وانما يكتفون بما عليه قومهم من الأوهام والخيالات ، ويرين على قلوبهم ما يكسبونه من السيئات ، وما يكونون عليه من التقاليد والعادات ، ولا يعتنون بما امر الله من تمزيق هذه الحجب ، وازالة هذه السحب ، للوقوف على ما وراءها من مخدرات العرفان ، ونجوم الفرقان ، وشموس

الايمان ، بل يكتفون بما حكى الله تعالى عنهم فى قوله « انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون » حتى يجئ اليوم الذى يقولون فيه « ربّنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا »

كان فى قلوبهم المرض قبل مجىء النذير وبيان الرشد من الغيّ عند ما كانوا فى فترة حظهم من الكتب قراءة الفاظها ومن الأعمال اقامة صورها « فزادهم الله مرضاً » بعد ما جاءهم النذير ووجدوا منه زعزعة فى انفسهم ولكن أخذتهم العزّة بالاثم فأبوا الايمان ، ونبوا عن القرآن ، فكان شعاع النور الذى جاء به الرسول عمى فى اعينهم ومرضاً على مرضهم « ولهم عذاب أليم » فوق هذه الامراض « بما كانوا يكذِبون » وفى قراءة يكذبون بالتشديد اى انهم فى مرض مؤلم من زلزال عقائدهم واضطراب نفوسهم ولهم من بعده عذاب أليم بسبب تكذيبهم النبى صلى الله عليه وسلم . والقراءة الاولى هى المشهورة والعذاب فيها مقرون بالكذب لا بالتكذيب وقد يقال : لم جعل العذاب جزاء الكذب دون الكفر؟ والجواب ان الكفر داخل فى هذا الكذب وانما اختير لفظ الكذب فى التعبير للتحذير عنه وبيان فظاعته وعظم جرمه وان الكفر من مشتملاته ، ولا ينتهى اليه فى غاياته ، ولذلك حذر القرآن عنه اشد التحذير وتوعد عليه اسوأ الوعيد . وما فشا الكذب فى قوم الا فشت فيهم كل جريمة وكبيرة لانه ينشأ من دناءة النفس وضعف الحياء والمروءة ومن كان كذلك لا يترك قبيحاً الا بالعجز عنه نعوذ بالله تعالى

﴿ أسئلة دينية وأجوبتها ﴾

(فضل سيدنا محمد على سائر الانبياء)

(س) حضرة الاستاذ الفاضل صاحب المنار الاغر

رجل يدعى بأنه مؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وان نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله حقاً ، وخاتم الانبياء صدقاً ، لكنه لا يصدق بأنه سيد الانبياء والمرسلين الا بالدليل القطعي الذى لا شبهة فيه { وهو كتاب الله عز وجل }

واذ كانت جريدتكم الغراء هى الوحيدة فى خدمة الدين والملة لزم ترقيمه لحضرتكم راجياً ايضاح الحجة القوية قطعاً لألسنة المعارضين من امثال ذلك الغر الجهول وخدمة للدين القويم وان يكون ذلك { ان استحسنتم } مسطوراً على صفحات جريدتكم الغراء اذ فيه هدى لقوم لا يشعرون

كاتبه

عبد المجيد محمد بمصر

ج (المنار) ليس فى القرآن نص صريح فى تفضيل سيدنا محمد على سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام بلفظ السيادة اوالتفضيل وذكر اسمه الصريح ولكن فيه آيات كثيرة صريحة فى معنى التفضيل لا تنطبق على غيره عليه الصلاة والسلام والاحاديث الصحيحة فيه كثيرة واشهرها حديث « انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وما من نبى آدم فمن سواه الا تحت لوائى » وفى رواية للبخاري وغيره « انا سيد الناس يوم القيامة » نعم هذه الاحاديث لا تفيد القطع لانها رواية آحاد غير متواترة الا أن من لا شبهة

له فى رواياتها يصدق ان النبي صلى الله عليه وسلم قالها ومتى صدق بالرواية تعين عليه الايمان بمضمونها لان دلالتها قطعية لا تحتمل التأويل

اما الآيات التى استدلوا بها على تفضيله عليه افضل الصلاة والسلام فكثيرة منها آية العهد والميثاق وهى قوله تعالى «وإذ أخذَ اللهُ ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به به ولتنصُرُنه قال أقررتم واخذتم على ذلكم إصْري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين» ولم يجيء رسول يصدق عليه ما ذكر غير محمد صلى الله عليه وسلم ومن ثم اتفقوا على انه هو . ومنها الآيات الدالة على عموم بعثته وكونه خاتم النبيين ورحمة للعالمين كقوله تعالى «وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً» وقوله «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» وقوله «ولكن رسولَ اللهِ وخاتم النبيين» واحسن بيان لوجه التفضيل من كونه خاتم النبيين ما جاء فى رسالة التوحيد لفضيلة مفتى الديار المصرية لهذا العهد فانه بين ان الاديان ارتقت بارتقاء البشر وان الاديان السابقة انما منحها الله تعالى لنوع الانسان عند ما كان النوع فى اوائل طور التميز وانه لما بلغ رشده منح الاسلام الذى هو دين الفطرة ومبدأ المدنية الكاملة وأما وجه التفضيل من كونه ديناً عاماً باقياً ما بقى العالم فلا أراه يحتاج الى بيان . ولا يُلتفت الى دعوى المسيحيين ان دينهم عام فان الانجيل الذى فى ايديهم ينطق بلسان السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بقوله «لم ابعث الا الى خراف اسرائيل الضالة» وهو حصر لا ينافيه قول انجيل يوحنا «واكرزوا بالانجيل فى الخليقة كلها» لان اللام فى الخليقة لا يصح ان تكون للاستغراق لانه يدخل فيها حينئذ الحيوان الاعجم والنبات والجماد

فيتعين ان تكون للعهد ولا معهود الا « خراف اسرائيل الضالة » وبهذا يرتفع التناقض . ومنها قوله تعالى « كنتم خير امة اخرجت للناس » الآية وتفضيل الامة يستلزم تفضيل نبيها لان خيريتها ما جاءتها الا من هدايته ومن كانت هدايته خيراً كان خيراً وافضل . ومنها قوله تعالى « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات » فقد قالوا ان هذا البعض هو محمد صلى الله عليه وسلم . نعم ان اللفظ ليس نصاً معيناً ولكن القرائن الحالية الوجودية تعينه والمقام يحتمل التطويل وفى هذا القدر كفاية والله اعلم

شبهات المسيحيين على الاسلام

اطلعنا على صحيفة كبيرة لاحد المشتغلين بقراءة الكتب التى نشرتها البعثات النصرانية فى الطعن بدين الاسلام يسأل فيها كاتبها كشف شبهات علقت فى ذهنه من مطالعة تلك الكتب . ومن الواجب ان نجيب عن هذه الشبهات لان المدافعة عن الدين اهم ما انشئ له المنار ولكن سنتنا التى جرينا عليها من اول يوم هى مسالمة المخالفين لنا فى الدين لا سيما المسيحيين بل السعي فى ازالة الاحقاد ، والاتفاق على ما فيه نجاح البلاد ، ونود أن لا يطعن احد فى دين الآخر لا قولاً ولا كتابةً ولكن المسيحيين لا يوافقوننا على هذا كما يوافقنا المسلمون ولذلك نراهم يعقدون الجمعيات للطعن اللساني فى الاسلام وينشرون الجرائد (كراية صهيون) ويؤلفون الكتب للطعن الكتابي . واننا نصبر على هذا التعدي ونكتفي بكشف شبهات السائلين من اهل ديننا مع مراعاة الادب فنقول

انا قد عجبنا لهذا المسلم المطالع كتب المسيحيين كيف اكتفى بمطالعتها من غير ان يطالع الكتب الاسلامية التى تقابلها بالمثل وتدفع شبهاتها وتورد عليها ما لا دافع له ككتاب « اظهار الحق » وكتاب « السيف الصقيل » وغيرها فاول جواب نجيبه به ان عليه ان يطالع تلك الكتب وبعد مطالعتها والموازنة بينها وبين كتب المسيحيين التى طالعها يسأل عما يشتبه عليه ان بقيت له شبهة لان الجريدة التى طلب ان تنشر فيها الاجوبة عن شبهاته لا يمكنها استيفاء الكلام فى مواضيعها لانها تستلزم الطعن الذى تحاماه خلافاً لما جاء فى آخر صحيفته . ثم ان شبهاته تنقسم الى ثلاثة اقسام — (احدها) مخالفة بعض نصوص الدين الاسلامي لما ورد فى كتب اليهود والنصارى . (ثانيها) ورود اشياء فى القرآن لم ترد فى تلك الكتب . وان تعجب فعجبٌ اشتباه هذا المسلم فى هذا النوع فان السكوت عن الشيء لا يعد انكاراً له فكيف يشتبه بما يعتقد ان الله اخبر به لان اولئك المؤرخين لم يذكروه !!! (ثالثها) ورود اشياء فى الكتاب والسنة مخالفة للواقع او لما ثبت فى العلوم الحديثة بزعم من تلقى عنهم . واننا نجيب عن القسمين الاول والثالث وحسبنا فى الجواب عن الثانى ما ذكرنا من انه لا وجه للاشتباه به ونبدأ الجواب بمسئلة وجيزة فى اعتقاد المسلمين بالتوراة والانجيل فنقول :

ان السائل يحتج على كون التوراة والانجيل من عند الله تعالى بالقرآن تبعاً لدعاة النصرانية الذين ولع بسماع كلامهم وقرآءة كتبهم ولعمري انه لا تقوم على ذلك حجة الا شهادة القرآن فشهادة القرآن حجة على ان الله تعالى شرع على لسان موسى عليه السلام شريعة سماها التوراة وهذه الشهادة شبهة على القرآن لانها شهادة بحقيّة شيء يشهد العقل والعلم والوجود

ببطلانه بل يشهد هو ببطلان نفسه . اما شهادته ببطلان نفسه فبما فيه من التناقض والتعارض وأما شهادة العقل والعلم والوجود فبمخالفة تلك الكتب التي تسمى عند القوم توراة لها . واذا اراد السائل ان يعرف هذا تفصيلا فليطالع ما كتب فيه من الانسكلوبيديا الفرنسوية الكبرى وغيرها من الكتب التي ألفها علماء اوروبا ومثل اظهار الحق من كتب المسلمين

واما الجواب عن هذه الشبهة الذي يظهر صحة شهادة القرآن فهو ان التوراة التي يشهد لها القرآن هي كتاب شريعة واحكام لا كتاب تاريخ مقتبس من ميثولوجيا الاشوريين والكلدانيين وغيرهم فنبالي بتكذيب علم الجيولوجيا وعلم الآثار العادية له اوموافقة هذا لبعض ماورد فيه ولا تاريخ طبيعي فنبالي بتكذيب ما ثبت بالتجارب الوجودية من مخالفته كثبوت كون الحيات لا تأكل التراب وان جاء في سفر التكوين ان الرب قال للحية «وتراباً تأكلين كل ايام حياتك» فضلاً عما فيه من نسبة ما لا يليق بالله اليه تعالى ككونه ندم على خلق الانسان ونحو ذلك . فالتوراة حق وهى الشرائع والاحكام التى كان يحكم بها موسى ومن بعده من انبياء بنى اسرائيل عليهم السلام واحبارهم كما قال تعالى « انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار » ولم يشهد القرآن لهذه الكتب الكثيرة التاريخية التى منها مالم يعلم مؤلفه وكاتبه وكلها كتب بعد موسى صاحب التوراة بزمن طويل وبهذا الجواب تصح شهادة القرآن وتبطل اسئلة المشتبه فى الخلاف التاريخى بين القرآن وكتاب حزقيال واشعيا ودانيال وغيرهم لان هذه الكتب لم يشهد لها القرآن ولا تعترن بتسمية القوم لجميع كتب العهد بالتوراة فذلك اصطلاح

جرى على سبيل التغليب بل اننا نرى النصارى كثيراً ما يسمون مجموع كتب العهدين العتيق والجديد التوراة عند ما تكون مجتمعة

واما الانجيل فهو فى اعتقاد المسلمين ما اوحاه الله تعالى الى السيد المسيح عليه الصلاة والسلام من المواعظ والحكم والاحكام وكان يعظ به ويعلم الناس . وما زاد على ذلك من هذه الكتب التى يسمونها انجيلاً فهو فى نظر المسلمين من التاريخ ان كان خبراً وان كان حكماً او عقيدة فهو لمن قاله . وانت تعلم ان النصارى يسمون مجموع كتب العهد الجديد انجيلاً ويعترفون بأنها كتبت بعد المسيح بأزمنة مختلفة وليس لها ولا لكتب العهد العتيق اسانيد يحتجون بها .

والقرآن يشهد على النصارى بأنهم لم يحفظوا جميع ما وعظهم به المسيح من الوحي المسمى بالانجيل حيث قال : «ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً مما ذُكِّروا به» والانجيل يطلق على بعض ذلك الوحي كما يطلق لفظ القرآن او قرآن على بعضه . تقول كان فلان يقرأ القرآن . ومثل هذا الاستعمال معروف حتى فى الكتاب والسنة وكان القرآن يسمى قرآناً قبل تمام نزوله

ولما كانت احكام التوراة وحكم الانجيل موجودة عند اليهود والنصارى بلا شبهة كان القرآن يحتج عليهم بعدم اقامتها ولا يمنع من هذا الاحتجاج مزجهم اياها بالتاريخ ولكن هذا المزج هو السبب فى قول النبي صلى الله عليه وسلم «لا تصدقوهم ولا تكذبوهم» اى عندما يعرضون عليكم شيئاً من كتبهم . وذلك لانه ليس عندنا فرقان نميز به بين الاحكام الاصلية الموحى بها وبين ما مزج بها فى التأليف . نعم اننا نرجح بعقولنا ان الاحكام المسندة الى

سيدنا موسى فى سفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية كلها او جلها من التوراة لانها ان لم تكن هى فأين هى ؟ ونرجح مثل ذلك فى وعظ المسيح على الجبل كما فى تاريخ (انجيل) متى وغير ذلك من المواعظ كما رجح بعض العلماء فى اوربا والشرق ان جزءاً كبيراً من الانجيل الحقيقى دخل فى كتاب اشعيا . واما الاخبار التى عند القوم فما خالف منها القرآن نقطع بكذبه ولا غرو فالله يصدق والمؤرخون يكذبون . وهو معنى قوله تعالى « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » واننا نكتفى الآن بهذا القدر وموعدنا الجزء الآتى . وان كان للسائل شبهة فيما كتبنا فليكتب الينا لنزيده ايضاحاً . وكنا نحب ان يجيئنا الى ادارة المنار ويأخذ الاجوبة الشفاهية لان حرية اللسان اكبر من حرية القلم . ولولا ان فقهاءنا يحكمون بكفر من يعلم ان مسلماً شاك فى دينه وهو قادر على ازالة شكه ولم يفعل لما كتبنا شيئاً مما كتبنا لاننا خطباء وفاق ووئام ، وطلاب مودة والتئام ، ولكن ديننا اوجب علينا هذا لا سيما وان السائل كتم اسمه وطلب ان يجاب فى المنار فتعين علينا ذلك

آثار علمية ادبية

الشيعة واهل السنة — اختلافهما

كان الشيخ مهذب الدين بن منير الطرابلسى شيعياً اديباً وشاعراً بليغاً وكان هاجر الى بغداد لمدح الشريف الموسوى نقيب الطالبيين والاتصال به فلما جاء بغداد ارسل الى الشريف هدية مع مملوكه بل معشوقه (تتر)

الذي سارت الركبان بغرامه فيه فجعل الشريف الغلام من الهدية فكاد يجن ابن منير وارسل الى الشريف والى تتر هذه القصيدة

عذبت طرفي بالسهر — وأذبت قلبي بالفكر
ومزجت صفو مودتي — من بعـد بُعدك بالكدر
ومنحت جثماني الضنى — وكحلت جفني بالسهر
وجفوت صباً ما له — عن حسن وجهك مصطبر
ياقلب ويحك كم تخا — دَع بالغرور وكم تُغر
وإلامَ تكلفُ بالأغنّ — من الظباء وبالأغر
ريم يفوّق ان رما — كَ بسهم ناظره النظر
تركتك اعينُ تُرْكها — من بأسهن على خطر
ورمَتْ فاصْمَتْ عن قسـ — يٍّ لا يناط بها وتر
جرحتك جرحاً لا يخيـ — ط بالخيوط ولا الإبر
تلهو وتلعب بالعقو — ل عيونُ ابناء الخزر
فكأنهن صوالج — وكأنهن لها أكر
تخفي الهوى وتسرّه — وخفيُّ سرك قد ظهر
أفهل لوجدك من مدى — يفضى اليه فينتظر
نفسي الفداء لشادن — انا من هواه على خطر
رشأ تحاوله الخوا — طر ان تثنى او خطر
عذل العـذول وما رآ — ه يخين عاينه عذر
قمر يزيّن ضوء صبـ — ح جبينه ليل الشعَر
تُدمى اللواحظ خدَّه — فيرى لها فيه أثر

هو كالهلال ملثماً … والبدر حسناً ان سفر
ويلاه ما أحلاه فى … قلبي الشقيّ وما أمرّ
نومى المحرم بعده … وربيع لذاتى صفر

*
* *

بالمشعرين وبالصفا … والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا … ف به ولبى واعتمر
لئن الشريف الموسويّ … بن الشريف ابى مضر
ابدى الجحود ولم يرد … الي ّ مملوكي تتر
واليت آل امية الط … هر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر … وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا … بة بين قوم واشتهر
قلت المقدم شيخ تيـ … م ثم صاحبه عمر
ما سل قطُّ ظبى على … آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو … لَ عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما … شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيـ … د بكاء نسوان الحضر
وشرحتُ حسن صلاته … جنح الظلام المعتكر
وقرأت من اوراق مصـ … حفه البراءة والزمر
ورثيت طلحة والزبيـ … ر بكل شعر مبتكر
وأزور قبرهما وأز … جر من لحانى او زجر
وأقول ام المؤمنيـ … ن عقوقها احدى الكُبَرْ

ركبتْ على جملٍ لتصـ ـبح من بنيها فى زُمَر
وأنت لتصلح بين جيـ ـش المسلمين على غَرَر
فأتى ابو حسن وسـل حسامه وسطا وكر
واذاق اخوته الرَّدى وبعير امهم عقر
ما ضره لو كان كفَّ وعف عنهم اذ قَدَر
وأقول ان امامكم ولّى بصِفّين وفر
وأقول ان اخطا معا ويةُ فما اخطا القدر
هـذا ولم يغـدر معا وية ولا عمرو مكر
بطل بسوءته يقا تل لا بصارمه الذَّكر
وجنيتُ من رُطب النوا صب ما تَمَرَّ واختمر
وأقول ذنب الخارجـ ـين على عليٍّ مغتفر
لا ثائر لقتالهم فى النهروان ولا أثر
والأشعرىُّ بما يؤ لُ اليه امرهما شعر
قال انصبوا لى منبراً فانا البريء من الخطر
فعلا وقال خلعتُ صا حبكم وأوجز واختصر
وأقول ان يزيد ما شرب الخمور ولا فجر
ولجيشه بالكف عن ابناء فاطمة امر
والشِّمرُ ما قتل الحسيـ ـن ولا ابن سعد ما غدر
وحلقت فى عشر المحرَّ م ما استطال من الشعر
ونويتُ صوم نهاره وصيام ايام اخر
ولبست فيه أجل ثو بٍ للملابس يدَّخر

وسهرت فى طبخ الحبو ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلاً اصا فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ ق أقص شارب من عبر
واكلت جرجير البقو ل بلحم جونىّ الجفر
وجعلتها خير المآ كل والفواكه والخضر
وغسلت رجلي كله ومسحت خفي فى السفر
وأمين اجهر بالصلا ة بها كمن قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو ر لكل قبر يحتفر
واذا جرى ذكر الغديـ ر أقول ما صح الخبر
وسكنت جلق واقتديـ تُ بهم وان كانوا بقر
وأقول مثل مقالهم بالفاشرِيًّا قد فشر
مصطيحتى مكسورة وفطيرتى فيها قصر
بقر ترى برئيسهم طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم مستثقل وصواب قولهم هذر
وطباعهم كجبالهم خبثت وقدت من حجر
ما يدرك التشبيب تغـ ريد البلابل فى السحر
واقول فى يوم تحا ر له البصائر والبصر
والصحفُ ينشر طيها والنار ترمي بالشرر
هـذا الشريف اضلنى بعد الهداية والنظر
مالي مضل فى الورى الا الشريف ابو مُضر
فيقال خذ بيد الشريـ ف فمستقرٌّ كما سقر

لواحة تسطو فما | تبقي عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى | ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ | لك واحتذر كل الحذر
واليكها بدوية | رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها | قس الفصاحة لافتخر
وروى وايقن انني | بحر والفاظي درر
حبرتها فغدت كزهـ | ـر الروض باكره المطر
والى الشريف بعثتها | لما قراها وانبهر
رد الغلام وما استمرّ | على الجحود ولا أصرّ
وأثابني وجزيته | شكراً وقال لقد صبر

(المنار) لايخفى ان بعض ما قال لا خلاف فيه وبعضه عاديّ محض

(هدايا وتقاريظ)

(دائرة المعارف) صدر المجلد الحادى عشر من هذا الكتاب المفيد اوكما عرّفه واضعه الأول بقوله «قاموس عام لكل فن ومطلب» ويبتدئ الجزء الحادى عشر بلفظ الصُّلبيّة من حرف الصاد وينتهى بالكلام على الدولة العثمانية من حرف العين . والكلام فى الدولة يبتدئ من الصفحة ٧١٧ وينتهي بالصفحة ٧٥٢ . وهذا ما عدا تراجم السلاطين فان ترجمة كل سلطان مذكورة على حدتها بحسب الحروف

وفى هذا المجلد من مباحث العلوم الكلام على الصوت والطيف الشمسي ومن مباحث الصناعة اشرفها اعنى صناعة الطباعة . ويسهل على

الذكي ان يعرف اكثر ما فيه من المباحث والتراجم والكلام على الحيوان والنبات والبلاد بالتفكر فيما بين الصاد مع اللام وبين العين مع الثاء من الاسماء فنشكر لصديقنا العالم الفاضل سليمان افندى البستانى عنايته باتمام هذا العمل النافع ولمساعديه الفاضلين نجيب افندى ونسيب افندى البستانى ونحث اهل العلم وانصاره على اسعادهم بالاقبال على الكتاب

(ميزان الجواهر . فى عجائب هذا الكون الباهر)

كتاب جديد التأليف والطبع . بل والاسلوب والوضع . وهل هو كتاب توحيد وتنزيه ام كتاب اخلاق وآداب ام كتاب فكاهة ونزاهه ام كتاب طبيعة ونبات ام هو تفسير آيات بيّنات ؟؟ من قرأ وصف ، ومن ذاق عرف . مؤلف الكتاب صديقنا الاستاذ الفاضل الشيخ طنطاوى جوهري معلم البلاغة والانشاء فى المدرسة الخديوية وقد حذا به حذواً يحكي اسلوب « رسائل اخوان الصفا » المشهورة فى مزج العلوم الكونية، بالآيات القرآنية ، والمؤاخاة بين المنازع الفلسفية ، والمشارع الدينية ، الا انه نزهه من الحكايات الخرافيـة ، والسفسطات النظرية ، ولم يقصد من الكتاب تحرير فن مخصوص ببيان مسائله ، وتحرير دلائله ، وانما هو افكوهة علمية دينية فيه فائدتان لصنفين من الناس — صنف عكف على فنون العربية والفقه ومثل السنوسية والجوهرة من كتب العقائد فهو يتوهم ان علوم الكون بعيدة عن الدين ومذاهبه . وصنف اشتغل بمبادئ الفنون العصرية على الطريقة الاوربية التى لا تستلفت الذهن من الصنعة الى الصانع ولا تعرج بعقله من الكون الى المكون . فهذا الكتاب يهديه الى ذلك . وقد سبق الامام الغزالى الى هذه الطريقة فى كتاب التفكر

من الاحياء واستن صاحبنا بسنته . هذا ما لاح لى من مطالعة صفحات منه متفرقة ومطالعة خاتمته وقد التزم طبع الكتاب صديقنا الاستاذ المرشد ، والمسلم الموحد ، الشيخ على ابو النور الجربي ووكل امر نشره الى مريده الفاضل عبد الحميد بك الطوبجي ويطلب منهما ومن المطبعة المتوسطة ومن مكتبة المدارس بالصليبة وثمنه عشرة قروش

(تقويم المؤيد لسنة ١٣١٩) ما زال الكاتب الفاضل محمد افندى مسعود يزيد هذا التقويم اتقاناً عاماً فعاماً وهذه سنته الرابعة قد زادت على السنة الماضية فى كل ضرب من ضروب الزيادة — زيادة الصفحات وزيادة السطور فيها وزيادة المواضيع العلمية والأدبية وزيادة الجودة فى الورق والتجليد . ومن لطيف اختراع واضعه أن اتفق مع بعض كبار التجار الذين يحتاج كل احد الى سلعهم على ان يبيعوا من عنده هذا التقويم بأقل مما يبيعون من سائر الناس بمقدار مخصوص فى المئة بأن وضع فى كل نسخة من التقويم اوراقاً تقدم الى المحل التجاري فتكون المراعاة بها وبهذا الاختراع يكون التقويم كالقراطيس المالية المضمونة الربح . وقد اشتهر التقويم عند جميع طبقات الناس وصار سمير الادباء فى السهر . ورفيقهم فى السفر ، وهو جدير بذلك

(دعاوى وضع اليد) جرت سنة الارتقاء فى العلم بأن يتولد من العلم الواحد عند اتساع دائرته علوم متعددة تفرد بالتاليف ليسهل على طلابها الإحاطة بها وإحصاء جزئياتها فقد كان علم الطب والعلاج علماً واحداً ثم انقسم الى علوم متعددة كعلم وظائف الاعضاء وعلم التشريح باقسامه وعلم الصيدلة الخ بل افرد علماؤه الامراض العصبية بالتأليف

وكذلك امراض العيون وامراض الأذن بل وامراض الاظافر . وكذلك كان علم العربية واحد ثم انقسم الى نحو وصرف واشتقاق ووضع الخ .

ومن الارتقاء فى علم الحقوق والتأليف فيه بالعربية ما نراه يظهر من المؤلفات من فروعه ومن ذلك كتاب المحاماة الشهير لسعادة احمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة مصر وكتاب (دعاوى وضع اليد) الذى نشره من ايام المحامى البارع والقانونى الشهير مراد افندى فرج احد المحامين فى محكمة الاستئناف بمصر ولم تسمح لنا الشواغل بمطالعته ولكن اجتهاد مؤلفه فى فنه وانصراف همته الى التأليف فى هذا النوع بخصوصه يعطياننا املاً ورجاء فى توفية الموضوع حقه

(احتجاب) رسالة لطيفة فى حكم احتجاب النساء فى الشريعة الاسلامية ألفها باللغة التركية العلامة الشيخ عبد الله جمال الدين افندى قاضى مصر السابق تعمده الله تعالى برحمته وعربها الاديب الفاضل الشهير بلقب « اصمعى » باذن المؤلف وطبعها بإذن ورثته . ويظهر من مقدمة الرسالة ان المؤلف كانت تحدثه نفسه بوضعها من زمن بعيد ثم قويت العزيمة عند ما رأى رسائل تدعى « ان اسباب تأخر الاسلام فى الترقى العصري والمدنية هو بقاء نساء الاسلام اسيرات فى أيدى الرجال المتحكمين عليهن وعدم خلاصهن من قيود التستر والحجاب » فهو اذن يرد على اصحاب تلك الرسائل ولكن يا له من ردٍ ادبيّ نزيه ، وكيف لا وهو لمن يصح ان يكون فى آدابه قدوة فى عصره لكل فقيه ، وقد اورد فى الرسالة على اختصارها زبدة ما قاله المفسرون والفقهاء وشراح الحديث فى وجوب عفة النساء وتحجبهن ولولا ان الجرائد اليومية سبقتنا الى نشره لا وردنا شيئاً

منه . وقد راجت الرسالة حتى ان ناشرها اخبرنا بان نسخها نفدت وما ذلك الا لشهرة مؤلفها بالفضل رحمه الله تعالى وجزاه على حسن نيته خير الجزاء

الاخبار التاريخية

اسباب الحرب الروسية العثمانية

ان مقاصد اوربا فى الممالك الشرقية عامة والدولة العلية خاصة معلومة للقراء بل لم تعد تخفى على طبقة من طبقات الناس . وأشهر تعلاّتهم فى الافتئات على الدولة والتعدي على حقوقها الخاصة حماية النصارى ووقايتهم من الظلم رغبة فى اصلاح شؤنهم وشغفاً بالاصلاح العام . وكان من تقاليد الروسية التى وضعها بطرس الاكبر انه يجب ان لا تمر عشرون سنة من غير حرب تضرم نارها بأسلوب من اساليب تلك التعلة ولكن القيصر الحالى والقيصر الذى قبله علما ان غنائم الحرب غالية الثمن مغبون فيها الغالب والمغلوب فكانا قيصرا هدون وسلام

ولقد جرت الحرب الاخيرة بين الدولتين على اصل تلك التعلة التقليدية وذلك انها هزت سلاسل جمعياتها الدينية الثوروية السرية فاهتزت وحملتها على اشعال نيران الثورة فى بلاد الصقالبة ففعلت . فكان رجال الجمعية يضرمون النار ويصيحون : الحريق الحريق ان الدولة العثمانية متعصبة تحاول ان تحرقنا وتجعلنا رماداً . وأنشأ القيصر يتوجع لاوربا مما أثرت فى وجدانه الشفقة والرأفة ، وعاطفة الرحمة ، يحرك اشجانها ، ويخرج

اضغانها ، حتى اقنعها بأنه لا بد من تأديب الدولة العثمانية بحرب فارادت الدول العظام أن تكون الحرب سياسية ، لتكون منفعتها لهم عمومية فأجمعوا كيدهم بعد تشاور فى الامر على ان يغتالوا استقلال الدولة ويفتأتوا عليها فى ادارة بلادها الداخلية بأن يكون سفراؤهم ووكلاؤهم وقناصلهم مسيطرين على الولاة والحكام فى العاصمة وفى سائر البلاد وبذلك يمتلكونها من غير ارواح تزهق ، ولا اموال تنفق ، ولا سيوف تسل ، ولا نفوس تسيل ،

فكان اولاً ما كان من مؤتمر الاستانة الباحث فى فتنة البوسنه والهرسك والبلغار وتقديم تلك اللائحة التى جاء فى الفصل الرابع عشر منها ما نصه نقلا عن مجموعة الجوائب :

« تجرى الاصلاحات باعانة قوة كافية من العساكر حتى لا يقع اضطراب ونظارة اجرائها تكون لجمعية مختلطة من الاجانب وأعضاؤها يكلفون جمعية اخرى لتلاحظ الاجراء من قريب بحيث انه فى ظرف شهر من السنة يتم الانتخاب والادارة ونظارة الاحكام واختلاط هذه الجمعية يكون من وكلاء الدول العظام واعضاء يرسلهم الباب العالى واعيان النصارى ويجوز ان تضم الى ذلك وكلاء ارباب ديون الدوله العثمانية وتستعين هذه الجمعية المكلفة بالنظر والاجراء بجمع من الضباط مركب من متطوعى الدول الحائدة تحت امر الوالى (الذى صرح فى الفصل الاول باشتراط كونه نصرانياً) لابسين لباس الترك (اى كسردار الجيش المصرى وضباطه الانكليز) ومصروفهم على بيت مال الولاية وهذا الجمع من المتطوعين تؤيد به فرقة الضبطية الاهلية » اه

ولقد كان رجال الدولة العلية يعرفون ان وكلاء الدول فى تلك

الولايات سيكونون كما كانوا بعد فى كريت فكان من البديهى" ان لا يبيعوا استقلال دولتهم لاوربا وان لا يعطوها اياها غنيمة باردة . ولذلك لم يقبلوا هذا وما كان هو المفضى للحرب حتماً ولكن المفضي اليها هو رفض (البرتوكول) الذى وقع عليه وكلاء الدول الست فى لندره القاضى على استقلال الدولة كلها قضاء حتماً الذى جاء فيه ما نصه نقلاً عن الجوائب ايضاً :

« قام بخاطر الدول ان لها اسباباً تحملها على ان ترجو ان الباب (العالى) يستفيد من هذه الفترة الحاضرة فيبذل همته فى اتخاذ الوسائل التى يحصل بها تحسين احوال النصارى التى اتفقت الدول على وجوبها لأجل بقاء السلامة والطمأنينة بأوربا فاذا اخذت فى هذا المشروع يكون معلوماً عنده ان شرفه ونفعه ايضاً يوجبان المحافظة عليه بالوفاء والاخلاص والانجاز . فمن رأي الدول والحالة هذه ان تكون مراقبةً بواسطة سفرائها بالاستانة وعمالها فى الولايات للمنوال الذى ينجز به مواعيد الدوله العثمانية . فاذا خابت آمالها مرة اخرى ولم تحسن حال رعية السلطان على وجه يمنع من اعادة الارتباكات التى تتعاقب فى الشرق وتكدر موارد السلم فيه ترى من الصواب ان تعلن ان مثل هذه الامور لا يوافق مصلحتها ومصلحة أوربا عموماً . ففي مثل هذه الحالة تستبقى لنفسها ان تنظر بالاتفاق فى اتخاذ الوسائل التى تراها الأصلح لتأمين خير النصاري ولابقاء السلم عموماً »

انتهى المراد منه ولم نذكر ما يتعلق بالولايات التى كانت ثائرة كالجبل الاسود والصرب والبوسنه والهرسك الخ وليس وراء هذه المراقبة والسيطرة الا ان تحتل كل دولة ولاية تنفذ فيها الاحكام تنفيذاً . ولذلك قامت قيامة الدولة العلية عند ما بُلِّغت هذا « البرتوكول » .

اودّ ان اشرف على الغيب ساعة من زمان فاعرف ما يجول فى خواطر القراء عند ما يطلعون على هذه الجملة الوجيزة وماذا يرتأون من الصواب ان تجاب به الدول . وليعلم من لم يكن عالماً ان الدولة العلية كانت حينئذ مشتغلة بحشر العسكر وتعبئة الجيوش مجاوبة للروسية وانها تعلم ان الحرب واقعة لا محالة الا ان ترضخ للدول صاغرة وتسلم قيادها اليهن تسليماً

أليست الطريقة المثلى ان تقنع الدولة الدول بأنها عازمة عزماً صحيحاً على اصلاح عام تساوى فيه بين النصارى وغيرهم من رعاياها وتقوم فعلاً بمبادئ الاصلاح بصورة مقنعة ؟ ام تقولون ان الصواب ان تجيبهن بأنه لا يمكن لها ان تساوي بين المسلمين والنصارى كما يوهمه كلام اللائم ؟ وهل كانت تنجو بهـذا من الحرب ؟ ام تقولون ان الصواب ان تجيب مطالبهن وتحكمهن فى استقلالها وتوليهن ادارة بلادها كلهـا او بعضها ؟ .

ذهبت جريدة مصباح الشرق الغراء الى ان وعـد الدولة للدول باجراء الاصلاح فى رعاياها بالمساواة فى الحقوق التى وضع لها القانون الأساسى كان نزغة من نزغات مدحت باشا المضرة وان رفض مطالب الدول ايضاً مما انفرد به هو ومن اغواهم كوكيل الارمن . والصواب ان هذا الرفض كان اجماعياً وان العلماء والصفتة كانوا اشدطلباً للحرب ممن عداهم . وان مدحت باشا كان اشد توقياً وتحرياً فى الموضوع من سائر رجال الدولة كما تنطق به المداولات التي وصفها المصباح بالافن والخطأ والخطل كما يعلم مما نورده فى الجزء الآتى بياناً للحقائق التاريخية لا انتصاراً لمدحت ولا للذين يسمون انفسهم (ژون ترك) فان المنار معروف بمقتهم والرد عليهم منذ النشىء .

(لها بقية)

المسلمون فى افريقيا

قرأنا فى جريدة الاكلير فصلاً طويلاً مدبجاً بيراع الموسيو اندره مافيل يتعلق باحوال مسامى المستعمرات الفرنسوية وغيرهم من الوثنيين القاطنين فى تلك الاراضى

وقد خبط هذا الكاتب خبط عشواء فى بعض المسائل الاسلامية ظناً منه ان عقيدة المسلم الابيض تختلف عن عقيدة المسلم الاسود وحيث انه اجنبى عن الدين الحنيف فلا لوم عليه اذا غلط فى بعض اموره وانما اللوم عليه فى تعرضه لما لا يعنيه ولما لا معرفة له به . ونحن نأخذ من كلامه بعض فقرات ليعلم القارئ اللبيب ما وصلت اليه احوال الاسلام فى افريقيا الفرنسوية

قال — ان المسألة الاسلامية تهم جداً مستقبل افريقيا الفرنسوية ولذلك يتعين علينا النظر فيها بكل تدقيق والبحث عن شؤونها افراداً واجمالاً

ولا ريب ان الاسلام انتشر منذ عدة سنين انتشاراً عظيماً فى مستعمراتنا فى افريقيا فاذا ذهبت الى هناك اخبرك الاهالى انه منذ عشر سنوات كانت الناحية الفلانية والمقاطعة الفلانية تعبد الاوثان أما الآن فقد صار الجميع مسلمين ولا ريب ان تقدماً مثل هذا يجب الاعتناء به والنظر اليه . واذا نظرنا الى حال الوثنيين فلا نجدهم الا اقواماً سقطوا فى هوة البهيمية لانهم لا خلاق لهم وليس فيهم من اشتم رائحة المدنية الا الذين كانوا فى البلاد الواسعة التى انتشرت فيها الوثنية (كذا) مثل الاشانتى والداهومي ولسوء الحظ فان مدنيتهم ممزوجة بعادات بربرية وامور وحشية مثل ذبح البشر وتقديمهم ضحايا للاوثان على ان مدنية هؤلاء الاقوام لا يمكن بوجه

من الوجوه ان تقاس بمدنية الاسلام فى وادى النيجر فانها لمعت كالشهب وانارت افكار اصحاب هذا الدين واخرجتهم من هوة الخشونة التى كانوا فيها قبل ان يعتنقوا هذا الدين الاسلامي . فاذا تقرر ان العنصر الاسلامى هو من العناصر الموجبة للحضارة والمدنية فيتعين علينا ان لا نجعل فى سبيل تقدمه العثرات ولا ان نعارضه فى شيء وعلى فرض اننا قصدنا معارضته والوقوف دون تقدمه فان جميع مساعينا تذهب سدى لانه يستحيل علينا ان نقف دون امواجه العظيمة المتعالية كالجبال والمتدفقة كالسيول . وعندى اننا اذا حاولنا ذلك كنا غير عادلين من جهة مسلمينا السودانيين لاسيما اذا أسأنا فيهم الظن لاننا نراهم من اشد رعايانا خضوعاً ومن اعظمهم غيرة وحمية أما رأيتم كيف ان السنغاليين الذين هم من اخلص رعايانا واتباعنا فتحوا بادارتنا غربى السودان أليس هؤلاء القوم من المسلمين الذين استلمنا زمام امورهم وجعلناهم فرنسويين مثلنا ولما حاربنا رباحاً اتوا باعمال خطيرة وابلوا بلاء حسناً مع ان رباحاً وجماعته من المسلمين مثلهم ومن كان فى ريب مما نقول فليسأل القومندان جانتيل عن حسن سلوكهم وصدق اخلاصهم وما ابدوه من دلائل الشهامة والغيرة . ولا أظن ان أولياء امورنا يحاولون نشر المسيحية فى افريقيا لان هذه الديانة لا سوق لرواجها هناك واننا فى تلك البلاد فى موقف مشرف على ثلاث ديانات الاسلامية والمسيحية والوثنية والغلبة فى ذلك للاسلامية . ولا امل لى ان الوثنيين يتقدمون فى مستعمراتنا الافريقية فان تمدنهم امتزج بالمسكرات وما رأيت فى حياتى شعباً ابتلاه الله بالمسكرات مثل هذا الشعب الدنيء فقد رأيت افرادهم فى بمبوك ومالنكس يشربون اقداح الابسنت القتالة

كما نشرب نحن الحليب وذلك مما تقشعر منه فرائص الانسانية

اما فى شاطئ العاج فالمسكر شائع بين اهل الوثن الذين يصرفون منه كميات وافرة ومن النادر ان لا ترى عند الوثنيين ميلاً لا كل البشر فى الكنج يفاخرون با كل الناس وهـذا الامر شائع وذائع هناك رغماً عن حلول عساكرنا ورغماً عن اوامرنا ومقاومتنا لمثل هـذه العادات القبيحة وانا اراهن بانك لا تمشى نحو ٥٠ كيلو متر عن بلدة ليبرفيل حتى تشاهـد اكل لحوم الناس شائعاً فلا تكاد تدخل بيتاً من بيوت الوثنيين وتكشف الاغطية عن طواجنه فى المطابخ حتى تراها ملأى باللحوم البشرية التى تعد عشاء للعيلة ومثل ذلك يقال فى الشعوب الساكنة فى جهات جنوب السودان على حدود ليباديا مما لا يمكن الاقلاع عنه الا بعد مر السنين الطوال

اما انا فعندى ان اعظم شيء تخفق له القلوب جزعاً وحناناً مرأى البشر يذبحون ضحايا للاوثان بسيوف الجهالة والحمق تبعاً لعادات قبيحة يتعين علينا ابطالها مهما كلفنا امرها وهـذه العادات ناشئة عن اعتقاداتهم الدينية وعقولهم القاصرة فالمالنكس مثلاً وهم قبائل وثنية لا يعتقدون بشيء الا بالشيطان فهم يقولون انه قادر على كل شيء وعندهم ان هذا الخبيث اى الشيطان يترصدهم ويراقب اعمالهم وحركاتهم فهو يكمن احياناً بين الادغال وفى الجبال ويطوف فيها ويختبئ ايضاً فى الجنائن والبيوت وفى الليل يخرج منها ويطوف لاجل الاذى والاعمال الفظيعة . والوثنية فى شاطئ العاج والداهومى منشورة جداً واهلها يعبدون الوجوه الممسوخة وتماثيل الحيوانات وفى أحد الايام كنت بينهم فكان ذلك اليوم اثقل على قلبى من عبادة الوثن فانى شاهـدت الاهالى يصبغون وجوههم بلون اصفر احتراماً لاصنامهم

وكان ذلك اليوم عيداً عندهم اما عندى فكان يوم بؤس وكل اهـل الوثن يتطيرون بالنحوس وعندهم ان الانسان غير مخير فى عمله فهو يرتكب اعظم الفظائع بما قدرته عليه آلهته

اما الدين الاسلامى الذى نحسبه بعيداً عنا وننفر منه بحكم العادة فيجب علينا اعتباره وانزاله فى منزلته لانه دين يعلم اصحابه عبادة الله تعالى وله جاذبية تستميل الناس اليه فهو اذن مالك زمام افريقيا باسرها وعدا عن ذلك فان كيفية التدين فيه لها عند شعوب افريقيا احترام عظيم لو نظرناه نحن الافرنج لما مكثنا غير مكترثين به — الى ان قال : فيجب علينا والحالة هذه ان نعيش بما امكن من المسالمة وحسن المجاملة مع اهل الاسلام وان نحترم دينهم فانهم يسرون منا سروراً عظيماً ولو راجعنا اغلاطنا الماضية منذ فتحنا افريقيا علمنا حق العلم باننا كنا غير عادلين مع المسلمين ولا ريب ان الاستمرار على عدم العدل يقوض اركان ملكنا فى تلك البلاد . على ان الدين الاسلامي وتعاليمه ليست من التعاليم التى تهددنا بالخطر والخوف فان المسلم رقيق الجانب انيس فى المعشر يبدى سلامه بلطف وابتسامة فهو فى كل الوجوه افضل من سواه واننا لنخطئ جداً اذا اعتقدنا بان هؤلاء المسلمين ينهضون يوماً ما لاجل الجهاد بقتالنا فقد مضى فى افريقا الغربية زمن الحاج عمر ومحمد وغيرهما

هذا بعض مما قاله هذا الكاتب المجيد وقد قابل فى آخر كلامه بين الاسلام والمسيحية واظهر ان نشر الاسلامية هناك اسهل بكثير من نشر المسيحية ثم ختم كلامه بحض اهل البعثات المسيحية على الذهاب الى البلدان الوثنية لاجل ادخال العقائد المسيحية فى عقولهم وقـد ابدى للمبعوثين

ملاحظات كثيرة ونبهم الى ان لا يدخلوا البلدان الاسلامية لانه يستحيل ان مسلماً يخرج من دينه ليعتنق ديناً آخر اه (بيروت)

استلفات لازالة شبهة

جاء فى العدد ١٥٠ من جريدة مصباح الشرق الغراء فى سيرة سقراط الفيلسوف اليونانى هذه الجملة بنصها «ولسنا نقول ان فى قدرة كل انسان ان يصل الى درجة سقراط فى الجمع بين القول والفعل على حسب اصول الفضيلة — تلك عليا مراتب الانبياء» ولا يخفى ما يتبادر منها الى الفهم من الحاق سقراط باصحاب المراتب العليا من الانبياء كأولى العزم وتفضيله على من سواهم من الانبياء عليهم الصلاة والسلام مما يمتنع ان يكون مراداً لسعادة صاحب المصباح المنير فنرجو من سعادته كتابة ما يرفع الوهم ويزيل الالتباس عن قراء جريدته

(تصحيح غلط) كلما اجلنا الطرف فيما طبع من المنار نرى فيه اغلاطاً طبع مدركة بالطبع كلفظة (مخازن) فى السطر العاشر من الصفحة ١٢٤ من الجزء الرابع وصوابها (مخازى). ومثل لفظ (هى) الذى سقط من السطر التاسع عشر من الصفحة ١٦٦ من هذا الجزء ومحله قبل الكلمة الاخيرة. ومثل (المقدمة السابعة) فى السطر الاول من الصفحة ١٧٠ و (المقدمة الثامنة) من السطر الثالث منها. وصوابه يعرف من ترتيب العدد قبله. فليصحح مثل هذا من تنبه له

(تنبيه) لابد ان تثقل اقوال المصلح فى المحاورة المنشورة فى هذا الجزء والتى ستنشر فيما بعده على بعض اهل العلم ولكننا نرى حججه قوية فمن كان عنده ردّ اقوى من ردّ محاوره المقلد فليتفضل علينا به لننشره لتحرير البحث

الجزء السادس (المجلد الرابع)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر فى يوم الاحد غرة صفر سنة ١٣١٩ — ١٩ مايو (ايار) سنة ١٩٠١)

السخاء والبخل

خلق الله الانسان يمقت الرذيلة بالطبع ويزرى بالمتلبس بها، ويحب الفضيلة ويلهج باطراء صاحبها . واذا استقرينا سجايا الانسان وماقاله ويقوله الناس فى الفضلاء من الثناء والمدح ، وما رموا به الرذلاء من سهام الذم والقدح ، يتسنى لنا ان نحكم بان السخاء ارفع الفضائل منزلة فى القلوب ، واعلاها وقعاً فى النفوس ، وابعدها طيراناً فى جو الخيال ، وابدعها افتناناً فى فنون السحر الحلال ، واكثرها دوراناً فى الشعر ، واقواها سلطاناً على الفكر ، واحسنها تصريفاً للاقلام ، وتسخيراً للعقول والاحلام ، وان الاسخياء اشرف الناس عنصراً ، واكرمهم جوهراً ، واطيبهم نفوساً ، وأضوأهم شموساً ، واعزهم نفراً ، وابقاهم اثراً ، واوسعهم صيتاً وذكراً ، وأسمعهم حمداً وشكراً ، وان شئت حكمت بأنهم اوسع الناس وجوداً ، كما انهم اوسعهم جوداً ، ونحكم بضد ذلك كله وبضد ما لم نحكه من نعوتهم وصفاتهم ، وآياتهم وكراماتهم ، على اضدادهم البخلاء ، وبضدها تتميز الاشياء

ماهو السخاء وبم تعرف الاسخياء ؟ وماهو البخل وبم تميز البخلاء ؟ وهل يشتبه الضدان فنحتاج الى التعريف والتفرقة ، او يتشابه المتباينان فنزيّل بينهما بالابانة والتفصلة ؟ ، نعم ان اكثر الناس لا يفقهون تحديد صفة السخاء والجود وصفة البخل والشح بل ولا يميزون بين الاسخياء والبخلاء تميزاً حقيقياً فكثيراً ما يسِمُون السخي الكريم ، بسمة البخيل اللئيم ، واكثر من هذا انهم يسمُّون الاشحة اللؤماء ، أجاود كرماء ، وهذا مما يثير دفائن العجب من النفوس ، ويستخرج بقايا الدهشة من اعماق القلوب ، لان المعهود فى الانسان انه يغفل عما لا شأن له عنده ، ولا مكانة له من نفسه ، ويحيط علماً بدقائق الامور ، ويكتنه خفايا الشؤن ، اذا كان لها سلطان قويٌّ على روحه ، وتأثير مؤلم او ملائم فى وجدانه ، حيث الداعية الى العلم ، والباعث الى الفقه والفهم ، وقد اشرنا الى مكانة الاسخياء الشريفة العليا ، ومنزلة البخلاء الدنيئة السفلى ،

استغفر الله : لقد ظلمت الانسان اذ ألصقت بمجموعه او جميعه ما هو خاصٌّ بالشعوب الجاهلة والامم التى ضعف فى افرادها معنى الانسانية ، ونزلت عن مراتب المدنية ، فامتلخت احلامهم ، وسادت اوهامهم ، يحكمون بالنظرة الحمقى لا يسبرون الاغوار ، ولا يغوصون البحار ، فأنى يظفرون بدرر الحقائق ، ويقفون على خفيات الدقائق ، ؟

من هو السخي عند هؤلاء ، وبم يعرفون السخاء ، ؟ السخاء عندهم هو التمتع بالمال ، ولو بما زاد على قدر الحال ، اكل وشرب ، ولهو ولعب ، وأثاث ورياش ، وسرير وفراش ، وخيول ومركبات ، ومراكب ذهبيات ، واستطابة الالوان ، للوجوه والاعيان ، واستعداد فى كل آن ،

لإطعام من يلمّ من الاخوان ، ممن على شاكلة السخيّ فى وظائفه ورتبه ، أو على مقربة منه فى فضته وذهبه ، وفاتهم ان هؤلاء هم الذين قال فى مثلهم القرآن : « كلوا وتمتعوا قليلاً انكم مجرمون » والسخاء محمود عند الله ممدوح عند الناس فكيف يكون صاحبه مجرماً ؟

ومن الاسخياء ، فى عرف هؤلاء الاغبياء ، من يُهدِي ليُهدَى ، ويُعطَى اكثر مما اعطى ، ان لم يكن من نوع ما بذله وجنسه ، فما هو انفس فى نفسه ، فان لم يتقاض طعاماً بطعام ، ويتبادل مداماً بمدام ، فهو يشتري الجاه العريض الطويل ، بالعرض النزر القليل ، فدرهمه دينار ، كما هو شأن دهاقين التجار ، ومن يقول فيمن يطعمك قليلاً من اللحم ، او يهدى اليك مناً او منوين من السمن ، ليستخدم جاهك عند الحكام ، فى الحصول على رتبة او وسام ، او فى دفع مظلمة نزلت به بوادرها ، او الاستعانة على غنيمة ترجى غاياتها وأواخرها ، : ان هذا جواد كريم ، وسخي عظيم ؟ ، أليس قد قال تعالى : « ولا تمنن تستكثر » وهل ينهى الله تعالى عن الجود والكرم وهو الجواد الكريم ؟

أرأيتك هذا استسمنت وَرَمه ، واستغزرت ديمه ، هل اهدى وبذل ، الا لذلك الأمل ، فهو مكتسب يستدر اخلافاً ، ودائن يأكل الربا أضعافاً ، اما كان لولا هذا العطاء ، لهذا الجزاء ، يبذل بدَرَ الدنانير ، وهو صاغر حقير ، يطيل مع التنفس إحصاءها وعدّها ، ويرجو على الحرص قبولها ويخشى ردّها ، ويرى لآخذها — وهى روحه — من الفضل عليه ، مثلما رأى له بالهدية او الدعوة من الفضل عليك ، نعم انه دعا او أهدى وهو يعلم انه يربح بذلك امتلاك قلبك (أولاً) وامتلاك قلوب الناس الذين يرونه

بذلك جواد كريما (ثانياً) وإعدادك لقضاء حوائجه (ثالثاً) وفى هذا الثالث من التوفير ما أشرنا اليه آنفا، فهو على كونه ممن ليستكثر ويأكل الربا اضعافاً مضاعفة غاشٌ طامع، وراشٍ مخادع، ولو علم حاجتك الى صلة منه ليس لها منك عائد، ولا تأتى بشىء من هذه الفوائد، لما قابلك الا الا بالرد، ولما وصلك الا بالاعراض والصد، فما بالك اذا كان يَدُعُّ اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، ويمنع الماعون، ويشكو حرصه الجيران والاقربون، ولا يؤدي الزكاة الشرعية، ولا يساعد الجمعيات الخيرية، ولا يعضد المشروعات العلمية والعملية،

ومن الناس من لا يعد مثل هذا فى الاسخياء ويرى ان السخي الكريم هو الذى يرمى بالمال هكذا وهكذا يضرب به فى كل فج وينفقه فى كل سبيل — فى سبيل الله تارة وفى سبل الشيطان تارة او تارات متبعاً فى ذلك خطرات الوساوس، ونزعات الهواجس، ولا ينافى ذلك عندهم تعديه على حقوق الناس واكله اموالهم بالباطل كانواع الرشوة وضروب الضرائب ان كان حاكماً أو زعيماً او صاحب مكانة من الامراء المستبدين، والسلاطين الجائرين، وكأنواع الاحتيال والتزوير ان كان من غيرهم. يقولون: فلان لا يضام، لانه من الكرام، لا يرد سائله، ولا يمنع احداً نائله، قد اغنى زيداً، فصار له يداً وأيدا، (اى قوة) وعمر بيت عمرو، بعد ماهدمه الفقر، فجعله من أنصاره، يستعين به على اوطاره، وتبرع على جمعية كذا بمبلغ من النقود، فى يوم احتفالها المشهود، وقد عين لعدة من الجرائد الوطنية والاجنبية، رواتب شهرية او سنوية، اعانة لاصحابها على اذاعة المعارف الرافعة، ونشر الافكار النافعة، فهي دائماً تعطر المشام بعرف نشره،

وتشنف الآذان بحلي ذكره ، فان قيل إنه انما يبذل لجرائد الكدية التى ليس لها رأي ولا مذهب ، ولا لها مشرع ولا مشرب ، الا جمع المال بالاطراء والمدح ، او بالازراء والقدح ، ولا يشترك بجريدة لا يرجو منها الثناء ، ولا يخاف منها الازراء ، يحار المنصف فلا يحير جواباً ، ويكذب المتعسف فى التشيع له كِذَّاباً ، وقد يفضي السرف والمخيلة بهذا الصنف من المغرمين بالانفاق ، لاقتطاف ثمار التعظيم والتبجيل من جنات النفاق ، الى أسوأ حالات الفقر والاملاق ، وذلك اذا قصرت يد سلطتهم ، وخضدت شوكة سطوتهم ، او كسدت اسواق حيلتهم ، ونضب معين ثروتهم ، ثم لا يجدون ممن اصطفوهم صانع معروف ، ولا باذل آحاد من تلك الألوف ، لانهم لا يصطفون كريماً شكورا ، « ان المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا » (للكلام بقية)

القسم الديني

﴿ المحاورة السابعة بين المصلح والمقلد — الاجتهاد والوحدة الاسلامية ﴾

قد كان كلام الشاب المصلح فى المجلس الماضى مؤلماً للشيخ المقلد لانه لم يكن فى حسبانه ان يتعدى البحث الى ما تعدى اليه فلم يغب الا يوماً واحداً راجع فيه الآيات والاحاديث التى اوردها الشاب فى الاستدلال على مقدماته وعاد فى مساء اليوم الثانى وملامح الامتعاض والتبرم بادية على وجهه وقال فى أول كلامه

(المقلد) : لقد اهتديت الى ما يبطل رأيك فى ان الاختلاف فى المذاهب كان سيباً فى ضعف الامة وهو ان المذاهب كانت ايام كانت الامة

فى ريعان شبابها وكمال قوتها . وكذلك نرى الامم الاوربية فى قوة وبأس شديد وهى مختلفة فى الدين ومتفرقة الى مذاهب . واذا بطل هذا الرأى تبطل نتيجته وهي الوحدة فى الدين على رأيك ونكفى مؤنة الخوض فى ذلك وما تبعه من فتح باب الاجتهاد الذى يؤدي الى تطويل ، وقال وقيل ، فقد راجعت الآيات والاحاديث التى ذكرتَها فى مجلسنا الماضى وظهر لى وجوه للنزاع فى دلالتها على مرادك فهل لك فى إقفال هذا الباب ؟

(المصلح) : من شأن المرض ان يطرأ فى إبان الصحة وكم من مرض تتولد جراثيمه فى طور الحداثة او الشباب فتدافعها قوة المزاج زمناً ثم تتغلب عليها فى طور آخر اما بنفسها واما بمساعدة جراثيم مرض آخر . وهذه القاعدة مشاهدة فى الاشخاص عند علماء الطب وفى الامم عند علماء الاجتماع وان شئت فصلت لك القول فى هذا تفصيلا . ولو كنت مطلعاً على التاريخ لكفيتني ذلك فان فتنة التتار التى هى اشد صدمة زلزلت القوة الاسلامية ، لم تكن الا بسبب تعصب الشافعية والحنفية ، واما اوربا فقد اخذت حظها من ضعف التفرق فى الدين أيام كانت تحكّم الدين فى السياسة وقد عالجت هذا الضعف بالفصل بين السياسة والدين فليس له الآن شأن فى سياستها واحكامها الا الاستعانة بدعاته على الاستعمار فى الشرق وافريقيا . وما زال رجال السياسة يطاردون رجال الدين ويغضون من صوتهم فى عدة ممالك . اما قرأت فى الجرائد ماحصل أخيراً فى اسبانيا وفرنسا وغيرهما ؟ فهل يروق فى نظرك ان تحذو الحكومات الاسلامية فى هذا حذو الحكومات الاوربية ؟ اما انها ستفعل ولو بعد حين الا ان تبادروا انتم يارجال الدين بالاصلاح الدينىّ الذى تسير به سنن الشريعة ، على سنن الطبيعة ، فان

الله اقام سنن الطبيعة بالاضطرار عنا ، ووكل الينا اقامة سنن الشريعة بالاختيار منا ، فاذا لم نوفق باختيارنا بين السنتين يثبت الاضطراري" . ويبطل الاختياري « فاقمْ وجهكَ للدين حنيفاً فطرةَ الله التى فطر الناس عليها لا تبديلَ لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ، منيبين اليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً كلُّ حزب بما لديهم فرِحون » ففى هذه الآيات الكريمة اهم اركان الاصلاح الديني الذى نطلبه . وكما لاحت لك وجوه للمناقشة فى مقدماتى السابقة بعد انصرافك من مجلسنا السابق لاحت لى ايضاً مسائل ومقدمات اخرى اذا اذنت لى سردتها عليك

(المقلد) : قدعيل صبرى من المقدمات والمناقشات فيها واحب ان اقف على مقصدك اولا فاذكره لى وانتظر فى سائر مسائلك المناسبات

(المصلح) : احسن علماء المناظرة صنعاً باصطلاحهم على ترك البحث عن مقدمات الدلائل لما يستلزمه من انتشار البحث وذهابه الى غير غاية واحب ان تسمح لى بذكر مقدمتين ذهلت عنهما فى مجلسنا السابق ولا بد منهما وهما

(المقدمة العاشرة) ان الشارع لم يسلك فى بيان الاحكام الدينية مسلك الفلاسفة وعلماء النظر فى وضع الحدود الجامعة المانعة لمسائل علومهم وانما بين الاحكام العملية بالعمل وما بينه بالقول وَكَلهُ الى افهام المخاطبين وعرفهم . ولذلك قال : الحلال بين والحرام بين . وما احتيج فى العمل به الى اجتهاد ورأيٍ وكله الى اجتهادهم ورأيهم كاستقبال القبلة فى السفر وكان الصحابة والتابعون على هذا حتى حدثت المذاهب فأخذ بعض المجتهدين

باطلاقات الشارع فى بعض الاحكام ووضعوا الحدود والتعريفات المنطقية للبعض الآخر وكان هذا التحديد اعظم اسباب الخلاف فى المذاهب ولكن لم يلزم احد من الائمة الناس بأن يأخذوا بتحديده ولم يحكم بخطأ من خالفه فيه لعلمهم بأن الشارع فوّض ذلك الى افهام الناس ووسع الامر فيه توسيعاً وانه لو سلك مسلك الفلاسفة فى التحديد لاوقع الناس فى الحرج ولما صح ان يكون دينه دين الفطرة ولا ان يكون عاماً ولا ان يظهر فى امة اميَّة ولا ان توصف شريعته بالحنيفية السمحة بل كان ديناً خاصاً بطائفة من اهل الفلسفة النظرية . وهكذا جعله علماء المسلمين بعد الصدر الاول — اذا تكلموا فى توحيد الله تعالى يذكرون الكمّ المتصل والكم المنفصل ويذكرون الجوهر والعرض والدور والتسلسل واذا تكلموا فى الاحكام يذكرون الحدود الجامعة المانعة ويكثرون من التقسيم واختراع الاقسام الفرضية التى تمضى الاعمار ولا تقع بل يذكرون المحال ايضاً حتى قال بعض علماء الحنفية : يحتاج من يريد ان يكون فقيهاً حنيفياً الى الانقطاع لمدارسة الفقه عشرين سنة على الاقل . وانت تعلم ان هذه المدة هى مدة التشريع وفيها نزل الدين كله عقائده واخلاقه وآدابه وسياسته وإرادته واحكامه ولم تكن المدة كلها ولا عشرها مصروفة لبيان الاحكام الظاهرة التي يسمونها الآن فقهاً

ويشهد لهذه القاعدة اجازة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم المختلفين فى فهم اطلاق النصوص فيما يتعلق بأعمالهم الشخصية . روى النسائى عن طارق ان رجلاً اجنب فلم يصل فأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذكر ذلك له فقال « اصبت » فأجنب رجل فتيمم وصلى فأتاه فقال نحو ما قال

للآخر «أصبت» وروى البخاري عن عمران بن حصين انه قال للرجل الذى اعتزل فلم يصل فى القوم «يافلان ما منعك ان تصلي» قال اصابتني جنابة ولا ماء قال «عليك بالصعيد فانه يكفيك» واجاز عمرو بن العاص فيما فهم من قوله تعالى «ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة» من جواز التيمم للجنب اذا خاف على نفسه من البرد. والمروىّ عن عمر وابنه وابن مسعود ان الجنب لا يتيمم لانهم كانوا يفهمون من قوله تعالى «أو لامستم النساء» انها الجس باليد. والآثار فى هذا كثيرة عن الصحابة رضى الله عنهم. وكذلك عن التابعين والائمة المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين.

كان الامام احمد رحمه الله تعالى يرى الوضوء من الفصد والحجامة والرعاف فقيل له: فان كان الامام قد خرج منه الدم ولم يتوضأ هل تصلي خلفه؟ فقال كيف لا اصلي خلف الامام مالك وسعيد بن المسيب. وكان الامام مالك أفتى هرون الرشيد بانه لا وضوء عليه اذا هو احتجم فصلى يوماً بعد الحجامة وصلى خلفه الامام ابو يوسف ولم يعد. واغتسل ابو يوسف فى الحمام وبعد صلاة الجمعة اخبر انه كان فى بئر الحمام فأرة ميتة فلم يعد وقال نأخذ بقول اخواننا من اهل المدينة اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً. والفقهاء من المتاخرين يرجعون هذا الى قواعدهم المنتزعة لجواز التقليد بعد الوقوع ومنهم من يأوّل ذلك بتغير الاجتهاد ولو ساعة من زمان. ومن ذلك خلافهم فى ان العبرة برأي الامام ام برأي المأموم. وانت تعرف هذا تفصيلاً فلا حاجة الى الاطالة به

(المقدمة الحادية عشرة) ان أصول الدين الاساسية هى العقائد الصحيحة وتهذيب الاخلاق وادب النفس وعبادة الله تعالى على الوجه الذى

بينه وارتضاه والقواعد العامة للمعاملات بين الناس لحفظ الدماء والاعراض والاموال . وكل هذه الاصول قد كملت فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك نزل عليه فى حجة الوداع « اليومَ اكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلامَ ديناً . فأما العقائد والعبادات فقد كملت بالتفصيل بحيث لا تقبل الزيادة ولا النقص ومن يزيد فيها او ينقص منها فهو مغير للاسلام وآتٍ بدين جديد . واما احكام المعاملات فبعد تقرير اصول الفضائل كوجوب العدل فى الاحكام والمساواة فى الحقوق وتحريم البغي والاعتداء والغش والخيانة وحد الحدود لبعض الجرائم وبعد وضع قاعدة الشورى فوض الشارع الامر فى جزئيات الاحكام الى أولى الامر من العلماء والحكام الذين يجب شرعاً ان يكونوا من اهل العلم والعدل يقررون بالمشاورة ما هو الاصلح للامة بحسب الزمان . وكان الصحابة عليهم الرضوان يفهمون هذا من غير نص عليه من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كما يعلم من حديث إرسال معاذ بن جبل الى اليمن فانه هو الذى قال ابتداء انه يحكم برأيه فيما لا يجد فيه نصاً فى الكتاب ولا فى السنة وأجازه النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بل نقل انهم كانوا اذا رأوا المصلحة فى شيء يحكمون به وان خالف السنة المتبعة كأنهم يرون ان الاصل هو الاخذ بما فيه المصلحة لا بجزئيات الاحكام وفروعها . أخرج مسلم وابو داود والنسائى والحاكم والبيهقي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر واحدة فقال عمر ان الناس قد استعجلوا فى أمرٍ كانت لهم فيه اناة فلو امضيناه عليهم فأمضاه . ومن قضاء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

بخلافه ما اخرجه البيهقي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : طلق ركانة امرأته ثلاثاً فى مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديداً فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كيف طلقتها ؟ » قال طلقتها ثلاثاً قال : « فى مجلس واحد » قال نعم قال : « فانما تلك واحدة فأرجعها ان شئت » فراجعها والشواهد على هذا كثيرة . والحنفية لاحظوا هذا فقدموا القياس الجليّ على خبر الواحد . والرأي الذى يسمونه الاستحسان مقدمٌ عندهم على القياس والمراد بالاستحسان ما ثبت ان فيه المصلحة للامة . هكذا افهمه خلافاً لما قاله المتأخرون من فقهائهم « انه قياس خفي » وانما قالوا هذا فراراً من تشنيع المحدثين وسائر العلماء عليهم بزيادة اصل فى الدين وبتقديم الرأي على السنة ولو كان قياساً لما شنعوا عليهم بالرأي ولما صح تقديمه وهو خفي على القياس الجليّ . وكان الاولى ان يحتجوا عليه بعمل عمر واجازة الصحابة له رضى الله تعالى عنهم

(المقلد) : لا استطيع السكوت لك على هـذه فقد غلوت فيها غلواً كبيراً . وقد أوّل الفقهاء حديث عمر رضى الله عنه وأجابوا عنه بعدة اجوبة قال العلامة السبكى : واحسن الاجوبة انه فيمن يعرف اللفظ فكانوا اولاً يصدقون فى ارادة التأكيد لديانتهم فلما كثرت الاخلاط فيهم اقتضت المصلحة عدم تصديقهم وايقاع الثلاث . واجاب ابن حجر وغيره بان الاحسن ان يقال إنه ظهر لعمر ناسخ

(المصلح) : لم لم تذكر رد ابن حجر على السبكى وانت مطلع عليه ؟ اتريد ان تختلبني بكثرة التأويل ؟ ألم يرد عليه بان مذهبهم تصديق مدعي التأكيد وان بلغ فى الفسوق ما بلغ ؟ واما قولهم باحتمال الناسخ فينافيه لفظ « فلو امضيناه عليهم » لانه صريح فى انه رأي واجتهاد كما يدل قول ابن

عباس فى اول الحديث على ان الحكم الاول كان سنة متبعة او اجماعاً لا خلاف فيه واصرح منه فى هذا حديث طاوس عند ابى داود والبيهقى وهو ان رجلاً يقال له ابو الصهباء كان كثير السؤال لابن عباس قال : أما علمت ان الرجل كان اذا طلق امرأته ثلاثاً قبل ان يدخل بها جعلوها واحدة على عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأبى بكر وصدراً من امارة عمر قال ابن عباس : بلى كان الرجل اذا طلق امرأته ثلاثاً قبل ان يدخل بها جعلوها واحدة — الى ان قال : فلما رأى (أى عمر) الناس قد تتابعوا فيها قال : أجيزوهن (اى الثلاث) عليهم . فقولهما « جعلوها » دليل على انه اجماع . وقول عمر (اجيزوهن) يفيد انه اجتهاد منه كما تدل عليه ايضاً عبارة السبكى . ولا التفات الى التقييد بغير المدخول بها لجواز ان السؤال لواقعة كانت كذلك بدليل حديث ركانة فى المدخول بها واطلاق الحديث الصحيح . وما زعمه بعضهم من ان حديث طاووس لايدل على ان الجاعل هو النبى صلى الله تعالى عليه وسلم وانه يحتمل ان ذلك لم يقع الا فى الاطراف النائية فيجتهد فيها من أوتي علما فهو زعم سخيف واحتمال ضعيف لان اللفظ يأبى قبوله ، وحديث ركانة يقوض اركانه واصوله ، وليس عندهم لفظ اظهر فى دعوى الاجماع منه

(المقلد) بحدة وغضب : هل اداك اجتهادك الى القول بأن عمر رضى الله تعالى عنه قدم رأيه واجتهاده على السنة والاجماع ؟ لقد راودتني نفسى أن أترك الكلام معك ولكن لابد لى من سبر غورك ، واستخراج كل ما فى صدرك ، والوقوف على ماتخيله من الاصلاح فى الدين ، وجمع كلمة المسلمين ، وما ارى هذا الاصلاح الا نار سعير ، سيكون لها فتنة فى

الارض وفساد كبير ،

(المصلح) وادعاً ساكناً : استوقف سربك ، واستفت قلبك ،واترك المقلدين المأولين سدى ، وافتح عينيك لعلك تجد على النار هدى ، واعلم انى لم أقل عن عمر من نفسى شيئاً وانما هو قول ابن عباس الذى صحت روايته واخذبه الائمة الاربعة وغيرهم . واماتأويل الفقهاء فسببه انهم وضعوا اصولاً وقواعد اسندوها الى أئمتهم وحكموها فى الكتاب والسنة وهدي الصحابة كانها فروع لاصولهم والامر عندى بخلاف ذلك . وكذلك كان عند الائمة رحمهم الله تعالى وما اكثر هذه الاصول الا قواعد نظرية استنبطها الاصوليون من اقوال أئمتهم وطبقوها على مذاهبهم الا ما نقل عن الامام الشافعي الواضع الاول للاصول . ويعجبنى ماقاله العلامة ولي الله الدهلوي فى هذا المقام

(المقلد) : قله لى ان كان مختصراً وارشدنى الى الكتاب الذى يوجد فيه ان كان مطولاً

(المصلح) : انه مختصر واخذ رسالة من مكتبته وقرأ ما نصه :

« واعلم اني وجدت اكثرهم يزعمون ان بناء الخلاف بين ابى حنيفة والشافعي رحمهماالله تعالى على هذه الاصول المذكورة فى كتاب البزدوي ونحوه وانما الحق ان اكثرها اصول مخرجة على قولهم . وعندي ان المسئلة القائلة بان الخاص مبين ولا يلحقه البيان . وان الزيادة نسخ . وان العام قطعي كالخاص . وان لا ترجيح بكثرة الرواة . وانه لا يجب العمل بحديث غير الفقيه اذا انسد به باب الرأي . وان لا عبرة بمفهوم الشرط والوصف اصلاً . وان موجب الامر هو الوجوب ألبتة . وأمثال ذلك أصول مخرجة

على كلام الائمة وأنها لا تصح بها رواية عن أبى حنيفة وصاحبيه وانه ليست المحافظة عليها والتكلف فى جواب ما يرد عليها من صنائع المتقدمين فى استنباطهم كما يفعله البزدوى وغيره أحق من المحافظة على خلافها والجواب عما يرد عليه

« مثاله انهم أصَّلوا أنَّ الخاص مبيّنٌ فلا يلحقه البيان وخرجوه من صنيع الأوائل فى قوله تعالى: « واسجدوا واركعوا » وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لاتجزئ صلاة الرجل حتى يقيم ظهره فى الركوع والسجود. وحيث لم يقولوا بفرضية الاطمئنان لم يجعلوا الحديث بياناً للآية فورد عليهم صنيعهم فى قوله تعالى: « وامسحوا برؤسكم » ومسحه صلى الله عليه وآله وسلم على ناصيته حيث جعلوه بياناً. وقوله تعالى: « الزانية والزاني فاجلدوا » الآية. وقوله تعالى: « والسارق والسارقة فاقطعوا » الآية. وقوله تعالى: « حتى تنكح زوجاً غيره » وما لحقه من البيان بعد ذلك فتكلفوا للجواب كما هو مذكور فى كتبهم. وانهم أصَّلوا ان العام قطعيٌّ كالخاص وخرجوه من صنيع الأوائل فى قوله تعالى: « فاقرأوا ما تيسّر من القرآن» وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: لا صلاة الا بفاتحة الكتاب. حيث لم يجعلوه مخصّصاً. وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم: فيما سقت العيون العشرُ. الحديث وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة. حيث لم يخصوه به ونحو ذلك من المواد ثم ورد عليهم قوله تعالى: « فما استيسر من الهدي » وانما هو الشاة فما فوق ببيان النبى صلى الله عليه وآله وسلم فتكلفوا فى الجواب. وأصلوا انه لا يجب العمل بحديث غير الفقيه اذا انسد به باب الرأي وخرجوه من صنيعهم فى ترك حديث

المصرّاة ثم ورد عليهم حديث القهقهة وحديث عدم فساد الصوم بالاكل ناسياً فتكلفوا فى الجواب . وامثال ماذكرنا كثير لا يخفى على المتتبع ومن ومن لم يتتبع لاتكفيه الاطالة فضلاً عن الاشارة » اه وظاهر ان اكثر القواعد انما وضعت لتصحيح كلام الائمة ورد كل حزب على مخالفه والاعتذار عن ترك العمل بالكتاب والسنة. فهذه هي اصول فقه مقلديك فهل يصح ان نسلم بجميعها ؟

(المقلد) : ان هـذا الرجل عالم اصولي ولكنه متعصب على الحنفية

(المصلح) : هو حنفي الاصل ولكنه أعمل نظره بالانصاف ولم يجمد على التقليد الاعمى فانفتح له باب العلم فكان عالماً اصولياً بصيراً فى دينه ورسالته هذه اسمها (الانصاف . فى اسباب الخلاف)

(المقلد) : كلما عزمت على ترك البحث فى مقدماتك تجيئنى بنغمة جديدة تفسخ العزيمة وقد طال المجلس فلا اسمح لك ولا لنفسى بكلام قبل بيان مقصدك والافصاح عن نتيجة مقدماتك بعد ابطال الثقة بعلمي الفروع والاصول وهل هي الا الفوضوية الدينية التى قلت من قبل انك لاتريدها

(المصلح) : اريد ان يكون المسلمون على ما كان عليه اهل الصدر الأول فى زمن الراشدين الذين امر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالتمسك بسنته وسنتهم والعض عليها بالنواجذ وترك كل ما أحدث فى الدين مما يخالف طريقتهم كما قال « واياكم ومحدثات الامور » الحديث . فاما العقائد فالقرآن برهان على نفسه وعلى رسالة من جاء به ويضاف اليه سيرة النبي عليه السلام فى اخلاقه وآدابه وعلمه وعمله

كفاك بالعلم فى الامىّ معجزة فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

ومتى ثبتت النبوة والقرآن فاننا نأخذ عقائدنا من القرآن من غير فلسفة فيها ونستدل عليها بالطريقة التي سلكها في الاستدلال فان الذين أرادوا معرفة الله تعالى بالعقل وحده كفلاسفة اليونان زلوا وضلوا . وبهذا نفهم معنى كون الاسلام دين الفطرة وانه لا يمكن ان يخالف في احكامه احكام الخليقة ولا في سننه سنن الطبيعة لان كلاً من الله تعالى كما تشير اليه الآية السابقة . ونعذر من خالفنا فيما لا اجماع على انه كفر لا يعد صاحبه من المسلمين حتى يفيء . واما الاخلاق والآداب فحسبنا ما في الكتاب والسنة من بنائهما على قاعدة الاعتدال ولا نلتفت الى افراط بعض المتصوفة في الروحانيات والغلوّ في الزهد والتواضع والسخاء حتى انتهوا الى الكسل والذل واهانة النفس وتعذيبها والاسراف بانفاق كل ماتصل اليه اليد ونحو ذلك فالقرآن ينادي بلسان عربيّ مبين بالأمر بالعمل وبعزة النفس وكرامتها وبالاقتصاد . كما لا نلتفت الى تفريط بعض المتفقهة الذين لم يجعلوا للروح حظاً في علمهم

واما العبادات فما بينته السنة بالعمل وتناقله الخلف عن السلف كذلك بالاتفاق حتى صار معلوماً من الدين بالضرورة هو الذي يجب ان يأخذ به كل مسلم وما اختلفوا فيه منه كالجهر بالبسملة او قراءتها ورفع اليدين عند الركوع والقيام منه وعدم ذلك وكتكبيرات صلاة العيد فهو غير واجب وان عد بعضه الفقهاء واجباً وهو على التخيير فمن ترجح عنده شيء بدليل او بموافقة لحاله اخذ به ولا يجب عليه البحث عن وجوه الترجيح لان اختلاف المسلمين فيه عملاً دله على انه ليس من ضروريات الدين وفرائضه ولا يعيب من خالفه بما ترجح عنده من فعل او ترك لانه على التخيير . وما كان مثل صلاة العيد والوتر فالاول ان يتبع المأموم فيه الامام وان

لاتتعدد الائمة فى مسجد واحد فى وقت واحد لاجل الخلاف . نفعل ماثبت عنهم فعله ونترك ماثبت عنهم تركه ونتخير فيما اختلف فيه النقل مع الاحتياط وعدم الميل مع الهوى ونسكت عما سكتوا عنه فلا نجري فيه قياساً ولا نعمل فيه رأياً وكيف نزيد عليهم وهم خيار الامة . وقد احسن الامام مالك وأصاب فى الاحتجاج بعمل اهل المدينة لعهده . وكذلك يعمل كل احد بما صح عنده من الاحاديث القولية ولا يجعل ذلك مثاراً للخلاف فى الدين لانه من قسم المخير فيه ولو كان محتماً لما ترك العمل به الصحابة والتابعون ولو عملوا به لكان ثابتاً بالعمل وقد تقدم حكمه

(المقلد) ان عندى موعداً قرب وقته واحب ان انصرف الآن واعود غداً ان شاء الله تعالى . وانصرفا على ذلك

﴿ باب التفسير ﴾

«ملخص مما أملاه فى الازهر . مولانا الاستاذ الاكبر . صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده»
«مفتى الديار المصرية»

(وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلٰكِنْ لَا يَشْعُرُونَ . وَاِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِنْ لَا يَعْلَمُونَ)

تنطق هذه الآيات بأن ماعليه هذا الصنف من الغرور بماعنده من التقاليد قدسوّل له الباطل وزين له سوء عمله فرآه حسناً وشوّه فى نظره كل حق لم يأته على لسان رؤسائه ومقلديه بنصه التفصيلى فهو يراه قبيحاً وقد صوّرت الآيات هذا الغرور بما حكته عن بعض افراده وهو «واذاقيل لهم

لا تفسدوا في الارض» بما تصدون عن سبيل الله من آمن وتبغونها عوجاً وتنفرون الناس عن اتباع محمد صلى الله تعالى عليه وسلم والاخذ بما جاء به من الاصلاح الذي يجتثّ اصول الفساد ، ويصطلم جراثيم الاداد ، ويحيي ما اماتته البدع من ارشاد الدين ، ويقيم ماقوضته التقاليد من سنن المرسلين « قالوا إنما نحن مصلحون » بالتمسك بما استنبطه الرؤساء ، وما كان عليه الاحبار والعرفاء ، من تعاليم الانبياء ، فانهم اعرف بسنتهم ، وادرى بطريقتهم ، فكيف ندع ما تلقيناه منهم ، ونذر ما يؤثره رؤساؤنا عنهم ، ونأخذ بشيء جديد ، وطارف ليس له تليد ؟ ،

هكذا شأن كل مفسد يدعى انه مصلح في نفس افساده فان كان على بينة من افساده عارفاً انه مضلل وانما يكون كذلك اذا كان افساده لغيره لعداوة منه له فانما يدعي ذلك لتبرئة نفسه من وصمة الافساد بالتمويه والمواربة وان كان مسوقاً الى الافساد بسوط التقليد الاعمى الذي لاميزان فيه لمعرفة الاصلاح من الافساد الا الثقة بالرؤساء المقلدين فهو يدعيه عن اعتقاد وان كان اثر تقاليدهم والسير على طريقتهم مفسداً للامة في الواقع ونفس الامر لان الوجود والحقيقة الواقعة لاقيمة لها ولا اعتبار في نظر المقلدين بل هم لا يعرفون مناشيء الفساد ومصادر الخلل ، ومزالق الزلل ، لانهم عطلوا نظرهم الذي يميز ذلك ، وأرادوا ان يوقعوا غيرهم بهذه المهالك ، بصدهم عن سبيل الاسلام ، الداعي الى الوحدة والالتئام ، فكان ذلك دعاء الى الفرقة والانفصام ، والثبات على عبادة البشر والاصنام ، وايّ افساد في الارض اعظم من التنفير عن اتباع الحق وعن الاعتصام بدين فيه سعادة الدارين ؟ والارض انما تفسد وتصلح بأهلها ولذلك قال : « ألا انهم هم المفسدون »

فابتدأ الكلام المؤكد لاثبات افسادهم بكلمة « الا » التي يراد بها التنبيه والايقاظ واستلفات النظر وتدل على اهتمام المتكلم بما يحكيه بعدها « ولكن لا يشعرون » بأن هذا افساد غرز فى طبائعهم بما تمكن فيها من الشبهة بتقليد رؤسائهم الذين أشربوا عظمتهم . وهذا دليل على انهم لم يكونوا معاندين ولا مرائين وانهم على اعتقاد ضعيف لا يشهد له العمل كما تقدم فى تفسير آية « يخادعون اللهَ »

واذا كانت الآيات فى وصف طائفة من الناس توجد فى كل امة كما قدمنا فليحاسب بها نفسه كل مسلم يعتقد ان القرآن امامه وان فيه هدًى له فانها حجة على كثير ممن يدعون الاسلام بالقول ويعملون بخلاف ما جاء به ويتبعون غير سبيله

ثم صورت الآيات ذلك الجهل والغرور بصورة اخرى اشد تشوهاً مما قبلها لان تلك صورتهم فى عملهم وهذه صورتهم فى جوهر ايمانهم وهي « وإذا قيل لهم آمِنوا كما آمنَ النّاس » الذين تعتقدون كمالهم ، وترون تعظيمهم واجلالهم ، وهم الذين تفتخرون بالنسبة اليهم ، كابراهيم وموسى وعيسى واتباعهم الذين كان الايمان راسخاً فى جنانهم ، ومؤثراً فى وجدانهم ، ومصرّفاً لابدانهم ، « قالوا أنؤمنُ كما آمن السفهاءُ » يعنون أتباع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما تضمنه الامر من الشهادة لهم بانهم فى إيمانهم كاتباع أولئك الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم سلف اليهود الذين كان الكلام معهم وكانوا يفتخرون بما يتناقلونه من سيرتهم فرد الله تعالى عليهم بقوله « ألا انهم هم السفهاء» لان لهم سلفاً صالحاً تركوا الاقتداء بهم زعماً ان المتأخر لا يمكن ان يكون على هدى المتقدم لانه يصعب او يتعذر عليه

اللحاق به واحتذاء عمله لعلوه فى الدرجة وبعده فى المنزلة وان حظهم من سلفهم انتظار شفاعتهم ، وان لم يسيروا على سنتهم ، فأيّ الفريقين اجدر بلقب السفيه ؟ أهم أولئك اليهود الذين لهم اسوة صالحة ولكنهم لا يهتدون بها وهذه حالهم من سوء العقيدة وقبح العمل ، أم مَن لا سلف له الا عبدة الاوثان ، ومع ذلك قلبه مطمئن بالايمان ، وأعماله تشهد له بالاحسان ، كالصحابة الذين هداهم الله بنور الاسلام ، فكانوا كاتباع أولئك الانبياء الكرام ، بل ربما سبقوهم بالفضائل ، وزادوا عليهم فى الفواضل ، لا شك ان أولئك المفسدين بعد ما تقدم لهم سلف صالح ودين قيم هم السفهاء دون من سواهم « ولكن لا يعلمون » ان السفه محصور فيهم ، ومقصور عليهم ، وانما عندهم شعور ما بانهم ركبوا هواهم ، ولم يتبعوا هدي سلفهم ولا هداهم ، ينتحلون له العلل الضعيفة ، ويتمحلون له الاعذار السخيفة ، فهو لم يصل الى حد العلم الذى تتكيف به النفس . ويكفى فى اثبات السفه انهم يعرفون حسن حال سلفهم ويعترفون به ولكن لا يقتدون بهم ولا يقتفون اثرهم وإنما يعتمدون فى نجاتهم وسعادتهم على تلك الامانىّ والتعلات ، كقولهم : لن تمسنا النار الا اياما معدودات ، وقولهم : نحن ابناء الله واحباؤه ، وشعبه واصفياؤه ، ولا يصح نفي الشعور عنهم فى هذا المقام مع ذلك الاعتراف وانما هو نفى العلم الكامل الذى يزيل الشبه ، ويذهب بالعلل ، ويبعث على الاقتداء بالعمل ،

وهذا ايضاً حجة على كثير من اللابسين لباس الاسلام وهم من هذا الصنف يعتقدون كمال سلفهم ولا يقتدون بهم وإنما يطمعون فى سعادة الدنيا والآخرة لانتسابهم الى أولئك السلف العظام ، ولكونهم من امة النبي

عليه الصلاة والسلام ، وهي خير الامم ، بشهادة الله فى القدم ، ولكنهم لا يعلمون انها فضلت سواها بكونها امة وسطاً تقوم على جادة الاعتدال ، فى العقائد والاخلاق والاعمال ، وتسعى فى اصلاح البشر ، بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، (كما سيأتى فى تفسير « وكذلك جعلناكم امة وسطاً » وتفسير «كنتم خير امة اخرجت للناس») وليس عند هؤلاء السفهاء شيء من هذه الصفات ، الا الامانىّ والتعلات

﴿ الاسئلة الدينية واجوبتها ﴾

(١) من الشيخ احمد محمد الالفي فى طوخ القراموص: هل الاجتهاد المطلق فرض عين على كل مسلم ومسلمة ام فرض كفاية أم لا هذا ولا ذاك . وما هو الدليل النقلي الذى لا يحتمل التأويل

(ج) الاجتهاد المطلق الذى يستعد ذووه لمعرفة الاحكام الشرعية فى كل باب فرض كفاية لأن المصلحة تقوم فيه بالبعض ومن الحرج الشديد ان يكلف به احد . وقد اشترطوا فى القاضي والمفتي الاجتهاد لان وظيفة الاول الحكم ووظيفة الثانى البيان لما يعرض من الاقضية والمسائل التى لا نص فيها فلا بد ان يكونا قادرين على استنباط الاحكام لئلا تتعطل المصالح . وهذا واضح لا غبار عليه وترون الكلام فى الموضوع مفصلاً فى محاورات المصلح والمقلد فتتبعوها الى آخرها وان رأيتم فيما كتب الى الآن بعض اجمال او شذوذ عما عرف عن الفقهاء فى بعض الجزئيات . هذا ان كنتم تريدون بالدليل الدليل فى المسئلة كما هو الظاهر . وان كنتم تريدون مطلق الدليل النقلي الذى يفيد القطع فهو ما كان نصاً فى معناه لا يحتمل

غيره متواتراً فى لفظه كالقرآن

(٢) ومنه : من الذى قال من المجتهدين او المقلدين بحرمة او كراهة تعلم العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والفلسفة وبالاجمال كافة العلوم المجردة من الالحاد سواء كانت عصرية ام غير عصرية . وهل اذا قصّر بعض علماء المسلمين فى عدم تعلم وتعليم هذه العلوم ينسب ذلك التقصير الى علم الفروع الفقهية ام الى نفس ذلك المقصر وما هو الدليل

(ج) لما حدث فى المسلمين علم الكلام والجدل فى الدين مقته وذمه غير واحد من الائمة المجتهدين كما رأيتم فى الجزء ٢٢ من منار السنة الماضية . ولما ظهرت الفلسفة اليونانية فيهم ومزجوها بمباحث العقائد كان بعض العلماء يقول بوجوب تعلمها للمدافعة عن العقائد وبعضهم يحرم ذلك ويقول لا حاجة اليها فى اثبات العقائد حتى كان فى الفقهاء من حرم المنطق ولا يمكن حصر هؤلاء باسمائهم ولا حاجة اليه . وحسبك ما قاله الامام حجة الاسلام في العلوم التي ليست بشرعية اى لم تؤخذ عن الانبياء عليهم السلام قال رحمه الله تعالى

« فالعلوم التى ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ماهو مباح فالمحمود ماترتبط به مصالح امور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم الى ماهو فرض كفاية والى ماهو فضيلة وليس فريضة اما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام امور الدنيا [1]

(١) يدخل فى هذا الضابط الهندسة والمكانيكا لان الآلات الحربية والصناعية لاتقوم بدونهما في هذا العصر وعلم تقويم البلدان لضرورته في الاعمال الحربية وغيرها وعلم الكيمياء لتوقف تركيب الادوية عليه الآن وعلم الطبيعة لتوقف الصنائع عليه كالوابورات

كالطب اذ هو ضروريّ فى حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضروريّ فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما. وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج اهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين (١) ولا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان اصول الصناعات ايضاً من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة (٢) فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم انفسهم للهلاك فان الذى انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله وأعد الاسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله

« واما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج اليه (٣) واما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات ، وعلم الشعبذة والتلبيسات ، (٤) واما المباح منه فالعلم بالاشعار التى لا سخف فيها وتواريخ الاخبار (٥)

البرية والبحرية وغير ذلك من العلوم التى يسمونها عصرية لقيام مدنية هذا العصر بها وبتركها ضعف المسلمون وصاروا عيالا على خصمائهم الطامعين في بلادهم

(١) انما يصح هذا اذا وفى ذلك الواحد بحاجة البلد واما اذا لم يوف بها فلا تسقط الفريضة بالواحد بل بما تقوم به المصلحة (٢) انما عد الحجامة فريضة بسبب اعتقاد اطباء زمانه عدم الاستغناء عنها وكذلك كان واما اليوم فلا (٣) ومثل هذا علم الجيولوجيا ونحوه من الفنون التى لا تتوقف عليها مصالح البشر ولكنها مزيد كمال فى العلم (٤) عده السحر علماً يفيد انه ليس من خوارق العادات وهو ما يدل عليه القرآن ومعنى كونه مذموماً انه محرم لما فيه من خداع الناس وايذائهم بالخداع والتمويه وبعض الاعمال الخفية اسبابها عنهم (٦) انما يكون العلم بالاشعار والاخبار مباحاً اذا كان

وما يجرى مجراه » اه

ومنه يعلم ان المقصّر فى العلوم النافعة تبعة تقصيره عليه .

(٣) ومنه : هل احكام الفروع الفقهية فى المذاهب الاربعة او غيرها من مذاهب المجتهدين اصلح فى العمل لنظام المجتمع ام القوانين الوضعية وما هو الدليل

(ج) الاصلح لنظام المجتمع ما قام به العدل والمساواة بين الناس فى الحقوق . والاحكام الفقهية تفضل القوانين عندنا معشر المسلمين وهى اصلح لمجتمعنا من القوانين لاعتقادنا بوجوب العمل بها فهى مصحوبة بقوة تنفيذية فى قلب الانسان ووازع نفسي يحمله على مراعاتها سراً وجهراً ولكن اتباع مذهب واحد فيه حرج واخلال بالمصلحة فى بعض المسائل كما ان الخلاف وتعدد الاقوال ينافى المصلحة ولا تقوم مصلحة المسلمين بهذه الاحكام الا اذا الف كتاب منقح خال من الحشو والتعقيد والخلاف يفى بحاجة الامة ويؤخذ من كتب جميع الائمة على ما بيناه فى مقدمة تقرير فضيلة مفتى الديار المصرية فى اصلاح المحاكم الشرعية المنشورة فى المجلد الثانى من المنار

(٤) ومنه : هل تلقين العهود وسلوك طريق الآخرة والارشاد اليها وزيارة الصالحين الاحياء والميتين مشروع أم منكر ؟

(ج) الظاهر انكم تريدون بتلقين العهود ما عليه القوم الذين يسمون اهل الطريق وهو امر لم ترد به سنة صحيحة . واما ما كان مثل مبايعة النبي

الغرض منها التسلى والتفكه واما اذا قصد بالاشعار تعلم البلاغة وضبط اللغة واريد بالاخبار الاحتجاج بها فى السياسة التى منبعها التاريخ ونحوها فانهما يكونان من الفرائض حينئذ

صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤمنين والمؤمنات فلا وجه للسؤال عنه . واما سلوك طريق الآخرة فان كان بالعمل بالكتاب والسنة والاهتداء بهدي الراشدين فهو الدين القيم والارشاد اليه واجب بما اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه ومازاد على ذلك فهو منكر وشرع لم يأذن به الله . واما زيارة الصالحين الاحياء فهي تدخل في عموم الامر بالبر والصلة والحب في الله كما تدخل زيارة قبور الميتين في عموم حديث « فزوروها فانها تذكركم الآخرة » فزيارتها على هذا الوجه مشروعة وما يزيده الجهال من تقبيل الاعتاب والطواف والاستعانة على قضاء الحاجات فهو من البدع المنكرة كما فصلناه مراراً في المنار

آثار علمية ادبية

﴿ اظهار المدفون . من تمثال فرعون ﴾

« لحضرة الفاضل الشيخ محمد اسماعيل وكيل المجلة في ملوي »

في ضواحي بلدتنا (ملوى) قرية تبعد عنها نحو ساعة تدعى الاشمونين وكانت تسمى قديماً (هرموبوليس) وهي من اشهر مدن الفراعنة التي اتخذوها عاصمة لملكهم في بعض الازمان الغابرة وفيها الآن من المباني العتيقة والآثار القديمة مايشهد بسابق حضارتها التي كانت عليها ومدنيتها الفائقة التي حفظت بحفظ آثارها المخبوءة في بطون آكامها واطلالها الدارسة التي يبلغ مقدار مساحتها ١٢٠٠ فدان وهي على ماهي عليه الآن من الخراب

والعفاء لاتزال مطمح انظار السائحين الباحثين عن الآثار على اختلاف نحلهم ومللهم وما زالت الايام تظهر بعض تلك الآثار التي تبهر العقل وتأخذ بالالباب وفي هذه الايام عثر بعض مستخرجي السماد (السباخ) في اثناء حفرهم على اعظم تمثال واجل اثر ألا وهو تمثال الملك منفتاح أو منفطا الاول الذى يقول بعضهم انه فرعون موسى عثر عليه في بعض آكام تلك القرية وهو مصنوع من حجر (الجرانيت) الاحمر موضوع على قاعدتين احداهما متصلة به وهي من نوع حجره والاخرى منفصلة عنه وهي من الحجر الابيض مزينة بالكتابة والنقوش ومقدار ارتفاعه يبلغ خمسة امتار مولياً وجهه شطر المشرق مقدماً رجله اليسرى ومؤخراً اليمنى قابضاً على ملف من الورق مكتوب عليه اسمه وألقابه الملوكية وعلى جنبه الايسر قد رسمت صورة ولده (سيتي الثاني) المكتوب عنه انه ولي عهده ورئيس الكتاب وقائد جيوش ابيه الملك منفتاح وعلى كتفه راية العدل مكتوب عليها (الحق) وهذا التمثال يمثل الملك وهو مؤتزر بجلد النمر تحت سرته قد كتب على ظهره ما معناه : الذهب الابريز ، ابن الشمس ، الثور الاعظم ، مالك التاجين . صاحب البرين (أي الوجه القبلي والبحري) . وقد فسر بعض رجال الآثار تقديم رجله اليسرى وتأخير اليمنى بالخضوع والخشوع للآلهة وأرى أن هذا التفسير ربما كان بعيداً عن الاصابة فاني اول مارمقته بنظري وكان معي بعض الاذكياء فهمت ان ذلك منه رمز الى الشجاعة والاقدام وانه لدى الامعان يظهر جلياً أنه كمن يريد البراز فهو يتحفز للوثبة بحالة تدل على الكبر والاعجاب لا الخشوع والخضوع ولقد راجعت التاريخ فاذا به يقول مانصه (منفتاح اومنفطا الاول هو الذى كان في ايامه خروج

بنى اسرائيل من مصر تحت رئاسة موسى عليه السلام ولم يرث عن ابيه سوى الكبرياء والعظمة واجمع المؤرخون على أن قسوته كانت سبباً فى قصر اجله وعدم طول بقائه فى ملكه) اه بالحرف

ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

فسبحان الذى نجاه ببدنه ليكون آية لمن خلفه . واظهر تمثاله الآن عبرة لمن بعده . ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين

هذا وما انتشر نبأ اكتشافه بين الناس حتى هرع الكثيرون منهم على اختلاف نزعاتهم لمشاهدته حتى انه لا يخلو وقت من ازدحام الوافدين عليه وكل معجب بحسن وضعه ونسق هندامه مما يدل صراحة على ما كان بمصر من العلوم والصنائع

فى الغابرين الاولين من القرون لنا بصائر

وهو لعمر الحق جدير بأن يؤمه محبو الآثار وذوو الشغف بصنائع الاقدمين غير اننا نأسف على ما أصابه اثناء استخراجه حيث أفلتت ضربة من أحد الحفار أصابت تاجه من أعلى فكسرت قطعة صغيرة منه كما انه حينما أرادوا إنزاله من أعلى القاعدة التى كان واقفاً عليها انصدع فخذه فانكسر لكن بغير انفصال ولم يخل هذا ولا ذاك بحسن التمثال وجميل شكله . هذا وقد شاهدنا بعد انصرافنا من هذا المشهد تمثالاً آخر قريباً منه لكنه اكبر جرما ومقطوع الرأس وبعض الصدر وهو على هيئة شخصه جالس على كرسى ويقال أن رجال الآثار كابدوا المشقات فى استخراجه فأعياهم . ثم عرج بنا الخرّيت الذى استصحبناه معنا الى مسجد هناك قديم قد تداعت حيطانه وخرّ سقفه ولم يبق منه غير عمد من الرخام قائمة وهى

على طول عهدها لم يطرأ عليها ما يذهب برونقها فضلاً عن ما حواه هذا المسجد أيضاً من الآثار التى قل أن يوجد نظيرها فزادنا منظره على هذه الحالة أسفاً على أسف ولم نقدر أن نمسك السنتنا عن الحوقلة اللهم الابالترحم على السلف الصالح الذين بذلوا كل مرتخص وغال فى فتح البلاد . وشيدوا للاسلام فيها أرفع عماد . كما أننا لم نملك خواطرنا التى أخذت تلوم مصلحة آثار الاوقاف التى تركت هذا المسجد وماحواه فى قرية لم يزل أهلها يضيعون ما ادخره الاقدمون لجهلهم مما لو كان لدى غيرهم لعضوا عليه بالنواجذ لعلمهم ان ذلك أعلى وأغلى قيمة من الركاز ولقد شاهدت بعض اعمدة هذا المسجد ملقاة خارجة عنه على طلل بال بحيث لا يؤمن ضياعها فلذلك نستلفت انظار حكومتنا الى مكافئة من يعثر على الآثار بعد التحرى والوقوف على أنه هو العاثر حقيقة على ذلك فقد نمي الينا أن بعض الفلاحين يعثر على شيء من ذلك فيخبر أولى الشأن الذين يرفعون الخبر الى الحكومة ثم تصرف المكافأة الى غير مستحقها فيشكو الأخير سوء حظه ويندب سوء حاله ويأخذ على نفسه العهود انه لو عثر على مثل هذا مرة ثانية ليهشمنه وليكسرنه انتقاماً لنفسه من ضياع اتعابه سدى . هذا وقد علمت أخيراً أنه ظهر وراء الحفرة التى كان بها التمثال هيكل منقوش على جداره (صورة سيتى) بن منفتاح على هيئته التى تولى فيها الملك بعد أبيه « أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الارض فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون »

« طرف الاعراب ونوادرهم »

(ابو النجم الفضل بن قدامة العجلى الراجز) من فحول المتقدمين فى الاسلام يتمثل بكلامه وهو الذى يقول :

انا ابو النجم وشعرى شعرى ... لله در ما يجن صدري

وفد على هشام بن عبد الملك وقد طعن فى السن فقال له هشام حدثنى يا أبا النجم فقال : أعني ام عن غيرى ؟ فقال بل عنك فانشأ يحدثه وهو يضحك وصار يختلف اليه . وكان طرده هشام حين أنشده ارجوزته التى يمثلون فى الكلام على الفصاحة بمطلعها « الحمد لله العلىّ الاجلل » وفيه مخالفة القاعدة الصرفية فى الادغام . وذلك انه لما بلغ أطرف تشبيه فيها وهو « والشمس فى الافق كعين الاحول » فطن قبل ان ينطق بالكلمة الاخيرة لأن هشاماً أحول فلم يقلها فلما وقف قال هشام : اجز فقالها فطرده

وضاق صدر هشام فى ليلة فقال لأحد الخدم : اطلب لى محدثاً اعرابياً شاعراً فخرج الخادم الى المسجد فاذا هو بأبى النجم وكان ينام فيه بعد طرده فضربه برجله وقال : اجب امير المؤمنين فقال انى أعرابىّ غريب فقال إياك ابغي هل تروى الشعر ؟ قال نعم واقوله فانطلق به حتى ادخله القصر واغلق الباب فظن ابو النجم الشر والانتقام ثم مضى به فادخله على هشام فاذا هو فى بيت صغير والشمع يزهر بين يديه واذا هو قد ضرب بينه وبين نسائه ستر رقيقاً . فلما رآه هشام قال : ابو النجم ؟ قال: نعم طريد أمير المؤمنين فاذن له بالجلوس وسأله عن منزله ومبيته مباسطة : ثم قال له مالك من الولد ؟ قال ثلاث بنات وبنىّ اسمه شيبان فقال هل اخرجت

من بناتك احداً ؟ قال نعم زوجت اثنتين وبقيت واحدة تجمز فى ابياتنا كأنها نعامة . قال وما اوصيت به الاولى ؟ فقال :

اوصيتُ من (برّة) قلبا حرًّا   بالكلب خيراً والحماة شرًّا
لا تسأمى ضرباً لها وجرًّا   حتى ترى حلو الحياة مرًّا
وإن كستكِ ذهباً ودرًّا   والحيَّ عميهم بشر طرًّا

فضحك هشام وقال فماقلت للاخرى ؟ قال قلت :

سبي الحماة وابهتي عليها   وان دنت فازدلفي اليها
وأوجعي بالفهز ركبتيها   ومرفقيها واضربى جنبيها
وظاهري النّذْر لها عليها   لا تخبر الدهرَ بها ابنتيها (١)

فضحك هشام حتى سقط على قفاه وقال : ويحك ما هذه وصية يعقوب عليه السلام ولده فقال : ولا انا كيعقوب يا امير المؤمنين . قال فما قلت للثالثة ؟ قال قلت .

اوصيك يا بنتى فانى ذاهب   اوصيك ان تحمدك الاقارب
والجار والضيف الكريم الساغب   لايرجع المسكين وهو خائب
ولا تني اظفارك السلاهب   لهن فى وجه الحماة كاتب (٢)
والزوج إن الزوج بئس الصاحب

قال وكيف قلت هذا ولم تتزوج واىّ شيء قلت فى تأخر تزويجها قال قلت

كأنَّ ظلّامة اخت شيبانْ   يتيمةٌ ووالداها حيانْ

---

(١) المظاهرة المعاونة والنذر معروف وبمعنى الانذار (٢) تني تقصر والسلاهب الطوال

الرأس قمل كله وصيبان وليس في الساقين الاخيطان

تلك التي يفزع منها الشيطان

فضحك هشام حتى ضحكت النساء لضحكه وامر له بثلاثمائة دينار وقال اجعلها في رجلي ظلامة مكان الخيطين

الاخبار التاريخية

اسباب الحرب الروسية العثمانية (تتمة)

علم مما نشرناه في الجزء الماضي ان الدول الاوربية اغتنمت فرصة إشعال روسيا الفتنة في بلاد البلقان العثمانية لان تجعل لها حقاً رسمياً في زلزلة استقلال الدولة العلية بمشاركتها في احكامها وادارتها ولو في بعض الولايات وان تصدق الدولة على ذلك لتقوم الحجة عليها في كل آن وان هذا هو السبب في رفض مطالب المؤتمر. وقد كان مدحت باشا ابصر رجال الدولة بعاقبة الحرب التي تتوقع من رفضها كما كان اعلمهم بضرر قبولها. واننا ننشر المذاكرة والمشاورة في هذا الامر مما كتبته الجوائب عن المجلس الامي الذي امر به مولانا السلطان يومئذ وهو:

« قال مدحت باشا: اذا رفضنا مطالب الدول ادى ذلك الى فسخ المؤتمر فربما يعلن بعض الدول بحربنا والمترجح عندي ان دولتي انكلترا وفرنسا يبقيان على الحيادة اما الروسية التي هي اصل اقتراح هذه المطالب فيحتمل انها تجرى ايجابها علينا بالسيف. واما اوستريا فحيث ان من رعيتها ١٧٠٠٠٠٠٠ من الصقالبة فمن الصعب علينا ان نجزم بما يتأتى لها ان تفعله فاذا

كان سكانها من المجر يتساهلون معها فلا يبعد انها تتحد مع الروسية وتعلن بمحاربتنا فيمكنها والحالة هذه ان تستولى على بوسنه وهرسك الى مدة غير معلومة . اما سكان الصرب والمملكتين (الافلاق والبغدان) والجبل الاسود فالاقرب الى المعقول انهم يكونون اضداداً لنا فليس من المحتمل ان نتكل على مساعدة احد من الخارج . فاذا اعتبرتم هذا كله فلا نخفي على انفسنا ان احوالنا فى بحران

« فقال صبحى باشا : ان الصقالبة من سكان اوستريا ليس عندهم من القوة ما يكون به خطر علينا . فطاب مدحت باشا ان يعرف على الحقيقة ماهي قوة الدولة العلية . فقال بعض العلماء ان ما يلزم للمملكة ان تفعله هو ان تتكل على المولى سبحانه وتعالى و تُقبل على الحرب

« فقال مدحت باشا : اذا رمنا الاعلان بالحرب لزمنا بالضرورة ان تكون لنا قوة عسكرية مكافئة فاذا غلطت فى ذكر مقدار قوتنا العسكرية فناظر الحربية الحاضر الآن بيننا ينبهني على غلطي فأقول ان عدد عساكرنا الان يبلغ من ٥٠٠٠٠٠ الى ٦٠٠٠٠٠ وبحمده تعالى وبعناية مولانا وسلطاننا المعظم قدامدت هؤلاء العساكر بالسلاح الكافي فصاروا مستعدين للقتال وقد اوصينا من اميركا على مقدار وافر من قراطيس البارود ولكن اذا صار الاعلان بالحرب يحتمل ان يقع القبض عليها قبل وصولها الى الاستانة ولا يخفى عليكم ايضاً أنَّا الآن لا درهم لنا ولا دينار وابواب الصيارفة واصحاب المعاملات المالية مقفولة دوننا (كذا فى الاصل والصواب مقفلة) ولا يمكننا ابقاء جيش بدون دراهم

« فقال رؤف بك (ابن المرحوم رفعت باشا) : نعم ان لنا من الاسباب

مايخيفنا من الحرب ولكن اذا قبلنا لائحة المؤتمر لم يبق ريب في انقلاب السلطنة فالحرب كداءالحمى يمكن لنا ان نتخلص من رزئه ولكن لائحة المؤتمر كداء الرئة عاقبته القبر لا محالة فغاية مايلزمنا فعله هو ان نلبس الصوف ونوقد الشمع الاحمر ونغالب العدو

« فقال مدحت باشا : ان قوائمنا (اوراق) المالية فى بخس ويحتمل انها تزيد بخساً وقد عهد انه اتى على فرنسا زمان بلغت فيه قيمة الحذاء الى ٢٧٠٠٠ فرنك (سبعة وعشرين الفاً) فمن ذا الذي يدري ما يصيبنا اذا اقدمنا على الحرب فيحتمل انه بعد مدة قصيرة يعوزنا القوت فتمنى الناس ان نكون قد قبلنا اقتراحات المؤتمر

« فقال محمد رشدى باشا (الصدر الاسبق) : ان ما قاله جناب الصدر الاعظم صحيح الان قبول اقتراحات المؤتمر يحرم سلطنتناالسنيةمن الاستقلال ، والحرمان من الاستقلال يشبه الاضمحلال ،

فقال شيخ الاسلام : إني على رأي الصدر الاعظم ولكني ارى ان رفض الاقتراحات اولى . فقال شيخ الاسلام السابق : ان الواجب علينا واضح جلي وهو رفض هذه الاقتراحات لانها تسلب منا الاستقلال

« فقال عابدين بك «مدير البورس» : انّ اربعين مليوناً من العثمانيين يختارون الحرب على ضياع حقوقهم وشرفهم فأمروا بالقتال فانا مطيعون

« فقال الصدر : ان كنت قد اطلعت على افكار اهل المجلس ايقنت بأنهم يرون ان قبول اقتراحات المؤتمر يحرم الدولة العلية من الاستقلال . فأجاب سائر الاعضاء بقولهم « نعم نعم » هذا رأيهم . ثم قال عدة من العلماء هل تداخلنا نحن فى حقوق دول اوروبا الذين لهم رعايا من المسلمين

فكيف يمكننا ان نسمح لهم بأن يتداخلوا فى مصالح دولتنا ؟ فقال مدحت باشا : يبعد عن التصور أننا اذا رفضنا هذه الاقتراحات يكون ذلك باعثاً على حرب عمومية ولكن ينبغي لنا ان نعلم ان الافكار العمومية فى اوربا كلها ضدنا والافكار العمومية هي اقوى شيء فى ايامنا هذه كما لا يخفى . فقال جميل باشا : اذا حامينا عن شرفنا فان الافكار العمومية تميل الينا . فقال عابدين بك : انا نفتخر بأن نفكر بأن جوابنا السلبي يوجب سفرستة سفراء من الاستانة فى آن واحد فهو يذكرنا فخر الملة العثمانية ومجدها فقد عزمنا على ان نجاوب هؤلاء السفراء جواباً واحداً . ثم قال البعض نعم ان تهييج الافكار العمومية مما يتأسف منه ولكن ماذا نفعل بعد ما اخبرنا الدول بالصدق عن مقاصدنا وحقيقة شأننا فى هذه المدة الاخيرة الطويلة فرفضوا رأينا وعولوا على رأيهم فاذا توكلنا على الله تعالى وحامينا عن شرفنا واستقلاليتنا فلنا امل فى ان افكار عموم الناس فى نهاية الامر تكون معنا لا علينا وخصوصاً ان القانون الاساسى الجديد قد شمل غير المسلمين من رعية دولتنا بالحقوق التى شمل بها المسلمين سواء . فقال صوا باشا : اذا كان سفر سفراء الدول الست فى آن واحد من شأنه ان يهيج علينا الافكار العمومية يلزم ان لا يبرح من بالنا ان هذه الوسيلة هى الوسيلة الوحيدة لصون شرف السلطنة العثمانية وكل العثمانيين يعنيهم هذا الامر ويهمهم فان اخترنا الموت على اهانة شرفنا فالافكار العمومية فى اوربا تثنى على اختيارنا ولا شك ان الافكار العمومية فى اوربا اقوى من دولها .

« فقال مدحت باشا : لا ريب فى ان شرف الاهالى منوط بشرف الدولة . فالدولة العلية ان لم تعرف كيف تحافظ على استقلاليتها فلا تستحق

ان تسمى مملكة . فقال ياور باشا (ناظر البوسطة والتلغراف) : لو فرض ان تلك المطالب اقترحت على شخص لكان يرفضها لامحالة فكيف لا ترفضها مملكة

« ثم ألقى وكيل بطرك الارمن الكاتوليك مقالة طويلة فى عدم لزوم قبول اقتراحات المؤتمر . ثم قال حاخام الاسرائيليين : ان ابناء ملتي عازمون على ان يبذلوا ارواحهم للمحافظة على استقلال السلطنة العثمانية (سرور من الحاضرين عموماً) ثم قال يانقوسكياديس افندى احد اعضاء شورى الدولة وهو من طائفة الاروام : كلنا نفتخر بأن نكون من رعية سلطان شمل قومه بقانون اساسي كالذى انعم علينا به مولانا السلطان المعظم وانا مستعدون لان نموت محافظة على هذا القانون وبحب وطننا[1] ثم قال الصدر الاعظم (اذذاك مدحت باشا) المملكة التى تنعم على رعاياها بالحرية والاستقلالية جديرة بأن تطلب لنفسها ايضاً الحرية والاستقلالية . ثم قال محمد رشدى باشا : إن القانون الاساسي وان كان قد نشر أخيراً إلا أن مولانا السلطان المعظم وعد بامتيازات عظيمة فى الخط الهمايونى الذى اصدره يوم جلوسه على سرير السلطنة السنية وكان صدوره قبل عقد المؤتمر فالفضل فى اصدار هذا القانون عائد الى مولانا السلطان وليس هو من تشدد المؤتمر على مولانا[2]

« ثم قال وكيل بطرك الروم الارثوذكسيين اننى استحسن ما قاله صوا باشا بالنيابة عن ابناء ملتى . ثم قال وكيل البروتستانط : ان القانون

(١) انت ترى ان المسيحيين وحاخام اليهود مانطقوا الا بعد ما رأوا اجماع اهل المجلس على رفض الاقتراحات فما كان عن رأي وصدق فهو من أثر القانون الاساسى وماكان غير ذلك فهو مصانعة لئلا يتهموا بأن لهم ضلعاً مع اوربا التى تدعى الانتصار لهم

(٢) اراد رشدي باشا نفى تهمة كانت تلعب بالنفوس وهى ان السلطان اعلن القانون الاساسى لخداع اوربا والتمويه عليها بارضاء النصارى لتكف عن التعرض للدولة

الاساسي شمل سائر الرعايا بحقوق واحدة فكلنا عثمانيون وكلنا نكره تداخل الاجانب وقد صدق الصدر الاعظم فى قوله ان هذه المسئلة خطيرة لا يلزم انهاؤها على عجل فيحتمل أنه يوجد سبيل لاصلاحها بدون قتال والظاهر أن الاولى ان نترك لمجلس الوكلاء ان ينهي هذه المسئلة لصون شرفنا (ضحك فى المجلس) . ثم صرخ أحد الحاضرين قائلاً « نعم إنا نحافظ على شرفنا بانفسنا فقد مضت تلك الايام التى كنا نوكل فيها وكلاءنا (اى الوزراء) بأن يحافظوا على شرفنا». ثم قال حالت باشا (ناظر التجارة اذ ذاك انا أيضاً مستعد لأن احافظ على شرفنا ولكن مرادي ان لا يقترن ذلك بسفك دم فينبغى لنا ان نسعى فى اصلاح هذه المسئلة بدون حرب فالاولى عدم الاعلان بالحرب بالمرة . وعند ذلك حصلت ضجة فى المجلس فصرخ السامعون قائلين « غير ممكن غير ممكن لا بد من الحرب » ثم قال وكيل بطرك الارمن : « غير واجب على الأرمن ان يصرخوا بمتابعة بقية الرعايا العثمانية فى جميع مقاصدهم فان البطرك الآن منحرف المزاج لكنه أرسلنى لأقول ان الارمن كانوا دائماً صادقين فى طاعة الدولة العلية فى الايام السالفة فهم عازمون على ان يبقوا كما كانوا وهم يدعون الآن بقية ابناء الوطن لأن يتحدوا معهم للمحاماة عن شرف السلطنة واستقلاليتها (اظهر المجلس سرورهم من هذا المقال »

« ثم قال الصدر الاعظم : هل لى ان افهم مما ذكرتموه انكم رفضتم مطالب المؤتمر وهي تشكيل لجنة مختلطة كيفما كان تشكيلها ؟ « صراخ من اهل المجلس نعم نعم) قال : وترفضون الاقتراحات المعدلة التى عرضها السفراء ؟ وهل تنبذون بدون شرط سائر المطالب المختلفة التى عرضها

علينا المؤتمر ؟ وهل انتم عازمون وجازمون بهذا الرفض وان كان رفضكم هذا كما لا يخفى عليكم يوجب سفر السفراء من الاستانة ؟ فقال اهل المجلس « نعم نعم قد رفضناها » ثم قال : « من كان يخالفنا فى هذا الرأي فليقم عن كرسيه » فلم يقم احد . ثم قال ابراهيم باشا : لا يوجد احد على غير هذا الرأي سواء كان فى هذا المجلس او فى خارجه . ثم قال فائق باشا (دلاسد طليانى الاصل) : أنا على رأي المجلس ولكن لا بأس فى ان اذكركم ان رفض مطلبين من مطالب المؤتمر يكون سبباً فى سفك الدماء اما اذا قبلناهما فانا نكون فى السلم (فحصل ضجة فى المجلس)

« ثم قال الصدر الاعظم اذا اردنا المصالحة والاتفاق مع مرخصي المؤتمر فان ذلك من شأنه ان يقذف بنا فى مهواة والله اعلم ان يقذف بنا فالظاهر ان الحرب اولى ومع هذا فانى ادعوكم لأن تتروّوا فى قبول بقية مطالب المؤتمر أما المطلبان الاخيران فالأرجح رفضهما . فقال سيدنا شيخ الاسلام ان لائحة المؤتمر كلها خطر على بلادنا فعلينا الآن ان نرفض المطلبين الاهمين »

ثم بعد مذاكرة قصيرة فى عرض القانون الاساسي على الدول « قال محمود باشا الداماد : علينا ان نرفض المطلبين الأهمين من مطالب المؤتمر فاذا كانت الدول بعد ذلك تريد ان تعرض علينا سائر المطالب على صورة اخرى امكننا ان نجتمع مرة اخرى فى هـذا المجلس . ثم ختمت الجلسة بعد ان استقر الرأي على رفض اقتراحات المؤتمر بأسرها » اه

هذه هى مداولات (المجلس الامي) الذى اجتمع قبل مجلس المبعوثان للنظر فيما يتعلق بشأن لائحة المؤتمر والحرب التى تتوقع من رفضها . وقد ذهب مصباح الشرق الأغر الى ان مدحت باشا هو الذى كان مصمماً على

رفض مطالب الدول التي يرى المصباح ان الصواب فى قبولها وانه هو الذى اوحى الى أهل المجلس وجوب رفضها وقد رأيت ان مدحت باشا كان اصوب اهل المجلس رايًا واشدهم حذرا ، وابعدهم فى العواقب نظرا ، ويليه فى الحذر حالت باشا ثم وكيل دولة البروتستانت . وانه لم يجنح احد الى قبول سيطرة الدول على الدولة العلية ومراقبتهم احكامها التى تتضمنها المطالب الا ذلك الطليانى المسمى فائق باشا . وأن سائر اهل المجلس كانوا متفقين على تفضيل الحرب على قبول مطالب الدول . فاذا كانوا يعتقدون ان الصواب فى قبول ذلك وانه هو الذى ينجي الدولة ويرضى السلطان فهل يتصور ان جميع أولئك الوزراء والعلماء والوجهاء ورؤساء الاديان وهم خاصة المملكة قدموا طاعة هوى مدحت باشا على استقلال عقولهم وافكارهم وعلى مرضاة الههم وموافقة سلطانهم ونجاة اوطانهم ؟ ان كان هذا صحيحاً فهو دليل على انه لم يكن فى الدولة الا رجل واحد شرير هو مدحت باشا وكل من عداه فهو عدم . وان امة هذا شأنها وهؤلاء رؤساؤها وقادتها لا يمكن ان تستقل مع عدم مراقبة اعدائها وسيطرتهم عليها فكيف اذا كانت تحت مراقبتهم !!!

الوفد الاسلامى الى الصين

قال صديقنا الفاضل الكامل محمود بك سالم عند ما حدثت فتنة اوربا مع الصين : ان هذه الفتنة وتحرش اوربا بالصين مما يظهر مكانة مسلمي الصين العالية ورفعة شأنهم وقوتهم المادية والادبية - او ما هذا معناه - وما زالت الايام تظهر صدق قوله حتى رأينا مسعر نار هذه الفتنة عاهل الالمان ، وداهية اوربا فى هذا الزمان ، قد قدر هذه القوة قدرها وارد الاستفادة منها بصديقه السلطان الاعظم للمسلمين الذى يعترف له مسلمو

الصين بالخلافة الدينية ويخطبون باسمه على منابرهم فطلب منه أن يرسل وفداً اسلامياً تكون وظيفته الظاهرة العمومية نهيَ مسلمي الصين الاشدآء الاغنيآء أن يساعدوا الثوار الصينيين على المسيحيين وفائدته الخصوصية الخفية اعلام أولئك المسلمين بأن عاهل الالمان صديق خليفتهم وحليفه لتستفيد ألمانيا بذلك مثلما كانت تستفيد انكلترا فى الهند من قبل فانها ما رسخت قدمها فى تلك الممالك الا بنفوذ الدولة العلية الديني حيث كانت تقنع مسلمي الهند بانها حليفة الدولة العلية

اجاب مولانا السلطان أيده الله تعالى دعوة العاهل غليوم وارسل وفداً مؤلفاً من ستة نفر منهم عالمان من علماء الاستانة ورئيسه من قواد الجيش العثماني. وسيكون هذا الوفد آلة بيد الالمانيين الذاهبين لانه لا يعرف اللغة الصينية فالالمان هم الذين يبلغونه ويبلغون عنه ولهذا نقل الينا أن الروسية كان مستاءة معارضة في ارسال هذا الوفد . وقدم منذ ايام من السويس بلغه الله السلامة وجعل رحلته مفيدة نافعة في تخفيف الشر واستبدال الخير به

زيارة القبور . والمدرس المغرور

حدثنا غير واحد عن شيخ يقرأ كتاب (الدر المختار) درساً انه بلغ من أيام الكلام على زيارة القبور من كتاب الجنائز فخبط فى الكلام خبط عشواء فى مدلهمة ظلماء اذ انشأ يأوّل للعوام ما يأتونه من البدع والمنكرات عند زيارة قبور الصالحين . من ذلك انه أوّل دعاءهم اياهم فى المساجد لقضاء الحوائج ، ودفع المكاره ، واستعانتهم بهم فى المهمات ، وان كانت من الموبقات ، بأن هذا من باب طلب الدعاء منهم قال : « كأنهم يقولون نحن ندعو الله تعالى وندعوكم لان تدعوا معنا » . ولو كان كل عامي فقيها بحيل

الحنفية ، وقاضياً فى المحكمة الشرعية ، لأمكنه ان يهتدي الى هذا التأويل ، عند ما يضل سواء السبيل ، وان لم يعتقد بقلبه ، انه ينفعه عند ربه ، لأنه تعالى يقول « فلا تدعوا مع الله أحداً » ويقول « إياك نعبد واياك نستعين » ولم يرد فى الكتاب ولا فى السنة ولا في سيرة سلف الامة ان الدعاء يطلب من الموتى وحديث البخارى فى الاستسقاء بالعباس حجة على بطلانه

واذا علم القرآء ان هذا المدرس هو الذي دارت بيننا وبينه المناظرة فى هذا الموضوع فى المسجد الحسيني المنشورة فى العدد الخامس من المجلد الثانى وتذكروا ان مبدأ المناظرة ان الشيخ المدرس عند ما رأى الزائرين يطوفون بقفص قبر سيدنا الحسين (عليه السلام والرضوان) ويقبلونه قرأ قوله تعالى « ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون » وأشار اليهم لعجبوا من تلوّن الشيخ ومخاطبته كل أحد بما يظن انه يقبله ليعظم فى نفسه ويكبر فى عينه . واذا علموا بعد هذا انه كان رئيس محفل ماسونى يزول ذلك العجب لان الناس لا يعجبون من ألوان الحرباء . واذا علموا انه هو الذى كتب فى المؤيد يذم علوم الحساب والهندسة وتقويم البلدان وجعل توقيعه (ثابت بن منصور) وتذكروا كيف فند مزاعمه أحد المجاورين يعلمون درجته فى العلم وانه فيه غير ثابت ولا منصور . بل لو علم حاضر وادرسه كل ماتقدم لما اكتفى بعض نبهاء الطلاب بالردّ عليه فى وجهه . وقد كتبنا هذه الكلمات تنبيهاً له على قدر نفسه ونهيا له عن المنكر من غير تصريح باسمه ، عساه ينتهى عن ذلك التدليس ، ويترك ذياك التلبيس ، ويأخذ بطريقة السلف الصالحين ، ويترك الخوض باهل الحق واليقين ، فانهم لهم الثابتون المنصورون « بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون »

الجزء السابع (المجلد الرابع)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ صفر سنة ١٣١٩ — ٣ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١)

السخاء والبخل (تتمة)

أتَعْجَبُ من ضلال عامة الناس فى فهم حقيقة السخيّ ، على ما له فى نفوسهم القدر العليّ ، وإلباسهم البخلآء الشحاح ، لبوس اهل الجود والسماح ،؟ أليس هذا الخطأ من اهل العلم والادب ، اجدر بنبْث بثار العجَب ، بعد ما رفع الله تعالى فى القرآن ، من ذكر اهل البر والاحسان ، وجعل بذل المال فى سبيله آية الايمان ، وامساكه آية الكفر والخسران ، إقرأ ان شئت قوله تعالى : « ارأيت الذى يكذِّب بالدين ، فذلك الذى يَدُعُّ اليتيم ولا يحضُّ على طعام المسكين ، » وقوله جل علاه ، « وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة » ، وارجع الى سورة الحجرات ، واتل ما ورد فى الأعراب من الآيات ، فقد بينت حقيقة المؤمنين ، بعد انكار دعوى الايمان على اولئك المسلمين ، وذلك قوله تعالى « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدُوا بأَموالهم وانفسهم فى

سبيل الله اولئك هم الصادقون » . وناهيك بما ورد من الوعيد الشديد لمن يكنز المال ، وَوعْد المتصدقين بمضاعفة الاعمال ، وبعد ما جعل الشرع فى اموال المسلمين وكسبهم من حرث ونسل وتجارة ذلك الحق المعلوم . وفرض عليهم القيام بالنفقات الضرورية على من يعجز عن كسب يذهب بضرورته ، ويسدّ من خلته ، سواء كان من المسلمين ، ام كان من الذميين ، وما هذا الالزام بالبذل ، الا لتزكية النفس من رذيلة البخل ، وتعويدها على الجود ، مما يسمح به الوجود ، وقدورد فى معنى هذه الآيات احاديث كثيرة من اشدها وعيداً حديث البخاري فى الادب والترمذى فى صحيحه وهو : « خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن — البخل وسوء الخلق » وفى رواية لغيرهما « البخل والكذب » . وحديث ابن ابى شيبة وهناد والنسائى والحاكم والبيهقي وهو : « لا يجتمع الشحّ والايمان فى قلب عبد ابدا »

هذا شأن السخاء والبخل فى نظر الدين وما سلم رجال الدين معه من الخلاف فى تعريفهما عند ما انشأوا يضعون الحدود الجامعة المانعة للاصطلاحات الشرعية لبعد العهد باللغة وما يتبادر منها . فقالت طائفة : ان البخل هو منع الواجب من نحو زكاة ونفقة قريب . وهدم بعضهم هذا الحد قائلا : ان الذي يعطي عياله ما يفرضه القاضي من النفقة ثم يضايقهم فى لقمة زادوها ، او ثمرة من ماله اكلوها ، يعد بخيلا . ومن كان بين يديه طعام فحضر من يظن انه يأكل معه فأخفاه عنه فهو بخيل وكذلك من يرد اللحم الى القصاب والخبز الى الخباز لنقصان حبة او نصف حبة يوصف بالبخل كما وصفوا مروان ابن ابى حفصة .

وقال قوم : ان البخيل من يستصعب العطية فى نفسه وردّ هذا القول لاطلاق لفظ العطية فان السخي الجواد قد يصعب عليه ان يبذل جميع ما يملك او ما هو فى اشد الحاجة اليه لنحو وفآء دين او نفقة من تجب عليه نفقته بل السخيُّ الحقيقي يستصعب وضع المال فى غير موضعه واعطاءه لغير مستحقه كمن يعلم انه ينفقه فى معصية او يستعين به على مفسدة .

واختلفت اقوالهم فى السخآء والجود فقال بعضهم : هو عطآء بلا منّ واسعاف من غير رؤية . وهو قول غير مرضيّ لان البخيل قد يعطي لغرض من الاغراض التي شرحناها فى النبذة الاولى ولا يمنّ لئلا يحبط عمله ويخيب سعيه . وقد يسعف ولا يرى نفسه مسعفاً لعلمه بأنه يمنّ ليستكثر ويسعف ليسعَف . وقيل : هو العطآء من غير مسئلة . وهو كما ترى . وفصل القشيري فى رسالته بين السخآء والجود وفصل بينهما وبين البخل نقلاً عن استاذه الدقاق فقال : من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر وابقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود ومن لم يبذل شيئاً فهو صاحب بخل . وهو قول مردود ، غير محيط الحدود ، وقيل الجود ، بذل الموجود ، وهو قول من لا يميز فى العطآء ، بين التبذير والسخاء ،

والحد الصحيح ، الذى يشهد له النص الصريح ، هو ان السخاء أريحية ، وصفة نفسية ، تقف بصاحبها فى وسط ، بين تفريط القبض وافراط البسط ، بحيث يبذل المال بارتياح ، اذا حسن فى الشرع والعقل البذل والسماح ، فان بذل بغير ارتياح فهو متكلف محمود ، لانه يربى نفسه على الجود ، ولا يلبث ان يزول التكلف فيكون سخياً ، وتأنس

نفسه بالبذل فيكون جواداً حقيقياً ، والبخل كيفية من كيفيات النفس الخبيثة وخلق من اخلاقها الرديئة اذا عرض لصاحبه موجب البـذل فى معروف ، او إغاثة ملهوف ، او مساعدة جمعية خيرية ، انشئت للمنافع الملية ، ينقبض صدره ، وينقبض لصدره كفه ، فيبخل بالدرهم والدينار ، ويجود بالتعلات ويسخو بالاعذار ،

فمن اعذار البخلاء ، الإحالة على المشيئة والقضاء ، « واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنُطْعِمُ من لو يشاء الله أطعمه إنْ انتم الا فى ضلالٍ مبين » ويقولون لو اراد الله بهؤلاء الفقراء خيراً لاعطاهم ، ولواقتضت حكمته ان يكونوا اغنياء لأغناهم ، ولا يقولون ان الله تعالى فضلنا عليهم ، فلْنُفِضْ بشىء من فضل نعمه اليهم ، وجعل بعضنا لبعض فتنة ، فلنصبر على منحهم النوال كما صبروا على المحنة ، وحسبنا ان اليد العليا ، خير من اليد السفلى ،

ومن اعذارهم ان اكثر السائلين ، يظهرون على الغنى باخلاق المساكين ، فصلتهم ليست من البر ، ولا يعود على المرء منها اجر ، ومن اعـذارهم ان انفاق المال فى غير مقابلة عمل ، يُغري الناس بالبطالة والكسل ، ولذلك يذمه الاوروبيون ، وهم فى ذلك محقون ، وبذل المال وإمساكه هو سبب خسراننا وفلاحهم ، وعلة خذلاننا ونجاحهم ،

فان قيل لهؤلاء واؤلئك : ان كنتم صادقين فى اعتذاركم ، وممسكين لما ذكرتم من تعلاتكم وأعذاركم ، ومُستَنين بسنة الاوربيين ، لانهم فى نظركم من المصيبين ، وليست ايديكم بسلاسل البخل مغلولة ، ولا بداء الشح الذميم مشلولة ، فامسكوا عن السائلين ، وامنعوا الكسالى والبطالين ،

فالشريعة قد ذمت السؤال ، وورد : ان الله يكره العبد البطال ، ولكن ما تقولون فى العجزة والضعفآء ، واليتامى الفقرآء ، هل تجدون لكم عذرا فى تركهم سدى ، او تجدون على نار تقليد الاوربيين هدى ، وما تقولون فى الانفاق على المدارس العلمية ، والجمعيات الدينية ، التي بها نجح الاوربيون ، لا بالبخل والشح كما تزعمون ، فلماذا لا تتلون فيها تلوهم ، ولا تحذون حذوهم ، ؟ الم يأتكم فى كل يوم انباء بذلهم الالوف والملايين ، على معاهد العلم والصناعة والدين ، (١)

ولا تحسبن ايها القارئ الكريم ، الذى لم يكتنه خلق الشَّحَاح اللئيم ، أن هذه الحجج الناصعة ، والبراهين القاطعة ، تقطع لسانه او تمحو بهتانه ، فتكون للسانه خير عقال ، وتحل يديه من السلاسل والاغلال ، كلا انه بعد بيان الآيات ، ليتعذر بعدم الثقة بالجمعيات ، فان كانت مؤسسة لاعانة العجزة والبائسين ، يقول انما نحن فى حاجة الى تربية اولاد الفقراء والمساكين ، وان كان من موضوعها التربية الملية ، يقول نحن احوج الى

(١) آخر انباء المنح الكبيرة نبأ المثرى الكبير كارنجي الاسكتلندي الذى وهب مدارس وطنه مليونى جنيه وثروة هذا الرجل تقدر بخمسين مليون جنيه . ولم ننس ذلك اليونانى العظيم الذي توفى فى السنة الماضية عن مليونى جنيه اكتسبها من القطر المصرى واوصى بثلاثين الف جنيه منها الف جنيه للجمعية الخيرية الاسلامية بمصر وهي هبة لم تر مثلها الجمعية من اغنياء المسلمين ولو كان فى مصر الف كريم كهذا اليونانى (ليلابوبلو) يعضدون هذه الجمعية لانشأت فى القطر مدارس صناعية بل ومدرسة كلية تكون منبعاً لنهضة جديدة ومن العار على كل غنى فى مصر ان لايكون لهذه الجمعية مثل هذه المدارس . ولو شئنا ان نسرد ما نشرته الجرائد العربية لا سيما المقتطف من اخبار الهبات العلمية فى اميركا واوربا لاحتجنا الى عدة مقالات

المدارس الصناعية ، وان كان من موضوعها ذلك ، وقيل له انه لايتم الا بمساعدة امثالك ، يقول ليس عندنا استعداد ، للقيام بما يكون به الإسعاد ، ولا يسمع لمن يقول يجب اذن ان نسعى فى ايجاد ذلك الاستعداد ، ولا يتم ذلك الا بالبذل والإمداد ، لانه يرى ان اضاعة المال ، أن يدخل فى غير الصندوق او يخرج لغير الاستغلال ، ويصح ان يقال فى هؤلاء الاشحاء ، ماقيل فى الجبناء ، لان الجبن والشح من جب واحد

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

وأختم القول بأنه لا عذر لمسلم فى دينه ، ولا لوطنىّ فى وطنه ، ولا ولا لانسان فى انسانيته ، ان يرى امته تتلاشى وتنحل ، وملته تذوب وتضمحل ، وهو يعلم ان حياة الامم فى هذا العصر بالمال لانه هو الذى يرقى العلوم والفنون وهو الذى يربى النفوس والاخلاق وهو الذى يوجد الصناعة ، وينمى التجارة ويثمر الزراعة ، وهو الذى ينهض بالدولة ، ويعطيها القوة والصولة ، بل هو كل شىء اذ لايتم بدونه شىء — يعلم هذا كله ثم لا يجود لانقاذها بشىء من فضل ماله . لا سيما فى هذه البلاد المصرية ، وفيها مثل الجمعية الخيرية ، القائمة على خير اساس ، ينفع البلاد والناس ، ومثل جمعية العروة الوثقى وجمعية المساعي المشكورة . وغيرهما من الجمعيات الدينية الادبية كجمعية شمس الاسلام وجمعية مكارم الاخلاق وجمعية شمس المكارم . فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليساعد هذه الجمعيات كلها او بعضها او ما يوافق مشربه منها بحسب الاستطاعة « لِيُنْفِقْ ذو سَعَةٍ من سعته ومن قُدِرَ عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً »

القسم الديني

﴿ تفسير القرآن العظيم ﴾

«ملخص مما أملاه فى الازهر . مولانا الاستاذ الاكبر . صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده»
« مفتى الديار المصرية »

(واذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنّا واذا خلَوْا الى شياطينهم قالوا إنا معكم انما نحن مستهزؤن . اللهُ يستهزِئ بهم ويمدُّهم فى طُغيانِهم يَعْمهون . أولئك الذين اشتَرَوا الضلالة بالهُدَى فما رَبِحَتْ تجارتُهم وما كانوا مهتدين)

الآيات التى تقدمت فى وصف هذا الصنف من الناس الذى قلنا انه يوجد فى كل امة وملة وفى كل عصر كانت عامة تصور حال افراده فى كل زمان ومكان وكان اسلوبها ظاهراً فى العموم كقوله « يخادعون » الخ وقوله : واذا قيل لهم كذا قالوا كيت وكيت . واما قوله تعالى « واذا لقوا الذين آمنوا » الآية فهو وصف قد يختص ببعض افراد هذا الصنف ممن كان فى عصر التنزيل جاء بعد الاوصاف العامة وحكى بصيغة الماضى ليكون كالتصريح بتوبيخ تلك الفئة من هذا الصنف التى بلغت من التهتك فى النفاق ، والفساد فى الاخلاق ، أن تظهر بوجهين ، وتتكلم بلسانين ، ومابلغ كل افراد الصنف ، هذا المبلغ من الضعف ، ولهذه الخصوصية فى الآية قال بعض الواهمين ان جميع تلك الآيات فى منافقى ذلك العصر وقد مر تفنيده فلا نعيده ، على ان هذه الفئة ايضاً توجد فى كل عصر وزمان ، يكون فيه لاهل الحق قوة وسلطان ، والحكاية عنها بصيغة الماضى الواقع لاتنافى ذلك لان «اذا» تدل على المستقبل فمعنى الفعل مستقبل وانما

اختيرت صيغة الماضي لتوبيخ أولئك الافراد وايذانهم بأن بضاعة النفاق والمداجاة ، لا تروج فى سوق المؤمنين لانها مزجاة ، وان استهزاءهم مردود اليهم ، ووباله عائد عليهم ،

اما شياطينهم الذين كانوا يخلون اليهم ويعتذرون لهم فقال مفسرنا (الجلال) انهم الرؤساء والصواب انهم عمال الفتنة وانصار الباطل الذين يصدون عن سبيل الحق بما يقيمون امامه من عقبات الوساوس والاوهام ، ومايلقون فيه من اشواك المعايب وتضاريس المذام ، وكم من رئيس مغمول ، لما فى نفسه من الضعف والخمول ، لا ينصر اعتقاده ، وان كان مسلماً بان فيه رشاده ، وفى عزته عزه واسعاده ، وكم من مرؤس شديد العزيمة ، قويّ الشكيمة ، يكون له فى نصر ملته ، والمدافعة عن امته ، ما يعجز عنه الرؤساء ، ولا يأتى على ايدى الامراء ،

وللذبابة فى الجرح الممدّ يد تنال ماقصرت عنه يد الاسد

كان أولئك النفر يدهنون فى دينهم « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا» بما انتم به مؤمنون « واذا خلوا الى شياطينهم » من دعاة الفتنة وعمال الافساد « قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن » بالمسلمين ودينهم فكشف القرآن عن هذا التلون وهذه الذبذبة وقابلهم عليها بما هدم بنيانهم ، وفضح بهتانهم ، فقال : « الله يستهزئ بهم » واصل الاستهزاء الاستخفاف وعدم العناية بالشىء فى النفس وان اظهر المستخف الاستحسان والرضى تهكماً وهذا المعنى محال على الله تعالى . والمحال بذاته يصح اطلاق لازمه والمستهزئ بانسان فى نحو مدح لعمله مع اعتقاد قبحه غير مبال به ولا معتن بعمله حيث لم يرجعه عن عمله ولم ينكره عليه ويلزمه استرسال المستهزأ به فى عمله

القبيح . فمعنى « الله يستهزئ بهم » يسقط من اقدارهم ، ويمحق من آثارهم ، ويستدرجهم بما كانوا يعملون ، « ويمدهم فى طغيانهم يعمهون » والعمه عمى القلب وظلمة البصيرة وأثره الحيرة والاضطراب ، وعدم الاهتداء للصواب ،

ثم قال تعالى « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى » المشار اليه باولئك هم الذين بينت حالهم الآيات السابقة بأنهم يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين الخ . وقد فسروا « اشتروا » باستبدلوا وهو غير سديد لان بين اللفظين فصلاً فى المعنى وكلنا نعتقد - والحق ما نعتقد - ان القرآن فى اعلى درج البلاغة لا يختار لفظاً على لفظ من شأنه ان يقوم مقامه ولا يرجح اسلوباً على اسلوب يمكن تأدية المراد به الا لحكمة فى ذلك وخصوصية لا توجد فى غيرما اختاره ورجحه . ووجه اختيار اشتروا على استبدلوا ان الاول اخصّ من وجهين احدهما ان الاستبدال لا يكون شراء الا اذا كان فيه فائدة يقصدها المستبدل منه سواء كانت الفائدة حقيقية او وهمية . وثانيهما ان الشراء يكون بين متبايعين بخلاف الاستبدال فاذا اخذت ثوباً من ثيابك بدل آخر يقال انك استبدلت ثوباً بثوب . فالمعنى الذى تؤديه الآية ان أولئك القوم اختاروا الضلالة على الهدى لفائدة لهم بازائها يعتقدون الحصول عليها من الناس فهو معاوضة بين طرفين يقصد بها الربح وهذا هو معنى الاشتراء والشراء ومثلها البيع والابتياع ولا يؤديه مطلق الاستبدال

ذلك بأنه كان عندهم كتب سماوية فيها مواعظ واحكام وفيها بشارة بأن الله يرسل اليهم نبياً يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصر التقاليد ، وأغلال التقيد بارادة العبيد ، ويرعى جميع الامم

بقضيب من حديد ، فيرجع للعقول نعمة الاستقلال ، ويجعل الإرادة هى المصرفة للأعمال ، فبذلك كان عندهم هداية العقل والمشاعر وهداية الدين والكتاب ولكن نجمت فيهم التقاليد والبدع وتحكمت فيهم العادات وعلا سلطان ذلك كله على سلطان الدين فضل الرؤساء فى فهمه بتحكيم تقاليدهم فى احكامه وعقائده بضروب من التحريف والتأويل وأهمل المرؤسون العقل والنظر فى الكتاب بحظر الرؤساء واختصاصهم فكان الجميع على ضلالة فى استعمال العقل وفى فهم الكتاب بعد ان كانا هدايتين ممنوحتين لهم لاسعادهم . وكانت المعاوضة بين الفريقين فى ذلك بالمنافع الدنيوية — للرؤساء المال والجاه والتعظيم والتكريم باسم الدين وللمرؤسين الاستعانة بجاه رؤساء الدين على مصالحهم ومنافعهم ورفع اثقال التكاليف، بفتاوى التأويل والتحريف ، هكذا استحبوا العمى على الهدى . وهو العقل والدين رغبة فى الحطام وطمعاً فى الجاه الكاذب « فما ربحت تجارتهم » فى الدنيا اذ لم تثمر لهم ثمرة حقيقية بل خسروا وخابوا باهمالهم النظر الصحيح الذى لا تقوم المصالح ولا تحفظ المنافع إلا به . وإسناد الربح الى التجارة عربىّ فى غاية الفصاحة لانهذه المعاوضة هي التى من شأنها ان تثمر الربح فاسناده اليها نفياً او اثباتاً اسناد صحيح لا يحتاج الى التأويل « وما كانوا مهتدين » فى دينهم لانهم لم يأخذوه على وجهه ولم يفهموه حق فهمه . او ما كانوا مهتدين فى هذه التجارة لأنهم باعوا فيها ما وهبوه من الهدى والنور بظلمات التقاليد وضلالات الاهواء والبدع التى زجوّا انفسهم فيها . او ماكانوا مهتدين فى طور من الأطوار ولا مسّ الرشد قلوبهم فى وقت من الاوقات لانهم نشأوا على التقليد الاعمى من اول وهلة ولم يستعملوا

عقولهم قط فى فهم اسراره ، واقتباس انواره ، ولا يذهبن الوهم الى ان اشتراء الضلالة بالهدى يفيد انهم كانوا مهتدين ثم تركوا الهدى للضلالة . فيتناقض اول الآية مع آخرها اذ ليس كل من منح الهدى يأخذ به فيكون مهتدياً . وهؤلاء حُمِّلوه ، فباعوه ولم يَحملوه ، وينظر الى هذه التجارة الاستحباب فى قوله تعالى « واما ثمودُ فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى » والله اعلم

﴿ باب العقائد من الامالىّ الدينية ﴾

الدرس العشرون — الوحي واقسامه

م (٦٠) امكان الوحي – تقدم ان اثبات النبوة يتوقف على اثبات كون الانسان مركباً من جسد وروح وأن الروح ليست من عالم الملك المادىّ المشهود وانما هى من ملكوت أعلى مغيب بحقيقته عنا وقد عرفنا ارواحنا بآثارها ، لا بكنهها واسرارها ، وكما يمتاز افراد من الناس بالقوة الجثمانية على سائر اهل قطرهم او على سائر الناس كقيصر روسيا السابق (اسكندر الثالث) الذى كانت تلين فى يديه المعادن حتى ان كان ليغمز الريال الروسيّ من وسطه بأصبعه فيصير مجوفاً كالفنجانة ويضع فيه زهرة ويعطيها لاحدى عقائل النساء فى مجلسه ذاك . كذلك يكون لبعض الاناسي قوة روحانية يفوقون فيها سائر البشر . فاذا كان من اثر القوة الجسدية ما ذكرنا عن قيصر روسيا السابق فان من آثار قوة الروح فى البشر ما هو اظهر من ذلك وابعد فى التفاوت بين افراد الناس

آثار القوة الروحية سعة العقل والعرفان وشدة العزيمة والارادة

المساعدة على العمل بما يحيط به العقل من المعرفة بالمصالح حتى اننا نرى الرجل الواحد يحيي امة اوامماً بعد مماتها ، ويجمع شملها بعد شتاتها ، ويعمل ما تعجز عنه الملايين كعمل السلطان صلاح الدين ، فى قهر ملوك اوربا واعادة سلطة المسلمين ، وكعمل بسمرك فى الوحدة الالمانية ، وواشنطون فى تحرير البلاد الاميركانية ، حتى ان بعض اهل الزيغ والجحود توهموا ان ما اعطيه الانبياء من سياسة البشر واصلاح شؤونهم وتقويم مدنيتهم هو نحو ما ذكرنا عن هؤلاء الملوك والسياسيين وما ابعد ما يتوهمون فان هؤلاء الرجال ظهروا فى امم لها اديان تهديها ، وشرائع وقوانين تحكم بها ، وجيوش منظمة تحمي حقيقتها ، وتدافع عن حوزتها ، ولكنها أساءت استعمالها ، او رزئت بأهمالها ، فارشدوها الى الانتفاع بما وهبت فعملت بارشادهم ، واسعدوها بالرأى الصحيح فسعدت باسعادهم ، فأين هذا من حال الانبياء المرسلين ، الذين بعثوا فى اقوام وثنيين ، يدعونهم الى ترك ماهم عليه من الاعتقادات ، ونبذ ما ألفوه من التقاليد والعادات ، ولم يكن لهم فى ابان ظهورهم قوة ملك يعتمدون عليها ، ولا شرائع يقتبسون منها ، وهل قياس هؤلاء بأولئك ، الا كقياس الحدادين بالملائك ، ؟ وانما ضربنا بهم المثل لبعد المسافة بينهم وبين سائر الناس كما ان المسافة بينهم وبين الانبياء فى البعد على نحو تلك النسبة أو ابعد منها

م (٦١) ضروب الوحي وانواعه — الوحي فى اللغة اختصاصك احداً بكلام أو اعلام تخفيه عن غيره . وأصله الاشارة السريعة كما قال الراغب ووحي الله الى الانبياء عبارة عما يختصهم به من المعارف التى يريد ان يعملوا بها وان يبلغوها الناس للاهتداء بها بحيث يكونون على بينة من ربهم وثقة

تامة بأن ذلك من لدنه سبحانه وتعالى . ولا يعلم كنه الوحي وحقيقته الامن اختصهم الله تعالى به . وقصارى ما يصل اليه علمنا ان نعرف بالدليل انهـم صادقون فى دعوى الوحي وتبليغنا عن العليم الحكيم الرحمن الرحيم ما مست حاجتنا اليه ، وسبق التنبيه عليه ، وان نفهم ماورد عنهم فى ذلك الوحي من بيانه ، ورسومه واقسامه

قال تعالى « وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً او من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحيَ باذنه ما يشاء انه عليٌّ حكيم » فالآية الشريفة ناطقة بأن طرق كلام الله لانبيائه ثلاثة احدها الوحى بلا واسطة وقد غلّب هذا الاطلاق فى العرف والاصطلاح . وانما تكون للنبي تلك الانواع اوبعضها بالقوة الروحانية الفائقة التى فطره الله تعالى عليها

من وظيفة تلك القوة وآثارها تمزيق الحجب المادية التي حجبت الروح عن معالمها ، وكسر المقاطر الحسية(١) التى عاقتها عن العروج الى عالمها ، فتعرج باذن الله تعالى الى الملكوت وتتصل بمن شاء الله تعالى من عماره المقربين — تتصل بالملك المسمى بروح القدس والروح الامين ، «وكذلك أوحينا اليك روحاً من امرنا ماكنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم »

يتلقى النبى بهذا العروج الروحاني عن الله تعالى من المعارف التى لاينالها الناس بكسبهم ما هم فى اشد الحاجة اليه فى نظام جمعيتهم وإصلاح احوال معيشتهم ولتطهير عقولهم من ادران الشرك والجهل بالله تعالى

(١) المقاطر جمع مقطرة وهي خشبة فيها ثقوب توضع فيها ارجل المحبوسين

وتنظيف نفوسهم من لوث الاخلاق الذميمة والسجايا الرديئة وتحليتهم بالعقائد الحقة والاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة والعبادات البدنية المرضية التي تمدّ العقائد والاخلاق والآداب وتستمد منها لانها كالبريد بين العقل والنفس . وبين الجسد والحس ، وهذا التلقي قد يكون بالالهام وعبرت عنه الآية بالوحي المطلق . وهذا الحرف مستعمل في القرآن بمعنى الالهام كما قال تعالى «وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً» الخ . وقال جل ذكره « وأوحينا الى ام موسى ان ارضعيه » الآية . وليس كل موحى اليه بالالهام الصحيح نبياً مرسلاً بل النبي هو الموحى اليه بالدين الذي يرشد به الناس . وكذلك يقال في مكالمة الملك التي وقعت للسيدة مريم عليها السلام وهي ليست بنبية على الصحيح الذي عليه الجمهور . والرؤيا الصادقة من هذا القسم وكانت اول وحي نبينا عليه الصلاة والسلام كما ورد في حديث البخاري المشهور . وادخل بعضهم الالقاء في القلب في معنى وحي الالهام واستدلوا عليه بقول عبيد بن الأبرص :

واوحى اليّ الله ان قد تآمروا بإبل ابي أوفى فقمت على رجلي

نعم انه يريد بالوحي ان الله خلق في قلبه علماً بذلك لا يعرف مصدره وهذا هو الالهام . ولكن ورد في الحديث ذكر الالقاء والنفث في الروع مضافاً الى روح القدس فيدل على انه يكون من القسم الثالث وهو الوحي بواسطة الرسول . والكل وحي وهذا الأول ما يكون بغير واسطة

هذا النوع من التلقي عن الله تعالى يحصل في روح النبي دفعة واحدة من غير ان تكون الروح متعلقة بشيء من الاشياء التي تشغلها عن الحس لتجتمع الهمة ويتم الانسلاخ عن العالم المادي والاتصال بالعالم الروحاني

وهو الوحي بدون واسطة مطلقاً . واما النوع الثانى فهو ما يفيض فيه للنبي ما تتعلق به نفسه , ويشتغل به حسه ، حتى تجتمع الهمة ويصح توجه الروح وتبلغ الكمال فى قوتها العقلية ، بعد الانقطاع عن الشواغل الكونية، فيكون ذلك حجاباً له بين عالم الغيب وعالم الشهادة ويأتيه الوحي من وراء هذا الحجاب . ومن ذلك النارُ التى رآها موسى عليه السلام فى الشجرة فطار اليها لبُّه ، وتعلق بها قلبه ، وانحصرت فى مشكاتها روحه ، فكان منها فتوحه ، وجاءه منها العلم والحكم « وكلم الله موسى تكليماً » وكل كلامه تعالى يسمى وحياً ولذلك قال عز وجل « وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى »

وبقي التلقى عن الله تعالى بواسطة الملك المسمى بالروح وهو القسم الثالث المعبر عنه فى الآية بقوله تعالى « او يرسل رسولاً فيوحى » الى النبي ويعلمه بما يلقيه فى قلبه « باذنه » تعالى « ما يشاء » سبحانه ان يوحيه كما قال « نزل به الروح الامين . على قلبك لتكون من المنذرين » فهذه الآية تدل على ان الملك يلقي ما يريد الله القاءه للنبي فى القلب فهو خطاب الروح للروح لما يكون بينهما من الاتصال . وقد ورد فى الصحيح ان الملك كان يتمثل بهيئة انسان ويؤيده قوله تعالى « فأرسلنا اليها روحنا فتمثّل لها بشراً سوياً » . وهل يكون كلامه حينئذ ككلام البشر كما فى حديث الايمان والاسلام والاحسان ام هو مناجاة روحية على كل حال كما هو ظاهر قوله تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك » ام يكون تارة هكذا وتارة كذلك ؟ الله ورسله اعلم

م (٦٢) الوقوف عند النصوص — علينا ان نفهم النصوص وما لنا ان نزيد فيها ولا ان ننقص منها لان هذا مما لا يعرف بالقياس ، ولا مجال فى

حقيقته للعقل ولا للحواس ، وما اختلف المختلفون وفرقوا دينهم وكانوا شيعاً هم كل فرقة الرد على الاخرى الا لتسمية هذا الوحي بأنواعه كلام الله تعالى وايحاءه تكليم الله عز وجل . ولو لم يرد الا لفظ الوحي والايحاء ، والتعليم والانباء ، كقوله تعالى « وعلمك ما لم تكن تعلم » وقوله تبارك اسمه « نبأني العليم الخبير » لما كان لهم ان يقولوا ما قالوه في الصفة النفسية والصفة اللفظية ولا ان يثبتوا له سبحانه صوتاً وحروفاً الى غير ذلك مما نمسك عن الخوض فيه عملاً بهدي الراشدين . وفي الحديث الصحيح انه صلى الله عليه وسلم كان يسمع احياناً كصوت السلسلة على الصفوان ولعل ذلك حجاب كنار موسى . وقد علمنا من الآية أن القرآن الكريم اطلق لفظ التكليم على الوحي الذي بمعنى الالهام ورؤى المنام والذي بواسطة الحجاب والذي بواسطة الروح الذي ينزل على القلب . وظواهر الآيات تنأى بك عن قياس التمثيل ، وتربأ بنفسك عن القال والقيل ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(١) من الشيخ احمد محمد الالفي في طوخ القراموص : من اين اخذتم وتأخذون الاحكام التي اجبتم وتجيبون بها على اسئلتنا عدا ما نقلتموه عن الغزالي أهي باجتهاد منكم خاصة ام من مذاهب الائمة المجتهدين ام خليط من هذا وذاك اه بنصه

(ج) لا نكتب جواباً على اطلاقه الا اذا قام عندنا دليل على صحته توصلنا اليه ببحثنا واجتهادنا ولم نكتب جواباً مخالفاً لمذاهب الائمة المجتهدين

(٢) ومنه : هل يصح للمناظر ان يستدل باقوال الاصوليين والمتكلمين

والمحدثين والمفسرين والفقهاء المجتهدين والصوفية طبقة بعد اخرى ام لا بد ان يكون الدليل من الكتاب والسنة ليس الا . وهل الاجماع والقياس من اصول الدين كالكتاب والسنة فى الاستدلال ام لا . وهل الآحاد لا يجوز العمل والاستدلال بروايتها اذا ثبتت صحتها ؟ والا فما الفائدة منها اه بنصه

(ج) انما يستدل المناظر بما تقوم به الحجة على خصمه فمن كان يناظر من يحتج بكلام هؤلاء العلماء يصح له ان يحتج عليه بكلامهم لاجل الالزام كما هو معلوم من فن المناظرة . واما الاجماع والقياس فالجماهير يعدونهما من اصول الاستدلال فى الفقه على خلاف ترونه فى محاورات المصلح والمقلد الآتية وبهذا تعلمون انهما ليسا محل وفاق كالكتاب والسنة . واما احاديث الآحاد الصحيحة فيحتج بها فى كل ما يكتفى فيه بالظن كالاحكام واما ما يطلب فيه القطع كالاعتقادات فلا يستدل عليه بالآحاد . هذا ما اتفقوا عليه فى جملته . وفى التفاصيل والجزئيات خلاف الحنفية فى ترك احاديث الآحاد التى تخالف القياس الجلي

(٣) ومنه : ما نقلتموه عن الغزالى من تقسيم العلوم الى محمود ومذموم ليس غرضنا وانما مرادنا هل قال احد من المجتهدين بمنع تعلم وتعليم العلوم النافعة فى الدنيا والآخرة الخالية من الالحاد والمفسدة حتى يمكن ان يقال إن مذاهبهم فيها ما يمنع الترقى المادى والمعنوى . وهل علم الكلام وعلم التصوف وتدوينهما فنا مستقلاً كغيرهما من العلوم الحادثة بحدوث الاسلام على ما ذهب اليه ائمة الهدى ومصابيح الدجى من جمهور اهل السنة والجماعة يعد مفسدة فى الدين والدنيا . واذا كان كذلك فما حكم من عمل بهما من المسلمين . والا فما معنى انتقاد تدوينهما والاخذ بأحكامهما اه بنصه..

(ج) ما كان يخطر فى بالنا ان احداً يسأل السؤال الأول فكيف يسأله من يعلم من توقيع مكاتيبه انه « خادم العلوم والآداب » وكيف يمنع مجتهد فى العلم تعليم ما ينفع فى الدنيا والآخرة ولا ضرر فيه مطلقاً !!! أما العلوم النافعة فى الدين فهى علوم المجتهدين الذين تعنيهم وأما العلوم الكونية التى كان يرجى ان ترتقى بها مدنية المسلمين وترتقي دنياهم فلم تنتشر فيهم الابعد الائمة الأربعة . وقد شنّ الغارة على اصحابها علماء مذاهبهم وذموا علومهم وحرموها ورموا المشتغلين بها بالكفر والالحاد كابن سينا وابن رشد والفارابى والغزالى وكمال الدين بن معية واضرابهم وما زالوا يطاردونهم ويستعينون بالامراء عليهم حتى اضمحلوا وتلاشت علومهم ثم عادوا الى الاعتراف بفضل بعضهم كالامام الغزالى الذى حكموا باحراق كتابه احياء علوم الدين فى الشرق والغرب حتى كان يحرق فى اسواق القاهرة اكداساً اكداساً . وما اجمعوا على فضله بعد موته الا لأنه زهد فى الدنيا وقضى سائر عمره فى التأليف فى الاخلاق والرقائق . وقد كان من تأثير هذه الغارة ان المسلمين تركوا تلك العلوم حتى الطب منها وقد شكا الغزالى فى احيائه من فقد الاطباء المسلمين ومما كذّب به مزاعم الفقهاء الذين يزعمون انهم يشتغلون بدقائق الفقه لانه فرض كفاية انهم لو كانوا صادقين لأحيوا فن الطب لأنه من فروض الكفايات المتروكة بخلاف الفقه . ولا يزال فقهاؤنا الى اليوم يذمون علوم الدنيا مع علمهم بأن الدين لا يحفظ الا بالدنيا وان القوة فيها موقوفة فى هذا العصر على هذه العلوم والفنون . ولعل السائل لم ينس المقالات التى كتبت فى المؤيد منذ نحو سنة فى ذم الحساب والهندسة وتقويم البلدان . فالمتقدون فى هذا المقام

ينتقدون امثال هؤلاء الذين يعتقد عامة المسلمين انهم حفظة الدين لا انهم ينتقدون الائمة كابي حنيفة ومالك والشافعي واحمد رضى الله تعالى عنهم

واما علم الكلام فقد حدث فى الملة على عهد الائمة فحرّموه وذموه وقد نقلنا اقوالهم فى ذلك فى المسئلة ٥٢ من الدرس السابع عشر من الامالى الدينية المنشور فى الجزء الاخير من مجلد المنار الثالث . وقد جمعنا ثمة بين اقوالهم وبين ما ذهب اليه الخلف من استحسان علم الكلام والقول بلزومه فراجعه

واما علم التصوف فهو على قسمين القسم الاول ما يتكلمون فيه على تهذيب الاخلاق وتأديب النفوس بآداب الدين ومحاسبتها على الاخلاص لله تعالى ومطالبتها بكمال التوحيد الذى لا يشهد صاحبه فعلا لغير الله تعالى ويرى الخلق مسخرين فى قبضته مع عدم الغفلة عن الاسباب التى اقتضتها الحكمة وتمّ بها النظام وهذا هو لباب الشريعة ورجاله رجال الرسالة القشيرية واضرابهم رضى الله تعالى عنهم . وكان هؤلاء على طريقة الصحابة والتابعين فى اخلاقهم وآدابهم وزادوا عليهم الكتابة والتأليف — ونعمت الزيادة — والمبالغة فى ترك الدنيا وذمها زهداً فيها وقد كان لهذا اثر بيّن فى كسل المسلمين وتقاعدهم عن الترقى فى الدنيا وقد بينا عذرهم فى بعض ما كتبنا ولعلنا نذكره فى المنار بعد . وهذا القسم من التصوف يسمونه التخلق

والقسم الثانى يسمونه التحقيق وعلمه علم الاسرار ويتكلمون فيه عن الاذواق والمواجد وعما وراء الحس من عوالم الغيب وعن الذات الالهية والصفات العلية ووحدة الوجود وهنالك المهامه الفيح والجبال الشاهقة والبحار المغرقة التى تاه فيها الادلاء وغرق فيها الملاحون وكان التأليف

فيها طامة كبرى ومصيبة عظمى . ولقد كان الشيوخ الاجلاء ينكرون الكلام فيها فما بالك بالتأليف والتصنيف حتى ان الاستاذ الجنيد أفتى مع الفقهاء بقتل الحلاج . اما منبع هذه الطريقة فهو الصين ثم انتشرت فى الهند وانتقلت وساوسها الى اليونان . ولما امتدت الفتوحات الاسلامية وامتزج المسلمون بجميع امم الارض مزجوا علومهم بما اخذوه عن تلك الامم وصبغوه بصبغة الدين ولونوه بلونه وذهبوا فيه مذاهب شتى . وكان اشد تلك المذاهب فتكاً فى الاسلام مذهب الباطنية وله شعب وفروع وقد راج كثير من مسائله على كثيرين من اهل السنة باسم هذا القسم الثانى من التصوف وقد شرحنا هذا فى اجزاء من المنار وسنفصله بعد تفصيلاً . وقد شن الغارة المتكلمون والفقهاء على اهل هذا القسم من المتصوفة وافتوا بكفرهم وساعدهم عليهم الامراء بالقتل والنفي وأتذكر انهم سلخوا جلود عدد كبير منهم فى مصر القاهرة في يوم مشهود . وربما اخذ البرىء بجريرة الأثيم وقتل الصادق بذنب المارق

والحاصل ان الميزان الذى يعرف به الحق والباطل والراجح فى دين الله والمرجوح هو كتاب الله المعصوم والسنة النبوية الشريفة المبينة له وسيرة اهل الصدر الاول العاملين به على اكمل الوجوه . وكل احد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا المعصوم كما نقل عن الامام مالك رضى الله عنه

وقد طال الكلام وسنجيب على بقية الاسئلة التي تفيد الامة فى الجزء الآتى ان شاء الله تعالى

باب التربية والتعليم

﴿ التربية والتعليم بالفانوس السحري والتمثيل والمعارض [١] ﴾

(المكتوب ٢٩) من هيلانه الى اراسم فى ٣ فبراير سنة — ١٨٥

لقد وهمت ايها العزيز فى دعوى ان ذلك الهيكل الذى تمنيت اقامته للعلم لا يوجد ولن يوجد فانه موجود بالفعل فى سايدنهام [٢] على غاية القرب من لونده واسمه القصر البلوري وفى نيتى ان ازوره أنا « واميل » متى امكنتنى الفرص وصار فى سن يؤهله لادراك ما فيه من مواد التعليم نعم انى لست على يقين من مطابقة طريقة بنائه لارائك تمام المطابقة ولكن أقل ما فيه على ما سمعته عنه ان القصد من انشائه موافق لقصدك . وقد يدهشك ان تعلم ان ليس للحكومة يد فى بناء هذا القصر العامي (وانما أصفه بذلك لان المقصود الاصلي من اقامته انما هو تربية طبقات العامة) فان كل ما فيه من البساتين الواسعة والبناء البلوري والآثار القديمة والتماثيل وجمل الاشياء المفيدة ملك لجماعة من المتساهمين وقد عهد برفعه الى مشاهير العلماء والصناع والأثريين فكانوا يباشرون بانفسهم افراغ المواد فى القواليب وتحصيل مثل الاشياء . ذلك لان الانكليز اذا قصدوا تحقيق غرض مفيد أو انشاء معهد جديد لمنفعة عامة اعتمدوا على انفسهم بسبب ما آتهم ضروب الحرية ووسائل العمل الذاتية من قوة العزيمة وشدة البأس غير

(١) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر (٢) سايدنهام قرية من قرى انكلترا واقعة على بعد ثمان كيلومترات من لوندرة بني فيها القصر البلورى للمعرض العام الذى اقيم في سنة ١٨٥١

راجين من الحكومة مساعدة مالية ولا قولية لعلمهم ان العمر ينقضى دون الوصول الى ما يرجون فهم متى ارادوا أقاموا تماثيل لعظمائهم ورفعوا هياكل لفكرة يبديها الواحد منهم .

اراك تشكو من عدم وجود معاهد للتمثيل عندنا خالصة للاطفال فاعلم ان لاطفال الانكليز واحداً منها ذلك انك فى صبيحة عيد الميلاد تجد معظم تلك المعاهد كانها قد انفكت عن الاختصاص بالروايات الجدية والهزلية ولا يقبل فيها من الكبار الا من كان مولعاً بسماع الاساطير كاسطورة اهاب الحمار (١) واسطورة الاصيبع فكل واحد منها يصح

(١) اسطورة اهاب الحمار هي من اساطير شارل برولت الذي سبق التنويه بذكره فى المكتوب (٢٥) وملخصها ان ملكاً كانت له زوجة يحبها جداً ورزقت منه بنت فائقة فى الجمال ثم مرضت وعند احتضارها استحلفته ان لايتزوج الابمن تكون اجمل منها فلم يجد فى عقائل مملكته من تحقق فيها الشرط الابنته فافضى اليها بميله الى تزوجها فانكرت عليه الامر فصمم فاشتكت الى جنيتها فارشدتها الى ان تطلب منه حلة كالزمن فى لونه فاستصنعها لها فاوعزت اليها بطلب اخرى كلون القمر فما كان اقرب من تقديمها لها ثم بثالثة كلون الشمس فكان ما طابت وكان لابيها حمار يحبه كثيراً لانه كان يجد تحته كل يوم مقداراً وافراً من النقود فلما اعيت الحيلة تلك الاميرة وظنت ان لاخلاص لها امتلأ قلبها حزناً فاوحت اليها الجنية بان تطلب اهاب الحمار (جلده) فقدم لها بعد استغراب فزادها ذلك جزعاً فقالت لها الجنية كفى فهذا وقت خلاصك فالبسى اهاب الحمار واخرجى فانه لايشعر بك احد وساتبعك بحليك وحللك اينما قصدت فخرجت فى ذلك الاهاب وساحت فى الارض فدخلت مملكة اخرى فاستخدمتها زوجة مزارع فى رعاية الديكة وكنس معلف الخنازير لرفاهة حالتها وقذارتها فرآها ابن ملك تلك الجهة من خصاص كوخها وقد تعرت من اهاب الحمار ولبست حلة من حللها ففتن بها وذهب الى اهله مدنفاً سقيماً وحار

ان يعنون بمعهد الرؤوس الشقر لان الاطفال فى شهرين او ثلاثة من السنة يكونون هم المتصرفين فى اختيار نوع الآلاهى العامة والمتمتعين بكل مافى المعاهد من المقاعد المخملة والموسيقى وضروب الغرور والفتنة ويؤكد لى الناس هنا ان كثيراً من تلك المشاهد يحصل فيه التمثيل مرتين فى اليوم احداها بعد الظهر لمن يتعجل فى النوم من الاطفال الذين لا يقوون على السهر والثانية فى العشي لليافعين والآباء والامهات وللشيوخ الذين حفظوا للشباب فى ناحية من اذهانهم شعاعاً من ضيائه ولمعة من بهائه وينبغى على ذلك أن أول شرط يلزم تحقيقه فى النظارة ان يكونوا صبياناً او مستصبين والافكيف يروقهم سماع ما يروى هنالك من اقاصيص الجن وما تمثل من الاضاحيك ؛ نعم ان مواضيع تلك الألاهى البهجة هى فى الجملة غاية فى الابتذال وانك لتأسف على ما يضيع فى سبيل تربية الادراك بهذه الاماكن من نفقات الزينة والثياب وغيرها من عتار التمثيل لان ما يحصل فيها من تغيير المناظر قلما يفيد الا اثارة وجدان الاعجاب والدهشة ولكن ماأشد مايبديه الاطفال عندها من دلائل الفرح المنبعث عن السذاجة وما ابلغ ما يظهر من تشوفهم اليها واعظم مايكون من بريق ابصارهم وحملقتها بسبب استغرابها والافتتان بها خصوصاً اذا جاء دورذلك

الاطباء فى امره وقالوا انه لامرض به الا الفكر وبعد الحاح من والديه طلب ان الخادمة التى تلبس اهاب الحمار تصنع له قرصاً ففعلت ودست فيه خاتمها لانها تدفهمت حقيقة الامر فلما تناول الخاتم فى فمه قال لوالديه اني اريد ان اتزوج بصاحبة هذا الخاتم فنودى فى المدينة بان أية فتاة يوافقها الخاتم الذى فى بيت الملك تكون زوجة لولى عهده وكانت نتيجة ذلك ان تزوجت به وعاشا فى نعيم ورغد· واسطورة الاصبع تقدم تلخيصها فى هامش المكتوب ٢٥ (راجع ص ٨١٤ مجلد ٢)

المنظر المعروف المسمى منظر الانقلاب والتحول فلشد ما تخفق القلوب هنالك خفة ومرحاً ومهما كان فى تلك المرائى من الابتذال فلا ينبغى ان يستخف بما يتجلى للاطفال فيها من تلك القصور المسحورة وامطار العسجد والشرر والانوار المشتملة على جميع مايرى فى الفجر القطبي من الالوان المتباينة والجزر السعيدة (الجزائر الخالدات) والنساء العائشة فى السحب وفى الاشجار والازهار وبالجملة لاتصح الاستهانة بتلك المخترعات الخيالية العامية التى تمثل فى اضاحيك المناظر فاينما طار بنا الخيال وان على اجنحة من الورق المقوى ولم يرفعنا الا قليلاً فانه يفكنا ساعات مما يبهظنا من اغلال العوائد والحاجات . تلك المناظر الغرارة لن تنفك ان تكون محبوبة للعامة والاطفال لانها تفتح جزءاً من ابواب الكمال المطلق البالغ اقصى غاياته

لما رأيتنى لا املك الآن الذهاب « باميل » الى القصر البلوري ولا الى معهد التمثيل عولت على الاستعانة بآلة يطاف بها هنا فى المدن والقرى وهى الفانوس السحرى وكأنى بك تضحك من ذلك ولكن اي مانع يمنع من ان تكون تلك الآلة المستعملة لتحصيل اللذة والاعجاب من وسائل التعليم ايضاً فليس ذنباً للفانوس السحري انه قلما استعمل الا لتمثيل الصور المضحكة الغريبة فى دارة مضيئة بل انه لا يكون الا مفيداً اذا قصد به الجد ولو ان العلماء تفضلوا على المصورين بارشادهم الى مايختارون من مواضيع العمل والى طريقة التصوير على الزجاج لادى الفريقان للاطفال فيما ارى فوائد وقد سمعت ان المتولين امر التربية فى انكلترا سبقوا الى اتخاذ هذه الطريقة فى بعض المدارس لتأدية شيء من معانى علم الفلك وتقويم البلدان والتاريخ الى عقول الناشئين .

انت تعلم ان علماء الفلك قد رسموا صور الاجرام السماوية الكبرى وخططوا آثار ذوات الذنب والشهب والخسوف والكسوف او انتزعوا صورها بآلة التصوير (الفتوغراف) فلو اننا اردنا ان نجعل الفانوس السحري الذي هو الآن مشهد الاوهام والمغالطات مشهداً للحقائق ايضاً كفانا فى ذلك ان ننسخ على زجاجة رسوم السماء وما فيها مصورة على الحالة الفطرية تصويراً مضبوطاً

اذا كان المراد تمثيل الارض فى هذه الآلة فلست على يقين من صلاحيتها لتحصيل صور جميع ما فيها من سلاسل الجبال الكبرى ومجاري الانهار العظمى ومجاهل الصحارى المريعة وشكل السواحل الوعرة المغمورة بالمحيط ولا حيلة لنا فى ذلك فعلينا ان نكتفي بمبلغ طاقتنا من تصويرها فيها . على ان الطفل يروقه نظر الاشياء تفصيلاً اكثر من النظر اليها جملة فهو اذا نظر الى صور الاقاليم وهيئاتها فانما يلتمس اثراً يريعه ويدهشه كصخرة غريبة الشكل او نبات اجنبي او حيوان عجيب او انسان مغاير لنا بلون جسمه

واما التاريخ فلا شك فى صلاحية الفانوس السحري لتعليمه فانه يتأتى به احضار خيالات من يتحدث عنهم من الماضين فلا مانع من ان ترسم على صفحته صور الشجعان الغابرين بزيهم وبزتهم وصنوف ما وجد من الصور الغريبة كأبى الهول والثيران ذات الاجنحة وذات الرؤوس الانسانية واللحى السوداء والجنيَّات والآلهة وغيرها من الصور الخرافية لانها اذا خرجت من الليل فلا عجب ان تعود اليه

انا لسوء حظي لست عالمة ولا مصورة ولكني ارسم رسماً مناسباً

لحالتي وكنت ارى منك احياناً استحسان رسومي الكثيرة الالوان نعم انى لا احسن طريقة التصوير على الزجاج فانها حرفة تتعلم وكمال سأفتخر بان يكون « اميل » هو صاحب الفضل عليَّ فى كسبه واصعب عليَّ فى ذلك فيما اري انما هو الحصول على مُثُل متقنة لانى اخال ان الواجب على المربى ان يكون دقيقاً فيما يعلمه الطفل واكره ان لا ابرز الاشياء لولدى فى صورها الصحيحة وقد وعدنى الدكتور وارنجتون وهو موافق لى فى كثير من افكاري ان ينتقي لى من لندره صوراً منتزعة بآلة التصوير (الفتوغراف) او رسوماً اخذت عن علماء الطبيعة وعلماء الآثار والسيَّاح وانا بفضل معونته على امل من انشاء مشهدي الصغير عما قليل اهـ

تعليم العربية فى المدارس — تأخره فى تقدمه

أحسب الناس ان تقدم اللغة العربية بلغ من النجاح ان يمتحن فى فنونها مائتان وخمسون طالباً واربعة نفر فلا يخيب منهم الا الاربعة والباقون نجحوا فى امتحانها وانها قد بلغت نصابها واسترجعت شبابها ؟ كلا ان الناس متعجبون من نتيجة الامتحان فى هذا العام لامعجبون ، وانهم يتساءلون عن النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون ، واننا نشير الى الحقيقة بمجمل من القول

من المعلوم لاكثر الناس ان التلامذة لم يسألوا فى هذه السنة الا ثلاث مسائل سهلة جداً وكانوا يسألون فى كل عام عشرة مسائل دقيقة كالالغاز ربما لا تخطر فى بال عالم ولذلك كان الناس يشكون مع التلامذة من الافراط فى التشديد بالامتحان وكأن سكرتير المعارف المستر دنلوب اراد ان يزيل

شكواهم فافرط فى التساهل حتى جعل الشكوى اعم واكثر ورجال لجنة الامتحان مستسلمون لامره وارادتهم فانية فى ارادته

والمتبادر ان المنوط بهم امر الامتحان كانوا عازمين على جعل الامتحان فى هـذا العام كما كان فى العام الماضى لولا السكرتير . وان اول من خضع للامر مع علمه بعدم كفاية المسائل الثلاث هو الشيخ ذو المكانة الاولى فى اللجنة والذى كان يرجى ان يكون اعز انصار اللغة العربية . ويقال ان شاباً من اللجنة تربى تربية انكليزية عارض فى ذلك ودافع عن اللغة العربية اما حجة الشيخ فى امتثال الامر فهى ان صيغة الامر عند علماء الاصول حقيقة فى الوجوب مجاز فى غيره . واما حجة الشاب فهى ان هذا اجتهاد من السكرتير فى المصلحة وان تقرير مسائل الامتحان موكول الى اجتهاد اللجنة لانها اعرف بالمصلحة والمجتهد لا يقلد مجتهداً . وللشيخ فى دفع هـذا انه لابد من تنفيذ الامر على ظاهره لان الاجتهاد لا يصح ان يعارض النص كما هو مبين فى علم الاصول . وللشاب ان يقول فى دفع الدفع انه يمكننا التوفيق بين امر السكرتير وبين المصلحة بأن نضع ثلاث مسائل جديدة تتضمن العشر وبذلك نسلم من المخالفة ومن الغش فى العمل . وينطبق قوله هذا على قواعد الاصول ، لقولهم بتأويل نصوص الكتاب والسنة اذا خالفت المعقول ، الا ان يعود الشيخ فيدعى ان اجتهاده موافق لاجتهاد السكرتير فى الاكتفاء بثلاث مسائل بديهية عن عشرة عويصة . ولكن للشاب الحجة عليه بأنه كان مقرّراً للعشر فى كل عام . فليس الانقلاب الآن عن اجتهاد وانما هو عن استسلام

ويظهر ان سائر الاعضاء كانوا منقادين مع ذلك الشيخ الكبير الى

العمل بظاهر الامر من غير بحث فى موافقته للمصلحة التى انيطت بهم كأنه أمر منزل ونص قاطع لا يحتمل التأويل ولو لا ذلك لم ينفذ ولكنه نفذ كما يعلم من جميع التلامذة . وهذا الاستسلام مبنى على انهم يعتقدون ان السكرتير أمر بما أمر وهو عالم بأنه خلاف المصلحة فهم فى الحقيقة خاضعون لما يظنون انه يهواه ويميل اليه . ولو كانوا يعتقدون انه يقصد من الامر بتيسير الامتحان المصلحة ولكنه بالغ فى التيسير حتى صار مفسدة لراجعوه وبينوا له الحد الوسط . ولو فعلوا ذلك بالاتفاق لما خالفهم وان كان يقصد اماتة اللغة العربية كما يقول الناس

« التربية الانكليزية »

سيقول الذين يسيؤن الظن بالانكليز عامة وبالمستر دنلوب خاصة ويتهمونهم بالسعي فى اماتة اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي : ما بال هذا الشاب هو الذى تصدى للمدافعة عن اللغة العربية مع انه لا يتميز على الاستاذ الابكونه تربى وتعلم فى البلاد الانكليزية والانكليز لا يعلمون المصريين فى بلادهم الا ليستعينوا بهم على تنفيذ مقاصدهم فى مصر ؟ وللانكليز ان يجيبوا هؤلاء بقولهم : ان الذى نعلمه ونربيه لا يخلو من احد حالين اما ان يتعلم منا كيف يخدم بلاده ويعلي شأن أمته لاننا نحب ذلك او لا نعارض فيه واما ان يأخذ عنا من الاستقلال فى الفكر وفى الارادة ما يمكنه ان يجاهدنا به فى ميدان الحياة فاذن لا نجاح لكم الا بالتربية الانكليزية لا سيما اذا ترشح لها الخيار منكم

« كلمتا اللورد كرومر وحكمدار الهند »

اما الدليل على ترجيح الشطر الاول فهو ما قاله الفيكونت كرومر

وكيل دولتنا عندكم فى تقريره عن مصر وما قاله حكمدار الهند فى خطبته فى كلية عليكدة . اما الاول فقد قال بعد الحث على التعليم الصناعي وتعليم البنات وموافقة شورى القوانين على توسيع نطاق المدارس الاهلية ما ترجمته !

« من الشواذ الكثيرة فى هذا القطر بل من اغربها ان الشبان المصريين يهتمون الآن بتعلم اللغة الانكليزية اكثر مما يهتم الانكليز بتعليمهم اياها . وسبب ذلك واضح وهو ان المصريين عموماً يحسبون ان حصولهم على وظائف الحكومة يكون اسهل عليهم وهم يعرفون الانكليزية منه وهم يجهلونها . والمرجح انهم مصيبون فى ذلك الى حد محدود . اما الانكليز الذين يعرفون احوال المصريين وما يحتاجون اليه فينظرون الى هذه المسئلة من وجه تعليمي ولا رغبة لهم فى جعل البلاد انكليزية بل يودون الاقتصار من تعليم الانكليزية والفرنساوية على ما تمس اليه الحاجة ويفيد المصريين أنفسهم . ولا يضلهم الرأى السطحي وهو ان درس الفرنساوية او الانكليزية يتضمن ايجاد الاميال السياسية لان هذا الرأي خطأ فى الغالب على ما أرى »

الى ان قال

«ويظهر من آخر احصاء ان الذين يتعلمون لغات اجنبية فى المدارس التى تحت ادارة نظارة المعارف العمومية هم ٥٨٣٥ ذكوراً واناثاً ومن هؤلاء ٤٩٨٤ اى ٨٥ فى المائة يتعلمون اللغة الانكليزية ولا بد من تعليم هؤلاء بلغة اجنبية ومن اسباب ذلك انه ليس فى العربية كتب للتعليم فى العلوم التى يتعلمها التلامذة ولكن التوسع فيه وراء هذا الحد غير محمود

العاقبة . ولذلك احذر بكل جهدي من جعل اللغات الاجنبية مما يعلم فى الكتاتيب ويجب ان يبقى التعليم الآن باللغة العربية وحدها . وخلاصة القول فى هذا الموضوع ان اجتهاد الذين يهمهم أمر التعليم فى هذا القطر يجب ان يكون مصروفاً بنوع خاص الى اصلاح التعليم الصناعى وتوسيع نطاقه والى تعليم البنات وترقيـة التعليم الابتدائى بواسطة الكتاتيب حتى يرتفع مقياس المعرفة فى البلاد كلها اذلا يخفى ان الاحصاء الاخير دل على ٨٩ر٥ فى المائة من ذكور المصريين و٩٩ر٧ فى المائة من اناثهم لايعرفون القراءة والكتابة » اه

واما الثانى فقد قال فى خطابه : وها نحن أولاء قد فتحنا باب القرن العشرين وكيفما تكون النتائج والتقلبات التى تظهر فى هذا القرن فلا خلاف فى أنه سيكون مملوءاً بالحركة العلمية مفعماً بأنوار العـلوم والمعارف ومثل الذى يوجد فى هذا القرن بغير تربية مثل الفارس الاعزل فى القرون الوسطى التى لم يكن للانسان فيها انفع من سلاحه مدافعاً عن حقوقه أو حافظاً لكيان وجوده ولذلك أرى ان احسن سياسة ترقى بالامة المحكومة الى طريق الفلاح هى سياسة تساعدها على حفظ كيانها بين تيار المنافسات وازدحام الاقدام فى عالم المباراة . ولهذا ينشرح صدر كل حاكم فى الهند حينما يرى المسلمين فيها من سنيين وشيعيين على حدسواء آخذين بأهداب العمل فى سبيل التعليم والتربية وانهم جاوزوا نقطة الابتداء فى وقت تقدمهم به منافسوهم فى حلبة هـذا السباق . نعم يمكن للمسلمين ان يسابقوا غيرهم اذا هم تعلموا كيف يسابقون . وهو ما عرفوه مرة قبل هـذا الوقت فى ايام كان فيها للمسلمين السطوة والسلطان وكان قضاتهم يحكمون بالعدل بين

الناس وفلاسفتهم وأئمتهم يؤلفون الكتب النفيسة . الا ان طريقة السباق القديمة اصبحت اليوم متأخرة ويحتاج الانسان الى حركة اخف وانشط من الاولى فيلزمكم ان تذهبوا الى المدارس فتلقنوا عن الاساتذة الماهرين فى الصناعة الحديثة كيف تكون خفة الاقدام ودقة السيقان اللازمة للمسابقة فى مستقبل الايام واني اعتمد بناءً على ذلك ان المرحوم السير سيداحمدخان ومن ساعدوه فى هذه النهضة لم يبرهنوا على صدق وطنيتهم وحميتهم فقط بل برهنوا ايضاً على انهم نظروا نظرة سياسية دقيقة وعرفوا ان الواسطة الوحيدة والعلاج الناجع الذى يعيد للمسلمين شيئاً من سابق مجدهم هو العلم والتربية ولو كنت اميراً من امراء المسلمين او غنياً من اغنياءهم لما اضعت خمس دقائق تمر على لا افكر بها فى اية وسيلة افيد بها ابناء ملتي وارقى بواسطتها اخواني المسلمين فى هذه الديار . وكنت احصر مساعيّ فى التعليم والتربية اجل فى التعليم والتربية لا سواهما

وكون هذه هى خطتكم هو مما لا مشاحة فيه كما سمعت اليوم من الخطبة التي تليت امامى . فأنتم تقولون فيها انه لا امل لكم فى اعادة شيء من ماضى مجدكم وعزكم الا بضم العلوم العصرية الى علومكم . حقاً لقد اصبتم كبد الحقيقة تمسكوا بدينكم الذى اجتمعت فيه اصول الرفعة والشرف ومنابع الحقيقة واجعلوا ذلك اساساً لتربيتكم وتعليمكم لان التربية بغير اساس ديني كبنيان القصور على الهواء وان كان اولاد المدارس الابتدائية والعالية صغار السن لا يدركون معنى هـذه الحقيقة . هكذا تمسكوا بهذا المبدأ وهذه القواعد حتى تجنوا ثمرة شجرة التربية التي كانت نامية احسن نمو فى الحدائق الشرقية والآن صارت تنمو فى الغربية اهـ المراد منه ومما تقدم

يعلم ان جلّ بلاء المسلمين من انفسهم

آثار علمية ادبية

«هدايا و تقاريظ»

﴿ الحسبة فى الاسلام او — وظيفة الحكومة الاسلامية ﴾

كان شيخ الاسلام ابو العباس احمد بن تيمية (رحمه الله تعالى) مجدد علم الدين ومحيي السنة في اول القرن الثامن للهجرة الشريفة . وكان قد بعد عهد المسلمين بأخذ احكام دينهم من الكتاب والسنة كما كان سلفهم فى القرون الثلاثة فاراد الرجوع بهم الى ذلك فالف فى اهم المسائل كتباً ورسائل يستمد فيها من ذلك الينبوع الاعظم ويذكر احياناً خلاف الائمة المشهورين . ومن اعظم تصانيفه فائدة رسالة الحسبة أي الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهى رسالة تبلغ زهاء ١٠٠ صفحة وقد طبعت فى مطبعة المؤيد على اجود ورق فينبغى ان يطلع على هذه الرسالة كل مسلم لان ركن الحسبة هو الركن الذى يحفظ سائر الاركان الاسلامية وإهمال الامر والنهى هو الذى اضاع الدين ولو اقيم لقام عليه بناؤه الى يوم الدين

﴿ معارج الوصول . الى معرفة ان اصول الدين وفروعه قد بينها الرسول ﴾

وهذه الرسالة للامام ابن تيمية ايضاً وهى من احسن ما كتبه ومن احسن ما خدم به الاسلام وقد تعرض فيها للرد على الذين حكموا اهواءهم فى الدين من الفلاسفة وبعض المتصوفة وغيرهم من الفرق الذين لم

يرضهم اخذ الدين ببساطته التى كان عليها فى عهد السلف الصالح رضى الله عنهم . كما اقام الحجة على من لم يرض الاسلام ديناً بالمرة فنحث كل مسلم قارئ على مطالعتها

(المظالم المشتركة) طبعت رسالة المعارج المنوّه بها آنفاً فى مطبعة المؤيد وطبع معها فى الذيل رسالة المظالم المشتركة اي التى تطلب من الشركاء وقد بين حكمها وكيفية مراعاة العدل فيها بالنسبة للطالب والمطلوب ولا يستغني المتدين المبتلى بهذه المظالم من الاطلاع على هذه الرسالة . والمشتغلون بالعلم الاسلامي احوج الناس الى الوقوف عليها . جزى الله مؤلف هذه الرسائل وناشرها خيراً

(كتاب الاشارة . الى محاسن التجارة . ومعرفة جيد الاعراض ورديها)
(وغشوش المدلسين فيها)

من يطلع على اسم الكتاب او يسمع به يظن قبل العلم بمؤلفه انه من وضع المتأخرين لان جهل الاكثرين منا بتاريخ سلفنا يوهمهم انه لم يكن للتجارة عند السلف من الشأن ما يحملهم على التأليف فيها ولكن الكتاب من تأليف الشيخ ابى الفضل جعفر بن على الدمشقى من علماء القرون المتوسطة . وقد وجد فى احد نسخ الكتاب انه تم فى سنة ٥٧٠ والظاهر ان هذا تاريخ تأليفه لا نسخه . وفى الكتاب فوائد اقتصادية نافعة ويعرف منه تاريخ التجارة وحالها فى تلك الايام فنحث القراء على مطالعته

(السياسة الشرعية . فى حقوق الراعى وسعادة الرعية)

كتاب وجيز الفه بالتركية العلامة الشهير جمال الدين افندى قاضي مصر السابق تغمده الله برحمته ونشره بالعربيـة باذن الورثة الاديب

الملقب « بأصمعي » والكتاب مشتمل على مسائل نافعة ومباحث مفيدة في مشروعية السياسة واداء الامانة واختيار العمال والاستشارة والقضاء والامارات والمصالح المرسلة . ويتلو هذا فصل في الحقوق العمومية يتكلم فيه عن الحبس والعقوبات والعمل بالقرائن وبالفراسة واقسام المتهمين وعن الرشوة والسعاية . ويتكلم في فصل آخر عن شروط الامامة وفي فصل آخر عن المشورة وتنظيمات اوربا وفي فصل آخر عن العدل والظلم وفي فصل آخر عن الولايات والوزارات والحرب . وفي فصل آخر عن الفضائل والرذائل . وفي فصل آخر عن تأثير الدين في الاخلاق . ويلي ذلك فصول في الوعظ وفي الانسان وفي السياسة وفي طبائع البشر وفي اسباب ضعف الحكومات الاسلامية وانحطاطها وفي الخلفاء الامويين والعباسيين والفاطميين وفصل فيما انتج اختلاف العلماء على الامة وعدم اجتماعهم على مصلحتها وما فيه نجاحها

ومما نذكره مع الشكر لله تعالى ثم للمؤلف ان في الكتاب اقتباساً كثيراً من مجلتنا « المنار » لا سيما في هذه الفصول الاخيرة فان معظمها مأخوذ بحذافيره من مجلد السنة الاولى . وحسبنا حجة على المقلدين والموسوسين ان مثل هذا العالم الكبير موافق لنا في رأينا لا سيما في العلماء واختلافهم وعدم تكاتفهم على ما ينفع الملة والدين . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً في مطبعة دار الترقي العامرة وثمنه خمسة غروش اميرية وهو ثمن بخس ويباع في مكتبة الترقي ومكتبة الشعب في شارع محمد علي وغيرهما

(فصل الخطاب في المرأة والحجاب) مصنف جديد ظهر في هذه الايام لحضرة الفاضل محمد طلعت بك حرب : وضعه للرد على كتاب

(المرأة الجديدة) كما الف كتاب «تربية المرأة والحجاب» للرد على كتاب تحرير المرأة . وقد سلك فى هذا المصنف الجديد مسلك الإلزام فعرب بعض ما كان كتبه الفاضل قاسم بك امين فى المدافعة عن الحجاب رداً على الدوق داركور الفرنسوى . واحتج من جهة الدين برسالة « الاحتجاب » التي الفها قاضى مصر السابق ثم بجملة من شرح نهج البلاغة لصاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ثم بنبذ من ثلاثة اجزاء من المنار

وبعد ان ذكر حكم المنار بغلو قاسم بك امين فى مسئلة الحجاب واعتذاره عنه بأنه افراط فى مقابلة التفريط فى التشدد بالحجاب حتى جعل مانعاً من العلم وان غرضه الرجوع الى الاعتدال وقوله (اى المنار) : فاذا انتهت هذه المناقشات بانصراف همة الامة الى تربية وتعليم مع بقاء الحجاب نتقدم الى الأمام — قال : « هـذا ماقاله حضرة صاحب المنار وهو احسن اعتذار يقدم من صديق لصديقه بما ربما لم يكن فى الحسبان او يخطر له على بال . فماداعية التحير والاختباط إذن والمسئلة بسيطة قدحلها أئمةالدين والمغترفون من بحرهم — حتى الذين يقدس رأيهم محرر المرأة — اعظم حل واسهله »

ثم اورد من مؤلف قاسم بك في الرد على الدوق داركور نبذاً فى فضائل الحجاب ومحاسنه وضرر التبرج والتهتك لم يأت بمثلها احد ممن رد على كتابيه وفيها من التأثير فى التنفير عما عليه نساء الافرنج والترغيب فى الصيانة والعفاف المقرونين بالحجاب مالم يوجد ما يقاربه فى كلام مناقشيه . فدلنا هذا على ان قاسماً من اعلم الناس بمنافع الحجاب الشرعي وبمضار الغلو فيه وانه يخاطب كل قوم غلوا فى طرف بالمبالغة فى الطرف الآخر . فلما

رأى ان الافرنج يذمون الاسلام والمسلمين لاجل الحجاب الف كتاباً
فى منافعه بلغتهم القمهم فيه الحجر ولم يشرح فيه ما يعتقده من مبالغة
المسلمين فيه وجعلهم الجهل ضربة لازب على النساء لاجله ولكنه بين هذا
وبالغ فيه بل تغالى للمسلمين ولم يذكر لهم شيئاً من منافع الحجاب التى يعلمها
ليرجعهم الى الحد الوسط وهو الحجاب الشرعي الذى يقطع السبيل على
الفساق الذين يجنون على العفة فى الخلوات ويهتكون حرمة الصيانة من
وراء الاستار ولا يقطع على النساء طريق التربية والتعليم اللذين يصلن بهما
الى الكمال الممكن لهن والاستقلال فى شؤون الحياة . وبهذا تبين ان اعتذارنا
بل بياننا قد اصاب كبد الحقيقة

والقول الفصل انه يجب العناية بتربية النساء وتعليمهن واننا الى التربية
النفسية احوج وان افضل سجايا النفس — لا سيما فى النساء — العفة
والصيانة وانه لا يتم ذلك الا بالتربية الدينية وان التربية قوامها وملاكها
القدوة بالمعاشرة فاذا كان من يراد تربيته يعاشر فاسدي الآداب والاخلاق
يتربى على مثل ما هم عليه وان اكثر بلادنا مبتلون بهذا الفساد نساء
ورجالاً . والنتيجة الصحيحة انه يجب حجب البنات اللائى يراد تربيتهن
عن النساء بقدر الامكان فما بالك بالرجال ومتى عمت التربية الصحيحة او
غلبت يكون لها حكم آخر فليعمل لكل وقت ما يصلح له العاملون « كَبُرَ
مقتاً عندَ اللهِ أن تقولوا ما لا تفعلون »

(رحلة الصيف) تشرف بالسفر مع حاشية الجناب العالى الخديوى
الى اوروبا فى العام الماضى صديقنا الاديب الفاضل عزتلو لبيب بك البتنونى
وقد زار كثيراً من العواصم الشهيرة وطاف كثيراً من المعاهد وشاهد ابدع

المشاهد وكتب فيما رآه واختبره بنفسه رحلة مطولة أودعها من فنون الفوائد وصنوف الاعتبار ولطائف الفكاهات ما تصبو اليه كل نفس ويود الاطلاع عليه السياسي والاجتماعي والعالم والأديب والمؤرخ وطبعها طبعاً متقناً على ورق جيد واهدى نسخها الى فقراء المسلمين بتقديمها الى الجمعية الخيرية الاسلامية فنحث اهل الفضل على مطالعتها لما فيها من الفوائد التى يحن اليها كل ذى فضل ونحث أهل الغيرة الاسلامية على اقتنائها لما فى ذلك من المساعدة على البر والاحسان وهي تباع فى مكتبة الجمعية فى قبة الغوري وفى جميع المكاتب الشهيرة وستتحف القراء ببعض فوائدها فى جزء آخر

« نوادر البخلاء »

ذكرّنا مقالة السخاء والبخل بأن نورد بعض نوادر البخلاء على سبيل الفكاهة والعبرة فنقول

كان بالبصرة رجل موسر بخيل فدعاه بعض جيرانه وقدم اليه طباهجة ببيض (١) فاكل منه فأكثر وجعل يشرب الماء فانتفخ بطنه ونزل به الكرب والموت فجعل يتلوّى فلما جهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا بأس عليك تقيأ ما اكلت فقال : هَاهْ ! اتقيأ طباهجة ببيض ؟ الموت ولا ذلك * واقبل أعرابيٌ يطاب رجلاً وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابيّ. فقال له الرجل هل تحسن من القرآن شيئاً

(١) الطباهجة اللحم يجعل قطعاً ويشوى فى الطنجير بايّ دهن فاذا طبخ فى الماء ثم قلي سمى قلية

قال نعم فقرأ « والزيتون وطور سنين » فقال واين التين ؟ قال هو تحت كسائك * ودعا بعضهم اخاً له ولم يطعمه شيئاً فحبسه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال بحياتي اي صوت تشتهي ان اسمعك ؟ قال صوت المِقلى(١) * ويحكى ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان بخيلاً قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه وقال له قائل صف مائدته ؟ فقال هى . فِتْر فى فتر وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضرها قال : الكرام الكاتبون قال : فما يأكل معه احد قال : بلى – الذباب فقال سوأتك بدت وانت خاص به وثوبك مخرق قال : أنا والله ما اقدر على ابرة اخيطه بها ولو ملك محمد بيتاً من بغداد الى النوبة مملوءاً ابراً ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يطلبون منه ابرة ويسئلونه إعارتهم اياها ليخيطوا بها قميص يوسف الذى قد من دُبر ما فعل ويقال كان مروان بن أبي حفصة(٢) لا يأكل اللحم بخلاً حتى يقرم اليه(٣) فاذا قرم اليه ارسل غلامه فاشترى له رأساً فأكله فقيل له نراك لا تأكل الا الرؤس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك ؟ قال نعم الرأس أعرف سعره فآمن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه إن مسّ عيناً او أذناً او خداً وقفت على ذلك وآكل منه الواناً عينه لوناً وأذنه لوناً ولسانه لوناً وغلصمته(٤) لوناً ودماغه لوناً واكفى مؤنة طبخه فقد اجتمعت لى فيه مرافق . وخرج

---

(١) المقلى معروفة ويريد بصوتها تلي اللحم لاطعامه (٢) هو الذى ذكرناه فى مقالة السخاء والبخل وسيأتى ذكر رده اللحم قريباً (٣) قرم اشتدت شهوته الى اكل اللحم (٤) الغلصمة رأس الحلقوم

يوماً يريد الخليفة المهدى فقالت له امرأة من اهله : ما لى عليك ان رجعت بالجائزة ؟ فقال ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهماً فاعطى ستين ألفاً فاعطاها اربعة دوانق . واشترى مرّةً لحماً بدرهم فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف * وكان للاعمش جار وكان لا يزال يعرض عليه المنزل ويقول لو دخلت فأكلت كسرةً وملحاً[1] فيأبى عليه الاعمش فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سرينا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحاً فجاء سائل فقال له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسألة فقول له بورك فيك فلما سأل الثالثة قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما رأيت احداً اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعونى على كسرة وملح فلا والله ما زادنى عليهما

الاخبار التاريخية

جمعية ندوة العلماء فى الهند

حيا الله تعالى علماء الهند أحسن تحية ، وأيد بسعيهم هذه الملة الاسلامية، ووفق سائر علماء المسلمين لمثل ماوفقهم اليه من تأليف الجمعيات للبحث فى شؤن المسلمين ، وتلافى ما نزل بهم من البلاء المبين ، فقد سبقوا للدخول فى كثير من الجمعيات الاسلامية ثم الفوا جمعية خاصة بهم سموها

(١) كانت هذه الكلمة تقال في الدعوة الى الطعام ويذكر بدلها الآن (الشوربا) او القهوة

« ندوة العلماء » وقد احتفلت فى شهر رجب الماضى احتفالها السنوى فى مدينة لاهور ومن اهم ما بحثت فيه تعيين جمعية مخصوصة لتأليف كتب نافعة فى علم الموجودات على الطريقة الحديثة وفى الرد على فلاسفة هذا العصر فيما يخالفون فيه الاسلام . وقد ارسل الينا احد العلماء الفضلاء كراسة مطبوعة باللغة الاوردية فى شؤن الاحتفال لم نظفر بمن يترجمها لنا

وسنذكر فى الجزء الآتى خطبة لاحد اصدقائنا من علماء بمبئ تليت فى الاحتفال

« الطاعون فى الكاب والمسلمون »

كتب الينا من الكاب ان الطاعون قد فتك بالناس فتكاً ذريعاً لا سيما فى الجهة الجنوبية وان رجال الصحة من الانكليز قد اساؤا معاملة المسلمين وصاروا يدمرون على بيوتهم لأخذ المرضى بالقوة ويأخذون عن كل مريض ٣٠ او ٤٠ جنيهاً ويحرقون جميع متاع البيت حتى الكراسى ويمنعونهم من تجهيز الموتى ودفنهم على الطريقة الاسلامية . وقد ارسل الينا قطعة من جريدة انكليزية ملخص مافيها انه اجتمعت لجنة من المسلمين والانكليز للبحث فى ذلك رئيسها المسلم الحاج محمد طالب وان اللجنة اقرت الحكومة الانكليزية على عملها بانه غير مخالف للدين . ولكن المسلمين هناك ناقمون على محمد طالب هذا وكتب الينا انه احتج على جواز شق بطون المسلمين بأن جبريل شق بطن النبي صلى الله عليه وسلم فان كان هذا صحيحاً فالرجل مجنون لا يعول على قوله . والظاهر ان سبب الشكوى هو سوء معاملة صغار المأمورين للمسلمين فعسى ان يلتفت كبارهم الى تلافى ذلك

سكتنا عن « شبهات المسيحيين » لان السائل جاءنا واقنعناه بالقول

الجزء الثامن (المجلد الرابع)

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر فى يوم الثلاثاء غرة ربيع الاول سنة ١٣١٩ — ١٨ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠١ ﴾

القسم الديني

« المحاورة الثامنة بين المصلح والمقلد — الاجتهاد والوحدة الاسلامية »

علمنا من آخر المحاورة السابعة ان الشيخ المقلد ذهب قبل تمام الحديث لموعد كان بينه وبين آخر وقال انه يعود فى الغد ولكنه ابطأ وجاء بعد أيام يصحبه شيخ آخر فاعتذر عن الابطاء وقال

(المقلد) : ان هذا الاستاذ — وذكر اسمه — صديقى منذ أيام المجاورة فى الازهر وهو قاضى بلدنا الشرعى الآن ولما جئت البلد فى فرصة العيد ذكرت له ما دار بيننا فتمنى لو كان فى القاهرة وشاركنا فى المناظرة والبحث . وقد حضر فى هذه الايام باجازة فجئت به عالما أن ستسر بمعرفته . ولا أقصد ان يساعدنى عليك لاحتمال ان يوافقك فانه حر فى فكره ورأيته موافقاً لك فى بعض ما نقلته له عنك من مباحث الجمل والاستدلال بالحروف والاشارات

(المصلح) : أهلاً وسهلاً لقد شرفنا الاستاذ – وصافحه ثانياً – واني أحب ان يساعدنا فى هذه المذاكرة على تحقيق الحق الذى هو ضالتنا المنشودة وليس لاحدٍ منا حظ دنيوي فى رأيه يخاف فواته اذا ظهر له بطلان الرأى على ان المجتهد الذى يتبع الدليل أينما ظهر ويأخذ الحكمة من حيث وجدها لا يزداد بالمباحثة ومراجعة المناظرين الا نوراً على نور. واما المقلد الذى يجني دائماً على نور الفطرة الالهية التي من مقتضاها النظر والفكر والاستدلال ويحاول اطفاءه بما يلقيه عليه من رماد التقليد تعظيماً لاسماء من ينسب اليهم ذلك الرماد فهو الذى يخاف المناظرين ويفرق من المباحثين لانهم يمدون نور الفطرة بنور البرهان فتتضاعف الانوار حتى يعشيه تألقها ويكاد يخطف بصره شعاعها ويرى نفسه فى عجز عن اطفائها وتتولاه الحيرة وتحيط به الغمة وكيف حال من فقد السكينة والاطمئنان وجعل خصمه السنة والقرآن

(المقلد) : دعنا من التعريض والتلويح ، بل من هذا التشنيع الصريح ، فها أناذا اناظرك بالدليل ، لا بالقال والقيل ، قررت ان الواجب على المسلمين بالنسبة للاحكام العملية هو الاخذ بما اجمع عليه اهل الاسلام وانهم على التخيير فيما اختلف فيه يعمل كل احد بما يرجح عنده الخ فما تقول فيمن عرض له شيء من ذلك وهو عاميٌّ لا يعرف الاقوال فيتخير فيها ألا يجب عليه ان يسأل العلماء ويأخذ باقوالهم ؟ سكتٌّ عن هذه المسئلة لانها حجة عليك فى جواز التقليد

(المصلح) : يمكن لمثل هذا العامي ان يتبع سبيل عامة أهل الصدر الاول فقد كان من تعرض له مسئلة لا يعرف حكم الله فيها يسأل من يظن

ان عنده فيها شيئاً من كتاب أو سنة لانه يسأله عن رأيه الشخصي ويأخذ به من غير معرفة دليله فيكون مقلداً . ومثل هذا السؤال كان يقع من الخاصة ايضاً والمسؤل فيه راو او منبّه على مأخذ الحكم ووجه استنباطه ولو كان كل سائل مقلداً وكل مسؤل اماماً متبعاً لذاته لكان كل مجتهد مقلداً وكثير من الجاهلين أئمة ولا يقول بهذا احد

(الزائر أو المقلد الثاني أو المناظر الثالث) : على هذا يكون استدلال الاصوليين بقوله تعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون » على وجوب التقليد على العاجز عن الاجتهاد غير سديد

(المصلح) : لاشك انه استدلال عقيم لوجوه (منها) ان السبب الخاص الذي نزلت فيه الآية الكريمة لايصح فيه التقليد فتكون امرا به وانما هي ازالة شبهة بالتنبيه الى امر مقرر عندهم وذلك ان مشركي العرب كانوا يقولون ما قص الله عنهم بقوله « انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين » وقوله « لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم » اي لاننا ازكى فطرة واذكى فهماً واقوى عزيمة . فلما نزل عليهم الكتاب كان من شبههم على من نزل عليه صلى الله عليه وسلم انه بشر يأكل الطعام ويمشي في الاسواق وانه رجل مثلهم والايات الحاكية هذا عنهم معروفة فاجابهم عن هذه الشبهة بقوله تعالى : « وما ارسلنا قبلك الا رجالاً يوحى اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون» يأمرهم ان يسألوا اهل الكتاب هل كان الانبياء ملائكة ام رجالاً من البشر . وكون الانبياء رجالاً امر مجمع عليه عند اهل الكتاب ومنقول بالتواتر حتى عند غيرهم فالسؤال عنه ليس أخذا برأي من غير دليل

فيكون تقليداً . و (منها) ان هذه المسئلة اعتقادية لاعملية وانتم لاتقولون بوجوب التقليد فى اصول الايمان لان المقلد لايكون موقناً ومن لا يقين له لاايمان له لان الظن لايغنى من الحق شيئاً فى هذا المقام . ولوكان الآخذ بقول غيره فى عقائد دينه واصوله معذوراً عند الله تعالى لكان جميع اهل الاديان معذورين وناجين ولما وجب النظر فى دعوة نبى من الانبياء الاعلى المجتهدين . فاذا ظهر النبي فى طور لجأت فيه الامة كلها الى التقليد كما تحكمون انتم وفقهاؤكم على هذه الامة الاسلامية تكون الامة كلها معذورة عند الله تعالى فى رفض دعوته وعدم النظر فيها وهل يقول بهذا الا مجنون

(المقلد) : انى سلمت لك من قبل ان التقليد فى العقائد غير جائز

(المصلح) : وانا بينت لك ان فهم الاحكام اسهل من فهم العقائد

(الثالث) : ان فرقاً بين المقلد فى الكفر وبين المقلد فى الحق فالثانى يعذره الله تعالى لانه وافق الحق دون الاول

(المصلح) : ان الله تعالى هو الحكم العدل القائم بالقسط فاذا امر بمقلدي الوثنيين مثلاً الى النار وبمقلدي المسلمين الى الجنة وسأل الوثنيون مساواتهم بامثالهم من مقلدى المسلمين لان كلاً منهم غير مكلف بالنظر لمعرفة الحق الا يكون طلبهم هذا عادلاً يتنزه الله تعالى عن منعهم اياه ؟

(الثالث) : انه تعالى « لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون »

(المصلح) : معنى الآية الكريمة انه ليس لاحد سلطان على الله تعالى فيحاسبه على افعاله بل هو صاحب السلطان الاكبر القائم على كل نفس بما كسبت . وليس معناها انه لا يعدل بين عباده فيما هم فيه سواء .

وما انبأنا الله تعالى بتبرؤ الاتباع من المتبوعين والمرؤسين من الرؤساء فى يوم القيامة الا ليكون ذلك عبرة لنا وآية على انه لايعذر احداً باتباع من لم يأمره باتباعه . والآيات فى هذا كثيرة كقوله تعالى : « اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب . وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار » والايات فى هذا المعنى كثيرة

(الثالث) : اتقول إن هذه الملايين من المسلمين المقلدين خالدون فى النار وانهم كالوثنيين سواء

(المصلح) : لا اقول هذا ولكننى اقول ان دعوة الاسلام لم تبلغهم كاملة فيجب تبليغهم اياها بالقرآن الكريم الذى بلغ به النبي صلى الله عليه وسلم من قبلهم من اولئك السلف الكرام ومن اهتدى بهديهم الذين شادوا لنا ذلك المجد الكبير بارشاد القرآن واضعناه بالاعراض عن القرآن احتجاجاً بتقليد فلان وفلان الذين يتبرؤن منا يوم القيامة قائل كلٌ منهم كما يقول عيسى ابن مريم عليه السلام « ماقلت لهم الا ما امرتنى به » وسأورد بعض ما يؤثر عنهم فى النهي عن الاخذ بقولهم حتى فى الفروع من غير معرفة دليلهم والاقتناع به وعن تقديم كلامهم على الحديث النبوي بلّه القرآن العظيم وما يؤثر ايضاً عن اكابر العلماء الاعلام من بعدهم وارجوان يكون فى ذلك مقنع لكم فانكم ألفتم الاخذ بكلام الناس دون كلام الله ورسوله

(الثالث) : ونحن يمكننا ان نورد لك من كلامهم بل ما نقل فيه

الاجماع ما يقتضى القول بالتقليد وهو منع التلفيق فان التلفيق لازم للتقليد وقد نقل فى الدر المختار الاجماع على بطلانه فاورد لنا قولاً بالاجماع على منع التقليد فى الفروع

(المقلد للثالث) : انه لم يتم كلامه الاول فيما يجب الاخذ به لاجل الوحدة الاسلامية فقد بقى عليه الكلام فى قسم المعاملات الدنيوية والاحكام القضائية وانما مناقشتنا معه الآن فى العبادات وان فى كلامه قوة والحق يقال ولكنه يحتمل النقض والمعارضة والمصيبة فينا اننا لم يسبق لنا بحث كثير فى هذه المواضيع لنستحضر النصوص فيها وما كنت اظن ان مثله يشتغل بهذه المسائل فقد حضرت مجلساً ضم جماعة من اكابر مشايخنا وذكر فيه الذين يتكلمون فى الاصلاح فرأيتهم متفقين على ان الذين يتكلمون فى الاصلاح كلهم جاهلون بالدين وغير مطلعين على علومه ولا متمسكين باعماله . ولولا اننى اختبرت هذا الشباب والفيته متمسكاً بالدين اشد التمسك محافظاً على الصلوات اتم المحافظة لما جاريته وقصدت سبر غوره ولما احتملت منه ما احتملت من التهكم بالمقلدين والازراء بهم تلويحاً وتصريحاً مع انني اعلم انه يعتدنى منهم . ولكننى استغرب كيف لم يهتد احد من علماء الملة الى هذا الرأي — ازالة الخلاف بالاخذ بالقرآن والسنة العملية المتفق عليها — فى كل هذه القرون فهل علم صاحبنا ما جهله العلماء بعد حدوث المذاهب وهو زمن يزيد على ألف سنة

(المصلح) : استحي ان اعود الى التشنيع على التقليد بعد الذى ذكرتَ من التبرم من ذلك وان كنت اشاهد مصائبه تترشح من كل كلمة يقولها المقلد الذى بطلت ثقته بفهمه وعقله وما احب ان اعتدك مقلداً بحتاً بعد ما

عاهدتني على الاخذ بالدليل . كيف صح لك الحكم بانه لم يقل احد من علماء الامة بوجوب ازالة الخلاف من المسلمين وارجاعهم الى ما يرشد اليه القرآن من الوحدة والاخذ بالمتفق عليه وهل استقريت كل ما قاله العلماء الاعلام فى كل فن من الفنون ؟ إن هذا الا كحكم شيوخك بان جميع المتكلمين بُعَدَاء عن الدين علماً وعملاً

هذا حجة الاسلام وعلم الاعلام الامام الغزالى كان اعلم علماء التقليد واقواهم عارضة فى الدفاع عن مذهب الشافعى وله فى الخلاف مصنفات وبعد ان بلغ الكمال فى الفروع والاصول والمعقول والمنقول اهتدى الى هذا الرأى فمهد له بالإنحاء على العلماء المختلفين باللوم والتعنيف فى كتابه احياء العلوم وسماهم علماء السوء ثم صرح برأيه فى كتاب القسطاس المستقيم. وقد وقع فى يدي امس فكان اول ما قرأته فيه هذا الموضوع . والكتاب موضوع فى مناظرة جرت بين الامام وبين رجل من الباطنية الذين يقولون لا بد من امام معصوم يتبع فى كل عصر

(المقلد الاول و . الثالث معاً) : هل يوجد عندك هذا الكتاب هنا فتسمعنا ذلك

(المصلح) : نعم . واخذ كتاباً صغيراً وقرأ من اواخره ما يأتى :

« القول فى طريق نجاة الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال — اي مناظر الامام الغزالى — : كيف نجاة الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : ان اصغوا اليَّ رفعت الاختلاف بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة فى اصغائهم فانهم لم يصغوا باجمعهم الى الانبياء ولا الى امامك فكيف يصغون اليّ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم

فى الازل بانهم « لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم » وكون الخلاف بينهم ضرورياً تعرفه من كتاب (جواب مفصل الخلاف — وهو الفصول الاثنى عشر) فقال : فلو اصغوا اليك كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت اعاملهم بآية واحـدة من كتاب الله تعالى اذ قال : « وانزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحـديد » الآية . وانما انزل هذه الثلاث لان الناس ثلاثة اصناف — عوام وهم اهل السلامة البله وهم اهل الجنة وخواص وهم اهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم اهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة اما الخواصّ فانى اعالجهم بان اعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بها فيرتفع الخلاف بينهم على قرب . وهؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال (احدها) القريحة النافذة والفطنة القوية وهـذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها . و (الثانية) خلوّ باطنهم من تقليد وتعصب لمذهب موروث مسموع (والتفت الى المقلدين قائلاً : انظرا كيف حكم حكماً مطلقاً بأن خواص الناس لا يقلدون احداً . ثم قرأ :) فان المقلد لا يصغى والبليد وان اصغى فلا يفهم . (الثالثة) ان يعتقد انى من اهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بانك تعرف الحساب لا يمكنه ان يتعلم منك

« والصنف الثانى البله وهم جميع العوام » وهؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطلب بل شغلتهم الصناعات والحِرَف وليس فيهم ايضاً داعية الجدل بخلاف المتكايسين فى العلم مع قصور الفهم عنه . فهؤلاء لا يختلفون ولا يتخيرون بين الأئمة المختلفين فادعو هؤلاء الى الله بالموعظة كما ادعو اهل البصيرة بالحكمة وادعو اهل

الشغب بالمجادلة . وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة فى آية واحدة كما تلوته عليك اولا فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لاعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس اهلاً لذلك فقال : « وماذا عملت فى رأس العلم » أي الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة « إذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائبه » فاقول للعاميّ ليس الخوض فى الاختلافات من عشك فادرج فاياك ان تخوض فيه او تصغي اليه فتهلك فانك اذا صرفت عمرك فى صناعة الصياغة لم تكن من اهل الحياكة . وقد صرفت عمرك فى غير العلم فكيف تكون من اهل العلم ومن اهل الخوض فيه فاياك ثم اياك ان تهلك نفسك فكل كبيرة تجرى على العامى اهون عليه من الخوض فى العلم فيكفر من حيث لا يدرى(١)

« فان قال : لا بدّ من دين اعتقده واعمل به لاصل الى المغفرة والناس مختلفون فى الاديان فبأي دين تأمرني أن آخذ او اعول عليه ؟ فاقول له للدين اصول وفروع والاختلاف انما يقع فيهما . اما الاصول فليس عليك ان تعتقد فيها الا ما فى القرآن فان الله لم يستر عن عباده صفاته واسماءه فعليك ان تعتقد ان لا اله الا الله وان الله حيٌّ عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثله شيء الى جميع ما ورد فى القرآن واتفق عليه الأئمة

(١) من المصائب ان تفلسف المتكلمين فى علم الكلام اخرجهم عن طريق القرآن فى تقرير العقائد وفسد التعليم بذلك حتى صار كل عامى يجادل فى الله بغير علم ولا كتاب منير ويخوض فى القدر ويذهب مذهب الجبر ويكون فى هذا اكثر جدلاً كلما كان اقرب من الشيوخ فى العلم والطريق فلا هو مجتهد يفهم ولا مقلد يسلم

فذلك كاف فى صحة الدين وان تشابه عليك شيء فقل «آمنا كل من عند ربنا» واعتقد كل ماورد فى اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفى المماثلة واعتقاد أنه ليس كمثله شيء. وبعد هذا لاتلتفت الى القيل والقال فانك غير مامور به ولا هو على حد طاقتك. فان اخذ يتحذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لا اعلم أنه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الاشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام اذا العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا مالم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يؤتيهم الجدل كذلك ورد الخبر[1] واذا التحق بأهل الجدل فسأذكر علاجهم

« هـذا ما اعظ به فى الاصول وهو الحوالة على كتاب الله (قال المصلح: ولا تنسيا ان كلامه فى العوام) فان الله انزل الكتاب والميزان والحديد وهؤلاء اهل الحوالة على الكتاب. واما الفروع فأقول لاتشغل قلبك بمواقع الخلاف مالم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على أن زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب الحرام والمال الحرام والنميمة والزنا والسرقة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة. فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف فان هو طالبنى بها قبل الفراغ من هـذا فهو جدليٌّ وليس بعامي. ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف؟ أفرأيت رفقاءك قد فرغوا من جميع هذا ثم اخذ إشكال الخلاف بمخنقهم؟ هيهات ما اشبه ضعف عقولهم

(١) وكذلك وقع لهذه الامة ما زال يفتك فيها الجدل الذى اثاره الاختلاف حتى جعلها حرضاً

فى خلافهم الا بعقل مريض به مرض اشرف به على الموت وله علاج متفق عليه بين الاطباء وهو يقول : قد اختلف الاطباء فى بعض الادوية انها حارة او باردة وربما افتقرت اليه يوماً فانا لا اعالج نفسى حتى اجد من يعلمنى رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحاً قد فرغ من حدود التقوى كلها وقال ها انا ذا تشكل عليّ مسائل فانى لا ادرى اتوضأ من اللمس والقيء والرعاف وانوى الصوم بالليل فى رمضان او بالنهار الى غير ذلك فاقول له ان كنت تطلب الامان فى طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف وانو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه . فان قال : هو ذا يثقل عليّ الاحتياط ويعرض لى مسائل تدور بين النفى والاثبات وقال : لا ادرى أأقنت فى الصبح ام لا واجهر بالتسمية ام لا ؟ فأقول له الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه اغلب على قلبك كما لو كنت مريضاً وفى البلد اطباء فانك تختار بعض الاطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفيك مثل ذلك الاجتهاد فى امر دينك فمن غلب على ظنك انه الافضل فاتبعه فان اصاب فيما قال عند الله فله فى ذلك اجران وان اخطأ فله عند الله اجر واحد . وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فاصاب فله اجران ومن اجتهد واخطأ فله اجر واحد» ورد الله الامر الى اهل الاجتهاد فقال تعالى « لعلمه الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لاهله اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ : بمَ تحكم ؟ قال بكتاب الله . قال : فان لم تجد . قال : بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فان لم تجد . قال:

أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان امره به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه (وهنا التفت المصلح الى المقلد وقال : أرأيت كيف وافق فهمي فى الحديث فهم الامام الغزالى الا انى خصصته بالاحكام القضائية دون الامور التعبدية كما هو ظاهر اللفظ والغزالى عممه وسنعود الى ذلك . ثم مضى فى القراءة) فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى وفق رسول رسولِ الله لما يرضاه رسول الله . ففهم من ذلك انه مرضيٌّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ وغيره . كما قال الاعرابى : انى هلكت واهلكت واقعتُ اهلي فى نهار رمضان فقال « اعتق رقبة » ففُهم ان التركي والهندى لو جامع ايضاً لزمه الاعتاق

وهذا لان الخلق ما كلفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كلفوا بما يظنونه صواباً كما لم يكلفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله فى اثناء الصلاة لما انبأه جبريل ان عليه قذراً ولم يعد الصلاة ولم يستأنف . وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد . ولم يكلفوا اداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه . ولم يكلف القضاة فى سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يعلمون صدقهم بل من يظنون صدقه . واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد

وليت شعرى ماذا يقول رفقاؤك فى هذا ؟ يقولون اذا اشتبهت عليه

القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله او يكلفه الاصابة التى لا يطيقها او يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح . قال لا اشك فى انه يأذن له فى الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذ بذل كنه مجهوده وان اخطأ اوصلى الى غير القبلة . قال فاذا كان من جعل القبلة خلفه معذوراً مأجوراً فلا يبعد ان يكون من اخطأ فى سائر الاجتهادات معذوراً فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ماعند الله وبعضهم يشاركون المصيبين فى احد الاجرين فمناصبهم متقاربة وليس لهم ان يتعاندوا وان يتعصّب بعضهم مع بعض لاسيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران فى القبلة فاختلفا فى الاجتهاد فحقهما ان يصلى كل واحد منهما الى الجهة التى غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف الا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ فى اليمن يجتهد لا على اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على اعتقاد انه إن اخطأ كان معذوراً وهذا لأن الامور الوضعية الشرعية التى يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشىء من نقيضه بعد كونه مظنوناً فى سر الاستبصار واما مالا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته فى الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن

واما الصنف الثالث وهم اهل الجدل فانى ادعوهم بالتلطف الى الحق وأعني بالتلطف ان لا اتعصب عليهم ولا اعنفهم لكن ارفق واجادل بالتي هى احسن وكذلك امر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان

آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذى اوردته فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد[١] والى ذلك الحد فان لم يقنعه ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقيّته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه لبلادته واصراره على تعصبه ولجاجه وعناده عالجته بالحديد فان الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب ليفهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط الا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخواص والحديد الذى فيه بأس شديد للذين يتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون فى العلم دون اهل الجدل واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن قياساتهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة لكن فى باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات اكنة على قلوبهم ان يفقهوه وفى آذانهم وقراً لكن لم تهلكهم الا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفى الخبر « ان اكثر اهل الجنة البُلْهُ وان عليين لذوى الالباب »

ويخرج من جملة الفريقين الذين يجادلون فى آيات الله واولئك اصحاب النار ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن وهؤلاء ينبغى ان يمنعوا من الجدال بالسيف والسنان كما فعل عمر رضى الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين فى كتاب الله تعالى فعلاه بالدرة وكما قال مالك رضى الله عنه لما

(١) المنار — كنت اتعجب من وضع كتاب الاقتصاد المذكور على طريقة المتكلمين بعد ما وصل الغزالى الى الطريقة المثلى حتى رأيت سببه هنا وهو مجادلة المتكلمين بما الفوا

سئل عن الاستواء على العرش فقال الاستواء حق والايمان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة . وحسم بذلك باب الجدال . وكذلك فعل السلف كلهم وفى فتح باب الجدال ضرر عظيم على عباد الله تعالى فهذا مذهبي فى دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بان أدعو الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير اعيان لا نهاية لها . كذلك من معه القسطاس المستقيم فمعه الحكمة التى من اوتيها فقد اوتى خيراً كثيراً لا نهاية له ولولا اشتمال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نوراً لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهو نعت الميزان ولما صدق قوله « ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين » فان جميع العلوم غير موجودة فى القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التى بها بها تفتح ابواب الحكمة التي لا نهاية لها فبهذا ادعو الخواص ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاقتصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى ودعوت اهل الجدل بالمجادلة التى هى أحسن فمن أبى اعرضت عن مخاطبته وكففت شره بباس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعرى الآن يارفيق بم يعالج امامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ايعلم العوام غريب العلم فيكلفهم ما لا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم او يخرج الجدال من ادمغة المجادلين بالمحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى فى القرآن مع الكفار فما

أعظم قدرة امامك اذ صار اقدر من الله تعالى ومن رسوله . او يدعو اهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعباناً بل يقولون : هو فعل غريب ولكن من من اين يلزم منه صدق فاعله وفى العالم من غرائب السحر والطلسمات ما تتحير فيه العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة انواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون معجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من ائمة السحرة ومن الذى يقوى على ذلك ؟ بل اهل البصرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق استاذه فى قوله انى حاسب فهذه هى المعرفة اليقينية التى بها يقنع اولو الالباب واهل البصائر ولا يقنعون بغيرها البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك واخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرته فى كتاب جواهر القرآن فمن اين يحتاجون الى امامك المعصوم وما الذى حل من اشكالات الدين وعن ما ذا كشف من غوامضه قال الله تعالى « هذا خلق الله فاروني ما ذا خلق الذين من دونه » وقد سمعت الآن منهاجي فى موازين العلوم فارنى ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وما الذي يتعلمون منه وليت شعرى ما الذى تعلمت من امامك المعصوم ارنى ما رأيتها :

ما يسدى بى رتسدى اوف خرابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل

والتناول منها وانى اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب امامك بعد الاستجابة على جهله الذى كان قبله لم يحل له الامام عقداً بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته له علما بل ربما زاد به طغياناً وجهلاً فقال : قد طالت صحبتى مع رفقائى ولكن ما تعلمت منهم شيئاً الا انهم يقولون عليك بمذهب التعليم واياك والرأى والقياس فانه متعارض مختلف . فقلت فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتمونى الى التعليم فاستجبت فعلمونى ما عندكم فقال : ما اراهم يزيدوننى على هذا شيئاً . فقلت : فانى قائل ايضاً بالتعليم وبالامام وببطلان الرأى والقياس وانا ازيدك على هذا لو اطقت ترك التقليد تعليم غرائب العلوم واسرار القرآن فاستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما اشرت الى انشعاب العلوم كلها منه فى كتاب جواهر القرآن لكنى لست ادعو الى امام سوى محمد صلى الله عليه وسلم ولا الى كتاب سوى القرآن فمنه استخرج جميع اسرار العلوم وبرهانى على ذلك لسانى وبيانى وعليك ان شككت تجريبى وامتحانى افترانى اولى بأن يتعلم منى من رفقائك ام لا ؟ » اه

(المقلد والثالث) : ان الامام الغزالى اثبت التقليد بل اوجبه على العوام وفى كلامه بعض اشكالات لم يبق فى الوقت سعة للبحث فيها

(المصلح) : سنبحث فى هذا فى مجلس آخر ان شاء الله تعالى وافترقوا

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

ملخص مما املاه فى الازهر . مولانا الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ . صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ .

هذا مثل من مثلين ضربهما الله فى هذه الآيات للصنف الثالث من الناس الذين قرع القرآن ابواب قلوبهم وكان من عناية الله تعالى فى بيان حاله ان قفى ذلك التفصيل فى شأن فرقه واطوارهم بضرب المثل الذى يقصد به تجلى المعنى فى اتم مجاليه ، وتأثر النفوس بما اودع فيه ، ناهيك بما فى التنقل فى الاساليب من استلفات الذهن الى سابق القول ودعوة الفكر الى مراجعة ما مضى منه . ولولا ان بلاء هذا الصنف عظيم وداءه دفين وعلاجه متعسر لانه متولد من الدواء الذى كان يجب ان تكون فيه الصحة ونعمة العافية لما كان من البلاغة ولا من الحكمة ان يعنى بشأنه كل هذه العناية كما قلنا فى تزييف رأي من ذهب الى ان الكلام فى تلك الشرذمة من المنافقين فى عصر التنزيل

ضرب الله تعالى لهذا الصنف فى مجموعه مثلين ينبئان بانقسامه الى فريقين خلافاً لما فى اكثر التفاسير من ان المثلين لفريق واحد وان معناهما وموضوعهما واحد . (الاول) من اتاهم اليه ديناً وهداية عمل بها سلفهم فجنوا ثمرها وصلح بها حالهم أيام كانوا مستقيمين على الطريقة آخذين بارشاد الوحي واقفين عند حدود الشريعة ولكنهم انحرفوا عن سنن سلفهم فى الاخذ بها ظاهراً وباطناً ولم ينظروا فى حقائق ما جاءهم بل

ظنوا ان ما كان عند سلفهم من نعمة وسعادة انما كان امراً خصوا به او خيراً سبق اليهم لظاهر قول او عمل امتازوا به عن غيرهم ممن لم يأخذ بدينهم وان كان ذلك العمل لم يخالط سرائرهم ، ولم تبل به ضمائرهم ، فاخذوا بتقاليد وعادات لم تدع فى نفوسهم مجالاً لغيرها ولذلك لم يتفكروا قط فى كونهم احرى بالتمتع بتلك السعادة والسيادة من سلفهم لان حفظ الموجود ، ايسر من ايجاد المفقود ، بل لم يبيحوا لانفسهم فهم الكتاب الذى اهتدى من قبلهم بما فيه من شموس العرفان ، ونجوم الفرقان ، لزعمهم ان فهمه لا يرتقى اليه الا افراد من رؤساء الدين يؤخذ باقوالهم ما وُجدوا ، وبكتبهم اذا فقدوا ،

فمثل هذا الفريق من الصنف المخذول فى فقده لما كان عنده من نور الهداية الدينية وحرمانه من الاهتداء بها بالمرة وانطماس الآثار دونها عنده مَثَلُ من استوقد ناراً الخ . والوجه فى التمثيل ان من يدعى الايمان بكتاب نزل من عند ربه قد طلب بذلك الايمان ان توقد له نار يهتدي بها فى الشبهات ويستضىء بها فى ظلمات الريب ويبصر على ضوءها ما قد يهجم عليه من مفترسة الاهواء والشهوات فلما اضاءت ما حوله بما اودعته من الهدى والرشاد وكاد بالنظر فيها يمشي على هداية هجمت عليه من نفسه ظلمة التقليد الخبيث وعصب عينيه شيطان الغرور فذهب عنه ذلك النور واطبق عليه جوّ الضلالة بل طفىء فيه نور الفطرة وتعطلت قوى الشعور بما بين يديه فهو بمنزلة الاعمى الاصم الذى لا يبصر ولا يسمع

واما الفريق الثانى فقد ضرب الله له المثل فى قوله « اَو كصيبٍ من من السماء » الخ وهو الذى بقى له بصيص من النور فله نظرات ترمي الى

ما بين يديه من الهداية احياناً ولِمعانى التنزيل لمعَانٍ يسطع على نفسه الفيْنَةَ بعد الفينة ويأتلق فى نظره الحين بعد الحين عندما تحركه الفطرة أو تدفعه الحوادث للنظر فيما بين يديه ولكنه من التقاليد والبدع فى ظلمات حوالك، ومن الخبط فيها على حال لا تخلو من المهالك، وهو من تخبطه يسمع قوارع الانذار الآلهى ويبرق فى عينيه نور الهداية فاذا أضاء له ذلك البرق السماويّ سار واذا انصرف منه بشُبَه الضلالات الغرارة قام وتحير لا يدرى اين يذهب . ثم انه ليضع أصبعيه فى اذنيه حتى لا يسمع ارشاد المرشد ولا نصح الناصح يخاف من تلك القوارع ان تقتله، ومن صواعق النذُر ان تهلكه

هذا هو شأن فريقي هذا الصنف بما يشير المثلان اجمالاً . وفى تفسير الآيات تفصيل ما اشرنا اليه

قال تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً » العرب تستعمل لفظ (الذى) فى الجمع كما ومَنْ وان شاع فى الذى الافراد لان له جمعاً . وقد روعي فى قوله استوقد لفظه وفى قوله : ذهب الله بنورهم . معناه والتفنن فى ارجاع الضمائر متنوعة ضرب من استعمال البلغاء يكرر المعنى فى الذهن ويهبه فضل تمكن وتأكيد بما يحدث فيه من الروية والاستلفات الى الاحاطة بمعانى المختلفات . « فلما أضاءت ما حوله » وتمكن من الانتفاع بها والاستضاءة بنورها « ذهب الله بنورهم » بما عرض عليهم من الموانع فى نظرهم السقيم، ورأيهم الأفين، وكذلك حال طائفة من الذين يقولون آمنا بالله واليوم الآخر وماهم بمؤمنين على الوجه الصحيح المرضى عند الله تعالى . استوقدوا بفطرتهم السليمة نار الهداية الالهية

بتصديقهم فلما اضاءت لهم بروقها ، ووضح لهم طريقها ، فاجأتهم التقاليد الموروثة ، وباغتتهم العادات المألوفة ، وشغلهم ما يتوهمونه فيها من المنافع والفوائد ، وما يتوقعونه فى الإعراض عنها من المصارع والمفاسد ، عن الاستعانة بذلك الضوء على سلوك ذلك الصراط المستقيم ، والتفرقة بين نهاره وظلمات ليلها البهيم ، بل استبدلوا هذا الديجور ، بذلك الضياء والنور ، وهذا هو معنى ذهاب نورهم . وانما قال « ذهب الله بنورهم » ولم يقل : ذهب نورهم . او اذهب الله نورهم للاشعار بأن الله تعالى كان معهم عند ما استوقدوا النار فاضاءت وذلك أنهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التى فطر الناس عليها معتقدين بشريعته التى دعا الناس اليها وبأنه تخلى عنهم عند ذهاب النور . ولا شك ان المستوقد المسترشد تكون له حالة مع الله تعالى مرضية فى التوجه اليه وقصد اتباع هداه ، والاستضاءة بنوره الذى وهبه إياه ، فاذا اعرض عنه وكله الله الى نفسه وذهب بنوره . واذا ذهب النور لا يبقى الا الظلمة وما كان هؤلاء فى ظلمة واحدة ولكنها ظلمات بعضها فوق بعض متعددة بتعدد انواع التقاليد التى فتنوا بها او بتعدد انواع الهداية التى اعرضوا عنها . ولذلك قال : « وتركهم فى ظلمات لا يبصرون » وحذف المفعول إيذاناً بالعموم اي لا يبصرون مسلكاً من مسالك الهداية ولا يرون طريقاً من طرقها . لانه صرف عنايته عنهم بتركهم سنته ، واهمالهم هدايته ، ووكلهم الى انفسهم ويا ويل من وكله الله الى نفسه ، وحرمه توفيقه ، نسأل الله العافية

هذا المثل مضروب لفريق لا ترجى هدايته لانه سد على نفسه جميع أبواب الهداية فلا يثق بعقله ولا بحواسه ولا بوجدانه اذا خالفت تقاليده .

وعدم الإبصار لذهاب النور غير كافٍ لتمثيل هذا اليأس والحرمان لجواز ان يلوح بارق ، او يذر شارق ، او يصيح طارق ، فتكون الهداية ، وتنكشف الغواية ، ولذلك عقبه بقوله تعالى «صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يَرجعُون » اى انهم فقدوا منفعة السمع الذى يؤدى الى النفس الحجج القاطعة ، والدلائل الناصعة ، فلا يصيخون الى وعظ واعظ ، ولا يصغون لتنبيه منبه ، « فما اضيع البرهان عند المقلد » وفقدوا منفعة الاسترشاد بالقول وطلب الحكمة من معاهدها فلا يسألون بياناً ، ولا يطلبون برهاناً ، وفقدوا خير منافع الابصار ، وهو نظر الاستفادة والاعتبار ، فلا يرون ما يحل بهم من الفتن فينزجروا ، ولا يبصرون ما تتقلب به احوال الامم فيعتبروا ، « فهم لا يرجعون » عن ضلالتهم ، ولا يخرجون من ظلماتهم ، لان من وقع فى ارض فلاة فى ليلة مظلمة وفقد فيها جميع حواسه لا يمكنه ان يسمع صوتاً يهتدى به ولا ان يصيح لينقذه من يسمعه ولا يرى بارقاً يؤمه ويقصده فهو لا يرجع من تيهه بل يظل يعمه فى الظلمات حتى يفترسه سبع ضار ، او يصل الى شفا جرف هار ، فينهار به فى شر قرار ، وما للظالمين من انصار ،

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(١) مجاور فى الازهر : ما معنى قوله تعالى « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فقد استشكل المفسرون فى لام ليعبدون اذ لا يصح ان تكون للتعليل لان افعاله تعالى لا تعلل ولا للغاية لان اكثرهم لا يعبده . وذهب بعضهم الا انها لام العاقبة والصيرورة وقال انه لا يلزم وقوع ما بعدها ومثّل لها بانك اذا قلت بريت القلم لاكتب به ولم تكتب تكون صادقاً

وهذا اذا ظهر بالنسبة الى الناس فليس بظاهر بالنسبة الى البارى سبحانه وتعالى . وقال البيضاوى : لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيًّا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » وقيل معناه لنأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عباداً اه ولا تطمئن اليه النفس . فهل عندكم ما اوضح من ذلك ؟ اه بتصرف

(ج) اللام للغاية حتماً والآية حاكية عن طبيعة النوع الانسانى وشارحة لترقيه فى الشعور الديني الذى الهمه بالفطرة وتاريخ الانسان يؤيد معناها ويقاس به النوع الذى سماها الله بالجن لانه مجتن ومستتر عنا

الشعور الفطرى الذى اودعه الانسان هو ان فى الوجود سلطة وراء الطبيعة يخضع لها ويعظمها وينيط بها كل حادث لم يقف على سببه وهذا الخضوع والتعظيم هو العبادة . وقد كان فى اطوار الجهالة يضيف ما لا يعرف سببه الى مظهره ويخضع لذلك المظهر هذا النوع من الخضوع الذى قلنا انه يسمى عبادة فعبد السحاب لانه مظهر البرق والرعد والمطر وعبد الثعابين لان لها قوة فى الاعدام لم يكن يعرفها وعبد بعض البشر لانه ظهر على ايديهم اعمال غريبة لم يقف على عللها واسبابها وكان يرتقي فى مجموعه فى هذه الاعتقادات تدريجاً وغاية ما ينتهى اليه بعد كمال العلم والمعرفة ان يعتقد ان مظاهر الافعال الخارقة فى نظره أو بالنسبة له ولغيره هى كمظاهر الافعال العادية مسخرة لقوة غيبية مطلقة عرفت بآثارها لا بذاتها وان صاحب تلك القوة هو الله تعالى الذى لا يستحق العبادة غيره فيعبده حينئذ وحده

وعدم الإبصار لذهاب النور غير كاف لتمثيل هذا اليأس والحرمان لجواز ان يلوح بارق ، او يذر شارق ، او يصيح طارق ، فتكون الهداية ، وتنكشف الغواية ، ولذلك عقبه بقوله تعالى «صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يَرجِعُونَ » اى انهم فقدوا منفعة السمع الذى يؤدى الى النفس الحجج القاطعة ، والدلائل الناصعة ، فلا يصيخون الى وعظ واعظ ، ولا يصغون لتنبيه منبه ، « فما اضيع البرهان عند المقلد » وفقدوا منفعة الاسترشاد بالقول وطلب الحكمة من معاهدها فلا يسألون بياناً ، ولا يطلبون برهاناً ، وفقدوا خير منافع الابصار ، وهو نظر الاستفادة والاعتبار ، فلا يرون ما يحل بهم من الفتن فينزجروا ، ولا يبصرون ما تتقلب به احوال الامم فيعتبروا ، « فهم لا يرجعون »عن ضلالتهم ، ولا يخرجون من ظلماتهم ، لان من وقع فى ارض فلاة فى ليلة مظلمة وفقد فيها جميع حواسه لا يمكنه ان يسمع صوتاً يهتدى به ولا ان يصيح لينقذه من يسمعه ولا يرى بارقاً يؤمه ويقصده فهو لا يرجع من تيهه بل يظل يعمه فى الظلمات حتى يفترسه سبع ضار ، او يصل الى شفا جرف هار ، فينهار به فى شر قرار ، وما للظالمين من انصار ،

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(١) مجاور فى الازهر : ما معنى قوله تعالى «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فقد استشكل المفسرون فى لام ليعبدون اذ لا يصح ان تكون للتعليل لان افعاله تعالى لا تعلل ولا للغاية لان اكثرهم لا يعبده . وذهب بعضهم الا انها لام العاقبة والصيرورة وقال انه لا يلزم وقوع ما بعدها ومثل لها بانك اذا قلت بريت القلم لاكتب به ولم تكتب تكون صادقاً

وهـذا اذا ظهر بالنسبة الى الناس فليس بظاهر بالنسبة الى البارى سبحانه وتعالى . وقال البيضاوى : لما خلقهم على صورة متوجهة الى العبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيًّا بها مبالغة فى ذلك ولو حمل على ظاهره مع ان الدليل يمنعه لنافى قوله تعالى « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس » وقيل معناه لنأمرهم بالعبادة أو ليكونوا عباداً اه ولا تطمئن اليـه النفس . فهل عندكم ما اوضح من ذلك ؟ اه بتصرف

(ج) اللام للغاية حتماً والآية حاكية عن طبيعة النوع الانسانى وشارحة لترقيه فى الشعور الديني الذى الهمه بالفطرة وتاريخ الانسان يؤيد معناها ويقاس به النوع الذى سماها الله بالجن لانه مجتنٌ ومستتر عنا

الشعور الفطرىّ الذى اودعه الانسان هو ان فى الوجود سلطة وراء الطبيعة يخضع لها ويعظمها وينيط بها كل حادث لم يقف على سببه وهذا الخضوع والتعظيم هو العبادة . وقدكان فى اطوار الجهالة يضيف مالا يعرف سببه الى مظهره ويخضع لذلك المظهر هذا النوع من الخضوع الذى قلنا انه يسمى عبادة فعبد السحاب لانه مظهر البرق والرعد والمطر وعبد الثعابين لان لها قوة فى الاعدام لم يكن يعرفها وعبد بعض البشر لانه ظهر على ايديهم اعمال غريبة لم يقف على عللها واسبابها وكان يرتقي فى مجموعه فى هـذه الاعتقادات تدريجاً وغاية ما ينتهى اليه بعـد كمال العـلم والمعرفة ان يعتقد ان مظاهر الافعال الخارقة فى نظره أو بالنسبة له ولغيره هى كمظاهر الافعال العادية مسخرة لقوة غيبية مطلقة عرفت بآثارها لا بذاتها وان صاحب تلك القوة هو الله تعالى الذى لا يستحق العبادة غيره فيعبده حينئذ وحده

(٢) السيد عمر بن مبروك من تونس : عندنا ماجل(١) فى دارنا يجتمع فيه ماء المطر من السطوح فنستعمله فى العادة والعبادة وقد وقع فيه فرخ حمام ميت وكان الوقت صيفاً والماء فيه قليلاً فتغير لونه وريحه وتعذر علينا اخراج الفرخ منه فتركنا استعماله حتى جاء الشتاء وامتلأ الماجل بالماء وزال التغير من لونه ورائحته وعاد زلالاً نقياً فسألنا سادتنا الحنفية عنه فقالوا لا بد من نزع ماء الماجل كله وسألنا سادتنا المالكية فقالوا لا بد من اخراج الطير او ما بقى منه فى الماء ليجوز استعماله فى العادة والعبادة . وفى ذلك مشقة علينا كبيرة ونحن مضطرون لاستعمال هذا الماء وقد قصدنا مذهب ساداتنا الشافعية لعلنا نجد فيه رحمة فافيدونا يرحمكم الله

(ج) مذهب الشافعية ان الماء اذا بلغ قلتين لا ينجس الا بتغير طعمه اولونه او ريحه من النجاسة فلوكان الماء متنجساً لوقوع نجاسة فيه وهو قليل ثم زاد حتى بلغ قلتين يطهر ولو كان الماء المتجدد متنجساً ايضاً بل ولو كان مائعاً نجس العين . والقلتان ستمائة رطل بغدادى وتبلغ بالمساحة نحو ذراعاً وربع طولاً وعرضاً وعمقاً . ولا شك ان ماجلكم اوسع من ذلك فهو طاهر حتماً . هذا وان الله تعالى امرنا بازالة النجاسة ليطهرنا لاليُعْنتنا وهو يريد بنا اليسر ولا يريد بنا العسر وما جعل علينا فى الدين من حرج والنجاسة التى نهينا عنها هى القاذورات التى تنفر منها الطباع السليمة فهل يعقل ان ماجلاً عظيماً وحوضاً كبيراً فيه ماء صاف نقي لا تغير فيه يحكم عليه بالنجاسة لتدقيق بعض الفقهاء فى الحدود التى وضعوها للاصطلاحات

(١) الماجل فى اللغة كل ماء فى اصل جبل او واد ولعل اهل تونس يطلقونه على الصهريج .

الشرعية ويلزم لهـذا التدقيق اعنات اهل بيت من المسلمين وايقاعهم فى الحرج والعسر اللذين نفاهما الله تعالى ؟

(٣) الشيخ احمد محمد الألفي من طوخ القراموص : ما الفرق بين العهد الذى لقنه النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين والمؤمنات وبين العهد الذى تناقله اهل الطريق بالاسانيد الصحيحة الى النبي صلى الله عليه وسلم . أليسوا من المؤمنين والمؤمنات حتى يفرق بينهم وبين غيرهم وما هو دليل الخصوصية فى عمل النبي صلى الله عليه وسلم هذا . وهل لا تعتبر هذه الاسانيد الصحيحة حجة فى النقل اه بنصه

(ج) ان مبايعة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤمنين والمؤمنات التى ذكرناها فى جواب سؤالكم الرابع من الاسئلة المنشورة فى الجزء الثالث ليست تلقين عهد كالعهد المعروف الآن بين اهل الطريق . اما مبايعة المؤمنين المشار اليها فى سورة الفتح فهي انه لما خرج النبي صلى الله تعالى عليه وسلم باصحابه لعمرة الحديبية وصده المشركون وارسل اليهم عثمان ابن عفان الى مكة يخبرهم انه جاؤا عماراً لا مقاتلين وشاع انهم قتلوه عزم النبي عليه الصلاة والسلام على مقاتلة القوم وبايع اصحابه رضى الله تعالى عنهم على عدم الفرار او على الموت (روايتان) وبلغ ذلك المشركين فخافوا وانتهى الامر بالصلح المشهور . وفى ذلك نزل قوله تعالى « ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » وقوله عز وجل « لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة »

وأما مبايعة المؤمنات فهى المشار اليها فى قوله تعالى « يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقنَ ولا

يزنين » الآية — وورد انه عليه الصلاة والسلام بايع المؤمنين مثل هذه المبايعة وعلى السمع والطاعة فى العسر واليسر والمَنْشَط والمَكْرَه وأثرته عليهم وان لاينازعوا الامر اهله وان يقولوا الحق حيث كانوا لا يخافون فى الله لومة لائم . والروايات فى ذلك متعددة . ولا خلاف بين اهل الحق فى ان هذه البيعة لازمة فى عنق كل من يدخل الاسلام وهى السمع والطاعة لله ولرسوله وعدم عصيان أولى الامر فى معروف . ولكن هل لأحد من الناس ان يبايع الناس على طاعته غير خليفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الذى هو امام المسلمين ؟ كلا ومن يدعيه فعليه البيان

ومشايخ الصوفية يعبرون عن الدخول فى الطريق بلبس الخرقة ويذكرون لذلك فى اجازاتهم سنداً ينتهى الى الحسن البصرى وان علياً كرم الله وجهه البسه الخرقة ولذلك ترى الطرائق كلها تنتهى الى سيدنا علي عليه الرضوان والسلام . ولكن أئمة علم الحديث قالوا : حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم ألبَس الخرقة على الصورة المتعارفة باطل لا أصل له . قال الحافظ ابن حجر لم يرد فى خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف أن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم ألبَس الخرقة على الصورة المتعارفة بين الصوفية احداً من اصحابه ولا أمر احداً من اصحابه بفعل ذلك وكلما يروى فى ذلك صريحاً فهو باطل . وقال : من المفترَى ان علياً ألبس الخرقة الحسن البصريّ فان ائمة الحديث لم يثبتوا للحسن من عليّ سماعاً فضلاً عن ان يلبسه الخرقة . قال فى الفوائد المجموعة فى الاحاديث الموضوعة : وقد صرح بمثل ما ذكره ابن حجر جماعة من الحفاظ كالدمياطى والذهبي وابن حبان والعلائى والعراقى وابن ناصر

ويا ليت السائل يذكر لنا العهد الذي قال ان اهل الطريق تناقلوه بالاسانيد الصحيحة الى النبي صلى الله عليه وسلم ويذكر لنا الحفاظ الذين خرجوه

(٤) هل تقولون فى الروح الناطقة الانسانية والكشف وكرامات الاولياء فى الحياة وبعد الموت بقول جمهور اهل السنة والجماعة ام ما هو مذهبكم فى ذلك :

(ج) اما الكرامات فليراجع السائل فيها ما كتبناه فى المجلد الثانى من المنار (صفحه ١٤٥ و ٤٠١ و ٤١٧ و٤٤٩ و ٤٨١ و٥٤٥ و ٦٥٧) فقد اثبتنا ما يقوم عليه الدليل من الكرامات . واما الروح فنقول فيها ما أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقوله وهو « الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا » واما الاسئلة التى تتعلق بالاجتهاد والتقليد فمحاورات المصلح والمقلد تبين ذلك مفصلاً تفصيلا

آثار علمية ادبية

مكتوب . فى حق مسلوب

يظن الذين لا فضيلة لهم بان العفة والشهامة والشمم والاباء وعزة النفس والنجدة وما اشبهها من السجايا الفاضلة الفاظ لا توجد الا فى القاموس وهى من لغو الكلام الذى لا يصدق على شيء . وقد جاءنا من مدة مكتوب من صديق نعرفه من افضل الفضلاء وائمة محاريب الانشاء يحكى

فيه عن شيء اتفق له وهو صادق فى جميع ما قال وهاك مكتوبه معرباً بقلم يحاكي قلمه :

سيدى رب الكمال

مذ افكر فى فتور المراسلة بيننا طول هذه المدة يعرونى الخجل ويؤثر فى نفسى اثرا يذهب بالراحة والطمأنينة ولا شيء اشد نكاية على الانسان من مؤاخذة نفسه له وعتاب ضميره الذى لا يعذر ولا يحابى

ترى ماهو الحكم الذى تسجلونه عليّ او ما هى التهم التى توجهونها اليّ عند ماتفكرون فى انقطاع رسائلى عنكم كل هذه المدة ؟ اما انا فالله يعلم انى برىء . بينا انا متألم من الجراح التى فتحتها فى قلبي مصائب الوطن اذ رأيتنى الآن مشغولا بمحنة نفسى مضطرباً من النازلة الفادحة التى ألمّت بى ورأيتنى اصارع الظلمة وأواشب المعتدين فلقد حرمت من حقوقى وهى بمثابة الشمس فى الظهور والنهار فى الجلاء والوضوح . الحقّ اقول : لو كنت ادوس تحت قدمي الناموس والحمية وسائر المزايا الانسانيـة الشريفة فى سبيل نيل المطالب الخسيسة وتناول الحظوظ الفانيـة وأهين النفس فى التزلّف الى اولئك الاسافل النازين على مراتب العليّة(١) وذوى السبق والفضل فالثم ارجلهـم القذرة واذيالهم النتنة وايديهم الدنسة واضعها على الرأس تبجيلاً لهم وتفخيماً . بل لو كنت اسلك فى طلب حاجاتى مسلك التسوّل مبالغاً فى الملق والتبصبص(٢) محركاً بضراعتي عاطفة الحنان والشفقة

(١) العلية بالضم والكسر مع تشديد اللام المكسوره والياء الاشراف والاعلياء

(٢) التبصبص والبصبصة تحريك الكلب ذنبه تقرباً للانسان ويطلق على التملق مطلقاً . وعند عامة المصريين النظر الى النساء بشهوة والتعرض لمغازلتهن وهو تجوز يليق باولئك الادنياء الذين هم احقر من الكلاب

عليّ كما هو شأن اصحاب الدناءة الذين يحسبون ان هذا العمل هو مناط المجد واقرب وسيلة لنيل الفخر والشرف . او لو كنت اظهر الخضوع والتخشع الى درجة تحاكي العبادة لقوم هم اخبث من الشياطين لأجل جاب توجههم اليّ وأُغرق فى مدح الفراعنة والملاعين حتى اصعد بهم من ارض البشرية الى سماء الالوهية تقليداً لاولئك المداهنين المخذولين ولا اربأ بنفسى عن عرض العبودية لهم بمثل قول الشاعر :

ما شئت لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار

– لو كنت آتى بشيء من ذلك لما رجعت بخيبة ولما صادفت حرماناً .

لكنني بحمد الله لم ادع عملاً كهذا يخلص الى خاطرى او يحوك فى نفسى . نعم احببت ان اعرض شيئاً من الآثار الادبية التى تناسب عجزي وقصوري مؤملاً ان تكون خير وسيلة للرقيّ وامثل طريق للسعادة وكنت لا اظهر شيئاً من علم او معرفة الا ويقابل بالبشاشة ونظر الاعجاب وانقد عليه كثيراً من كلمات التحسين والتحبيذ المستخرجة من خزينة (آفرين) التى لا نفاد لها والتى شكا منها الشاعر نابى (١)

لكن بعيشك قل لى هل استفدت من سعيي بطائل ؟ وهل اثمر سوى

---

(١) نابى احد مشاهير شعراء الترك وحكمائهم والمقصود من شكايته قوله :

ارزان متاع فضل وهنرباق نه رتبه كيم بيك معرفت زمانه ده سر آفرينه در

ارباب دهر هر هنره آفرين ويرر يارب بو آفرين نه تو كنمز خزينه در

والمعنى تأمل فيما آلت اليه اثمان المعارف والفضائل فى هذا العصر ترى الاديب يظهر الف اثر فلا ينقد عليه سوى (آفرين) واحدة وهكذا ارباب العصر جميعهم يعطون في مقابل كل اثر ادبى آفرين آفرين فيا عجباً لخزينة آفرين كيف لا ينفد مددها ولا يفنى عددها . وآفرين كلمة استحسان تركيه كمرحى فى العربية

الخيبة والحرمان ؛ وهل كانت بشاشتهم فى وجهي سوى ضحك يدل على الاستهزاء والسخرية بأوضح تعبير . ان أولئك الخسرة الذين سميتهم ظلمة قد غمطوا حقي بغير مساغ مع انهم واحنقاه يعترفون بذلك . يقولون لى « هكذا جرى فلا تتألم » كما اذا ضربت احداً بلا ذنب ولا سبب وقلت له : لا تأس ولا تتكدر

يالعجب ! هل انا من قوم رزئوا بالعجز واصيبوا بكل ضروب المهانة فأتحمل هـذه الاهانة ؛ هل انا اسير الذلة او ذليل المنة حتى احني ظهرى للاستخذاء ؛ هل شأنى شأن أولئك الاذلاء الذين رئموا الدناءة والفوا المهانة حتى أرانى اوطأ بأقدام المذلة ثم اعتدّ ذلك حسناً جميلاً ؛ ما هو السبب للإغضاء والتحمل ؛ لست عاجزاً ولا وضيعاً فاهضم الظلم واغمض على القذى . لست خالياً من العزة وعلو الهمة فاحمل نفسي على الرضى وعدم المبالاة . لست من فاقدي العزيمة الذين يستحوذ عليهم اليأس فيفرطوا فى حقوقهم حتى ازج نفسي فى زاوية الضعة والخمول . فطرتى ليست ملوثة بالجبن والخور حتى اتهيب من ادعاء الحق . طينتي لا يشوبها شيء من الخساسة والسفالة حتي اطأطئ عنقي لصفعة الاهانة . لا يليق بالجرىء الذي لايهاب ان يعمل عمل الجبان العاجز حتى اسلك سبيل الدهان والنفاق فاسمى الباطل حقاً والمنكر معروفاً . لا يحسن بذى الغيرة والحمية ان تتحول حرارة غيرته وغليان حميته الى برودة وخمود حتى ارى بعيني من يبتز حقى وينتهك حقيقتى ثم اسكت كظيماً . وانكس مهضوماً . لا ارضى ان اكون فاقد الشعور كالاموات عديم التأثر كمن إيفت حواسه . انا حيّ اشعر بحقوق الاحياء فاتألم من كل ما يصادم الحق ويمس الشرف . انسان انفر

واضطرب لكل معاملة تنابذ الانسانية وتحط من كرامتها .

واعجباً ! تسمى البهائم جهدها فى صيانة فرائسها وحفظها من مخالب اعدائها واتقاعس انا عن انتياش حق من ايدى الظلمة المتغلبين . هل الانسانية احط شأناً من البهيمية ام الحق المقدس فى نظري من محقرات الامور والسفاسف التى لا يؤبه لها ؟

قسماً بالقهار المنتقم لاجتهدن ولأثبتن فى الدفاع عن الحق حتى آخر نفس من حياتى . ولو اعترضت دونى شوامخ الجبال وقام فى وجهى سد من حديد لاقتحمنّها بعزم المتجلد وصبر المستميت . ما دمت اجد فى لسانى ذرابة واحسّ من قلبى بمضاء فلست بممسك لسانى عن القول ولا بوازع قلبي عن العمل . ما دام فى قلبي صبر وفى عزمي قوة فلا احبس نفسى عن الكفاح ولا امنع قدمى عن الاقدام . بل لو تمثلت فى سبيل عزيمتى الاهوال ، وكشرت لى عن انياب غوائلها الاغوال ، وكل ما يسمونه خطراً وهلكة لما صدنى ذلك عن بلوغ غايتى ولما غشينى لاجله ونًى ولا فتور

قد كنت قلت قولاً واقول الآن : « ان لديَّ من السآمة للحياة بقدر ما عند الناس من الكراهة للموت » . لتنغمس تلك الحياة المرة فى بحار ظلمات العدم التى لا يدرك قعرها . لتهوِ فى آخر دركات الجحيم . نعم ماذا يضر لو عجنت قبضة من تراب الارض بدم مظلوم اريق فى سبيل نصرة الحق . لكن ليعلم الظالمون وليكونوا فى أمن من رؤية انتقالى من دار الدنيا قبل ان اعمل فى تشهير قبائحهم والإشادة بمخازيهم وفضائحهم في اقطار العالم واصب على رؤسهم – وسحقاً لها – سياط المصائب واقذف عليهم صواعق البلاء وادعهم يئنون تحت اعبائها ويتململون من مس آلامها

لا جرم ان موقد نار الظلم والعامل على تخريب البيوت لا تنام عنه العيون . « وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون »

ياسبحان الله ! بينا انا فى صدد الاعتذار عن عدم كتابة رقيم اليك واذ بالتأثُّر والامتعاض حفزنى من حيث لا اشعر فهِمْتُ فى كل واد وتفننت فى اساليب الكلام . على انه لا ينبغى العجب فان من كان مثلى مخاطبي فى الاطلاع على الخفايا والوقوف على الاسرار يجب ان لا اكتمه حديثاً ولا اخفى عنه ما يحوك فى ثنيات النفس

فهاك ياسيدى قصتى عرضتها على النظر الكريم ويغلب على ظنى ان معذرتى عن تراخى مكاتبتي تتكفل بعفوكم لان قبول المعذرة من شأن الكرام . وارى ان اختم كلامي بعرض افتقارى الى فوائدكم العلمية واود ان اكون ذا نصيب منها مولاى

« للفيلسوف الاسلامي ابى العلا المعرى »

اذا مدحوا آدمياً مدحـ ... ـت مولى الموالى ورب الامم
وذاك الغنىُّ عن المادحين ... ولكن لنفسى عقدت الذمم
له سجد الشامخ المشمخرُّ ... على ما بعرنينه من شمم
ومغفرة الله مرجوّة ... اذا حبست اعظمى فى الرِّمم
مجاورَ قوم تمشى الفنا ... ء ما بين اقدامهم والقمَم
فيا ليتنى هامداً لا اقوم ... اذا نهضوا ينفضون اللِّمم
ونادى المنادي على غفلة ... فلم يبق فى اذن من صمم
وجاءت صحائف قد ضُمِّنت ... كبائر آثامهم واللَّمم

فليت العقوبة تحريقهُم فصاروا رماداً بها اوحُمَم (١)
رأيت بني الدهر في غفلة وليست جهالتهم بالأمم (٢)
فنسك اناس لضعف العقول ونسك اناس لبعد الهمم

« للشاعر العصري المجيد حافظ افندي ابراهيم »

هجعت يا طيرُ ولم اهجع ما انت الا عاشق مدعى
لوكنت ممن يعرفون الجوى قضيت هذا الليل سهداً معي
يا من تحاميتم سبيل الهوى أعيذكم من قلق المضجع
وحسرة في النفس لو قسمت على ذوات الطوق لم تسجع
ويا بني الشوق واهل الاسى ومن قضوا في هذه الأربع
عليكم من واجد مغرم تحية الموجع للموجع
لله ما اقسى فؤاد الدجي على فؤاد العاشق المولع
هذا غليظ لم يَرُضه الهوى ما بين جنْبَيْ اسود أسفع
وذاك في جنبيْ فتى مدنف على سوى الرقة لم يطبع
واغيدٍ اسكنته في الحشا وقلت يا نفس به فاقنعي
نفاره اسرع من خاطري وصدّه اقرب من مدمعي
وخدّه لا تنطفي ناره كأنما يقبس من اضلعي
تساءلت عنى نجوم الدجى لما رأتني دانيَ المصرع
قالت نرى في الارض ذا لوعة قد بات بين اليأس والمطمع
يئنّ كالمكبود او كالذى اصابه سهم ولم ينزع

(١) اى ياليتهم يحرقون فيكونوا رماداً او فحماً ولا يكون عذابهم دائماً

(٢) الامم بالتحريك القريب اى انهم عريقون فى الجهالة وبعيدو العهد بها

إن كان فى بدر الدجى هائما | اما لهذا البدر من مطلع
او كان فى ظبي الحمى مغرماً | اما لهذا الظبي من مرتع
هيهات يا انجم ان تعلمى | من ذا الذى اهواه اوتطمعى

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(القسطاس المستقيم) بحق لقبت الامة الاسلامية الامام ابا حامد الغزالي بحجة الاسلام فقد كان فى بدايته حجة المتكلمين والفقهاء المقلدين وفى نهايته حجة الأئمة المجتهدين بل حجة العلم والدين . ومن اجل ما كتبه فى نهايته وانفعه كتاب (القسطاس المستقيم) وهو مصنف مختصر يشرح فيه مناظرة جرت بينه وبين رجل من اهل مذهب التعليم الباطنى الداعين الى القول بالامام المعصوم فى كل عصر

وقد جاء فى رسالة المحاورة الثامنة بين المصلح والمقلد فصل من فصول هذا الكتاب فكانت نموذجاً اغنانا عن التطويل فى تقريظه . وفيه ان الموازين التى تعرف بها الحقائق ثلاثة فى الجملة وخمسة فى التفصيل وقد استخرجها كلها من القرآن . وقد طبع هذا الكتاب من عهد قريب الفاضل المهذب الشيخ مصطفى القبانى الدمشقي بمطبعة الترقى الشهيرة واضاف اليه هوامش لايضاح بعض العبارات وتفسير بعض الكلمات . وذكر فى اول الكتاب ترجمة الامام الغزالى رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين . وثمن الكتاب ثلاثة غروش اميرية وهو ثمن بخس بالنسبة الى ورقه الحسن وطبعه الجيد واما بالنسبة الى فوائده فلا يوفيه حقه الا من عمل بهديه القويم ، ووزن بقسطاسه المستقيم ، وهو يطلب من مكتبة الترقى ومكتبة هندية ومكتبة جمالى وخانجي بالقرب من الازهر

(المرأة المسلمة) كتاب جديد يقارب كتاب المرأة الجديدة فى حجمه ويخالفه فى مباحثه غالباً لحضرة الكاتب الفاضل محمد فريد افندي وجدى . واكثر مباحثه فى المرأة اجتماعية نظرية يحتج عليها بما كتبه بعض علماء الغرب وفلاسفتهم فى انتقاد تربية النساء وطرق تعليمهن والافراط فى حريتهن . ومعلوم ان طريقة العلماء والسياسيين الاوربيين فى الانتقاد ان يغلو كل فريق منهم فى طرف يخالف فيه الآخر لتظهر خفايا الامور للجمهور لاجل العمل بها عند ظهور بارقة الحقيقة من بين تصادم الافكار وقدح زناد الانظار . ومن اراد معرفة المرجح عندهم فلينظر الى ما عليه العمل لا الى جمل فى جريدة او كتاب وكذلك الحال عند كل امة فالحالة التى عليها نساؤنا هي المرجحة عند مجموع امتنا وان ذمها بعض العقلاء والفضلاء ولن تتغير حتى تتغير شؤن التربية واحوال المعيشة والعلم بالمصلحة وهذه الكتابات فى شأن النساء المهمل عندنا التى دفع الناس الى الخوض فيها تأثير كتابى الفاضل قاسم بك امين ستكون من اسباب التغيير ولو بعد حين

وكتاب «المرأة المسلمة» مؤلف من مقدمة وثلاثة عشر فصلاً وخاتمة لخص فيها جميع الفصول فى تسع نظريات وقد صدق وانصف بتسميتها نظريات — وهي : (١) المرأة اضعف من الرجل جسماً واقل منه قبولاً للعلم لان وظيفتها الطبيعية تقتضى ذلك لا لأن تكون خاضعة للرجل (٢) كمال المرأة فى موهبة روحانيــة متعت بها اكثر من الرجل وهى الشعور الدقيق والعواطف الرقيقة واستعدادها لتضحية نفسها فى سبيل الخير وهذه المواهب اذا نمت فيها تكون لها مكانة تحنى لها الرؤوس اجلالاً ولكنها لا تنمو الا تحت قيادة الرجل «ولو فاقته فيها واستطاعت ان تأسره بها ولكنها

لا تأمره بها لانها لو فعلت بطل مضاء سلاحها وزايلتها بهجة موهبتها فتقع فيما لا ترضاه لنفسها» (٣) ان هذا الكمال لا تناله المرأة الا اذا كانت زوجة لرجل واماً لأطفال تربيهم تربيـة صحيحة (٤) « ان اشتغال المرأة باشغال الرجال قتل لمواهبها واذهاب لبهجتها ومدعاة الى هبوطها ومفسـدة لتركيبها ومجلبة للخلل فى امتها وان عمل المرأة الغربية خارج بيتها يعده علماء بلادها جرحاً دامياً فى فؤاد الامة واثراً من آثار اسر الرجال للمرأة ويعملون بكليتهم على تضييق دائرته » (٥) ان الحجاب ضرورى للنساء لصلاح النوع الانسانى كله على العموم وصلاحها على الخصوص لانه ضمانة استقلالها وكفالة حريتها لا علامـة ذلها وعنوان اسرها . وقلنا انه لا يمنع كمالها بل يهيئه وانه وان كان له شئ من المضار كما هى طبيعة كل شئ فان مزاياه وفوائده لا تقدر ومن اظهرها ان يجبر المرأة الى عدم تخطى دائره وظيفتها الطبيعية التى فيها كل سعادتها ويوجهها لتنمية خصيصتها السامية التى هى سلاحها الوحيد فى هذا الحرب الحيوية » (٦) « المرأة فى المدنية المادية ليست كاملة ولا سائرة الى الكمال » (٧) « ان طرق التعليم فى كل ممالك اوروبا واميركا غير صالحة للنساء بشهادة اصحابها انفسهم » (٨) « ان تعاليم الديانة الاسلامية بالنسبة للمرأة موافقة لفطرتها تمام الموافقة فهى كالقالب التام التركيب لجميع خصائصها وملـكاتها بمعنى ان تلك الخصائص لو نمت على حسب تلك التعاليم لبلغت المرأة المسلمة اعلى شأو يمكنها ان تبلغه بدون ان تتعدى حدودها الطبيعيه » (٩) « لا ينقص المرأة المسلمة لكى تبلغ اكمل نقطة يمكن ان يناله جنسها الا تعلم مبادئ العلوم الضرورية ليس الا »

هذا مجمل مسائل الكتاب ويطاب من مؤلفه ومن مطبعة الترقى

مصاب الصحافة . وفاة بشارة باشا تقلا

فى ليلة السبت الماضى (١٥ يونيو سنة ١٩٠١ — ٢٨ صفر سنة ١٣٩١) تقوض ركن الصحافة الركين ، وفت فى عضدها المتين ، حيث حل القضاء المبرم ، ونزل القدر المحتم ، فاختطف بشارة باشا تقلا صاحب جريدة الاهرام العربية وجريدة البراميد الفرنسوية وهو فى مستوى طور الكهولة ناهز الخمسين ولم يبلغها . وقد تقدم هذا القضاء السماوي بعشرين يوماً انذار مرضيٌّ حار نطس الاطباء فى معرفة حقيقته ، ولم يهتدوا الى طريقة معالجته . والارجح انه كان فى ذلك الدماغ الجوال ، الذي كان كصاحبه لا يعرف الاعياء والكلال ،

ورد الفقيد وادي النيل من لبنان مع اخيه الكاتب الشهير سليم بك تقلا منشئ جريدة الاهرام واشتغلا بالصحافة وكانت ارضها مواتاً فاحيتها همتهما ، وغرسا واستثمرا بجدهما وعزيمتهما ، وقد كانا سليم وبشارة ، يقتسمان التحرير والادارة ، فلما اغتالت المنون احد الفرقدين ، نهض الآخر بالامرين ، وتقدمت الاهرام به وتقدم بها فأصاب ثروة طائلة وجاهاً عريضاً وما زال يرتقى فى رتب الدولة العلية ويتمتع برواتبها ويتحلى بوسامات الشرف منها حتى بلغ رتبة (روم ايلى بكاربكى) التى لا يعلوها فى الرتب الملكية الا رتبة الوزارة وتحلى بالوسام المجيدى الاول . وكان محلًّى بوسامات دول اخرى كوسام ليجون دونور الفرنساوى من الدرجة الثالثة ووسام سان استانس لاسى الروسى ووسام المخلص اليونانى من الدرجة الثانية ووسام الافتخار التونسى وغير ذلك

نجحت الاهرام فى اول عهدها بمساعدة الحكومة المصرية لاسيما فى ايام وزارة دولتلو رياض باشا الذى لم تنجح جريدة من الجرائد الشهيرة الغنية

بمصر الابسعيه حتي قيل ان الحكومة كانت تلزم الموظفين والوجهاء بالاشتراك وتكلف جباتها بتحصيل قيم الاشتراك منهم ثم لما انقضى هذا الدور وصار الناس مختارون فى الاشتراك استمر النجاح بسعى الفقيد الموافق لحالة البلاد الاجتماعية والادبية وقلما ينجح عمل مخالف لاستمداد الناس الا ان يكون بعد تأسيسه بزمن طويل

وقد احتفل فى مساء يوم السبت بجنازة الفقيد احتفالاً لائقاً بمقامه مشى فيه كثيرون من الوجهاء والفضلاء ومنهم اصحاب الجرائد المصرية كلهم وصلى عليه فى كنيسة الروم الكاثوليك ودفن فى قرافتهم بمصر العتيقة وابنه على القبر كل من الاديب يوسف افندى البستانى والاصولى الفاضل نقولا بك توما ورجع المشيعون وهم يستمطرون له الرحمة ويدعون لقرينته الفاضلة ولولده النجيب بالعزاء والسلوة

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

الواسطة والزيارة — او ابن تيمية والسبكي

من المؤلفين من حظه كثرة النقول ، وان خالفت المعقول . وارضاء العوام ، ولو بما يضر الانام ، ومن الناس من يتحرى الهداية والارشاد ، وإن استهدف لسهام الانتقاد ، وما تفرد احد بالامامة فى عصر ، وبرز على العلماء فى قرية اومصر ، الا ساط عليه الحاسدون ، وطعن فيه المعاصرون ولقد كان الامام احمد بن تيمية فى عصره ناصر السنة ، وخاذل البدعة ،

والمحيط بعلوم الدين ، والمحيي اجتهاد المجتهدين ، وكان جرد حسام قلمه لمحاربة البدع والدعوة الى مذهب السلف لاسيما فيما يتعلق بالعقائد واصول الدين فحمل عليه بعض علماء التقليد الذين يرون معاشهم وجاههم بارضاء العامة فخاضوا فيه كما خاضوا فى الائمة من قبله . ومضى الزمان على ذلك

وقد انتدب بعض الفضلاء فى هذه الايام ، لاحياء مؤلفات هذا الامام ، فبدأ بطبع رسالة الواسطة التى تحمى حقيقة التوحيد وتدعو الناس لان يوجهوا وجوههم فى طلب حاجاتهم للذى فطر السموات والارض وان لا يعبدوا غيره ولا يستعينوا فيما وراء الاسباب التى سنها لهم الا به وان لا يتخذوا غير دينه واسطة بينهم وبينه لانه تعالى كما قال اقرب اليهم من حبل الوريد

فرأى بعض المشايخ الذين يحبون الشهرة عند العوام ويرون لهم فى ذلك منفعة وجاها ان ينتصر لهم فيما يأتونه فى الاضرحة من البدع والمنكرات وطلب الحاجات من غير الله تعالى بالرد على الامام بن تيمية فسعى بنشر عدة رسائل احداها منسوبة للقاضى تقى الدين السبكى الشافعي الشهير . وكتب مقدمة لهذه الرسائل جاء فيها بالتناقض واقام الحجة على نفسه فكان قاضياً حكم على كلامه وكلام السبكى بالابطال من حيث لم يفهم الا أن يكون اراد ان يدلس على الناس بالتمويه . وافتتح المقدمة بتشبيه مشهور انتحله لنفسه والارجح انه لم يفهمه لانه استعمله فى غير موضعه .

اما تناقضه وتهافته فهو انه ذكر اولاً انه لاشفاء لاحد من الامراض الروحية ولاسعادة له الا باستعمال أدوية الدين وهى كتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف الصالح وهذا مايدعو اليه الامام بن تيمية ومن على شاكلته من اهل الهدى . ثم أنشأ بعد هذا التمهيد يثبت لاجل الرد على

ابن تيمية ان بين العباد وبين ربهم واسطة تحجبهم عنه ولا يمكن الوصول الى مرضاته الا بها وهى غير دينه الذى شرعه لهداية الناس ولما لم يجد لهذا دليلاً من الكتاب ولا من السنة ولا هدي الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين حاول ان يثبته بالاحتمالات الخيالية كاحتمال ان لأرواح الاموات تأثيراً وامداداً كما يقول بعض الفلاسفة وذكر بعض كلمات من شرح قصيدة ابن سينا الفيلسوف ومن غيرها . وحسب صاحب هذه المقدمة انه يدعو الى كتاب مملوء بالموضوعات اي بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كان لم يقرأه فهو شاهد زور والا فهو لا يميز بين الصحيح والموضوع . قال فى الاستدلال على انتفاع العامة بالقبور والاضرحة ان الانسان يتأثر بتصوراته . وهذا صحيح ولكن هذا التأثر وهمي يحصل للمعتقد بالشيء ولو كان صنماً وينقل مثله عن عوام سائر الملل فهل يكون قوله هذا حجة على ان دين الاسلام ، بنى عقائده وعباداته على اسس الاوهام ، وزعم ان العامى لا يعتقد ان الولى يؤثر أو ينفع وانما يعتقد انه يدعو الله تعالى معه فيكون الدعاء ارجى للقبول وهذا الزعم منقوض بما يشاهد من العوام من طلب الحوائج من الجمادات كباب المتولى ونعل الكلشنى وشجرة الحنفى وشجرات الست المنضورة التى تحبل العاقر وغير ذلك . وجعلوا لكل ولى وظيفة فبعضهم يشفى الامراض المزمنة وبعضهم يشفى الرمد الحاد وبعضهم يرد الاطفال الضالين (التائهين) الى غير ذلك . على ان رسائله التى نشرها لارشاد المسلمين تصرّح بان الله وكل بقبور الاولياء ملائكة تقضى حاجات زائريها وان بعضهم يخرج من قبره فيقضى الحاجة بنفسه . وهذا شيء لا يعلم الا من الوحى ولم يرد به كتاب منير ولا سنة صحيحة . وسنعود الى تتمة الانتقاد

الجزء التاسع (المجلد الرابع)

المنار
١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الاربعاء ١٦ ربيع الاول سنة ١٣١٩ — ٣ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١ ﴾

التقليد

« خطاب ألقاه في المدرسة الكلية الاميركانية في بيروت الفاضل الاديب »

« عبد الرحمن افندي شهبندر »

من تأمل هذا الوجود بعين الحكمة يعجب وتأخذه الحيرة لما يظهر له ما يطرأ على الامم من التغيرات والتقلبات : فبينما هو ينظر في باب من ابواب التاريخ الى ماوصلت اليه الامة المصرية مثلاً ايام الفراعنة من العظمة والمجد المؤثل يرى في باب آخر ان هذه العظمة قد انتقلت وهذا الجد قد زال واصبحت تلك الامة في قبضة امة اخرى تتصرف فيها كيفما شاءت وشاء الهوى . وما قيل عن المصريين يقال عن الكلدانيين والاشوريين والبابليين واليونان والرومان . امم زالت وآثارها تشهد لها بان ذكرها لن يزول . ولعمري لو نظر احدنا الى ممفس ايام مجدها أو الى نينوه ايام عزها أو الى اثينا ايام حكمتها أو الى رومية ايام سطوتها لكذب التاريخ في مايدعيه من زوال تلك المدنيـة واظن انها لا تزال مخيمة بتلك الربوع لا تؤثر فيها

عوامل الزمان ولاتزعزعها طوارق الحدثان . ولو قال اليوم احد ان مدنية الانكليز مثلاً ستزول يوماً ما حتى لو ذهب احدنا الى لندن لرآها أثراً بعد عين ولرأى وستمنستر ها كهيكل عظمي في مدينة اموات لكذبناه ونسبناه للجنون . لكن من تدبر نواميس الكون وقاس الحال بالماضي وحكم الماضي بالحال عرف ان ذلك من الممكنات وما أرانا اياه التاريخ اثباتاً لهذه الحقيقة يكفي لمن القى السمع وهو شهيد

لكن ماهي تلك النواميس وماالذي يحفظ المدنية وماالذي يذهبها؟ هذه اسئلة صعبة جداً لا يمكننا ان نجيب عنها كلها في هذه المدة القصيرة بل يكفي ان نقول ان حكمة التاريخ وعلم العمران افادانا ان للكون نظاماً بديعاً وسنناً محكمة استخرج الغربيون اكثرها واستعملوها في حفظ حياتهم ونحن عن ذلك لاهون مع اننا باستخراجها واستعمالها اولى لما يتلى كل يوم فوق رؤوسنا « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا » « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً »

فمن هذه السنن ان الامة متى فسدت آدابها واخلاقها فسد عمرانها لان الآداب والاخلاق هي الرابطة في الاجتماع البشري ومتى انحلت هذه الرابطة انحلت عراه : ولنا في المصريين والرومان اعظم شاهد فقد اجمع علماء التاريخ على ان من اعظم الاسباب في زوال دولتيهم فساد « العائلة » وسوء التربية وانتشار الفجور والعياذ بالله تعالى

ومنها وهو قريب من الاول ان ظلم الدولة مؤذن بخرابها لماله من تثبيط الهمم عن الاعمال ومتى توقف عمل الامة وحركتها تأخر عمرانها

قال العلامة ابن خلدون : « ان العدوان على الناس في اموالهم ذاهب

بآمالهم فى تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من ان غايتها ومصيرها انتهابها من ايديهم واذا ذهبت آمالهم فى اكتسابها وتحصيلها انقبضت ايديهم عن السعى فى ذلك والعمران ووفوره ونفاق اسواقه انما هو بالاعمال »

ومنها ايضاً ان الامة التي تنزوى عن الامم الاخرى لاعتقادها انها اعظم منها علماً وأدباً وفضيلة ونسباً تصبح وراء تلك الامم اذ تقدم العمران يتوقف على المباراة والمسابقة ولا نجاح بدونهما فالصينيون لما اعتقدوا انهم افضل الامم نسباً لاتصالهم بالآلهة واتصال غيرهم بالشياطين وان بلادهم اخصب البلاد واجملها وان عوائدهم افضل العوائد وان لا علم الا عندهم وان الحكمة لم تتخط سدهم وشطوطهم وان . . . وان . . . قطعوا علائقهم مع غيرهم احتقاراً لهم فكانت النتيجة ان بقى عمرانهم تقريباً على ما كان عليه منذ الفي سنة ان لم نقل قد تأخر . فأخنى عليهم الدهر بأن ارسل عليهم من اليابان واوربا ريحاً صرصراً قوضت اركان مجدهم واقتلعت جذور عزهم وما سيصيبهم اعظم وكل آت قريب

هذا قليل من كثير اوردناه برهاناً لقولنا ان للكون نظاماً بديعاً وسنناً محكمة وأهم منه بالنسبة للمشرق موضوعنا (التقليد) وقبل الخوض فيه نقول ان بعض العلماء اطلق هذه الكلمة على بعض الاعمال الخارجة عن الارادة يعملها المرء بعد ان يحركه بمثلها محرك آخر كما اذا نظرنا الى احد يتثاءب او يتلجلج فى كلامه فربما نقلده بلا شعور منا الا ان هذا النوع غير داخل فى بحثنا فاننا انما نبحث فى التقليد الارادى" وتأثيره فى العمران وهو غريزي فى الانسان وعليه بنى الاجتماع البشرى فمن الحقائق التى لا مشاحة فى

حقيقتها ان الطفل مطبوع على تقليد غيره فحركاته تكون فى اول امره غير مضبوطة ولا متناسبة ولكن كلما تقدم فى السن نراه يجتهد ان يأتى بحركات كحركات مرضعته ووالديه فيظهر اول الضبط والتناسب فى عمله. والامم المتوحشة والتى حظها من المدنية قليل تشبه الطفل بذلك قال ماسون «بينا نرى الكاريين لا يأتون بجديد نراهم ميالين الى التقليد اكثر من الصينيين» وذكر (موات) ان الاندمانيزيين اذا سئلوا سؤالاً اعادوا لفظه كالببغاء من غير جواب. والاعجب ان الفارانيين مع احكامهم التقليد اذا ترك لهم عمل ولوكان بسيطاً جداً خبطوا فيه خبط عشواء. والجامدون فى هذه البلاد يشبهون هؤلاء المتوحشين بميلهم الى التقليد الاعمى فانهم اذا رأوا احداً يجتهد بجديد من الاعمال النافعة او استخراج معنى من كتب الدين هزأوا به قائلين: من اين لنا ان نأتى باعمال كهذه ومن منا قادر على فهم تلك الكتب دع ذلك للمتقدمين فزمان الاجتهاد قد زال وما علينا الا التقليد؟

هذا يدلنا على ان التقليد من طبيعة الانسان ويدلنا أيضاً على ان ما يشغل العقول القاصرة من الصور العقلية للحركات الخارجة أو لغيرها يسوق اصحاب هذه العقول صاغرين للاتيان بمثلها. وربما يصير ذلك بعد قليل شبيهاً بالحركات الطبيعية البدنية الخارجة عن الارادة كحركات المعدة فى الهضم والرئتين فى التنفس والقلب فى الدورة الدموية. والسبب فى ذلك ان قليل التصور ساقط النتيجة لايستطيع الاجتهاد باكثر المسائل فيستنتج انه غير قادر على الاجتهاد مطلقاً والجامد يتجنبه لما فيه من الاشتغال العقلى فهو عدو كل حركة ولو قيل «الحركة بركة»

التقليد من حيث هو انوع متعددة والذى يهمنا منها هنا نوعان التقليد فى العوائد والتقليد فى العلم وهما يشبهان السلطة الشرعية . فكما ان هذه ضرورية للعمران كذلك ذانك اذهما قانونه المعنويّ وكما ان هذه السلطة الشرعية كثيراً ما يساء استعمالها فبدلاً من ان تكون مدبرة عادلة تكون مستبدة ظالمة كذلك ذانك والمقصود من سوء استعمالهما ان يصبحا عبئاً ثقيلاً على عاتق الامة وحاجزاً منيعاً دون بلوغها ما اصبح لها لازماً ضرورياً . وعلى هذا الاخير بنيت موضوعى واليه وجهت خاطرى لما له من التأثير السيء فى البلاد . والتقليد الاعمى فى العوائد يظهر عندنا كثيراً ايام الاعراس ايام يعرض جهاز العروس فى الاسواق محمولاً فى العربات أو موضوعاً على رؤوس الرجال — ايام يفتح العروس ابوابه ويمد الموائد ويحشد الجموع التى يكاد ضجيجها يصل الى السماء — ايام يصرف الالوف على الازياء المضرة بالصحة يفعل ذلك كله لئلا يقال انه لم يقم بالفروض ولو كان كما يقول المثل « يبيع الماعون قياماً بالقانون » (استحسان)

اما مجالسنا فهى مظهر التكلف واذا نظرنا الى اكثرها ما ذا نرى ؟ تالله لانرى الا اناساً جالسين وعلائم السآمة تلوح على وجوههم اذا تكلم احدهم فانما يتكلم ليقال عنه انه مسرور وغالباً يكونون صامتين كالأصنام لا لبكم بل لان افكارهم مصروفة الى الخزعبلات — هذا يفكر فى قلة ادب الحاضرين لأنه لما خرج من المجلس لغرض له وعاد لم يقوموا له وذاك يبحث فى سوء معاملتهم له لأنهم لم يضعوه فى صدر المجلس — هذا يقول فى نفسه ان صاحب البيت لم يستقبلنى استقبالاً لائقاً بى فياليتنى لم ادخل بيته — وذاك ينتقده انه لم يسرع بتقديم الاركيلة (الشيشة) والسيكارات

هذا يشتم الخادم فى نفسه لانه اعطى فلاناً القهوة قبله وذاك يتألم من سيده لانه لم يقل له « شرفتم » بعد ان شربها — هذا وهذا ... كل منهم يفكر فى هذه الترهات ويخوض فى هذه الجهالات حتى اننا كثيراً ما كنا نسمع من يخرج من مجالس كهذه يقسم الايمان المغلظة انه لن يحضر اجتماعا بعدها ابداً (تصفيق)

اى مقابلة بين مجلس كهذا ومجلس لايدخله الا من صفت قلوبهم وراق ودهم يعرفون معنى الصحبة ويقدرون فائدة الاجتماع حق قدرها — هذا يأتى بنكتة فيقابله الحاضرون بالسرور ، وذاك يلقى فائدة فيتلقونها بالحبور ، حدائق افكارهم لا تأتى الا بيانع الثمر ، وبحار ابحاثهم لا تجود الا بأثمن الدُّرر ، يعلمون أن المقصود من الاجتماع التعارف ومبادلة الافكار ، لا تناول القهوة واستعمال السيكار (استحسان)

كلٌّ منا ذاق لذة ما نسميه ساعات « الصدف » وود لو تكون كل ايامه مثلها واحس بمجالس الكلف ومالها من الاضرار فطنطنة عود يسمعها المرء وهو مار فى الشارع ربما تفوق لذتها لذة ما كان يحضره من المجالس الموسيقية ويصرف دراهمه لسماعها والسبب فى ذلك ماقال المستر هربرت سبنسر وهو انه كلما ازداد التكلف المحيط بالاجتماعات نقص السرور الحاصل منها لانه لا يمكن القيام بواجباتها الاساسية كلها فكيف بالتكلفات الزائدة المضرة ؟

وما قيل عن المجالس يقال عن الولائم ويزيد فى الفتق هنا امر المأكول . اعرف رجلاً كان يحب ان يدعو صديقاً له ولكن منعه من ذلك انه لايقدر ان يقدم له اربعة وعشرين نوعاً من المأكول . والاعجب

انا صرنا بالتكلف المضر والتقليد الاعمى اذا اردنا ان ندعو صديقاً لنا دعونا معه كل من نريد ان نوفيه ما له علينا من يَدٍ كدعوة ماضية او قضاء مصلحة ولو لم يكن بينهما مودة . وهذا نتيجة حالتنا الحاضرة لان الكلفة توجب علينا ان يكون المدعوون جمعاً كي يخف المصرف ولو لم يحصل المقصود . (استحسان)

ولو اردنا ان نعدّد ما يجرى على المائدة وكيف ان احد المدعوين اذا شبع لا يقدر ان يقوم حتى يشبع البقية لئلا يقوموا معه وهم جياع لطال بنا الكلام وأدى الى غير ما كنا نتوخاه من الاختصار . ولهذه المجالس والدعوات اضرار كثيرة لا ينبغى ان نتركها كلها :

منها الاسراف الذى يؤدى الى الخراب فالرجل المتوسط الحال اذا اراد ان يقوم بواجبات الاجتماعات فلم يأخذ بيتاً الا فى احسن بقعة من البلد ولم يضع فيه الا اثمن الاثاث ولم يلبس الا آخر زيّ ولم . . . ولم . . . يصبح وبساطه الثرى فتحزُّ الدموع فى جلباب خده ولكن لا ينفعه البكاء

ومنها تخفيف المعاشرة الصحيحة التى هى ضرورية للعمران لان من اراد ان يمد رجليه على قدر لحافه ينبغى له ان يقل من الاجتماعات ما امكن والا يصبح معدماً كما قدمنا . ومنها ان هذه الحالة توجب للذين لا يتحملون تكاليفها ان يميلوا الى بعض العوائد المضرة كالجلوس فى (القهاوى) وصرف الاوقات فى لعب الورق والبليارد لان المرء اذا فقد شيئاً يسره لا بد له من شيء يقوم مقامه

وما قيل عن الاعراس والمجالس والولائم يقال عن الازياء الا ان الوقت لا يساعدنا ان نبحث فيها لان عندنا ما هو اهم منها وهو التقليد

فى العلم .

الباحث فى علم الاستقراء يرى ان من اعظم الاسباب التى تمنع من تصحيح الافكار التقليد فى العلم . قام ارسطو فى القرن الرابع قبل المسيح وأسس فلسفة بناها على ما بلغ اليه من العلم ثم مضت بعد ذلك مئات من السنين والناس تحذو اثره حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل فلم يأتوا بجديد بل ربما تأخروا عنه حتى ظهرت الامة العربيـة للوجود وقام اساطينها ينتقدون هذه الحالة وفى مقدمتهم الحكيم الفارابى يبين لنا ان كون ارسطو شيخ الفلسفة لايوجب علينا ان نسلم كلامه تسليما اعمى بل ينبغى ان نبحث فيه فما وافق منه العقل قبلناه ، وما خالفه نبذناه ، وما كادت تنتشر امثال هـذه الافكار فى الامة حتى كشفت الحكمة الشرقية جلبابها ، وبرزت الآيات العربية من حجابها ، ثم اصابنا ما اصابنا مما يطول شرحه فانتقضت الاحوال واصبح سوق العلم عندنا كاسداً وما لنا اليوم الا ان نقول :

هل الدهر الا ليلة ونهارها   والا طلوع الشمس ثم غيارها

وكان الغربيون رأوا فضل العلم عند الشرقيين فاخذوا يجدون السير فى طلبه لكنهم لما حصلوا على بعض العلوم واكثرها لارسطو لم يخرجوا عن نطاقها بل ربما كانوا يمسخون اكثرها وظهور (السكولمن) ومباحثهم العقيمة كقولهم : كم عدد الملائكة الذين يمكن ان يرفعوا على رأس ابرة واحدة ؟ تشهد لما قدمناه . وهكذا بقى الحال عندهم تقليداً أعمى لرجل لا يفهمون جل كلامه حتى قام (فرانسيز بيكون) فى اواخر القرن السادس عشر للميلاد وبين فى طريقته الجديدة كمن سبقه من حكماء العرب انه ينبغي لنا ان لا نأخذ

قولاً الا بعد البحث فيه . فكانت نتيجة اعماله ان اظهر الغربيون فى ثلاثة قرون من آثار العمران ما لم يسبقهم اليه أحـد . نعم لا ننكر انه حصل بعد ذلك شيء من التقليد المضر كرفض الانكليز تطعيم الجدرى لما اخترعه جنّر لاعتقادهم انه يخالف ارادة البارى تعالى الا اننا نرى حكومتهم بعيد ذلك كافأته بمقدار ثلاثين الف ليره

امانحن الآن فـكأننا خلقنا للتقليد فانه يظهر فى عوائدنا كما قدمنا ، فى زراعتنا ، فى صناعتنا ، فى تجارتنا ، فى كل شيء حتى فى امور الاعتقاد

أذكر قصة اخبرنى اياها احد محترمى الفرنجة مثلاً للتقليد فى المشرق وهى ان احد فلاحى هـذه البلاد كان اذا اراد ان يحمل البطيخ يضعه فى أحد جانبى الشريجة[1] ويضع فى الجانب الآخر حجراً للموازنة فقيل له يوماً ان يقسم البطيخ الى قسمين ويضعهما فى الجانبين بدلاً من حمل الحجر لانه يتعب الدابة بلا فائدة فشكر النصيحة للناصح ولكنه لم يقم بواجبها لان التقليد احتوى عليه فصده عن الطاعة والجهالة استحوذت عليه فصرفته عن الرشد ومر فى اليوم الثانى وقد اعاد ما تعود عليه فقيل له ما قيل اولاً فقال « هيك عاش ابى وجدى » (تصفيق)

لو بعثر من فى القبور من اجدادنا لما رأوا فى زراعتنا جديداً ولو عرضت عليهم صناعتنا لرأونا اضعناها ، واسقطنا جاهها ، ولو قام اليوم احد ليبدى رأياً او يصلح فاسداً لقال له المتعصبون : القديم على قدمه ذاك زمان قد تصرم وقد كفانا عناء البحث الاولون . « واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا او لو كان

(١) الشريجة جوالق كالخرج ينسج من سعف النخل يحمل فيه البطيخ

آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون » (استحسان)

والذى يزيد فى الوهن ان شبان بلادنا الذين يتخرجون فى مدارس الاجانب او يتعلمون لغاتهم يخرجون من تقليد ويدخلون فى تقليد يصبحون واوقاتهم تصرف فى « البالوات والتياترات » واموالهم تضاع فى المقامرة وعقولهم فى المسكرات لا مقصد لهم من اللغات الاجنبية الا ان يعتاضوا بسلامها عن السلام العربى بقولهم مثلاً « بونجور » (استحسان)

فى صدورهم تلتهب نار البغضاء للآباء لانهم آباء وفى قلوبهم تغلي مراجل العداوة للقديم لانه قديم قد هزؤا بالجديد لا لانهم يبغضون التقليد بل لانهم مقلدون والاعجب انى أعرف رجلاً قرأ ترجمة دارون فما فهم منها الا انه ينكر البارى تعالى فتمسك بهذا الرأى وصمّت اذنه عن سماع ما يخالفه . يا سبحان الله كيف يجوز ان يسمى هؤلاء بشراً والبشرية منهم فى نفور ؟! « أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » (تصفيق)

تالله هذه حال تترقرق لها العبرات وتُقِضّ لها المضاجع[1] وما من احد ينظر اليها الا ويستوبل عاقبتها[2] . غيرنا يجتهد كل يوم بتحسين حاله ونحن بالترهات مستمسكون . وقد ضربت لنا الامثال « فما لنا عن التذكرة معرضون »

(١) اقض المضجع خشن والمراد لازمه وهو عدم استطابة النوم ويقال : اقض الله فراشه واصل اقض كان فيه القضض وهو الحصى واقضه جعله فيه (٢) استوبل المكان استوخمه ولم يوافق صحته ولم ارهم استعملوه فى المعانى

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

ملخص مما املاه فى الازهر . مولانا الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

« أو كصيِّبٍ من السماء فيه ظلماتٌ ورعدٌ وبَرقٌ يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصَّواعق حذَرَ الموت والله محيطٌ بالكافرين . يكادُ البرقُ يَخطَفُ أبصارهم كلما اضاءَ لهم مشَوْا فيه وإذا اظلَمَ عليهم قاموا ولوشاءَ الله لذَهبَ بسمعهم وابصارهم إن الله على كل شيءٍ قدير »

هذا هو مثل الفريق الثانى من الصنف الثالث من الناس الذى كان افراده ولا يزالون فتنة للبشر ومرضا فى الامم وحجة على الدين لأنهم بغرورهم بتقاليدهم التي اكتفوا بها من دينهم الموروث يعبثون بعقولهم ويلهون بخيالاتهم ويجنون على مشاعرهم ومداركهم فيضعفونها ، ويصارعون الفطرة الالهية فيصرعونها ، حتى يكون بعضهم كالجمادات « صم بكم عمي فهم لايرجعون » كما تقدم فى المثل الاول . ويألف البعض الآخر الظلمة بطول التقليد ويكون افراده فى نور البرهان كالخفافيش فى نور الشمس . ولكنهم امثل من الفريق الذى ضرب له المثل الاول لان فيهم بقية من الرجاء ورمقاً من الحياة يوجههم الى الاقتباس من نور الهداية كلما اضاءت لهم بروقها ، والمشى فى الجادّة كلما استبانوا طريقها ، ولكن تحول دون ذلك ظلمات التقاليد العارضة ، وتقف فى السبيل عقبات البدع المعارضة ، ويُعدّهم لاستماع قوارع الآيات التى تنذرهم بما حرّفوا ، وصوادع الحجج

التي تبين لهم كيف انحرفوا ، لولا انها تزعجهم الى ترك ما صنفوا وألّفو ، وهجر ما احبوا والفوا ، وعدم المبالاة بسنة الآباء ، وقلة الاحتفال بعظمة الرؤساء ،

وبالجملة فهم يتراوحون بين الخوف والرجاء ، مذبذبين بين اهل الجحود واهل اليقين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ولا ينقطع منهم الامل ، حتى ينقطع بهم الاجل ، الا تراهم عندما يقرع اسماعهم من كتابهم ما يبين فساد سيرتهم ، والتواء طريقتهم ، كقوله تعالى فى النعي على امثالهم ، وحكاية ما لم يرضه من اقوالهم ، « بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » الخ وقوله فى بيان ندمهم على التقليد ، عند ما يحل بهم الوعيد « ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا السبيلا » يأخذهم الزلزال ويتولاهم الاضطراب فينفرون من ظلمتهم ويلمع فى نفوسهم نور الهداية الفطرية فيمشون فيه خطوات ثم تحيط بهم الظلمات وينقطع بهم الطريق كما المعنا آنفاً . واسباب غلبة الظلمات على النور ، هى موافقة الجمهور ، والاخلاد الى الهوى ، واخذ عرض هذا الادنى ، وانتظار المغفرة ولو بما تأولوه فى معنى الشفاعة ، وتمنى الربح من غير بضاعه ، « يأخذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وان يأتهم عرض مثله يأخذوه . الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحقّ ودرسوا مافيه » ؟ بلى هو عندهم مدروس بالانغام ، ولكنه دارس الصُّوى والاعلام ، اتخذوه مهجوراً بالنسبة لمعرفة الحلال والحرام ، والحكم والاحكام ، ومستعملا لشفاء الاسقام ، والتقرب من الامراء والحكام ، ولو كان له انصار يدعون اليه ، وهداة يعتصمون به ويعولون عليه ، لتبددت الظلمات امام الانوار ، ومحت آيةَ الليل آيةُ النهار ،

تلك الارشادات الالهية بمنزلة المطر الذى ينزل من السماء والزلزال والاضطراب الذى اشرنا اليه بمنزلة الرعد واستبانة الصراط المستقيم الذى يلمع فى نفسه من ذلك كالبرق والعادات والتقاليد والشهوات والخوف من ذم الجماهير عند العمل بما يخالفهم كالظلمات التى تصد عن سلوك الطريق بل تعميّه على طالبه وتحجبه عنه ولذلك قال تعالى فى تمثيل حال هذا الفريق «او كصيب من السماء» اي قوم نزل بهم صيّب ووصفه بانه من السماء مع العلم بان الصيب لا يكون الا من السماء للاشعار بانه امر لا يملكون دفعه وليس ملاكه فى ايديهم . ومن المعهود عند بلغاء العرب التعبير عما يلم بالناس مما لا دافع له بانه نزل من السماء . ولاجرم ان تلك السوانح التى تسنح فى الافكار والالهامات الالهية ، لاصحاب الفطرة الزكية ، التي يكون من اثرها ما اشار المثل اليه ، وتقدم التنبيه عليه ، هى امر وهي واقع ، ما له من دافع ،

وقوله تعالى «فيه ظلمات ورعد وبرق» الظلمات هى ظلمة الليل وظلمة السحب وظلمة الصيب نفسه . والرعد هو الصوت المعروف الذى يسمع من السحاب عند اجتماعه احياناً والبرق هو الضوء الذى يلمع من السحاب فى الغالب وقد يلمع من الافق حيث لا سحاب . وقال مفسرنا (الجلال السيوطي) ان الرعد ملك او صوته والبرق سوطه يسوق به السحاب . كأن الملك جسم ماديّ لان الصوت المحسوس من خصائص الاجسام وكأن السحاب حمار بليد لا يسير الا اذا زجر بالصراخ الشديد والضرب المتتابع . وما ذكرناه هو الذى كان يفهمه العرب من اللفظين وهو الذى يفهمه الناس اليوم ولا يجوز صرف الالفاظ عن معانيها الا بدليل صحيح

لا سيما اذا صرفت عن معانى عالم الشهادة الذى يعرفه الواضعون والمتكلمون الى معانى من عالم الغيب لا يعلمها الا الله تعالى ومن اعلمهم الله اياها بالوحي . ولكن اكثر المفسرين ولعوا بحشو تفاسيرهم بالموضوعات التى نصَّ المحدثون على كذبها كما ولعوا بحشوها بالقصص والاسرائيليات التى تلقفوها من افواه اليهود وألصقوها بالقرآن لتكون بياناً له وتفسيراً وجعلوا ذلك ملحقاً بالوحى . والحق الذى لا مرية فيه انه لا يجوز الحاق شيء بالوحى غير ما تدل عليه الفاظه واساليبه إلا ما ثبت بالوحى وعن المعصوم الذى جاء به ثبوتاً

قال تعالى : « يجعلون اصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت » الصاعقة هى ما كان يعرفه العرب ويعرفه كل واحد وهو ما ينزل فى اثناء المطر والبرق والرعد فيصعق ما تنزل به يهلك او يلحقه الضرر . وما تفسيرنا للبرق والرعد والصاعقة مع كونها معروفة لكل واحد بما هو معروف لهم الا لأن المفسرين صرفوا افهامهم عن المعروف الى غيره كما حكى عن أرسطو انه سئل عن الحركة فقام ومشى وما انطقهم بالسؤال عنها على بداهتها لا لأنهم اعتادوا ان يسمعوا من الفلاسفة اقوالاً فى الامور الجلية ، تجعلها غامضة خفية ، اما حقيقة البرق والرعد والصاعقة واسباب حدوثها فليس من مباحث القرآن لانه من علم الطبيعة وحوادث الجو التى فى استطاعة الناس معرفتها باجتهادهم ولا تتوقف على الوحي . وانما تذكر الظواهر الطبيعية فى القرآن لاجل الاعتبار والاستدلال واستلفات العقل الى البحث الذى يقوى به الفهم والدين . والعلم بالكون ينمو ويضعف فى الناس ويختلف باختلاف الزمان فقد كان الناس يعتقدون فى بعض الازمنة

ان الصواعق تحدث من اجسام مادية لما كانوا يشمونه فى محل نزولها من رائحة الكبريت وغيره . ورجعوا عن هذا الاعتقاد فى زمن آخر ملاحظين ان تلك الرائحة لا تكون دائماً فى محل الصاعقة . وقد ظهر فى هـذا الزمان ان فى الكون سيالاً يسمونه الكهرباء من آثاره ما ترون من التلغراف والتليفون والتراماوای وهذه الاضواء الساطعة فى البيوت والاسواق من غير شموع ولا زيت ولا ذبال وانما تكون باتصال سلكين دقيقين كالخيوط التى تخاط بها الثياب احدهما يحمل او يوصل السيال الكهربائى الذى يسمونه الموجب والآخر يوصل السيال المسمى بالسالب وباتصال السلكين يتولد النور من تلاقى السيالين . وكما يوصل السيال بالسلك يقطع عنه فينقطع الضوء والكهربائية موجودة فى كل شىء والبرق فى السحاب يتولد من اتصال نوعيها الموجب والسالب بقدرة الله تعالى كما يتولد فى الارض بعمل الانسان وقد استنزل بعض علماء الكهربائية قبس الصاعقة من السحاب الى الارض . والصاعقة من اثر الكهربائية وهي تفريغ السحاب طائفة منها فى مكان لجاذب فى الارض يجذبه . وكثيراً ما حصل الصعق لعمال التلغراف لما بين السحاب والاسلاك من الجاذبية . ومعرفتهم بالسبب الحقيقي للصواعق هداهم الى حفظ الابنية الشاهقة منها باتخاذ القضيب المعروف الذى يسمى قضيب الصاعقة . ولا مجال فى تفسير القرآن للتطويل فى المسائل الطبيعية لانها تطلب من فنونها الخاصة بها فلنمد الى بيان المثل

استحضر حال قوم مشاة فى فلاة من الارض نزل عليهم بعد ما اقبل ظلام الليل صيب من السماء قصفت رعوده ولمعت بروقه وكيف يهوون باصابعهم الى آذانهم كلما حدث قاصف من الرعد ليدفعوا شدة وقعه

بسد منافذ السمع برؤس الانامل . وعبر عن الانامل بالاصابع هذا التعبير المجازى اللطيف للاشعار بشدة عنايتهم بسد آذانهم ومبالغتهم فى ادخال انامليهم فى صماليخها كأن كل واحد منهم يحاول بما دهمه من الخوف ان يغرس اصبعه كلها فى اذنه حتى لايكون للصوت منفذ الى السمع لما يحذره على نفسه من الموت الزؤام ، ومعاجلة الحمام ، وهذا هو الجبن الخالع ومنتهى حدود الحماقة لان سد الآذان ليس من اسباب الوقاية من اخذ الصاعقة ونزول الموت

ثم قال تعالى : « والله محيط بالكافرين » يستلفتنا فى اثناء شرح المثل وتقريره الى حال من ضرب فيهم المثل لئلا يذهلنا ما نتصوره من حال المشبه به عن حال المشبه المقصود بالذات . اي ان التصامم والهروب من سماع آيات الحق والحذر من صواعق براهينه الساطعة ان تذهب بتقاليدهم التى يرون حياتهم الملية مرتبطة بها لا يفيدهم شيئاً لان الله تعالى محيط بهم ومطلع على سرائرهم ، وعالم بما فى ضمائرهم ، وقادر على اخذهم ايما كانوا ، وفى اى طريق سلكوا ، فلا يهربون من برهان الا ويفاجئهم برهان آخر كالغريق يدفعه موج ويتلقاه موج حتى يقذف به الى ساحل النجاة او يدفعه الى هاوية العدم . لهذا قال : محيط بالكافرين . ولم يقل محيط بهم

ثم بعد التنبيه والاستلفات عاد الى اتمام المثل وتفصيله فقال عز شأنه « يكاد البرق يخطفُ ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا » اذا لمع البرق بشدة مفاجئاً من هو فى ظلمة يؤثر فى بصره تأثيراً يكاد يخطفه والخطف هو الاخذ بسرعة ولكنه يتبين به جزءاً من الطريق فيمشى خطوات ثم يعتكر عليه الظلام ، وتستحوذ عليه المخاوف والاوهام ، فيقف

فى مكانه ، او يعود البرق الى لمعانه ، ويحاكى هذا من حال الممثل بهم انه عند ما يدعوهم الداعى الى اصل الدين . ويوضح لهم سبب ما هم من البلاء المبين ، ويتلو عليهم الآيات البينة ، ويقيم لهم الحجج القيمة ، على انهم تنكبوا الصراط السويّ ، واصيبوا بالداء الدوِى ، يظهر لهم الحق فيعزمون على اتباعه وتسير افكارهم فى نوره بعض خطوات ولكن لا يعتمّون ان تعود اليهم عتمة التقليد وظلمة الشهوات وغبسة الاهواء فتقيد الفكر وتوقف سيره كما تقدم فى اول الكلام ، ثم تكرر فى تضاعيفه بطريق الالتفات والالمام ، ومنه أنهم على سوء الحال ، وخطر المآل ، لم تنقطع منهم الآمال ، كما انقطعت من اصحاب المثل الاول الذين وصفوا بالصمم والعمى والبكم « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم » حتى لا ينجع فيهم وعظ واعظ ، ولا تفيدهم هداية هاد ، كما ذهب بنور اولئك وسلبهم كل انواع الهداية فوقع اليأس من رجوعهم الى الحق ، وقوله تعالى : ولو شاء الله الخ رجوع الى بيان حال من ضرب فيهم المثل لا من تتمة المثل وقد كنى عنهم بالضمير هنا لان المثل قد تم بعد ما ذكرهم فى قوله : والله محيط بالكافرين . بالوصف الذى اقتضى التمثيل

عقَّب الاستاذ تفسير هذه الآيات بتنبيه ، ارتاع له الخامل والنبيه ، ذلك انه بين ان القرآن هاد ومرشد الى يوم القيامة وان معانيه شاملة وعامة فلا يعد ويوعد ويعظ ويرشد اشخاصاً مخصوصين وانما ينيط وعده ووعيده وتبشيره وانذاره بالعقائد والاخلاق والعادات والاعمال التى توجد فى الامم والشعوب فلا يغترنّ أحد بقول بعض المفسرين ان هذه الآيات نزلت فى المنافقين الذين كانوا فى عصر النبى صلى الله تعالى عليه

وسلم فيتوهم انها لا تتناوله وان كانت منطبقة عليه لانه لم يتخذ القرآن اماماً وهادياً ولم يستعمل عقله ومشاعره فيما خلقت له بل اكتفى عن ذلك بتقليد آبائه ومعاصريه ، فى كل ما هم فيه ، — وقد طالت هذه النبذة وسنلم بسائر معانى التنبيه فى النبذة الآتية عند بيان وجه الاتصال بين هذه الآيات وما بعدها ان شاء الله تعالى

باب التربية والتعليم

« تعليم معاهد الارض للاطفال . وتمرين ايديهم على الاعمال[1] »

(المكتوب ٣٠) من هيلانه الى اراسم فى ١٢ فبراير — ١٨٥

احب ان أصف لك « أميل » فاما صورته فقد عرفتها فى الرسم الذى ارسلته اليك منتزعاً بآلة داجير التصويرية (الفوتغرافية) وأما سيرته وأحواله فهى التى اريد أن احدثك عنها فاقول :

ارى له جراءة على السير والتجوال لا توجد فى أترابه ففيه ما أظنك تسميه بغريزة خرت الارض[2] وقد بلغ تمكن هذه الغريزة من نفسه مبلغاً ما أرانى فيه قادرة على اضلاله ولا هو يحتاج فى الاهتداء اذا انا أضللته الى القاء الحصى وفتات الخبز فى الطرق لتكون كالصوى والاعلام[3] لأنه يهتدي بنفسه ولا يلبث ان يميز بمهب الريح وحركة السحاب الجهة

---

(١) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر (٢) خرت الارض (كمنصر) عرفها ولم تخف عليه طرقها ولعل لفظ (الخارطة) او الخريطة مأخوذ منها (٣) تشير الى اسطورة الاصيبع التى تقدمت فى المكتوب ٢٥ راجع (جزء ٣١ مجلد ٣)

التى ينبغى ان يؤمها . وأرى ان الذى اظهر هذا الاستعداد فيه هو ما استفاده بالعمل من صحبة (قوبيدون) فانت تعلم ان فى عينى هذا الزنجي ورأسه بيت ابرة مغناطيسية

لا انكر ان مثل هذه العلوم من الاوليات وذلك يؤكد وجوب ان يتعلمها الاطفال وكلامي فى ذلك عن خبرة وتجربة فانى تربيت فى مدرسة داخلية كان التلميذات فيها غافلات عما وراء المدرسة من شؤن الحياة ومتاعبها . وكنت بعد ذلك اذا خرجت الى المزارع والرياض لا اعرف الشمال من الجنوب ولا اميز بين الشرق والغرب واخجل ذلك الخجل الضار ان اسألك عنها خشية ظهورك على جهلى . ولو كان هذا الجهل خاصاً بمثلى لكان الخطب سهلاً واراني صادقة اذا قلت ان كثيراً من اهل النهاية فى العلم ليسوا باوسع علما منى ببعض مواضيع مساحة الكرة الارضية العملية. لا ادرى هل كتب على « اميل » ان يكون سائحاً وجوّاب آفاق ولكنى أرى ان الناس محتاجون فى جميع اطوار الحياة الى معرفة الجهات والامكنة احتياجاً تختلف درجاته فبعضهم احوج الى التوسع فيها من بعض وانّ صدق النظر اذا تعزز بالتجارب كان للانسان ركناً من اركان الحرية

يأكل « اميل » على المائدة كالانكليز اعنى انه يأخذ السكين بيده اليمنى والشوكة باليسرى يأكل بها وقد انكرت هذه العادة اولاً ثم تبين لي انها اسهل فان استعمال كلتا اليدين معاً يمكن من القطع والتناول فضل تمكين فالانكليز عسر (جمع أعسر) فى الاكل دون الاعمال الصناعية ولست ادرى ماهو عذرنا فى ترك تمرين عضو من اعضائنا على العمل فهل كانت اعضاؤنا زائدة عما نحتاج اليه فى استعمار الارض ومقاومة مايعترضنا

من العقبات المادية فى سبيل الحياة فنستغنى عن بعضها ونغفله ؟

قرأت فى ترجمة حياة (جمس وات) المهندس الانكليزي الشهير انه كان يستعمل فى طفوليته ادوات والده النجار فى اختراع لعب لنفسه او تحويلها من شكل الى شكل . ويقال ان هذا التمرن ساعده كثيراً فى تدريب يده على الصناعة وقوّى ما كان فى نفسه من الاستعداد لعلم الميكانيكا حتى صار ملكة راسخة فيه . ولا اطمع ان يكون « اميل » مخترعاً لآلات جديدة ولكنى أرغب ان يكون ماهراً فى تحريك اصابعه ولهذا لا امنعه من تكسير لعبه ليرى ما فى جوفها – كما يقول – اذا تعهد لي بارجاعها الى اصلها

على اننى لاحظت امراً احب ان اعرضه عليك وهو ان لعب الاطفال تكون مناسبة لطبيعة البلاد التى ينشؤن فيها . فاهل السواحل يلعب اطفالهم بما تحدثه فى نفوسهم صناعة الملاحة . وقد اجاب قويدون الذى هو كالقرد فى الخفة والمهارة رغبة « اميل » ورفيقيه فصنع لهم بسكينه مركباً شراعياً صغيراً انزلوه فى خليج الجبل باحتفال حافل فكان بذلك قدوة لهم فى هذه الصناعة البحرية حتى انهم انشأوا لهم اسطولاً مؤلفاً من طرادات وسفن من ذوات السارية ومن ذوات الساريتين وقوارب وزوارق وبعض هذه السفن مسلح بمدفع من الخشب فكأن لسان حالهم يقول : ها نحن اولاء مستعدون ، فليها جمنا المهاجمون ، وكنت اذا سئلت عن قيمة هذه الاشياء السابحة على وجه الماء اظهر ترجيح ما يصنعه الاطفال من سفن اللعب على ما يبتاع من التجار من نوعها وان كان احسن منها صنعاً

« القصص والاساطير . وتربية خيال الصغير »

يحب «اميل» العمل ويميل الى سماع القصص كما هو المعهود من مثله اني موافقة لك في انتقاد توسع الناس بمخاطبة الاطفال بما يعلو ادراكهم وافهامهم وهذا من آفات التربيـة التي يجب تجنبها وما اعظم الفوائد والمزايا التي يستفيدها الاطفال من تعليم امهاتهم الشفاهي اذا تجنبنها. أحدث عندى هذا الفكر النظر في ما يؤثر عن جميع الامم قبل اختراع الكتابة والتصنيف مما كان الاعتماد في حفظه على الذاكرة . قرأت فى كتاب لا أذكر اسمه الآن ان بعض اليونانيين كانوا يعارضون قدموس[١] فى وضع الحروف الهجائية لهم محتجين بان اعتياد الناس على اثبات حوادث التاريخ فى الالواح يضعف الذاكرة بالتدريج . وكان لهذه المعارضة وجه وهي تشبه المعارضات التي توجه حتى الآن الى كل ضرب من ضروب الارتقاء حيث ينتقل الانسان من شيء الى آخر

نرى الاطفال قبل تعلم القراءة والكتابة ينتحلون كثيراً من الافكار والآراء فأهم شيء يبتدىء به المربى هو النظر في اختيار أمثل ما يودعه فى نفوسهم من المعارف ثم فى اختيار أمثل الطرق لايصال ذلك الى أذهانهم الخالية ونقشه فى الواح نفوسهم الصقيلة وكثيراً ما خرجت مع أميل عن اساليب لغتي وقواعدها لاجل ذلك وما كان أشد اغتباطى وسرورى عندما كنت أراه يلتفت اليّ لتكلمي بلغته . والنجاح فى هذا يتوقف على اخلاص القلب ونسيان النفس وهذان الامران انما يحصلان بالرياضة والمزاولة

(١) قدموس هو الرجل الفينيقي الذى انشأ مدينة طيبه ونقل الحروف الهجائية من مصر الى بلاد اليونان

على ما أرى

من الثابت المقرر ان للاطفال شعراً خاصاً تعرفه الامهات حق المعرفة ولكننا نحكم فيه شعرنا وخيالنا فكيف السبيل الى حفظ هذه القوة الشعرية وبقاء غضاضتها بحيث لا يسقط عبثنا بها زهرها ولا يذويها ويذهب بنضرتها لإحلال شعرنا محلها

الدنيا مملوءة بالحكايات التي يدعى انها وضعت للاطفال وامثلها حكايات (برولت) وأرى ان ما فيها من الصنعة والحذلقة يخرج بها عن مهد الطفولية الى مستوى الكهول ومرتبة الشيوخ . وافعل الحكايات فى استمالة اميل وتحريك رغبته وميله ليس مما يعهد فى الشعور العام والحسن المشترك أعني مما يجول فى اذهان البالغين دون الولدان الذين فى السادسة اوالسابعة . فالحكايات الخرافية القديمة جداً التي لم يجفف الدرس والصنعة ما فيها من معانى الشعر الفطرية هي التي تقع من نفسه موقع القبول فى مثل هذا السن

فمن الحكايات المتداولة فى البلد الذى نسكنه ما فيه ذكر المردة والاغوال والجنيات والتنابيل (القصار جداً) وهو مايذهب بنوم الاطفال فى ليالى الشتاء ويجذبهم الى السمَّار لسماع تلك القصص محدقين بابصارهم الى السامر . ولى ان اعتقد ان هذه الحكايات هي مختزلة من اشعار وقصائد قديمة ضاع اصلها وتناقلت الناس ما بقى من معانيها مرضعٌ عن مرضع وامٌّ عن ام حتى انتهت الينا فى شكل يخالف شكلها الاول قليلاً او كثيراً

زعم عالم من كرنواى الاقيه احياناً فى منزل صديقنا الدكتور ان لديه وسيلة يثق بان توصل الى معرفة اصل هذه الخرافات ومناشىء تلك

الحكايات وما فهمته عنه من هذه الوسيلة هو انه يستعين على تلك المعرفة من حيث هو عالم اثريّ بلحن تلك الحكايات وفحواها من حيث مشابهتها لما نخترعه من الحكايات وعدم ذلك فهو يرى انه كلما كان معنى الحكاية بعيداً عن تصورنا واختراعنا تكون اوغل فى القدم . فاذا بحثنا فى شأن الجنيات فى هذه الحكايات نرى ان الجنيات فى الاعصر القديمة توصف بانها مجردات منزوية عن الناس ، شرسة صعبة المراس ، وقوى طبيعية رفعت الى مرتبة الآلهة والبست شعار الدين . ثم ما زالت تقرب من الناس وتتشكل بشكل الانسان قرناً بعد قرن وتأنس به حتى صارت اناثاً يتزوج بها الرجال . ومما يروونه فى هذا ان رجلاً تزوج بجنية وعاشا معاً عمراً طويلا فى كوخ وقد كان من طول أنسه بها ان نسي كونها جنية الا انها فرت ذات ليلة متعلقة ببعض اشعة القمر . كذلك شأن المردة فان هذه الكائنات الوحشية المشوهة كانت تعرف فى الزمن القديم بانها مثار الوساوس المخيفة والهواجس المفزعة وبكرور الزمان ومرور الايام اقتربت من الانسان فى احوال معيشته وضعف سلطانها فى نفسه وتأثيرها فى وهمه وخياله وتحوّل الرعب الذى كان مقروناً بذكرها وتصوّرها الى الضحك والسخرية وهكذا تنتهى دولة الخرافات وتزول

لاريب انك واقف على قصة يعقوب مواثب المردة وقاتلهم الذى كان يعيش فى كورنواي على ما يروى فى الاساطير « فاميل » يحب سماع حديثى عن غزوات هذا الشاب الشجاع ابن احد الزارعين . واشهر وقائعه التي سار بخبرها الركبان ما يروي انها وقعت فى جبل ميخائيل قديس انكلترا وهو صخرة تكاد تكون بازآء منزلنا وكان المارد الذى يخطف

الناس والبهائم قد تبوأها منزلاً واتخذها مثوى له . وقد كان اعظم خدمة قام بها حماة فى عصور الهمجية — ان لم اكن واهمة — هي مقاتلتهم وفتكهم بالسلبة والوحوش الضارية فانهم بذلك قد طهروا الارض من العتاة والبغاة الذين كانوا يعيثون فيها فساداً وبهذا الاعتبار نرى اليونانيين قد انصفوا برفع مكانة هرقل وتيزيه[1] وجعلهم من انصاف الآلهة . وكذلك فعل يعقوب بالمارد فانه هاجم المارد فى مغارته وانتصر على تلك القوة الوحشـية الفاتكة بالحيلة فكان جديراً بأن يكون خلفاً لأولئك الشجعان الاقدمين

ان لهذه الخرافات لفضلاً ولو ألغيت من التعليم الشفاهي" لاسفت كثيراً فان امام الطفل فى هذا العصر الذي كله حقائق زمناً طويلاً يتسنى فيه التحقق باخلاقنا وعوائدنا الحقيرة فلنغتنم فرصة فجر حياة الطفل القصير الامد الذي ترتاح فيه نفسه للاحاديث الخرافية وتتأثر بغرائب الاساطير لنودع فيها أنواع الوجدان الاعلى ، ونبعثها على حب الاعمال الجليلة والسجايا الفضلى ، فان طبع الطفل يتكون وينشأ فى قوالب المُثُل التى تكون لها مكانة فى نفسه عند ما يلقي اليه خبرها وتمثل له صورها . نعم ان « اميل » لن يكون قاتل مردة — واين المردة اليوم — ولكن قصارى ما فى قص هذه القصص عليه من الفائدة انها تهز نفسه وتحرك أريحيته بما فيها من

(١) هرقل او هرقول اليوناني هو كما فى اساطير اليونان الخرافية (ميثولوجيا) ابن جوبتير (المشترى) كبير الآلهة من زوجه ألكمين وأعظم الشجعان الذين كانوا يقتلون التنانين والضوارى والافاعي العظيمة . وتيزيه من شجعان اليونان المشهورين وهو ابن (اجيه) ملك اثينا قتل مينوتور وهو بحسب خرافاتهم وحش نصفه آدمي ونصفه ثور . واشتهر فى وقائع عصر الشجعان

ذكر غزوات عصر الابطال ولو كنت اجد منه انقباضاً وشكاً عند ماأقص عليه تلك الوقائع التى ابالغ عن قصد وتعمد فى اخلاص ابطالها وعلو نفوسهم واما نتهم لساءنى ذلك واحزننى

نحن فى شؤن الحياة لانزال دون غايات الكمال المبتغاة فيجب علينا — ان لم اكن واهمة — ان نعجب بما يروى عن اولئك الابطال من فضيلة الشجاعة وان بعد احتمال وقوعها حتى لا نكون فى اسفل دركات الجبن .

فى نفسى امرانا فى اشد الحذر من الا فضاء به الى «اميل» لسببين احدهما انه لا يفهمه والثانى انه يذهب بما لهذه الخرافات من الشأن الرفيع عنده . وهو ان تلك المردة التي هى موضوع تلك الاساطير ليست سوى اشخاص هذه الصخور الكثيرة فى كورنواي . الحَقَّ اقول انهذه الاجرام الصوانية الهائلة تحتمل فى كل يوم اقصى ما قدَّر فى هذا العالم على كل قوة ذات مقاومة وحشية ان تحتمله ذلك ان تنبالاً كان يتساق تلك الصخور العظيمة المحيطة بذلك المكان الذى يسمونه نهاية الارض Land's End وينقر بأداة من الحديد نقرة يضع فيها قرطاساً من البارود ذا فتيلة ويشعل الفتيلة ويكر راجعاً فيكون الانفجار ويتصدع الصخر وتتزلزل الارض ويضطرب البحر . وينيطون فى الاساطير مثل هذا التزلزل والاضطراب بسقوط المارد

يتراءى لى ان محو الخيالات من اذهان الاطفال لا يفيد المربين شيئاً . فاين تلك الحكايات والقصص الغريبة التى كان يفتن بها الاطفال لما فيها من السَّذاجة والغرابة ؛ لقد ضاعت ونسيت وصار عصرنا هذا وهو عصر القصص والروايات الخيالية أبعد الاعصر عن القصص والاساطير

المذكورة فان القصص التى ندونها فى هذا العصر لا تمثل الا الوقائع المعهود للناس نظيرها لاننا لما كنا من اهل الحقائق المعتمدين على الوقائع الثابتة ومن سكان المدن الآهلة والحواضر البعيدة عن الوهم والتخيل كانت عنايتنا فى التربية محصورة فى ايداع جميع اذواقنا ورغائبنا فى نفوس اولادنا . اقول ما قلت لا لأنني ادعى الحكمة والفلسفة وأعوذ بالله من دعوى الاشراف على الغيب والحكم على الاستقبال ولكنني اسآءل نفسى عن حال هؤلاء الاطفال الذين صاروا شيوخاً وهم فى سن اللبان وقد قطعنا عليهم طريق الوهم والخيال فنحن نعلمهم قيمة الفضة وهم فى طور يجهلون فيه الحسن المطلق والجمال الذاتى . ومن العبث ان يقال ان ما تصفه لنا الاساطير من الاخلاق الفاضلة والمزايا العظيمة لا أثر له فى الوجود فان عدم وجود اولئك الرجال والنساء الموصوفين بما ذكر من الاخلاق والمزايا فى انديتنا وسمَّارنا وعدم تجوالهم فى اسواقنا وشوارعنا يجب ان يكون من الاسباب التى تحملنا على عدم اخراجهم وطردهم من جنة الطفولية حيث يتمتع الاطفال فى عالم التصور والخيال فاستحلف القائمين بأمر التربية بالله تعالى ان يدعوا لهم متبوءًا فى البيوت .

واما انت ياعوالم الخيال ، من الجنيات والابطال ، التى هزت قلوبنا فى طور الطفولية ، وحركت نفوسنا للخيرات والفضائل النفسية ، بما كشفت من النقاب عن وجه الكمال ، وابرزت من مظاهر الجمال والجلال ، لا تزولى ولا تحتجبي عنا فى جوّ هذا العصر الوخيم ، المثقل بضروب الحسبان والهدوم ، الذى شغلت اهله الاغراض المادية ، وطلب المنافع الجسمانية ، فاننا نصغر ونحقر اذا صرفنا اولادنا عن الاعتقاد بعظمتك الخيالية ، التى علمتنا الحسن

الذاتى والعظمة الحقيقية

أرى ان من الخطا ان تعاب هذه الخرافات ببعدها عن الحقيقة فان هذا وان كان مذموماً بالنسبة الينا الا انه يحمد بالنسبة الى طور آخر من اطوار العمر . فما يظهر لنا بعيداً عن الحقيقة حقيق فى نظر الطفل . اخذت هذا الحكم من طبع « اميل » الذى اتبجح بانى سبرته واختبرته فهو على عدم سماعه شيئاً من الدين متدين بطريقة خاصة به وله قوة عجيبة فى ابتداع الصور الخيالية التى يمتاز بها الانسان فى طور الطفولية وتضعف فى سائر اطواره بالتدريج فانه يرى وراء كل حادثة كونية كالمطر والريح وغروب الشمس قوة حية بل ذاتاً مشخصة فقد فر منذ أيام من البستان مذعوراً لانه رأى سحاباً مركوماً ظهر فى السماء باشكال غريبة وقال لى انه رأى فيه رأس شيخ ذى لحية بيضاء . أليس لمثل هذا التأثر الناشىء من الخوف خوفِ الاجلال والاعظام الفضل فى ادراك معنى الالوهية الاول الذى فهمه الانسان ؟

﴿ احتفال مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بمصر ﴾

احتفل بامتحان تلامذة مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية فى مصر فى مساء يوم الجمعة الماضى احتفالا شائقاً رأسه فضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية ورئيس الجمعية وحضره كثيرون من العلماء والوجهاء . وافتتح الاحتفال بتلاوة احد التلامذة آيات من القرآن الكريم بالتجويد والترتيل . ثم انشد طائفة من التلامذة انشودة نوهوا فيها بفضل رجال الجمعية ورحبوا بالحاضرين وختموها بالدعاء لمولانا السلطان وللجناب

العالى الخديوى . ثم وقف تلميذ وتلا خطبة وجيزة بين فيها الغرض من التربية والتعليم فى مدارس هذه الجمعية وهو تكميل النفس والاستعداد للدخول فى ابواب المعيشة وتفضيل الصناعة والحرف على غيرها وتوجيه النفس لترقية كل تلميذ صناعة والده وحرفته بما يكتسبه من العلم الذى كان والده محروماً منـه — ومعلوم ان جميع هؤلاء التلامذة من اولاد الفقراء المحترفين تعلمهـم الجمعية وتربيهم على نفقتها . ثم وقف تلميذ آخر فاعطى كتاب « الدروس الحكمية » ففتحه وقرأ منه نبذة جاءت امامه بالعرض من الدرس الذى يبين حاجة البشر الى الدين فاحسن القراءة وبين معانيها على وجه الصواب . فناقشه الاستاذ الرئيس فى الفهم وساله عن معنى الآية التى افتتح بها الدرس فاحسن فى الاجابة والتفسير حتى انه فسر ما لم يذكر فى الكتاب من تتمة الآية الكريمة . ثم تكلم تلميذ آخر فى حكم فريضة الزكاة وفوائدها للمزكي وللفقراء وللهيئة الاجتماعية ومن ذلك انها العلاج الواقي من داء الفوضى والاشتراك وختم كلامه بقوله « لا فوضوية فى الاسلام » فصفق له الحاضرون كما صفقوا لمن قبله ولمن بعده . ثم امتحن تلميذ آخر باعراب جملة فيها تقدير دقيق فاجاد فى الاعراب ، وانبأ عن فهم يحالف الصواب ، وامتحن آخرون فى الحساب وفى الجغرافيا والرسم حيث رسم احدهم خارطة اوربا وبين ممالكها وعواصمها . وسأله الاستاذ الرئيس هل خطر لك ان تسافر الى عاصمة من هذه العواصم فقال نعم تمنيت ان ازور باريس فسأله ان يبين خطة السفر من القاهرة الى باريس فبينها احسن بيان . وعرض بعض التلامذة على الحاضرين نموذجات من خطوطهـم ورسومهم وهى فى غاية الاتقان والجودة . وخطب آخرون من التلامذة

فى بيان فوائد التربية والتعليم وفوائد الجمعيات الخيرية . ثم ختم الامتحان كما بدئ بترتيل احد التلامذة آيات من الكتاب العزيز

وبعد هذا وقف مولانا الاستاذ رئيس الجمعية وشكر للحاضرين عنايتهم بحضور الاحتفال بامتحان اولاد الفقراء ومشاهدة اثر تربيتهم ثم تكلم فى بيان غرض الجمعية من تربية هؤلاء الاطفال الفقراء وهو تهذيب نفوسهم ومساعدتهم كل واحد منهم على احياء صناعة والده وترقيتها الا أن يرى نفسه مستعداً لصناعة اعلى منها وأرقى وذكر ان الجمعية تساعد بالمال من يتخرج من مدارسها ويشتغل بصناعة والده مدة سنة وانها تعلم التلامذة بانهم لوالديهم اولاً ثم للأقربين ثم للأمة وتعلمهم احترام آبائهم وامهاتهم وتنزع من نفوسهم الميل الى وظائف الحكومة . وههنا انتقل الاستاذ لبيان مفاسد التربية فى سائر المدارس وحال الذين يتعلمون فيها وفى اوربا وكيف يكون الانسان بعد التعليم مشغولا بالامانى الباطلة التي لاتدرك محتقراً لوالديه واهله وللناس يقضى معظم اوقاته فى الملاهي ومعاهد البطالة واللغو فى الغالب . ثم بين وجه حاجة الامة الى تربية الطبقات الدنيا وانها لا ترتقى ولا تسعد الا بذلك لانهم هم الذين يقومون بمعظم الشؤن واكثر الحرف التى لايستغنى عنها الخواص ولا يهنأ لهم عيش مادام اصحابها فاسدى التربية فاقدى الآداب . وقال ان جراثيم الخير التي تلقيها مدارس الجمعية فى نفوس التلامذة لابد ان تنمو وتغلب على جراثيم الشر التى اصيبوا بها من البيئة (الوسط) التى يعيشون فيها لان الحق دائما يغلب الباطل والخير يصرع الشر الا اذا اضمحل انصار الحق ودعاة الخير وضاعوا فى كثرة الاشرار . قال : وربما ينازعنى بعض السامعين فى هذه القاعدة مستدلا

باستحواذ الشرور على الناس واكتفى بان اجيب هؤلاء بكلمة واحدة وهي ائتونى بعشرة من دعاة الخير فى القوم الذين تحكمون بفسادهم وتغلب جراثيم الشر فيهم على جراثيم الخير

ثم ختم خطابه بتوزيع الجوائز على نجباء التلامذة مبيناً ان لها مصدرين احدهما ان اللجنة التي تألفت لايجاد اثر يخلد ذكر المرحوم على باشامبارك لخدمته المعارف كانت ارتأت ان تقيم له تمثالاً فى نظارة المعارف ثم رجعت عن هـذا الرأى لان معظم الامة المصرية يعد التماثيل اهانة لا تكريماً ويسمون التمثال « الصورة المسخوطة » اي الممسوخة وترجح للجنة ان تعطي هذه الدراهم للجمعية الخيرية تستغلها وتجعل غلتها فى كل سنة جوائز للنابغين من تلامذة مدارس الجمعيـة الخيرية بشرط ان يؤلف احد اعضاء الجمعية كتاباً فى تاريخ على باشا ومآثره ويوزع مع الجوائز ايضاً ويكون هذا احسن ذكرى واثر . قال : وقد تأخر تأليف هذا الكتاب فى هذه السنة فرأينا من التعجيل بالبر ان توزع الجوائز وفى العام القابل يوزع الكتاب ان شاء الله تعالى وهذا ما اصاب مدرسة القاهرة من هذه الجائزة يعطى لانبغ التلامذة فى العربية . واما المصدر الثانى فهو ان الاستاذ الشيخ عبدالرحيم الدمرداش تبرع بعشرة جنيهات للجمعية شكراً لله تعالى على شفائه من مرض ألمّ به وجعلها دائمة فى كل سنة . ثم انفض الجمع وخرج القوم مسرورين بما شاهدوه من النجابة والنجاح الذى كان فوق ما يؤملون

منذ ثلاثة اشهر ونيف عفا سمو الخديو المعظم عن حضرة الفاضل الشيخ ابراهيم حرب الطرابلسى ورفيقيه الذين حكم عليهم فى حادثة الازهر المشهورة وفروا .

الاخبار التاريخية

سكة الحديد الحجازية

قد شرع فى مد قضبان الحديد بعد تسوية الارض فى القسم الاول من هـذه السكة التى هى اعظم مآثر مولانا الخليفة والسلطان الاعظم ايده الله تعالى وسدده . ويبتدئ هـذا القسم من (المزيريب) حيث منتهى السكة الحديدية بين بيروت والشام وطوله عشرون كيلو متر . وقد احتفل بذلك فى المزيريب بحضور صاحب الدولة ناظم باشا والى سوريا وصاحب السعادة محمد فوزى باشا مدير ادارة لجنة السكة الحديدية فى ولاية سوريا واحداعضائها ورائف باشا رئيس اركان الحرب فى الفيلق السلطانى الخامس وذلك فى يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الانور وهو اليوم الذى ولد فيه النبى الاعظم صلى الله عليه وسلم على القول الصحيح فياله من فأل حسن يبشر بالاتمام بالخير ان شاء الله تعالى

رزء علمي ديني

فى يوم الخميس ثالث ربيع الاول توفى الى رحمة الله تعالى احدا كابر علماء الازهر الشريف الاستاذ الشيخ محمد راضى الكبير مفتى ديوان الاوقاف وشيخ رواق البحاروة فى الازهر عن نحو خمسين سنة قضاها فى التعلم ثم التعليم وخدمة الحكومة

كان الفقيد مالكى المذهب ثم تمذهب بمذهب الحنفية واتقن فقههم حتى عين مفتياً لمديرية الدقهلية ثم مفتياً لديوان الاوقاف . ومن مزاياه التى لا يشاركها فيها الا القليل انه كان لايخاف فى الحق لومة لائم فيصرح

باعتقاده وان خالف العامة وانكرته الجماهير وله واقعة مشهورة فى ذلك وهو انه صرح بانكار ما يأتيه العامة من المنكرات عند قبور الصالحين مما هو مشهور وافضنا فيه مراراً فاتخذ ذلك بعض الحسدة والجهال وسيلة للخوض فيه والسعاية للحكومة وسموه « وهابياً » وهم لا يدرون ماهو الوهابى وانما هى الفاظ يرمونها من غير فهم ولا عقل فعزلته الحكومة بناءً على هذه السعاية ثم تبين لها انه ماقال الا الحق الذى هو مذهب السلف ولباب الدين فرقاه الجناب الخديوى اعزه الله تعالى وجعله مفتياً للاوقاف وما زال مواظباً على التدريس وافادة الطلاب فى الجامع الازهر حتى أصيب بالمرض الذى انتهى بوفاته . وقد شيعت جنازته بالاحتفال اللائق بفضله تغمده الله برحمته وعزى آله وذويه بمصيبته

﴿ بيان اغلاط فى الجزء الثامن ينبغى تصحيحها ﴾

سطر	صفحه	خطأ	صواب
١٤	٢٨٥	قائل	قائلا
١	٢٩٠	آمنا	آمنا به
١٦	٢٩٦	خلق	خلق الله
١٩	٣٠٢	الا	الى
١٣	٣٠٤	ستمائه	خمسمائه
١٣و١٤	٣٠٤	نحو ذراعاً وربع	ذراعاً وربعاً مربعاً
١٤	٣٠٥	انه	انهم
١١	٣١٧	كانا	كان
٣	٣١٨	مختارون	مختارين

هذا وان فى السطر ١٣ و ١٤ جملة زائدة وهي « ولو كان مائعاً نجساً » نبهنا عليها بعض الفضلاء واصاب فى قوله اننا اغترنا بقول الرملى « ولو نجساً » لان كتابه هو آخر ما قرأناه درساً وان الصواب تأويله بمتنجس

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ الواسطة والزيارة . أو ابن تيمية والسبكي ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي ان بعض المشايخ المغرمين بحب الشهرة سعى بنشر رسائل في الواسطة الشخصية بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده وكتب لذلك مقدمة جاء فيها بالتهافت والتناقض كأنه لا يفهم ما يكتب او يتوهم ان الناس لايفهمون

اذا كان يعتقد ما قاله في اول المقدمة من ان نجاة الارواح انما هي في اتباع الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح من غير ادنى ملاحظة او اعتراض واسترسال مع العقل فلماذا الصق بالدين ما لم يرد في كتاب ولا سنة ولا قال به احد من الصحابة ولا ائمة التابعين وتابعيهم من المجتهدين وانما هي نزغات عقلية نسبت الى بعض العلماء لاجل ترويجها على ان من نسبت اليهم ليسوا بمعصومين ولاهم ممن يجب اتباعهم لذاتهم وانما توزن اقوالهم وافعالهم بميزان الشرع فما رجح منها قبل وما كان مرجوحاً ترك ورفض . هل جاء في كتاب الله او سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أمر ببناء القبور وتشريفها واتخاذ القباب عليها وجعلها في المساجد والصلاة اليها وطواف الناس بها كما يطوفون بالكعبة أم ورد النهي الصريح عن ذلك بما لا يحتمل التأويل ؟ هل نقل في حديث صحيح او حسن ان احداً من الصحابة رضى الله تعالى عنهم طلب من قبر النبي عليه افضل الصلاة

والسلام شيئاً مما يطلبه عامتنا اليوم من قبور المشايخ المشهورين بالولاية والصلاح او طلبوا منه الدعاء بقضاء حاجاتهم كما يزعم صاحب المقدمة ام قال احد السلف الصالح بذلك ؟ كلا ان صاحب المقدمة لا يقدر على هذه الدعوى ولكنه يزعم ان بعض علماء القرون المتوسطة قال بذلك . والنجاة انما هي في اتباع الكتاب والسنة على ما كان عليه السلف الصالح لا في اتباع هؤلاء الذين تدل رسائلهم التي نشرها على انهم قالوا ماقالوه بارائهم لانهم لم يستدلوا عليه بما يصح الاستدلال به ولانهم لا يميزون بين الحديث الصحيح والموضوع لان رسائلهم هذه مملوءة — كما قلنا — بالاحاديث الموضوعة والمنكرة

والذي استقر عليه اجتهاد الامام الغزالي بعد ما خاض في الفلسفة والتصوف وتوسع في الفقه والجدل والكلام ان السعادة في اتباع القرآن الكريم في العقائد وما اجمع عليه الائمة في الاعمال والاخذ بالاحتياط فيما اختلفوا فيه . ودعوى ان بعض الاموات يكونون واسطة بين الله وبين الناس يقضون حوائجهم باذنه مما يتعلق بالعقائد اولا وبالذات ثم بالعبادة ولم ترد في كتاب ولا سنة ولا قول امام مجتهد فالغزالي يحكم برفضها وانكارها حتماً . وان صحت عنه تلك العبارة الفلسفية في احتمال تأثير ارواح الموتى في عالم الشهادة فهي ليست من الدين وانما هي من النظريات الفلسفية ولا بد ان يكون رجع عنها كما يفهم من كتابه (القسطاس المستقيم) وغيره

والذي روّج غش امثال هذه الرسائل من المصنفات في سوق العامة وكثير ممن يلبسون لباس الخاصة هو التسليم لكل ما يعد تعظيماً للانبياء

والاولياء واخذه بالقبول توهما منهم ان البحث فيه او التوقف فى قبوله يخلّ بالتعظيم . فما جاء فى المقدمة لهذا الشيخ الازهري المقلد مانصه نقلاً «لو وضع شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم او سوطه او عضادته على قبر عاصٍ او مذنب لنجا ذلك المذنب ببركات تلك الذخيرة من العذاب وان كان فى دار انسان او بلد لايصيب سكانها بلاء وان لم يشعر بها صاحب الدار او ساكن البلد فان اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى العقبى مصروف الى ماهو له منسوب ودفع المكاره والعقوبات مفوض من الله تعالى الى الملائكة وكل ملك حريص على اسعاف ما حرص النبى صلوات الله عليه بهمته اليه من غيره كما كان فى حال حياته فان تقرب الملائكة بروحه بعد موته ازيد من تقربهم بها فى حال حياته » اه النقل

ولكن هل يجوز لنا فى تعظيم النبي عليه افضل الصلاة والسلام أن نقول عليه وعلى ملائكة الله تعالى ما لا نعلم ؟ كلا ان فى هذه العبارة مسائل (١) من اين علم قائلها ان اهتمام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فى جوار الله تعالى مصروف الى آثاره التى فى الدنيا . أليس الاقرب ان يكون مصروفاً الى مناجاة الله تعالى والانس بلقائه (٢) ان النجاة فى الآخرة منوطة بحسب ما جاء فى الكتاب والسنة بالايمان الصحيح والعمل الصالح وامر العصاة مفوّض الى الله تعالى « يغفر لمن يشآء ويعذب من يشآء » ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم ان وضع السوط او الشعر على القبر من اسباب النجاة فهل يجوز لاحد ان يزيد فى دينه ما ليس منه بحجة التعظيم أم يجب الوقوف عند حدود الشريعة فى الاحكام وفى التعظيم نفسه أيضاً ؟ (٣) لو كان وضع السوط او الشعر على القبر منجياً من العذاب لكان

الاجدر بذلك الاتصال به صلى الله عليه وسلم فى دار الدنيا وقد ورد فى الصحيح ان سعد بن معاذ الشهيد احد اكابر الصحابة مات بين سحر النبي ونحره متكئاً على صدره ومع ذلك اخبر صلى الله عليه وسلم بأن ضغط القبر كان عليه شديداً. (٤) ان البلاد التى فيها من شعر النبى صلى الله تعالى عليه وسلم كالاستانة ومصر وغيرهما اصيبت بانواع من البلآء بل ان المدينة المنورة التى فيها جسده الشريف كله قد اصيبت بالوان من البلاء حتى ان الحرم الشريف نهب وربطت فيه الخيول.

وحسبنا فى تعظيمه صلى الله عليه وسلم ما علمنا الله ورسوله ككونه رحمة للعالمين وكونه على خلق عظيم الى غير ذلك مما لا يحصى. ولكن امثال هؤلآء المؤلفين يقولون بألسنتهم ماليس لهم به علم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم. فعلينا ان نعتمد فى نجاتنا على تعليم الوحي من غير ان نزيد فيه بعقولنا واهوائنا او ننقص منه بالتأويل والتحريف. ولو صح فى معانى تلك العبارة شيء لا ينافيه الواقع ولا يصادمه الوجود لقبلناه على ظاهره والا وفقنا بينه وبين الواقع كما هي القاعدة الشرعية. وعدم ورود ذلك لا ينافى كونه صلى الله تعالى عليه وسلم فى أعلا مقام

ومن اغرب مزاعم صاحب المقدمة وافسد قياساته المساواة بين طلب المعونة من الاحياء وطلبها من الاموات فاذا كان لا يفرق بين الحي والميت وقد فرق بينهما الوجود والشرع والعقل افلا يجب عليه التفريق بين ما يطلب من الاحياء من التعاون وبين ما يطلب من الاموات. يطلب الاحياء بعضهم من بعض التعاون على الامور الكسبية باسبابها التى قرنها الله تعالى بها وامرهم بالتعاون عليها فى قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى »

ويطلبون من الاموات ما لا تناله يد الكاسب لجلب المصالح او درء المفاسد من غير اسبابها التى قرنها الله تعالى بها وهذا النوع مختص بالله تعالى لا يستعان بغيره فيه كما لا يعبد غيره لقوله تعالى « إياك نعبد واياك نستعين » — يطلبون من الاموات شفآء المرضى من غير معالجة ودفع البلآء من غير سببه . يطلبون منهم الانتقام من الاعدآء الذين يعجزون عن الانتقام منهم كتلك المرأة التى كانت تدعو المتبولى بان يهلك الطبيب الذى عالج ابنها فمات عقيب معالجته . يطلبون منهم ان يردوا عليهم من ضل وتاه من اولادهم وما فرّ أو سرق من مواشيهم ويقدمون لهم النذور لارضائهم . يطلبون منهم بل ومن قديسي النصارى (كمار جرجس) ان يحبلوا العاقر الخ الخ

مثل هذه المطالب يعرفها الشيخ المقلد . صاحب المقدمة وكان يعدها وامثالها من الشرك كما سمعت ذلك منه باذنى . وقد كان فى مجلس ثابت باشا فى بعض ليالى شهر رمضان فذكروا الوهابية فانتصر لهم وشنع على الذين يعظمون القبور ويطلبون منها ما يطلبون اقبح تشنيع ردّ عليه فى المبالغة فيه الاستاذ الشيخ حمزة فتح الله والناس يسمعون «فما عدا مما بدا»؟

اعتذر هذا الشيخ المقلد فى آخر مقدمته عن اكثر علمآء هذا العصر فيما ينتقد عليهم من ترك ارشاد العامة واهمال فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بانهم بالقآء الدروس الشرعية فى اكثر المساجد قائمون بذلك حق القيام . وهذا اعتذار غير صحيح كان يجب ان يخجل من كتابته فان اكثر المساجد خالية من الوعاظ والمرشدين . وقراءة بعض الكتب الصعبة للمجاورين فى الازهر وما قرب منه كمسجد سيدنا الحسين ومسجد محمد

بك وجامع المؤيد لا تغنى عن العامة شيئاً لانهم لا يقدرون على ترك اعمالهم فى النهار والهجرة الى هذه المساجد لاجل سماعها ولو قدروا لما فهموها فاذا اراد العلماء ارشاد العامة وتعليمهم دينهم فلينتشروا فى جميع المساجد وليعلموهم ماتمس اليه حاجتهم فى وقت يتسنى لهم الاجتماع فيه كما بين المغرب والعشاء

ثم عقب اعتذاره عن أولئك العلماء بذم القائمين بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر بزعمه انهم غير مخلصين واستدل على طعنه وقدحه فيهم بدليلين بل بشبهتين سخيفتين (احداهما) انهم لو كانوا مخلصين لكسيت اقوالهم جلباب القبول. وهذا الدليل مردود عليه لوجوه احدها ان جهله بقبول ارشادهم لا يدل على نفيه فمن المقرر عند العلماء أن عدم العلم بالشىء لا يقتضى عدم ذلك الشىء فى نفسه. ثانيها ان من الانبياء عليهم الصلاة والسلام من لم يتبعه احد ومنهم من اتبعه النفر القليل كسيدنا نوح عليه السلام. ثالثها ان سنة الله تعالى فى قبول الارشاد ان يكون بالتدريج. وتعريضه بهم بأنهم أذلوا وأهينوا حجة عليه فهل جهل ما قاساه سيد المصلحين عليه الصلاة والسلام من النفي والطرد والسب والضرب وأن الناس لم يؤمنوا به بمجرد دعوتهم الى الايمان. ولو لقى دعاة الاصلاح الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر عشر معشار ما لقيه المصلح الاعظم صلى الله عليه وسلم لكان هذا الشيخ المقلد يستدل بذلك على كفرهم ويطفئ نار حسده بالتشفي منهم ولكن الله بفضله ورحمته اراد ان يؤيدهم ويؤيد بهم الدين، ولذلك يزيدهم رفعة وعزة على ممر الايام والسنين، وذلك من رحمته وفضله على المسلمين، واذا أُنظر هذا الشيخ ومُد فى اجله فسيشاهد أثر أولئك المصلحين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان الا على

الظالمين ، ولتعلمن نبأه بعد حين ،

(الشبهة الثانية) قوله : « ولو صدق هؤلاء فيما يزعمون لقاموا بالنهي عما اجمعت الامة على انكاره كالزنا والربا وشرب الخمر والمجاهرة بها وترك الصلاة والصوم » الخ . والجواب عنها انهم ينهون عن هذه المحرمات العملية ولكنهم جعلوا جل عنايتهم فى النهى عن المنكرات فى العقائد والاخلاق لانها الاصل الذى تبنى عليه الاعمال والى هذا الاشارة بحديث « الا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب » وكيف ينفع النهى عن الاعمال مع وجود مثل هذه الرسائل التى نشرها والمقدمة التى حبرها وفيها السم الذى يميت خشية الله تعالى من القلوب ويغرى الناس بالمعاصى اعتماداً على الوسطاء الذين ينجونهم فى الآخرة وان أساؤا بترك الفرائض وارتكاب المحرمات كما يقضون مصالحهم فى الدنيا وان تركوا السعى والاسباب . نعم ان العامة اذا رأوا كتاباً كتب عليه انه للامام فلان ومقدمته للامام فلان يغترون بهذه الالقاب الضخمة ويأخذون ما فيها بالتسليم . فاذا رأوا فيها ما نصه : « الحديث التاسع : من حج حجة الاسلام وزار قبرى وغزا غزوة وصلى علىّ فى بيت المقدس لم يسأله الله عز وجل فيما افترض عليه » يتوهمون ان هؤلاء الائمة لا ينسبون الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ما لم يقله ويجيزونه وينصحون الناس به وبناء على هذا يعتقدون ان عمل فريضة عينية كالحج على المستطيع وواجب كفائى كالجهاد وفعل آخر لم ترد به بخصوصه سنة تسقط سائر الفرائض عن الانسان بحيث لا يسأل عنها فاذا تسنى لاحد منهم ذلك وأمر بالصلاة وبالصوم لا يبالى لانه يعتقد ان الله تعالى لا يسأله عنهما . اذن انّ النهي

عن هذه الكتب وعن الالتفات لهؤلاء الذين يسمون انفسهم ائمة مقدم على النهى عن الزنا والخمر وعلى الامر بالصلاة والصوم. والحديث موضوع كما بينه صاحب كتاب « الصارم المنكى » وغيره وفى هـذه الكتب غير ذلك من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم واثمها على مؤلفيها وناشريها وعلينا النهى عن الاغترار بها والله الموفق

« قسم الموالد والمواسم »

منعت الحكومة المصرية الناس فى هذا العام من كثرة الاجتماع فى الموالد حيث لم ترخص للبغايا وللراقصات ولباعة الحشيش واضرابهم من نصب خيامهم فى معاهد الاحتفال بالموالد والاحتراف بحرفهم الخسيسة الضارة خوفاً من انتشار الوباء وسريان الطاعون . وكانت تصرح فى الاجازات باقامة هذه الموالد بوجوب الاقتصار على اقامة «الشعائر الدينية» وعجيب من حكومة اسلامية ان تسمى البدع شعائر اسلامية سواء كان ذلك عن علم اوعن جهل فهي كما قال الشاعر :

اذا كنت لا تدرى فتلك مصيبة وان كنت تدرى فالمصيبة اعظم

نعم زعم بعض العلماء ان هذه البدعة حسنة اذا خلت من المحرمات والمنكرات ولكن لم يقل احد بانها من شعائر الدين ، كيف وكلها من اوضاع المتأخرين ، وهى تزيد وتجدد حينا بعد حين ، ولم يعرف شيء منها عن السلف الصالحين ،وقد اعجبنا من رقعه الدعوة التى ارسلها الينا صاحب السماحة السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق لحضور الاحتفال بمولد النبى صلى الله عليه وسلم تصديرها بتسمية ذلك « عادة » فحيا الله العلم والفهم

الجزء العاشر — المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر فى يوم الاربعاء غرة ربيع الثانى سنة ١٣١٩ — ١٧ يوليو (تموز) سنة ١٩٠١ ﴾

القسم الديني

المحاورة التاسعة بين المصلح والمقلد — التقليد والتلفيق والاجماع

لما ضم الشاب المصلح والشيخ المقلد المجلس التاسع ومعهما المقلد الثانى أو المناظر الثالث ابتدأ المقلد الكلام فقال للمصلح : لم يبق الا أن تبين لنا رأيك فى الوحدة الاسلامية بالنسبة للمعاملات والاحكام السياسية والقضائية ونحن نجمع ما عندنا من الانتقاد عليك ثم نسرده سرداً

(الثالث) : انى لست على ثقة من حضور مجالسكم كلها فلا بد من البحث فى كلام الامام الغزالى السابق قبل ان يطول عليه الامد فان هذا الامام لم يحرّم التقليد كما حرمه صاحبنا وانما أباحه بالنسبة لمن عمل بالمجمع عليه وعرضت له مسائل مما اختلف فيه فذهب الى أن له الاخذ فى ذلك بقول من يغلب على ظنه انه الافضل وهو قول لعلماء الاصول القائلين بالتقليد وبعضهم يخالف فيه ويقول بعدم اشتراطه لان المقلد لا رأى له فيختار الافضل

(المصلح): قد علمتم انني ابديت رأيي في الوحدة الاسلامية وانقاذ المسلمين من ظلمات الاختلافات التي كانت أصل مرضهم وجرثومة دائهم قبل ان أطلع على كلام الامام الغزالي (رحمه الله تعالى) فلست مقلداً له فيه ولكنني احمد الله تعالى من صميم قلبي على موافقة فهمي في الدين لفهم حجة الاسلام وعلم الاعلام وقد علمتم انه اكتفى في جمع كلمة المسلمين بأن يأخذوا عقيدتهم من القرآن الكريم وان يعملوا بما اجمعت عليه الائمة وتلقته بالقبول الامة ولم يكلف العامة بأكثر من هذا الذي جزم بانه هو الدواء الذي لايحتاجون الى سواه . ثم انه فرض وجود رجل صالح فرغ من حدود التقوى كلها بترك كل ما اتفقوا على وجوب تركه وفعل كل ما اجمعوا على طلب فعله عند الاستطاعة وتحير في مسائل الخلاف التي تدور بين النفي والاثبات فحكم على هذا بان ينظر في اقوال الائمة وفي سيرهم فمن علم من سيرته انه اعلم واحكم ومن دليله ومدلوله انه اقوم واسلم يأخذ بقوله وقد سمي هذا النظر اجتهاداً وهو كذلك وانما يسمى صاحبه كما قال ولي الله الدهلوي « المجتهد المنتسب » لانه سار في اجتهاده على طريقة غيره بعد العلم بها وكذلك كان اصحاب الائمة المجتهدين كابي يوسف ومحمد اجتهدوا على طريقة ابي حنيفة ومنهاجه في الاستنباط ولم يقلدوه . على أن هذه المسائل الفرعية الخلافية التي يعذر الانسان بجهلها ويعذر بالخطأ اذا هو اجتهد فيها فاخطأ على ما هو معروف عند الجميع لا يضر بالوحدة الاسلامية تقليد مثل ذلك الرجل الصالح فيها اي امام وان لم ينظر في حاله ودليله وانما المضر هو تفريق المسلمين شيعاً واحزاباً يلتزم كل حزب الاخذ بقول عالم يسميه امامه ويقلده هو والمنتمين اليه في كل اقوالهم وآرائهم ويتعصب على

الحزب الذى يأخذ باقوال العالم الآخر وآرائه حتى يؤدي ذلك الى اهمال الكتاب والسنة وما يثبت بالاختبار ان فيه مصلحة الامة فى سياستها واحكامها الى آخر ما اطلنا القول فيه من قبل . وقد يسرت الامر فى هذه المسائل الفرعية الخلافية فجعلت العامي فيها مخيراً بشرط الاحتياط بقدر الامكان وعدم اتباع الهوى . والامام الغزالى وان قال بجواز تركها ايضاً فانه ضيق على من اراد العمل بها وألزمه بضرب من الاجتهاد ان لم يكن مايسمون صاحبه المجتهد المنتسب فليكن مايسمونه «الاجتهاد فى المذهب» نعم انه فرض وجود مثل هذا فرضاً بكلمة (لو) واشار قبل ذلك الى انه لا يكاد يوجد حيث قال : « ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ »

(الثالث) : بقى فى نفسى قول (الدر المختار) : ان الحكم الملفق باطل بالاجماع . ومعلوم انه لولا قول هؤلاء المجمعين بالتقليد لما كان لنفى التلفيق فيه معنى فهم اذن مجمعون على التقليد فما وجه هذه المناقشة فى شىء صح فيه الاجماع

(المصلح) : يصح ان يكون منعهم التلفيق لمنع التقليد اي لا يصح التلفيق لانه تقليد والتقليد باطل ونفى الاعم يستلزم نفى الاخص . والجواب التحقيق ان دعوى الاجماع ممنوعة وتجد ذكر الخلاف فى اشهر كتبكم الازهرية كحواشى الامير وحواشى الباجوري على جوهرة التوحيد للقانى ومن العجيب ان ينقل صاحب الدر هذا القول الذي لم يقل به احد من ائمة مذهبه وكيف يقولونه والمذهب كله تلفيق لانه مذهب ثلاثة أئمة . ومن آية عدم قول أئمة الحنفية بمنع التلفيق ان مجتهدهم فى القرون المتوسطة الكمال

ابن الهمام نسبه فى تحريره الى متأخر وعنى به كما قاله شارحهُ القرافيَّ المالكي فلو كان فى المسئلة نص عن أئمتهم وهو اعلم الناس بذلك لما اقتصر على نسبتها الى رجل واحد من متأخري المالكية اذ قال « وقيَّدَه متأخر » الخ

أما فتاواهم فى التلفيق الصريح فهي كثيرة ومن اشهرها وقف المنقول على النفس الملفق من قول ابي يوسف بجواز الوقف على النفس دون المنقول وقول محمد بجواز وقف المنقول دون الوقف على النفس . وممن صرح بأن هذا تلفيق الطرسوسى وذكر ان فى منية المفتى ما يفيد جواز الحكم المركب كذا فى تنقيح الحامدية لابن عابدين عمدتهم فى المتأخرين . وفيه ايضاً بعد ان ذكر عن الشلبي ان وقف الدراهم على النفس ملفق من قول ابي يوسف وزفر وأن الطرسوسى مشى على جوازه مانصه : ورأيت بخط شيخ مشايخنا منلا على التركمانى فى مجموعته الكبيرة عن خط الشيخ ابراهيم السؤالاتى بعد هذه المسئلة المنقولة عن الشلبي مانصه : وبالجواز افتى شيخ الاسلام ابو السعود فى فتاواه وان الحكم ينفذ وعليه العمل اه اما الذى فى المنية فهو ان الحكم بشهادة الفساق على الغائب ينفذ وان كان القائل بجواز الحكم على الغائب يمنع شهادة الفساق . وذكر ابن نجيم فى رسالته فى بيع الوقف بغبن فاحش مثل مافى المنية عن البزازية وجزم بان المذهب جواز التلفيق حيث لم يكن فيه رجوع عما عمل فيه تقليداً اولازمه الاجماعي اخذ من اطلاقهم جواز تقليد غير من قلده فى غير ماعمل به فانظر اين تضع زعم صاحب الدرّ المختار الاجماع على منع التلفيق

(الثالث) : ان العلامة ابن عابدين قد رفع الاشكال عن شبهة التلفيق فى مذهب الحنفية بان التلفيق الممنوع انما هو ماكان من مذاهب متباينة

واما اذا كان من اقوال اهل المذهب الواحد فلا لأن اقوالهم مبينة على قواعد امامهم او مروية عنه .

(المصلح) : هذا تحكم لا يقبله عاقل فان القاعدة الواحدة لا يمكن ان تفيد النقيضين ولا يمكن ان يقول عاقل ولو مقلداً بقولين متناقضين كما فى مسئلتنا التى مثلنا بها (وقف المنقول على النفس) فاذا وجدنا روايتين متناقضتين عن امام نحكم بانه رجع عن احداهما ان كانت الرواية صحيحة فيهما كما نحكم فى الحديثين المتناقضين بان احدهما منسوخ اذا لم يمكن الجمع ولا جمع بين النقيضين وانما يمكن الجمع بين المتخالفين بغير التناقض . قل لى ايها القاضى الفاضل أليس اتفاق مثل ابى حنيفة ومالك (رحمهما الله تعالى) فى أصول الدين عقائده واحكامه اقرب من اتفاق ابى حنيفة مع صاحبيه أو احد صاحبيه مع الآخر فى هذه الفروع الاجتهادية فلماذا لا تجعلون اهل الدين الواحد كأهل المذهب الواحد . ان كان اهل المذهب يجتمعون فى بعض القواعد ، فاهل الدين يجتمعون فى جميع الاصول والعقائد ،

(المقلد) : هل يمكن ان يكون صاحب الدر مخترعاً لدعوى الاجماع ام لابد له من نقل

(الثالث) : حاش لله ان يقول هذا الفقيه العلامة من عند نفسه شيئاً فلا بد ان يكون ناقلا

(المصلح) : صدقت ليس لمثله ان يقول شيئاً لانه مقلد والمقلد لا علم له فيقول وانما ينقل قول غيره وفاقاً لحضرة القاضى . وقد نقل هذه المسئلة عن العلامة قاسم وهو نقلها عن توفيق الحكام . وسواء كان هو الذى قالها ام صاحب توفيق الحكام فهى منقوضة والخلاف فى المسئلة محكي

والقائلون بالتلفيق كثيرون . وقد سمعتم ما نقله الكمال عن القرافى المالكي واليكما ما فى حاشية ابن عرفة المالكي على الشرح الكبير عند قول المتن مبيناً مابه الفتوى وهو : وفيه ايضاً — اى فى الشبرخيتي — امتناع التلفيق والذى سمعناه من شيخنا نقلا عن شيخه الصغير وغيره الصحيح جوازه وفيه فسحة .

(المقلد) : اني والله لفى حيرة من الجراءة على دعوى الاجماع فى مسائل فيها مثل هذا الخلاف والترجيح

(المصلح) : لو راجعت كتب الاصول وكتب السنة والخلاف وشروحها ورأيت خلاف العلماء فى الاجماع نفسه لفهمت حق الفهم قولى السابق . « واما العبادات فما بينته السنة بالعمل وتناقله الخلف عن السلف كذلك بالاتفاق حتى صار معلوماً من الدين بالضرورة هو الذى يجب ان يأخذ به كل مسلم » فانى لم اذكر السنة العملية عبثاً . وكيف واني اعرف كثيراً من المسائل الخلافية ادعوا فيها الاجماع وذلك ان احدهم يطلق هذا اللفظ على مالا يعلم فيه خلافاً وهل يحيط أحد غير الله تعالى باراء الناس واقوالهم فى عصر من الاعصار

وانى اذكر لكم مجمل اقوال العلماء فى الاجماع واذا اقتضت المناظرة تفصيلا فانى اذكره فى وقته . قال بعضهم ان الاجماع غير ممكن وقال اخرون انه ممكن لكنه لايقع وقال غيرهم انه يقع ولكن لا سبيل الى العلم به فنقله متعذر وغير ممكن وذهب آخرون الى ان النقل ممكن ولكنه لم يقع . وحسبكم من دعوى القائلين بالوقوع مسئلتنا . ثم اختلف العلماء فى طريق نقل الاجماع ومتى يكون حجة يجب العمل . فقال بعضهم لانه

تقبل فيه اخبار الآحاد أي بل لا بد من التواتر ونسب هذا القول الى الجمهور القاضى فى التقريب والغزالى فى كتبه . وقال بعضهم انه ليس حجة بالمرة ولا دليل على حجيته من النقل ولا من العقل . وقال قوم منهم الامام الرازى والآمدي انه حجة ظنية وذهب الاكثرون الى انه حجة قطعية على خلاف لهم في الاجماع السكوتى والاجماع المسبوق بخلاف . وتسمية ما يقول به بعض المجتهدين ويسكت عنه الآخرون فلم ينقل عنهم فيه خلاف ولا وفاق اجماعاً تساهل كبير . والكلام فى هذا طويل ولا غرض لنا فى الخلاف وانما غرضنا فى الوفاق والذى اتفقوا عليه شيء واحد وهو ان الذى ينكر المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة كافر خارج من جماعة المسلمين ومن عداه مؤمن سواء وافق الاكثر او الاقل فان الحق ليس مع الاكثر دائماً « وما اكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين »

(المقلد) : دعنا من بحث الاجماع الآن وعد بنا الى الكلام فى دعواك ان أمر الامام الغزالى للمتحير فى الخلاف بتقليد من يرى انه افضل وصوابه اغلب يستلزم الاجتهاد فى المذهب على الاقل وكيف يأمر العاميّ بهذا النوع من الاجتهاد وهو يحظر عليه النظر فى غريب العلم كما تكرر فى قوله

(المصلح) : انه لم يأمر كل عامي بالاجتهاد فى المذاهب ولا بتقليد اربابها وانما امر بذلك شخصاً مخصوصاً فرض انه عرف امور الدين المتفق عليها وعمل بها وعرض له بعض الفروع المختلف فيها ومثل هذا ان وجد يسهل عليه ما ذكرناه من معرفة احوال الأئمة ودلائلهم فى الفرع اوالفروع التي تعرض له .

(الثالث) : ان الامام قال « فالمجتهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عندالله وبعضهم يشاركون المصيبين فى احد الاجرين» الخ وهو قول جازم بالتقليد على اطلاقه

(المصلح) : المسائل المجمع عليها المنقولة بالعمل — ومنه عمل اللسان كقرآءة الفاتحة فى الصـلاة — لا اجتهاد فيها ولا تقليد لان التقليد فرع الاجتهاد . والمسائل الاجتهادية فى العبادات قد علمنا حكمها عنده وهوان الناس ليسوا ملزمين بالبحث عنها ولا بالعمل بها الا مثل ذلك الصالح المفروض وقد علمنا انه يأمره بنوع من الاجتهاد ليعرف الراجح والمرجوح وقد قلت لك من عهد قريب انه لا ضرر فى تقليده أي امام بها اذ لاضرر فى ترك العمل بها بالمرة ولكن الدين الاسلاميّ يأمر اصحابه بأن يكونوا على بصيرة فى دينهم ومن يأخذ برأي انسان وهو لا يعرف من سيرته شيئاً ولا يدرى من اين اخذ ذلك الرأي بالمرة فلا بصيرة له بالمرة . واما الاجتهاد فى المعاملات والقضاء فهو الاجتهاد الحقيقى الذى يعجز عنه اكثر الناس ولا يقوم به الا طائفة تتفرغ للاستعداد للقضآء والفتوى والتعليم ويلزم الامام اوالسلطان سائر الناس بالعمل باجتهادهم على ما سنبينه تبيناً . فان اصاب هؤلاء الحق والعدل فلهم اجران وان اخطأوا بعد التحري وبذل الجهد فى المعرفة فلهم اجر واحد ويعذرون هم ومقلدوهم العاملون بمقتضى اجتهادهم .

(الثالث) : ان قولك فى العبادات مبنيّ على القول بتجزّؤ الاجتهاد اذا اعتبرنا ان الاخذ بقول الامام بعد معرفة حاله والوقوف على دليله تقليدٌ له .

(المصلح) : انت تعلم ان القائلين بهذا كثيرون ومنهم ابن الصلاح والنووى من الشافعية

(المقلد): ادعى بعض علماء الاصول الاجماع على انه لا يشترط في التقليد اعتقاد افضلية امامه على سائر الأئمة

(المصلح) : دعوى الاجماع مجازفة كما علمت من سابق القول وانما غر صاحب هذه الدعوى أخذ الصحابة بعضهم عن بعض مع وجود الافضل كالخلفاء الاربعة وقد قدمنا ان هذا الاخذ من باب الرواية لا من باب التقليد . على ان المفاضلة بين الأئمة والعلماء لاجل الاخذ عنهم بمسئلة من المسائل هى ليست بمعنى المفاضلة بين الخلفاء الاربعة وسائر الصحابة عليهم الرضوان أي اعتقاد ان هذا افضل عند الله من ذاك وانما هي بمعنى ان هذا استوفى النظر فى ادلة المسئلة بتحر واجتهاد اتم مما عند الآخر الذى ربما كان أفضل عند الله منه وقد قالوا : يوجد فى المفضول مالا يوجد فى الفاضل . وانى اعتقد ان اشد الائمة الاربعة اجتهاداً واكثرهم صوابا الامام الشافعي رحمه الله تعالى واعتقد مع ذلك ان كل واحد من الائمة الثلاثة أصاب الحق في مسائل كثيرة مما خالفه فيه فاذا عرضت لى مسئلة لم اهتد لطريق الاستدلال عليها من نفسى انظر فى أدلتهم واعمل بما أراه ارجح منها فاكون من جهة مجتهداً وعلى بصيرة من دينى لانني عملت كل ما فى امكانى ومن جهة أخرى مقلداً لمن اهتديت بهديه فى النظر وسرت على طريقه فى الاستدلال وليس هذا هو التقليد المذموم الضار .

(المقلد) : ان صدري يضيق من سماع الادلة والحجج على ترك تقليد الائمة الذين سارت الامة على اتباعهم لما اتوقعه من الفوضى فى الدين

بالنسبة لعامة المسلمين واما العلماء فيسهل عليهم العمل بما تقول اذا انصفوا وجدوا واجتهدوا .

(المصلح) : هل تظن او تتوهم ان عامة المسلمين مقلدون للائمة ومهتدون بهديهم ؟ ان كان يختلج هذا فى نفسك فعاشرهم واختبرهم يتبين لك بطلانه . هؤلاء العوام يقلد بعضهم بعضاً واكثر ما بقي عندهم من معرفة احكام الدين مجمع عليه والنادر من يعرف بعض الاحكام الخلافية معرفة ناقصة كالوسواس فى النية . اى عامي يعرف عقيدة ابى الحسن الاشعرى او ابى منصور الماتريدي ويعرف احكام مذهب احد الائمة الاربعة ؟ ومن اين يعرفه وانت لاتكاد ترى لهم معلماً ولا منهم متعلماً لا سيما النساء الذين هم نصف الأمة . اكثرهن لا يعرفن من العقائد الا أن الله تعالى واحد وأنه فى السماء وان النبي صعد اليه ورآه وأن العَدوي ٌيرد الاطفال التائهين اذا دعي واستغيث به وان ابا السعود الجارحي يشفى الامراض المعضلة التي تعجز عنها الاطباء وان السيدة نفيسة تشفى الرمد وان مَغْطَسَ الطشطوشي يشفى من الحميات وان المتبولى ينتقم بسرعة من عدو من يستغيث به الى غير ذلك مما تعرفه . واما الاعمال فاكثرهن يصمن حتى فى زمن الحيض . واذا وجد فيهن مصلية فانما تحاكى بصلاتها صلاة امها . وقد رأيت بعيني واخبرتني والدتي وعمتي عن بعض نساء العلماء انهن يصلين مكشوفات الصدور والرؤوس كلها او بعضها وحاسرات عن السواعد وهذا لا يصح فى مذهب من المذاهب

ان العامة خلو من المذاهب ومن اسهل الامور تلقينهم دين الحنيفية الذى ظهر على كماله فى الامة الامية ولا يوجد مقلد للمذاهب الاربعة الا

المشتغلون بالعلم وقداتعبوا انفسهم وجعلوا الدين متعسراً على العامة فتركوه وعلى الحكام فأخذوا بالقوانين والذنب عليهم فى الجميع

(المقلد) : طال المجلس وستبين لنا رأيك فى المعاملات فى المجلس الآتى ان شاء الله تعالى . وانصرفوا

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

(الدرس ٢٩) الآيات البينات . على صدق الوحي والنبوات

(المسئلة ٦٣) الآية او المعجزة — عبر القرآن الكريم عما ايد الله تعالى به الانبياء لاجل اذعان الناس لهم وقبولهم دعوتهم بالآيات واصطلح المتكلمون على تسميتها معجزات واختلفوا فى وجه دلالة المعجزة على صدق النبي الذى ظهرت على يديه هل هى عقلية او عادية او وضعية لانها بمعنى قوله تعالى : صدق عبدى فيما يبلغ عنى . ولا نبحث فى مثل هذه الخلافات النظرية وانما نقول ان القصد منها الحمل على قبول الدعوة والاذعان للرسالة عند استعداد الامة لذلك واقامةُ الحجة البالغة على المعاندين بحيث ينقطع لسان الاعتذار من اهل الجحود والانكار

وقد كان ما جاء به كل نبي كافياً فى هذا المقصد فاهتدى بهديهم كثيرون من المستعدين ، وحقت الكلمة على المكابرين ، « قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين » فالآية او المعجزة امر يؤيد الله تعالى به نبيه ويخضع له به النفوس وكان يختلف باختلاف الامم ومعارفها ودرجات ارتقائها ومهما اختلفت الآيات وكثرت افرادها فانها ترجع الى نوعين آيات كونية آفاقية وآيات علمية نفسية

م (٦٤) الآيات الكونية الآفاقية – اودع الله فى فطرة الانسان الاعتقاد بقوة غيبية تعلو جميع القوى وقدرة علوية تفوق جميع القُدَر واودع فى غريزته ميلاً لمعرفة الاشياء بعللها واسبابها والوقوف على مناشئها وآثارها فاذا رأى شيئاً لا يعرف له سبباً طبيعياً، ولا منشأ كسبياً، يحيله على تلك القوة الغيبية، والسلطة السماوية، ويعبد المظهر الذى قام به، ويخضع ويستخذى للرجل الذى برز على يده، وذلك الاعتقاد كان أصلا للوثنية ثم به جذب الانسان الى الايمان عند ما رتقى الى درجة يميز فيها بين مظاهر الآيات والغرائب ومجاليها، وبين موجدها الحقيق ومنشيها، ارتقى فى الوثنية من الخضوع والعبادة لابسط المظاهر الطبيعية الى عبادة اعظمها وابدعها كالكواكب والانسان ثم ارتقى من الوثنية الى التوحيد عند ما استعد فى ارتقائه الى فهمه كما قال تعالى «كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» وهذا الارتقاء الذى غايته التوحيد هو الذى نطقت به الآية الشريفة «وما خَلَقْتُ الجنَّ والإِنسَ الا لِيَعْبُدُون» (راجع المنار ج ٨ م ٤)

لكن الذين يخضعون لمن تظهر على يديه امور خارقة للعوائد المألوفة ومخالفة للسنن المعروفة، لمجرد الجهل بمناشئها، وعدم نفوذ عقولهم الى حقيقتها، يكونون دائماً عرضة للانخداع بشعوذة المشعوذين، وحيل السحرة والدجالين، ومستعدين للرجوع الى الوثنية، وعبادة من ظهرت على يديه الخارقة الكونية، الم ترالى بنى اسرائيل حين اتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم كيف قالوا : ياموسى اجعل لنا الهاً كما لهم آلهة. ثم كيف اتخذوا العجل بايديهم وعبدوه ثم الى النصارى كيف عبدوا السيد المسيح عليه

السلام . ولكن لا مندوحة عن هذا لأن نظام الارتقاء الذى اقام الله فيه نوع الانسان يقتضيه فان الانسان فى تلك الامم لم يكن مرتقياً الى فهم البراهين على مسائل الاعتقاد وفهم الحكمة من الشرائع والاحكام الادبية والعملية . والآيات الكونية التى اوتيها موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ليست براهين على ما يجب اعتقاده من تنزيه الله وتوحيده ومعنى النبوة وما يجب اعتقاده فى النبي ولا على منفعة الآداب والاحكام التي جاء بها وموافقتها لمصلحة البشر وانما هى شيء تخضع له النفس وتستخذى امام صاحبه او تحمله على ما يشابهه مما يسمع ويرى من السحرة والمشعوذين . اما الذي يصلح برهاناً قاطعاً على صدق النبى بحيث لا يمكن لمن آمن بسببه ان يرجع عن الايمان فهو النوع الثانى وهو الآيات النفسية والعلمية التي منحها الله تعالى للانسان عند ما ارتقى ارتقاء يمكنه به فهمها

م (٦٥) الآيات النفسية العلمية — هى ماتدل على صدق النبي دلالة حقيقية بالبرهان الذي يجزم العقل بأن صاحبها مؤيد من الله تعالى وموحى اليه ما بلَّغه ودعا اليه لانها عبارة عن كون حال النبي وما جاء به يشهدان بانهما لا يمكن ان يكونا الا بامداد الهى ووحي سماوي لانها كحجة من يدعى الطب ويستدل على دعواه بمعالجة المرضى وشفائهم على يده وبالاتيان بكتاب فى الطب اذا عمل به الناس تذهب امراضهم وتحفظ صحتهم ولكن مدعى الطب اذا استدل على صدقه بانه يقلب العصا حية ويكشف حيلة مشعوذ يُري الناس الحبال والعصىّ حيات وثعابين وفعل ذلك لم يكن بين الدليل والمدلول اتصال يربط احدهما بالآخر . وانما خضع من خضع من الناس لسيدنا موسى بما ظهر على يديه من الايات الكونية لما رسخ فى

طباعهم من الخضوع لكل ذى مظهر غريب يفوق ادراكهم لا لانها براهين اقنعت عقولهم بصدق الدعوى التى قام بها ألا تراهم كيف حنُّوا الى عبادة الاصنام وطلبوا من موسى ان يجعل لهم الهاً مثلها على انهم لم يميزوا بينها وبين السحر الا ان صاحبها غلب السحرة اللهم الا السحرة انفسهم فانهم عرفوا الفرق بينها وبين ماجاؤا به من التمويهات الصناعية والشعوذة التخييلية ولذلك اختاروا القتل والصلب على الرجوع عن الايمان

م (٦٦) آية خاتم الانبياء والمرسلين — لما استعد النوع الانسانى الى معرفة الحق من الباطل بالبرهان والتمييز بين الخير والشر بالدليل والحجة وكان لابد له فى هـذا الطور من معلم ومرشد كما فى الاطوار الاخرى ارسل الله تعالى اليـه رسولاً يهديه الى طرق النظر والاستدلال ويأمره بأن يرفض التقليد البحت والتسليم الاعمى وان لا يأخذ شيئاً الا بدليل وبرهان يوصل الى العلم القطعي فيما لا بد فيه من القطع والى الظن الغالب فيما تقوم المصلحة فيه بالاكتفاء بغلبة الظن . وكانت عمدة هذا الرسول عليه الصلاة والسلام فى الاستدلال على نبوته ورسالته نفسَه وما جاء به من النور والهدى كالطبيب الذي يستدل على اتقانه صناعة الطب بما يبديه من العلم والعمل الناجح فيها .

قال تعالى « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » فتحداهم فى الآية بالاتيان بسورة هادية للناس كسور القرآن من اميٍّ لم يتربَّ ولم يتعلم شيئاً مثل النبى الذي جاء به . وقال تعالى : « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم » استدل بالقرآن الناطق بالحكمة وبقيام من جاء به على صراط

الاستقامة على انه مرسل من ربه لبيان الحق وهداية الخلق . وقال جل ذكره « وقالوا لولا يأتينا باية من ربه اولم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى » احتج ههنا بنوع من انواع علوم القرآن وهو بيان سيرة المرسلين وما فى صحفهم من النور والفرقان وهذا شئ لم يكن يعرفه هو ولا قومه من العرب كما قال سبحانه بعد ذكر قصة نوح « تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » . وقال تعالى « وكذلك انزلنا اليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد باياتنا الا الكافرون . وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين أُوتو العلم وما يجحد باياتنا الا الظالمون . وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين . أولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما فى السموات والارض والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون »

سبق هذه الايات الامر بالايمان بما انزل على الانبياء السابقين واشار بقوله (وكذلك) الى ان انزال الكتاب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هو من جنس الانزال على من قبله وفي هذا حجة على اهل الكتاب. وبين انه لا يجحد بآيات الله التى نصبها على صدق الرسالة الا الذين صار الكفر صفة من صفاتهم الراسخة . وقفّى هذا ببينات آية النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وانها كتاب العلم والهدى من الأُمىّ الذي لم يقرأ ولم يكتب وكون الكتاب بيِّن الصدق قاطع البرهان ناصع البيان بالنسبة لمن اوتى العلم

ورزق الفهم فصار يميز بين الحق والباطل ويزيّل بين النافع والضار . واذا كان كذلك فلا ريب انه لايجحد به الا المتوغلون فى ظلم النفس ، العريقون فى مكابرة العقل والحس ، ثم ذكر طاب هؤلاء الكافرين بالنعم ، الخافرين للذمم ، آيةً كونية آفاقية كالآيات التى خوفت بها الامم من قبلهم حتى انقادت واستسلمت ، أو أخذت واهلكت ، وأمر نبيه بان يجيب هؤلاء الاغبياء ، بان الآيات عند الله لافى ايدى الانبياء ، وان حكمته تعالى فى تربية الانسان ، اقتضت بأن يكون هذا الطور طور البيان ، وانه (صلى الله عليه وسلم) ليس الا نذيراً مبيناً ، وهادياً أميناً ، ثم نبههم تعالى على ان آيته — وهو النبي الامي — كتابٌ يشتمل على الرحمة التى تصلح بها قلوب العالمين والذكرى التى تزع النفوس عن الشر وتحملها على الخير بحيث يظهر أثرها الحسن فى المؤمنين ، ويحق الشقاء على الجاحدين المعاندين ، ثم امره الله تعالى ان يكتفى بشهادة الله فى كتابه بينه وبينهم حيث أقام الحجج البالغة على حقية ما جاء به وبطلان ما هم فيه وبيّن وهو عالم الغيب والشهادة ان العاقبة الصالحة للذين يتقون « والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله اولئك هم الخاسرون » وكذلك كان ، والحمد لله على نعمة القرآن ، وسيأتى تفصيل كون الاسلام برهان على نفسه وصدق من جاء به فى الكلام على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

م (٦٧) تعزيز الكلام . يقول احد الأئمة الاعلام — لما ترك المسلمون اخذ الدين بالبرهان ، كما يرشدهم اليه القرآن ، وتركوا النظر ، واطمأنوا لتقليد من غبر ، صاروا يرتابون بكلام الأحياء ، اذا لم يسند لبعض الاموات من العلماء ، وما ذكرناه من التفرقة بين الاية الكونية ،

والآية النفسية العلمية ، لا يوجد مثله فى كتب العقائد المتداولة التى لم تنشر الا والعلم قد طوي بساطه ، والفهم قد انطمس صراطه ، وصار الحق يعرف بالرجال ، والرجال تعرف بالموت والزوال ، فرأينا ان نعززه بكلمة من كلام بعض المتقدمين ، رحمة بالمقلدين المساكين ،

عقد حجة الاسلام الغزالى فى كتاب القسطاس المستقيم فصلاً بين فيه الاستغناء بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعلماء امته عن امام معصوم آخر ومعرفة صدقه بطريق اوضح من النظر فى المعجزات واوثق منه وسماه « طريق العارفين » ومما جاء فيه ان مناظر الامام الغزالى وهو رجل من الباطنية القائلين بان الحق لا يعرف الا بوجود امام معصوم قال له بعد ما اوضح له الموازين التى جاء بها القرآن للتمييز بين الحق والباطل والخير والشر ما يأتى مع جوابه وهو :

« لقد ساعدتنى على ان التعليم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت ان كل واحد لا يمكنه ان يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان الا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي اما ان يقيم معجزة واما ان يحتج بالنص المتعاقب من آبائه اليه فاين نصك واين معجزتك ؟ فقلت : اما قولك « انك تدعى الامامة لنفسك خاصة » فليس كذلك فانى ارجو ان يشاركنى غيرى فى هذه المعرفة فيمكن ان يتعلم منه كما يتعلم مني فلا اجعل التعليم وقفاً على نفسى . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم ان الامام قد نعنى به الذى يتعلم من الله تعالى بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسى وقد نعنى به الذى يتعلم من الله بغير جبريل ومن

جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي عليٌّ رضى الله عنه إماماً فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وانا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسى . اما برهانى عليه فاوضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن فقلت : ما برهانكم ؟ فقال احدهم : برهانى انه نصَّ عليَّ الكسائى استاذ المقرئين اذ نص على استاذى واستاذى نصَّ عليَّ . فكأن الكسائى نصَّ عليَّ . وقال الثانى : انى اقلب العصا حية وقلب العصا حية . وقال الثالث : برهانى انى اقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف . فليت شعرى ايّ هذه البراهين اوضح عندك وقلبك بايها اشد تصديقاً ؟ فقال بالذى قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالجني فيه ريب اما نص استاذه عليه ونص الكسائى على استاذه فيتصور ان تقع فيه اغاليط لاسيما عند طول الاسفار واما قلب العصا حية فلعله فعل ذلك بحيلة وتلبيس وان لم يكن تلبيساً فغايته انه فعل عجيب ومن اين يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغى ان يكون حافظاً للقرآن ؟

« قلت : فبرهانى إذَنْ أيضاً انى كما عرفت هذه الموازين فقد عرّفت وافهمت وازلت الشك عن قلبك فى صحته فيلزمك الايمان بامامتى كما انك اذا تعلمت الحساب من استاذ حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بان استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه أيضاً فى انه حاسب . وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجرّدهما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل . فان التعارض فى عالم الحسّ والشهادة

كثير جداً لكنى تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المعاد وعذاب القبر وعذاب اهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته فى كتاب (جواهر القرآن) فوجدت جميعها موافقة لما فى القرآن ولما فى الاخبار فتيقنت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال: لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله. فكانت معرفتي بصدق النبي ضرورية كمعرفتك اذا رأيت رجلاً عربياً يناظر فى مسئلة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتى بالفقه الصحيح الصريح فانك لا تمارى فى انه فقيه ويقينك الحاصل به اوضح من اليقين بقلب ألف عصا ثعابين لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتلبيس والطلسم وغيرها» انتهى المراد منه وقد حكم الامام بعد ذلك بأن ايمان العوام والمتكلمين ضعيف لانهم لم يسلكوا هذه الطريقة

﴿ شبهات المسيحيين على الاسلام ﴾

« وشبهات التاريخ على اليهودية والنصرانية »

كتبنا نبذة معنونة بهذا العنوان فى الجزء الخامس ذكرنا فى فاتحتها اننا طلاب مودة والتئام لا عوامل نزاع وخصام واننا لا نود ان يطعن أحد من المسلمين والنصارى فى دين الآخر لان اظهار كل فريق محاسن دينه كافية فى الدعوة اليه من غير حاجة الى الطعن فقد قام الاسلام بهذه الآداب ونما نمواً وانتشر انتشاراً سريعاً لم يعرف له نظير فى التاريخ وذكرنا أيضاً ان اخواننا المسلمين اذا وافقونا على استعذاب هذا المشرب فان

المسيحيين لا يوافقوننا عليه لانهم يؤلفون الكتب والرسائل وينشرون الجرائد للطعن فى ديننا ويرسلونها الينا للرد عليها

وقد ألف بعض أدبائهم وعلماء دينهم نقولا افندي غبريل كتاباً جديداً فى الدعوة الى النصرانية والطعن فى الاسلام يتميز على الكتب الاخرى بالنزاهة والخلو من الالفاظ التى تدعي شتماً وقد اهدانا هذا الكتاب لنتكلم عنه فى المنار ثم لقينا وطالبنا بان نكتب رأينا فيه وان كان ابطالاً لدعاويه ولقينا أيضاً بعض المبشرين رفقاء المؤلف وألح علينا بالكتابة إلحاحاً واكد القول بوجوبها تأكيداً. لاجرم ان المجادلة هى وظيفة هؤلاء التى يعيشون بها فالبائع يطلب مشترياً والمجادل يطلب مجادلاً ولكن طلب الرد على الكتاب لم يقتصر على هؤلاء حتى قام يطلبه منا بعض اصحاب الجرائد من المسيحيين كرصيفنا الفاضل صاحب السعادة سليم باشا الحموى طلب ذلك منا قولاً وكتابة فى جريدته (الفلاح) الغرآء ولا شك اننا اذا كلنا لهؤلاء المؤلفين الصاع بالصاع بان تجاوزنا حدود المدافعة الى المهاجمة يرون شبرنا ذراعاً وذراعنا باعاً فانه اذا لم يثبت دين الفطرة لا يمكن ان يثبت دين، ولولا ان الاسلام محجوب عن الانظار بالمسلمين لاخذ به جميع عقلاء الاوربيين

يتبين ذلك لمن نظر فى الاديان الثلاثة من كتبها المقدسة مع معرفة تواريخ الذين جاؤا بتلك الكتب وسيرهم. وقد جرت لنا فى هذا الموضوع محادثة مع احد علماء التاريخ المسيحيين الجغرافيين الذين لا يتعصبون فى الحقيقة لدين. وكان موضوع الكلام «من هو اعظم رجال التاريخ» وفرضنا انفسنا غير معتقدين بدين فذكرت محمداً وذكر موسى وعيسى

(عليهم الصلاة والسلام) متفقين على انهم اعاظم الرجال مختلفين فى اعظمهم وافضلهم بحسب حاله وأثره التاريخى

فقلت ان موسى تربى فى بيت اعظم ملك فى العالم لذلك العهد على انه ابنه فنشأ فى مهد الملك والسلطان واشرب حب السيادة والحكم وشاهد سير المدنية، والعلوم الكونية والسحرية، وابصر فنون الصنائع، وتقلب فى ظل القوانين والشرائع، واظهرت عزة الملك ما اقتضاه مزاجه من الشجاعة والاقدام ثم لما بلغ اشده وصار لفرعون وآله عدواً وحزَناً علم ان له أمة مضطهدة مهانة على ما منحته من ذكاء الفطرة والجد فى العمل وكثرة النسل فاتخذهم عصبية له وحاول تأسيس ملك نزعت اليه نفسه لما اعطته التربية الملوكية وظاهر فرعون وجالده أولا بالقوة التي كان يستولى بها على النفوس ويستعبد بسلطانها الشعوب وهى قوة الاعمال الغريبة التى نشأ فى حجرها ثم خرج عليه بقوة العصبية كما عهد من كثيرين فى ممالك متعددة وقد اعطانا التاريخ ان من الخارجين من يؤسس إمارة او مملكة فى داخل المملكة التى يخرج على سلطانها وموسى قد خرج من مصر هارباً بقومه من فرعون. أما عبور البحر وهي الغريبة التى لا يمكن ان تكون حيلة ولا شعوذة ولا سحراً ولا صناعة فقد بين بعض المؤرخين ان بنى اسرائيل عبروا البحر في نهاية الجزر من مكان قليل العمق ولما عبر فرعون بالمصريين كانت ثوائب المدّ قد أخذت بالزيادة والفيضان فغرقوا فيها. وقد جرى مثل هذا لنابليون بنوبارت فانه عبر بعسكره البحر الاحمر فى وقت الجزر الى الشاطىء الثانى ولما أراد الرجوع الى شاطىء مصر كان المدّ قد ابتدأ ولولا انه أمر العسكر بأن يمسك بعضهم ببعض حتى تغلب قوة المجموع

قوة المد لغرقوا أجمعين وما عدا هذا من غرائب موسى ففي نقله اشكالات ، وفي فهمه شبهات ، وفي دلالته على نبوته وكونه يتكلم عن الله تعالى نظر ، فاذا اقتنع به بعض من مضى لا يمكن ان يقتنع به من حضر . والشريعة التي جاء بها يشهد التاريخ بان اكثرها موافق لشرائع المصريين وما بقي منها فلا يكثر على من تربى مثل تربيته . وأعطى مثل ذكاء قريحته

واما عيسى فهو رجل يهوديٌّ تربى على الشريعة الموسوية وحُكم بالقوانين الرومانية واطلع على الفلسفة اليونانية فعرف مدنية ثلاث امم كانوا اعظم امم الارض مدنية واوسعها علما وحكما ولم يحمله شيء من ذلك على ان يشرع شريعة جديدة ولا ان ينشئ امة وانما كان خطيباً فصيحاً وعلق بذهنه شيء من افراط بعض فلاسفة اليونان في الزهادة وترك الدنيا بالمرة واذلال النفس لاجل نجاة الروح والدخول في ملكوت السماء فطفق يخطب بذلك وتبعه بعض الفقراء الذين وجدوا لهم بكلامه تعزية وسلوى وطفقوا ينقلون عنه بعض الغرائب كما هو المعهود من عامة الناس . وان ماينقل عنه من ذلك لايبلغ عشر معشار ما ينقل عن احد اولياء المسلمين كالجيلي والبدوي . واما كونه ولد من غير أب فهي دعوى لايمكن اثباتها الا بثبوت دين الاسلام بالبرهان العقلي لابالغرائب وليس ذلك من موضوعنا الآن فالمؤرخ اذا أحسن الظن يقول ان عيسى هو ابن يوسف النجار زوج مريم وهذه الزوجية لاينكرها النصارى . فموسى كان له اثر عظيم ولكن عيسى لايعرف له التاريخ اثراً يذكر لا في العلم والاصلاح ولا في المدنية بل ان تعاليمه ومواعظه تؤدي الى فساد المدنيـة وخراب العمران والهبوط بالنوع الانساني من افقه الأعلى الى حضيض الحيوانية

السفلى لما فيها من تربية النفوس على الذل والمهانة والرضى بالخسف والهضيمة والامر بترك عمران الدنيا وترقيتها لاعتقاد ان الجمل يدخل فى سم الخياط ولا يدخل الغنيّ ملكوت السموات . ثم هى من جهة ثانية تعاليم اباحة لانها تعلّم أن الذى يؤمن بصلب المسيح لاجل خلاصه هو الذى يختص بملكوت السماء وتمحى جميع خطاياه ومن اعتقد ذلك يستبيح كل محظور ويتبع هواه . ومن جهة ثالثة نرى هذه التعاليم وثنية لانها تأمر بعبادة البشر وتطفئ نور العقل لانها تكلفه بان يعتقد بثبوت ما يجزم بانه محال ككون الثلاثة واحدا والواحد ثلاثة وتذهب باستقلال الفكر والارادة اذ تجعلها مقيدة بسلطة الرؤساء بمقتضى قاعدة ان ما يحلونه فى الارض يكون محلولاً فى السماء وما يعقدونه فى الارض يكون معقوداً فى السماء

واما زعم ان المدنية الاوربية مدنية مسيحية فهو زعم منقوض بالبداهة لان هذه المدنيـة مادية مبنية على حب المال والسلطة والتغلب والعزة والكبرياء والعظمة والتمتع بالشهوات . والتعاليم المسيحية تناقض هذا كله بافراط بعيد . وماوصل الاوربيون الى ما وصلوا اليه الا بعد ما نبذوا التعاليم المسيحية ظهرياً . ولو ان هذه المدنية من اثر التعليم المسيحي لنشأت عنه بقرب نشأته ولكنها لم تظهر الا بعد بضع قرون من ظهوره . والنتيجة ان التاريخ لا يعرف للمسيح اثرا فى الكون يجعله فى رتبة الشارعين والمصلحين فى الامم

واما محمد (عليه الصلاة والسلام) فقد تربى يتيماً فى امة وثنية امية جاهلية ليس لها شرائع ولا قوانين ولا مدنية ولا وحدة قومية ولا معارف ولا صنائع وكان أعظم ارتقاء بلغته فى عهده ان وجد بضعة نفر تعلموا الكتابة بسبب اختلاطهم بالامم الاخرى ولم يكن هو منهم ولا السابقون

الى الايمان به ومع هذا أوجد امة ودينًا وشريعة وملكا ومدنية فى مدة قريبة لم يعهد مثلها فى التاريخ

علَّم الناس ان يبنوا عقائدهم على قواعد البراهين العقلية وان تكون ادابهم واخلاقهم على صراط الاعتدال وان يقوموا بحقوق الروح والجسد وان يراعوا سنن الله فى الخلق والامم وبين لهم العبادات بآثارها فى تزكية الروح وتطهيرها ككون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لما اشترط فيها من الخشوع الخ واباح لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث وجعل المعاملات الدنيوية دائرة على درء المصالح وجاب المنافع . واطلق لهم حرية العقل والفكر وساوى بينهم فى الحقوق لافرق بين الملك الكبير والصعلوك الفقير ولا بين الرجل والمرأة واعطى المرأة حرية التصرف فى املاكها ووضع حدوداً عادلة لتحكم الرجال فى النساء وللرّق ونقح نظام الحروب فمنع البغي والتمثيل بالقتلى وقتل من لا يقاتل كالنساء والشيوخ والاطفال ورجال الدين الخ ما ذكرته لذلك المؤرخ المحقق وسأفصل القول فيه فى دروس التوحيد الآتية ان شاء الله

وقد اذعن لى ذلك الفاضل بأن محمداً عليه افضل الصلاة والسلام اعظم رجال التاريخ الا انه احتج عليّ بسوء حال المسلمين وكونهم على خلاف ماذكرت فى وصف الدين الاسلامى فقلت له: ان بين الاسلام والمسلمين فرقاً كالفرق بين المسيحية والمسيحيين أو ابعد. وحسبك ان المدنية الاسلامية ما وجدت الا بالدين الاسلامى (راجع مقالات مدنية العرب فى مجلد المنار الثالث) وكانت تتقلص عنهم كلما ابتدعوا فى الدين وانحرفوا عن صراطه حتى وصلوا الى ماهم فيه الآن. واما المدنية الاوربية التى يسميها بعض الناس

مسيحية فلم توجد الا بعد ما اتصل اهل اوربا بالمسلمين واخذوا كتبهم وترجموها وهم يزدادون ارتقاء فى مدنيتهم كلما ازدادوا بعداً عن المسيحية .

فقال هذا مبالغة فى الجانبين وانفض المجلس

بقى ان ما تقدم من الشبه على نبوة سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام يتناول ايضاً نبوة سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا لانه يرد على دينه مثلما يرد على المعروف من دينهما بل لانه شهد لهما بالنبوة والهداية الالهية . وقد ذكرنا الجواب عن ذلك فى نبذة (شبهات المسيحيين على الاسلام) التى نشرت فى الجزء الخامس من هذه السنة . ولو انصف رجال الدين من اليهود والنصارى لتمسكوا بذلك الجواب واتفقوا عليه لانه لا يدفع عنهم اعتراضات علماء التاريخ والآثار العاديّة والجيولوجيا والتاريخ الطبيعى والفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس الا هو . واما الجواب عن آية انفلاق البحر لسيدنا موسى فهو ان ماذكره بعض المؤرخين من حديث المد والجزر فهو احتمال يرجح عليه اخبار الوحي الثابت بالبرهان الحقيقي الذى بيناه فى درس التوحيد قبل هذه المقالة . وكذلك يقال فى سائر الآيات وما يرد عليها من الشبهات . وسنجيب عما ذكرناه من اعتراض التاريخ على التعاليم المنسوبة الى المسيح

وحاصل ما نقوله الآن ان اثبات الدين إما ان يكون بنقل الآيات الكونيّة الخارقة للعادات المعروفة للناس وفيه النظر الذى تقدم فى درس التوحيد وهو ايضاً مشترك بين الجميع لان كل امة تنقل عن شارعها مثل ذلك فما يقال فى نقل هؤلاء يقال فى نقل الآخرين على ان نقل المسلمين اقرب الى الصحة من نقل غيرهم لوجوه كثيرة منها ان العلم والتأليف والرواية

اللسانية معروفة فيهم من القرن الاول الى الآن ومنها انه لم يغلب عليهم عدوّ حرّق كتبهم وطمس معالم الثقة بدينهم وتاريخهم ومنها انهم لم يضطهدوا ويضطروا لكتم دينهم فيقال ان التلاعب حصل فى إبان الكتمان . ومنها انهم هم الذين اخترعوا وضع التاريخ للرجال لاجل معرفة صحة الرواية من عدمها ولم يكن لليهود ولا للنصارى مثل هذه المزايا . وإما ان يكون بالآيات النفسية والعلمية وهذا لا يظهر فى نبي كظهوره بالنسبة الى نبينا صلى الله عليه وسلم كما بيناه فى درس التوحيد المنشور فى هذا الجزء وسنزيده بياناً فيما سيأتى كما وعدنا وحينئذ يكون البرهان الصحيح فى هذا الوقت على نبوة موسى وعيسى عليهما السلام شهادة نبينا لهما وان كان الله تعالى اعطاهما فى زمنيهما آيات تناسب حال الامم فيهما ولا يمكن ان تثبت الآن بنفسها ولذلك نرى كل من يتعلم ويعقل من المنتسبين اليهما ينبذها ظهرياً ويحسبها شيئاً فرياً ولو عرف الاسلام حق المعرفة لقبله وقبلها على وجه معقول

إذن ان افضل خدمة للدين المطلق ان يُعرف الاسلام حق المعرفة لتعرف اليهودية والنصرانية ايضاً على الوجه المقبول وذلك بالتوفيق بين التوراة والانجيل والقرآن كما وفقنا فى الجزء الخامس لا بالاستدلال بالقرآن على صدق التوراة والانجيل ثم الاستدلال بما يسمونه توراة من تلك الكتب الكثيرة التى ألف اكثرها بعد صاحب التوراة وبالكتب والرسائل الكثيرة التي يسمون مجموعها انجيلاً على تكذيب القرآن لان هذا الصنيع يعود على الموضوع بالنقض فيبطل الدليل نفسه واقل ما يقال فيه « تعارضا تساقطا » وتكون النتيجة ابطال الجميع اي ان القرآن هو الدليل على صحة التوراة والانجيل والقرآن ليس من الله (بزعمهم) فشهادته غير حق ودلالته غير

صحيحة . وسنعود الى الكلام على كتاب ابحاث المجتهدين وعلى جريدة بشائر السلام بما يؤلف بين الاديان ، ويدعو الى ازالة الاضغان ،

باب التربية والتعليم

« التطويع والتحصيل بالجامع الاعظم »

جاء في جريدة (الحاضرة) التونسية الغراء تحت هذا العنوان ما نصه :

اخبرنا فى العدد قبل هذا بوقوع الامتحان السنوي للمترشحين من طلبة الجامع الاعظم لشهادة التطويع فى العلوم التى حواها برنامجه ووعدنا بافاضة القول والبيان فى هذا المبحث العظيم الشأن والآن وفاء بالوعد نقول :

إن ما للجامع الاعظم ام المدارس ودار العلوم الاسلامية وكعبة الطالبين بالمملكة التونسية وسائر الاقطار الشمالية الافريقية من الاهمية يجعل كل فرد من افراد الجامعة الاسلامية دبت فيه باقية من الغيرة والحمية لا يفتر عن تحويل انظاره الى مافيه تعزيز شأنه والاهتمام برفع مناره وتدعيم اركانه ولذلك كانت دار العلوم تلك محط رحال الامة ومتجه عناية الحكومات المتداولة على هذه الديار حرصاً على ما يجتنيه شبان الطلبة من رياضها من الثمار المهمة ولما ان الجامع الاعظم اصبح من عهد قديم مستودع اسرار العلوم وينبوع فوائد التحصيل فى المنطوق والمفهوم فلا غرو ان اتجهت لعمرانه الانظار واحله عقلاء الامة وفطاحل الرجال محلاً قصياً من الاجلال والاعتبار

اذا تمهد ذلك نقول : لا مراء فى ان المرء انما يسعى جهده ويكابد

الليالى ويوالي الجد لغاية فى النفس تنطبع فى مرآة العقل فتبقى به مدى الكد ثابتة مرسومة يكرس لنيلها اوقاته ويبذل فى سبيل تحصيلها انفس انفاس حياته فما هى الغاية لطلبة العلم بجامع الزيتونة من يوم ولوجهم بابه وترامیهم على موارده واعتابه

الغاية من ذلك ما جرت به سنن السلف من الجمع بين المنافع الدنيوية والمثوبة الاخروية التى اقتضتها صبغة العلوم الدينية ولهذه المميزات المتعارفة فى كل مدرسة خاصة بعلوم الدين كان امراء هذا القطر يمدون الجامع برعاية خصوصية فيجلون العلماء القابضين على ازمة التدريس ويفيضون عليهم من صنوف الاكرام والعناية ما هو حقيق بهم وبامثالهم وما هو متعارف فى سائر الممالك المنتظمة — ولتلك الصبغة ايضاً يقتحم الشبان مشاق السفر وضروب التكاليف ليكرعوا عن مناهل التحصيل ما يعزز جانب العلم ويؤيده تأييداً ويوفرهم اجر الاخذ بناصره واعلاء مناره ومن هذه الحيثية كان المنظور فيه فى هذا التعليم الوجهة العلمية بمعناها الاخص اما المنافع الذاتية التى هى الشطر الثانى من تلك الغاية فيراها الطالب المنقطع لقراءة العلم من لوازم التحصيل والتهذيب ومن الفوائد المنبعثة طبعاً عن اشعة نور العرفان حتى انه كان الفقيه البارع فى علوم الشرع ليأبى احياناً ان يقبل الخطة الشرعية وان كان من اهلها حباً بتوسيع نطاق الاستكمال الذى كان يراه غاية الامال ولكي لا يشغله عن ذلك شاغل الوظيفة وهو الذى ينبغى ان تتوجه اليه همم الرجال وبذلك شعشعت انوار العلوم واستنارت بمشكاتها عقول الطلبة لانحصارهم بين قراءة واقراء وافادة واستفادة فشيوخ الطبقة العليا من اساتذتنا ما كانوا يأنفون من استكمال التحصيل فى العلوم

العليا كالفلسفة ومصطلح الحديث والتفسير بالحضور لحلقات دروس جهابذة العلماء الاعلام علماً منهم ان التقاعس عن الاستكمال نقيصة والاعتماد على ما فى الجراب خراب

وهؤلاء طلبة الجامع الاعظم قد نقضوا بيومنا هذا تلك العهود وخالفوا تلك السنن حتى اضمحلت او كادت ان تضمحل آثار بعض العلوم واصبحت دروسها دارسة كالتفسير والمعانى والبيان والاصول فما هو السبب ؟ واذا اتضحت الاسباب والعلل فما هو الدواء لملافاة هذه الحالة يا ترى ؟

من امعن النظر فى أحوال الجامع الاعظم وفى الادوار التى تقلب فيها من منذ عشرين سنة رآها منحدرة مع تيار التدلى المشعر بتقويض اركان الهيأة العلمية لاسباب منها العدول عن ما جاء به نظام الجامع سنة ١٢٩١ القاضى باقراء بعض علوم استكمالية نافعة كالحساب والهندسة والتاريخ وعدم التفات نظارة الجامع لاستبقاءها واحياءها عملاً بنص القانون الذى اقتضى الحاقها بالترتيب العام لتحقق النفع بها فعد ذلك التغافل قصوراً او تقصيراً من المنوط بهم اجراءه وعيباً وخللاً فى مجموعة التعاليم والدروس فكان ذلك من اسباب تغيير وتنقيح القانون على معنى الاحياء لفنون اقتضت خطة الترقي مزاولتها فلا يعقل فى عصرنا هذا ان تكون مدرسة كلية جامعة كالجامع الاعظم خلوا من علم الحساب الذى يحتاجه القاضي والفرضي والعدل حتى السوقة فى معاملاتهم اليومية فضلاً عن المناصب الشرعية فاذا فقد تدريسه بالجامع الاعظم الذى به يبتدئ الطالب دروسه غالباً وينتهى ضاعت عليه الفرصة لتحصيله وربما تعطلت من اجل ذلك او ضاعت

حقوق على اربابها كالماسح الذي لايحسن المساحة اذا قسم ارضاً بين شركاء كانت قسمته ضيزى غيرعادلة وعليه فنعت الحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ بالاستكمالية فيه تساهل يضيق المقام عن توضيحه فان ما لا يتم الواجب الابه فهو واجب وانت على علم من ان الحساب والجغرافية والتاريخ من متممات تربية الطالب وتفقهه فى امور جامعته ولو لا ذلك لما اندرجت بعلقة العلوم (كذا) فهي بضاعتنا ردت الينا

ومن تلك الاسباب اغترار الطلبة بالاجازات والالقاب وظنهم ان من حصل على اجازة التطويع على مقتضى القانون انخرط لا محالة فى سلك العلماء ولوكانت بضاعته من العلم مزجاة اوكان لا يبلغ العشرين من عمره فاذا زج به فى حلقة الامتحان وفاز بتلك الشهادة بين الاقران نبذ القراءة ظهرياً فيتأهب لاخذ مركزه من الهيئة التدريسية بتغيير سيره يمشى فى الارض مرحاً مع تقيف وبطر وتعبس وتقطب وتكهن وترهب كأنما خلعت عليه من العلوم خلعة الوحي الالهية فيأنف من الحاقه بالطلبة ولذلك لا يحمل نفسه الامارة بالسوء على استكمال التحصيل ، الذى هو بمعنى الكمال كفيل ، فاذا انتصب للتدريس كان يخبط خبط عشواء فلا يفيد الجليس ، ولا يذكرنا بما عهد فى امثاله من نثر الدر النفيس

والذى يتراءى لنا من التمعن فى هذه الاحوال هو ان الداعى لهذه الحالة (اولاً) عدم كفاءة القرار الصادر فى شروط التطويع والتدريس فقد اقتضى ان لا يحصل على رتبة التطويع الا من حصل على ٤٥ عدداً فى العلوم التى تقرأ بالجامع الاعظم منها ٢٤ عدداً وهو ما يقارب النصف تعتبر للعلوم التكميلية بحيث كانت هذه الموازنة راجحة على العلوم المقصودة

بالذات من نظام التدريس مانعة من النبغ فيها . و(ثانياً) ما اعتاده المترشحون من تلخيص ان لم نقل حفظ ابواب الفقه والنحو بحيث تعلق امهات المسائل باذهانهم حتى اذا ما صادفهم بعضها فى القرعة فازوا وشعشعوا كشعلة من النار يهب عليها ريح فتثوى بحيث كان ذلك النجاح الكاذب من باب التغرير بالنفس مانعاً من الترقى الى درجات الكمال التى هى غاية الآمال

اما المبحث الاول فبيانه ان نصاب الاعداد المطلوبة لقبول التلميذ فى رتبة التطويع صورته والحالة هانه

٨	المقالة الفقهية انشاء	٦	سؤال الحساب
٨	الدرس الشفاهى القاء	٦	سؤال الهندسة
٢	سؤال فى الفقه	٦	سؤال الجغرافية
٣	سؤال فى النحو	٦	سؤال التاريخ
٣	سؤال فى الصرف	٢٤	
٣	سؤال فى البلاغة	٥٤	جملة الاعداد
٣	سؤال فى المنطق		
٣٠			

وأما المبحث الثانى فقد أنكر جمهور المشايخ المدرسين الواقفين على حقائق التعليم تلك الطريقة التي لا تخول الطالب ملكة حقيقية فى العلوم المطلوبة منه فالملكة عبارة عن مقدرة التلميذ على ادراك وفهم او حلّ المسائل الفقهية او غيرها بكمال باعه ومزيد اطلاعه ولا يخفى ان هذه الدرجة والنتيجة لا تنال الا بالبراعة فى مجموعة العلوم وسائل كانت أو مقاصد لا بحصر الجهد فى دائرة معلومة من المواد والآداب اذا صادفها

الطالب قبل عالماً متطوعاً وان أخطى المرمى اجل لفرصة أخرى فهو كراكب لجة إما وإما . ولا يخفى ما فى هذه المخاطرة من المخاتلة والتحيل لحمل النفس على غرورها والهياة العلمية على التأخر فالذى ينبغى فى ملافاة هذه الحالة تنقيح القرار المشار اليه بامور : (أولها) ان لا يقبل فى الامتحان من حصل على أقل من نصف الاعدد المشترطة للمقالة الفقهية ونصف العدد الذى جعل للتدريس حيث كان عليهما مدار تحصيل الطالب : (ثانياً) ان ينقص من الاعداد المشترطة فى الحساب والهندسة والجغرافية والتاريخ نصفها واعتبار ذلك فى سؤالات تقع فى علم الاصول وعلم التوحيد حيث كانت هذه العلوم اعلق بموضوع التدريس واكثر مساساً بالمقصود منه حتى لا تؤدي الاجازة التى يحصل عليها التلميذ الى جهله بما هو المقصود الاصلي من مساعيه : (ثالثاً) ان لا يقبل فى الامتحان من الطلبة الا من اتى على كتب المرتبة الوسطى جميعاً وهي الكتب المبينة بترتيب الجامع الاعظم الواقع سنة ١٨٩١ : (رابعاً) ان يناط ترشيح الطلبة لهذا الامتحان بلجنة مؤلفة من المشايخ المدرسين العارفين باحوال التلامذة العلمية وما تقتضيه الاجازة من شروط الاهلية والاستحقاق بحسب نظر اولئك المشايخ وامانتهم وديانتهم وما تستدعيه من التحري الباحث للهمم على طلب الكمال حتى يأمن ناموس التحصيل من آفات الصدف : (خامساً) ان يحجر على من قبل فى درجة التطويع الاقراء والانتصاب للتدريس ثلاثة اعوام فى الاقل يتمكن فيها من استكمال نصاب التدريس بالاقبال على علوم ربما لم يكن له المام بها او من التطلع فى العلوم التي لم يحصل منها الاعلى معارف طفيفة فيقوى ساعده وتتوفر فائدة العلم ويتحقق النفع به حساً ومعنى

هذا ما اقتضى المقام ايضاحه فى هذا المبحث الدقيق والموضوع الجليل نعرضه على انظار ارباب الحل والعقد وافهام السادة العلماء الاعلام واذواق طلبة العلم على معنى خدمة ركاب العلم وتعزيز جانب التحصيل الذى هو بكل سعادة كفيل حرصا على ناموس العلم وعمران الجامع الاعظم حتى يتخرج منه رجال نهجوا على سنة السلف فى اكتساب الكمال ، ورفع منار المعارف فى الاستقبال ، ونرجو من عنايتهم ان يرمقوه بعين الاعتبار ، اعلاء لشأن الخدمة العلمية فى هذه الديار ، وتخليداً لجميل الذكر وحميد الآثار ، انتهى

(المنار) ان مايشكو منه عقلاء القطر التونسى بشأن جامع الزيتونة هو عين ما يشكو منه علماء القطر المصري وغيرهم بشأن الجامع الازهر فداء المسلمين واحد فى كل البلاد اصلح الله الجميع . والتطويع هو الشهادة الابتدائية فى عرفهم

﴿ مدرسة خليل اغا — احتفالها السنوى ﴾

خليل اغا الحبشي يعد فى هذه البلاد من اشهر الرجال وهو مولى امين بك التركى ثم صار باش اغا والدة الخديوى اسماعيل باشا والذى جعله من اشهر الرجال بل ومن اعظمهم المدرسة التى أنشأها ووقف عليها املاكه الواسعة التى يمكن بريعها الكثير ان ترقى المدرسة عن الابتدائية فتكون كلية جامعة تنبع منها حياة العلوم كلها . و « المدرسة الكلية » اكبر حاجات المسلمين فى هذا القطر ولم يبلغوا فى الارتقاء مبلغاً يفى بهذه الحاجة فقد تقاصرت عنها همم افراد امرائهم ومجموع اغنيائهم وان الامراء لينفقون على اللذات البهيمية ويخسرون فى المضاربات وسائر انواع الميسر ما يكفى

لانشاء عدة مدارس كلية ولا يبعد ان تكون حياة ذلك العبد من خدم نسائهم خيراً للقطر واهله من حياتهم اجمعين . واما الاغنياء فينفقون فى كل عام على الافراح والمآتم وعلى تقليد الامراء فى الشهوات والمآثم ما يسد بعضه مثل هذه الحلة ايضاً ولكن مجموعهم يفضل الحياة البهيمية على الحياة الانسانية

احتفل ديوان الاوقاف بمدرسة خليل اغا هذه الاحتفال السنوي المعتاد (فى يوم السبت ١٩ ربيع الاول الماضى) بحضور جمهور عظيم من العلماء والوجهاء فى مقدمتهم أصحاب الفضيلة قاضى مصر ومفتيها وشيخ الجامع الازهر وصاحب السعادة عبد الحليم باشا عاصم مدير الاوقاف العمومية وافتتح الاحتفال بترتيل احد التلامذة آيات من اول سورة الفتح ترتيلا اخذ بمجامع القلوب . وتلاه طائفة من التلامذة بالقاء انشودة فى مدح العلم والثناء على مؤسس المدرسة (رحمه الله تعالى) والدعاء لمولانا السلطان الاعظم ومولانا الخديوى المعظم وكان الانشاد بالتوقيع الموسيقى فاثر سماعه مع مشاهدة النظام العسكرى فى التلامذة تأثيراً حسناً . وقام بعد ذلك الفاضل الهمام حسن بك صبري مفتش المدرسة فذكر ملخص تاريخ المدرسة ومازاده فيها ديوان الاوقاف من الترقية ومنه انها أسست سنة ١٢٩٠ﻫ واشترط ان يكون التعليم فيها مجاناً وان يعطى مئة يتيم من تلامذتها كسوتين فى السنة وعشرة قروش فى كل شهر وأدوات الدراسة . ويعطى مئتان من غير الايتام كسوة واحدة فى السنة وأدوات التعليم وان صافى دخلها الآن يزيد على ثلاثة آلاف جنيه . ثم طفق التلامذة يتحاورون مثنى وثلاث ورباع وخماس فى فوائد التعليم ومهمات مسائل الدين . ابتدأ

احدهم بتلاوة آيات تشتمل على النهى عن الشرك وموبقات المعاصى وتأمر بالعدل والقسط فى الموازين وغير ذلك من الفضائل وتلاه آخر بآيات تناسبها فتأثره آخر بآيات تنطق باجابة الدعوة والدعاء بالرحمة . ثم عاد الاول وتكلم بلسان التلامذة الصغار فابان ان امرهم ليس بأيديهم وانهم قذف بهم الى المدارس التى قطع منها حبل الشرع فتلاه الثانى بتلاوة آيات تبشر من آمن وعمل الصالحات بسعادة الدنيا والآخرة وتنذر من اعرض عن هدى القرآن بضنك العيش فى الدنيا وعدم الاهتداء لطريق النجاة فى الآخرة فتعقبه الثالث يأمر بتسكين الروع والاخذ باسباب التفقه فى الدين والتعاون عليه الخ

ثم نزل هؤلاء عن موقف التلامذة فى الاحتفال وتلاهم اربع فرق من التلامذة كل فرقة وقفت بترتيب ونظام تحت أمرةٍ من امرات اربعٍ مكتوب على احداها « الصلاة » وعلى الاخريات الصوم والزكاة والحج وتحاورت كل فرقة فى اسرار ركن من هذه الاركان الاسلامية باحسن كلام اعطى العِبرة واخذ العَبرة الا اصحاب القلوب القاسية من ذكر الله اولئك فى ضلال مبين . واذا وجدنا سعة فى بعض الاجزاء التالية فانا ننشر فيها ما قالوه ليكون نموذجاً لسائر المدارس ومعلمى الدين . وبعد ذلك اعيد النشيد الاول وختم الاحتفال بترتيل آي القرآن العظيم وكانت الموسيقى تعزف بانغامها فى كل فرصة بين قول وآخر وكان النظام كاملا والفضل فى هذا لصاحب العزة حسن بك صبرى كما ان الفضل فى تلك المعارف الدينية للاستاذ الفاضل الشيخ حسن منصور الذى خسرته مدارس الحكومة بقبول استقالته ولكن لم تخسره مدارس الامة ولله الحمد

وقد انصرفَ المدعوون بعد ان تناولوا طعام الغداء النفيس الذى عده لهم ديوان المعارف عملا بشرط الواقف رحمه الله تعالى

الأخبار التاريخية

« المساواة فى الاشتراك بالمنار وارجآء الجزء الآتى »

جرت العادة بان اصحاب الجرائد يزيدون فى تحسينها كلما تسنى لهم سبب من اسباب الترقى ويزيدون مع ذلك قيمة الاشتراك فيها ومنهم من يزيد فى قيمة الاشتراك من غير ان يزيد فى التحسين اذا علم بالاختبار بأن كسبه لا يفي بتعبه . وقد خالفنا نحن سنة القوم فزدنا فى السنة الثالثة المنار تحسيناً في الورق والطبع والتجليد كما زدنا فى مادته ولم نزد مع ذلك شيئاً فى قيمة الاشتراك وقد زدنا مادته فى هذه السنة (الرابعة) أيضاً وأبقينا قيمة الاشتراك على حالها على ان بعض انصار العلم رغبوا الينا ان نزيد فيها وفى مقدمة هؤلاء الخطيب المحامي الشهير عزتلو اسماعيل بك عاصم . ولكن من الناس من يصعب عليه ان يدفع قيمة الاشتراك الاصلية وان تحسنت المجلة وزادت نفقاتها فيطلب الموظف والتاجر والاستاذ وناظر المدرسة ان يعاملوا معاملة طلاب العلم الفقرآء الذين لا كسب لهم فيدفعوا اربعين قرشاً وقد علم بهذا بعض فضلاء اساتذة المدارس فاشاروا علينا بان نساويَ بين الناس كلهم فى الاشتراك الا من نعلم فقره من طلاب العلم بالاختبار فاننا ننقص له من القيمة ما تسمح به النفس فرأينا هذا من الصواب وابطلنا امتياز التلامذة والطلاب فمن شآء فليقبل ومن شآء

فليرفض وللمشتركين القدماء من هؤلاء ان يدفعوا اشتراك السنة الحاضرة ٤٠ غرشاً

ثم اننا كنا أعلنا اننا نوزع مئات من الاعداد على الفقراء من طلاب العلم الذين يروجون المنار بعضها مجاناً وبعضها بنصف القيمة وان ذلك بمساعدة أحد الفضلاء ولكن هذه المساعدة قد بطلت من أول هذه السنة للمنار لعذر اقتضى ذلك ولم نر أحداً ممن أعطي المنار مجاناً سعى بترويجه فاضطررنا لمنعه عنهم الا نفراً من الفقراء الاذكياء الذين ينشرون مسائله ويدعون الى ما يدعو اليه

ثم نعلم القراء الكرام ان الجزء الحادى عشر سيصدر ان شاء الله تعالى فى غرة جمادى الاولى والغرض الاول من هذا الإرجاء اننا نقصد ان يكون أول سنة المنار شهر محرم الحرام وهذا لا يكون الا بتأخير عددين آخرين عن موعدهما أيضاً وسيكون ذلك بالتدريج لئلا يغيب المنار عن القراء زمناً طويلاً

ونرجو من غيرة المشتركين الكرام لا سيما الذين عليهم بقايا من السنة الثالثة أو ما قبلها ان يتكرموا بارسال القيمة حوالة على ادارة البريد ونخص بالذكر أهل الارياف واهل تونس والجزائر ومراكش . ونحمد الله ان أكثر المشتركين من كرام الناس وفضلائهم وما كان يخطر بالبال ان بعضاً من الناس الذين لا ذمة لهم ولا أمانة يشتركون بمجلة كالمنار ثم يأكلون حقها ولكن ذلك قد كان وربما تضطرنا الى ذكر بعضهم حوادث الزمان

﴿ جمعية ندوة العلمآء فى الهند ﴾

وعدنا فى الجزء السابع بان ننشر فيما يليه خطبة وجيزة لاحد اصدقائنا من علماء بمبئ ولم تسمح لنا الفرصة الا فى هذا العدد : قال حفظه الله بعد البسملة والحمدلة والصلاة

« وبعد فلا يخفى على اخيار الاعلام من قادة الاسلام ، وسادة دين خير الانام عليه وعلى آله الصلوة والسلام ، ان النداء الذي تنادي به ندوة العلمآء ، انجح الله مساعيها ، وأصلح مراعيها ، هو نفس النداآء الذى يهتف به الاسلام من منذ قرون فى جميع أقطار الارض حيثما تتلى مثانى القرآن ، وتعلى شعائر الايمان . وانيما تولوا فثمّ وجه الله . وليس لندوة العلمآء او لأية جمعية تشاركها فى رابطة الاسلام والغيرة والحمية الدينية الا مقام مبلغ نداه ، وحاكى صداه ، اقرؤا الجرائد والمجلات الاسلامية ، واصغوا الى الأندية القومية ، هل تسمعون صوتاً غير ما هو بمنزلة القول الشارح لدعاء الاسلام وان اختلفت العبارات ، وتنوعت الاعتبارات ، فان هي الا تفاسير كلمة واحدة « الاصلاح الاصلاح يا أهل الصلاح والرشاد ، لما ظهر فى البر والبحر من الفساد » . ولم يزل الاسلام يدعو أهله بهذا الدعاء من يوم زالت شمس دولته عن خط نصف نهارها ، وأخذت هجمات الدوائر تنقص أرض شوكته من اطرافها ، وهبت دبائر الادبار ، فذهبت بمعظم الآثار ، والبقية على جرف هار ، فانا لله

كأن لم نكن فاتحى مصرَ قهراً　　واسبانيا ثم ملك الهنود
ولمْ تك راياتنا خافقاتٍ　　على كل بر وبحر مديد
ولمْ نملأ الارض علماً ونوراً　　باعلاء دين الرسول الأحيد
زرعنا الثرا فى الثرى اذ اَسَلْنا　　بها نفس كل كميٍّ شهيد

فوا خيبتا حين حان الحصاد غفلنا وراح العدى بالحصيد
وما زاد ما زاد فى عدّنا سوى نكسنا فى انتقاص مزيد
ولا خير فى عِدّة لم يكن لها عُدّة ترتمي عن حدود

وحيث اشتد صياح الاسلام ، بدعائه من سنين واعوام ، فربما أيقظ النوّام ، ومنع السِنَة عن أعين النبهآء الاعلام ، وحنَّت به قلوب الاحياء ، لإحياء الربوع والاحياء ،

فيا رجال الاعيان وأعيان الرجال جُمع شملكم . وشمل الجمع فضلُكم اجيبوا داعي الله وشمروا عن سوق الجد لامتثال منطوق دعاء الاسلام ومفهومه وانتصبوا بصميم العزائم لمقاومة طوارق الاحداث ، واقيموا الوزن بالقسط لتثقيف الاحداث ، واتركوا مشاجراتكم التى اذهبت الاصول وافسدت الفروع واذهبت ريحنا والى الله المشتكى . أفلم يأن لكم ان تتنبهوا فتنبهوا وتستريحوا فتريحوا من رمضاء الفتنة الشعواء ، التي تلعب بالبصر فيخبط خبط عشواء ، وتستظلوا تحت شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها فى السماء ، الا وهو «الوفاق الوفاق» فعضوا عليه بالنواجذ واحيوا به السنن والعلوم ، وشقوا به عصا الشقاق المشوم ، فانه اسّ كل بدعة وفساد ، ورأس كل البلايا والانكاد ، ومادة كل شنيعة موخمة الارواح والاجساد ، هيهات هيهات ، لاتَ حين اختلافات ، فالام التقاعد عن تدارك ما فات ، وحتام التناعس عن اعداد اسباب التحرز عما هو آت ، الا فخذوا حذركم ، وأصلحوا ذات بينكم ، ووثقوا عرى الإخاء ، واستووا على سفينة الولاء ، فقد فارتَّور الشقاء ، وأمسيتم لتفرق كلمتكم على شفا ، فلا حول ولا

اخوانى ! ليس هذا أوان القيل والقال ، وتوسيع دائرة البحث

والجدال ، فاتعظوا وعِظوا وانشروا لبثّ النصائح ، وحث القرائح ، جرائد ومجلات ، فلعمري انها من اسنى الوسائل لاضاءة النفوس بطرائف المعلومات ، وامضى الذرائع لانهاض الهمم القاعدة عن الترقيات . وظنى ان بها ترقي من ترقى الى اعـلا مدارج المدنية والتعليم فى ذا العصر المدهش العقول تجدد علومه وفنونه من اقوام كانت فى زوايا الخمول ففاقت اقرانها حتى دان لها كل دان وقاص ، وهان لها كل عزيز وقّاص ، « وتلك الايام نداولها بين الناس * ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم * يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا * واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً » فرحم الله عبداً تبصّر فبصر ، وتذكر فذكر ، ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم * وارض اللهم عن المؤمنين وانزل السكينة عليهم واثبهم فتحاً قريبا . ان الله قريب من المحسنين . هذا والسـلام على من اتبع الهدى والحمد لله اولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين ش . ا . ج

(شجرة الدر) مجلة نسائية علمية ادبية فنية فكاهية تصدر فى اول كل شهر افرنجى باللغتين التركية والعربية فى ثغر الاسكندرية لمنشئتها الادبية البارعة سعدية سعد الدين وقيمة الاشتراك فيها ستون غرشاً اميرياً فى القطر المصرى وعشرون فرنكاً فى خارجه . وفى المجلة مباحث لطيفة ومراسلات نسائية اذا تتابعت تكون باعثة للرغبات فى زيادة انتشارها الذى نرجوه لها

« امتحان التدريس فى الازهر »

بلغنا ان لجنة الامتحان قد غيرت منذ ايام طريقة المساواة السابقة وطفقت تميز بعض الممتحنين فعزم بعضهم على ترك الامتحان والمستقبل يكشف الحقيقة

الجزء الحادي عشر — المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة غرة جمادى الاولى سنة ١٣١٩ — ١٦ اغسطس (آب) سنة ١٩٠١)

علماء الدين

وحديث صاحبي السماحة والفضيلة شيخ الاسلام ومفتى الديار المصرية

« ثُمَّ أورثنا الكتابَ الذين اصْطَفَينا من عبادِنا فمنهم ظالمٌ لنفسهِ ومنهم مقتصدٌ ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير »

الدين كما قالوا : وضع الهيٌ سائق لذوى العقول باختيارهم الى ما فيه صلاحهم ونجاحهم فى الحال وفلاحهم فى المآل . فثمرته سعادة الدنيا والآخرة ولا تحصل هذه الثمرة الا بالعمل به والاهتداء بهديه ولا يكون العمل الا عن علم ولا الهُدَى الا بهدْيٍ « فاما يأتينكم منى هدى فمن اتّبع هدايَ فلا يضل ولايشقى . ومن أعرض عن ذكري فان له معيشةً ضنكا » اي فى الدنيا « ونحشرهُ يوم القيامة اعمى » عن طريق النجاة . والدنيا مزرعة الآخرة ففقد الثمرة الاولى عنوان على فقد الثمرة الاخرى لانهما معلولان لعلة واحدة او مسبيان عن سبب واحد وهو الدين

الانبياء عليهم الصلاة والسلام تلقوا الدين من العليم الحكيم وتصدوا لتعليمه للناس بما عهد الله اليهم فاقاموا البرهان وحاجوا أهل الزيغ والطغيان حتى اوذوا فى الله فصبروا وسعد الناس بهديهم وارشادهم فى دنياهم وسيسعدون به فى اخراهم وعلماء الدين ورثة الانبياء ونوابهم الذين يقومون بوظيفتهم لان الله اخذ الميثاق على الذين اوتوا الكتاب من بعدهم كما اخذه عليهم « لَيُبَيِّنُنَّهُ للناسِ ولا يكتمونه » فنهم من وفَّى بالميثاق ومنهم الذين نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً ومنهم ما هو بين ذلك

قد كان علماء سلفنا الصالح خيرا من سلف سائر الانبياء حيث كنا بهم خير امة اخرجت للناس لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن عن المنكر ويرشدون الى مصالح الدنيا والآخرة . ثم حصل الفتور فى العلم الذى هو روح الدين وهو ما يودع القلوب خشية الله تعالى ويزع النفوس عن الشر ويوجهها الى الخير الذى فيه سعادة الامة فى افرادها ومجموعها حتى قام بعض الائمة كالامام الغزالى يرمي العلماء بالتقصير فى علوم الدين ويعذلهم على التوسع فى علم الفقه الذى سماه من علوم الدنيا ولقب العلماء المنصرفين الى ذلك بعلماء السوء وذكر انهم يزعمون بذلك احياء فرض الكفاية ولو صدقوا لانصرف بعضهم لاحياء سائر العلوم التى تنفع الامة فى الدنيا ولا بد منها وهى من فروض الكفايات كعلم الطب . وقد اطال فى كتابه احياء علوم الدين النعي عليهم والتنديد بهم حتى حملهم ذلك على الطعن فيه بانه ادخل الفلسفة فى الدين وأحرقوا كتابه الاحياء فى اسواق القاهرة وغيرها ثم كتبوه بماء الذهب وقالوا إنه احسن كتاب الف فى الاسلام وجرى على خطة الغزالى فى الانتقاد آخرون

هذا ما كان فى القرون المتوسطة اذ العلماء علماء والمسلمون فى عزهم وسؤددهم يفوقون جميع الناس فى العلوم والاعمال والقوة والثروة وعلماؤنا اليوم يعترفون بان العلم والدين كانا فى عصر الغزالى خيراً مما صارا اليه فى القرن الذى بعده وان التدلى فيهما سار بالتدريج الى عصرنا هذا فكل قرن دون ما قبله . ولكنهم اذا رُموا بالتقصير فى الارشاد الى الدين والقيام بحقوقه كما رمى الامام الغزالى علماء عصره يكبر عليهم ذلك وان كانوا يفضلون اولئك العلماء على انفسهم ويرون غاية العلم فهم كلامهم

لا يطلق لقب علماء الدين على الذين عرفوا من دينهم ما يجب عليهم فقط وانما يطلق على الذين عرفوا الفروض العينية والكفائية واحيوا سنة الرسل بالتعليم والارشاد والتبشير والانذار لجميع الناس ولا يكفى فى هذا ان ينقطعوا عن الناس فى مكان واحد من البلد او القطر يتدارسون فيه اصطلاحات بعض الفنون وقواعدها مع من يحضرهم ويدعون سائر الامة وشؤنها

يعرف الشيء بنتائجه وآثاره كما يعرف بمقدماته ومبادئه وكما يعرف بذاته وكنهه وقد تقدم ان نتيجة الدين وثمرته سعادة الدين والآخرة فلو ان علماءه قائمون بوظائفهم حق القيام بحسب ما تعطيهم وراثة النبوة لما سلبت سعادة المسلمين من ايديهم — ولما صاروا اعداء متخاذلين بعد ان كانوا اخواناً فى الدين — ولما تجرأ المبتدعة والكفار على الطعن بدينهم ولم يجدوا منهم مدافعاً ولا معارضاً ولا يحسن أن نذكر اخبار بعض المرتدين مع بعض علماء الازهر فما كل ما يعلم يقال — ولما اصبح الجهل بالدين عاماً فى جميع طبقات الامة من الحكام والامراء الى الصعاليك والفقراء

أصبحت شكوى المسلمين من سوء حالهم عامة لان سلطان الاجنبي أصبح فيهم عاماً ولا خلاف بين عقلاء الباحثين في ان سبب ذلك هو الانحراف عن صراط الدين ويدل على هذا قوله تعالى « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً » وقوله عز وجل « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » وغير ذلك من الآيات فهل نكابر الحس ونقول اننا منصورون وانه ليس للكافرين علينا سبيلٌ ما بوجه من الوجوه كما يفيده وقوع النكرة في سياق النفي ؟ أم نقول ان الله تعالى يخلف وعده ولا يصدق كتابه ؟ (معاذ الله وحاش لله) ام نقول اننا لسنا بمؤمنين ؟ ام ماذا نقول ؟

أهون هذه الاقوال صعب شديد وليس لنا مندوحة عن القول الاخير مع التأويل بأن نقول : اننا لسنا بمؤمنين الايمان الكامل الذي يستولي على الارواح والنفوس ويثقف الاذهان والعقول ويحمل على الاعمال النافعة التي تثمر السعادة والسيادة . ولكن لماذا تركنا الايمان على هذا الوجه النافع المرضيّ لله تعالى ؟

هل تلقَّى احد الايمان على هذا الوجه ثم تركه ؟ كلا انما فقد منا هذا الايمان بفقد العلماء الذين يبثونه في النفوس ويودعونه في القلوب فقد ورد في الحديث ان الله لا ينزع العلم من القلوب انتزاعاً وانما يذهب العلم بموت العلماء

يعتقد المسلمون كافة ان هذا البلاء الذي هم فيه لا ينكشف عنهم الا بالرجوع الى دينهم على الوجه الذي يهدي الى سعادة الدارين بالقيام بمصالح الروح والجسد والباحثون منهم في حيرة لا يدرون كيف يكون هذا الرجوع وبماذا يكون ولذلك توجهت انظارهم الى العلماء لان هذا

الذي يطلبونه لا يكون الا بالهدي النبويّ الذى هو وظيفتهم ولكنهم اهملوها . ومطالبتهم بها تعظيم لشأنهم ورفع لمقامهم وثقة كبرى بفضلهم . تحدّث بهذا المحاورون والسامرون ، وكتب فى موضوعه الكاتبون ، ولكن اكثر العلمآء عنه غافلون ، لانهم لا يبحثون فى شؤن المسلمين الاجتماعية ولا ينظرون فى مصالحهم الملية ، ولما ملأت الشكوى كل مكان ، وكادت تصخّ منهم الآذان ، اعترف بحقيتها منهم العقلآء المنصفون ، وانكرها المكابرون المغرورون ، فطفق علمآء البلاد الهندية ، يؤلفون الجمعيات العلمية الدينية ، للبحث فى هذه الشكوى ، وتلافى هذه البلوى ، ولم يتنبه فى سائر البلاد ، الا بعض افراد ، لم يظهر لهم عمل ، يتعلق به الامل ،

أما هذه البلاد المصرية فقد اشتهر فيها مفتيها الاستاذ الشيخ محمد عبده بالغيرة على الاسلام والسعي فى الاصلاح العلميّ الدينىّ فى الازهر الشريف وغيره والدنيوي الملي فى الحكومة والجمعية الخيرية الاسلامية التى هو رئيسها واكثر العلمآء لا يزالون وادعين ساكنين ، غارّين آمنين ، محافظين على طريقتهم العتيقة فى مزاولة بعض الفنون العربية والشرعية وانما قلت بعضها لان بعض المقاصد مفقودة من الازهر كالانشآء والخطابة وعلم الاخلاق الدينية والتاريخ الاسلامى بفروعه الكثيرة . ولهذا الجامع الشريف الفضل فى حفظ ما حفظه من تلك الفنون بالجملة وان لم يكن بالطريقة العملية المقصودة اذ لولاه لتلاشى العلم الاسلامي من هذه البلاد بالمرّة ولكنه لم يحفظها على كمالها كما كانت فى القرون المتوسطة وانما حفظ رسومها وانقاضها وله الفضل على كل حال ونرجو له الرجوع الى احسن مما كان

نعلم مما تقدّم ان عقلآء المسلمين يرون ان سعادتهم بعلمائهم اذ اصلحوا

لأنهم كالقلب الذي يصلح بصلاحه الجسد كله كما ورد فى الحديث فلا يسرُّون بشيء كسرورهم من توجه كبار العلمآء الى شؤن المسلمين العامة ولهذا وقع الحديث الذى دار بين صاحبي السماحة والفضيلة الشيخ جمال الدين أفندى شيخ الاسلام والشيخ محمد عبده مفتى أفندى الديار المصرية فى دار السعادة أحسن موقع عند جميع العقلاء والفضلاء لأن اتفاق هذين الشيخين وهما اكبر علمآء المسلمين على ان صلاح حال المسلمين انما يكون بسعي العلمآء الموافق لحال الزمان وبتطبيق العلم على العمل ينهض من هممهم ويعرفهم قيمة وظيفتهم العالية ويحثهم على القيام بها

(حديث شيخ الاسلام ومفتى الديار المصرية فى العلم والعلماء)

قال (المفتى بمناسبة كلام مع الشيخ) ان كان للمسلمين شكوى مما يرونه ماساًّ بشريعتهم فاجدر بهم ان يشتكوا من انفسهم لا ممن يعتدي عليهم

(الشيخ) لا ريب فى ذلك فان حياة كل امة تقوم باستعدادها لكل زمان بما يناسبه ومن غالب الزمان غلبه الزمان . ولكننا نؤمل ان تتغير الحال ويتنبه المسلمون لما فاتهم فيحصلوه وذلك لا يكون الا بهمة علمائهم . وحملة شريعتهم

(المفتى) نعم ذلك لا يكون الا بهمة علمائهم ولكن العلماء فى انصراف تام عن شؤن العامة وقد تركوا اهم تلك الشؤن الى الحكام ووكلوا بعضها الى العامة انفسهم وجعلوا نصح العامة والخاصة أو الاشتغال بما يهيئ لذلك من العمل مما لا يعنى ولم تبق لاحد منهم علاقات مع العامة اللهم الا أولئك القصاص الذين يسمونهم وعاظاً او مدرسي مساجد وماهم من علم الدين وشؤن العامة على شيء وهم يفسدون اكثر مما يصلحون

(الشيخ) لا شك ان اغلب المشتغلين بعلوم الدين تنقصهم الخبرة باحوال الناس ويفوتهم العلم بما عليه اهل العصر ولو خبروا الزمان واهله لامكنهم ان يحموا شرعهم ويعلوا شأن اهل ملتهم مع ان العالم لا يكون عالماً حتى يكون مع علمه عارفاً والعارف هو الذى يمكنه ان يوفق بين الشرع وبين ما ينفع الناس فى كل زمان بحسبه ومن كان بارعاً فى العلوم الدينية ولكن لا يعرف حال اهل عصره ولا يراقب احكام زمانه فلا يسمى عالماً ولكنه يسمى متفنناً أعني انه يعرف فن النحو او فن الفقه او ما اشبه ذلك ولا يسمى عالماً على الحقيقة حتى يظهر أثر علمه فى قومه ولا يظهر ذلك الأثر الا بعد علمه باحوالهم وادراكه لحاجاتهم

(المفتى) ما تقوله سماحتكم هو المعروف عند الاولين من علمائنا. وقد جاء فى كثير من كتب السادة المالكية تعريف العالم بانه (العاكف على شانه البصير باهل زمانه). وهو تعريف للعالم بالغاية من علمه والعكوفُ على الشأن ان لا يضيع العالم زمنه الا فيما يفيده ويفيد العامة لان هذا هو شأن العالم الذى ينبغى ان يعكف عليه. ولذلك اتبعه بالوصف الآخر وهو البصر باهل الزمان لان البصر باهل الزمان انما يدخل فى الغاية من العلم لانه وسيلة للتمكن من العمل به فى اهل ذلك الزمان. وكأن صاحب هذا التعريف يقول من فرط فى شيء من زمنه ولم يستعمله فيما من شأنه ان يستعمله فيه او اساء استعماله بسبب جهله باحوال هذا الزمان فهو ينثر المقال نثراً لا يبالي كيف يقع ولا يعرف هل يصفع عليه او يخضع له ويخشع. من كان كذلك فهو خارج عن مفهوم العالم لا ينطبق عليه تعريفه. وغاية ما يمكن ان يصل اليه إن عرف شيئاً من العلم أن يسمى حافظاً

(الشيخ) نعم ان مما يؤسف عليه الاسف العظيم ان من كان من علماء المسلمين على شيء من العلم فانما يعد فى الحقيقة متفننا ولا يصح ان يطلق عليه اسم العالم . وبذلك بقيت الشريعة مدفونة فى الكتب وحرمت ارواح اهليها من التمتع بآدابها - ثم تبسم قائلاً : ولعل الذى مال بحملة الشريعة الى البعد عن شؤن العامة هو انهم ارادوا ان يخدموا انفسهم خاصة دون الناس عامة

(المفتى) وهل تعد سماحتكم ذلك خدمة لانفسهم مع ما تراهم فيه من الضعة والخمول وحرمان اعاليهم من الحقوق التى يتمتع بها اسافل غيرهم وفرار الدنيا من وجوههم وهم اتعب الناس فى طلبها وبغضها لهم وهم احرص الناس على حبها . واذا قنع احدهم بشيء منها فهي وقفة العاجز لاقناعة العزيز . أفما كانوا اعز واكرم ومقامهم اسمى واعلى لو كانوا علماء على النحو الذى عرفه اسلافنا

(الشيخ) صدقت فان من اراد ان يخدم نفسه وجب عليه ان يخدم العامة لاندراج المصلحة الخاصة فى المصلحة العامة فاذا ضاعت المصلحة العامة ضاعت الخاصة ايضاً واذا حفظت الاولى حفظت الثانية

(المفتى) نعم يامولاى هذه هى القاعدة الحقيقية ولكن مدرسي كتب الفقه لا يعتنون بتقريرها لطلبتهم . فهؤلاء الذين سمتهم سماحتكم متفننين لم يروا هذه القضية فيما درسوا فلعل ذلك عذرهم فيما نسوا » اه بحروفه عن المؤيد

الفائدة فى هذا الحديث هى الارشاد الى العمل بالعلم ونفع الناس به فمن كان يصدق عليه من العلماء يسرّ به ومن كان حجة عليه يستاء فى نفسه

ولكنه لا يظهر الاستياء لئلا يكون مسجَّلاً على نفسه ذلك اللهم الا ان يُغلب على امره باعتقاد ان الكلام ظاهر الانطباق عليه عند الناس لعلمهم بانه لم يحصّلْ من العلم الا حفظ بعض الاصطلاحات التى لا اثر لها فى عمله ولا يمكن ان ينفع بها الناس او لحسدٍ شديد لمن ظهر الحق على لسانه فهو يكابر الحق ويجادل فيه بعد ما تبين وعلم انه الحق وان مابعده هو الضلال

نشر الحديث فى المؤيد فذكر المقطم فى العدد الذى صدر منه فى اليوم التالى لنشره ان العلماء فى مصر عموماً وعلماء الازهر خصوصاً قد استاؤا منه ووقع عليهم كالصاعقة فنشر المؤيد فى اليوم الثالث مقالة لبعض العلماء يقيم الحجة فيها على المقطم بانه ليس من المعقول ان يعلم باستياء العلماء كلهم فى مصر فى صبيحة يوم واحد فلم يجد المقطم جواباً الا انه استنجد ببعض العلماء المتفننين الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فكتب له نبذة بعد يومين يزعم انه بيّن فيها سبب استياء العلماء من حديث الشيخين كأنه حقيقة واقعة . أما السبب الذى كتبه فهو مما يضحك الناس على حماقته وقد خدم المقطم الاسلام باظهار سخافته كأنه يقول هذه افكار الذين يعارضون كلام الأئمة الراسخين ولا ندرى هل قصد المقطم هذا ام لا ؟

زعم ذلك المتفنن ان السبب فى استياء العلماء المزعوم انه يوجد فئة ذات عُدّة عظيمة يريدون ابطال مذهب اهل السنة ورأوا ان يسقطوا العلماء من نظر العامة ليتمكنوا من ذلك لان العلماء هم حراس السنة فهم دائماً يذمون العلماء وجاء كلام الشيخين فى ذم العلماء مؤيداً لكلامهم !!!

لعمرى لا يقول هذا القول من بلغ ان يكون متفنناً او حافظاً وانما

هو كلام غبيٍّ لم يفهم معنى الكلام ، وان كان لم يعزب عن افهام العوام ، الشيخان يحثان العلماء على العمل بعلمهم وان لا يقتصروا على حفظ الاصطلاحات الفنية وهل يمكن ان يحرسوا السنة الا بهذا ؟ . هؤلاء البابية قد ألفوا كتاباً يريدون به ابطال مذهب السنة بل والاسلام كله وقد نشروه حتى فى الجامع الازهر فهل قام من العلماء الذين سماهم انصار السنة من حامى عن السنة الا الاستاذ مفتي الديار المصرية الذى اتفق مع الاستاذ شيخ الجامع على تاديب ناشره وغير هذا الفقير الذى رد على كتابهم فى المنار . وهؤلاء دعاة المسيحية ينشرون الكتب والجرائد فى الرد على الاسلام وقد اشتغلت بشبههم الأذهان فهل تصدى هو او غيره من اهل الازهر للرد عليهم ؟ ؟ وهذه البدع والمنكرات فاشية فهل انكرها منهم أحد

يتخذ صاحب المقالة المقطمية اسم العلماء ترساً يدافع به الحق الذى يكلفه بالعمل ويعدُّ هذا التكليف طعناً بالعلماء جميعاً كأنه يحكم عليهم بانه لا يوجد فيهم عامل بعلمه خادم لدينه ويسمّى الذى يعلق آمال المسلمين بهم طاعناً فيهم ويزعم ان الأولى تعليق الآمال بالحكام والامراء وهو يعلم سلطة الاجانب عليهم فنعوذ بالله من الجهل ونعوذ بالله من الغش

جعل الله علماء الدين الذين أورثهم الكتاب ليكونوا نواباً عن الرسل فى الهدى والارشاد على ثلاثة اقسام ظالم لنفسه لا يعمل به ومقتصد يشتغل فى اصلاح نفسه والعمل بما وجب عليه وسابق بالخيرات يعمل ويعلّم الناس ويرشدهم الى الاهتداء به (هذا التفسير هو الذي اختاره العلامة البيضاوي وغيره) وهذا القسم الثالث هو الذى تحيا به الملة وتحفظ السنة

وقد ضعف الاسلام والمسلمون بضعفه وكادوا يتلاشون بتلاشيه وكلام الشيخ والمفتى ينفخ روح الغيرة فى القسم الاول والثانى ليرتقوا الى القسم الثالث وكلام صاحب المقالة المقطمية يسجل عليهم بانهم من القسم الاول أو الثانى ويسمي هذا نصراً للسنة وما هو الا نصر للمقطم وتصديق له بأن العلماء قد استاؤا من كلام الشيخين ولعله هو الذى غشه أوّلا وصدقه ثانياً

عهدنا بهذا المغرور انه يحرّم نشر الآيات القرآنية فى الجرائد فلماذا ملأ مقالته بالآيات التي حرفها عن مواضعها ووضعها حيث شاء الهوى «يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً» وعهدنا به يحرّم الكتابة فى الجرائد الاسلامية ولو لخدمة الملة الحنيفية والدولة العلية فكيف استحل أن يكتب فى جريدة يعتقد هو واكثر قومه ان لم نقل كلهم بأنها ضد الدولة وغير خادمة للملة ؛ ألم يجد جريدة يدافع فيها عن السنة والاسلام وعلمائه الاعلام الا هذه الجريدة التى لم تنشأ لهذا القصد ولولا ارادة تأييد كلامها لما نشرت مقالته . لا نريد بهذا طعناً بالمقطم وانما نريد تفنيد هذا المغرور بما هو مسلّم عنده وسنبين وظائف العلماء فى الجزء الآتى والى الله تصير الامور .

«شبهات المسيحيين على الاسلام وحجج الاسلام على المسيحيين»

(نبذة ثالثة تابعة لما فى الجزء الخامس والجزء العاشر)

بيّنا فى الجزئين الخامس والعاشر المراد بالتوراة والانجيل عند المسلمين وهما اللذان يشهد لهما القرآن الكريم وبيّنا أنه لا تنهض للمسيحيين حجة على اثبات دينهم وكتابيهم ونبوة سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما السلام الا من القرآن ولا يكون القرآن حجة الا اذا كان من عند الله تعالى فعليهم ان يؤمنوا

به ويأخذوا باصلاحه ليكونوا معنا موحدين لله تعالى نعبده وحده من دون البشر كالمسيح وغيره وندعو سائر الوثنيين الى هذا الايمان الذى هو غاية ارتقاء العقل البشري وفيه السعادة والنجاة فى الآخرة مع العمل الصالح الذى يستلزمه. وقد بيّنّا بالدليل المعقول نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام وكون ماجاء به وحياً فى درس التوحيد الذي نشر فى الجزء الماضى وسنزيده بياناً فى الدروس الآتيـة ان شاء الله تعالى. هؤلاء المبشرون يدعوننا الى البحث فى الدين او يدعوننا ان نؤمن بأن بعض الانبياء اله كامل وانسان كامل وان الثلاثة واحد والواحد ثلاثة حقيقة وان كان العقل ينكر ذلك ويحيله وهو محل الايمان وان ننكر بعض الانبياء ونجحد نبوته بالمرة وان قام عليها اقوى البراهين. فان كانوا يبحثون لاظهار الحق لاجل اتباعـه فليجعلوا العقل أصلاً ويحكموه فى الدلائل، والا فبماذا يميز بين الحق والباطل؟

ان قالوا كتب الدين نقول (أولاً) بماذا ثبتت هذه الكتب؟ فان قالوا بالعقل نقول لزمكم ان العقل هو الاصل ولا يتأتى ان يحكم بصحة كتاب يشتمل على ما هو مستحيل عنده. و (ثانياً) اذا كانت كتب الاديان التي تناظرون فيها متفقة فالدين واحد والا فبماذا يرجح بعضها على بعض؟ أليس بالعقل الذى يبين ايها أهدى وانهض بما يحتاج اليه البشر من الدين

للدين ثلاثة مقاصد تصحيح العقائد التى بها كمال العقل وتهذيب الاخلاق التى بها كمال النفس وحسن الاعمال التى تناط بها المصالح والمنافع وبها كمال الجسد. فاذا حكّمنا عاقلاً لم يسبق له تقليد المسلمين ولا تقليد النصارى فى الدين وكلفناه ان ينظر ايّ الدينين وفّى هذه المقاصد الثلاثة حقها بحسب العقل السليم فبماذا يحكم؟

يرى المسلمين مجمعين على ان العقائد لا بد ان تكون ادلتها يقينية لان كتابهم يقول فى الظن الذي هو دون مرتبة اليقين فى العلم « ان الظن لا يُغنى من الحق شيئاً » ويقول فى الذين احتجوا على شركهم بمشيئة الله تعالى « هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظنّ وان انتم الا تخرصون » ويقول « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ويقول عند ذكر الآيات التى يقيمها على العقائد « ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » « ان فى ذلك لآيات لاولى النهى » اي العقول . ويرى المسيحيين مجمعين على ان اصل اعتقادهم فوق العقل وانه يحكم باستحالته وعدم امكان ثبوته . ولا شك انه هذا العاقل يحكم بان عقائد المسلمين هى الحقة الصحيحة ولا يلتفت الى قول صاحب ابحاث المجتهدين وغيره : ان ذلك بحث فى كنه ذات الله تعالى ولا يعرف كنه الله الا الله باتفاق المسلمين وغيرهم . لان فرقاً عظيماً بين ما يثبته العقل بالدليل ولكنه لا يعرف كنهه وبين ما ينفيه ويجزم بعدم امكان تحققه ومثال ذلك اننا نثبت المادة بصفاتها وخواصها وآثارها ولا نشك فى وجودها ولكننا لا نعرف كنه حقيقتها بل لم يصل العقل الى معرفة كنه شيء من هذه المخلوقات وانما عرف الظواهر والصفات . كذلك التوراة تصف الله تعالى بصفات يرفضها العقل كقوله فى الباب السادس من سفر التكوين « فحزن الرب انه عمل الانسان فى الارض وتأسف فى قلبه فقال امحوا عن وجه الارض الانسان الذي عملته » وهـذا يدل على انه كان جاهلاً وعاجزاً تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا

ثم ينظر هـذا العاقل والحكم العادل فى المقصد الثانى وهو تهذيب الاخلاق فيرى التعاليم الاسلامية فيه قائمة على اساس العدل والاعتدال من

غير تفريط ولا إفراط مع استحباب العفو والصفح والاحسان لقول كتابها « ان الله يأمر بالعـدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » فسر البيضاوي الفحشاء بالافراط فى قوة الشهوة البهيمية والمنكر بالافراط فى قوة الغضب الوحشية . وقوله « اعدلوا هو اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم » وقوله « والذين اذا انفقوا لم يُسرفوا ولم يَقتُرُوا وكان بين ذلك قواماً » الى غير ذلك من الآيات الكثيرة عامة وخاصة . ويرى التعاليم المسيحية مبنية على التفريط والافراط . يقول كتابهم « احبوا اعداءكم باركوا لاعينكم » كما فى انجيل متى ٥ : ٤٤ وهذا افراط فى الحب لا يقدر عليه البشر لان قلوبهم ليست فى ايديهم . ويقول فى انجيل لوقا ١٩ — ٢٧ « اما اعدائى أولئك الذين لم يريدوا ان احكم عليهم فاتوا بهم الى هنا واذبحوهم تحت اقدامى » وفى الباب ١٤ من انجيل لوقا « ٢٥ وقال لهم ان كان احد يأتى الىّ ولا يبغض اباه وامه وامرأته واولاده واخوته حتى نفسه ايضاً فلا يصلح ان يكون لى تلميذاً » وهذا تفريط فى الحب إفراط وغلو فى البغض ومثل هذا كثير . ولاشك ان هذا العاقل يحكم لدين الاعتدال على دين التفريط والافراط لان الاول يرقّي النفوس البشرية ويعزها كما قال تعالى « ولكن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين » والآخر يذلها ويذلها كما قال « من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر » وغير ذلك مما فى معناه

واما المقصد الثالث وهو الاعمال الحسنة التى ترقي النوع الانسانى فى روحه وجسده فيرى فى الاسلام كل عبادة منها مقرونة بفائدتها ككون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وكون الصوم يفيـد التقوى وكون العبادة فى الجملة

ترضى الله تعالى لقوله « وابتغاء مرضاتى » الى غير ذلك مما يزكي النفس ويرقي الروح ولا يرى مثل هذا فى كتب الاخرين وانما يرى فى التوراة التى هى كتاب الاحكام المسيحية ولكن المسيحيين يؤمنون بها قولا لافعلاً أنَّ احكام العبادات معللة بالحظوظ الدنيوية كقولها فى الباب الرابع من سفر التثنية « ٤٠ واحفظ فرائضه التي انا اوصيك بها اليوم لكي يحسن اليك والى اولادك من بعدك » وكتعليل مشروعية الاعياد فى الباب ٢٣ من سفر الخروج من العدد ١٤ - ١٦ بالحصاد والزراعة وبالخروج من مصر . فاين هذا من بيان حكمة عيد الفطر فى قوله تعالى « ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون »

ويرى احكام المعاملات الاسلامية مبنية على أساس قاعدة درء المفاسد وجلب المنافع باتفاق المسلمين وأن كليات هذه الاحكام خمسة يسمونها « الكليات الخمس » وهى حفظ الدين والنفس والعرض والعقل والمال ويرى أن الشريعة الاسلامية ساوت فى الحقوق بين من يدين بها وغير من يدين بها ويراها تأمر بكشف اسرار الكون واستخراج منافعه بمثل قوله تعالى « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعاً منه » . ويرى التوراة والانجيل لم يجمعا هذه المنافع فى احكامهما بل يخالفانها كثيراً . فالوصية التاسعة « لا تشهد على قريبك بالزور » فاين هذا التقييد بالقريب من امر القرآن « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنياً او فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوُوا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً » وغير ذلك من الآيات . وفى الباب الرابع عشر من سفر تثنية

الاشتراع اباحة المسكر وسائر الشهوات على الاطلاق ونصه : « وأنفق الفضة فى كل ما تشتهى نفسك فى البقر والغنم والمسكر وكل ما تطلب منك نفسك وكُلْ هناك أمام الرب وافرح انت وبيتك » . وفى الباب السادس من انجيل متى « ٢٥ لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وتشربون ولا لاجسادكم بما تلبسون » وفى موضع آخر « لا تشتغلوا من اجل الخبز الذي يفنى » يأمرهم بهذا مع ان الخبز أهم المهمات عندهم حتى أمروا أن يطلبوه فى صلاتهم بقوله « خبزنا كفافنا اعطنا اليوم » فما هذا التناقض .

لا تأمر هذه الكتب بترك الاعمال للدنيا فقط بل ليس للاعمال الصالحة فيها قيمة ولا منفعة مطلقاً قال بولس فى رسالته الى اهل رومية ١٤ — ٤ « أما الذى يعمل فلاتحسب له الاجرة على سبيل نعمة بل على سبيل دَين (٥) وأما الذي لا يعمل ولكن يؤمن بالذي يبرّ ر الفاجر فايمانه يحسب له برًّا » . هذا والله يقول فى القرآن «ولكنّ البرَّ مَن آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المالَ على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابنَ السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس» الآية . فهل تنجح الامم بهذه الاعمال ام بايمان لاقيمة للعمل معه ؟

واثبت هذا المعنى بولس فى الباب الثالث من رسالته الى اهل غلاطية حيث ذكر ان اعمال الناموس تحت لعنة وانه لا يتبرر احد عندالله بالناموس وأن الناموس لا لزوم له بعد مجيء المسيح والمسيح نفسه يقول : ماجئت لانقض الناموس وانما جئت لأتمّم . ولكن المسيحيين عملوا بقول بولس فتركوا التوراة واحكامها بالمرة وقد اباح لهم الرسل جميع المحرمات ماعدا

الزنا والدم المسفوح والمخنوق والمذبوح للأصنام (أعمال ١٥ : ٢٨و٢٩) وكأنهم رأوا ان شريعة التوراة لا تصلح للبشر كما قال حزقيال فى الباب العشرين عن الرب انه لما غضب على بنى اسرائيل قال « ٢٣ ورفعت ايضاً يدى لهم فى البرية لا فرقهم فى الامم واذريهم فى الاراضى ٢٤ لأنهم لم يصنعوا احكامي بل رفضوا فرائضى ونجسوا سبوتى وكانت عيونهم وراء اصنام آبائهم ٢٥ واعطيتهم ايضاً فرائض غير صالحة واحكاماً لايحيون بها» وصرح حزقيال قبل هذا بان بنى اسرائيل عبدوا الاصنام بعد ما انجاهم الله من مصر فليعتبر بهذا ذلك المبشر المسيحى وذلك اليهودي اللذان انكرا عليّ ما كتبته فى العدد العاشر من طلب بنى اسرائيل عبادة الاصنام وزعما انه لم يقل بذلك الا القرآن (للكلام بقية)

﴿ لائحة الفقه الاسلامي* ﴾

لحضرة العالم الفاضل صاحب التوقيع

برح الخفاء وآن للحقائق ان يتبلج نورها فقد مزقت عزائم المصلحين حجب الاوهام وازالت غشاوة الابصار وللاطوار ادوار وللادوار اسرار فسبحان الظاهر الباطن .

ان لم يكن فى كلماتى هذه براعة استهلال لمقصدي وفاتني منها النصيب الذى يحرص عليه كتابنا القدماء ومقلدوهم فى محامد خطبهم فان فيها من قوة العزم فى المقصد الاجمالي ما يعرب عنه باجمع عبارة واجمل اشارة .

كلامى الآن فى « الفقه الاسلامى » حملنى عليه سبب شريف ذلك

(*) يراجع ما كتب فى الجزء الرابع تحت عنوان (الفقه الاسلامى) فهذا جوابه

انني كتبت الى صديق لي فاضل مشرف على مطالع انوار المعارف مكتوباً مطوّلاً عرضت له فيه خلاصة نبذة من افكاري باننا اخوان سعي في سبيل اصلاح يهتم له الشاعرون بالاحوال وينكره الواقفون الذين تتجاذبهم الاهواء ويتجاذبون الادواء . والمكتوب جاء فيه انكار لكثير من العلوم التي يعتبرها المسلمون من العلوم النافعة لهم في دينهم ودنياهم واعتبرها انا بالعكس بما قام عندي من البرهان فاختار ان يحاورني في قسم من اقسام المكتوب فكتب الى جواباً افاض فيه من معارفه الغزيرة ما تروى به الصدور . ونشر « المنار » الزاهر هذا الجواب لما احتوى من حقائق العلم وآيات الإشراف والاشراق . واذ كان لي من الكلام في هذا الموضوع مالم يسعه مكتوبي الاول ومن الجواب على رده ما يزيد المسألة وضوحاً احببت ان اكتب هذه الرسالة لصديقي نفع الله الامة بفضله وعلو همته على ان يكتفي ان شاء بمطالعتها او ينشرها في « المنار » ادام الله اشراقه ان شاء صاحبه العلامة .

كلامي في الفقه الاسلامي

الفقه الاسلامي يشتمل على قسمي العبادات والمعاملات كما يقولون أما العبادات فليس يخفى على أحد انها اعمال خاصة امرنا ان نفعلها كما كان يفعلها النبي وأصحابه الذين تعلموا منه فهل التعاليم مختلفة بقدر ما اختلف هؤلاء الفقهاء أم اراد هؤلاء ان يوهموا الملأ بما وسعته صدورهم من العلوم فتوسعوا بالتفصيلات القولية والاصطلاحات المذهبية حتى كتبوا الوفاً من الاوراق على الصلاة مثلاً . ولئن سألتهم ليقولن انها عماد الدين وان الاهتمام بتحرير علومها ضروري . قل ان القرآن المجيد الذي فرضها لم

يجيء فيه بشأنها اكثر من قوله : واقيموا الصلوة ، واركعوا مع الراكعين ، واسجدوا لله ، ولم يجيء فيه بشأن الطهارة التى هى من اجلها اكثر من الامر بغسل الوجه واليدين والرجلين ومسح الرأس اذا اخرج الانسان فضلاته وبالتيمم اذا لم يجد الماء وبالتطهر من الجنابة . وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم الصلاة للواحد من اصحابه فى ساعة واحدة لانها اعمال محدودة كالوقوف الى جهة معينة وقراءة كلمات سهلة وحني الظهر ووضع الجبهة على الارض اعمال يتعلمها الصبي فى ساعة ويا عجبي للذين اختلفوا واستشهد كل منهم بالاقوال : ألم يروا انها حركات بدنية واستحضارات قلبية . شوهدت من النبي صلى الله عليه وسلم يفعلها خمس مرات كل يوم فى نحو عشرين عاماً ثم شاهدها من اصحابه من لم يشاهدها منه وهلم جراً . ألم يكن فى مشاهدة الفعل يتكرر آلافاً من المرات غنية عن الاقوال ؟ ام اراد بهم ربك اختلافاً فلم يزد الناس بيانهم الا اغماضاً واعضالاً . اتلُ من امثلة اختلافاتهم هذا المثال :

{ فى فتح القدير (١) ص (١٥٤) } « واول وقت المغرب اذا غربت الشمس وآخر وقتها مالم يغب الشفق » وقال الشافعي رحمه الله : مقدار مايصلى فيه ثلاث ركعات لان جبريل عليه السلام امّ فى اليومين فى وقت واحد . ولنا قوله عليه السلام : اول وقت المغرب حين تغرب الشمس وآخر وقتها حين يغيب الشفق . وما رواه كان للتحرز عن الكراهة « ثم الشفق هو البياض الذى فى الافق بعد الحمرة عند ابى حنيفة رحمه الله وقالا هو الحمرة » وهو رواية عن ابى حنيفة وهو قول الشافعى رحمه الله لقوله عليه السلام : الشفق الحمرة . ولابى حنيفة قوله عليه السلام : وآخر وقت

المغرب اذا اسود الافق . وما رواه موقوف على ابن عمر رضى الله عنهما ذكره مالك رحمه الله فى الموطأ وفيه اختلاف الصحابة اه

تراهم اختلفوا فى تعيين الشفق ورووا عن ابى حنيفة روايتين متباينتين وانت خبير ان هذا التفريق بين البياض والحمرة دقيق جداً اذا كان الجو صافياً ولا يمكن البتة اذا كان داجناً . ثم ماذا جوابهم اذا سألهم اهل ارض تحجب فيها الغيوم الشمس اكثر من نصف السنة عن اول وقت المغرب الذى عينوه بغروبها وعن آخره الذى عينوه بذلك البياض وتلك الحمرة أفيقولون يقدر الوقت تقديراً ؟ فكيف يقدر الوقت وبماذا ؟ أبعدد الركعات كما قال الشافعي فكم معدل الركعات فى النهار والليلة حتى نقدر اجزاءهما بعدد الركعات ومن ذلك الذى يعمل هذا المعدل ؟ ؟

واليكم هذا ايضاً — يقولون فى باب الصوم :

« لا عبرة باختلاف المطالع فيلزم اهل المشرق برؤية اهل المغرب وعليه الفتوى » انظر معي فى هذا القول الذى اتفقوا عليه وأفتوا به الا اصحاب الشافعي فاسأل الذين يقرأونه فيعتبرونه ديناً : من ذلكم الذي يوصل خبر المغرب الى المشرق فى اقل من ليلة حتى يلزمهم الصوم بيوم واحد ؟ ثم كيف يصوم اهل المغرب مثلاً برؤية اهل المشرق وبينهما اختلاف عظيم فى الزمان فقد يكون ليل ناس نهار آخرين ؟

سامحنى ايها الصديق بما تصديت له من حال اقوالهم فى قسم العبادات فقد دعت الى هذه الاشارة ضرورة الكلام على كل ما سموه فقهاً . وسامحني ايضاً أن اذكر شيئاً عما كتبوه فى المناكحات التى عدوها فى المعاملات تلك المناكحات التي يتعجب الانسان من الابواب التى فتحت

فيما لحلف الانسان بانه يحرم فرج امرأته على فرجه اذا كان الامر كذا مما لا علاقة للزوجة به وكإفتائهم وقضائهم بان هذا الفرج المحلوف عليه يحرم اذا حنث الحالف وان لم يكن ثمة ارادة الفراق واليكم من عباراتهم فى هذا الباب شيئاً من اشياء :

« لو قال لها : انت طالق ثلاثة انصاف تطليقتين فهى طالق ثلاثاً لان نصف التطليقتين تطليقة فاذا جمع بين ثلاثة انصاف تكون ثلاث تطليقات ضرورة ولو قال انت طالق ثلاثة انصاف تطليقة قيل يقع تطليقتان لانها طلقة ونصف فيتكامل وقيل يقع ثلاث تطليقات لان كل نصف يتكامل فى نفسه فتصير ثلاثاً »

هذا وأما ما كتبوه فى الحقوق وسموا مجموعه بالمعاملات فلا انكر انهم اجادوا فى بعضه بحسب ازمنتهم وأمكنتهم وانما الذي انكره هو : (١) انه يكفي لزماننا ويغنينا عن غيره (٢) وانهم استفادوا كل ما كتبوه من الدين ولا دخل لعقولهم فيه (٣) وانه لايغني عنه غيره (٤) وانه لم يكن آلة بيد القضاة والمفتين ومن فى حكمهم يعبثون فيه كما شاؤا (٥) وانه ليس من المضر تقديسه الذى جعلنا ينابذ بعضنا بعضاً من اجله وتقديس المحاكم المنسوبة اليه التى كانت ولا تزال بقاياها ميداناً تتجلى فيه الغرائب

هذا كله هو الذى انكره انكاراً مقروناً بالدليل القاطع لمن شاء ان اذكره . وليس بخاف (١) ان ازمنتهم غير زماننا الذى تغيرت فيه التجارة وابوابها وفروعها تغيراً مهماً (٢) وان الرسول صلى الله عليه وسلم بتصريحه لمعاذ بن جبل وعلي بن ابى طالب رضى الله عنهما ان يعملا برأيهما اذا لم يجدا نصاً كفانا مؤنة السلاسل التى ربط الناس بها اقوام كتبوا الكتب

بايديهم ثم قالوا هذه من عند الله (٣) وان هذه الامم التي ليس عندها هذه الكتب قد اغناها الله بفضل عقولها في تدبير التجارة والبيوع وعقد الشركات وامضاء المعاهدات وادارة المنافع العامة وترتيب العقوبات وجباية الاموال وتنظيم الجيوش واعداد ما يحفظ المجد ويعلي الشأن في السلم والحروب (٤) وان هذه الاقوال المتضاربة المتعارضة ليس لاكثرها من سبب الا منافع القضاة ومن في حكمهم (٥) وان اعتناء كل طائفة بمذهب واحد على ما فيه من تعدد المرجحين قد فرق كلمة المسلمين منذ زمن بعيد حتى اوصلهم الى هذه الحالة (وهل منكر لها؟) بمقتضى السنة الالهية. هذا ما قلت زبدته واعدته اليوم مع شيء من التفصيل وان الأخ حفظه الله ليعلم ان هذا الموضوع لا يوفيه حقه من البيان الامئات من الاوراق وفي ذكائه وامعانه وامعان الاذكياء غنية وكفاية . ع ز

(المنار) للمقالة بقية ومن عنده جواب من الفقهاء فليرسله الينا لننشره بعد اتمامها

آثار علمية ادبية

﴿ مقدمة ديوان حافظ أو الشعر وفنونه وتأثيره وفحوله ﴾

يعرف قراء المنار مكانة محمد حافظ افندي ابراهيم في الشعر وانه يضرب مع فحوله بكل سهم، ويسابق جياده في كل فج، ويمتاز على السابقين الاولين بالمعاني التي جاءتها الحضارة والمدنية، ويتقدم صفوف المتأخرين بالجزالة البدوية، ويودون لو تخدم اللغة والآداب بطبع ديوانه ونحن نبشرهم بان الديوان كاد يتم طبعه وتحفهم بمقدمته التي تشهد له بانه ممن اتفقت لهم الاجادة في المنظوم والمنثور وهي — كما قال ابن خلدون — لا تتفق الا للاقل. قال حافظ واحسن ما شاء هو وشاء الاحسان :

الشعر وهو احد توأمي اللغة العربية علم وجد مع الشمس لا تعرف الانس له واضعاً . قد كمن فى نفوس البشر كمون الكهرباء فى الاجسام فلا يهتدي الى مكمنه الخاطر ولا يعثر به الخيال الا اذا اثارته حركة النفس وهو من الكلام بمنزلة الروح من الجسد فلا بدع اذا عجز لسان الكون عن تعريف كنهه عجزه عن ادراك كنه الروح

ولقد عرّفه بعضهم فقال : انه نفثة روحانية تمتزج باجزاء النفوس ولا تحس به منها غير النفوس الزكية . وقال آخر انه قول يصل الى القلب بلا اذن ولم اعثر حتى اليوم على تعريف له شاف فى كتب العرب والافرنج ومبلغ القول فيه انه ظرف الحكمة ومسرح الخيال ومغنى البلاغة وخدر الفصاحة ووعاء الحقيقة فلو انهم سألوا الحقيقة ان تختار لها مكاناً تشرف منه على الكون لما اختارت غير بيت من الشعر[1] ولو لم تكن آيات الكتاب العزيز كلها ظروفاً للحكمة واوعية للحقيقة لما وجد الملحدون السبيل الى القول بانه جآء على طريقة الشعر وان كان منثوراً

وخير الشعر ما سبق دبيبه فى النفس دبيب الغناء ثم سبح بها فى عالم الخيال فان كان غزلاً مر بها على مسارح الظباء وكُنُس الآرام ، وطاف بها على اودية العشق والغرام ، فأراها اسراب الارواح ترفرف على نواحيها غاديات رائحات فى مروج الهوى ، سانحات سارحات فى رياض المنى ، طائرات سابحات فى اجواء الهيام ، حافات بأرواح أولئك الذين قضوا صرعى العيون ، وشهداء الجفون ، وأراها جميلاً وهو يرنو الى بثينته ، والمجنون وهو يضرع ليلاه ، ثم ردها بعد ذلك وقد اذابها رقة وأسالها

(١) هذه الجملة الاخيرة مقتبسة من كلام الاستاذ الشيخ محمد عبده

شوقاً . وان كان حماساً طار بها الى مكامن البلاء ، ومساقط القضاء ، يشق بها صفوف الحوادث ، وكتائب الكوارث ، حتى اذا راضها على مصافحة الحمام ، ومكافحة الايام ، انتقل بها الى المعامع فحبب اليها لثم البتار ، ومعانقة الخطّار ، وأراها عبد بنى عبس وهو يسابق المنية الى اختطاف الارواح وينادى :

لي النفوس وللطير اللحوم ولا وحش العظام وللخيالة السَّلَب

ثم ردها بعد ذلك وهى تنظر الى فرند القرضاب ، نظر المحب الى لمى الرُّضاب ،

وان كان فخراً سما بها الى عرش الجلال فأراها الشريف متربعاً فى ناديه يطالع فى صحيفة أنسابه ، وجريدة احسابه ، وهو يشتم من لحيته ريح الخلافة ويخاطب صاحبها بقوله :

مهلاً امير المؤمنين فاننا فى دوحة العلياء لا نتفرّق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابداً كلانا فى المفاخر معرق
الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

وان كان حكمة خرج بها عن ذلك العالم المجبول بالاذى وآسى عندها بين الوجود والعدم فروح عنها وهون عليها ثم سرى بها من بيت العظة والاعتبار واراها شيخ المعرة وابو الطيب بجانبه ، يستصبح كل منهما بنور صاحبه ، واسمعها الاول وهو يقول :

ويدلني ان الممات فضيلة كون الطريق اليه غير ميسر

والثانى وهو ينشد :

الف هذا الهواء اوقع فى الانـ ـفس أن الحمام مر المذاق
والاسى قبل فرقة الروح عجز والاسى لايكون بعد الفراق

ثم ردها وهي تنظر الى هذا الدهر وابنائه نظرَ الممعود الى غذائه

وان كان زهداً طرح عن منكبيها رداء الطمع ، واستل من جنبيها خيوط الجشع ، واراها الشيخ أبا العتاهية مضطجعاً فى بيته ، يتغنى ببيته :

الناس فى غفلاتهم ورحى المنية تطحن

ثم غادرها وهي تكتفي من دنياها باحراز مسكة الحوباء ، وتجتزئ منها بشربة من الماء ،

وان كان مدحاً مثّل لها الممدوح يسحب مطارف الحمد ويجرّ ذيول الثناء وقد كساه مادحه حلة لا تبلى واحله المحلّ الذي لا ترقى اليه همة الزمان وأراها صاحب مسلم بن الوليد الذى يقول فيه :

موحّد الرأي تنشق الظنونُ له عن كل ملتبس فيها ومعقود

يلقى المنيـة فى امثال عدتها كالسيل يقذف جلموداً بجلمود

وقد شفّت له الآراء عن مواطن الصواب وانشقّت له حجب الظنون عن مكامن الغيب ومثله لها فى البيت الاول وهو يسري ورأيه يضيء اضاءة الكهرباء وفى البيت الثانى وهو يدفع الموت بالموت ويدرأ الحتوف بالحتوف اذا شمر له الموت عن ساعديه شمر ، واذا تنمر له الحمام تنمر .

وان كان استعطافاً مثّل لها النفس الموتورة وهو يحلّل من حقدها ويقلم من اظفار ضِغنها وقد مال بها الى جانب العفو والتجاوز وأراها سيف الدولة فى ديوان امرته ، وابو الطيب جالس بحضرته ، ينشده قوله :

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب

ولم تجهل أياديك البوادي ولكن ربما خفي الصواب

وقد سكت عنه الغضب وهبت من شمائله نسائم الرفق وجال فى

محياه ماء الصفح

وان كان وصفاً جسّم لها الشيء الموصوف حتى انها لتكاد تهمّ بلمسه واثبت لها ان الشعر تصويرٌ ناطق وأراها ذلك السيف الذي يقول فيه أبو الطيب :

سلّه الركض بعد وهن بنجد فتصدى للغيث اهل الحجاز

وهو يخطف البصر قبل اختطاف الهام ، ويلمع لمعان شقة البرق طارت فى الغمام ، أو ذلك السيف الذى يقول فيه ابن دريد :

يُري المنايا حين تقفو إثره فى ظلم الاحشاء سبلاً لا تُرى

وهو كأنه سراج يضيء لعزريل فيهتدى به الى مكامن الارواح

وان كان تشبيهاً جلّى لها وجه الشبه فى مرآة الخيال فأشكل عليها الامر ولم تدر ايهما المشبه بالآخر واراها بُزاة ابن المعتز التى يقول فيها :

وفتيان سروا والليل داج وضوء الصبح متهم الطلوع

كأن بُزاتهم امراء جيش على أكتافهم صدأ الدروع

وهى كأنها أولئك الامراء وأولئك الامراء وهم كأنهم تلك البزاة

ذلكم تأثير الشعر السرىّ فى النفوس ولقد بلغ من تأثيره ان بيتاً منه اذكى نار الحروب بين العرب والفرس وهو قول ليلى بنت لكيز من قصيدة

غلّلُوني قيّدُوني ضربُوا ملمس العفة منى بالعصا

وان بيتين منه أتيا على امة بأسرها وهما قوله :

لا يغرنك ما ترى من اناس ان تحت الضلوع داء دويّا

فضع السيف وارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرها امويّا

وقد ترجل لبيت منه جيش بالاندلس وهو قول ابن هانئ :

من منكمُ الملك المطاع كأنه　　تحت السوابغ تُبَّعٌ فى حِمْير

وبرز أحد ملوك الاندلس من خلف الستار حين سمع قول مادحه :

انظرونا نقتبس من نوركم　　إنه من نور رب العالمين

(البقية تأتى)

« عفة نساء العرب وبلاغتهن »

ذكرنى بيت ليلى بنت لكيز الذى اورده محمد حافظ افندى فى مقدمة ديوانه ان اطرف القراء بخبر عفة هذه الفتاة وقوة عزيمتها وبلاغة قولها وسحر بيانها وطالما كنت احدث الاخوان بان ابلغ بيت قالته العرب هو قول هذه الفتاة (غَلَّلُونى) البيت . على ان البلاغة هي كما قال استاذنا مفتى الديار المصرية هي ان يبلغ المتكلم بكلامه ما يريد من التأثير فى النفوس واصابة مواقع الوجدان منها

ومجمل خبر الفتاة ان اباها وهو من بنى وائل نزل بها فى بعض منازل إياد بالقرب من بلاد فارس وكانت ليلى هذه بارعة الجمال فتزلف بخبرها الى ملك الفرس رجل من تحوت اياد على ان ايادا كانوا مرذولين عند العرب لمجاورة الاعاجم ومخالطتهم فاخذها الملك من ابيها غصباً فبخلت عليه حتى برؤية وجهها فبذل لها فى سبيل رؤيته الوان المشتهيات ، وروّعها بضروب العقوبات ، فأبت عليه ان يراها ثم خيَّرته بين ان يقتلها او يعيدها لابيها فارتأى بعد ذلك ان يفسد عفتها بالترف والنعيم فكف عن مراودتها وامر بان ترفَّه وتغمر بالنعيم وما كان نعيم الاجنبي الا بؤساً عليها لعزة نفسها وأنفتها . ومن كلامها فى تحريض قومها على قتال الفرس وحماية عرضهم بانقاذها :

ليت للبرّاق عيناً فترى ما أُلاقي من بلاء وعنا
يا كليبا وعقيلا اخوتي ياجنيداً اسعدوني بالبكا
عذّبت اختكم ياويلكم بعذاب النُّكر صبحاً ومسا
غللوني قيّدوني ضربوا (ملمَسَ العفة) مني بالعصا
يكذب الأعجم ما يقربني ومعي بعض حُشَاشاتِ الحيا
قيّدُونِي غلّلونى وافعلوا كل ما شئتم جميعاً من بَلا
فأنا كارهة بغيكم ويقينُ الموت شيءٌ يرتجى
يابني كهلان يا أهل العلى أتدلون عليَّ الاعجما
يا إياداً خسرت ايديكمُ خالط المنظر من برد عمى
فاصطباراً وعزاءً حسنا كل نصر بعد ضرٍّ يرتجى
اصبحت ليلى يغلّى كفها مثل تغليل الملوكِ العظما
قل لعدنان هديتم شمروا لبني مبغوض تشمير الوفا
واعقدوا الرايات فى اقطارها واشهروا البيض وسيروا في ضحى
يا بني تغلب سيروا وانصروا وذروا الغفلة عنكم والكرى
احذروا العار على اعقابكم وعليكم ما بقيتم فى الدُّنا

وقد كان لهذا ما كان من الحروب بين العرب والفرس وانتهى الامر بقتل ملك الفرس وتخليص الفتاة . فليعتبر بهذه العفة والشهامة نساؤنا بل وشبان المصريين المتبجحون بأنهم ابناء عصر المدنية ، وما بلغوا فى الفضيلة بعض ما بلغت تلك البدوية ، قد افسدت الشهوات بأسهم فسنوا ومجنوا وتهتكوا حتى بلغنا عن شاب من اذكيائهم انه قال فى بغيٍّ انكليزية انها حببّت اليه بجمالها ودلالها الاحتلال ، وتلك نهاية التلاشى والانحلال

« باب الاسئلة والاجوبة الدينية »

(١) من الشيخ احمد محمد الالفى فى طوخ القراموص : هل المحاورة بين المصلح والمقلد حقيقية ام خيالية فان كانت خيالية هل يوضع الخيال موضع اليقين فى امر من امور الدين وان كانت حقيقية فمن المقلد ومن المجتهد ولما يخفيان انفسهما وهل جمعت فى هذا المجتهد شروط الاجتهاد من الاسلام والعدالة الخ

(ج) ليراجع السائل جواب سؤال فى الصفحة ٦٨ من الجزء الثانى من منار هذه السنة فقد بينا فيه ان من الناس من هو ممنوع من الكتابة فى الجرائد كأساتذة المدارس ومنهم من يخفي اسمه اذا كتب ليعلم الناس الحكم على القول بذاته ومعرفة الحق بنفسه دون قائله كما هو الواجب ومنهم من يكتم اسمه لغير ذلك ولا يتوقف عن قبول مثل هذا الا من لا يستطيع فهم الحق بنفسه وانما هو مفطور على التقليد بغير بصيرة . وليس المقصود من المحاورة حمل الناس على العمل بقول احد المتناظرين وانما المقصود بها فتح باب معرفة الحق بدليله لمن هو اهل لذلك – هذا ما نجيب به على فرض ان المحاورة واقعة فعلاً واذا كانت المحاورة غير واقعه بل مفروضة فأي حرج فى بسط المسائل الدينية والعلمية وشرحها باسلوب السؤال والجواب والرد والاعتراض وهو اسهل الاساليب وانفعها ؟ ومن يتوهم ان هذا يحول المسائل اليقينية الى تصورات خيالية والبرهان هو العمدة فيها ؟ مثل هذا الوضع معهود من اكابر العلماء الذين يقلدهم السائل ويقلد من دونهم ولكنه ذهل عن ذلك فكتاب القسطاس المستقيم للامام الغزالى هو بهذا الاسلوب وكذلك مقامات الحريرى وفيها ما لا يحصى من احكام الدين فى الفقه والآداب

والمواعظ . وقد علم رحمه الله تعالى ان سيعترض عليه فقال فى خطبة المقامات :

« على انى وان أنمص لى الفطن المتغابى ، ونضح عني المحب المحابى ، لا اكاد اخلص من غُمْرٍ جاهل ، او ذي غِمر متجاهل ، يضع منى لهذا الوضع ، ويندد بانه من مناهى الشرع ، (الى ان قال) فأيُّ حرج على من انشأ ملحاً للتنبيه ، لا للتمويه ، ونحا بها منحى التهذيب ، لا الاكاذيب ، وهل هو فى ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم ، وهدى الى صراط مستقيم ، » الخ

واما ما ذكره من شروط الاجتهاد التي وضعها المقلدون فسيرى البحث فيها فى المحاورات ان شاء الله تعالى . وحسبه ان يعلم هنا ان ايراد المسائل بصورة المناظرة لا يجعل اليقين خيالاً وانه لا حرج فيه بل فيه اجر إحسان العمل وتقريب العلم من الافهام وهذه هى شبهته من تصوره ان المحاورة غير واقعة

(٢) ومنه : هل يجوز لغير المجتهد ان يقلد المجتهد فى معرفة الاحكام الشرعية العملية من مذهبه ؛ الخ

(ج) ذكرنا من قبل ان التقليد هو الاخذ برأي أحد من غير معرفة دليله فلا معنى للتقليد فى المعرفة الا ان يريد بالتقليد السير على طريقة المجتهد التي بنى عليها مذهبه فى الاستدلال والاستنباط كما فعل اصحاب الامام ابى حنيفة مثلا ولا شك ان هذا جائز لأنه تعلمٌ وليس هو بتقليد فسقط قوله فى تتمة السؤال ان الامام ابا يوسف لم يدّع مرتبة الاجتهاد المطلق . ولو لم يدعها لم يكن اماماً يقتدى به اذ لا يقول احد بتقليد المقلد وقوله ان الوقت خلا عن المجتهد المطلق دعوى لا دليل عليها فهل عرف

هو جميع المسلمين وهم يعدون بمئات الملايين وتحقق ان كل واحد منهم مقلد . وترون اجوبة بقية الاسئلة التي فى ضمن هذا السؤال فى المحاورات لانها وفت هذا الموضوع حقه . والمعهود فى الاسئلة والاجوبة التى تنشر فى الجرائد الاختصار ، والملل والسآمة يتولدان من التكرار ،

(٣) ما هى طريق الصوفية ومن اهلها وما اصولها واركانها وشروطها وآدابها وما حجتها على بحثها واذا جوزنا ان العهد الذى يتناقله اهل هذه الطريق سلفاً وخلفاً لم يثبت بدليل صحيح وان حديث شداد بن أوس عن على بن ابى طالب رضى الله عنهما من ان النبى صلى الله عليه وسلم لقن أصحابه جماعة وفرادى الذى يتناقله القوم لم يثبت عند حضرته فكيف انخدع به امثال رجال الرسالة القشيرية وحضرة صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده كما ذكر المنار نفسه فى العدد الثامن من المجلد الثالث

(ج) يراجع السائل العدد السابع والثلاثين من مجلد المنار الاول فان فيه مقالة طويلة فى التصوف والصوفية وكيف كانوا وكيف صاروا وفيها نقل عن الرسالة القشيرية واما حديث شداد بن اوس فهو فى تلقين كلمة التوحيد وليست مختصة بالصوفية وانما هى عامة لكل مؤمن بالله ورسوله ولا حاجة فى اثبات تلقين كلمة التوحيد الى تصحيح خبر شداد . اليس من التدليس (ولا ازيد على هذا) ان يستدل على ما يتناقله اهل الطريق مما هو مختص بهم بحديث تلقين النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كلمة (لا اله الا الله) لاصحابه ؟ ان كانت هذه الكلمة هى التصوف كله فكل المسلمين صوفية . وان كان كل معناها كما يفهم الكثيرون ان الذى خلق الخلق واحد لا شريك له فى الايجاد فالناس كلهم صوفية ايضاً الا افراد لا اعتداد بهم

لقلتهم . كلا ان هذا اللقب كان يطلق فى عهد رجال الرسالة القشيرية على الذين اخذوا بالعزائم واتبعوا سيرة السلف الصالح فى الدين وتجنبوا البدع التى حدثت بعدهم

ثم ظهرت فى الملة طوائف تفننت فى البدع ما شاءت وانحرفت عن عن صراط السلف وانتحلت كل طائفة منها اسم التصوف وانتسبوا الى أولئك الائمة المهديين بالقول وخالفوهم فى العلم والعمل والاخلاق والآداب وان اردت ان تعرف بدعهم وضلالاتهم فعليك بكتاب المدخل لابن الحاج لا سيما اواخر الجزء الثانى منه وكذلك الاحياء والاعتصام . وقد بيّن المنار بعضها وسيبين باقيها بالتدريج ان شاء الله تعالى (راجع باب البدع والخرافات)

أما الاستاذ الشيخ محمد عبده فلم يسلك طريق التصوف انخداعاً بحديث شداد ولا اهتداءً به . وانما قيض الله تعالى له رجلا من اكابر الصالحين فى اوائل توجهه الى طلب العلم فكلفه فى اوقات الفراغ ان يقرأ له رسائل كانت عنده من شيخه ومربيه فلما قرأ له عدة رسائل تأثر من هذه الرسائل لما فيها من تشديد النكير على المعرضين عن هدي الدين . فانشرح صدره لأن يكون ممن تسميهم هذه الرسائل (الاخوان) وسأل ذلك الصالح عن طريقهم فقال له هو الاسلام فقال له أليس سائر هؤلاء الناس على الاسلام ايضاً فما هو امتياز اخوانكم اذن ؟ فاجابه الصالح ان الاسلام ينهى عن الكذب وهؤلاء الناس يكذبون واخواننا لا يكذبون . والاسلام يأمر بالامانة وهؤلاء الناس قد فشت فيهم الخيانة واخواننا لا يخونون — وهكذا صار يذكر له ماينهى الاسلام عنه وما

يأمر به ويذكر ادلة ذلك وان اخوانهم ممتثلين له . فقال له ماذا اعمل لاكون مثل اخوانكم فامره بثلاثة اشياء (احدها) ان يقرأ كل يوم جملة من القرآن مطالبا نفسه بفهمها وان يراجعه فيما لا يفهمه و (ثانيها) ان يذكر الله تعالى فى اوقات الفراغ مع حضور القلب بغير تقييد بعدد و (ثالثها) ان يتعلم كل علم امكنه ان يتعلمه . وهكذا كان . فان كان هذا هو التصوف الذى يعنيه السائل فهذا ما ندعو اليه ونسأل الله تعالى ان يوفق جميع المسلمين له

وسيأتى الجواب عن بقية الاسئلة ان شاء الله تعالى ونعتذر الى السائلين الآخرين بتقديم هذه الاسئلة على اسئلتهم التى طال عليها الزمن بالحاح هذا السائل حتى انه لم يكتف بما كتبه الينا حتى نشر بعضه فى مجلة الموسوعات الغراء . نعم انه عهد الينا بعد ذلك بأن لا نجيب عن اسئلته التى نراها فى الجرائد ولكن ما ينشر لا بد ان يجاب عنه لانه تعلق به حق سائر القارئين

(الهدايا والتقاريظ)

(سياحة فى غربى اوربا) سافر فى العام الماضى الى اوربا صديقنا الفاضل الوجيه العاقل عزتلو نسيم بك خلاط من اعيان طرابلس الشام وكتب رحلة فى ذلك سماها (سياحة فى غربى اوربا) طبعت فى مطبعة المقتطف واهديت الينا نسخة منها . وقد قرأنا منها جملة صالحة فالفيناها من انفع ما كتب فى بابها واجله فائدة

ذلك ان من الناس من لا يكتب الا فى وصف الظواهر التى يشاهدها فاذا احسن الوصف فهو كالمصور الذى لا يستطيع ان ينفخ الروح فى

الصورة التى يصورها . ومنهم من همه ذكر المعايب ، وانتقاد المثالب ، ومنهم المغرم بالاغراب ، والاتيان بما يثير الدهشة والاعجاب ، ومنهم المؤرخون الكاذبون الذين يفتنون الناس بالتحيز الى قوم وجعل سيئاتهم حسنات ، والتحامل على آخرين بابراز حسناتهم فى صور السيئات ، وافضل الكلام في التاريخ ما كان صدقاً لا كذب فيه ولا مبالغة وكان مقروناً بالتنبيه الى وجوه العبرة باستحسان الحسن واستقباح القبيح لذاتهما ومقارنة الحوادث بذكر الاسباب والنتائج . وهذه هى الخطة التى اختارها صديقنا في الكلام عن سياحته فنحث على مطالعتها والاستفادة منها

(الجامعة) أتمت هذه المجلة الغراء السنة الثانية وصدر الجزء الاول من السنة الثالثة طافحاً بالمقالات التاريخية والادبية والمباحث العلمية والتهذيبية وقد استقل بها محررها الفاضل فرح افندى انطون وجعلها شهرية ورفع قيمة الاشتراك فجعلها خمسين غرشاً اميرياً فى السنة وكان اربعين غرشاً لكنه زاد فى مادة المجلة فجعلها تسع كراسات ويليها كراسة القصص (الروايات) فصفحاتها بذلك بعدد صفحات المنار فما جاء فيها من انها «ارخص المجلات العربية» يصح بتأويل انها من ارخصها وذلك معهود مستعمل

واننا نتمنى لصديقنا منشئها كمال التوفيق والنجاح ولمجلته الرواج الذي تستحقه لينتفع الناس بها ويستمر هو على الكتابة والتأليف الذى خلق له فان من اعظم اسباب تأخرنا ان الذين استعدوا لأن تنتفع البلاد باقلامهم لم تستعد البلاد لأن تنفعهم بها وتغنيهم عن الاشتغال بغيرها ولذلك ترك اكثرهم المحابر والاقلام واشتغلوا بتحصيل الرزق وتركوا التأليف والتحرير

للجاهلين الذين يفسدون بما يكتبون ولا يصلحون «انا لله وانا اليه راجعون»

(المرأة) مجلة نسائية علمية فكاهية لحضرة منشئتها البارعة (انيسة عطا الله) فعسى ان تصادف رواجاً لتكون عوناً على انتشار العلم والادب فى النساء فالعلم خير كله

الاخبار التاريخية

«فضيلة مفتى الديار المصرية فى الاستانة العلية»

سافر صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى هذا الصيف الى دار السعادة العلية ولما ألقى مراسيه فيها بادر حالاً الى قصر يلدز العامر حيث مقام مولانا وسيدنا السلطان الاعظم ايده الله تعالى وحينما أوذن مولانا بحضوره أمر بتبليغه السلام ثم انصرف الاستاذ من القصر بعد ان اقام مع عطوفة الباشكاتب السلطانى نحو ساعة. وبعد ذلك صدرت الارادة السنية بأن يعدّ لفضيلته دار مخصوصة من احسن دور الضيافة السلطانية على ما جاء فى بعض الاجوبة من الاستانة ونشره المقطم الاغر. وورد فى بعض الاخبار الخصوصية الموثوق بها ان صاحبة الدولة والعصمة والدة الجناب العالى امرت بأن يدعى ايضاً للنزول فى قصر ببك ثم اكد الخبرين معاً بعض الوجهاء الذين حضروا من عهد غير بعيد من هناك وقال ان الاستاذ اقام فى قصر ببك يومين او ثلاثة ايام ثم عاد الى دار الضيافة السلطانية ولكن المكاتيب التى وردت من الاستاذ نفسه لم تذكر امر الضيافة بالمرة

ومما ينبغي ذكره من غرائب ما فى مصر من فساد الاخلاق والجراءة على مقام السلطنة فما دونه من المقات الرفيعة ان الذين لا عمل لهم الا السعاية والتجسس والكذب على خليفتهم وسلطانهم ارسلوا الى المابين الهمايونى والى بعض الكبراء فى الاستانة تقارير خلقوا فيها ما شاؤا من الافك وقول الزور يريدون بذلك ان يتوسلوا ليتوصلوا الى التباعد بين الاستانة العلية ومصر لانهم يعلمون ان قول الاستاذ فى مصر هو القول الفصل الذي يؤثر ويعول عليه جميع اهل الفضل من العلماء والوجهاء والموظفين بل الذى لا يشك فى صدقه احد يعرفه

كتبوا ما كتبوا وليس لهم شىء يتوكؤن عليه وقد اتفق أن سافر فى السفينة التي سافر فيها الاستاذ المفتى صاحب المؤيد الفاضل فكان رفيقاً له وكان لهم فى هذه المرافقة الاتفاقية القال والقيل لعلمهم بأن جريدة المؤيد اعظم الجرائد تأثيراً فى القطر المصرى وهى عمدة جميع مسلمى مصر فى السياسة والاخبار وقد خدمت الدولة العلية والحضرة الحميدية خدمة لها فى القطر اعظم تأثير .

ومما لا يعزب عن الذهن ان مفتى الديار المصرية وكبير العلماء فيها لا بد ان يزور صاحب اكبر منصب علميّ اسلامي وهو شيخ الاسلام وقد كان معه فى زيارته له رفيقه وارسل هذا الى جريدته ما دار بينهما من الحديث ولا يتحدث هذان الامامان الجليلان الا فى العلم والعلماء ووظائفهم وقد نشرنا جواهر الحديث فى المقالة الافتتاحية ونقول ههنا ان الجواسيس اعداء الدولة قد كتبوا بمناسبة ما ذكره المقطم من استياء العلماء من الحديث تقارير برقية وبريدية مزوّرة على العلماء فى ذلك ومن الناس من يقول

ان بعض المتعممين المغرورين وافقهم على ذلك وانه هو الذى غش المقطم حتى كتب ما كتب . ولو ان العلماء استاؤا حقيقة لراجعوا فى ذلك شيخهم الاكبر شيخ الازهر وهو كان يكتب الى الاستاذ المفتى بذلك . ويقال ان اجرة التقرير الذى ارسله (فلان) بك بلغت اجرته ثلاثة جنيهات . وقد اختلف من سمع ذلك فى موضوع التقارير ويقال ان فى بعضها طلب ان يكذب صاحب الدولة والسماحة شيخ الاسلام الحديث الذى نشر فى المؤيد او يرجع عنه ! ! !

وعندنا ان بعض الجرائد هى التي هوّلت الامر وان شيخ الاسلام اذا علم ان بعض من ينتسب الى العلم ينكر قوله وقول مفتى الديار المصرية او يستاء منه فانه لا يرجع الا عن كلمة واحدة منه وهى تسمية هؤلاء المستائين « متفننين » ويستبدل بها لقب « معتوهين » ومثل هؤلاء لا تلتفت الدولة الى كلامهم ولا تنفذ لهم رأياً ولا تجيب لهم طلباً لانها بذلك تفتح على نفسها باب امتثال كلام من يجهل الزمان وما يستلزمه ويناسبه وربما يجرّأهم السماع لهم الى طلب ما فيه خراب الدولة . وقد ذكرنا هذا ليتعجب العقلاء فى سائر الاقطار من الخلل والخطل الموجود فى مصر أصلحها الله تعالى وأصلح أهلها آمين

﴿ تنبيه ﴾ جاءنا من تونس ان السيد عمر بن مبروك الذى سأل عن المأجل ونشر سؤاله مع جواب المنار فى الجزء الثامن (صفحة ٣٠٤) ليس من اهل تونس نفسها وانما هو من اهل قرية من قرى الغرب . ولعله اغتر ببعض اصحاب العمائم المتطفلين على موائد العلم فلم يجد عندهم ما يروى غليله ولو كان من اهل تونس لسأل علماء جامع الزيتونة الاعظم

الذين لا يعجز تلامذتهم عن اجابته بما يرفع عنه الحرج ورأينا ان لا بد من هذا التنبيه حفظاً لكرامة اولئك العلماء الكرام

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

« اصلاح الطرق وأهلها »

حضرنا فى هذه الايام مجلسين من مجالس أهل الجدّ والبحث فى الشؤن الاجتماعية الاسلامية والاصلاح وكان من اهم ما أطلنا البحث فيه عدة ساعات اصلاح طرق المتصوفة والانتفاع بها فذهب فريق الى ان لهذه الطرق مقاماً علياً فى نفوس العامة وتأثيراً كبيراً اذا تولى تدبيره رجال من اهل الاستقامة والفضل يمكنهم ان يحدثوا انقلاباً عظيماً فى العالم الاسلامي ومما استدل به على ذلك اهتمام الاوربيين بهذه الطرق ووضع المؤلفات الطويلة فيها واستخدام فرنسا الطريقة التيجانية وكونه لم يبق بين المسلمين فى الاقطار البعيدة من الاتصال والارتباط الا هذه الطرق وقالوا ان امثل طريق للاصلاح ان تؤلف جمعية من اهل الفضل تُعدّ الرجال المصلحين وتسعى فى جعلهم شيوخاً مسلكين

وذهب الفريق الآخر الى ان جميع ما ينفرد به هؤلاء الناس عن سائر المسلمين فى هذه الازمنة فهو من البدع والخرافات فاذا كان عمل المصلحين ابطال هذه البدع وارجاعهم الى اصل الدين فذلك ابطال للطرق بالمرة وهو الاصلاح الحقيقي وان اقروهم عليها فلا اصلاح

ومما قاله كاتب هذه السطور : ان الخلاف فى امكان اصلاح الطرق وعدمه يرجع الى اصلين عظيمين احدهما كون الانسان لا يعمل عملاً الا اذا اعتقد عن بصيرة انه حق وحسن ونافع ليكون عاملاً بارادته المنبعثة عن علمه وهذا أساس من الأسس التى قام عليها بناء الاسلام ولا يرتقى البشر الا به . و (ثانيهما) الطاعة العمياء وكون الانسان يعمل بارادة غيره وهذا هو الاساس الذى بني عليه التصوّف لانهم يشترطون ان لا تكون للمريد ارادة مع شيخه وان يكون معه كالميت بين يدي الغاسل . وأذكر من دليل الاول أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يراجعون النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض القول الذى يخالف رأيهم فيقولون : أوحي يا رسول الله ام هو رأى لك — اوما معناه — فان اخبرهم انه من عنده ذكروا ماعندهم من الراي وكان صلى الله تعالى عليه وسلم يرجع الى رأيهم احياناً اذا ظهر انه الصواب وربما أيّد الوحيُ رأيَ بعضهم على رأيه كما فى مسئلة اسرى بدر . ومن حكمة ذلك ان يفرق الناس بين العبد والرب والمخلوق والخالق الذى لا يحيط علما بوجوه المنافع والمصالح غيره تعالى فلا يعبدوا نبيهم ويعطوه بعض خصائص الالوهية

وقلت : ان الاصلاح الحقيقى هو البناء على الاساس الاول الذى ترتقى به الامة واذا وجد شيوخ عارفون بالدين وحكمه واسراره وتولوا مشيخة الطريق يمكنهم ان يرشدوا العوام وان اعتادوا على ان لا يخضعوا الخضوع التام الا لمن يدّعي الكرامات ويموه عليهم بالاوهام والخزعبلات واما استخدام الطاعة العمياء والتسلط على ارادة العامة بدعوى الولاية والتصرف فى الكون ونحو ذلك فيمكن لمن يستخدم ذلك بعقل ودهاء

ان يحدث انقلاباً عظيماً ويؤثر تأثيراً كبيراً باسم الاسلام كما فعلت جمعية الجزويت اليسوعية فى النصرانية وكما فعل كثيرون من المسلمين لكن بغير سياسة وحكمة وآخر هؤلاء مهدي السودان ولكن هذا لا يكون اصلاحاً اسلامياً مبنياً على اساس الاسلام وان امكن ان ينتفع به المسلمون من بعض الوجوه

ثم قال بعض العقلاء الاجتماعيين انكم لم تبينوا ايَّ اصلاح تريدون فان كنتم تريدون الاصلاح السياسى فالبحث فى محله وان كنتم تريدون الاصلاح الدينيَّ فلا سبيل اليه الا بمحو هذه الطرق كلها لانها هى التى ادخلت الوثنية فى الاسلام من عدة قرون فهى لا تتفق معه مطلقاً على أنَّ الروابط بين اهلها قد تقطعت ولم يبق فيها طريقة يتصل بعض اهلها ببعض فى كل بلد توجد فيه الا اثنتان الطريقة المولوية وهى محصورة فى بلاد الدولة العلية واهلها ابعد الناس عن السنة وسيرة السلف الصالح . والطريقة التيجانية فى الغرب وهى التى صار زمامها فى أيدى الفرنساويين حتى انهم صاروا فيها شيوخاً مرشدين .

وذكرنا السنوسيين ايضاً وهذا بعض ما جرى فى مجلس واحد . وقد جاءتنا فى هذه الايام رسالة من السودان فى الطرق هناك وفيها تفصيل خرافات شيخ الطريقة الاسماعيلية التى هى فرع من الطريقة المرغنية الختمية ومنها ان صاحبها يدعي ان الله يكلمه ويعده وكذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وسننشرها فى المنار لتكون عبرة لمثل الشيخ أحمد الالفى الذى يسلم بكل ما عليه المنتسبون الى الطريق ويحتج على ذلك بتلقين النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة كلمة «لا اله الا الله» ولا حول ولا قوة الا بالله .

الجزء الثاني عشر — المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿مصر في يوم السبت ١٦ جمادى الاولى سنة ١٣١٩ — ٣١ اغسطس (آب) سنة ١٩٠١﴾

وظائف علماء الدين

اذا طالب عقلاء المسلمين وفضلاؤهم العلماء بالعمل وخدمة الامة التي اشرفت على الانحلال بتوانيهم واهمالهم وعكوفهم على ما يرون ان فيه منفعتهم الشخصية ينبري علماء السوء الذين سماهم الله تعالى ظالمي أنفسهم للطعن في المطالب قائلين انه اهان العلماء وحاول ازالة سلطانهم ونفوذهم من نفوس العامة كأنهم يرون ان غاية العلم وفائدته تعظيم العامة لهم واكرامهم بالمال وغيره ولكنّ الله ورسوله يشهدان على ان من يطلب العلم لهذه الغاية عدوٌّ لله مستحق لمقته وعقوبته

آيات القرآن التي تأمر بالاخلاص وابتغاء مرضاة الله تعالى وحده في كل أمر ديني كثيرة . وكذلك الاحاديث الصحيحة ومنها مارواه احمد ومسلم والنسائي ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « ان اول الناس يُقضَى عليه يوم القيامة رجل استشهد فأُتِيَ به فعرَّفه نعمته

فعرفها[1] قال فما عملت فيها ؟ قال قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت ليقال جريء فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقي فى النار ورجل تعلم العلم وعلّمه وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمته فعرفها قال فماذا عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن قال كذبت ولكنك تعلمت ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النار . ورجل وسّع الله عليه واعطاه من اصناف المال كله فأتى به فعرّفه نعمته فقال ماذا عملت فيها ؟ قال ما تركت من سبيل تحب ان ينفق فيها الا انفقت فيها قال كذبت ولكنك فعلته ليقال هو جواد فقد قيل ثم امر به فسحب على وجهه ثم القى فى النار . » ورواه غير هؤلآء الثلاثة بالفاظ اخرى . وفى حديث للحاكم مختصر ان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال « ثلاثة مهلكون عند الحساب جواد وشجاع وعالم »

فعلمنا من هذا ان العالم الذى غرضه من العلم السمعة وان يحترمه العوام ويكرموه هو من اهل النار وان كان عاملاً بعلمه ومفيداً للناس لان الله لا يقبل من العمل الا ما كان خالصاً لوجهه الكريم فما بالك اذا كان غير عامل ولا معلّم اوكان يتخذ العلم احبولة لصيد المال بالباطل وحيلة لاضاعة الحقوق كبعض متفقهة الحنفية وقضاتهم الذين يتفقون مع المحامين الذين لا ذمة لهم ولا امانة على اضاعة الحقوق واقتسام الجعل على ذلك هل يعدّ هؤلاء الفجّار من علمآء الدين الذين يجب احترامهم واكرامهم ؟

(١) قوله فاتى به الخ تعبير بالماضى عن المستقبل باعتبار أنّ ما سيقع قطعاً في تحققه كأنه قد وقع فعلاً . وقوله فعرفه أي يعرفه الله تعالى نعمه وهكذا يقال فى الباقى

كلا بل اولئك حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون

لوكانوا من حزب الله وعلماء دينه لخافوه وخشوا منه فقد قال تعالى « إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » ولا شك ان من يعرف الله يخافه تعظيماً واجلالاً ويخافه حذراً من عقوبته ولوكان هؤلاء يخافون الله تعالى لما تمادوا فى الظلم وهو كما ورد ظلمات يوم القيامة وهو من الذنوب التى لا يغفرها الله تعالى الا ان يغفر المظلوم واكثر المظلومين لا يغفرون لمن ظلمهم . وقد ورد فى الصحيحين ان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال لمعاذ حين ارسله الى اليمن « اتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » فثبت بهذا انهم لا يعرفون الله تعالى ومن لا يعرف الله تعالى فهو اجهل الجاهلين ، وان حفظ الشرنبلالية والتتارخانية والولوالجية وابن عابدين ،

علماء الدين هم الذين يقومون بحقوق الدين ويؤدون وظائف العلم به فيكونون كالمطر حياة للبلاد وللعباد . روى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث ابى موسى عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه قال « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضاً فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير[1] وكان منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا[2] وأصاب طائفة اخرى انما هى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ[3] فذلك مثل من فقه فى دين الله

(١) النقية الخصيبة (٢) اجادب جمع جدب بالتحريك على غير قياس كذا قال شارح . وفي القاموس انه جمع أجدُب الذى هو جمع جدْب . قال ابن الاثير هى صلاب الارض تمسك الماء ولا تشربه سريعاً وهذا المثل لرواة العلم وحملته والاول للمستنبطين وهما القسمان المنتفعان (٣) هذا مثل من لم ينتفع ولم ينفع

ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلَّم ومَثلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذى ارسلت به » وهذا الحديث الصحيح بمعنى الآية الشريفة التي افتتحنا بها مقالة (علماء الدين) فى الجزء الماضى . فالظالم لنفسه هناك هو المضروب له مثل الارض القيعان التي لاينتفع بها . واما الذى يؤذى الناس بتعليمهم الحيل الفقهية التى يأكلون بها السحت ويهضمون الحقوق فهو شر الاشرار ولم يذكر هنا ولا هناك لانه ليس من علماء الدين بالمرة وقانا الله والناس من شره

ما هى وظائف علماء الدين ؟ يقولون هى حفظ علوم الدين مقاصدها ووسائلها وتعليمها للناس . وماالغرض من هذه العلوم الا حفظ الدين ولغته العربية وانتشارهما فهل هما فى هذه العصور محفوظان ومنتشران بسعي العلماء فنبرأهم من التقصير ؟ بيناً فى الجزء الماضى ان اكثر المسلمين غير عاملين بالدين على وجهه واقمنا على ذلك البرهان الذى لا ينقض ونقول الآن فى اللغة : ان الازهر وهو اكبر مدرسة دينية فى العالم لا يوجد بين هؤلاء الالوف من المدرسين والمتعلمين فيه عشرة نفر يفهمون كلام العرب ويقدرون على الكلام العربى البليغ قولاً وكتابة واذا زعم المكابرون ان هذا القول غير صحيح فليعدوا لنا عشرة منهم يفهمون اللغة وينطقون بها ويكتبون وليبرزوهم للامتحان . يخرج فى كل عام من المدارس الاميرية وغيرها مئات يحسنون التكلم بلغة اجنبية ولا يخرج من الازهر مجاور واحد يحسن اللغة العربية فهل صار تحصيل لغة القرآن وهي افصح اللغات واعذبها متعذرا ، وتحصيل تلك اللغات التى سماها العرب العجمية تشبيهاً لاهلها بالعجماوات (كما قال بعض الاذكياء) سهلاً متيسراً ، ؟؟ كلا ان

العربية ضاعت بفساد التعليم بل بفقده فان الاشتغال ببعض الكتب الفنية لذاتها والمحاورة فى إساليبها الضعيفة الركيكة لا يوصل الى اللغة . وانما يعين على تحصيلها فهم القواعد ، مع الامثال والشواهد ، اذا اجئ اليها من طريقها ، ودخل عليها من بابها ، وهو مدارسة كلام اهلها وحفظ جملة صالحة منه مع الفهم كما بيناه فى المنار مراراً

وجد فى مصر عالم من علماء اللغة يعد فى طبقة الأئمة الحفاظ الذين وضعوا لها المعاجم ودوّنوا الدواوين وهو الشيخ محمد محمود الشنقيطى فلم يعرف له فضله احد من علماء الأزهر ويرشد الناس الى الانتفاع بعلمه الا مفتى الديار المصرية الشيخ محمد عبده وكان ينبغى لشيخ الازهر ان يندبه لقراءة اشعار العرب واراجيزهم فى الازهر وقراءة بعض الكتب النافعة ككتاب سيبويه وكتاب الكامل للمبرد ويأمر العلماء ونجباء المجاورين بالتلقى عنه اذا كانوا يودون احياء اللغة ولا يحيا الدين الا بحياة لغته ولذلك اوجب الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه على كل مسلم ان يتعلمها كما فى كتاب الام واكثر علماء الازهر شافعية

هذا كلام اجمالىّ فى وظائف علماء الاسلام التى يسلم جميعهم بانها مطلوبة منهم ولو بسطناها بالتفصيل لاحتجنا الى اعادة كثير مما كتبناه فى مقالات سابقة . من ذلك ان الدعوة الى الدين من اهم وظائف العلماء به وقد كتبنا فيها مقالتين مسهبتين فى الجزئين ٢٠ و٢١ من المجلد الثالث . ومنها المدافعة عن الدين ورد الشبهات التى ترد عليه من المشتغلين بالعلوم الكونية ومن اهل الاديان الاخرى وهذه الوظيفة تستلزم ان يعرف علماء الدين جميع العلوم الكونية لا سيما التى ساقت المسلمين طبيعة العمران الى

تعلمها كالرياضيات والطبيعيات والتاريخ بانواعه والفلسفة واننا نرى الذين يتلقون هذه العلوم يقعون فى شبهات تزلزل عقائدهم ومنهم من يمرق من الدين مروق السهم من الرمية وقد ابتلينا بمناظرة كثيرين منهم ووفقنا الله تعالى لاقناع بعضهم والزام بعض . ورأينا بعضهم يتألم ويتململ من الشبهات ويقولون انهم طلبوا كشفها ممن يعرفون من علماء الدين فمنهم من لم يفهم الشبهة لان فهمها يتوقف على معرفته بالعلم الذي تولدت منه ومنهم من كان يكذب بها وينكرها بالمرة بدعوى ان الذين قالوها او اكتشفوها كفار فكان مثلهم كمثل ذلك القاضى الشرعى الذى استحل شرب نوع من الخمرة بناء على ان الذى اشتراها له روى عمن اشترى منه وهذا روى عن صانعها وكلهم كفار لا تقبل روايتهم !!! ومنهم من كان يكتفي من الجواب بقوله ان هذا كفر وان كلام الدين وعلماء الدين اصدق من كلام الفلاسفة والكافرين . ونحن نقول يستحيل الخلاف والتناقض بين الدين الاسلامي وما ثبت من العلوم الكونية وقد بينا هذا فى مقالة « الشريعة والطبيعة والحق والباطل » فلتراجع فى المجلد الثانى (صفحة ٦٤١)

يبحث كتابنا وكتاب اوربا فى مستقبل الاسلام وليس امام المسلمين الا احد امرين (١) الاخذ باسباب القوة والثروة من طريق العلوم الكونية بباعث الدين وعلى الوجه الذي يحفظ مجده ولا يمكن ان يكون هذا الا اذا كان زمام التعليم فى ايدى علماء الدين ولا يكون زمامه فى ايديهم حتى يكونوا عارفين بهذه العلوم حق المعرفة مع الحكمة والسياسة وحسن التوسل للتوصل . و (٢) الوقوع فى اسر اوربا واستعبادها

البلاد الاسلامية على قسمين — بلاد فاض عليها سيل اوربا وبلاد

لمّا يأتيها السيل الجارف وانما اصاب بعضها رشاش منه ينذرهم بالطوفان العظيم «والسيل حرب للمكان العالى» ولذلك جرف الحكام قبل المحكومين وهم له كارهون والناس تبع لرؤسائهم فى الدين والدنيا فاذا ذهب التيار برؤساء الدنيا فالمطلوب من رؤساء الدين السعي فى انقاذهم وانقاذ سائر الامة فان امراء المسلمين وحكامهم لم يبلغوا مبلغ حكام اوربا فى نبذ الدين وراء ظهورهم فهم فى الغالب يعتقدون بحقيته ولا يرون سبيلاً لاقامة احكامه لان العلماء لم يجلّوها لهم على الوجه الذى ينطبق على مصالح البشر فى هذا العصر بل ظهر لهم عجز علماء المسلمين عن اقامة العدل وحفظ مصالح الناس فى الاحكام الشخصية التى عهدت اليهم فى المحاكم الشرعية .

فاذا استطاع العلمآء فى هذه البلاد ان يحولوا سيل العلوم والمدنية الى المجاري الاسلامية يتسنى لهم بعد ذلك ان يفيضوا منه على البلاد الاخرى وهى تقبله سريعاً لانه جآء من قِبَل اخوانهم فى الدين فيتم الاصلاح بوقت قريب ألا ترى ان مسلمى الهند كانوا يخافون من هذه العلوم التي يستنشقون اليوم منها نسيم الحياة لانها جاءتهم على ايدى الانكليز .

ونقول فى الختام : من وظائف علمآء الدين نشر لغة الدين بجعلها لغة التخاطب ولغة العلوم لتستغني الامة بها عن اللغات الاجنبية الانفراً يترجمون وينقلون . ومن وظائفهم الاستعداد للمدافعة عن الدين ومقاومة البدع ورد الشبه التى ترد عليه . ومن وظائفهم نشره والدعوة اليه . ومن وظائفهم تعميم تعليمه على الوجه الذى يرقى العقول والارواح ويرشد الى سعادة الدارين . ومن وظائفهم التربية الدينية العملية التى تطبع ملكات

الفضائل فى النفوس . والاعمال تابعة للعقائد والملكات فمتى صلحا بالتعليم الصحيح والتربية النافعة حسنت الاعمال وسعدت الامة . ومن وظائفهم ازالة الخلاف فى الدين وجمع كلمة المسلمين . ومن وظائفهم الاجتهاد فى جعل جميع كتب التعليم من تأليفهم كيلا يدخل فيها ما يزعزع الاعتقاد او يفسد الآداب بل لتكون مزيد كمال فى الايمان . ومن وظائفهم القيام بجميع مصالح الامة حتى السياسية والحربية لان الاسلام دين جامع لكل ما يحتاجه البشر فاذا كانوا قد سلبوا هذه الرياسة لتقصيرهم فينبغي لهم ان يستعدوا لها حتى اذا اعطوها اقاموا بها حق الاسلام ونصروا الدين الخ الخ :

فهل ادوا وظيفة من هذه الوظائف حقها وقاموا بها كما ينبغي ؟ ولا ينتفي عنهم التقصير الذى نسبه اليهم شيخ الاسلام ومفتى الديار المصرية الا اذا قاموا بها كلها وظهر اثرها فى اسعاد الامة وترقيها وعند ذلك يعظّمون بحق واذا تمادوا فى هذا الاهمال ، فلا يمضى زمن يسير حتى يزول ما بقى لهم من الكرامة والاجلال ، ويحرمون الجاه والمال ، ويكون مآلهم شر مآل ، وبعد ذلك يقيض الله لدينه من شآء من الامم ليظهره على الدين كله ، والعاقبة للمتقين ، ولا عدوان الا على الظالمين .

«شبهات التاريخ على اليهودية والمسيحية . وحجج الاسلام على المسيحيين»

« نبذة رابعة »

ذكرنا فى النبذ الماضية ان عقائد المسيحيين التى هم عليها من عهد بعيد مأخوذة من عقائد الوثنيين وقلنا ان الكتب التى يسمى مجموعها عند اليهود

والنصارى (التوراة) ليست هى التوراة التى شهد لها القرآن الشريف وانما توراة القرآن هى الاحكام التى جاء بها موسى عليه السلام وتوجد فيما عدا سفر التكوين من الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى وفيها تاريخه وذكر وفاته وبينا انه لا سبيل الى هروب اهل الكتاب من اعتراض الفلاسفة والعلماء والمؤرخين على كتبهم الا بالاتفاق مع المسلمين على هذا الاعتقاد.

ونذكر الآن كلام بعض فلاسفة فرنسا فى الطعن بالديانتين اليهودية والنصرانية وكتبهما نقلا عن كتاب (علم الدين) الذى ألفه الخالد الذكر علي باشا مبارك ناظر المعارف سابقاً. قال فى المسامرة الرابعة والتسعين حكاية عن الانكليزى الناقل كلام الفيلسوف الفرنساوى بعد كلام مانصه:

« ويقول ان التوراة كتاب مؤلف وليس من الكتب السماوية متكئاً فى ذلك على قول مارى اغسطس: انه لا يصح بقاء الاصحاحات الثلاثة الاولى على ماهى عليه. وعلى قول اويجين بان ما فى التوراة مما يتعلق بخلق العالم أمور خرافية بدليل ان كلمة (بَرَّاهْ) العبرانية وهي بفتح الباء وتشديد الراء وسكون الهاء معناه رتَّبَ ونظم ولا يرتب احد شيئاً وينظمه الا اذا كان موجوداً من قبل فاستعمال هذه الكلمة فى خلق العالم يقتضى ان مادة العالم كانت موجودة من قبل فتكون ازلية ويكون ملازمها وهو الزمان والمكان ازليين. وحيث انهم قالوا ان المادة ذات حياة فتكون الروح ايضاً ازلية لانها هي التى بها الحياة. وبما ان المادة هى النور والحرارة والقوة والحركة والجذب والقوانين والتوازن فتكون الحياة والمادة كالشيء الواحد لا يمكن انفصالهما وجميع ذلك يخالف ما فى التوراة

« ويقول ايضاً ان الستة الايام التى ذكرها موسى لخلق العالم هي

الازمان الستة التى ذكرها الهنود والجنهارات الستة التى ذكرها زروطشت للمجوس وان الفردوس الذى كان فيه آدم انما هو بستان الهيسبريو الذى كان يخفره التنين . وان آدم هو اديمو المذكور فى ايزورويدام . وان نوحاً وأهله هو الملك دوقاليون وزوجته بيرا وهكذا

« ويبالغ فى القدح فى التوراة ويقول إنها مبتدأة بقتل الاخ اخاه واغتصاب الفروج وتزوج ذوى الارحام بل البهائم وذكر النهب والسلب والقتل والزناء ونحو ذلك من الامور التى لا يليق ان تنسب لمن اصطفاه الله تعالى وجعله اميناً على اسراره الالهية . فانظر الى اجتراء هذا الرجل على نبىّ الله موسى عليه السلام وعلى كتاب الله التوراة مع أن التوراة هى اساس الانجيل فما يقال فيها يقال فى الانجيل[1] ولذلك يقولون إن رسالة عيسى قد نبهت عليها اليهود من قبل بقولهم إنه سيجىء اليهم مسيح وكلمة مسيح ككلمة مسايس . ومسايس لقب شريف باللغة العبرانية وقد لقب به اشعيا كيروس ملك الفرس كما فى الاصحاح الخامس والخمسين ولقب به حزقيال النبى ملك مدينة صور ومع ذلك فلم يلتفت هذا الرجل الى شىء من ذلك فقال ما قال

« ومن اعتقادات النصارى ايضاً ان الله تجسد فى صورة عيسى وانه هو الاله وليسوا أول قائل بهذا التجسد بل قيل قبلهم فى جزاكا وبرهمة بقدس الهند وقيل فى ويشنو انه تجسد خمسمائة مرة . وقال سكان البيرو من امريكا ان الاله الحق تجسد فى الههم او دين . وان ولادة عيسى من

---

(١) المنار — هذه الجملة وما بعدها من كلام الانكليزى ولاشك ان ابطال التوراة يستلزم ابطال الانجيل كما قال ولا يمكن التخلص من ذلك الا بالاسلام

بكر بتول فتح روح القدس يشبه قول اهل الصين ان الههم فُوَنه ولدته بنت بكر حملت به من اشعة الشمس . وكان المصريون يعتقدون ان اوزريس ولد من غير مباشرة احد لأمه

« وقول النصارى ان عيسى مات ودفن ثم بعث ورفع الى السماء حياً قال بمثله قبلهم المصريون فى اوزريس المصرى وفى اورنيس من اهالى فينكيه وفى اوتيس من اهالى فريجيه الا انهم لم يقولوا برفعه الى السماء وكما قيل ان اودين كان قد بذل نفسه وقتلها باختياره بان رمى نفسه فى نار عظيمة حتى احترق وفعل ذلك لاجل نجاة عباده واحزابه فكذلك النصارى يعتقدون ان حلول الاله فى عيسى وارساله وموته انما كان لاجل فداء الجنس البشرى وتخليصه من ذنب الخطيئة الاولى خطيئة آدم وحواء واما ادريس النبي قد رفع الى السماء بدون ان تكفر عنه الخطيئة ولا شك ان هذا خرافة ولهم كلام كثير من هذا القبيل يطول شرحه ولا فائدة فى ذكره » اهـ

(المنار) لهذه الشبهات بل الحجج على عقائد المسيحيين واليهود ترك علماء اوربا الدين المسيحى فبعضهم صرح بتركه بل وبعض حكوماتهم فان الحكومة الفرنسوية اعلنت اعلاناً رسمياً بانه لادين لها وطاردت رجال الدين واضطهدتهم ومن بقى يتظاهر بالدين من عظمائهم فانما هو لأجل السياسة ولذلك ترى الفلاسفة والعلماء الذين يعبأون بالسياسة يصرحون بعدم الاعتقاد بالوحي مع اعتقادهم بان الدين ضرورىّ للبشر ولكنهم لم يجدوا فى الدين الذى عندهم غناء . ودين الفطرة محجوب عنهم فانهم ترجموا القرآن الكريم ترجمة فاسدة لم يفهموا منها حقيقة الاسلام .

اذكر من ترجمة انكليزية قول المترجم لسورة العصر « إن الانسان يكون بعد الظهر بثلاث ساعات رديئاً او قبيحاً » ولو فهم فلاسفة اوربا هذه السورة لجزموا بانها على اختصارها تغني عن جميع ما يعرفون من كتب سائر الاديان وهو مفهومة فى الجملة لمن له ادنى المام باللغة العربية وهى

« والعَصْرِ إِنَّ الانسانَ لَفِي خُسْرٍ إلاَّ الذين آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ وتَوَاصَوْا بالحقِّ وتَوَاصَوْا بالصَّبْرِ »

اذ يعلم ان المراد بصيغة القسم التأكيد ويعلم ان المراد بالانسان الجنس وان الصالحات ما يصلح بها حال الانسان فى روحه وجسده فى افراده ومجموعه وان التواصي بالحق هو من التعاون على الاخذ به والثبات عليه وان الحق هو الشيء الثابت المتحقق وثبوت كل شيء بحسبه وان الصبر يشمل الصبر عن الشيء القبيح كالمعاصى والشهوات الضارة والصبر فى الشيء الذى يشق احتماله كالمدافعة عن الحق والمصائب

كان اهل روسيا واهل اسبانيا اشد اهل اوربا تمسكا بالمسيحية ثم ظهر اخيراً من اضطهاد الاسبانيين لرجال الدين ما طير خبره البرق الى جميع الاقطار واشتغلت به الجرائد فى جميع البلاد . ولما قام الفيلسوف تولستوى الروسى يفند تعاليم الكنيسة الارثوذكسية ويبين بطلان الديانة المسيحية انتصر له المتعلمون للعلوم والفنون حتى تلامذة المدارس وتلميذاتها فهذا هو شان الديانة المسيحية كلما ازداد المرء علماً ازداد عنها بعداً وانما كانت اوربا مسيحية ايام كانت فى ظلمات الجهل والغباوة . وبعكسها الديانة الاسلامية هي حليفة العلوم وقدكانت امتها فى عصور المدنية والعلم اشد تمسكاً بالدين وصارت تبعد عن الدين كلما بعدت عن العلم

اما الآن فاننا لا ننكر ان بعض المتعلمين على الطريقة الاوربية قد وقعوا فى بعض الشبهات وبعضهم انكر الدين تبعاً للاوربيين الذين اخذ عنهم ولكن السبب فى هذا انه لم يعرف الاسلام ولم يتعلمه قبل العلم الأوربى ولا بعده . ولهذا نطالب علماء ديننا بان يجتهدوا فى جعل زمام تعليم العلوم الكونية بايديهم لأننا نثق اتم الثقة بانه لا يمكن ان يرجع عن الاسلام من عرفه وكيف يختار الظلمة من عاش فى النور . وان لنا لعودة الى الموضوع ان شاء اللهُ تعالى (يتصل الكلام)

﴿ لائحة الفقه الاسلامى ﴾

لحضرة العالم الفاضل صاحب التوقيع — تابع ما قبله

« كلام صديقي »

يحتاج الجواب عن كلام صديقي الى افراد مندرجاته فهو ينحصر فى هـذه المسائل : (١) لا بد لكل أمة متمدنة من قانون جامع لجزئيات الحوادث (٢) الاسلام جاء بأسمى ما تتطلبه الحاجة المدنية الا ان ما جاء به قواعد كلية (٣) الاحاطة بالجزئيات موكولة الى افهام رجال العلم والعقل مع ارجاعها الى تلك القواعد (٤) علماؤنا فعـلوا ما يجب عليهم من هذا القبيل واحاطوا بكثير من الجزئيات التى دعت اليها حاجة كل عصر الا ما فاتهم من تحـديد بعض العقوبات وترتيب المحاكمات والتفريق بين الحقوق العموميـة والحقوق الشخصية تفريقاً يتعين معه الاختصاص بالدعاوى العمومية التى كان القضاة فيها خصماً وحكماً فى آن واحد (٥) علماؤنا برعوا فى علم الحقوق الى حد جعل هذا العلم عند المسلمين يكاد لا يترك صغيرة

ولا كبيرة من الجزئيات الا احصاها الا انه مشوش بكثرة ما اختلفوا فيه حتى فى المسألة الواحدة (٦) سبب هذا الاختلاف انفراد الآحاد بالتشريع (اى التفريع) بحيث يجوّز الواحد منهم مايمنعه الآخر وبالعكس (٧) سبب هذا الانفراد التساهل من المسلمين فى ترك سلطة التشريع فوضى يتناولها من شاء ومن ليس بمعصوم من الافراد وذلك لم تفعله أمة متمدنة من قبل (٨) لو فهم المسلمون منذ استفحل امرهم واشتدت للقوانين الجامعة حاجتهم معنى ما يسمى عند علمائهم الاجماع لاستفادوا منه الى الآن فوائد كثيرة ولما تركوا امر القوانين فوضى لايعتمد فيه الا على قال فلان وأفتى بخلافه فلان ولكانوا عهدوا بتفريع الاحكام واستنباطها الى جماعات من اهل الفضل والاجتهاد ينوبون عنهم عند مسيس الحاجة فى تطبيق الاحكام على الحوادث فى كل زمان ومكان (٩) لما لم يفهموا هذه القاعدة واغفلوا العناية والنظر بامر القوانين كان وضع الأئمة والعلماء لعلم الفروع الذى قلتُ عنه انه مجموع قوانين لازماً (١٠) تسليم سلطة التشريع لجمع لا لآحاد ليس فيه من حرج او مانع يمنعه من الدين والذى سوغ للفرد ان يضع او يستنبط ما شاء من الاحكام التى تمس اليها الحاجة يسوغ للجمع كذلك وهو الاحوط ايضاً فى الدين والدنيا (١١) اعترف حفظه الله بان هـذا الخلاف الذى شوش نظام المعاملات بين الامة يكاد يجعل علم الفروع فى المرتبة التى ذكرتُ (١٢) وانكر قولى انه ليس من علوم الدين وانما هو مجموع قوانين وضعها المتقدمون قال بل رأيي انه من علوم الدين باعتبار انه مستند الى اصول عامة فى الدين وانه قانون باعتبار انه داخل تحت حكم الرأي والقياس والاجتهاد او هو نتيجة تطبيق الاحكام على حوادث حدثت

بعدُ للمسلمين وروعيت فى وضعها اصول الدين (١٣) مسوغ الاجتهاد ميسر لكل عالم من علماء الشريعة بلغ مرتبة الكفاءة غير محظور عليهم فى عصر من العصور (١٤) العلماء بين امرين اما ان يعتبروا ان كل ما حرره الائمة وقرروه هو من الدين فيلزمهم فى هذه الحال التسليم بما حرره جميعهم من الاحكام ويلزم من هذا جواز انتقاء الاحكام الموافقة لحالة العصر من كتب المذاهب وتدوينها فى كتاب خاص ليس فيه أدنى شائبة من مثارات الخلاف ليكون اشبه بقانون عام شامل لسائر حاجات الاجتماع يعمل به المسلمون على اختلاف مذاهبهم واما ان لا يعتبروا ما حرره الائمة من الدين بل يعتبرونه رأياً اداهم اليه الاجتهاد وان هذا هو علة اختلافهم فى الاحكام منعاً وايجاباً بحيث يجوز الواحد ما يمنعه الآخر وفى هذه الحال يجوز لهم الاجتهاد كما جاز لغيرهم فيتفق جميعهم على جعل علم الفروع علماً نافعاً فى هذا العصر مراعى فيه جانب الحاجة مضافاً اليه ما فات المتقدمين من التوسع فى مناحي أخرى اصبح التوسع فيها الآن من ضروريات الحياة الاجتماعية .

— جوابى —

الذى يرانى متصدياً للجواب يظن انني اقصد رداً على صديقى الفاضل وليس كذلك بل ليس فى مقدماته ما يرد غير ان النتيجة الحسنة التى اشار اليها لا نحصل عليها وعلم الفروع الحاضر هذا حاله من التشويش الذى اعترف به وهذا حال كل فريق منا من تقديس ما ينتسب اليه واعتبار كل ما جاء تحت اسمه من عند الله عز وجل . على ان الجواب على الافراد يزيد المسألة وضوحاً وان لم يقصد به ردّ وهذا هو :

ج (١ — ٢ — ٣) ما جآء فى هذه الارقام مسلّم ما انكرته ولا انكره . اما كون كل امة متمدنة لا بد لها من قانون جامع لجزئيات الحوادث فيكاد ان يكون من العلوم الضرورية بل الامم البدوية أيضاً لا تستغنى عن قانون يجمع لها جزئيات الحوادث بحسب حاجتها . وانا لنعلم بالاختبار ان هؤلآء الاعراب الضاربين فى مهامه الشام والعراق لهم قضاة يدعون واحدهم بالعارفة (*) يقضى بينهم بأحكام يتداولونها ويسمون معلوماتهم فى الاقضية بشرع العرب ولم يفتهم النصيب من عقولهم وذواكرهم لما عدموا النصيب من الكتابة والتدوين . و جزئيات الحوادث فى كل امة تكون بحسبها من المعيشة والعادة والعقيدة . ومهما كانت الامم من الجاهلية لا تلبث متى رمت بالقدم الاولى فى ميدان المدنية ان تصطلح على قانون يوحدها مثّل لهذا بامة الرومان ثم اصول الامم الاوربية الموجودة ثم مثل بالعرب بعد ان كثرت فتوحاتهم واشتدت لوسائل العمران حاجاتهم ودخل فى حوزتهم امم شتى كانوا ذوي صناعات وزراعات وتجارات ولهم قوانين قديمة وعادات راسخة وبالجملة ان التشريع فى الامم ضرورىّ ولكن الناس يتفاضلون فيه فمنه الصالح والاصلح وضدها

واما كون الاسلام جاء باسمى ماتتطلبه الحاجة المدنية فهو من اجزاء معتقدنا ومتممات ايماننا . ماجاء به الاسلام قواعد كلية والاحاطة بالجزئيات موكولة الى افهام رجال العلم والعقل مع ارجاعها الى تلك القواعد والاختلافات انما نشأت من الافهام وهي اختلافات عظيمة فاذا فرضنا مائة قول فى مسألة مّا (وهو فرض له تحقق) فالمصيب منها واحد والمخطىء ٩٩ حرموا

(*) التاء فيه كالتاء فى علامة وفهامة

من العقائد الكلية التي يرجع اليها كل واحد بما قال كما حرم اصحاب المذاهب في العقائد الاسلامية من القواعد التي هي اصول . ثم هل نستطيع ان نبرهن أمام مناظر اجنبي على ان العقل الانساني السليم لا يمكن ان يحيط خبراً بتلك القواعد المعدودة الا ان يسمعها ؟

ج (٤ — ٥) مما تقدم يعلم الجواب عما جاء في ٤ — ٥ فانا قبلنا ان التشريع ضروري للأمم وكل امة قد خلت لها حديث في الآخرين يتلونه مستبصرين وعلماؤنا الذين اشار اليهم ائماهم كالذين خلوا فلئن قلنا انهم سدوا حاجة زمانهم فما نحن بملومين اذا قلنا إنّ ما نقدسه اليوم هي مجموع كتاباتهم التي اقتضتها عصورهم وطابقت عقول معاصريهم من الحكومات والرعايا كيف كان الحال . اما كونهم برعوا بذكر الجزئيات فلاتخاذ الكثيرين هذه الصناعة ديدناً في كل عصر ومصر ووقع مثل هذا لكل أمة متحضرة . وان ادرى هل اغنتهم براعتهم تلك عن ذلك الاختلاف المشوش ام كان نصيبهم منها نصيب من كان قبلهم ممن أوتوا الجدل ، وحرموا العمل ، نصيب اولئك الذين كانوا يتجادلون بالمذهب في القسطنطينية والفاتح على اسوارها ؟

ج (٦ — ٧ — ٨) قال حفظه الله ان سبب هذا الاختلاف انفراد الآحاد بالتشريع وسبب هذا الانفراد تساهل المسلمين في ترك سلطة التشريع فوضى يتناولها من شاء واقول : ان القوم يزعمون ان كل ما كتبوه هو من عند الله يجب التسليم به والاعتماد عليه وان هؤلاء الكتّاب لم يحدثوا شيئاً من عند انفسهم والمسلمون الذين عزى اليهم التساهل لم يكن لهم شيء من الامر في العلم حتى يكون لهم صوت في التشريع . وها أنا ذا

اذ كر للصديق اعزه الله سبب ذلك الانفراد او سبب تساهل المسلمين :

المسلمون ليسوا شعباً واحداً وليسوا على سنن واحد فى النحلة والعادات . المسلمون بما تحيزوا للدول صاروا شيعاً فى الآراء السياسية . ثم بما تحيزوا للرؤساء فى الدين صاروا شيعاً فى الآراء العلمية والمذاهب الدينية . ثم بما تحيزوا للجنس صاروا شيعاً فى المشارب والمعايش .

لم يمض الثلث من القرن الاول على المسلمين حتى كفر بعضهم بعضاً فتحاربوا وتحازبوا وتخاذلوا الى ان انقسموا الى ثلاثٍ فئتان تشايع كل منهما رئيساً كبيراً واخرى خارجة عن دائرتهما ناقمة عليهما حاليهما . ولم يمض الثلث الثانى حتى انقلبت دعوتهم الى الدين وتهذيب النفوس دعوة الى الملك والاستيثار وتوسيع ابهة الملك وجعله منحصراً فى اسرة يحدث افرادها ما شاؤا ان يحدثوا ولم يمض الثلث الثالث حتى تكاملت اصول الشيع وتلاحقت فروعها واينعت ثمراتها واحدث فى الدين من احدث واخترع من اخترع فاختلفوا فى القرآآت فتعددت اشكالها وتعارضوا فى الروايات فتناقضت احكامها وتباينوا بالفهم من النصوص فضاعت ثمراتها وتجادلوا فى الفهوم فذهبت غاياتها . عقائد متباينة وعبادات مختلفة واقضية مضطربة وضمائر متباغضة فأين الاجماع ؟

اي اخي ! افليس هـذا هو امرنا فى ذلك القرن الاول الذى عليه مدار فخرنا واليه يردّ اصل مجدنا وفيـه اتسع سلطان حكمنا وعلا منار ديننا . دع عنك زمن الخليفتين وقل لى متى كان الاجماع وكيف يجمع قوم حالهم ما ذكرناه آنفاً وأيُّ المسلمين مطالبون ان يفهموا معنى ذلك الاجماع ءاعرابهم الضاربون فى بطون الاودية وظهور الجبال ام امصارهم المؤلفة

من ابناء الروم والفرس والقبط وقليل من ابناء الاجناد ؟ من المطالب منهم بالتشريع ؛ أولاة امورهم وهم من علمت بين لاهٍ فرح بالنعمة الجديدة التي ورثوها وبين نشيط حازم مشتغل بتسكين تلك الفتن المعهودة أم الرواة الذين لم يكن اكثرهم يعلم اكثر من النقل والحكاية ؟ ؟

هذا ماترك امر التشريع فوضى فبدؤا فى ابتداء القرن الثانى يكتب كل واحد ما ألقى اليه استاذه وكثرت فنون الاختلاف وضروب التعارض واستعملت التَّقية فجاءت المذاهب على كثرتها وتعارضها مضاهية لاديان مختلفة حتى الغى اكثرها الزمان الذى جاء فيه حكومات اخذت بما دوّنه قوم واعرضت عن الآخرين . فالحكومات هى بالفعل حصرت الميدان وغلقت الأبواب والمتمذهبون اتبعوا فعل الحكومات بالقول بان باب الاجتهاد مسدود . على انهم نزعوا الى نقب السدود التي اقيمت فاستعملوا معاول الاصطلاحات والفرض والتقدير كفرضهم اذا تترس قوم بنبي (مع اعتقادهم واعتقادنا ان لا نبي بعد محمد عليه السلام) فنقلوا بالمذهب الواحد روايات متعددة عن ائمته فى المسألة الواحدة حتى اعادوا المذهب الواحد مذاهب فاوصلوها الينا كما هى امام عين الناقد البصير .

هذا هو الحال اجمالاً وكل مطالع فى تاريخ الاسلام يعلم ان كل طائفة من بلادهم شاع فيها المذهب الذى هويته نفوس حكامهم الاول. فهل يرجى بعد تحكم تلك المذاهب فى كل ناحية لفت الناس عنها؟ وان كان لا يرجى فهل يقال ان بقاء هذا الحال غير مخل بالفائدة ومضر ؟

ج (٩) يعلم الجواب عما جاء فى (٩) من الجواب على (٤ و ٥)

ج (١٠ — ١١ — ١٢ — ١٣ — ١٤) اوافق فى كل ما جاء فى

هذه الارقام صديقي الفاضل واضم صوتي الى صوته ولكن هل يساعد علم الفروع المدون الحاضر على القول بهذه الاقوال وان لم يساعد فمن المخاطب ان يقوم للمسلمين بهذه الخدمة الجليلة والى متى نقول بلا عمل ؟ ها نحن اولاء بهذه المناسبة نقترح على المنار الانور ان يفتح باباً لهذا الموضوع الجليل يقبل فيه اللوائح التي ترد اليه فى كل باب من ابواب الفروع بعد عرضها على جمعية علمية تنعقد فى القاهرة لهذه الغاية بهمة الاساتذة ومتى انعقدت هذه الجمعية التي يكون لتصديقها على اللوائح المنشورة وقع فى قلوب الامة لأنه شبيه بالاجماع يكثر بيننا النبهاء الذين يوجهون انظارهم نحو هذه الغاية

وبعد فقد طالت الرسالة ووجب الاكتفاء والله المسؤل ان يلهم المسلمين الصواب ويحرك منهم دواعي الجد فى حفظ بقايا المجد

(ع . ز)

(المنار) نكرر الاقتراح على الفقهاء والعلماء ليكتبوا الينا رأيهم فى الموضوع ولدينا رسالة لشيخ الاسلام ابن تيمية فى اسباب الخلاف ربما تنشر بعد

﴿ باب الاسئلة الدينية واجوبتها ﴾

تتمة اسئلة الشيخ احمد محمد الالفي بطوخ

(٣) ومنه : ما حكم من يستغيث ويستمد من النبي صلى الله عليه وسلم وأولياء امته شيئاً مما يجوز سؤاله شرعاً من امور الدنيا والآخرة معتقداً ان نسبة ذلك اليهم انما هو على سبيل المجاز وهو سبب عاديٌّ لهم فان شاء الله أجاز شفاعتهم والا ردّها وليس لهم سلطة غيبية فيما وراء

الاسباب وانه لا يعبد غير الله تعالى ولا تأثير لمخلوق فى اثر ما لكن لما كان من الجائز وقوع الكرامات للأولياء الكرام فلا مانع من ان يطلعهم الله بالكشف على حاجة من يستمدهم فيقضونها بالذات او بواسطة ملك من الملائكة ان اذن الله لهم بذلك ولا يعظم وليًّا أو نبيًّا يخرجه عن العبودية مطلقاً . هل يعد هذا الاعتقاد شركاً بالله تعالى ومروقاً من الاسلام ام حراماً ام مكروهاً ام جائزاً كما نعتقده اه بحروفه

(ج) السؤال ظاهر التناقض والتعارض والمفهوم منه بقرينة ما هو معروف من اعمال العامة واعتقاداتهم انه يريد السؤال عن مشروعية طلب قضاء الحاجات الدنيوية والاخروية من الانبياء والاولياء بعد موتهم وقال ان هذا « سبب عاديٌّ لهم » ثم ذكر انه رأيٌ مبني على جواز وقوع الكرامات والمعروف فى علم الكلام ان الكرامات من خوارق العادات اى ليست من الاسباب العادية وهذا هو التناقض

اما هذا الطلب فهو من البدع التى لم تعرف فى عهد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ولا فى عهد الخلفاء الراشدين الذين امر عليه الصلاة والسلام باتباع سنته وسنتهم وحذر مما يحدث بعد ذلك . وقد اخبر الله تعالى فى كتابه بانه اكمل الدين ونحن نعتقد انه لم يعمل به على كماله احد مثل الصحابة الكرام فلو لم يرد فى الكتاب والسنة ما يدل على ان لا ندعو مع الله احداً وان لا نطلب ما نعجز عنه من حاجاتنا الا من الله تعالى وحده لكان الاخذ بسنة الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام كافياً فى ان لا نزيد فى الدين شيئاً فيسعنا ما وسعهم ومن يزعم انه ورد عنهم شيء يحتج به فى طلب قضاء الحاجات من الاموات او من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

بعد موته فليبينه لنا لنهتدي به اما ادلة المنع فسنشير اليها فى جواب السؤال ه

هذه المسئلة من المسائل الاعتقادية وهي فرع مسئلة الواسطة الآتية والخطأ فى العقائد كفر فى الغالب بخلاف الخطأ فى الفقه فانه خطأ يغفر ولذلك كان الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه ينهى عن الخوض فى علم الكلام ويقول : لأن يقال اخطأت خير من ان يقال كفرت . واقول على فرض ان هذا الطلب جائز كما يعتقد السائل : أليس من الاحتياط فى الدين ترك هذا الجائز خوفاً من خطر الخطأ فى الاعتقاد على مايعتقده غيره ؟

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تبعث الاموات قلت اليكما

ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولى فالخسار عليكما

(٥) ومنه : ما هو الفرق بين مذهب الوهابية ومذهب ابن تيمية وحضرة صاحب المنار وغيرهما سلفاً وخلفاً فى الواسطة . وهل قام صاحب نحلة او مذهب جديد من الخوارج او الوهابية والبابية لا يتخذ الكتاب والسنة عمدته فى الاحتجاج ستراً لمبادئه التي يدعيها . وما قول حضرته فى كتاب اعجاز المسيح فى التفسير الصحيح الذي ظهر اليوم لمن يدعى المهدوية بالهند فى تفسير فاتحة الكتاب وجعله الدليل على صحة دعواه عجز الانس والجن عن عمل تفسير كتفسيره فى مدى قصير كالمدى الذي عمل فيه هذا التفسير هل مصيب ام مخطئ فيما يدعيه اه بحروفه

(ج) مذهب السلف والخلف فى الاسلام ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم الواسطة بين الله تعالى وبين عباده فى تبليغ دينه لقوله تعالى « وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين » وقوله عز وجل « ان عليك

الا البلاغ » وغير ذلك من الآيات الكثيرة الواردة بصيغة النفي والاثبات ككلمة التوحيد وانه لا واسطة بين الله تعالى وعباده فى غير تبليغ دينه من نحو قضاء حاجة سلبية كالشفاء من مرض او وقوعية كسعة رزق او هداية . والدليل على هذا الآيات الواردة بصيغة الحصر وهى كثيرة جداً كما قلنا والبراهين العقلية القاطعة بأن الله تعالى غنيٌّ عن المساعدة والوزير والمعين لانه على كل شيء قدير لا يحتاج الى من يعطفه على عباده لانه ارحم الراحمين فرحمته ورأفته لا تقبل الزيادة لانها فى نهاية الكمال وقد سبق علمه بكل شيء فلا يمكن ان يغيره او يزيد فيه احد . ولا نطيل فى سرد الادلة لاننا كتبنا فيها مراراً وأوردنا الآيات والاحاديث الصحيحة فيها واول سؤال ورد علينا فيها نشر فى العدد الرابع من المجلد الاول واوضح ما كتبناه فيها هو الدرس الثامن من الامالى الدينية فليراجع فى الصفحة ٦٣٠ من المجلد الثانى

أما شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى فكان من انصار السنة واكابر حفاظها والداعين اليها والآمرين بما عرفته والناهين عما انكرته فى زمن ترك المسلمون فيه الدعوة الى دينهم بالمرة والامر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الغالب وقد ألف فى البدع والضلالات التى رآها فاشية رسائل نفيسة يؤيد فيها السنة ومذهب السلف ويدحض شبه أهل البدعة ومنها رسالة مخصوصة فى الواسطة طبعت من عهد قريب فى مطبعة المؤيد فعلى السائل ان يطالعها . وأما الوهابية فالذي علمناه عنهم انهم يعتقدون فى هذه المسئلة اعتقاد السلف أيضاً وسنذكر فى فرصة أخرى شيئاً من تاريخهم وما قيل فيهم

ومن عجيب القول قول هذا السائل : وهل قام صاحب نحلة الخ فاننا لا نجد له وجهاً صحيحاً فهل يقول صاحبه ان المتبدعة هم الذين اتخذوا الكتاب والسنة عمدتهم دون أهل الحق فيجب ان نخالفهم بترك الاعتماد على الكتاب والسنة ؟ هذا هو ظاهر العبارة وهو أمر بترك الاسلام واتباع الاوهام لا يرضاه السائل ولا يريده . ولعلّ مراده اننا لا ينبغي لنا ان نأخذ بقول كل من يدعي الاعتماد على الكتاب والسنة لان المتبدعة يشاركون اهل الحق فى هذه الدعوى .

ويرد عليه ههنا سؤال وهو : ان المذاهب فى الاصول والفروع كثيرة وكل اهل مذهب يدعون الاعتماد على الكتاب والسنة فبم نعرف المحق من المبطل وكيف نميز بين الحق والباطل ؟ ان قال نعرف ذلك بتمحيص الادلة والتمييز بين الحجة والشبهة فهذا هو الاجتهاد الذي يفرّ منه وينكر على من يقول به . وان قال نقلد من كان اكثر تابعاً نقول (أولاً) ان كثرة المتبعين لا تدل على ان الحق فى جانب من اتبعوه لا سيما اذا كانوا مقلدين يأخذون بقول صاحب المذهب من غير معرفة دليله وكيف يقوى الحق بمن لا يعرف الحق ؟ . هذا وان اكثر الناس كافرون « وان تطع اكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله » وان كانوا من المؤمنين بالله لقوله تعالى « وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون » و (ثانياً) ان الأئمة الذين يذكرهم فى السؤال الآتى لم يكن لهم فى عصرهم الا القليل من المتبعين فاذا كان الحق يعرف بكثرتهم فكيف عُرف يومئذ ؟ فان كان عند السائل جواب على هذا فليكتب به الينا والا فليرجع الى مقالات المصلح والمقلد ففيها البيان الكافى لقوم يعقلون

وليعلم ان البابية ليسوا اصحاب مذهب جديد فى الاسلام كما يتوهم بل هم أصحاب دين جديد وشريعة جديدة ويحتجون على المسلمين بتأويل بعض الآيات والاحاديث على طريق تأويل الصوفية كما يحتجون على اليهود والنصارى من كتبهم . ودينهم اقرب الى دين النصرانية منه الى غيره فانهم يعتقدون ان البهاء المدفون فى عكا هو الله الذى لا إله الا هو الملك القدوس السلام الخ « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »

واما كتاب اعجاز المسيح فقد تصفحته بعد الابتداء بكتابة هذا الجواب فاذا هو قد سلك فيه مسلك الباطنية والمتصوفة فى التأويل وليس فيه وهو ٢٠٠ صفحة ورقة واحدة فى حقيقة التفسير وليس خلطه وهذيانه فيه بأكبر من الخلط والهذيان فى التفسير المنسوب الى الشيخ محي الدين بن عربى احد ائمة الصوفية . ولو لم يدّع هذا الرجل انه هو المسيح ويحرف كلمات الفاتحة فيجعلها دليلاً على دعواه ويجعل تفسيره معجزة يتحدى بها لتلقى هذا التفسير بالقبول اكثر المسلمين ومنهم السائل المحترم ولأقاموا النكير على مثلي اذا هو انتقد عليه كما ينكرون عليّ الانتقاد على من دونه فى العلم والتأليف . وقد كان هذا الرجل شيخ طريق يفوق اكثر المشايخ بالعلم والفصاحة والصلاح فغره كثرة اتباعه ، وتفننه فى اسجاعه ، على ما فى الفاظها من الغلط ، وفى معانيها من الشطط ، وقام عنده ان اعتقاد المسلمين بالمهدى والمسيح ، قد انتشر على وجه غير صحيح ، وانه يجب ان يصلحه بذاته ، ويؤيد دعواه بما يعتقد متبعوه من آياته ،

واما تحدّيه بالكتاب فهو اذا لم يعارض شبهةٌ على المعجزة بالمعنى المعروف عند المتكلمين لا بالمعنى الذى حققناه فى الجزء العاشر من المنار .

وقال انه كتبه فى سبعين يوماً ونقول ان كثيراً من أهل العلم ليستطيعون ان يكتبوا خيراً منه فى سبعة أيام ، ولو على طريق الشقاشق والاوهام ، ولكن اين الحَكَمُ الذي يرضاه تلامذته والمغترون به ؟ اننا نفند كثيراً من البدع الشائعة بين المنتسبين الى الطريق ولكن اكثرهم لا يقرأون ومن قرأ لا ينتفع اذا كان يخضع لشيخه ويقلده تقليداً أعمى لانك اذا قلت له قال الله كذا يقول ان شيخي اعلم بقول الله منك وهكذا اذا احتججت بالسنة . وحجتنا الكبرى فى مسئلة الواسطة وفروعها على هؤلاء المقلدين سيرة الصحابة الكرام فى العمل فاذا قال احدهم ان الشيخ فلان قال كذا او فعل كذا نقول له كيف عرف شيخك مالم يعرفه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كان اهدى منهم . كما قال احد اكابر التابعين لقوم اجتمعوا على ذكر بصفة لم تعهد فقال لهم إما ان تكونوا اهدى وافضل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ان تكونوا قد ابتدعتم فى الدين وزدتم فيه ما ليس منه او كما روي

هذا وليس دخول مسيح الهند فى هذه الدعوى من باب التصوّف الواسع بأعجب من دخول الشيخ محمد ابى خليل المقيم فى الزقازيق منه الى دعوى تفسير القرآن فان ذلك عالم مطلع وهذا جاهل وهو يزعم ان من بات عنده يصبح حافظاً للقرآن وقادراً على تفسيره وانه يملي كتباً فى تفسير آية واحدة اوكلمة من آية وقد اغتر به كثيرون ومن انكر عليه يقول السفهاء فيه انه ينكر الكرامات ويبغض الأولياء . هذا سلاحهم الذين يحاربوننا به وانما يحاربون الحق « والله غالبٌ على أمره ولكن اكثر الناس لا يعلمون . »

(٦) ومنه : المعروف عند المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها ان اهل السنة والجماعة هم ابو الحسن الاشعرى وابو منصور الماتريدى ومن تابعهما فى الاعتقاد والامام الجنيد ومن تابعه فى التصوُّف والائمة الاربعة المجتهدون ومن تابعهم فى الفروع وسائر الائمة غير المبتدعة خلاف هؤلاء على هدى من ربهم بحكم مذاهبهم وقد دخل بعض البدع على كتب اهل السنة والجماعة وليس من مذاهبهم ولا من لوازمها . وحيث دونت الاحكام وضبطت الاصول هل من طريق سوى العمل بهذه الاحكام ثم لنا اه بحروفه

(ج) نحن نوافق السائل فى ان هؤلاء الذين ذكرهم من ائمة المسلمين المجتهدين فى اصول الدين وفروعه وحكم المجتهد انه ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد . ونوافقه ان هناك ائمة غيرهم على هدى من ربهم . ونوافقه فى ان بعض البدع دخل على كتب اهل السنة والجماعة وانها ليست من مذاهب الائمة فان مذاهبهم متفقة على الاخذ بالكتاب العزيز والسنة الصحيحة فمن ألحق بالدين شيئاً زعم انه منهم او مستنبط من كلامهم وهو يخالف الكتاب والسنة فهو مردود عليه وهم برآء منه . ونقول انه ينبغي لنا ان نهتدى بهديهم فى ذلك ونبحث عن دليل كل ما يعزى اليهم لنميز بين ما صح عندهم ووافق اصولهم وبين ما دخل من البدع فى كتب المنتسبين اليهم . وقد نقل عنهم العلماء انهم كانوا يقولون : لا يصح لاحد ان يأخذ بقولنا مالم يعرف دليلنا . وقال الامام الشافعى رضى الله عنه كما فى كتاب الأُمّ بعد كلام : « وهذا يدل على انه ليس لاحد دون رسول الله صلى الله عليه

وسلم ان يقول الا بالاستدلال » اى فالرسول وحده هو الذى يقبل كلامه فى الدين من غير مطالبة بدليل لانه دليل نفسه .

ولا نطيل فى هذا المقام فسيأتى تفصيله فى محاورات المصلح والمقلد والله الهادى الى سواء السبيل

آثار علمية ادبية

مقدمة ديوان حافظ (تتمة)

اما قول اصحاب العروض ان الشعر هو الكلام المقفّى الموزون فليس هذا من بيان الشعر فى شىء فكم رأينا على تلك القاعدة التى رسموها كلاماً ولم نر فيه شيئاً من الشعر

ولقد وفقت جماعة المنطق بعض التوفيق حيث قالوا ان الشعر هو كل ما احدث اثراً فى النفس وخيره ما كان موزوناً فلم يحبسوه فى تلك الاوزان وتلك القوافى بل وسعوا له المجال فجعل يتنزه بالتنقل من رياض المنظوم الى جنان المنثور فاذا عثر به خيال الشعر نظمه تارة ونثره اخرى وحسبكم دليلاً على ذلك ما جاء فى قول بشار بن بُرد وهو خير مايضرب به المثل هنا حيث قال ناظماً :

هززتك لا أنى وجدتك ناسياً لأمرى ولا انى اردت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سلّه الى الهز محتاجاً وان كان ماضياً

وحيث قال ناثراً : « والله لقد عشت حتى ادركت اناساً لو أخلقت الدنيا لما تجملت الا بهم واليوم اعيش فى قوم لا أرى بينهم عاقلا حصيفاً ،

ولا كريماً شريفاً ، ولا من يساوى مع الخبرة رغيفاً » ألا ترون ان فى منظومه ومنثوره هذين روحاً من الشعر لم تكن فى الثانى باقل اثراً فى نفس السامع منها فى الاول . ويدخل فى ذلك ما كتب به ابو الطيب المتنبي الى صديق له كان يعوده وهو مريض فلما أبلَّ انقطع عنه : « لقد وصلتني معتلا ، وقطعتنى مبلاً ، فان رأيتَ ان لا تحبّبَ العلة الىّ ، ولا تكدر الصحة علي ، فعلت ان شاء الله » أليس فى هذه الجملة النثرية تلك الروح التى تجدونها فى نظم ذلك الشاعر الكبير ؟ ومن اطلع على شعر المعرى ورسائله علم انه شاعر في نظمه ونثره

هذا هو الشعر وتلك حقيقته . اما طريقة عمله فخيره ما جاء عن غير كدٍّ ولا تعمل . وخير الشعراء من توخى فى شعره السهولة وتحامى طريق التعسف والتكلف وتنكب عن المعاظلة فى الكلام والتماس الالفاظ النافرة والقوافى القلقة . ولقد كان همّ الشعراء فى الجاهلية مصروفاً الى التقاط الالفاظ الغريبة فاذا ظفروا بها اودعوا فيها المعانى النفيسة فكانت معانيهم تحت الفاظهم كالحسناء تحت الاطمار . واما شعراء الحضارة فطفقوا يلتمسون الالفاظ الرقيقة فيسكنون فيها المعانى الدقيقة فكانت معانيهم كالعروس فى معرضها يوم جلائها

وافضل الشعراء من كان عالماً بمواضع الاسهاب والايجاز فهو اذا اسهب اجاد ، واذا اوجز افاد ، ولا اعرف شاعراً استطرد به جواد الاسهاب وسلم من العثار مثل ابن الرومي ذلك الذى كان اطول الشعراء نفساً واكثرهم غوصاً على المعانى . ولقد أدمنت النظر فى شعر بشار بن بُرْدٍ فألفيت فيه الرصانة والتجويد وبناء القافية على الاساس المتين والجمع

بين متانة البدو وسلاسة الحضر . واكثرت من مطالعة شعر مسلم بن الوليد فعلمت انه يجري مع ابن بُرد فى ميدان واحد . وسرحت الطرف فى شعر ابى نواس فرأيته حلو الفكاهة اذا هزل مرّ المراس اذا جدّ وهو اذا صحا كان اكثر الشعراء تفنناً فى ضروب الكلام . ورجعت البصر فى شعر ابى تمام فالفيت فيه التفاوت والصنعة مع كثرة الابتداع والقدرة على الابتكار ورايت فى جيّده مالم أره فى جيّد غيره من حسن الصياغة وبعد الغاية . وانعمت النظر فى شعر البحترى فلمحت فيه حسن الديباجة وطلاوة الانسجام . واكثرت التأمل فى شعر ابى الطيب فاذا شعره حيٌّ يتفزز ولم أر فى الشعراء نفساً اعلى من نفسه ولا طريقاً الى المعالى اخصر من طريقه وخير شعره ما كان فى الحكم والامثال ولو سلمت اقواله من ذلك التفاوت ولم يكن اسلوبه عاقاً لأساليب اللغة العربية لكان اشعر شاعر فى الاسلام . ولقد ذهب الشريف الرضيُّ بحسن اختيار اللفظ وصقله وسلامة الذوق فى انتقاء المفردات والاساليب . وجمع متنبي الغرب (ابن هانئ الاندلسى) فى شعره بين جزالة العرب ورقة الاندلس . وانفرد ابن المعتز بحسن التشبيه . واختص العباس برقة الشعور وحلاوة التركيب . ولم أر فيمن ذكرنا من يدانى شيخ المعرّة فى صفاء الذهن وقوة الذاكرة وسعة الاطلاع وغزارة المادة

ولا يقوم بنفس احدكم ان الشعر كان للعرب دون غيرهم فان لكل امة قسمتها منه وان لها نصيبها من الشعراء . تلكم امة الفرس وهذا قاآنها صاحب الشاه نامة اى ديوان الملوك قد بلغ فى امته مكاناً عظيماً واشتمل ديوانه على سبعين الف بيت من الشعر . وهذا عمر الخيام الذى تفتح اليوم

الاندية باسمه فى انجلترا واميركا وتهافت شعراء المغرب على مطالعة منظوماته وقد نقش اسمه فى ذلك العهد على اكثر من اثنى عشر نادياً .

اسلفنا ان الشعر قديم وجد مع الشمس وان لكل امة حظاً منه فما بلغ بنا التاريخ الى امة ولا وقف بنا عند جيل الا ورأينا لواء الشعر عليه معقودا . ولقد حمله بنتاور فى الفراعنة وهومير فى اليونان وفرجيل فى الرومان وقد كثر نبوغ الشعراء فى هذه الامة ولا تزال داووين اكثرهم محفوظة فى مكتبة مولانا السلطان وسائر مكاتب الاستانة العلية الى اليوم . ولو شئنا ان نذكر كل امة وشاعرها لضاق بنا المقام

اما الشعر العربى وما كان من امره فى الجاهلية والاسلام فاخباره طويلة مودعة فى بطون الكتب فلا حاجة الى ذكرها

﴿ باب التقاريظ ﴾

لما علم الادباء والفضلاء بان ديوان محمد حافظ افندى يطبع وكلهم يعرفون فى الشعر مكانته العالية ومرتبته السامية كتبوا اليه التقاريظ التى تشهد بفضلهم بمعرفة الفضل لاهله ورأينا ان تحف قراء المنار ببعضها

قال واحد العصر ويتيمة الدهر ومالك اعنة النظم والنثر صاحب السعادة محمود سامى باشا البارودى حفظه الله :

هيهات ليس لحافظ من مشبه ... فى القول غيرُ سميه الشيرازي

جاراه فى حسن البيان وفاته ... فى المنطق العربىّ بالاعجاز

لَبِقٌ بتصريف الكلام يسوقه ... ما شاءَ بين سُهولة وحجاز

فاذا تغزل فالنفوس نوازعٌ ... واذا تحمس فالقلوب نوازى

كالصارم الفولاذ فى إفرنده ... وصقاله والمارن الهزهاز
حاك القريض بلهجة عربية ... أغنت عن الاسهاب والإيجاز
ألفاظها نمّت على ماتحتها ... وصدورُها دلت على الأعجاز
فاذا تلاها قارئ لم يشتبه ... فى القول بين حقيقة ومجاز
عبقت كأنفاس النسيم تعلقت ... بالرّوض غِبَّ العارض المجتاز
قد كان جيدُ القول عُطْلاً قبله ... فحباهُ احسن حلية وطراز
ملكت مودته القلوبَ فاصبحت ... تلقاه بالتوقير والإعزاز
لا زال يبلغ شأوَ كل فضيلة ... بمضاء صمصام وصولة باز

وقال القاضى الفاضل . والاديب الكامل . الشاعر المطبوع حفنى بك ناصف :

شعر على قلته جيدٌ ... والشعر لا يمتاز بالطولِ
والدرُّ بالقيراط مقياسه ... والارض بالفرسخ والميل
تستعذب الالسنُ ترتيله ... كأنه محكم تنزيل
يظل من يقرأُ آياتهُ ... ما بين تكبير وتهليل
فصلت الالفاظُ فيه على ... قدرِ المعانى خير تفصيل
فلا يرى ناقده حكمة ... محتاجةً فيه لتبديل
جعلت يا حافظ كيدالذى ... يشناك فى خسر وتضليل
كأن ديوانك فى عينه ... رسالةٌ من عند عزريل
وكل بيت حجر قد هوى ... عليه من احجار سجيل
فاهنأ بما اوتيت من حكمة ... مصوغةٍ فى حسن تخييل
ومن يكن ديوانه هكذا ... يُدعى بحقٍ شاعر النيل

وقال الاستاذ الفاضل الشيخ احمد عمر الاسكندرى المدرس بالمدارس الاميرية

ان يكن السالفون من عرب — بادوا واخنى عليهم الدهر
فقد ارانا كأنما بعثت — ازمانهم من يراعك الشعر
من كل معنى كأنه ملك — فى كل بيت كأنه قصر
من ينكر السحر بعدما اتفق الـ — ـناس على ان شعرك السحر
اما يرى منه ان سامعه — يهتز سكراً به ولاخمر
ما الشعر لفظ يأتى على قدر — يعذب منه الروىُّ والبحر
الشعر ما ادّب النفوس وما — حنّ اليه الفؤاد والفكر
فالبحر وهو الاجاج لجته — يجتمع الدرُّ فيه والصخر
فاهنأ بشعر قلنا نؤرخه — ديوان حافظٍ كله درُّ
سنة ١٣١٩ — ٧٠ ٩٨٩ ٥٥ ٢٠٤

(كتاب السودان) وُضع هذا الكتاب لبيان تاريخ حوادث بلاد السودان المصرى منذ عينت الحكومة المصرية الكولونيل غردون باشا الانكليزى حاكماً على خط الاستواء في عهد اسماعيل باشا الخديوى الى انقضاء دولة الدراويش التى اسسها محمد أحمد الذى قام بدعوى المهدوية واستيلاء الحكومة المصرية على السودان . ومؤلف الكتاب هو صاحب السعادة ابراهيم فوزى باشا الذى رافق غردون باشا منذ تولى الى ان قتله الدراويش ووقع هو اسيراً فبذلك كان اعلم الناس بالحوادث المتعلقة بذلك . وقد طبع الجزء الاول من هذا الكتاب فى مطبعة جريدة المؤيد على نفقة صاحبه ونفقة ادارة الجريدة ويطلب منها ومن المكاتب الشهيرة وعدد

صفحاته ٤٠٣ وفيه من غرائب الحوادث وشرح ضروب الكوارث العجب العجاب الذي يشوق القراء فنحثهم على مطالعته والاعتبار بما فيه من عواقب الجهل

(علم الفراسة الحديث) اهدتنا ادارة الهلال المنير نسخة من هذا الكتاب الذي جعلته في هذه السنة عوضاً عن الاجزاء الاربعة التي تصدر منه في شهرين عملاً بالقاعدة التي سنتها وهي جعل سنة الهلال عشرة اشهر وتهدى المشتركين في آخر السنة كتاباً بدلاً من أجزاء الشهرين . والكتاب تبحث مقدماته في تاريخ الفراسة وصحة هذا العلم وعدمها وناموسي التشابه والتناسب . وفي المقاصد بيان فراسة الاعضاء بالتفصيل ثم فراسة الامم ثم فراسة الرأس مخصوصة ثم فراسة المهن والصناعات ثم فراسة الحيوان وهو كثير الرسوم وصفحاته توازي صفحات اربعة اجزاء من الهلال

(مقامات الحريري بفهرس المفردات) هذه المقامات في عالم الادب علم في رأسه نار لا تحتاج الى التعريف والوصف وقد طبعت طبعات متعددة ولكنها قبيحة في الشكل والورق وغير ذلك الا الطبعات الاميرية وقد نفدت هذه حتى لا تكاد توجد بالثمن الكثير . فانبرى اخيراً الفاضل الهمام صاحب الاتقان الشيخ محمد سعيد الرافعي صاحب المكتبة الازهرية فطبعها في المطبعة الاميرية طبعة تمتاز على ما طبع فيها من قبل بثلاثة امور احدها الشكل فانه جعلها من الحجم الوسط وهو الطف وثانيها جعل الشرح في اسفل الصفحات بحرف صغير مشار اليه بالارقام العددية وثالثها فهرس في آخرها لمفردات الكلم مرتب على حروف المعجم كالمصباح . ويعرف اهل الادب ان في هذه المقامات من فرائد اللغة المختارة ،

ولطائف المجاز والاستعارة ، ما ينفع طالب الانتفاع ، والوقوف عليه بدون ممارسة تلك الاساليب والاسجاع ، لا يتيسر الا بهذا الفهرس الذى يوقف غير الواقف ، ويسهل المراجعة على العارف ، وقد جعل ثمنها أقل من ثمن الطبعات الرديئة ولا شك ان طلاب هذه المقامات ، يفضلون هذه الطبعة على سائر الطبعات

(شهيدة الامانة) اسطورة مختصرة غرامية دينية مسيحية هندية تحكى بعض احوال هنود اميركا الدينية وتبين فضل المسيحية عليها . ومثل هذا يؤثر فى اشراب قلوب العامة حب الدين . ما لا يؤثر كلام اللاهوتيين ، وطالما تمنيت ان توضع قصص اسلامية فى هذه الاساليب لاجل عامة المسلمين وكم منيت نفسى بالتأليف فى ذلك وحثثت عليه اخوانى ولم يسمح لِيَ الزمان بالوقت . وهذه القصة فرنسوية الاصل وعربها الشاب النشيط فرج أفندى عبده وطبعها وجعل ثمنها أربعة غروش مصرية

الاخبار التاريخية

﴿ عيد الجلوس السلطانى ﴾

فى يوم الأحد الآتى يحتفل بتذكار جلوس مولانا السلطان الاعظم ايّده الله تعالى بالنصر والتوفيق على عرش السلطنة العثمانية ويشارك العثمانيين فى هذا الاحتفال كثير من البلاد الاسلامية التى تحكمها الاجانب لا سيما الانكليز كالهند وسنغافوره وغيرها . وقد أبنّا الفائدة والحكمة من هذا الاحتفال فى منار السنين الماضية فلا نعيده . وقد رأس لجنة

الاحتفال العمومي فى مصر هذه السنة صاحب السعادة الشهير عبد السلام باشا المويلحي رئيس التجار ولكن اقبال الناس لم يكن كما يعهد فى السنين الماضية ومن اسباب ذلك عدم وجود صاحب المؤيد الذى كان لكتابته وسعيه اكبر تأثير . وقد نظم الشعراء قصائد فى التهنئة والاحتفال ننشر منها قصيدة صاحبنا محمد حافظ افندى ابراهيم لما امتاز به كلامه من الجزالة والسلاسة التى ترقى اللغة عند القارئين وهى :

لمحت جلال العيد والقوم هُيَّبُ فعلمني اى العُلَى كيف تكتب
ومثَّل لى عرش الخلافة خاطرى فارهب قلبي والجلالة ترهب
سلوا الفلك الدوَّار هل لاح كوكب على مثل هذا العرش اوغاب كوكب
وهل اشرقت شمس على رحب ساحةٍ الى مثل ذاك البيت تُعزَى وتنسب
وهل قرّ فى برج السعود متوج كما قرّ فى (يلديز) ذاك المعصَّبُ
تجلى على عرش الجلال وتاجه يهش واعواد السرير ترحبُ
سما فوقه والشرق جذلان شيق لطلعته والغرب خذلان يرقب
فقام بامر الملك حتى ترعرعت به دوحة الاسلام والشرك مجدب
وقرَّب بين المسجدين تقربًا الى الملك الاعلى فنعم المقرّب
وكم حاولوا فى الارض اطفاء نوره واطفاء نور الشمس من ذاك اقرب
فراعهمو منه بجيش مُدَجَّجٍ له فى سبيل الله والحق مذهب
اذا ثار فى يوم الوغى مال منكب من الارض والاطواد وانهال منكب
له من رُؤس الشم فى الارض مركب ومن ثائر الامواج فى البحر مركب
فدًى لك ياعبد الحميد عصابة عصت امر باريها وحزب مذبذب
ملكت عليهم كل فجٍ وجلَّة فليس لهم فى البر والبحر مهرب

تقاذفهم أيدى الليالى كأنهم ... بها مثل فى القول للناس يضرب
وكم سألوها لثم اذيالك التى ... لها فوق اجرام السموات مسحب
فما بلغوا قصداً ولا ادركوا منى ... كذلك يشقي الخائن المتقلب
فيا صاحب العيدين لا زلت سالماً ... يهنيك بالعيدين شرق ومغرب
ففي كل روض منك طيب ونضرة ... وفى كل أرض منك عيد وموكب
ارى مصر والانوار منها موردٌ ... ومنها لجينىٌّ ومنها مذهب
واشكالها شتى فهذا منظم ... وذلك منثور وذاك مقبّبُ
وبعضٌ تجلىّ فى مصابيح زيتها ... يضىء ولانار وبعضٌ مكهرب
وانظر فى بستانها النجم مشرقاً ... فهل انت يا بستان افق مكوكب
واسمع فى الدنيا دعاء بنصره ... يردّده البيت العتيق ويثرب

﴿ قطع العلائق بين الدولة العلية وفرنسا ﴾

فى الاستانة ارصفة انشأتها شركة فرنسوية بامتياز مخصوص ولبعض التجار الفرنساويين دين على الدولة العلية كانوا من زمن طويل قدموا فيه اشياء للعسكرية بربا فاحش وقد طال الزمان وهم عنه ساكتون لينمو بضم الربا فى كل عام الى الاصل وقد حصل الخلاف بين شركة الارصفة وبين الحكومة العثمانية فى هذه الارصفة وطلب التجار اموالهم المتراكمة فسلك الموسيو كونستيان سفير فرنسا فى حل الاشكال مسلك الخشونة والتهديد بقطع العلائق فما زال مولانا السلطان يمده بسياسته اللينة اللطيفة وهو يزداد عنفاً ونفوراً حتى آذن الدولة بقطع العلائق رسمياً وخرج من الاستانة العلية وآذنت نظارة خارجية فرنسا الدولة العلية بأن لا يعود سفيرها

منير بك الى باريس . وكان مولانا السلطان لان لمطالب السفير وأمر بان تظل شركة الارصفة متمتعة بامتيازاتها بناء على غض النظر عن ابتياعها ولما رأى هذه الخشونة اعرض بجانبه ولم يبال بقطع العلائق ولكن ورد انه طلب من فرنسا ارسال سفير آخر للاتفاق معه ويخاف الناس ان يفضي هـذا الجفاء السياسي الى الحرب بين الدولة العلية وفرنسا وما كل جفاء سياسي يستلزم الحرب وليست فرنسا كسائر الدول يثير الحرب فيها رجل متهور فهي جمهورية لا يمكن ان تعلن حرباً الا بعد رضى الامة بواسطة الاحزاب والنواب . واذا احتلت فرنسا بعض الثغور غير المحصنة كثغور سوريا تقوم قيامة الدول وتكون الطامة الكبرى . لا خوف من هذا الجفاء اذا كان كما هو الظاهر قد جاء من طبيعته ولكن اذا كان هناك مواطأة بين روسيا وفرنسا على فتح باب الفتنـة لمقاومة نفوذ المانيا فى الاناضول والعراق فهناك البلاء الاكبر وهذا بعيد ايضاً فان روسيا صارت ادهى واحكم من ان تعرض اوربا كلها للدمار لاجل اطماعها وقد تعلمت ان الاستفادة بالسياسة اكبر ربحاً من الاستفادة بالقوة والله اعلم

تعازٍ ووفيات

(السيدة أم عاصم) اعزي عمي التقيّ الفاضل والعالم العامل السيد الشيخ محمد كامل بوفاة قرينته الفاضلة العاقلة التقية المهذبة السيدة زلفى ام عاصم . كانت رحمها الله قارئة كاتبة مربية مقتصدة قرة عين لعمّي ولاسرته فرحمها الله تعالى واطال حياة انجالها فى حجر والدهم الكامل آمين

(توفيق بك الحموى) واعزى الرصيف الكبير صاحب السعادة سليم

باشا الحموى صاحب جريدة الفلاح الغراء بوفاة ولده البار النجيب توفيق بك .
اختطفته المنية فى ريعان الشباب من مهد المدارس ومعهد العلوم والمعارف وكان فى هذا العام من السابقين فى أخذ شهادة الدراسة الثانوية ووجه همته بعد ذلك لتعلم علم الحقوق . قضى فى ١٩ من الشهر الافرنجى الحاضر عن عشرين ربيعا لم يعرف فيها غير الدفاتر والمحابر فنسأل الله تعالى ان لا يفجع هذا الشيخ الكبير بمثل هذا المصاب ويحفظ له أهله وولده ويحسن عزاءه على من فقد آمين

(خريستفورس جباره) واعزى الثبات والصبر والهمة والاستقامة بوفاة خريستفورس جباره الشهير الذى قام فى نفسه منذ سنين ان سعادة العالم الانسانى لا تتم الا باتفاق أهل الاديان السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والاسلام . كان هذا خاطراً وفكراً ثم صار وُجداناً ملك عليه امره وحمله على الدعوة اليه بالقول وبالكتابة . انشأ أولاً جريدة نشرة سماها شهادة الحق . وبث دعوته فى اميركا فى معرض شيكاغو وغيره وكان يكتب الرسائل الطويلة فيه الى علماء الدين المشهورين فى بلاد الشرق وهو فى اميركا اقصى الغرب . ثم جاء الى مصر والف فيها كتباً ورسائل كثيرة يوفق فيها بين التوراة والانجيل والقرآن فحرمته الكنيسة الارثوذكسية وكان قد وصل من رتبها الكهنوتية الى رتبة الارشمندريت وكذلك قابله المسلمون بالهزء والسخرية فاحتمل من الايذاء ما هو معهود فى كل من يدعو الناس الى خلاف ما هم عليه

كان الفقيد موحداً يقيم الحجة على انه ليس فى الانجيل ولا فى رسائل الرسل ما يدل على التثليث ويؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ويؤمن بالقرآن وبرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ومما كان يخالف فيه المسلمين مسئلة صلب المسيح وكان يؤوّل قوله تعالى « وماقتلوه وماصلبوه ولكن شبِّه لهم » وبالجملة ان ما كان يدعو اليه هو من مقاصد الاسلام ولكن لم يكن عنده من العلم بالاسلام وبعلوم الاجتماع والاخلاق ما يقدر معه على اقامة الحجة على كل مناظر له . وكان استفتى مفتى الديار المصرية عن عقيدته بكلام مجمل يصرح بالايمان بنبوة سيدنا محمد وصدقه فى كل ماجاء به فأجابه المفتى جواباً قيد فيه اعتبار اسلامه بعدم انكار شيء مجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فجاءنى وقال لى انني لم افهم معنى هذه الكلمة . . .

اصاب الفقيد مرض ونقه منه ثم انتكس وعند احساسه بشدة وطأة المرض جاءنى وقال لى اننى منذ سكنت مصر لم اعرف فيها رجلا رحيماً يفعل الخير لغير علة الا فضيلة المفتي وقد اشتدت حاجتى الى مبلغ كذا لاجل دخول المستشفى او السفر ونفسى عليَّ عزيزة فارجو أن تأخذ لى من فضيلة الاستاذ المبلغ المذكور فاجبته سمعاً وطاعة ثم واساه الاستاذ حفظه الله تعالى بضعف ماطلب . ودخل اوّلا مستشفى القصر العينى بمساعدة احد الوجهاء ثم المستشفى النمساوى بمساعدة وجيه آخر وتوفى فيه بمرض القلب . ولما كان الرجل غير معدود فى النصارى لانه محروم من بطريقهم الاكبر ولا فى المسلمين لانه لم يعرف عندهم موافقتهم فى كل عقائدهم كان امر دفنه مشكلا فحل هذا الاشكال بعض اذكياء النصارى فشهد عند غبطة البطريق ان الفقيد اعترف قبل موته بالكنيسة الارثوذكسية ورجع اليها فدفن دفناً ارثوذكسياً واخذوا كتبه وفيها رد عليهم متين . اما حقيقة امره وما يصير اليه فى الآخرة فذلك مفوض الى العليم الرحيم

الجزء الثالث عشر — المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿مصر في يوم الاحد غرة جمادى الثانية سنة ١٣١٩ — ١٥ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١﴾

الرجال والنساء

من أغوى الآخر في الشرق واوربا : اصلاح الاسلام للنساء : تمنى الاوربيات تعدد الزوجات : الاختلاط ومضرته : عاقبة الامر في اوربا والمسلمين

« الرجالُ قوّامونَ على النساءِ بما فضّلَ اللهُ بعضَهم على بعْضٍ وبما انفَقُوا مِن أموالِهِمْ » * « وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عليهنَّ بالمعْرُوفِ ولِلرّجالِ عليهنَّ دَرَجةٌ »

هذا ما قاله فاطر السموات والارض وما فيهن وشارع دين الفطرة ليبلغ به عباده الكمال ، من النساء والرجال ، وقد دل العلم وشهد التاريخ على ان ما ارشد اليه الكتاب العزيز من قيام الرجال وسيادتهم على النساء هو الحق الواقع والفطرة الصحيحة ولكن الرجال ظلموا وأساؤا فى هذه الكفالة والسيادة فاستعبدوا النساء ووأدوا البنات (دفنوهنّ احياء) ولولا حاجتهن اليهن لأفنوا النوع الانسانى بإفنائهن وما وجدت شريعة ولا ديانة أنصفت النساء واعطت كلاً من الرجل والمرأة حقه الا ديانة الاسلام

الحقة وشريعته العادلة ولكن المسلمين مارعوها حق رعايتها فمنهم من وفّى فوفِّيَ اجره وكثير منهم فاسقون

بيّن الله تعالى ان للمرأة على الرجل من الحقوق مثل الذى له عليها بالمعروف وانه لا يمتاز الا بالولاية ورياسة المنزل لان البيوت نموذج الامة فكما ان الامة لا ينتظم امرها الا برئيس عادل كذلك البيت (العائلة) لا بدّ له من رئيس له السيطرة والقيام بالشؤن العامة

ولما كان الاسلام مبنياً على قاعدتى الاستقلال بالفكر والاستقلال بالارادة وشريعته مبنية على المساواة والعدالة ومن مقتضى القاعدة الاولى ان يعرف الانسان الحق بدليله لتنبعث اليه ارادته بنفسها لانه الحق النافع فى علم صاحبها بيّن الله تعالى لنا بفضله المرجّح لكون الرجل هو القيم على المرأة وهو تفضيله بنحو القوة والقدرة على الحماية والكسب وهذا مرجّحٌ فطري طبيعي وانفاقه المال فى المهر وغيره وهذا مرجّح اجتماعيّ عقلي والشريعة الاسلامية موافقة دائماً للفطرة الالهية ومطابقة للمصالح الاجتماعية ومؤيدة بالدلائل العقلية

عرف فى سيرة البشر ان القوة تعتدي دائماً على الحق وتهضمه وقد كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم اعرف الناس بسنن الله تعالى فى الناس ولهذا كان يكرر الوصية بالنسآء والارقآء وهو فى حالة النزع وسكرات الموت كما كان ينهى عن تعظيم قبره وقبور الانبيآء والصلحآء لان ما يوصى به فى هذه الحالة لا بد ان يعتني به متبعوه أشد الاعتنآء لما للكلام حينئذ من التأثير ولانه من المعلوم بالبداهة ان الانسان لا يهتم عند الموت الا باهم الامور . ولا شك انه عليه الصلاة

والسلام كان عالماً بأن اعظم فتنة تستقبل امته من طريق الاعتقاد والعبادة تعظيم القبور والتماس المنافع ودفع المضار بواسطة الانبيآء والصلحاء واعظم فتنة تعرض لهم فى شؤنهم الاجتماعية النسآء بل ورد التصريح بهذه الفتنة وكذلك كان فى الامرين

انما كان النسآء فتنة بترك الرجال مساواتهم بأنفسهم فى الحقوق الاجتماعية والادبية واهمال فريضة القيام عليهن فقد جعلت الشريعة لكل امرأة قيما فأبوها وهو القيم الاول يتركها سدًى تلعب بها الخرافات والاوهام ، ويغويها السفهآء والطغام ، ثم تصير الى القيم الثانى وهو الزوج فيأكل مالها انكان لها مال ، ولا يساويهابنفسه فى حال من الاحوال ، ولقد كان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يقول : انى لأتزين لزوجى كما تتزين لى لقوله تعالى « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف » ثم اذا مات زوجها وصارت الى قيم ثالث فى آخر حياتها يكون مآلها شر مآل ، ولو كان هذا القيم ابنها الذى لم تحسن تربيته لانها هى واباه لم يكونا متربين ولا مهذبين

هذا القيام للرجال على النسآء قد خصته الشريعة بالامور الاجتماعية فليس للمرأة حق ان تسافر الا مع ذى محرم واذا كانت متزوجة فلا بد من اذن الزوج ورضاه ولو الى الحج . واعطت للمرأة الحق فى التصرف فى مالها وليس للزوج ولا لغيره من القوّام ان يأخذ من مالها دانقاً بغير رضاها فتصرف المسلمون بأموال النساء وأكلوها اسرافاً بغير حق وتركوا حبالهن على غواربهن فيما هو موكول اليهم فطفقن يسرحن ويمرحن ويتبرجن تبرّجَ الجاهلية الاولى وتركن الصلاة ومنعن الزكاة

وعصين الله ورسوله ثم عصين الازواج والذنب فى هذا كله على الرجال

يشكو بعض الرجال فى هذه البلاد من تهتك النسآء وفساد اخلاقهن وما افسدهن الا الرجال فالمرأة بمقتضى الفطرة والطبيعة اقرب الى الحيآء والعفة وابعد من المجون والخضوع للشهوة ولكن هؤلآء الرجال الظالمين الضالين المضلين هم الذين يغوونهن ثم يشكون منهن وينسبون اليهن كل غواية وفساد محتجين بقول المثل الفرنساوى « ابحثوا عن المرأة »

بحثنا وسألنا الباحثين فالفينا الرجال فى الاسواق والشوارع يتعرضون لمغازلة النساء ولا يذائهن بالقول والفعل ووجدنا اكثرهن لا يلتفتن لاكثرهم . رأينا هذا ونحن نعلم ان الرجال اكثر علماً بامور الدين وامور الدنيا واكثر شغلا وعملاً فما اغنى عنهم علمهم ولا اعمالهم فكيف يكون الحال لو كانت افئدتهم هوآء كأفئدة النساء ، فان المرأة عندنا لا تتعلم شيئاً يشغل فكرها عن تدبير الحيل لاجابة داعي الطبيعة ولا تتربى على ملكات فاضلة تقف بالقوى الحيوانية عند حدود الاعتدال وليس لها اعمال شاقة تصرف النفس عن هذه الدواعي وهي مع هذا كله اقرب من الرجل الى العفة والنزاهة

لما تنبه اهل اوربا الى اصلاح شؤنهم الاجتماعية وترقية معيشتهم المدنية اعتنوا بتربية النساء وتعليمهن فكان لذلك اثر عظيم فى ترقيهم وتقدمهم ولكنَّ المرأة لا تبلغ كمالها الا بالتربية الاسلامية واعنى بالاسلامية ما جاء به الاسلام لا ما عليه المسلمون اليوم ولا قبل اليوم بقرون فقد قلت آنفاً إنهم ما رعوا تعاليم دينهم حق رعايتها . ولهذا وجدت مع التربية الاوربية

للنساء جراثيم الفساد ونمت هذه الجراثيم فتولدت منها الادواء الاجتماعية والامراض المدنية وقد ظهر اثرها بشدة فى الدولة السابقة اليها وهى فرنسا فضعف نسلها وقلت مواليدها قلة تهدّدها بالانقراض والذنب فى ذلك على الرجال

حذرَ من مغبة هذه الامراض العقلاء ، وحذّر من عواقبه الكتاب الاذكياء ، وصرّح من يعرف شيئاً من الديانة الاسلامية ، بتمني الرجوع الى تعاليمها المرضية ، وفضائلها الحقيقيّة ، وصرحوا بان الرجل هو الذى اضل المرأة وافسد تربيتها وان بعض فضليات نساء الافرنج صرحت بتمنى تعدد الزوجات للرجال الواحد ليكون لكل امرأة قيم وكفيل من الرجال

جاء فى جريدة (لاغوص ويكلى ركورد) فى العدد الصادر فى ٢٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠١ نقلاً عن جريدة (لندن تروت) بقلم كاتبة فاضلة ما ترجمته ملخصاً :

لقد كثرت الشاردات من بناتنا وعم البلاء وقل الباحثون عن اسباب ذلك واذ كنت امرأة ترانى انظر الى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزناً وماذا عسى يفيدهن بثي وحزني وتوجعي وتفجعي وان شاركني فيه الناسُ جميعاً ؟ ؟ لا فائدة الا فى العمل بما يمنع هذه الحالة الرجسة ولله درّ العالم الفاضل (تومس) فانه رأى الداء ووصف له الدواء الكافل الشفاء وهو (الاباحة للرجل التزوج باكثر من واحدة) وبهذه الواسطة يزول البلاء لامحالة وتصبح بناتنا ربات بيوت فالبلاء كل البلاء فى اجبار الرجل الاوربى على الاكتفاء بامرأة واحدة . فهذا التحديد هو الذى جعل بناتنا شوارد وقذف بهن الى التماس اعمال الرجال ولا بد من

تفاقم الشر اذا لم يبح للرجل التزوج باكثر من واحدة . اىّ ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم اولاد غير شرعيين اصبحوا كلاً وعالةً وعاراً على المجتمع الانسانى فلو كان تعدد الزّوجات مباحاً لما حاق بأولئك الاولاد وبامهاتهم ما هم فيه من العذاب الهُون ولسلم عرضهن وعرض اولادهن فان مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار . الم تروا ان حال خلقتها تنادى بان عليها ما ليس على الرجل وعليه ماليس عليها وبإباحة تعدد الزّوجات تصبح كل امرأة ربة بيت وأُم اولاد شرعيين »

ونشرت الكاتبة الشهيرة (مس انى رود) مقالة مفيدة فى جريدة (الاسترن ميل) فى العدد الصادر منها فى ١٠ مايو (ايار) سنة ١٩٠١ نقتطف منها ما يأتى

« لَأَن يشتغل بناتنا فى البيوت خوادم او كالخوادم خير واخف بلاء من اشتغالهن فى المعامل حيث تصبح البنت ملوثة بادران تذهب برونق حياتها الى الابد . ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة ردأ الخادمة والرقيق يتنعمان بارغد عيش ويعاملان كما يعامل اولاد البيت ولا تمس الاعراض بسوء . نعم إنه لعارٌ على بلاد الانكليز ان تجعل بناتها مثلاً للرذائل بكثرة مخالطة الرجال فما بالنا لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية من القيام فى البيت وترك اعمال الرجال للرجال سلامة لشرفها »

وقالت الكاتبة الشهيرة (اللادى كوك) بجريدة ألايكو ماترجمته :

« ان الاختلاط يألفه الرجال ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها وعلى قدر كثرة الاختلاط تكون كثرة اولاد الزنا وههنا البلاء العظيم على

المرأة فالرجل الذى علقت منه يتركها وشأنها تتقلب على مضجع الفاقة والعناء وتذوق مرارة الذل والمهانة والاضطهاد بل والموت ايضاً . اما الفاقة فلأن الحمل وثقله والوحم ودواره من موانع الكسب الذى تحصل به قوتها واما العناء فهو انها تصبح شريدة حائرة لا تدرى ماذا تصنع بنفسها واما الذل والعار فايُّ عار بعد هذا واما الموت فكثيراً ما تبخع المرأة نفسها بالانتحار وغيره

هذا والرجل لا يلم به شئٌ من ذلك . وفوق هذا كله تكون المرأة هى المسؤلة وعليها التبعة مع ان عوامل الاختلاط كانت من الرجل

« أما آن لنا ان نبحث عما يخفف — اذا لم نقل عما يزيل — هذه المصائب العائدة بالعار على المدنية الغربية ؛ أما آن لنا ان نتخذ طرقاً تمنع قتل الوف الالوف من الاطفال الذين لا ذنب لهم بل الذنب على الرجل الذى اغرى المرأة المجبولة على رقة القلب المقتضي تصديق ما يوسوس به الرجل من الوعود ويمنّى به من الامانى حتى اذا قضى منها وطراً تركها وشأنها تقاسى العذاب الأليم

« يا أيها الوالدان لا يغرنكما بعض دريهمات تكسبها بناتكما باشتغالهن فى المعامل ونحوها ومصيرهن الى ما ذكرنا . علموهن الابتعاد عن الرجال اخبروهن بعاقبة الكيد الكامن لهن بالمرصاد . لقد دلنا الاحصاء على ان البلاء الناتج من حمل الزنا يعظم ويتفاقم حيث يكثر اختلاط النساء بالرجال . ألم تروا ان اكثر امهات اولاد الزنا من المشتغلات فى المعامل والخادمات فى البيوت وكثير من السيدات المعرضات للانظار . ولولا الاطباء الذين يعطون الادوية للإسقاط لرأينا اضعاف ما نرى الآن

لقد ادت بنا هذه الحال الى حد من الدناءة لم يكن تصورها فى الامكان حتى اصبح رجال مقاطعاتٍ من بلادنا لا يقبلن البنت زوجة ما لم تكن مجربة اي عندها اولاد من الزنا ينتفع بشغلهم !!! وهذا غاية الهبوط بالمدنية فكم قاست هذه المرأة من مرارة هذه الحياة حتى قدرت على كفالتهم والذى علقت منه لا ينظر الى اولئك الاطفال ولا يتعهدهم بشيء. ويلاه من هذه الحالة التعيسة. تُرى من كان معيناً لها فى الوحم ودواره، والحمل واثقاله، والوضع وآلامه، والفصال ومرارته » اه

وحاصل القول ان الرجال هم الذين اغووا النساء وافسدوهن فى جميع البلاد لانهم القوّامون عليهن بمقتضى الفطرة فاما أهل اوربا فهم احياء يشعر افرادهم بامراض شعوبهم واممهم فيصيحون ويتألمون وستفتك بهم ادواء المدنية حتى تضطرهم الى معرفة سائر اصول الدين الاسلامى وفروعه وهم الآن على كثير منها وهنالك الكمال «سَنُرِيهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » وهو الآن غير متبين لهم لما عليه من الحجب الكثيفة واكثفها المنتسبون الى هذا الدين وماهم عليه من التقاليد التى ليست منه بل هى مناقضة له . واما المسلمون فقد اصابهم خدر بطل معه ذلك الاحساس والشعور الكلي والنعرة الملية حتى كاد اليأس منهم يغلب على الرجاء فيهم لولا اننا نرى بعض الافراد ينتهون فيصيحون ويتألمون ويتوجعون ويتململون فاذا كثروا وقوي حزبهم فهم الذين يربُّون الامة ذكراناً وإناثا — يربون النفوس باداب دين الفطرة القويم ويأخذون من نتائج علوم المدنية الغربية وفنونها ما ثبتت منفعته وامنت مضرته . وكل ما اخذ به المسلمون فى مدارسهم من تعليم البنين والبنات فهو ناقص وفيه مضرات

كثيرة لان زمامه ليس فى ايدى علماء الدين ولن يكون في ايديهم الا اذا اتقنوا جميع ما يعلّم فى المدارس . ولكن العلم خير من الجهل على كل حال ، وكل هذا ممهد لما اعد لهذه الامة فى الاستقبال ، ونسأل الله التوفيقَ لحسن الخاتمة والمآل

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

ملخص مما املاه في الازهر مولانا الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية

يا أيُّها النَّاسُ اعبُدُوا ربَّكمُ الذي خَلَقَكُمْ والذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لعلكم تَتَّقُونَ .

فى النـاس المنادَون وجهان احدهما انهم الذين يقولون آمنّا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ذلك الايمان الذى يملك القلب ويصرّف النفس فى الاعمال وهو المقبول عنـد الله تعالى وانما هم آخذون بتقاليد ظاهرية ليس لها ذلك الاثر الصالح فى اخلاقهم واعمالهم فهم يخادعون الله تعالى بالتلبس ببعض صور العبادات والاقوال وان الله لا ينظر الى صوركم واقوالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم . والكلام على هذا لا يزال فى الصنف الثالث من اصناف البشر المخاطبين بالقرآن كما تقدم فلا حاجة الى بيان وجه الاتصال بين الآيات

والوجه الثانى — وهو الراجح — ان الخطاب عام للناس كافة ووجه الاتصال بين الآيات على هذا انه لما بيّن تعالى فى اصناف النـاس

هذا الصنف الذى احتقر افراده نعم الله تعالى عليهم واستعظموها واكبروها على من قبلهم فحرموا انفسهم من المزايا الانسانية ، وأجلُّوا سلفهم حتى رفعوهم الى مرتبة الربوبية ، خاطب الناس عامة بأن يعبدوه ملاحظين معنى الربوبية والخالقية التى تشملهم ومن قبلهم من السلف فتنظمهم جميعاً فى سلك العبودية للخالق تعالى شأنه ولا يكونوا كذلك الصنف الخاسر الكفور بنعم المشاعر والعقل وهداية الدين اذ لم يستعملوا عقولهم فى فهم ما أنزل عليهم بل اكتفوا بتقليد بعض رؤسائهم وعلمائهم زاعمين انه لا يقوى على فهم كتاب الله تعالى غيرهم كأن الله تعالى انزل كتبه وخاطب بها نفراً معدودين فى وقت محدود ولم يجعله هداية عامة للامة وانما الزم سائر الناس فى سائر الاوقات بالاكتفاء باتباع اولئك الرؤساء واتباعهم واتباع اتباعهم وهلمجرا[1] ثم ترك اتباعهم اتكالاً على شفاعتهم واكتفاء بالانتساب اليهم وزعما ان الله اعطاهم ما لا يعطي مثله لمن سواهم وان عملوا مثل عملهم تعالى الله عن الظلم والمحاباة وهو ذو الرحمة التي لا تنتهي والفضل العظيم

هذا النداء الالهي المبين أن نسبة الناس الاولين الى الله تعالى كنسبة الآخرين واحدة . هو الخالق وهم المخلوقون ، وهو المستحق للعبادة وهم المأمورين بها اجمعون ، حجةٌ علينا وعلى جميع من استن بسنة ذلك الصنف المخذول من قبلنا (قال) واخص طلاب علوم الدين بالذكر فينبغي للطالب

(١) الرؤساء الذين يكتبون ويعلمون كثيرون فاذا زعم المقلد بان الله تعالى امر باتباعهم من غير نظر ولا استدلال وهم غير معينين فلا شك ان اتباع أي مذهب واجب ولا فرق بين سني وشيعي ومعتزلى وخارجي

ان يوجه نفسه الى فهم القرآن ويحملها على الاهتداء به فاذا هو فعل ذلك تظهر عليه آداب الاسلام التى اشار اليها الرسول عليه الصلاة والسلام بقوله « أدَّبَنِى رَبّى فأحْسَنَ تأديبى » وانما كان ادبه القرآن [1] ومن اشتغل بهذا حق الاشتغال وصل الى معرفة امراض المسلمين الحاضرة ومنابع البدع التي فشت فيهم ومثارات الفتن التي فرقتهم ويعرف علاج ذلك وان من ذاق حلاوة القرآن لا ينظر فى كتاب ولا يتلقى علماً الا ما يفتح له باب الفهم فى القرآن او ما يفتح له بابه القرآن فيجده مرآته وما عدا ذلك مبعد عنه والبعد عن القرآن هو عين البعد عن الله تعالى وذلك هو الضلال البعيد

كل ما أمرنا به القرآن وارشدنا الى النظر فيه فالاشتغال به اشتغال بالقرآن فاذا قال : يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذى من قبلكم فذلك تنبيه الى الاعتبار بما فى خلقنا من الحكم والاسرار وينبغى لنا البحث عنها كما قال فى آية اخرى : وفى انفسكم افلا تبصرون . والى الاعتبار بتاريخ من قبلنا كما قال فى آية اخرى : قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم » وامثال ذلك كثير

لا يتأثر الانسان بالقرآن فتطمئن نفسه بوعده وتخشع لوعيده الاّ اذا عرف معانيه وذاق حلاوة اساليبه ولا يتأتى هذا الا بمزاولة الكلام العربى البليغ مع النظر فى بعض النحو كنحو ابن هشام وبعض فنون

---

(١) يشير الاستاذ الى حديث عائشة عند احمد ومسلم وغيرهما وقد سألها سعد بن هشام عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : الست تقرأ القرآن قال قلت بلى قالت : فان خلق نبي الله كان القرآن

البلاغة كبلاغة عبد القاهر وبعد ذلك يكون له ذوق فى فهم اللغة يؤهله لفهم القرآن . قال الامام ابو بكر الباقلانى : من زعم انه يمكنه ان يفهم شيئاً من بلاغة القرآن بدون ان يمارس البلاغة بنفسه فهو كاذب مبطل . فهل يصح لمسلم بلغ ورشد وطلب العلم ان لا يجعل القرآن امامه ويتخذه نوراً يمشى به فى الناس ويهتدى به فى ظلمات البدع ؟

أمامنا عقبتان كؤدان لا نرتقي عما نحن فيه الا باقتحامهما وهما الكسل وتسجيل القصور على انفسنا بجهل قيمة نعم الله تعالى علينا وصاحب هاتين الخلتين يمقت كل من يرشده الى الخير ويهديه للحق لانه يكلفه بضد طبعه فلا يرى مهرباً من الاعتراف بضلاله وغيّه الا بالقدح بمرشده وناصحه . على كلٍّ منا ان ينظر فى نفسه وينظر فى القرآن العظيم ويزن به ما هو عليه من العقائد والاخلاق والاعمال فان رجح به ميزانه فهو مسلم حقيقيٌّ فليحمد الله تعالى والا فليسع فيما يكون به الرجحان . لا بد لنا من النظر الطويل والفكر القويم فيما نحن فيه فمن لم يتفكر لم يهتد الى الحق ومن لم يهتد اليه فهو ضال « فماذا بعد الحق الا الضلال »

هذا ما تذكرناه من التنبيه الذى قلنا فى الجزء التاسع ان الاستاذ عقب به تفسير الآيات التى وردت فى الصنف الثالث من اصناف الناس بازاء القرآن ووصل به بينها وبين قوله تعالى : يا ايها الناس اعبدوا ربكم . الآيات . ويضيق هذا العدد عن تفسير الآيات مع هذه النبذة فنكتفي بهذه الموعظة وان كان عهدنا بالتفسير بعيداً وموعدنا الاجزاء الآتية ان شاء الله تعالى .

﴿ باب الاسئلة والاجوبة الدينية ﴾

(عموم البعثة وعموم اللغة)

(١) من احمد افندى الالفى فى ابى كبير : معلوم ان رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم عامة للناس كافة فهل من مقتضى ذلك ان يكون عليه الصلاة والسلام عالماً بكل لغات واعتقادات وآداب وعوائد من ارسل اليهم ؟ ان قيل لا فبماذا نجاوب من لا يسلم بذلك وقد يجد من العقل معيناً . وان قيل نعم فما الدليل ؟ واذا كان القرآن داعياً الناس كلهم لعبادة الله تعالى ولدينه القويم الذى ارتضاه لهم لئلا يكون للناس على الله حجة فلماذا نزل باللسان العربي فقط ولماذا حرمت ترجمته وكيف يطلب من الناس كلهم ان يكونوا مسلمين مع انهم لم تبلغهم الدعوة اليه اذ لا مبشرين ولا داعين اليه من اهله ؟؟ ألا يكون هذا عذراً لمن لم يسلم ؟ ان قيل لا فما هى حجة الله عليهم ؟ ارجو الاجابة عن ذلك فى المنار بما يزيح الشبهة ويضىء معه نور الحقيقة لا زلتم حامين حمى الحقائق الاسلامية بقوة البرهان .

(ج) قال الله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » وقد اختلف المفسرون فى المراد بقوم النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقيل قريش وقيل مضر وقيل العرب وبنوا على هذا انه كان يعرف لغات القبائل ويخاطب اهل كل قبيلة بلسانهم وزعم بعض من يستحل ان ينسب الى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كل ما يعتقده تعظيما وان كان لا دليل عليه انه عليه السلام كان يعرف جميع اللغات لانه أُرسل الى جميع الامم وان ذلك من معجزاته ليحدث الناس بما يعلمون واستدلوا على

ذلك بما ذكر فى بعض الكتب من انه كلم بعض الفرس وبعض الحبشة بلغتهم . ولو صح ذلك لكتب كتب الدعوة الى الملوك بلغاتهم ولكن المنقول انه كتبها بالعربية بلا خلاف

معرفة اعتقادات المرسل اليهم وآدابهم وعوائدهم ليست من محل الشبهة وانما محلها اللغة على ان الله تعالى علم نبيه ما اقتضت الحكمة ان يعلمه من عقائد اهل الكتاب المجاورين للبلاد التى بعث فيها « ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثرَ الذى هم فيه يختلفون » وكان يعرف ما عليه قومه بالاختبار ومتى قامت الحجة على قوم الداعي وعلى الذين يلونهم واهتدوا الى الحق فاقامتها على غيرهم تكون اسهل وقبول هؤلاء لها يكون اقرب لوجهين احدهما ان الناس أميل الى اتباع ذى القوة والعصبية وقبول الدعوة التى اخذ بها كثيرون من نوعهم منهم الى اتباع رجل مفرد يقول انه مصيب وحده وسائر الناس مخطؤن . وثانيهما ان اهل الكتاب كانوا اشد من سائر الامم تمسكاً بدينهم وإعجاباً به وقد دخل فى دينهم كثير من المشركين والوثنيين فتى اسلموا فالآخرون اقرب الى الاسلام

الامور العامة انما تكون بالتدريج فلو فرضنا ان نبينا عليه الصلاة والسلام كان عالماً بجميع اللغات فهل من الممكن ان يخاطب العرب والروم والفرس والقبط والبربر والافرنج والهنود والصينيين وغيرهم من الامم ويدعوهم ويعلمهم الدين فى وقت واحد ؟ كلا وانما الممكن هو ما فعله النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومعاذ الله ان يقصر فى اداء وظيفته العظمى (التبليغ) او يدخر وسعاً

والذى فعله هو انه بلغ الاقرب فالاقرب . انذر عشيرته الاقربين

واقام الحجة على قومه اجمعين وكتب الى الملوك والامراء المجاورين لانه ما من ملك الا وعنده من يترجم له جميع ما يكتب اليه ولان دعوة الملك دعوة لامته ورعيته ولذلك كتب الى ملك الروم فان توليت فعليك اثم الاريسيين . وكتب الى ملك مصر فان توليت فعليك اثم القبط . وهكذا

وههنا يقال : لو اجاب هؤلاء الملوك الدعوة وآمنوا مع اقوامهم فهل كان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يعلمهم الدين بلغاتهم ام بلغته العربية ؟ فان كان يرضى ببقائهم على لغاتهم فهل يأمر بترجمة القرآن وهل يرجى ان يفهموا الدين بذلك حق الفهم ؟ وان كان يلزمهم بتعلم العربية فلماذا لم يعهد هذا الالزام من الصحابة ولا من غيرهم من الخلفاء والملوك وقد كان الاعاجم يدخلون فى دين الله افواجاً ولم ينقل الينا ان احداً من اصحاب السلطة ألزمهم بتعلم العربية ولم يشتهر عن الفقهاء القول بوجوب ذلك والمعروف ان الجميع كانوا يكتفون بايمانهم ويتركونهم وشأنهم

والجواب عن هذا كله يعرف من سير الاسلام مع اللغة فى القرون الاولى ومن كلمة قالها الامام الشافعي رضى الله تعالى عنه فى كتاب الأُم فقد بحث فى المسئلة ورجّح وجوب تعميم العربية ووجوب تعلمها على كل مسلم ليفهم القرآن الكريم الذى هو اصل الدين . اما سير الاسلام مع اللغة فقد كان من العجائب التي لم يعهد لها نظير فى التاريخ . لم يمض على انتشار الاسلام فى بلاد الروم والفرس وبلاد افريقيا وغربى اوربا الا زمن يسير حتى علت اللغة العربية على لغات هذه الامم بل نسختها كما تنسخ آية النهار آية الليل من غير مدارس ولا معلمين ينصرفون الى تعليم اللغة . فهذا دليل على ان الصحابة الكرام ومن اهتدى بهديهم

من الفاتحين كانوا يلقنون الناس الدين على وجه يبعثهم على تعلم العربية من انفسهم وما كان ذلك الانتشار السريع الا بهذا الوازع النفسي الذى يفعل مالا تفعل السياسة ولا المدارس . وما اوقف هذا السير الا ضعف الدول العربية ووثوب الاعاجم على عروشها وافتاء علماء الاعاجم بجواز العبادة وقراءة القرآن والذكر فى الصلاة باللغات الاعجمية

ومن المسائل المفيدة فى هذا المقام ان ما يكون به الانسان مسلما فى الجملة شيء سهل بسيط يمكن ايصاله الى كل عربى وعجمى فى وقت قصير ولكن نمو الاسلام وفهم ماجاء به من الحكم والمعارف التى ترقى النوع البشرى يتوقف على معرفة العربية حق المعرفة وفهم المسلمين للقرآن وكونهم امة واحدة يتحدون فى مقومات الامم التى يمكن الاتحاد فيها واهمها الدين واللغة وهذا الاصلاح الاجتماعي الذى جاء به الاسلام وهو السعي فى وحدة أمم الارض باتفاقهم فى اللغة والدين هو الذى توجهت اليه اخيراً انظار فلاسفة اوربا ودولها القوية وكل واحدة منها تبذل الملايين لاجل تعميم لغتها ولم يكن المسلمون فى عصر من الاعصار متنبهين الى انه من واجبات دينهم لانهم لم يتوسعوا فى علم الاجتماع البشري الذى هو علم الانبياء عليهم الصلاة والسلام ودين الاسلام فيه اكمل الاديان وانما كانت تأتى المسائل الجزئية منه فى تضاعيف كلام بعض الأئمة عندما يتكلمون فى الفقه ونحوه فلا يتنبه لها الآخرون لأن الناسَ فى كل عصر لا يأخذون من الدين ولا من كتب العلم الا ما يناسب استعدادهم واحوالهم الاجتماعية ولو قال قبل اليوم احد انه يجب السعي فى تعميم اللغة العربية وينبغى للعلماء مطالبة حكوماتهم بذلك لقال الاكثرون ان هذا من الحرج الشديد الذى

لا يجب فى الدين

وقد كنت صرحت فى مقالات (الاصلاح الديني المقترح على مقام الخلافة الاسلامية) التي نشرت فى اعداد المجلد الاول من المنار بانه لا بد فى الاصلاح الذى يعيد مجد الاسلام من تعميم اللغة العربية واحتججت على هذا ولم اتجرأ على التصريح بانه واجب ديني لانني لم اكن اطلعت على نص الامام الشافعي فى ذلك وهؤلاء المقلدون لا يقتنعون بالادلة والبراهين وانما يقتنعون بكلام الميتين وان لم يكونوا مجتهدين .

اما الدعوة الى الاسلام فتختلف فى هذا العصر عن العصر الذى ظهر فيه الاسلام من وجوه كثيرة يفهمها اللبيب ويطول شرحها الآن وعليه فلا بد للمسلمين وليس لهم دول اسلامية تحمي الدعاة وتنصرهم أن يعتبروا بسير الدول القوية التى تنصر الدعاة الى دينها فى الدعوة الى الاسلام فهم اولى بذلك منهم وقد شرحنا شروط الدعوة وآدابها فى مقالات سابقة فليرجع اليها السائل ومن شاء فى المجلد الثالث

واما من لم تبلغه دعوة الاسلام على وجه صحيح يحرك الى النظر فليس بمؤاخذ عند الله تعالى كما صرح به المتكلمون والله اعلم واحكم

(الفرق بين القرآن والاحاديث القدسية)

(٢) من محمد افندى الصعيدى ماهر فى (فوه — غربية)

قال بعد اطراء علينا وعلى المنار وتعريض بادعياء العلماء :

أجمعت الامة على أن القرآن الشريف هو كلام الله تعالى وكذا الاحاديث القدسية التى رواها نبينا عليه الصلاة والسلام عن ربه جل وعلا ولكن من يقارن بين القولين (القرآن والاحاديث القدسية) يرى

ان بينهما فرقاً عظيماً بيناً من حيث الفصاحة والبلاغة فى العبارة والمتانة فى التركيب فقد اجمع الكل على ان القرآن استوفى شروط البلاغة حتى صار معجزاً يقف بازاء آياته المعجزات كل امام فى البلاغة سواء كان مسلماً ام غير مسلم خاضعاً عاجزاً ناظراً اليها بعين المهابة والاجلال مقراً بان ليس له فى لجة هذا البحر الزاخر مسبح . ولا فى ساحله مسرح . بخلاف الاحاديث القدسية فانها وان كانت فى اعلى درجات البلاغة الا انها ثانوية بالنسبة للقرآن فاذا كان قائلها واحداً وهو الحق جلت قدرته فلماذا لم يكونا فى منزلة واحدة وعلى نمط واحد . فاذا جاءنا من انكر ان تلك الاحاديث من كلامه تعالى وادعى انها ليست مروية عنه سبحانه بدليل عدم مماثلتها للقرآن فبماذا نجاوبه وباي دليل نقنعه

هذه مسئلة جالت فى خاطرنا فلم نجد باباً لحلها غير عرضها على غزير علمكم وواسع اطلاعكم فارجو نشرها فى مناركم الزاهر مع الاجابة عليها كما عودتمونا فى مثل هذه الاحوال والله نسأل ان يديمكم ملجأ للعلم وعضداً قوياً للدين والملة الحنيفية بمنه وكرمه

(ج) إنما يفهم هذه المسئلة حق الفهم من يفهم معنى الوحي كما ينبغي وقد تقدم الكلام عنه فى درس الأماليّ المدرج فى الجزء الخامس بقدر ما يسمح به الزمان والمكان ونقول الآن : ان الوحي — وهو كما مر اعلام الله تعالى نبيَّهُ شيئاً بطريق خفي غير الطرق التى يستفيد بها العلم سائر البشر — له طرق وكيفيات منها ان يلقي الله فى قلب النبى بواسطة ملك أو بغير واسطة معنى من المعانى فيعلم انه من الله تعالى لا من الخواطر العادية فيعبر عنه بلفظ من عنده ويسنده الى الله تعالى لانه هو الذى

اوحاه اليه بلا ريب عنده ولا شك ومن هذا القبيل الاحاديث القدسية . وذهب بعض العلماء الى ان كل ما يقوله النبي فى الدين منه اي انه وحي وان لم يسند الى الله تعالى وجعلوا هذا مفهوماً من قوله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو الا وحيٌ يوحى » وذهب آخرون الى ان بعض قوله اجتهاد واستنباط من الكتاب واختلفوا هل يخطىء فى اجتهاده ام لا . فعلمنا ان للنبي فى هذا النوع من الوحي العبارة عنه ولذلك تجوز روايته بالمعنى بشرطه لان لفظه ليس منزلا

واما القرآن العظيم فقد نزل على قلبه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بلفظه ومعناهُ ونظمه واسلوبه فليس له ولا لغيره ان يغير كلمة بكلمة ترادفها او يؤديه بالمعنى . ولهذا كان يعجل بتلاوته ويأمر بكتابته لأنه كان يخاف ان ينسى كلمة منه او يذهل عن ترتيبه الذي القيَ فى قلبه حتى امنه الله تعالى بقوله « سنقرئك فلاَ تنسى الا ماشاءالله » اي فلا تنسى ابداً لان هذا الاستثناء من مؤكدات النفي كقوله تعالى « قل لا املك لنفسى نفعاً ولاضرا الا ما شاء الله » وقوله عز وجل « خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ما شاء ربك » وبقوله « لا تحرك به لسانك لتعجل به انَّ علينا جمعهُ وقرآنه . فاذا قرأناهُ فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » فتأمل كيف سمّى الله تعالى ايحاءه اليه قراءة منه سبحانه وتعالى والقاء المعنى وحده لا يسمى قراءة . ويظهر لك الفرق بين وحي المعنى وحده ووحي اللفظ مع المعنى بالرُّؤى فان الرؤيا الصالحة للانبياء من الوحي وقد يتمثل المعنى للرائي بصورة محسوسة فيعبر عنه بلفظ يناسبه كما عبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن اللبن الذى رآه فى المنام بالعلم وقد يرى الرائي شخصاً يقول له كلاماً

يحفظه ويعيه بلفظه او بمعناه فقط . وما دام الوحي خطاباً للروح فلا فرق في حقيقته بين يقظة ومنام

ولما خص الله تعالى هذا النوع من الوحي الذى سماه قرآناً بهذه الخصوصية ولم يجعل للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فيه عملا ولا كسباً الا بتبليغه والعمل به كما انزل ليكون آية بينة على صدقه ومعجزاً للبشر (والنبيُّ منهم) ومحفوظاً الى الابد جعل له احكاماً فى الشريعة خاصة به منها حرمة مسه للمحدث وحرمة قرآءته على الجنب وحرمة روايته بالمعنى وعدم جواز الصلاة بغيره والاجرُ على تلاوته لانها عبادة حتى ورد ان للقارئ بكل حرف عشر حسنات وذهب بعض العلماء الى حرمة بيعه وبعضهم الى كراهتها وهذا القدر كاف فى الفرق بين القرآن الكريم والاحاديث القدسية فى الكنه والحكم والله تعالى اعلم .

﴿ حكم الاعطار الفرنجية ﴾

(٣) من محمد افندى عباس السمرة ببولاق : هل التطيب بالاعطار الافرنكية مع علمنا بانها ممزوجة بالكحول مبطل للصلاة ام لا نرجوكم إفادتنا بلسان منار الاسلام ونشكر لكم سلفاً

(ج) النجاسة هى ما تستقذره الطباع السليمة وهو قسمان قسم قذارته خفيفة كالبصاق وقسم قذارته شديدة كالبول والغائط وهو النجس وقد امرت شريعتنا الغراء بالنظافة والتطهر من النجاسة واكثر ائمتنا وعلمائنا على ان الصلاة لاتصح من متنجس البدن أو الثوب او المصلَّى وقد اختلفوا فى تعداد النجاسات التى يجب اجتنابها فى الصلاة لأنه لم يرد نصٌّ من الشارع بتحديدها بالعدد للذين كانوا يدخلون فى الاسلام ويتعلمون العبادة الواجبة

ثم ينقلبون الى باديتهم التى ليس فيها علماء كحديث الاعرابى المشهور . ولم يكن فى زمن التشريع ولا فى ازمنة الائمة المجتهدين شىء يسمى الكحول فينص فيه شىء لأن علم الكيمياء لم يكن له وجود . ونسمع عن كثير من الناس القول بنجاسة الكحول ونجاسة كل ما فيه شىء منه ويحتجون على هذا بانه هو سبب الاسكار فى الخمر وهى نجسة عند اكثر أئمة المسلمين وعلمائهم وهذا الاستنباط والاجتهاد معارض بوجوه

(اولها) انه لادليل على نجاسة الخمرة نفسها فى اللغة ولا فى الكتاب والسنة وقوله تعالى « إِنما الخمر والميسر والانصابُ والازلام رجسٌ من عمل الشيطان » لايدل على نجاستها لأن الرجس مع كونه ليس نصاً فى النجاسة محمول عليها وعلى الميسر والانصاب والازلام وهذه الاشياء غير نجسة بالاجماع . هذا ما يقال لمن يسلك فى القول بالنجاسة مسلك الاجتهاد والاستنباط

(٢) سلمنا ان الخمر نجسة تقليداً للقائلين بذلك من غير ان نعرف لهم دليلاً مقنعاً لكننا لانسلم ان العلة فى نجاستها وجود هذه المادة الكيماوية فيها لان هذه المادة ليست قذرة تعافها النفوس السليمة فتكون هى الجزء النجس بل هى من المطهرات التى تزيل ما لا يزيله الماء مع الصابون من الاقذار والنجاسات . ولان هذه المادة لم تكن معروفة للمجتهدين الذين قالوا بنجاسة الخمر ولأن احكام دين الفطرة مبنية على الامور الظاهرة لجميع اصناف الناس الذين دعوا اليه لا على دقائق العلوم الطبيعية المختصة بصنف من الناس

(٣) اذا كانت رجسية الخمرة ونجاستها معنوية كما هو الظاهر على

حد « انما المشركون نجس » لتأكيد اجتنابها والبعد عنها فلا تعلق لهذه المسئلة بالصلاة الا من حيث اجتناب قرب الصلاة للسكران وان كانت نجاستها حسية كما هو المعروف عن الفقهاء القائلين بذلك بمعنى انه يجب تطهير الثوب والبدن اذا أصابه شيء منها فالأمر لا شك تعبدي والتعبدي لا يبحث في علته ولا يقاس عليه وانما يمتثل فيه ظاهر النص

(٤) ان هذا الكحول يوجد في غير الخمرة من الاشربة والادوية والاعطار القديمة غير الافرنجية وغير ذلك فاذا كان قولهم ان كل ما فيه مادة الكحول نجس فعلينا ان نحكم الكيماويين في معرفة انواع النجاسة المحرّمة شرعاً ونأخذ بأقوالهم وان كان لا يسلم لنا شيء من النجاسة

(٥) اذا قالوا ان الخمر نجسة العين فاللازم في اتباعهم اجتناب هذا الشراب المسكر الذي يسمى خمراً والتطهر منه وليس علينا ان نحلل بسائطه ونقول ان كل عنصر منه يوجد في شيء آخر نحكم على ذلك الشيء بحكمه لان جزء نجس العين نجس فان هذه فلسفة لا تليق بالحنيفية السمحة ولان الاحكام انما هي على هذه المركبات وهذا العطر ليس خمراً

(٦) ان النجاسات المجمع عليها كبول الانسان وغائطه مركبة من عناصر كيماوية توجد في كل طعام وشراب وانما القذارة من التركيب المخصوص على النسب المخصوصة

(٧) المعروف في محاسن اصول الشريعة ان الاحكام تدور مع العلل وجوداً وعدماً فاذا حرمت الاشربة المسكرة التي كانت في زمن التشريع وسميت خمراً فلا شك ان الاشربة التي اخترعت بعد ذلك كالكنياك لها حكمها . وجاء النص بحل الخل الذي كان خمراً وحكم الائمة

القائلون بنجاسة الخمر بطهارتها اذا تخللت لان المفسدة التي كانت فى هذا المائع واقتضت اجتنابه قدزالت فايّ معنى للتضييق على المسلمين بمنعهم من الانتفاع به . وكذلك جلود الميتة اذا دبغت تطهر للأمن من نتنها وفسادها. وانقلاب العين ودخول النار من المطهرات فى مذهب الحنفية فاذا طبخ الصابون بالزيت النجس يكون طاهراً فكيف لا يكون العطر الذى فيه الكحول طاهراً

(٨) ان الطيب ضد القذر والنجاسة هى القذارة الشديدة ومن البلاء ان نغلو فى الدين ونتعمق بالتفلسف فيه حتى نعطي الضد حكم ضده بل نجعله منه فهذه الاعطار والطيوب الافرنجية ليست خمراً ولا قذراً ولانعرف أيضاًعن ائمة الدين قولاًبتحريم شيء لعلل فلسفية وتحليلات كيماوية

(٩) قد ثبت فى الكيمياء ان هذا الكحول يوجد فى غير هذه الاعطار من الاكل والشرب والدواء لا سيما المتخمر منها كالعجين وغيره كما تقدم فاذا حكمنا بنجاسة كل ذلك نوقع الامة فى اشد الحرج والحرج كله منفي بالنص ولا مرجح للقول بنجاسة هذهالاعطار دون غيرها . هذا واننا نرى كثيراً من اهل العلم يتعطرون بهذه الطيوب بعلة انها مجهولة الاصل وان قول الكيماويين غير معتبر شرعاً . وعندنا ان قول الكيماويين يقيني لأنه مبني على المشاهدة ومتواتر عنهم بالنسبة الى غيرهم

لا شك ان السائل سألني عن بيان رأيي فى هذه الاعطار وعن مدركي فيه وقد بينته له بحسب فهمي فى الدين ومعرفتي باحكامه فان اصبت الحق فبتوفيق الله تعالى وفضله وان اخطأت فلا بدع ان يخطئ غير المعصوم وقد بذلت طاقتي وجهدى فى معرفة الحق والله غفور رحيم

آثار علمية ادبية

تنشر في هذا الباب نبذاً وجيزة من الفنون الطبيعية بعبارة سهلة التناول على طلاب الازهر واضرابهم من الذين لا يتعلمون شيئاً من هذه العلوم ونبدأ بهذه النبذة لأحد اخواننا الفضلاء وهي :

﴿ الثلج المصنوع ﴾

تمهيد — (احوال الاجسام) أجزاء الاجسام الصغيرة جداً التي لا تقبل الانقسام بينها تجاذب وتنافر فاذا تغلب الجذب على النفور كان الجسم صلبا واذا تساويا كان سائلا واذا قوي النفور على الجذب كان الجسم غازيًّا (فى قوام الهواء) . واكثر الاجسام تنتقل من حالة الصلابة الى السيولة ومن السيولة الى الغازيّة بالحرارة وتنتقل من الغازية الى السيولة ومنها الى الصلابة بالضغط وبالتبريد فالكبريت الذى هو جسم صلب فى الدرجة المعتادة يذوب ثم يتحوّل بخاراً بالحرارة والماء الذى هو سائل فى الدرجة المعتادة يجمد بالتبريد ويصير بخاراً بالحرارة . ومتى تمدّد الجسم بالحرارة يخفّ ويتصاعد فاذا سخن الماء على النار فالدقائق التى تسخن تصعد الى اعلى الاناء ولهذه السنة الالهية فروع منها حركة الهواء واختلاف الرياح

(موازنة الحرارة) — اذا تلامس جسمان درجة حرارتهما مختلفة سرى جزء من حرارة أشدهما حرارة الى الثانى حتى تكون حرارتهما فى حالة الموازنة والشواهد على هذا كثيرة منها : اذا جلس الانسان على

كرسيّ مثلا او نام فى فراش فان شيئاً من حرارة جسمه ينتقل الى الكرسيّ او الفراش فيسخن ويحسّ به الانسان . ومنها ان الداخل فى حمام حار يحس بحرارة شديدة فاذا طال مكثه فيه ضعف احساسه بالحرارة واذا انتقل من مكانه الى آخر دونه فى الحرارة فانه يحس ببرودة . ومنها الاحساس ببرودة ماء الآبار فى الصيف وسخونتها فى الشتاء مع ان حرارته واحدة دائماً

﴿الموضوع﴾ اذا انخفضت حرارة الماء الى درجة الصفر فانه يجمد ويصير ثلجاً . فكل واسطة تخفض بها حرارة الماء الى درجة الصفر فما دونها يمكن ان تستخدم فى عمل الثلج المصنوع . واسهل الوسائط وأيسرها واقلها نفقة طريقة تحضير الثلج بواسطة غاز النوشادر . ذلك ان هذا الغاز يسيل بالضغط وتنخفض درجة حرارته الى (٤٠ تحت الصفر) فاذا رفع عنه الضغط عاد غازاً كما كان بعد ان يأخذ من حرارة الاجسام الملامسة له مايحتاجه وعلى هذه الخاصة اسس المعلم كاريه جهازه لعمل الثلج . وهو مؤلف من قدر يملأ الى ثلاثة ارباعه بمحلول النوشادر ويوضع على النار ويوضع بإزائه إناء فيه ماء وفى داخله اناء آخر على شكله فى وسط الماء مغلق من جميع جهاته وفى اعلاه انبوبة متصلة بالقدر الذى فيه محلول النوشادر . فاذا اوقدت النار تحت القدر أخذ غاز النوشادر فى الانفصال من محلوله وصعد فلا يجد طريقاً يمر منه الا الانبوبة الموصلة الى الاناء فيجتازها ويصل الى الاناء الداخل المغلق ومتى تراكم استحال الى سائل قابل للتطاير بالدرجة المعتادة فاذا نزع القدر من التنور الذى فيه النار وغمر فى ماء بارد استحال النوشادر السائل الذى فى الاناء المغلق المحيط به الماء

الى غاز ويرجع الى القدر ويذوب فى الماء الذى كان فيه اولاً فيتكون محلول النوشادر ثانياً واما الماء المحيط بالاناء الداخل فانه يجمد فى الحال ويصير ثلجاً لامتصاص النوشادر حرارته فيؤخذ الثلج ويوضع بدله ماء ويعاد العمل هكذا بقدر الحاجة

﴿ الانتقاد على مقدمة ديوان حافظ ﴾

يخطئ المتطفلون على موائد العلم والادب والكتابة فى المنظوم والمنثور فلا يلتفت احد الى خطأهم ولا يرون كلامهم أهلاً للعناية بالانتقاد واما فرسان الكلام والسابقون فى حلبة الفضل فان الناس يعدون على جيادهم الكبو والعثار ويعنون بانتقادهم ويرون فى ذلك فائدة وفخراً، وسمعة وذكراً، ومن الناس من يغلو فى النقد فيتجرّم ويتذفح ولا يرضى بجعل الهفوات من الموبقات، حتى يعد الحسنات من السيئات، ويغلو آخرون فى نقد النقد، وردّ الرد، فيجعلون الخطأ صواباً، والصدق كذاباً،

وان مقدمة ديوان حافظ فى علو اسلوبها، وانسجام تركيبها، جديرة بعناية الناقد، وموضع لحسد الحاسد، وقد انتقدها احد الكتبة فى بعض الجرائد الاخبارية فابعد فى القول، ومال كل الميل، انتقد كلامه فى وصف الشعر وقوله انه يوجد فى المنظوم والمنثور. وظاهر السياق يشهد بان حافظاً يتكلم فى روح الشعر وسرّه والغرض منه بوجه عام على طريق المبالغة الشعرية ولعمري ما الشعر الا تخيل وتصوير، يقصد به الوجدان بالتأثير، ليكون الكلام مقبولا، وما يأمر به مفعولا، وهذا هو الذي عناه سيدنا حسان ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قال له ولده :

لسعني طائر وكان لسعه زنبور قال صفه لي فوصفه بقوله «كأنه ملتفٌّ في بُرْدَيْ حِبَرَة» فقال حسان «قال ابني الشعر ورب الكعبة» والذى عناه سيدنا عمر رضى الله عنه بقوله: الشعر جزل من كلام العرب تسكن به النائرة ويبلغ له القوم في ناديهم. وهذا ما يعنيه حافظ افندى فى مقدمته

اصاب المنتقد فى تخطئة قول المقدمة «ولقد ترجل لبيت منه جيش بالاندلس» والصواب ان الجيش كان فى افريقيا وهو جيش المعز العبيدي صاحب مصر وكأن السهو جاء صاحب المقدمة من كون الشاعر اندلسيا وهو ابن هانىء فسبق قلمه ونسب الجيش الى الأندلس بدلاً من نسبة الشاعر اليها وقد علمت انه تنبه الى هذا قبل طبع المقدمة فى الديوان فاصلحه

وقد نبهته على خطأ تاريخيّ اقوى من هذا لم يذكره المنتقد لانه لا يعرفه وهو نسبة الشاهنامه الى القاآنى وقوله ان ابياتها سبعون ألفاً والصواب ان الشاهنامة للفردوسي شاعر السلطان محمود الغزنوي وابياتها ستون ألفاً وهى بمكان من البلاغة يعز الارتقاء اليه. واما القاآنى فهو شاعر متأخر مجيد

ولم يبعد المنتقد كثيراً فى مؤاخذته صاحب المقدمة على قوله «ولقد كان همُّ الشعراء فى الجاهلية مصروفاً الى التقاط الالفاظ الغريبة» الى آخره وغرض حافظ افندى ان الشعر بعد حضارة الاسلام كان احسن ديباجة واسلس عبارة واعلى معنى وهذا صحيح ولكنه بالغ فى نسبة شعراء الجاهلية الى العناية والتعمد فى التقاط الغريب حتى جعل معانيهم فى مبانيهم كالحسناء تحت الاطمار. وأقول ان الالفاظ العربية التى كثر استعمالها بعد ظهور الاسلام اكثرها من لغة قريش لأن السبب فى حفظ العربية وضبطها هو الاستعانة على فهم القرآن والاحاديث وقد صرنا نعد من الغريب

كل مالم نألفه فى الاستعمال وليس هذا بصواب . هذا ما رأيناه جديراً بالتنبيه عليه والله تعالى يقول فى كتابه العزيز « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا » فحسب حافظ افندى فخراً ان ماعد عليه أقل القليل ، وعلى الله قصد السبيل

السينوغراف — العوبة الصور المتحركة

كيف فؤادى والهوى شاغل … يهيجه المنزل والنازل
ما زلت اخفيه واخفى به … فى الناس حتى فضح العاذل
فعادنا المطل وعدنا له … رحماك فينا أيها الماطل
كل امرىء ايامه تنقضى … لا أمل يبقى ولا آمل
وما (السنوغراف) وما مثلت … الاً صدًى ينقله الناقل
تبعث فيها امة قد خلت … وتجتلى فى لندن بابل
كم مثلت من طلل ماثل … فكاد يحيي الطلل الماثل
تريك من ينأى كان قد دنا … ومن دنا كأنه راحل
كأن فيها للهوى منزلاً … فكل قلب عندها نازل
تلهو به عطبولة خاذل … وقد بكت عطبولة خاذل
وعانق العاشق معشوقه … فاجتمع المقتول والقاتل
ياليت شعري هل رؤى نائم … ام خطرات ظنها غافل
لا تضحك الجاهل فى نفسه … الابكى فى نفسه العاقل
مواعظ مثلها هازل … ورب جد جره الهازل
كالنفس ان تنس الردى مرة … فليس ينسى الأجل العاجل

يزول ما فيها الى عبرة وكل شىء غيره زائل
وهكذا الدنيا انتقاص وما يكون فيها فرح كامل

مصطفى صادق الرافعى

الاخبار التاريخية

« انتقاد جريدة الحاضرة على الجناب العالى الخديوى »

نقلت جريدة المؤيد نبذة عن بعض الجرائد الاوربية فى وصف معيشة مولانا الخديو فى مصيفه بأوربا ومنه انه يلبس فى وقت كذا قبعة صفتها كذا . فانتقدت لبس القبعة جريدة الحاضرة التونسية وذكرت حظر فقهاء الاسلام لبسها بناء على تفسيرها لها بما يلبسه الافرنج وتسميه العامة (برنيطه) ونجيب بأنه يحتمل ان تكون القبعة المذكورة كُمَّةً مما يعتاد المسلمون وغيرهم لبسه فى بيوتهم وقت الراحة والحظر الذى ذكروه مخصوص فيما جرت العادة بأن لا يلبسه الا غير المسلمين بحيث لو لبسه المسلم لاشتبه بهم . على انه ربما لبسها متنكراً لغرض صحيح . وتفصيل القول فى التشبه المذموم وغير المذموم مفصل فى مقالة نشرت فى المجلد الاول من المنار فلتراجع

« مفتى الديار المصرية فى اوربا »

وقف هذا الرجل حياته على خدمة الاسلام فى الحل والترحال والسفر والاقامة فقد كان فى السياحة الصيفية التى يظن انه يصرفها فى الراحة من عناء اعماله الكثيرة مجتهداً فى هذه الخدمة التى لا يرى لنفسه

راحة بدونها . كان فى الاستانة العلية يذاكر عظماء رجال الدولة كشيخ الاسلام وغيره فى مصلحة المسلمين واحياء علوم اللغة والدين ويبحث فى بيوت الكتب عن احسن مؤلفات السلف لاجل احيائها . وكذلك كان فى اوربا يزور مكتبات الملوك والامراء ومتاحفهم ويطلع على آثار المسلمين القديمة ومفاخرهم العظيمة ومؤلفاتهم النافعة ويقتبس منها ماشاء الله ان يقتبس وقد اطلع فى مكتبة عاهل (امبراطور) النمسا والمجر على بعض آثار الصحابة رضى الله تعالى عنهم كبعض كتب عمرو بن العاص امير مصر وغير ذلك

وقضى فى بلاد سويسره زمناً ينظر فيما كتبه الافرنج على الاسلام وما وقفوا عليه من خط المسند وما ظهر لهم فى لغة سبأ وحمير وانها لخدمة اسلامية حقيق بها من حبس نفسه على خدمة الاسلام والدفاع عنه . وقد انتهى الينا انه سافر قاصداً مصر وينتظر ان يصل فى يوم الاثنين (غداً) منحه الله السلامة ونفعنا به والمسلمين

« صدى حديث مفتى الديار المصرية مع شيخ الاسلام فى الاستانة »

طار خبر هذا الحديث فى المؤيد ثم فى المنار الى جميع البلاد الاسلامية فتلقاه العقلاء والفضلاء بالقبول ونشرته برمته الجرائد الاسلامية فى الشرق والمغرب ليعم نفعه ويعرف عامة المسلمين كما يعرف خاصتهم بان اكابر علمائهم معترفون بأن معظم بلاء المسلمين قد جاءهم من تقصير علمائهم فى خدمة الامة والملة

«قول صاحب جريدة اللواء فى الحديث»

عرف صاحب هذه الجريدة عند الخواص واهل الرأي بالتجاوز والشذوذ والافن والخطل ومع هذا لم يشذّ عن الجرائد الاسلامية

المعتبرة فى الاعتراف بصدق الحديث واصابته المرمى وقرطسته فى الهدف ولكنه لم يترك شذوذه وتجاوزه الحدود عند الكلام عليه فجعل الحديث برأيه الافين حجة على المتحدثين وسأل من لا ينظر فى جريدته من شيخ الاسلام ومفتى الديار المصرية عن خدمتهما للاسلام

أما شيخ الاسلام فصاحب اللوآء يعرف ان مولانا السلطان أيده الله بتوفيقه لم يترك له ولا للوزرآء استقلالاً بعمل يتعلق بالامة بل وضع جميع اعباء الدولة والامة على كاهله فان كان هناك تقصير فليسأل عنه صاحب الارادة والنفوذ المطلق . وياليت شعرى ماذا يقول صاحب اللواء اذا سأله شيخ الاسلام عن رأيه فى الاصلاح الاسلامي الذى ينبغى أن يعمله ؟ هل يشير عليه بمثل ما أشار على مفتى الديار المصرية بأن يترك وظيفته وينشئ مدرسة كمدرسة مصطفى كامل أو مدرسة الوطن أو مدرسة باب الخلق ! ! !

وأما مفتى الديار المصرية فقد سمع الصم نداءه بالارشاد الى الاصلاح وما العلماء إلا مرشدون وابصر العمي سعيه فى خدمة الازهر الشريف والجمعية الخيرية الاسلامية التى لها عدة مدارس كل واحدة منها خير من جميع المدارس الاهلية وجمعية احياء العلوم العربية واعترف المكابرون مع المنصفين بمروءته وبذل جاهه وماله فى خدمة المسلمين فى الحكومة وغير الحكومة . ومن اعماله القريبة تقريره فى اصلاح المحاكم الشرعية الذى اجمع على استحسانه العلماء والفضلاء وجزموا بانه لم يحاب الحكومة فى اظهار خطأها وانه شخص الداء وبين الدواء ووصف طريق العلاج . ولكن صاحب اللواء فى مصر لا يسمع ولا يبصر ، ولا يحس بهذا كله ولا يشعر ،

عرّض هذا الانفجانيّ المتذقّح بذكر الفتنة العرابية ويا ليته كان يعرف حقيقة الفتنة العرابية ويعرف المتهورين فيها والناصحين لهم بالاعتدال. هو لا يعرف ولا يحب ان يعرف واذا احب فليسأل العارفين، وليراجع كتابة الكاتبين، وعند ذلك تظهر له مزية من عرّض به ان كان من المنصفين، يظهر له ان هذا الرجل الكبير العقل البعيد الرأي كان ينتقد اعمال عرابى وتهوره فى جريدة الوقائع الرسمية فى القسم الادبى منها على حين ترتعد فرائص قصر الخديوية من عرابى وحين يرى هذا المنتقد الشجاع ان رئيس النظار ينزل من ديوانه بأمر عرابى مكرهاً ويسمع من اتباعه ما يكره. وتظهر له تلك الخطبة التى خطبها هذا الرجل العظيم فى زعماء الثورة العرابية عند ما الزموه بحضور مجتمعهم وان يقوم فيهم خطيباً. ماذا كان موضوع خطبته؟

كان موضوعها بيان تاريخي بان المعهود فى سير الامم وسنن الاجتماع ان القيام على الحكومات الاستبدادية وتقييد سلطتها والزامها بالشورى وبالمساواة بين الرعية انما يكون من الطبقات الوسطى والدنيا اذا فشا فيهم التعليم الصحيح والتربية النافعة وصار لهم رأي عام وانه لم يعهد فى امة من امم الارض ان الخواص والاغنياء ورجال الحكومة يطلبون مساواتهم بسائر الناس وازالة امتيازاتهم واستئثارهم بالجاه والوظائف ومشاركة الطبقات الدنيا لهم فى ذلك فكيف حصل فى هذه المرة ومن أهل هذا المجتمع؟. (قال) فهل تغيرت سنة الله فى الخلق وانقلب سير العالم الانساني؟ أم بلغت الفضيلة فيكم حداً لم يبلغ اليه احد من العالمين حتى رضيتم واخترتم عن روية وبصيرة ان تشاركوا سائر امتكم فى جاهكم ومجدكم وتساوون الصعاليك

حباً بالعدالة والانسانية ؟ أم تسيرون الى حيث لا تدرون وتعملون ما لا تعلمون ؟ وامثال هذا الكلام الذى فهمه بعضهم فطفقوا ينغضون رؤسهم وعلا على افهام الآخرين

هذا ما قاله الشيخ محمد عبده فى اعظم مجتمع لرؤساء العرابيين ولو كانوا يعقلون لرجعوا به الى رشدهم ولكن الامة لم تكن استعدت لفهم ارشاد هذا الحكيم فى ذلك الوقت ولما تستعد الى الآن اللهم الا نفراً من فضلاء النابغين هم محل الرجاء لنهضة المسلمين ولهذا الاستاذ ان يتمثل بقول ابن الفارض رحمه الله تعالى

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الاهواء عمّت فأعمت

ومما اضحك الناس من كلام صاحب اللواء نصحه لمفتى الديار المصرية بان يترك وظائفه ويشتغل بتأسيس مدرسة وطنية وقالوا ان هذا القول حجة لاصحاب المقطم فيما يلقبونه به . سبحان الله : هل كان يخطر فى بال عاقل ان صاحب جريدة يطيع وسواسه فى كتابة مثل هذه الكلمة ويقول لرجل يخدم الازهر وهو اكبر مدرسة فى العالم ويرأس جمعية لها عدة مدارس بان يترك وظائفه وهي الافتاء والازهر والاوقاف والجمعية الخيرية وجمعية احياء العلوم العربية والشورى واصلاح المحاكم ويبنى مدرسة اهلية كمدرسة مصطفى كامل ينفق عليها من الاستجداء والنصب فانه اذا ترك وظائفه لا يبقى له مال يكفى لنفقات بيته ونفقات المدرسة

« اصلاح عظيم فى مدرسة خليل أغا »

اجتمع مجلس الاوقاف الاعلى فى يوم الثلاثاء الماضى برئاسة صاحب السعادة الفاضل عبد الحليم باشا عاصم واتفق على انشاء قسم فى مدرسة

خليل آغا يسمى القسم الخاصّ يعلم فيه التفسير والاخلاق والخطابة ولوازمها ويكون منه خطباء وائمة المساجد فى القطر المصري ويؤخذ بعض تلامذته من نجباء المجاورين فى الازهر الشريف . وهذا اعظم اصلاح تقوم به هذه المدرسة بدلاً من الازهر . واتفق على انشاء قسم تجهيزي فيها من ابتداء سنة الدراسة وهو شهر اكتوبر الآتى . وعلى انشاء قسم صناعي تعلم فيه الصنائع النافعة يستعدّ له فى هذا العام استعداداً ويرجى ان ينشأ فعلاً فى العام الآتى حقق الله ذلك . وعلى قبول مائة تلميذ فى القسم الابتدائي من المدرسة بنفقات قليلة زيادة على تلامذتها الذين يعلمون كلهم مجاناً . وعلى اعطاء جميع ادوات التعليم وكتبه لفقراء اليتامى من التلامذة . وعلى زيادة مرتب النّبه الفاضل عزتلو حسن بك صبرى مفتش المدرسة ومدير نظامها والاستاذ الفاضل الشيخ حسن منصور معلم الدين والعربية فيها وبعض المستخدمين . جعل الله هذه المدرسة ينبوعاً من ينابيع السعادة لهذه البلاد بهمة القائمين بشؤنها وعنايتهم وجزاهم الله تعالى على سعيهم افضل الجزاء

« اسلام بيت من الفرس فى الهند »

كتب الينا أحد اصدقائنا من علماء الهند الفضلاء بأن بيتاً من بيوت الفرس فيه ستة نفر تركوا الملة الزرادشتيه وتشرفوا بالدخول فى الملة الحنيفية وقد سبقهم الى ذلك اهل بيت آخر من اقاربهم المثرين منذ عامين . وان بيوتاً أخرى منهم عازمة على الدخول فى الاسلام ومنها من أسلم ولكنه يكتم اسلامه لاسباب دنيوية — كل هذا بدون دعوة ولا ترغيب ولا ترهيب وانما هو محض الاقتناع بحقية الاسلام . وههنا يشدّد صاحبنا النكير على علماء المسلمين لاهمالهم الدعوة الى الاسلام وتربية امة

من طلاب علوم الدين على ذلك وتعليمهم ما يحتاج اليه ولا نذكر ما كتبه لاننا وفينا هذا الموضوع حقه من قبل . ولكننا نذكر كلمة قالها فى اغنياء المسلمين المقصرين فى خدمة الاسلام وهى :

« ومن أشد ما يتأسف عليه ان الاغنياء منا مع انهم يبذلون الوفا بل مئات الالوف فى استيفاء اللذات الحيوانية ، والمشتهيات الشيطانية ، والمغالاة فى الأعراس والوليمات ، ويعطون اموالاً كثيرة للقحاب والغانيات ، لا يتحرك فيهم عرق الحميَّة ، والغيرة الاسلامية ، اذا رأوا انساناً كان معزَّزاً فى قومه مرفه الحال يسلم فيموت جوعاً أو يضطر الى الشحاذة رغم انفه فيجلب رزءاً فوق رُزْء ويجعل الدين منه عرضة التهم . هذا حال المسلمين والمسيحيون قد يبذلون لاشاعة دينهم فى كل سنة الوفاً وملايين ويرسلون الوفود والدعاة الى اقطار الارض من الغرب الى الشرق ومن القطب الى القطب ويتحملون النفقات التى لا تحصى والمشاق الشديدة على انهم قلما يحصلون على طائل فى ترويج بضاعتهم . فليت المسلمين ينتبهون للقيام بهذا الواجب الأهم ، والتعاون عليه بفضل قلم اوقدم ، وبذل دينار او درهم : اتقوا النار ولو بشق تمرة . و « ما على المحسنين من سبيل »

« وفاة الطبيب عبد المجيد خان حاذق الملك الدهلوى »

نعت الينا المكاتبات الخصوصية من الهند وفاة هذا الطبيب النطاسي الشهير والعلامة الكبير . وعلمنا ان تأثير فقده كان عظيماً فى الممالك الهندية . ورث الفقيد هذه الصناعة عن أبيه وجده وبرز فيها على الاقران علماً وعملاً ولقبته الدولة البريطانية بحاذق الملك وكان صدر الجمعية الطبية فى

دهلى وكان يعلم الطب والتشريح « ويعطي الطلاب الفائزين فى الامتحان ما استحقوه من الاسناد » وممن رثاه صديقنا العالم الاديب الشيخ احمد الجيتكر رحمه الله تعالى

« حيل الافرنج وخياناتهم »

جاءنى فى العام الماضى رجل فرنسوي وألحّ عليّ بالاشتراك في كتاب (الدليل المصرى) الذى يؤلفونه بالفرنسوية فأبيت عليه أولاً لعدم حاجتي الى الدليل فى مصر وعدم انتفاعي بذكر ادارة المنار فيه اذ لا غرض لي فى معرفة الافرنج بها فألحّ كثيراً حتى اجبته فأخذ منى نصف ريال مصري سلفاً واعطاني وصلاً ثم جاءنى بالكتاب بعد طبعه واخذ نصف ريال آخر تتمة ثمنه . ثم جاءنى بعد مدة وقال انه اختلف مع بعض المحامين فى ذكر اسمه فى الكتاب ويحب ان يستعيره مدة خمس دقائق ليطلعه على اسمه فصدقته واعطيته الكتاب فأخذه ومر شهر فى اثر شهر ولم تنقض الخمس الدقائق لان دقائق المحتالين لا نهاية لها فتعساً لمصري يثق بهؤلاء الافرنج ويأتمنهم

« كلمة جريدة مع فضيلة شيخ الازهر »

كتبت جريدة أسبوعية مقالة تخاطب بها شيخ الازهر وتنذره بانها « تعرف ان تُسمع كلامها فى محلات اخرى اذا كان ثمت مشاغل عند فضيلته » وتذكر له ان وظيفته لاتنحصر فى ادارة الازهر بل تعطيه حق النظر العام على كل ما يخالف الشرع من الامور التي ابتعد عنها القانون . وعلى هذا لا بد لمشايخ الازهر من الاطلاع على القوانين ليعرفوا اختصاص وظيفتهم . ثم تذكر اهانة قراء القرآن الكريم له بالتغني به والاستجداء

بقراءته حتى فى الطرق وتقول فى إثر ذلك «فاغضاء فضيلتكم على عدم منع هاتيك المخازي المشوشة لوجه الدين مما تقوى حجة خصومكم ولا تمكن جريدة مثل هذه من الدفاع الواجب عليها بالنسبة لعالم عظيم مثل فضيلتكم» وما كنا نعلم قبل هذا ان لشيخ الازهر خصوماً وانه اتخذ هذه الجريدة مدافعة عنه بسببهم او يحتاج اليها لذلك . ولكننا علمنا ان بعض المشايخ القضاة الشرعيين نشر فيها نبذة بتوقيع أحد تلامذته يرد فيها على مجلة انتقدت عليه ويعظم نفسه حتى حلاها بلقب الامام وانتقص سائر علماء الازهر الكرام

ثم قالت الجريدة « يلزم فضيلة الاستاذ ان يعترف معنا جهاراً بان سيرة الازهريين ليست مقبولة ولاممدوحة » وذكر ان طلاب الازهر الذين يمثلون أحكام الشرع الاسلامي ويكونون علماء الغد « يراهم الانسان فى الجهات المسترذلة الممقوتة يتعاطون المسكرات ويصبون على المسلمين بازيائهم قبيح اللعنات » الى غير ذلك من الطعن الفاحش . ثم ذكرت انها طالما دافعت عن مركز الشيخ وقالت «لكنها لا يمكنها الصبر على ما تشاهد من طلبة الازهر (وعلمائه) ومستخدميه وقد صبرت مدة طويلة املاً فى ان فضيلتكم تأمرون بازالة المنكرات الحائمة حول الدين الاسلامي ولكنها لما لم تجد انتباهاً انتهزت فرصة » الخ

(المنار) هذا بعض ما جاء فى تلك الجريدة وقالت انه « بعض من كل » والناظر فيه يتوهم ان حانات الخمر ومواخير الفحش أمست محشوة بعلماء الازهر وطلابه ومستخدميه و حاش لله ان يكون هذا صحيحاً . نعم ان صاحب تلك الجريدة اعلم منا بذلك لان عبارته تدل على انه رأى بعينه

ونحن لا نعرف تلك المواضع النجسة ولا نراها ولكننا سمعنا ان شيخاً واحداً من علماء الازهر يختلفُ اليها وانه مع ذلك لايأتى فاحشة الابتأويل وتحليل ومن ذلك ان يعقد نكاحه على بعض البغايا بشهادة بعض القوّادين! وهذا الشذوذ من رجل واحد لايصح ان يحمل على اطلاق القول فى الطعن بالعلماء ورميهم بما رمتهم به تلك الجريدة . واما المجاورون فلا شك ان من لم يترب فى بيته تربية اسلامية فان الازهر لايفيده فى التربية شيئاً لا سيما فى اول الامر لانه ليس فى الجامع الا قراءة هذه الكتب المعروفة فى النحو والفقه وغيرهما وليس فيه ملاحظة الاخلاق والآداب ولا الحمل على العمل بالعلم ومع هذا نرى طلاب الازهر أبعد اصناف الناس الذين يقيمون فى هذه المدينة الفاسقة عن السكر والفحش ولذلك اسباب منها كثرة عنائهم بالاشتغال لصعوبة طريقة التعليم وكثرة الدروس ومنها الفقر المدقع . واكثر ما ينتقد عليهم الوساخة ومهانة النفس وجفاء الطبع فى الكثيرين او الاكثرين . فاذا شذ من هؤلاء الالوف من المجاورين نفر قليل فلا يوجب شذوذهم هذا التشهير . وقد صدقت تلك الجريدة فى لومها شيخ الجامع على التغاضي عن البحث عن اخلاق الطلبة وقولها مخاطبة له: «وتزيد غرابتنا عندما نرى بعض العلماء يشاركون الطلبة فى كثير من الامور المخلة بشرف العلم كترددهم على بيوت الذوات وتملقهم البارد لكل من يظنون فيه الغنى فهل ترى فضيلتكم ان سكوتكم عن القيام بما يطلب منكم ديناً وعقلاً ممدوح من الناس»

وكنا نود لو ان هذه النصيحة ارسلت الى فضيلة الاستاذ فى كتاب مخصوص أو ألقيت اليه شفاهاً واذا مرّ زمن ولم ير لها اثر فلصاحب

الجريدة ان ينشر ذلك من غير مبالغة ولا إغراق . وليعلم صاحب هذه الجريدة ان ذلك الاستاذ الذى كان يطريه بالمدح أولا ثم صار يخوض فيه باغراء المغرورين هو الذى لا ينفك ساعياً فى حفظ كرامة اهل الازهر ومنعهم من كل مايشين ولكن بعض المشايخ يعارض الاصلاح بحجة ان هذا تحكم بالناس وسيطرة عليهم . اي ان التربية تعارض الحرية فلا حاجة اليها

وقد كتبنا ما كتبنا آسفين ولكن لم نر مندوحة عن المدافعة عن هذا المكان الشريف الذى نود ان يكون فى أعلى الدرجات . وكون الطعن مبالغاً فيه لايمنع مولانا شيخ الجامع ان يجتهد فى ان لايجعل لاحد مجالاً للكلام ، وتفويق السهام ، بل ذلك مقتض للاجتهاد ، والله بصير بالعباد

« كلمة اخرى عن فضيلة شيخ الازهر »

ينشر المؤيد مقالات فى الناشئة الاسلامية وكان منها مقالة للشيخ عبد المجيد صالح العدوى من نبهاء مجاوري الازهر ذكر فيها خلاصة اقوال كثير من الكتاب ، وكانت فى لفظها ومعناها من احسن ما كتب في هذا الباب ، وكان يظن انه يكافأ عليها من شيوخه بالتحبيذ ، لانه مما ينشط التلميذ ، ولكن اخبرنا غير واحد ان مولانا شيخ الجامع أمر باحضاره فجاء والشيخ فى ملأ من الشيوخ فامره بان يقرأ المقالة فقرأها وطفق الشيخ بنفسه يناقشه فيها وأول ما انكره عليه وصفه الأُمة الاسلامية بالتأخر والانحطاط اى بالنسبة الى ماكانت عليه وما عليه الامم الاوربية الآن . وقالوا ان مولانا الشيخ احتج على تفنيده بقوله : كيف يكون الاسلام متأخراً وهؤلاء المؤذنون يؤذنون على المنارات جهراً ولا يرميهم احد بالحجارة وها نحن نصلي ونصوم ولا يعارضنا احد . واذا صح هذا القول فلا بد لنا

ان نحمله على قصد الاختبار ليعلم هل يستطيع ذلك المجاور ان يبين حقيقة ضعف الامة الاسلامية وهذا هو اللائق بمقام الاستاذ ومنصبه

قالوا: وأنكر عليه أيضاً الكلام فى السياسة ونقول ان لم يذكر فى السياسة شيئاً ينتقد الا مسئلة عقد المؤتمر الاسلامى فى الاستانة الذى اكثر الكلام فيه بعض الكتاب عن غير بصيرة . واما حثه دولة مراكش على الاستعانة بالدولة العلية على تحسين شؤونها واصلاح أحوالها فلا نخال الاستاذ ينكره . وكنا كتبنا هذا الرأي فى بعض اعداد السنة الاولى من المنار فصادف استحساناً الا ان بعض كبار الموظفين من الاتراك كتب الينا من ازمير باننا غششنا حكومة مراكش بذلك ولا نخال الاستاذ على هذا الرأي . وقالوا انه انكر غير ذلك ما لا حاجة الى ذكره وتأويله . وقالوا انه أمر بقطع جراية الشيخ عبد المجيد ثم لم يرض بردها اليه الا بعد ان اخذ العهد عليه كتابة بانه لا يعود الى مثل هذه الكتابة فى الجرائد. وغاية هذا التضيق ان لا يخرج من الازهر من يحسن الكتابة والانشاء ولا يستقيم مع هذا تأويل

تصحيح غلط

في (س٢٠ ص٤٤٤ ج١٢) كلمة سماها والاصل سمتها . وفي (س٣ ص٤٤٥) منه كلمة الامثال وصوابها الامثلة . وفي (س٩ منها) كلمة ينتدبه والصواب يندبه . وفي (س١٦ ص ٤٧٢) منه لفظ حكمة والاصل (كلمة) . وفي (ص٤٧٨ و ٤٧٩ منه) تكرر لفظ (بوفاة) والصواب (عن وفاة) لان المفقود لا يكون معزّى به بل معزًّى عنه نبهنا على هذا الاستاذ الشنقيطى كما نبهنا على غيره من الغلط الذى يسرى الينا من استعمال الجرائد له ككلمة (الاستلفات) . وفى السطر الذى قبل الاخير من الصفحة الاولى من هذا الجزء كلمة حاجتهن وصوابها (حاجتهم) ومن غلطه سقوط لفظ (اضرحة) من (س٢ ص٤٨٣) ومحله قبل كلمة (الانبياء) ومنه لفظ (للرجال) في (س٩ ص٤٨٥)وصوابه للرجل . ولا يخفى ان س رمز للسطر وص للصفحة وج للجزء

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الألباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿مصر في يوم الاثنين ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣١٩ — ٢٩ سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٠١﴾

المحاورة العاشرة بين المصلح والمقلد

﴿ الاخذ بالدليل . ونهي الائمة عن التقليد ﴾

هذا آخر مجلس حضره المقلد الثاني او المناظر الثالث مع المصلح والمقلد وهو الذي بدأ بالسؤال فقال

(الثالث) : قلت ان وقتي قصير هنا وانني مسافر غدا او بعد غد واحب ان ابدي بقية ما عندي من الدلائل على جواز التقليد بل وجوبه على العاجز عن الاجتهاد واحب ان أعرف بعد ذلك ما يدور بينكما من المباحث وان أقف على رأى حضرة الفاضل (واشار الى المصلح) في الوحدة الاسلامية فيما عدا العبادات من أحكام الشرع . وارى ان من اقوى الادلة على التقليد في العبادات قول العلماء من أهل الصدر الاول ان العاميّ لا مذهب له وانما مذهبه مذهب مفتيه وفتوى المفتي في حقه بمنزلة الدليل . واما قولك السابق في الجواب عن عوام اهل الصدر الاول انهم كانوا يأخذون بقول المفتي من باب الرواية لانهم كانوا يسألون عن حكم الله تعالى فيجابون اما بالكتاب واما بالسنة فيعملون بذلك وهو غير تقليد فهو غير مسلم لوجهين

(أحدهما) ان المجيب اذا ذكر الآية او الحديث فى الجواب فان السائل لا يفهم الا اذا كان عربيّ الاصل ولم يكن كل مسلم كذلك . و (ثانيهما) ان المجيب اذا لم يجد فى المسئلة آية ولا حديثاً فلا مندوحة له عن القياس وهو رأيٌ وعمل المستفتي به تقليد

(المصلح) : ثبت عن الأئمة المجتهدين القول بمنع الفتوى بغير دليل وقد علمت انى لا اسمي من يأخذ الحكم بدليله مقلداً وانما اسميه راوياً او متعلماً او مسترشداً وليس هذا بممنوع ولا يعد صاحبه مقصراً فى فهم دينه والبصيرة فيه بل تركه هو التقصير اذ المرء لا يولد عالماً وقد ورد « العلم بالتعلم والحلم بالتحلم » ولا فرق فى هذا بين ان يسمع الآية اوالحديث فيفهم المعنى بنفسه وبين أن يستعين على الفهم بالراوي او غيره فكله من الاجتهاد فى فهم الدين والبصيرة المطلوبة فيه . واما القياس فقد علمت انني امنعه فى العبادات المحضة ولا تستطيع ان تثبت لى ان احد الأئمة المجتهدين حمل الناس على الاخذ بقول له مبنيٍّ على قياس فى العبادات المحضة من غير ان يفهموا ذلك القياس ويقتنعوا به على ان المجتهد يخطئ كما هو معلوم من الاختلاف . ولمتبع الدليل ان يرد بعض ما نقل عن المجتهدين اذا قام الدليل على بطلان ذلك لانه مجتهد مثل الذي رد قوله . بل نقل عن العلماء المنتسبين للمذاهب انهم خالفوا أئمتهم فى بعض المسائل لان الدليل قام عندهم على خطأهم او ضعف دليلهم . وعلماء الشافعية اكثر العلماء استدراكاً على امامهم لعلمهم بانه كان يأمر باتباع الدليل ولانهم اعلم المسلمين بالكتاب والسنة

قال العلامة البغويّ الشافعي فى فاتحة شرح السنة : وانى فى اكثر ما اوردته بل فى عامته متّبع الا القليل الذي لاح لي بنوع من الدليل في

تأويل كلام محتمل أو ايضاح مشكل او ترجيح قول على آخر . وهذا يدل على انه ما سلم فيما اتّبع فيه الا لرضاه بدليله . وقال فى « باب المرأةُ لا تخرج الا مع محرم » : وهذا الحديث يدل على ان المرأة لا يلزمها الحج اذا لم تجد رجلاً ذا محرم يخرج معها وهو قول النخعي والحسن البصري وبه قال الثوريّ واحمد واسحق واصحاب الرأي وذهب قوم الى انه يلزمها الخروج مع جماعة النسآء وهو قول مالك والشافعي والأول اولى بظاهر الحديث . واستدرك البيهقيّ وهو شافعي على امامه فى لبس المعصفر إذ صح عنده حديث ابن عمر فيه

واستدرك الغزالىُّ على امامه الشافعي فى مسئلة المآء اذا كان دون القلتين ووقع فيه نجاسة لم تغيره وأطال فى الاحيآء القول فى ترجيح عدم النجاسة والميل الى موافقة مالك مع انه يلتزم فى احكام الاحيآء مذهب الشافعي

ورجح النوويّ جواز بيع المعاطاة وكون نجاسة الخنزير كسائر النجاسات لا يجب غسلها سبع مرات احداهن بالتراب

ومن طالع الكشاف يرى الزمخشريّ يخالف مذهبه الحنفي فى مسائل اتباعاً لما فهمه فى القرآن منها مسئلة الصعيد الذى يتيمم فيمسح منه . مذهب أبي حنيفة انه وجه الارض وان صخرا قال الزمخشري : فان قلت فما تصنع بقوله تعالى فى سورة المائدة « فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه » أي بعضه وهذا لا يتأتى فى الصخر الذى لا تراب عليه ؟ قلت قالوا : ان من لابتدآء الغاية . فان قلت : قولهم انها لابتدآء الغاية قول متعسَّفٌ ولا يفهم من قول العرب مسحت برأسي من الدهن أو من التراب ومن

الماء الا معنى التبعيض . قلتُ هو كما تقول والاذعان للحق أحق من المراء ومثل هذه المخالفات والاستدراكات كثير عن اكابر العلماء ولو جرى جميعهم على هذه الطريقة القويمة لتحررت المذاهب وزال الخلاف الضارّ وتحققت الوحدة الاسلامية ولكن الآراء والاهواء لا يمكن ان تتفق بنفسها فلا بد من الوازع . والوازع فى مثل هذا المقام هو خليفة المسلمين ولكن الخلافة ضعفت فى آخر زمن الراشدين وزالت بزوالهم بل صارت ملكاً عضوضاً كما ورد فى الحديث فأصبحت علوم الدين فى فوضوية ادت الى هذا الهلاك والبوار الذى نشكو منه . ولا يتأتى للخليفة ان يجمع الكلمة ويزيل الخلاف الا اذا كان اماماً مجتهداً . ولنقف عند هذا الحد فقد جمح اللسان حتى كدنا نخرج عن المقصود

(الثالث) : نقل عن الامام ابي يوسف انه ليس للعاميّ العمل بالحديث بل عليه الاقتداء بالفقهاء وانت تقول ان أبا يوسف مجتهد مطلق نعم انهم قالوا انه اراد الجاهل الصرف الذي لا يفهم معنى النصوص ولا يعرف الناسخ والمنسوخ وغير ذلك . ولا أحتج بهذا على اصل التقليد فقد علمت انك لا تأخذ فيه ولا بقول المجتهد وانما اعارض قولك ان المأثور عن الائمة هو النهيُ عن اتباعهم وتركِ الاخذ بالكتاب والسنة . وقد علمنا عنك انك تلوم علماء العصر لاخذهم بالتقليد والتزام كل طائفة منهم اماماً واحداً وتقول انهم اتبعوا فى هذا الصنيع اقوال المقلدين من الفقهاء وانهم لو اتبعوا الائمة لعذرتهم وقد بينت لك الآن انهم اتبعوا فى ذلك اماماً مجتهداً

(المصلح) : المعروف عن العلماء المتقدمين ان الناس صنفان علماء

باحثون ويجب عليهم اتباع الدليل وعوام لا يفقهون ويجب عليهم اتباع الفقهآء من غير التزام واحد بعينه وهذا هو معنى قولهم مذهب العاميّ مذهب مفتيه والمشهور عنهم انه لا يجب عليه التزام مفتٍ واحد بل يسأل من يعنّ له . وقالوا انه يعمل بظاهر الحديث (والقرآن بالاولى) ولم ينقل عن الائمة خلاف فى هذا الا عن ابى يوسف من ائمتكم .

جاء فى مبحث صوم المحتجم من كتاب الهداية : ولو احتجم فظن ان ذلك يفطر ثم اكل متعمداً عليه القضاء والكفارة لان الظن ما استند الى دليل شرعي الا اذا افتاه فقيه بالفساد لان الفتوى دليل شرعي فى حقه ولو بلغه الحديث واعتمده فكذلك عند محمد (بل وابى حنيفة) لان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينزل عن قول المفتى . وفى الكافى والحميدي ولا يكون أدنى درجة من قول المفتى وقول المفتى يصلح دليلاً فقول الرسول أولى وقول ابى يوسف خلاف ذلك . وقد اجابوا عن أبى يوسف بأنه اراد العاميّ الصرف الجاهل الذى لا يفهم معنى الحديث كما فى السافري والحميدي . أي كعامة الفلاحين فى زماننا اذا سمع الحديث من الناس ولم يسمع تفسيره . وأما الأئمة الاربعة فقد نقل عن كل واحد منهم الامر بتقديم الحديث على قوله . وما اهان الكتاب والسنة الا بعض المتفقهة المتأخرين حتى تجرأ بعض من يسمون اليوم علمآء على القول بأن من يقول اعمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو زنديق وما الزنديق الا من يختار على كلام الله ورسوله كلام غيرهما بعد ان يعرفهما

(المقلد) : كنت اقترحت عليك فى المجلس الماضي ان تبين لنا رأيك فى الوحدة الاسلامية فى المعاملات والاحكام الدنيوية ثم نعود الى المناقشة

فى الاجتهاد والتقليد وذكر ما عندنا وما عندك فى ذلك والآن اوافق صديقي فى مطالبتك بنصوص الأئمة فى النهي عن التقليد لعلنا نسلم لك بعد ذلك ما تقول تسليماً

(المصلح) : انى استحضر الآن بعض هذه النصوص ويسهل على ان استقصيها بالمراجعة فى الكتب ان شئتم

(المقلد . والثالث معاً) : اذكر لنا ما تستحضره الآن فلعل فيه غناء

(المصلح) : اما ابو حنيفة فقد نقل عنه انه كان يقول : لا ينبغي لمن لم يعرف دليلي ان يفتى بكلامي . وممن نقل عنه هذا العلامة ولىّ الله الدهلوي المتوفى سنة ٨٠٠ فى (عقد الجيد فى احكام الاجتهاد والتقليد) والشعراني فى اليواقيت والميزان .

وقال الفقيه ابو الليث السمرقندي : حدثنا ابراهيم بن يوسف عن أبى حنيفة انه قال « لا يحل لاحد ان يفتى بقولنا مالم يعلم من اين قلنا » وروى عن عاصم بن يوسف أنه قيل له انك تكثر الخلاف لابى حنيفة فقال ان أبا حنيفة قد اوتىَ ما لم نؤت فادرك فهمه ما لا ندركه ونحن لم نؤت من الفهم الا ما أوتينا ولا يسعنا ان نفتي بقوله مالم نفهم من اين قال . وروي عن عصام ابن يوسف انه قال كنت فى مأتم فاجتمع فيه اربعة من اصحاب ابى حنيفة زفر بن الهذيل وابو يوسف وعافية بن يزيد وآخر فكلهم اجمعوا على انه لا يحل لاحد ان يفتى بقولنا مالم يعلم من أين قلناه . اه وقد اورد هذا الشيخ صالح بن محمد العمري المحدث الشهير بالفلانى استاذ الشيخ محمد عابد السندي المحدث الشهير وقال ان هؤلاء الأئمة لا يبيحون لغيرهم ان تقلدوهم فيما يقولون بغير ان يعلموا دليل قولهم وهذا الذى ذكره ابو الليث

نقل فى خزانة الروايات مثله عن السراجية وغيرها اه

وفى روضة العلماء الزندويسية فى فضل الصحابة قيل لابى حنيفة اذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولي بكتاب الله فقيل اذا كان خبر الرسول صلى الله عليه وسلم يخالفه فقال اتركوا قولى لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل اذا كان قول الصحابة يخالفه قال اتركوا قولي لقول الصحابة .

وقال ابن الشحنة فى نهاية النهاية : وان كان — اى ترك الامام الحديث — لضعف فى طريقه فينظر ان كان له طريق غير الطريق الذى ضعفه به فينبغي ان تعتبر فان صح عمل بالحديث ويكون ذلك مذهبه ولا يخرج مقلده عن كونه حنفياً بالعمل به فقد صح عنه انه قال « اذا صح الحديث فهو مذهبي »

ونقل الشعراني عنه انه كان يقول اذا افتى بقول : هذا رأي النعمان ابن ثابت — يعني نفسه — وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاء باحسن منه فهو اولى بالصواب

هذا ما كان يقوله هذا الامام الجليل رحمه الله تعالى ولم يبحث ويستنبط ليصرف المسلمين عن الكتاب والسنة الى اقواله وانما بحث واستنبط ليعلمهم طرق الفهم والاستنباط من الكتاب والسنة فهل يصح لمدعي اتباعه ان يحظر النظر فى الكتاب والسنة لاجل العمل بهما اتباعاً لبعض المقلدين المتأخرين كابن عابدين واضرابه وهل يكون بهذا مهتدياً بهدي أبى حنيفة ومتبعاً له ؟ ؟ نعم ان هؤلاء المتأخرين نقلوا عن أمثالهم ان العمل بالفقه لا بالحديث « إنْ يَتَّبِعُونَ الا الظنَّ وما تهوى الأَنفس ولقَدْ

جاءهم من ربهم الهدى » ومن البلاء ان لا يقتنع المسلم بانه يجوز له او يجب عليه العمل بكتاب الله وسنة رسوله اذا هو فهمهما وانه يجب عليه ان يفهم مايفترض عليه فهمه منهما الا اذا جئناه بنقل عن العلماء بان ذلك جائز اوواجب .

ويعجبني قول الظهيرية من كتبكم في الرد على من يقول ان العمل بالفقه لا بالحديث فقد بينت فساد هذا القول وما أُوِّلَ به من كونه مخصوصاً بالعوام الذين هم كالهوام لا يميزون بين صحيحه وضعيفه وموضوعه ونسبتُهُ الى سوء الأدب ووسمته بالشناعة والبشاعة وقالت « انه لا يصدر عن عاقل ، فضلاً عن فاضل ، ولو قيل بالتوجيه الذى ذكرناه ان العمل بالفقه لا على الحديث لقال قائل بعين ذلك التوجيه ان العمل على الفقه لا على الكتاب فان العامي لا يفهم شيئاً من الكتاب ولا يميز بين محكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه ومفسره ومجمله وعامه وخاصه وغير ذلك من أقسامه فصح ان يقال ان العمل على الفقه لا على الكتاب والحديث وفساده اظهر من ان يُظهر ، وشناعته اجلى من ان تستر ، بل لا يليق بحال المسلم المميزان يصدر عنه امثال هذه الكلمات على ما لا يخفى على ذوى الفطانة والدراية . واذا تحققت ما تلوناه عليك عرفت انه ان لم يكن نص من الامام على المرام (١) لكان من المتعين على اتباعه من العلماء الكرام ، فضلاً عن العوام ، ان يعملوا بما صح عن سيد الانام ، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ، ومن أنصف ولم يتعسف ، عرف ان هذا سبيل اهل التدين من السلف والخلف ، ومن عدل عن ذلك ، فهو هالك ، يوصف بالجاهل المعاند المكابر ، ولو كان عند الناس من الاكابر . » اهـ

(١) يريد انه لولم يأمر الامام بترك قوله للحديث لوجب تركه فكيف وقد أمر

وقال ملا على القارئ فى رسالته فى اشارة المسبحة : وقد أغرب الكيدانى حيث قال « العاشر من المحرمات الاشارة بالسبابة كأهل الحديث » اى مثل جماعة يجمعهم العلم بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا منه خطأ عظيم ، وجرم جسيم ، منشأه الجهل بقواعد الاصول ، ومراتب الفروع من المنقول ، ولولا حسن الظن به ، وتأويل كلام سبيه ، لكان كفره صريحاً ، وارتداده صحيحاً ، فهل لمؤمن ان يحرم ما ثبت فعله عنه صلى الله عليه وسلم مما كاد نقله ان يكون متواتراً ، ويمنع جواز ما عليه عامة العلماء كابراً عن كابر مكابراً ، والحال ان الامام الاعظم ، والهمام الاقدم ، قال لا يحل لاحد ان يأخذ بقولنا ما لم يعلم مأخذه من الكتاب والسنة واجماع الامة والقياس الجلى" فى المسئلة . فاذا عرفت هذا فاعلم انه لو لم يكن نص للامام على المرام » وساق ما تقدم آنفاً على سبيل التضمين فلا نعيده

(الثالث) : حسبي هذا فقد اقتنعت بأن من صح عنده حديث يجب عليه ان يعمل به وان خالف المذهب . ولكن يحتمل ان يكون الحديث منسوخاً

(المصلح) : هذا الاحتمال لاتأثير له فمعرفة الاحاديث المنسوخة ايسر من معرفة الاقوال التى رجع عنها الامام لانها أقل والعناية ببيانها كانت اكثر كما ان معرفة الرواية الصحيحة من غيرها فى الحديث اسهل منها فى أقوال الامام . ولوصح ان يكون الاحتمال مانعاً لما كان لنا أن نعمل الا بالمتواتر المجمع عليه . والصواب ما قلناه سابقاً من ان هذا هو الذي لا مندوحة عن العمل به وهو ضابط الوحدة الاسلامية فى الدين والامر فى غيره سهل والاحتياط الأخذ بما صح فى السنة . ثم انصرفوا على موعد

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

ملخص مما املاه في الازهر مولانا الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة الشيخ محمد عبده مفتي افندى الديار المصرية

« يا أيها الناسُ اعبدُوا ربكمُ الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذى جعل لكم الارضَ فراشاً والسماءَ بناءً وأنزَل من السماءِ ماءً فاخرجَ به من الثمراتِ رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون »

تقدم ان الراجح فى الناس المنادَين عموم المكلفين بالايمان ووجه الاتصال بين الآية وما قبلها . اى « يا أيها الناس » الذين يدعون الايمان بالله قولاً بافواههم ولم يمس الايمان سواد قلوبهم ولا كان له سلطان على أرواحهم ويدعون الايمان باليوم الآخر ولم يستعدوا له بتهذيب نفوسهم وإِصلاح اعمالهم وانما يأتون ببعض صور العبادات بحكم العادة الموروثة وقلوبهم مشغولة عن الله الذي لا تفيد العبادة الا بالتوجه اليه وابتغاء مرضاته والشعور بعظمته وجلاله فهم يخادعون الله بهذه الظواهر التى لا معنى لها والصور التى لاروح فيها وإِنما يخدعون فى الحقيقة انفسهم لان اعمالهم هذه لاتفيدهم فى الدنيا ارتقاء ولا تنجيهم فى الآخرة — ويا ايها الناس الذين لم يُرْزَؤا بهذا الخذلان ، ولم يبتلوا بهذا الافتتان ، سواء كانوا من اهل الكفر أو من اهل الايمان ، « اعبدوا ربكم » جميعاً عبادة خشوع واخلاص وأدب وحضور كأنكم تنظرون اليه وترونه فان لم تكونوا ترونه فانه يراكم وينظر دائما الى محل الاخلاص منكم وهو قلوبكم واستعينوا على اشعار نفوسكم هذا الخشوع والحضور والاخلاص فى العبادة

باستحضار معنى الربوبية فانه هو ربكم الذى أنشأ كم فيما لا تعلمون ، وجعل لكم السمع والابصار والأفئدة لعلكم تشكرون ، وغذاكم بنعمه ، ونمَّاكم بكرمه ، كما فعل مثل ذلك بسلفكم الصالح فشكروه وعبدوه وحده مقرين بهذه التربية ، ومعظمين هذه المنة ، فليدعْ ذلك الصنف احتقار النعم التى هو فيها والاقتصار على تعظيم نعمة الله على السلف فقط فان هذا الرب العظيم « الذى خلقكم و » خلق « الذين من قبلكم » ، قد رباكم كما ربّى سلفكم ، ووهبهم من الهدايات مثلما وهبكم ، فمن شكر منهم ومنكم زاده نعما ، ومن كفر بهذه النعم جعلها عليه نقما ، ليكون عبرة ومثلا للآخرين ، وذلك من رحمته بالعالمين ، وقد اقسم تعالى على ذلك فى كتابه المجيد ، فقال « لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابى لشديد » وفى القصاص حياة لأولى الالباب ، وما يتذكر الا من اناب ،

هكذا امر الله تعالى عباده اجمعين ، بان يعبدوه وحده مخلصين له الدين ، وارشدهم باعلامه انه ساوى بينهم وبين من قبلهم فى المواهب الخلقيّة الى الاستقلال بالعمل وقدر نعمته عليهم قدرها ليعلموا ان كل النعم التى تكتسب بالشكر وهى ما عدا النبوة مقدورة لهم كما كانت مقدورة لمن قبلهم وانهم اذا زادوا على سلفهم شكراً يزادون نعما وما الشكر الا استعمال المواهب والنعم فيما وهبت لاجله فالذين يقولون : اننا لا نقدر على فهم الدين بانفسنا من الكتاب والسنة لان عقولنا وافهامنا ضعيفة وانما علينا ان نأخذ بقول من قبلنا من آبائنا لان عقولهم كانت اقوى وكانوا على فهم الدين أقدر بل لا يمكن ان يفهمه غيرهم . اولئك كافرون بنعمة العقل وغير مهتدين بهذه الآية الناطقة بالمساواة فى المواهب وسعة الفضل والرحمة .

وكذلك الذين يتخذون وسطاء بينهم وبين الله تعالى لاجل التقرب اليه زلفى غير ما شرعه لهم من الدين وما جاء به الانبياء عليهم الصلاة والسلام وهم الوسطاء فى الهداية والارشاد قد احتقروا نعم الله تعالى ولم يهتدوا بهذه الآية كذلك لانهم قد جعلوا لله انداداً شعروا بذلك ام لم يشعروا

يقول تعالى لجميع عباده اعبدوني ملاحظين معنى الربوبية ، والمساواة فى المواهب الخلقية ، التى تؤهلكم للسعادة الحقيقة ، « لعلكم تتقون » فان العبادة على هذا الوجه هى التي تعدِّكم للتقوى ، ويرجى بها بلوغ غاية الكمال القصوى ،

قال الاستاذ : والشائع ان لعل للترجي فى ذاتها واذا وقعت فى كلام الله تعالى يكون معناها التحقيق . وغرض القائلين بهذا تنزيه الله سبحانه عن الترجي بمعناه اللغويّ الآتي ولكنه رميٌ للكلام بدون بيان وحقيقته ان لعل للترجي ولكنها تستعمل للاعداد والتهيئة للشيء وفى هذا معنى الترجي فحيث وقعت (لعلّ) فى القرآن فالمراد بها هذا المعنى الاخير كما فسرناها به آنفاً وهو يستلزم التحقيق فان العبادة على الوجه الذى ارشدت اليه الآية من ملاحظة معنى الربوبية – الخ ما تقدم شرحه تطبع فى النفس ملكة خشية الله وتعظيمه ومراقبته وتعلي همة العابد وتقوي عزيمته وارادته فتزكو نفسه وتنفر من المعاصى والرذائل ، وتألف الطاعات والفضائل ، وهذه هي التقوى واذا قلنا ان الرجاء متعلق بالخلق فالاعداد فيه ظاهر ومتحقق اذ لو لم يخلقهم مستعدين للتقوى لما اتقاه منهم احد

ومعنى الترجي توقُّعُ حصول الشيء القريب بحصول سببه والاستعداد

له سواءٌ كان الاستعداد كسبياً أو طبيعياً فاستعملنا لعل المعبرة عن التوقع في سببه وهو الاستعداد أو الاعداد الذى هو جعل المرء مستعداً والتعبير عن المسبب بلفظ السبب شائع فى استعمال اللغة . وقد عدوا الترجي والتمنى من الاخبار وصيغها صيغ انشاء فقط

لما ذكّر الله عباده بنعمة الايجاد ونعمة المساواة فى المواهب التى تقتضي التقوى وعدم اطراء السلف برفعهم الى مقام الربوبية كما وقع من الذين « اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » ذكرهم ثانياً ببعض خصائص الربوبية التى تستحق الاختصاص بالعبودية ، فقال « الذي جعل لكم الارض فراشاً » بما مهدها وجعلها صالحة للافتراش والاقامة عليها والارتفاق بها . اي فهو القادر على جلائل الفعال ، العظيم الذى يستحق العبادة والاجلال ، المنعم بجميع النعم ، الجدير باعلى مراتب الشكر ، جعل الارض بقدرته فراشاً لاجل منفعتكم ، « والسماء بناء » متماسكا لكيلا تقع على الارض فتُسْحِتَكُم ، والبناء وضع شيء على شيء بحيث يتكون من ذلك شيء بصورة مخصوصة . وقد كوّن الله السماء بنظام كنظام البناء ، وسوّى أجرامها على هذه الكيفية ، وامسكها بسنة الجاذبية ، فلا تقع على الارض ، ولا يصطدم بعضها ببعض ، الا اذا جاء يوم الوعيد ، وبطل نظام هذا العالم ليعود فى خلق جديد ، والواجب ملاحظته فى هذا المقام هو تصور قدرة الله تعالى وعظمته ، وسعة فضله ورحمته ،

ثم بعد ان امتن بنعمة الايجاد ، ونعمة الفراش والمهاد ، ونعمة السماء التى هى لنا كالبناء ، ذكر نعمة الامداد ، الذى تحفظ به هذه الاجساد ، وهى مادة الغذاء ، التى بها النمو والبقاء ، فقال « وانزلَ من السماء ماءً

فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم » والثمرات ما يحصل من النبات نجماً كان او شجراً . يصلح الزارع والغارس الارض ويبذر البذر ويغرس الفسيل ويتعاهد ذلك بالسقي والعذق ليكون له كسب فى زرقة ولكنه ليس له كسب فى انزال المطر الذى يسقى به ولا فى تغذية النبات بماء المطر أو النهر المجتمع من المطر وباجزاء الارض وعناصرها ولا فى تولد خلاياه التي بها نموه ولا فى اثماره وانما كل ذلك بيد الله القدير فعلينا ان نتفكر فى ذلك لنزداد تعظيماً له واجلالا

وبعد ان عرفنا الله تعالى انفسنا ، ونعمته علينا وعلى سلفنا ، وبعد ان عرفنا ذاته الكريمة ، بآثار رحمته ومننه العظيمة ، وصرنا جديرين بأن نعرف ان العبد عبد فلا يعبد ، وان الرب رب فلا يشرك به ولا يجحد ، قال تفريعاً وترتيباً على ما سبق « فَلَا تجعلوا لِلّهِ أنداداً » من سلفكم المخلوقين مثلكم تطلبون منهم ما لا يطلب الا منه ، وهو كل ما تعجزون عنه ، ولا يصل اليه كسبكم ، فانهم فى الخلق والعبودية مثلكم ،

وفسر النِّد بالشريك وهو فى اللغة المضارع والكفوء . يقال فلان ند فلان ومن انداد فلان أي يضارعه ويماثله ولو فى بعض الشؤن . والانداد الذين اتخذو فى جانب الله هم الذين خضع الناس لهم وصمدوا اليهم فى بعض الحاجات لمعنى يعتقده فيهم الخاضعون والمخاطبون بترك الأنداد أوّلاً وبالذات مشركو العرب واهل الكتاب فالعرب كانت تسمي ذلك الخضوع والصمدُ عبادة اذ لم يكن عندهم وحيٌ ينهاهم عن عبادة غير الله فيتحاموا هذا اللفظ (العبادة) ويستبدلوا به لفظ التعظيم أو التوسل مثلاً تأويلاً لظاهر نص التنزيل . واما اهل الكتاب الذين

اتخذوا احبارهم ورهبانهم أنداداً وارباباً فكانوا يأوّلون فلا يسمون هذا الاتخاذ عبادة ولا اولئك المعظمين آلهة او انداداً او ارباباً وفرق بين الاتخاذ بالفعل والتسمية بالقول والجميع متفقون على انه لا خالق الا الله ولا رازق الا الله :

وصور العبادة تختلف عند الامم اختلافاً عظيماً واعلاها عند المسلمين الاركان الخمسة والدعاء وقالوا كل عمل غير محظور تحسن فيه النية لله تعالى فهو عبادة كأن المعنى الذي يجعل جميع الاعمال عبادة هو التوجه الى الله تعالى وحده وابتغاء مرضاته ولها عند اهل الكتاب صور اخرى . والمأولون يخصون هذه الصور بالله تعالى واذا ابتدعوا صورة فيها معنى العبادة يسمونها باسم آخر يستحلونها بل يستحبونها به ولكنهم لا يخرجون بالتسمية او التأويل عن حيز من يتخذ من دون الله انداداً كما ذكر الله عنهم فى قوله « اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله » ولم يكن منهم سوى التوسل بهم والاخذ بقولهم تقليداً بدون فهم لما جاء على لسان الوحي

وقدماء الفرس جعلوا لله ندًّا فى الخلق والايجاد فقالوا ان للخير الهاً هو الاله الأول وان للشر الهاً يضادُّه . وليس النهي فى الآية عن هذا الند الشريك لان المخاطبين لا يدينون به كما قلنا وتدل عليه الآيات الكثيرة

لذلك وصل النهي بقوله عز وجل « وانتم تعلمون » أي انه لا ند له لانكم اذا سئلتم : من خلقكم وخلق من قبلكم؟ تقولون الله . واذا سئلتم : من يرزقكم من السموات والأرض؟ تقولون الله. فلماذا تستغيثون إذْن بغير الله ؟ ومن اين اتيتم بهذه الوسائط التى لا تضر ولا تنفع وادعيتم انهم شفعاؤكم عند الله؟ ومن اين جاءكم ان التقرب والتوسل الى الله يكون بغير ما شرعه

من الدين حتى قلتم « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله » . يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم وخلق وسائطكم وشفعاءكم واعدكم جميعاً للتقوى التى تقربكم اليه زلفى وساوى بينكم فى المواهب الا انه خص الانبياء عليهم السلام بالوحي ليعلموكم ما اخطأ نظركم ورأيكم فيه فعليكم ان تهتدوا بما جاؤا به فان صدّ المرؤسين خَوْفُهم الرؤساء عن ترك تقاليدهم واتباع الوحي من غير زيادة فيه ولا نقصان منه فقد آثروا رؤساءهم على الله وجعلوهم له أنداداً وان صد لرؤساء عن هذا الاتباع توقع زوال المنفعة والجاه من المرؤسين فقد اتخذوهم انداداً فالند هو المكافىء والمثل وانتم بترككم الحق لخوفهم ورجائهم تفضلونهم على الله تعالى وتجعلونه أقل الانداد تعظيماً . فاهرعوا رحمكم الله الى الله ، ولا تخافوا غيره ولا ترجوا سواه ، فعار على من يعرف الله ، ان يؤثر رضاء أحد على رضاه ، لا فرق بين رئيس ومرؤس ، وتابع ومتبوع ، بل هذا لا يصدر من مؤمن حقيقي لان الله تعالى يقول « فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين »

﴿ شبهات المسيحيين على الاسلام وحجج الاسلام على المسيحيين ﴾

« النبذة السادسة »

لو أراد الانسان ان يناقش هؤلاء المسيحيين الذين يؤلفون الكتب فى دعوة المسلمين الى النصرانية ويحكم العلم فى مصنفاتهم فيرد على كل خطأ يجب رده لاحتاج اى يكتب على كل صحيفة من صحائفهم السوداء كتاباً مستقلاً لانهم يرمون الكلام على عواهنه فيخطؤن من حيث يدرون ومن حيث لا يدرون ، ويتعمدون الايهام والتغرير لانهم يكتبون

للعامة الذين لايدققون

يقول صاحب كتاب « ابحاث » الجدليين لا « المجتهدين » فى الفصل الاول من البحث الاول انه يثبت صحة التوراة والانجيل « بالحجة الدامغة والبرهان المنطقى » ثم يورد الآيات القرآنيـة وهى عنده جدلية لامنطقية ويحرفها عن معناها كما حرف هو وسلفه التوراة والانجيل . وقد بينا من قبل معنى التوراة والانجيل واثبات القرآن لهما وكون هذا الاثبات لا ينافي ارسال نبيٍّ آخر بشريعة جديدة اكمل منهما وبينا ايضاً وجه كون الديانة الاسلامية اصلح لحال البشر واهدى لسعادتهم بل وبينا كيف ابطل بولس شريعة التوراة والانجيل وجعل المسيحية إباحية لا قيمة فيها للعمل الصالح وإنما العمدة فيها على الايمان بان المسيح جاء ليخلص العالم .

فكيف جاز عند محبينا من دعاة المسيحيين ان يبطل هذا الرجل اليهودي بذلاقة لسانه وخلابته شريعة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام ولايجوز فى نظرهم ان يرسل الله محمداً عليه افضل الصلاة والسلام بالبراهين العقلية فيصدق المرسلين ، ويقضي على المارقين ، ويؤنب المحرفين ، ويبين الحق فى اختلاف المختلفين ، ويخاطب اليهود والمسيحيين ، بمثل ما خاطب عيسى الكتبة والفريسيين ، بانهم لم يقيموا الكتاب ، بل اخذوا بالقشر وتركوا اللُّباب ، وانهـم لو اقاموه لما ساءت حالهم ، ولما وجب خزيهـم ونكالهم ، ولكن اليهود والنصارى كانوا فى زمن البعثة فى اشد الخزي والنكال ، وعند آخر طرف من الغواية والضلال ، ولذلك تقلص بشمس الاسلام ظل سلطانهم بعد حين ، «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»

اورد صاحب الابحاث سبع آيات من القرآن المجيد وقال ان الآية

الاولى تفيد ان الله تعالى انزل التوراة والانجيل هدى للناس . نعم وقد اهتدى بهما من قبل اقوام فسعدوا ثم حرّفوا وفسقوا ، وانحرفوا فشقوا ، حتى جاء الاسلام بالهداية الكبرى ، والحجة العظمى ، فاهتدى به بعضهم فسعدوا وسادوا على الآخرين ، وكانوا مع اهله الاعلين ما كانو به مهتدين ، وقال ان الآية الثانية وهى « يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل » تبين صحتها . وهو كذلك ولكن للاية تتمة لم يذكرها المصنف لانه غير منصف وهي قوله « وما انزل اليكم من ربكم » فكأنه يأمرنا ان نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض كما فعل هو ومن على شاكلته بالتوراة . والمراد بما انزل اليهم من ربهم القرآن فانه لم ينزل بعد التوراة والانجيل غيره. فالله تعالى يأمر اهل الكتاب بان يكونوا مسلمين يؤمنون بالكتب كلها ويبين ان تعللهم واحتجاجهم على عدم اتباع القرآن بانهم اصحاب كتاب سماوي لا حاجة لهم بغيره احتجاج باطل وتعلل كاذب لانهم لم يقيموا التوراة والانجيل واوضح هذا بالآيات الاخرى الناطقة بانهم حرفوا وبأنهم نسوا حظاً مما ذكروا به وانهم لو اقاموهما لما حل بهم الخزي والنكال « ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم » وكذلك وقع لاخوانهم الذين اسلموا فقد فازوا ببركات السماء والارض . وتتمة الآية التى نحن بصددها « وليزيدنّ كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين » وهذه الحجة قائمة عليهم الى يوم القيامة فان هؤلاء الدعاة يخدعون عوام المسلمين بوجوب اتباع التوراة ويوهمونهم انهم متبعون لها ويقول صاحب الابحاث ان محمداً يطالب اقامة حدودها . ولا

يوجد فى الدنيا نصراني يقيم حدا من حدود التوراة أو يعمل باحكامها فى العبادات او المعاملات . فمالهم يشفقون على المسلمين وينصحون لهم باقامة هذه الحدود ولا ينصحون لانفسهم ولا يشفقون عليها ؟ ؟

وقال : والثالثة تبيّن ان الانجيل منزل من عند الله وان محمداً راضخ لاحكامه . والآية الثالثة هي قوله تعالى « وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه » وليس فيها اخبار بأن محمداً عليه الصلاة والسلام راضخ لاحكامه ولكن هؤلاء الناس يستبيحون ان يحمّلوا الآيات ما لا تحمله لتأييد اهوائهم وبذلك افسدوا كتبهم وجاؤا يفسدون علينا كتابنا ولكن الله حفظه من التحريف والتبديل . فى الآية قراءتان احداهما بكسر لام (وليحكم) وهي متعلقة بقوله تعالى قبلها « وآتيناه الانجيل » اي اعطينا عيسى الانجيل ليحكم اهله فيه واهله هم بنوا اسرائيل لان القرآن اخبرنا بانه ارسل الى بنى اسرائيل فعُرف انهم اهله وكذلك الانجيل الذى عندهم الآن يقول ان المسيح قال « لم ابعث الا الى خراف اسرائيل الضالة »

والقراءة الثانية بسكون اللام وهى حكاية للأمر السابق عند الاتيان اى آتيناه الانجيل وامرنا من ارسل اليهم بالعمل به . ويحتمل اللفظ ان يكون امراً مبتدأ ورد على سبيل الاحتجاج على النصارى بعدم العمل بالانجيل المصدق للتوراة والمقتضي للعمل بها على ما تقدم بيانه آنفاً . واذا جاز لدعاة المسيحيين اليوم ان يحتجوا على المسلمين بان القرآن يأمرهم بالايمان والعمل بالتوراة والانجيل ولا يرون هذا الاحتجاج مقتضياً لايمانهم بالقرآن فكيف يدعون ان أمر محمد (صلى الله عليه وسلم) لهم بالحكم بالانجيل يستلزم ان يكون هو راضخاً لاحكامه ؟ ؟

(يتصل الكلام)

آثار علمية ادبية

﴿ تهانى العلماء والادباء لفضيلة مفتى الديار المصرية ﴾

رفع الى الاستاذ قصائد كثيرة جداً تهنئة بقدومه من مصيفه فى الاستانة واوربا ورغب الينا كثيرون ممن نعرفهم من ناظميها أن ننشر قصائدهم وليس نشر المدائح من شأن المنار ولكننا نشير الى بعض القصائد ببعض ابيات منها لاعتبارات لنا فيها ونبدأ بهذه الابيات التى نظمها الاديب الفاضل الشيخ مصطفى لطفى المنفلوطي الازهري الشاعر المجيد وهي

سار يباري النجم فى جده ... وعاد كالسيف الى غمده
رأى السرى والسهد مهر العلى ... فجد وارتاح الى سهده
لا يبصر الخطب جليلا ولا ... تلوي به الاهوال عن قصده
مسدَّد العزم اذا ما مضى ... يحار صرف الدهر فى ردّه
كالسيف يجلوه القراع ولا ... يأخذ ضرب الهام من حدّه
من لا يرى المجد سبيلا له ... لا يأسف المجد على فقده
فضجعة الراقد فى بيته ... كضجعة الميت فى لحده
كان لمصر بعد توديعه ... صبابة الصادي الى ورده
واليوم قد عاد لها كل ما ... ترجو من النعمة فى عوده
وافتر عنه ثغرها مثلما ... يفترُّ ثغر الروض عن ورده
بدا وقد حفت به هيبة ... كأَنما عثمان فى برده
ما فيه من عيب سوى انه ... يحسده الناس على مجده
ما حيلة الحساد فى نعمة ... أسبغها الله على عبده

« ومن قصيدة للاستاذ الشيخ سيد علي المرصفي مدرس الادب في الازهر »

هذا هو العلم لا علم بمحفظة محدودة من جلود الشاء والغنم
جوفاء معتلة فى جوفها ورم تشكو لخالقها من علة الورم

« ومن قصيدة الفاضل الشيخ مصطفى حسين مشيط المنفلوطي الازهري »

ان الزمان اذا اعتدى بصروفه لم يبق حبلاً فى الهوى موصولا
كم ذا يروّعني بكل ملمة لا تترك الصبر الجميل جميلا
لولا اعتصامي بالامام محمد كهف الورى لم ابلغ المأمولا

ومنها

شيدت اركان الشريعة بعد ما لعبت بها ايدى البلاء طويلا
وشهرت للدين الحنيفي سيفه بيد الثبات وكان قبل كليلا

ومن قصيدة للشاب اللوذعي مصطفى صادق افندي الرافعي الكاتب بمحكمة شبين الكوم

والصبح ميمون الطليعة قادم مثل (الامام) بطلعة زهراء
يجلو الظلام كما تجلّى هديه فاضاء كل سريرة ظلماء
تزهو السماء بشمسها و (محمد) فى الارض شمس الملة السمحاء

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(الصارم المنكي . فى الرد على السبكي) عرف قرآء المنار مما كتب فى آخر الجزء الثامن انه ينسب للقاضي تقي الدين السبكي رسالة فى الرد على شيخ الاسلام احمد ابن تيمية . واصل الخلاف بينهما فى مسئلة شد الرحال واعمال المطي الى القبور فابن تيمية أخذ بظاهر الحديث الصحيح « لا تشدّ الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد

الاقصى ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما من عدة طرق . وذهب السبكي الى خلاف ذلك محتجاً باشيآء كثيرة بينها فى رسالة مخصوصة . وأما زيارة القبور فليس فى اصل استحبابها خلاف بين ابن تيمية والسبكي ولكن الاول ينكر كل بدعة فيها وكل ما لا تشهد له السنة الصحيحة والسبكي يبيح بعض ذلك ولولا ترويج مثله من العلمآء المقربين من السلاطين والحكام للمحدثات التى تفشو بين العوام لما ثبتت بدعة بين المسلمين

والذى ينظر فى كتاب السبكي ينخدع لكثير من اقواله وما يورده من الاحاديث والاخبار الا اذا كان من حفاظ الحديث ورجال النقد الصحيح وقليل ماهم لا سيما فى هذا الزمان ففي الكتاب كما قلنا من قبل كثير من الاحاديث الموضوعة والواهية والمنكرة . وان ترك زيارة القبور بالمرة اهون من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى لا يعذب على ترك الزيارة اذ لم يقل احد بوجوبها . ولكن الكذب على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم من الكبائر لما ثبت فى الحديث الصحيح بل المتواتر « من كذب عليّ متعمداً فليتبوّء مقعده من النار » وفى رواية بحذف لفظ « متعمداً » ولا يخفى ان الجهل ليس بعذر اذ لا يصح لاحد ان ينسب الى النبي عليه الصلاة والسلام شيئاً الا اذا كان عالماً او ظاناً أنه قاله وليس من العلم ولا من الظن ان يراه فى كتاب الا كتب المحدثين الذين يبينون الصحيح من غيره

فمن قرأ كتاب السبكي او رسالته فهو على خطر عظيم بلى على اخطار متعددة — خطر الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وخطر الغرور فى الدين وخطر الجراءة على المعاصي وخطر الزيادة فى الدين

وغير ذلك وليس له فى ازآء ذلك ادنى فائدة لاننا اذا فرضنا ان شد الرحال الى غير المساجد الثلاثة لغرض ديني (اذ الاغراض الدنيوية المباحة غير مرادة هنا) مباح فأي حرج على من تركه احتياطاً للخلاف فيه وعملاً بظاهر الحديث المتفق على صحته .

ومن احب ان يطلع على جميع ما فى كتاب السبكي من الادلة والحجج مع الامن من الخطر فليطالع كتاب (الصارم المنكي) الذي ألفه العلامة الحافظ المحقق ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي الحنبلي المقدسي وطبع فى هذه الأيام بالمطبعة الخيرية فانه يورد جميع حجج السبكي والاحاديث التي استدل بها سوآء كان المدلول مسلّماً عنده وعند ابن تيمية أم غير مسلم ويحكم فيها النقد الصحيح ويذكر نقول الحفاظ والمحدثين فى اسانيدها التى اغتر بها السبكي لانه لم يكن من الحفاظ وانما كان فقيهاً مشغولاً بالقضآء ولعلنا نقتبس بعضها عند الكلام فى مواضيعها . وصفحات الكتاب ٣٣٩ وثمنه خمسة غروش اميرية وهو يباع فى مكتبة الخشاب بمصر

(حقوق الملل . ومعاهدات الدول) ولع الناس بقراءة صحف الاخبار ومعرفة السياسة من الجرائد ولكن هذه الجرائد فى بلادنا الشرقية بل واكثر جرائد اوربا لا تتكلم فى علم السياسة واصوله واحكامه العامة الا نادراً وانما تذكر المسائل الجزئية التى تقع بين الدول وفى الحكومات . ومن لا يعرف الاصول والاحكام العامة فى العلم فقلما يفهم الجزئيات فهما صحيحاً ويعرف الخطأ والصواب فيها — لهذا كان قرآء العربية فى حاجة الى كتب فى علم السياسة وما عندهم الاّ قليل منها

وقد عُنِيَ الامير أمين أرسلان القنصل الجنرال للدولة العلية فى مدينة بروكسل بوضع كتاب جامع فى ذلك سماه حقوق الملل الخ جعله أربعة اقسام ورأى بمناسبة حرب انكلترا والترانسفال ان يبدأ بنشر القسم الرابع منه وهو فى الحرب فطبعه فى مطبعة الهلال طبعاً كطبع مجلة الهلال الشهيرة وقسم مباحثه الى اربعة اقسام يشتمل كل منها على عدة فصول . القسم الاول فى المنازعات والاختلافات وطرق حلها والثاني فى مشروعية الحرب وحكمها فى العمران وتقسيمها والثالث الحرب البرية وطرقها واحكامها والرابع الحرب البحرية وما يتعلق بها . وصفحات الكتاب ١٢٧ وثمنه خمسة غروش ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الكوخ الهندي) قصة فلسفية وجيزة مفيدة للكاتب الفرنسوي الشهير برناردين دى سان بيير موضوعها البحث عن الحقيقة والطريق اليها وفيها كلام عن البراهمة وغرور كهنتهم فى دينهم وزعمهم ان الحقيقة لا توجد الا عنـدهم ولا تقال الالهم ونتيجتها ان التقاليد والديانات والمدنية وعلومها وأعمالها حجاب بين الانسان وبين الحقيقة والفضيلة والعيشة الراضية وان أقرب النـاس من الحقيقة والسعادة من يعيش عيشة بسيطة فطرية بعيداً عن شغب الناس وغرورهم بتقاليدهم ومدنيتهم كذلك الهندي الطريد المقيم فى كوخ بعيد عن العمران . وقد عرب هذه القصة منشيء مجلة الجامعة الغرآء وطبعها واهداها الى قرآء مجلته وصفحاتها ٧٨ من الحجم الصغير وكم من صغير فيه نفع كبير

(الدنيا فى باريس) صدرت الرسالة الثانية عشرة وهي الاخيرة من هذه الرسائل التى كتبها صاحب الصيت الطائر بمؤلفاته ومعرباته عزتلو

أحمد بك زكي كاتب السر الثاني لمجلس النظار بمصر وهذه الرسالة تصف معروضات الامة الالمانية وتقدمها على جميع الأمم وهي أنفع الرسائل وسنقتبس بعض فوائدها في جزء آخر ونشكر لادارة طبيب العائلة سعيها بطبع هذه الرسائل ونرجو لها ما ترجوه من النجاح والنفع بها

المناظر وكتاب (اعجاز المسيح)

هذا الكتاب مسجع من أوله الى آخره وفى سجعه التكلف والضعف وفى كلامه ركاكة العجمة وفى مفرداته وتراكيبه الغلط والخطأ . ومع هذا كله تقول جريدة المناظر الغراء انه « تقليد للقرآن فى نسقه وعبارته » وهذا خطأ ما كنا ننتظر ان يصدر من صاحب تلك الجريدة البارع . فأين السجع فى القرآن ؟ وأين عبارة القرآن العالية ونسقه البديع من تلك الركاكة والعسلطة فى كتاب اعجاز المسيح ؟

« مستقبل فرنسا او مستقبل العالم »

يهتم الفرنسيون بالبحث فى مستقبلهم استنباطاً من احوال الناشئين وتربيتهم وقد اقترحت مجلة المجلات الفرنسوية على الباحثين ان يكتبوا اليها اراءهم فى ذلك فاجاب المسيو دوسوليه بلسان لجنة المدارس الديمقراطية بقوله : « نحن جمهوريون لان الجمهورية على ما قال ميشله هي الحق والصواب ونحن غير متدينين لان كل الديانات تستعبد الانسان ونحن نريد ان يكون حراً يفتكر كما يريد والدين يحصر الفكر فى سجن مظلم » واجاب بعض احزاب الدين بوجوب سقوط الجمهورية . وقد نشرت هذه المجلة اربعة اجوبة فى هذين المعنيين وقالت انها لم تزد الموضوع الا اشكالاً وغموضاً

وقد نشرت جريدة المناظر الغراء قولها وعقبته بهذه الجملة « ان حالة الافكار الحاضرة تدلك على شيء مما سيكون مستقبلها إن الافكار مضطربة الآن فى كل العالم ومتضاربة ولكن لا بد لها من قرار يتغلب عنده الأحق الأقوى . فاذا انقضى عشر سنوات يعرف مستقبل فرنسا بالنظر الى افكار الشبيبة فيها ويعرف بالتالى مستقبل العالم » اه وهذه الجملة معقولة الا ان التحديد بعشر سنين لا وجه له ولا دليل عليه

وذكرت مجلة الجامعة الغرآء ان فى العالم الآن حركتين شديدتين احداهما مناقضة للاخرى (الأولى) : قيام المسلمين مطالبين بالنهوض والترقى من قبل الدين و (الثانية) : قيام المسيحيين فى الممالك الكثيرة على رجال الدين لحصر سلطتهم فى معابدهم وقطع الصلة بينهم وبين الامة . اه بالمعنى

ونحن نقول لا بد لهذا النوع الانسانى ان يبلغ كماله من الارتقاء والعمران ولا يبلغه الا بالعلم والدين وقد سبق المسيحيون المسلمين فى طريق العلم فدلهم على أن دينهم ليس دين عمران وارتقاء فتركوه وما زالوا يحاربونه الى الآن ولولا أن رجاله الذين لا حياة لهم الا به قد شاركوا شعوبهم بالعلوم الكونية وقبضوا على ازمة تعليمها ليدسوا الدين فيها لما بقى له من بقية . واما المسلمون فمن الناس من يزعم انهم يسيرون على طريقة من قبلهم فى هذا فان فعلوا فهنالك هبوط الانسانية وفساد العمران ونحن على يقين بان الحركتين اللتين ذكرتهما الجامعة سيبلغان غايتهما فيرتقى المسلمون بدينهم بعد ما يطهرونه من البدع والخرافات التى الصقت به ثم يتبعه سائر الامم ومنهم الفرنسويون الذين ظهر اثر ترك الدين السيء فيهم وذلك عندما يتجلى لهم انه دين الفطرة السليمة الذى بنيت شريعته على

الديمقراطية المعتدلة ومحا سلطة الاشخاص على الاشخاص وساوى بين الملوك والصعاليك فى الحق وجعل الانسان حرًّا كاملاً فى الناس وعبداً كاملاً لله تعالى واطلق فكره وارادته من اسر رؤساء الدين والدنيا — هذا هو مستقبل العالم « ولتعلمن نبأه بعد حين » لابعد عشر سنين

وقال العلامة المحدث اللغوي الشيخ محمد محمود الشنقيطى مهنئاً الاستاذ المفتى وقد تأخرت لتأخر ورودها ولتكون مسك الختام وهي :

بسم الله الرحمن الرَّحيم

للجامع الازهر المعمور عاد على ... رغم الحسود فنى مصر ومفتيها
محمدُ الفحلُ عبدهْ بدر هالته ... خيراته ديمة هطلاء يؤتيها
ميسرٌ لفعال الخير قاطبـه ... تأتيه طلابها تترى فياتيها
سفائن العلم في ذا الشرق لآن غدت (١) ... اعـلامها بيـديه وهو نوتيها
لم يَحسُدُن على ما الله خوَّلهم ... من فضله الناس من نعمى يؤتيها
لن ينكث العهد ان ينكثه ناكثه ... بل عقدة العهد يُحكيها ويُحتيها
وتعلمون جميعاً ما علمت به ... من ذى المكارم ماضيها وآتيها
هلاَّ نظمتم لكم عقدا مكارمهُ ... اجرتم خرس فرس حول بختيها

وقال ايضاً يخاطب الامام المفتى :

ايا من قد نأى عنا وغابا ... وبعـد قضائه الحاجات آبا
تغنينا بشعر الصدق لما ... عزمت الى اباطحك الايابا
«وكأس بالاباطح من صديق ... يراه لو اصبت هو المصابا
ومسرور بأوبتنا اليه ... وآخر لا يحب لنا ايابا»

(١) قوله (لآن) لغة فى الآن

وقال أيضاً هذا اليتيم :

الى عين شمس عدت ياشمس عصرنا ويا رجل الدنيا ومفتيّ مصرنا

وحلى هذه سبيلها سبيل حلة عائشة بنت طلحة رضى الله تعالى عنها غير ان هذا الشعر شعرى وذلكم شعر قيس ابن الحدادية

وشرح ذلك ان ام عمران عائشة بنت طلحة انشدت عينية قيس بن الحدادية الخزاعى الجاهلى فاستحسنتها وبحضرتها جماعة من الشعراء فقالت من قدر منكم ان يزيد فيها بيتاً واحداً يشبهها ويدخل فى معناها فله حلتى هذه فلم يقدر احد منهم على ذلك اه

وكتبه محمد محمود لخمس خلت من جمادى سنة ١٣١٩

الأخبار التاريخية

« سمو الخديو المعظم في الاستانة العلية »

لقي مولانا الخديو المعظم من حفاوة مولانا السلطان الاعظم واقباله فى هذه السنة فوق ما عهد وما عهد الناس من معاملة السلاطين للامراء والخديويين من ذلك انه كان يجعله عن يمينه والصدر الاعظم عن يساره حتى على الموائد الرسمية . ومنه انه ركب معه غير مرة للتنزه والاطلاع على بعض المعامل وعلى الاسطبل العامر ومنه انه جاء ببعض الهدايا . ومنه انه اهدى مركبتين (عربتين) مع خيولهما لانجاله . الى غير ذلك من الاتحاف والانعطاف الذى ابتهج به المصريون ، وقرت لاجله العيون

(قدوم مفتى افندي الديار المصرية وحفاوة المصريين به)

جاء الاستاذ الاسكندرية فى الموعد الذى ذكرناه فى الجزء الماضى فاستقبله فى الباخرة علماؤها ووجهاؤها وجاء القاهرة فى ناشئة ليلة الثلاثاء وكان فى انتظاره على رصيف محطة السكة الحديدية الجماهير من العلماء وكبار الموظفين والقضاة والوجهاء وفى مقدمتهم اصحاب السعادة عبد الحليم باشا ناظر الاوقاف وبليغ باشا ناظر الدائرة السنية . وكانت كثرة عمائم الازهريين تستوقف الطرف - كما قال المقطم — وما اشرقت الشمس فى اليوم التالى على عين شمس إلا وكانت مورد جماهير المهنئين من العلماء والوجهاء واستمر ورود الوفود بضعة ايام وكان من مسهلات الزيارة عليهم ان مصلحة السكة الحديدية زادت عدد القطارات التى بين القاهرة والمرج من يوم قدومه حتى لا تمر ساعة الا ويسافر فيها قطاران أو ثلاثة . وجاء كثيرون من البلاد الاخرى الى مصر لاجل زيارته . واكتفى كثيرون بارسال الرسائل البرقية وقليلون بالرسائل البريدية ولم يعهد مثل هذا الاحتفال والحفاوة فى مصر لعالم ولا لأمير دون أمير البلاد الاعظم ايده الله تعالى وأيد به العلم واهله

وقد تبرع السري الفاضل محمد بك اباظه بخمسة جنيهات لادارة المنار شكراً لله تعالى على قدوم الاستاذ وجعلها عادة مستمرة وهى قيمة الاشتراك بعشر نسخ توزعها الادارة على مستحقيها مجاناً

« كلمة المنار عن شيخ الازهر »

ذكرنا فى الجزء الماضى ان مولانا الحبر الاعظم شيخ الجامع الازهر ناقش المجاور الشيخ عبد المجيد الحساب على المقالة التى نشرت بتوقيعه

فى جريدة المؤيد وانكر عليه وصفه الامة الاسلامية بالضعف والتأخر متحجاً بانهم يؤذنون ولا يرميهم أحد بالحجارة وقد أوّلنا هذه الحجة الداحضة بانها اذا صح صدورها من الاستاذ شيخ الجامع فلا بد ان يكون مراده اختبار الشيخ عبد المجيد صالح وسبر غوره فى فهم ما نسب اليه . ثم تشرفنا بمقابلة شيخ الجامع وأخبرنا بان الامر كما قال المنار وانه ظهر للشيخ بالاختبار أن الشيخ عبد المجيد لم يحسن قراءة المقالة المنسوبة اليه ولم يفهمها . وقد كانت النبذة التى كتبناها فى هذا الموضوع طويلة ذكرنا فيها كل ما بلغنا من قول مولانا الشيخ لذلك المجاور واوّلنا ما ينتقد منه ثم حذف منه ما لو بقى لما سلّم المطلعون عليه بالتأويل بارادة الاختبار . واذ تحققنا الآن من الشيخ نفسه ذلك فلا وجه للذين لا يزالون يخوضون فى المسئلة لاسيما انكار مولانا الشيخ على المجاور نقله عن الفيلسوف ارنست رنان مدح الاسلام وقوله له : اما وجدت عالماً مسلما تنقل عنه وهلا نقلت عن الامام الغزالى ؟

(رمي مؤذن بالحجارة وتهديده بالرصاص)

بعد ما نشرنا ماتقدم فى الجزء الماضى بايام اتفق ان مؤذناً كان يؤذن على المنارة فى جهة شمس قنطرة الدكة فأطل رجل نمساوى من منظرة فى بيته وأمره بالسكوت فلم يسمع له المؤذن ومضى فى آذانه فطفق النمساوي يرميه بالحجارة ويهدده بالقتل بالرصاص اذا هو لم يكفّ عن إتمام الأذان فخاف المؤذن ونزل قبل اتمام الاذان وبلغ الشرطة ما وقع نشرت الجرائد اليومية الخبر فاستاء الناس وامتعضوا وفزع بعض اهل الغيرة الى حضرة شيخ الجامع وقصوا عليه القصة فحوقل واسترجع

فرغبوا اليه أن يكتب الى الحكومة والحّوا عليه حتى وعدهم وكان وعده مفعولا

(صورة ما كتبه الشيخ الى نظارة الداخلية)

وكيل الداخلية سعادتلو افندم

أظن ان سعادتكم اطلعتم على ما جاء فى جريدة المقطم بعددها الصادر فى يوم الجمعة الفائت وتناقلته الجرائد عنها الا وهو ما وقع من ذلك الرجل النمسوي لمؤذن مسجد قنطرة الدكة عندما شرع فى اذان العشاء من أمره بالكف عن الاذان وشتمه له ورميه إياه بالحجارة ولما لم يثنه ذلك كله عن اتمام الاذان تهدده بالرمي بالرصاص فخاف ونزل من غير ان يتمه وتوجه فى الحال الى البوليس فأبلغه الحادثة الى آخر ما جاء فى تلك الجريدة وحيث ما اتاه هذا النمسوي يعدّ اهانة للدين وانتهاكاً لحرمته ولم نسمع قبل اليوم بان مسلماً عارض غيره أو منعه من اقامة شعائر الدين حتى يقال انه اقتدى به . ولا يخفى ان كل متدين بدين مهما كان معتقده فيرتكب صعاب الامور وهو عالم بها انتصاراً لدينه خصوصاً والبلاد اسلامية ووقوع مثل ذلك فيها يوغر الصدور فنحوّل انظار سعادتكم الى تلافى هذا الامر بمعاقبة المعتدي بواسطة قنصليته بما يكون رادعاً له وزاجراً لغيره ومزيلا لما كمن فى الصدور من جراء هذا الحادث المؤلم اولى من الترك والتغاضي ووقوع ما لا تحمد عاقبته ثم تفضلوا باخطارنا بما يتم افندم

(حاشية) وللتثبت من هذا الامر استدعينا مؤذن ذلك المسجد المدعو الشيخ خليل ابرهيم وسألناه عما وقع فأوضح لنا ذلك مفصلا من أول الحادثة الى آخرها فى ورقة مرفقة بهذا فنكرر ايضاً اعارة هذه المسألة

جانب عنايتكم افندم

« الانتقاد على مكتوب شيخ الجامع »

انتقد العوام والخواص على اختيار شيخ الجامع جريدة المقطم لنشر المكتوب وعدم نشره فى جريدة المؤيد التى هي اعمُّ انتشاراً وتوهموا ان لمولانا الشيخ ضلعاً مع المقطم وموافقة لسياسته وهو وهمٌ باطل لاننا نعلم حق العلم انه بعيد من السياسة ومذاهبها فلا هو موافق لسياسة المقطم ولا هو مخالف لسياسة المؤيد . وقال بعض الاذكيآء : ان مولانا الشيخ استآء مما كتبه المؤيد فى المسئلة بتوقيع (م . ح) فلم يرسل اليه صورة المكتوب لاجل ذلك

ولكن مقام الشيخ أجل وأعلى من تحكيم الامور الشخصية فى المصالح العمومية وينبغى ان نلتمس له عذراً على كل حال حتى نقف على العلة الحقيقية

وانتقد كثير من الخواص على اسلوب المكتوب وعبارته وبعض مفرداته وتراكيبه التى لا تصح فى اللغة . أما اسلوبه فهو اسلوب كتابة الدواوين لا أسلوب الكتاب البلغآء العارفين بفنون اللغة والمحصلين ملكتها . وقد اجبنا بعض المنتقدين بأن المتبادر ان المكتوب ليس من كتابة الشيخ وانشائه ولا من املائه وانما هو من انشآء كاتب مجلس ادارة الازهر الذى يعد من دواوين الحكومة . فقالوا أولاً : لا يصح ان يقبل شيخ الجامع مثل هذا الكاتب فى ادارته ويجعله ترجمانه بل قلمه ولسانه وثانياً : اذا جاز ان يجيز ويمضي شيخ الازهر الذى هو مهد اللغة وينبوع معارفها مكتوباً غير بليغ ولا فصيح فلا يجوز ان يجيز الخطأ والغلط ويقره ويرضى

بان ينتشر منسوباً اليه

وانا نرى من الفائدة ذكر شيء مما انتقدوه ليُعرف المنصف والمتحامل ، فمن ذلك قوله « اظن ان سعادتكم اطلعتم » قالوا مقتضى المطابقة بين اسم ان وخبرها ان يقال اطَّلعتْ لان الاسناد الى ضمير مؤنث وهو السعادة . ومنه قوله « وحيث ما أتاه هذا النمسوي الخ » قالوا ان حيث ظرف مكان وقد ردَّ العلمآء على من زعم منهم انها تأتى للتعليل وظاهر السياق انها هنا للشرط ولا يصح وقالوا اننا لا نرى لهذا القول اعراباً صحيحاً . ومنه قوله « مهما كان معتقده » قالوا ان استعمال (مهما) ههنا غير صحيح . ومنه قوله « خصوصاً والبلاد اسلامية » قالوا انه استعمال غير عربى وانه لا يستقيم اعرابه . ومنه قوله « ثم تفضلوا باخطارنا » قالوا لا يعرف فى اللغة اخطره بكذا بمعنى اعلمه به واقرب معانيها الى ما نحن فيه قولهم اخطر الله الشيء ببالي أي جعلني اتذكره بعد نسيانه ولا يصح هنا . وقالوا ان فيه ايضاً عطف الانشاء على الخبر بثم . ومنه قوله فى الحاشية « وللتثبت من هذا الامر » قالوا ورد فى اللغة تثبت فى الامر اذا تأنَّى فيه ولم يرد تثبت منه . ومنه قوله « المدعو الشيخ خليل » قالوا وكان الصواب ان يقول (خليلاً) بالنصب . ومنه قوله فى الحاشية « وورقة مرفقة بهذا » قالوا ان لفظ مرفقة لا يصح له معنى هنا . ومنه قوله فى الحاشية « فنكرر ايضاً اعارة هذه المسألة جانب عنايتكم » قالوا ان الاعارة لم تسبق له فيكررها وانه لا معنى لإعارة المسألة لجانب العناية . وقالوا ان اهل الازهر لا يتركون الحواشى ولا فى مخاطبة الحكومة

هذا — وان لهم انتقادات اخرى قالوا انها دون ما تقدم . منها قوله

«ولما لم يثنه ذلك كله عن اتمام الأذان» قالوا كان الصواب ان يقول عن الاسترسال او المضيّ فى الأذان لانه لم يتمه وقد كتبت العبارة بعد العلم بعدم الاتمام . ومنها لفظ البوليس ولفظ القنصلية . قالوا كان اللائق بمقام المشيخة ان لا يذكر فى كتابها لفظ أعجمي الا اذا لم يكن فى اللغة ما يردفه ويحل محله . ومنها قوله «فنحوّل انظار سعادتكم» قالوا ان للمخاطب نظراً واحداً . ومنها قوله «أولى من الترك والتغاضي» قالوا ان اعراب هذه العبارة يحتاج الى تكلف وان الاولية لا معنى لها بل هي مخلة بالمراد . ومنها قوله فى التمهيد لتحويل «انظار» وكيل الداخلية «ولا يخفى ان كل متدين بدين يغار عليه مهما كان معتقده» قالوا ان الذي يفهمه الناس من هذه الجملة على ما فيها ان الانسان يغار على دينه وان كان باطلاً وليس من اللائق ان يكون هذا تمهيداً من مشيخة الازهر الشريف . بل غلا بعضهم فذكر الفتيل والنقير كقوله « وكيل الداخلية سعادتلو أفندم » وقال ان الاولى والأليق بمقام المشيخة ان يذكر اللقب الرسمي بصيغة عربية تدل عليه كقوله « الى صاحب السعادة وكيل الداخلية » فقلنا له ان هذا لقب رسمي فقال ان اللفظ الرسمي التركي هو « داخليه وكيلي سعادتلو افندم » فالعبارة ليست رسمية ولا عربية . وقال هذا الفقير ان الاولى بمقام مشيخة الازهر ان يتبع الشيخ السنة فى كل ما يكتب لا سيما الامور ذات البال التي يهتم بها شرعاً فكان ينبغي ان يبتدأ المكتوب بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم

ويعلم الله تعالى انى أوّلت امام جماعة من المنتقدين بعض ما انتقدوه حتى بالتمحل والتكلف فقالوا لا نقبل التمحل النحوي البعيد والاقوال الشاذة

والضعيفة وانما نقبل أجوبة تثبتها الشواهد العربية فان هذا الكلام لا يرتقي من يجيزه الى ان يكون من المتفننين كما قال شيخ الاسلام فى علماء العصر ولا من الحفاظ كما قال فيهم مفتي الديار المصرية . ورأيت ان الجواب الذي يبرئ مولانا شيخ الجامع الازهر الشريف من هذا كله هو احتمال ان يكون أمر كاتب ادارته بأن يكتب الى سعادة وكيل الداخلية مكتوباً فى موضوع كذا وانه امضاه ووقع عليه ولم يقرأه لحسن ظنه وسلامة قلبه .

والمنار مستعد لنشر ما يرد من قبل مولانا الشيخ وغيره من العلماء فى الردّ على المنتقدين

« التعصب الذميم والتساهل الجميل »

ان آداب اخواننا السوريين فى البرازيل لمما يفتخر به ، وان جريدة المناظر لهي مجلى ذلك الجمال ، ومظهر ما ثم من الكمال ، فقد علمنا منها ان أولئك الفضلاء قد ألقوا اوزار التعصب الذميم عن ظهورهم ونبذوا التقاليد التى كانت تحملهم على الغلوّ فى الدين عن غير بصيرة حتى انه ليتراءى للناظر فيها انهم تركوا الدين وانما تركوا تلك التقاليد الضارّة واخذوا مافى الدين من الآداب النافعة . ومن آيات ذلك ما قرأناه فى العدد ١٩٢ من هذه الجريدة لمكاتبها فى مناوس عاصمة ولاية الامازون قال :

« فى هذه العاصمة بضعة عشر مواطناً من المسلمين وفيهم غير واحد ممن هذبه العلم فلم يفرقوا بعد ارتقائهم بين من دان بالاسلام ومن دان بسواه من الاديان (أي لان الاسلام يحكم بأن الناس فى الحقوق سواء فلا يهضم حق أحد لاجل الدين ولا يعطى احد غير حقه لاجل الدين) وفيها ايضا مئات من المواطنين النصارى بينهم رعاع لا يزال التعصب

الاعمى يقود قلوبهم العمياء . وقد اراد احد هؤلاء الآخرين بغير داع سوى التعصب ان يعتدى على اخواننا المسلمين ومالأه على هذه الارادة بعض امثاله فحدث غير مشاجرة بين الفريقين كان فيها المسلمون ملتزمين جانب الدفاع . فساء هذا الصنيع احرار الجالية هنا واتفقوا على ان يناصروا المواطنين المسلمين على المعتدين وفعلوا فعلم المتعصبون ان الزمان ليس زمان انتصار المسلم للمسلم والمسيحي للمسيحي ولكنه عصر اجتماع المتهذبين المرتقين على مناوأة المتعصب من اي الاديان والطوائف كان . وعادوا من ثم عن اعتدائهم . ولقد ظن بعض المعتدين ان الحكومة لا تسيء معاملتهم لانهم نصارى فى بلاد نصرانية فعلموا عند ما اقتصت منهم انها لا تعرف المرء بدينه وهى كما يعلم القارئ جمهورية منفصلة عن الكنيسة تمام الانفصال » اه

﴿ البطريقخانة وأحكامها ﴾

خاضت الجرائد المصرية هذه الايام فى بطريقخانة القبط وما تصدره من الاحكام التى يسمونها شخصية وسبب الخوض ان البطريقخانة حكمت بالحجر على قبطي وجعلت امرأته قيمة عليه فأبى الخضوع لحكمها وهى عاجزة عن التنفيذ ويرى أصحاب الجرائد القبطية انه يجب على الحكومة تنفيذ أحكام البطريقخانة القبطية دون غيرها من أمثالها لان لها امتيازاً وفضلاً على غيرها

اذا كانوا يقولون ان هذا الامتياز شرعي اسلامي فما أحكام الذميين فى الشريعة بمجهولة ولا نعرف اماماً ولا عالماً قال بأن لهم ان يحكموا انفسهم

وعلينا ان ننفذ احكامهم وانما اقتضى تساهل الشريعة الحكم بعدم التعرض لهم اذا تراضوا فيما بينهم ولكنهم اذا تحاكموا الينا نحكم بينهم بشريعتنا فاحكام بطريقهم او غيره من رؤسائهم كحكم المحكَّم الذى يرتضيه الخصمان . واذا قالوا انه امتياز مدنىٌّ فليدلونا على القانون المدنى الذى اثبته . ان حكم القانون المدني بأن تكون قضاة المحاكم المدنية من سكان البلاد على اختلاف اديانهم يقتضى ان لا يكون للبطريقخانة حكم فى شيء مما تحكم به هذه المحاكم الا ان كانت طائفة القبط الارثوذكس تطلب من الحكومة اخراج الموظفين من ابنائها من جميع المحاكم والدواوين التى تفتات البطريقخانة الآن عليها بالاحكام والاذن لها بأن تنشىء محاكم دينية محضة مستقلة بنفسها فتكون حكومة ثانية لانهم لا يبيحون للحكومة ان يكون لها ادنى مراقبة ولا تفتيش بل ولا اطلاع على احكام البطريقخانة وانما يوجبون عليها تنفيذ الاحكام فقط على ما تقول عنهم

لو ان اجابة هذا الطلب فى استطاعة الحكومة المصرية ومن خصائصها لما كان لها ان تمنحه لهذه الطائفة لانه ينافى المساواة والعدل بين الرعية ويقيم عليها قيامة الطوائف الاخرى

واقوى شيء يحتج به القبط حسن العهد بينهم وبين المسلمين عند الفتح الاسلامي ثم ما منحه السلطان محمد الفاتح الروم الارثوذكس وجرى عليه السلاطين من بعده

ونقول ان حسن العهد لا يستلزم ان يكون لهم من الحقوق ما يخالف الشريعة وحسبهم منه ان يكونوا احراراً فى شؤونهم الدينية وان يبرهم المسلمون ويقسطوا اليهم . على ان الاحكام فى مصر قد صارت مدنية لا

شرعية وشارك القبط فيها المسلمين كما تقدم وهذا امتياز لا يعلوه امتياز وليس من الانصاف ان يطلب معه امتياز آخر . الحكومة اسلامية وقد تركت شريعتها بالنسبة للاحكام المدنية والحدود والعقوبات الجنائية واستبدلت بها قوانين اخرى نسبتها الى دينها كنسبتها الى الديانة القبطية وجعلت الحاكمين بها من اهل دينها ومن غيرهم من غير التفات الى الدين . ولم تبق هذه القوانين لشريعة الحكومة صاحبة البلاد الا أحكاماً قليلة كالاوقاف والمواريث والحجر وغير ذلك من الاحكام التى يسمونها شخصية فهل يليق بهذه الطائفة التى كان سلفها أحسن عهداً مع المسلمين من سائر الطوائف ان يحسدوهم على هذه البقية وينازعوهم فيها ويخترعوا لأنفسهم احكاماً لا يقتضيها دينهم لانه انما يأمرهم بالخضوع لكل حاكم يحكمهم ؟

واما الفرمانات السلطانية للروم الارثوذكس فهو على كونه لا يشمل القبط غير مقتنع به منهم بل يطلبون الزيادة ومنها الحكم بالحجر فهو ليس مما نطقت به الامتيازات . وقد علموا ان المحكمة المختلطة لم تعتبر ان القبط فى الامتيازات الشاهانية كالاروام ولكن القوم يطمعون بما هو أعلى مما يطلبون ، وما جاء الوقت ولكنهم قوم يعجلون ،

(الانعام السلطانى على صاحب المؤيد)

علمنا من انباء الاستانة الخصوصية ان مولانا السلطان المعظم ايد الله دولته انعم على زميلنا الفاضل الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد الاغر بالرتبة الاولى من الصنف الثانى وبالوسام المجيدي من الدرجة الثانية وهو انعام صادف اهله وحل محله بل أبطأ عن وقته والامور كما يقولون مرهونة

باوقاتها فقد قلنا فى المنار غير مرة انه لم يخدم الدولة العلية والسلطان فى مصر على الوجه الذى يحبه السلطان ويرضاه مثل المؤيد بل هو الذى علق الآمال بالدولة وانطق الالسن باللهج بمدح السلطان ايده الله تعالى وسدده

نخاطب بعد اليوم صديقنا باللقب الرسمي (سعادتلو افندم) ولكننا لانترع عنه لقب الشيخ فانه اعذب الالقاب واحلاها . وحلية العلم اشرف الحلى واعلاها

(غلام نجيب)

حدثنا الاستاذ مفتى الديار المصرية انه رأى فى السفينة التى ركبها من تريستة الى الاسكندرية غلاماً روسياً لايزيد سنه على ثمانى سنين يتعلم فى بعض مدارس أوربا وقد ذكر للاستاذ من ذكائه ونجابته انه يحسن الكلام بالفرنسوية والالمانيـة وليس له فى المدرسة إلا سنة واحدة . فكلمه الاستاذ بالفرنسوية فاذا هوكما قالوا يحسنها واننا نذكر بعض الحديث

الاستاذ : اين تقصد ؟ قال الغلام : اقصد مصر لمشاهدة الاهرام

الاستاذ : ان فى مصر آثاراً كثيرة ينبغي ان ترى فلماذا خصصت الاهرام بالذكر ؟

الغلام : انى خصصت الاهرام لانى قرأت عنها كثيراً ولا يستفيد الانسان فائدة تامة الا من مشاهدة ما قرأ عنه لانه هو الذى يمكن ان يلاحظ دقائقه ويعرف خصائصه . وانى اعرف ان للمصريين آثاراً كثيرة لانى قرأت شيئاً من تاريخهم وعرفت ملوكهم وعاداتهم

الاستاذ : اذكر لي أشهر ملوكهم واشهر ما يؤثر عنهم ؟

الغلام : ذكر اسماء اشهر الفراعنة وأن اشهر ما يؤثرعنهم تحنيط الموتى

الاستاذ : ماسببه

الغلام : سببه الاعتقاد الديني فانهم كانوا يعتقدون ان للارواح حياة بعد الموت ولا بد ان تكون فى اجساد وان أجسادها الاولى اولى بها

ثم سأله مصطفى بك كامل وكان حاضراً : هل تحب فرنسا ؟ فلم يلق بالاً لهذا السؤال حتى قال له ان بين فرنسا وبين دولتكم ولاء وحلافاً فقال نعم ولكنني لا أحب الجمهورية قال البيك عجباً لشاب مثلك كيف لا يفضل الجمهورية على الملكية وهو يعلم ان الملك يأخذ الملك بالارث عن غير استحقاق وان حكومتك لو كانت جمهورية لجاز ان تصير يوماً ما رئيسها . فقال الغلام بحماس : ان الجمهورية عرضة للثورة دائماً وانها تنزع من حياة العلم وتختلس من عمره شهرين على الاقل من كل سنة يكون فيها الانتخاب لان الامة كلها تكون مشغولة به . اما الملكية فكما ذكرت وانا افضلها اذا جروا فيها على رأي بطرس الاكبر فانه فرض ان ينتخب الملك من يكون خلفاً له لانه أدرى بالاختيار .

البيك : ان حكومتكم الآن ليست على ما قال فانت اذن ضد لها

الغلام : لست ضداً لها ولكن لو صار الامر الىّ لارجعتها الى رأيه

البيك : هل تحب القيصر

الغلام : ما عرفته فاحبه ولكنني احترمه لانني اسمع عنه انه عادل ...

(اصلاح) فى (س ٦ ص ٥٤٧) من هذا الجزء لفظ (اجرتم) وصوابه (ام صرتم) وفى (س ٢١) منها لفظ وكأس وصوابه (وكائن) لغة فى (كأي) وفى (س ٩ ص ٥٤٨) لفظ سنة وصوابه ستة

الجزء الخامس عشر — المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الاثنين غرة رجب الحرام سنة ١٣١٩ — ١٤ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠١ ﴾

حكمة الله في حب المحمدة الحقة [١]

العالم الانساني كتاب المعتبر ، وسفر المستبصر ، وكل قرن من قرونه صفحة ، وكل جيل من الناس سطر فيه أو جملة ، ولنا في كل ماخطه القلم الالهي عبرة ،

اول ما يفيدنا النظر فيه وقوفنا على احوال الشعوب فى اطوارها المختلفة وأدوارها المتبدلة فنرى امماً عَلَتْ وسمت وحلَّقت فى جوّ المعالي وجازت فى الرفعة مسارح النظر ثم انحدرت بعدهذا وتدهورت وَعفتْ رسومها ولم يبق لها أثر الا فى الروايات والاحاديث . ومنها أجيال كانت فى ثنيْ العدم ثم اكتست حلية الوجود واخذت من الاجتماع الانسانى مكان الهامة من الجسد ثم انطوت وأخنت عليها امهات قشعم . ومنها ما نراه الى اليوم يسحب مطارف العزّة ، ويشرف على العالم بالامر والنهي من

(١) من مقالات العروة الوثقى الحكيمة

شواهق القوّة

فمن الناس من تتجلى له هذه الشؤن وتلك الاطوار كما تعرض عليه الصور والتماثيل ينبسط لبعضها اذا اعجبه وينقبض للآخر اذا انكره وهو فى غفلة عن منشأ ظهورها وعلل انقلابها . فان سئل عن السبب قال : سبحان الله هكذا كان وهكذا يكون وما هو الا بخت يسعد فيسعد به السعداء ونحس فيتعس به الاشقياء

ومنهم من تنفذ بصيرته الى الحقيقة فيقف على ماهيأه الله من الاسباب التى تتبعها احوال الامم فى صعودها وهبوطها ويعلم ان ما سبق من الخير لأمة انما كان بايدي آحاد من اماثلها جدوا وجاهدوا وبما بذلوا من نفائسهم وانفسهم فازوا بتأصيل المجد لشعوبهم وبني جنسهم ويرى لاولئك الاعلام ذكرا يرفع ومكانة من القلوب تحمد وتميزاً عند الخلف بالكرامة وهم لم يخالفوا الناس فى جسومهم ودمائهم وانما تقدموهم بهممهم وقد يسوقه الاعتبار الى الاقتداء بهم رغبة فى اقتطاف ثمار الثناء وتخليد الذكر فاذا اخذ مأخذهم واستقام على طريقهم فلا يكاد يخطو بعض خطوات ومبدأ المسير تحت نظره حتى تتعثر اقدامه فى أياد مقطعة ورؤس مجذوذة واشلاء مبدّدة وشعور منثورة وصدور مدقوقة ويشهد الطريق مضرّسة بقبور الشهداء من طلاب الحق والناهجين فى منهاجه ولا محيص له عن سلوكها وتبدو له غابات وأدغال يرجع اليه منها صدى زئير الاساد وزمجرة الضراغم ولابد له من اختراقها

هكذا تتكشف لطالب المعالي موحشات مدهشات مصاولة المخاطر ادناها ، والموت الشريف اقصاها واعلاها ، فتارة يخور عزمه ، ويضعف

همه ، فينكص على عقبيه ، ويرتد الى اسوإ حاليه ، ويرتع فى مراتع امثاله حتى يروح الى عطنه الاولى به وهو العدم ، وتارة يوحي اليه الالهام الالهي ان الشخص فى خاصته والامم فى هيئاتها ونوع الانسان فى مجموعه تطالبها صورة الإبداع باعمال شريفة دونها اجهاد الانفس فى السعي وحملها على مالا تهوى ومغالبة الاهوال والغوائل . وفيما اودع الله الانسانَ من القوى االعالية والخواص السامية اكبر مساعد على ما تندفع اليه الهمة وتنبعث له العزيمة .

ان من أحياه الله بالحياة الانسانيـة كلما هاجمته المصاعب لا يزداد الا حرصاً على قهرها كما ان صاحب الشمم لا يزيده الخصام الا حدة في الجدال واصراراً على اقناع المخاصم . وكثير ممن على شكل الانسان يحي حياته هذه بروح حيوان آخر وهو يعاني فيها من الشقاء اشد مما يعانيه الانسان في ابراز مزايا الانسان . ان صاعد الجبل ربما يجد شيئاً من التعب ويخشى مفترسة الكواسر ولكن قد ينجو منها ويستريح على القنة ويعتصم بمكانة من الرفعة وتقصر عنه يد المتناول . أما من اخلد الى السفل فحظه من الحياة خوف لا ينقطع واشفاق لا يزول . كل لحظة توعده بالسقوط فى صيد الصائد والوقوع بين أنياب الغائل . مات من الناس كثير فى طلب العلا ولم ينالوا ، وبلغ كثير من الطالبين غاية ما أملوا ، ولكن هلاك بالفتك اضعاف هؤلاء وهؤلاء ممن رئموا الخمول ورضوا بالحياة الحيوانية — هذه احاديث الحق ونفثات الروح الزكية تبعث من أيده الله ووهبه نعمة العقل الى مداومة السير واقتفاء أثر الماضين الى أشرف المقاصد فاما وصل واما مات كما يموت الكرام

لم تنل امة من الامم مزية من المزايا المحمودة عند بني البشر سواء فى العلوم والمعارف او الآداب والفضائل أو القوانين والنواميس العادلة أو العسكرية وقوة الحماية حتى خرج آحاد منها الى ماتخشاه النفوس وتهابه القلوب وسلكوا تلك المسالك الوعرة فبلغوا بأممهم ، اقصى مابلغت بهم هممهم ، مع الاعتماد على العناية الالهية في جميع سيرهم

ماذا يريد العانون فى خدمة الأمم أو النوع الانساني والمنفقون لحياتهم فى أعمال فادحة يعود نفعها على من تجمعه معهم جامعة الأمة أو الملة او يشاركهم فى النوع ؟ أليس قد جعل الله لكل شيء سببا ؟ اليس من سنة الله فى عباده ان لا تتجه الارادة البشرية الى حركة تصدر عن المريد الا بعد تصوّر غاية تعود الى ذاته وبعد اليقين او راجح الظن بانه يستفيد الغاية من العمل ؟ فان كان الاجل يذهب فى مساورة الآلام الروحية ، والعمر ينفد فى مناهدة الاوصاب البدنية ، فماذا يقصدون من اعمالهم ؟ ان كان يوجد فى ابناء جلدتهم ، وذوي ملتهم ، من يساعد حوادث الكون على إيلامهم ، ومما نعتهم فى مقاصدهم ، وصدهم عن السعى فيما يرجع خيره الى انفس المعارضين ويثخن فيهم جراح اللوم والتقريع ، والشماتة والتشنيع ، او يدافعهم بالمكافحة والمنازلة فما الذى يبتغون من من جدهم وكدهم ؟ لا لذة تجتنى ، ولا الم يتقى ، فما هذا الباعث القويّ الذي غلب الاهواء ، ولم يضعفه جهد البلاء ؟

نعم اودع الله فى الانسان ميلا اقوى من كل ميل وهو أخص خاصة فيه يمتاز بها عن غيره من الانواع وهو حب المحمدة الحقة وحسن الذكر من وجوه الحق — أقول هذا تفادياً من حب المحمدة من ايّ وجه

حقاً كان او باطلا وطلب الثناء بالزور والغش والرياء والظهور بمظاهر الاخيار، مع تبطن سرائر الاشرار، فان هذا من اسوإ الخلال وانما يعرض بعد اعتلال الفطرة وفساد الطبيعة

المحمدةُ هي الغذاء الروحاني، والمقوّم النفساني، وكلما قرب الشخص من الكمال الانساني تهاون بالشهوات وازدرى اللذائذ الحسية وقوى فيه الميل الى المحمدة الباقية وبذل الوسع فيما يفيدها من جلائل الاعمال*تأمل* إن الفاضل يرى له فى هذا العالم أجلين اقصاهما الأجل المحدود من يوم ولادته الى نهاية العمر المقدر والآخر أبعد من هذا نهاية وبدايته عند ما ينجم من عمله الصالح أثر لمنفعة تشمل امته او تعمّ النوع الانسانى وغاية هذا الاجل عند ما يمحى أثره من الواح النفوس وصفحات التاريخ . فللروح الفاضلة وجودان وجود فى بدنها الخاص ووجود فى جميع الابدان وهو ما يكون بحلولها من كل روح محل الكرامة والتبجيل . ولا ريب ان هذا الاجل الطويل وهذا الوجود العريض خير من ذلك الأجل القصير والوجود الكز[1] وحقيق بالانسان ان يبيع ما هو أدنى بالذى هو خير .

يطول بى الكلام فاقصر : ان الله الذى وهب كل نوع ما به كماله وضع فى جبلة البشر ميلاً الى الحمد والهمهم تأدية حقه لمستحقه . الم تر انطلاق الالسن فى كل امة بالثناء على من كان سبباً لها فى مجد ورفعة او نهوض من سقطة أو توحيد كلمة أو تجديد قوة او كمال فى فضيلة أو تقدم فى علم أو صنعة ويرسمونه فى الالواح ويسجلون مدحته فى بطون التواريخ ويرفعون له الهياكل والتماثيل ويحفظون له ذكراً حميداً يتناقله الابناء عن

(١) الكزّ اليابس والمنقبض . وكزّ اليدين بخيل والمراد هنا ما لا خير فيه

الآباء حتى ينقرضوا او ينقرض العالم . اذا جحدت الأمة حق العامل لها أو قصرت فى استحسان عمله ضعفت الهمم وقل السعي فى المصالح العامة وانقبضت الأيدي عن تعاطيها فهبطت شؤن الامة فافترقت وماتت

ان الله جل شأنه قرن كل حادث بسبب فاذا استوى لدى الامة الحسن والقبيح والطيب والخبيث والفضيلة والرذيلة والمصلحة والمفسدة وفقد منها التميز ولم تقدر أعمال العاملين حق قدرها ولم تعرف معروفاً ولم تنكر منكراً سلبت آحادها الميل الى المعالي والكمالات وكان هذا أشد نكاية بها من جور الظالمين ، وتغلب الغالبين ، ظلم الظالمين لا يدوم وسطوة الغالب لا تثبت اذا كان جمهور الامة يقابل الاحسان بالاعتراف والفضل بالحمد فانه يوجد منها من يشتري هذه المكافأة بتخليصها وانقاذها . اما فقد هذا الاحساس الشريف فهو أشبه علة بالهرم لا عقبى له الا الموت والهلاك .

كيف لا تكون المحمدة الحقة نعمة على النفوس الانسانية يسعى لها الأعلون من بنى الانسان وقد امتنّ الله بها على نبيه فيما يقول له « ورفعنا لك ذكرك » وكيف لا تكون حقاً تطالب به الطبيعة وقد سمح الله لمستحقها بالتحدث بنعم الاعمال الصالحات كما سوغ ذلك لنبيه فى قوله « وأما بنعمة ربّكَ فحَدّثْ »

قلّب طرفك فى تواريخ الامم أقصاها وأدناها تجد برهاناً قاطعاً على ان الامة متى بخست قيم الاعمال العالية وازدريَ فيها بشأن الفضيلة فقدت مابه قوامها وانهدم بناؤها وذهبت كما ذهب أمس ولا جرم ان الكفران مقرون بزوال النعم

يمكنني ان اختم كلامي هذا بكلمة شكر لهذه العصابة الطاهرة التي اقدمت في هذه الاوقات النحسة ووقفت على شفير الخطر وكتبت على نفسها السعي في توحيد المسلمين ويسرنا ان نرى عددها كل يوم في ازدياد نسأل الله نجاح اعمالها وتأييد مقاصدها انه نعم المولى نعم النصير

المحاورة الحادية عشرة بين المصلح والمقلد

(الاخذ بالدليل ونهي الائمة عن التقليد)

لما ضم الشابّ المصلح والشيخ المقلد المجلس الحادي عشر قال الشيخ (المقلد) : ان صديقي قد سافر وهو في حيرة لا يدري كيف يجمع بين ما اوردته من نصوص ائمة الحنفية الصريحة في وجوب اتباع الدليل وعدم الاخذ بكلامهم الا بعد معرفة مأخذه من الكتاب والسنة والقياس الجلي وبين ماذكره ابن عابدين في رسم المفتي وفي حاشيته على الدُّر المختار من تقسيم العلماء الى ست طبقات كل طبقة تقلد مافوقها الى المجتهد المطلق الذي له الحق وحده بأخذ الحكم من الدليل . وقال : اننا نرى في الكتب أقوالاً مثل هذه الاقوال الدالة على وجوب اتباع الدليل فنحسبها متروكة لأنا مقيدون بكتب مخصوصة واقوال علماء مخصوصين وحجر علينا الاخذ بقول غيرهم فضلاً عن اتباع الدليل استقلالا حتى قالوا ان ابحاث الكمال ابن الهمام الذي شهد له كثيرون ببلوغ مرتبة الاجتهاد المطلق لا يجوز العمل بها اذا صادمت المنقول من نصوص المذهب وان كانت أبحاثه مدلّلة وتلك النصوص لا دليل عليها بل هي مصادمة للدليل

(المصلح) : أعجب من هذا القول التصريح بعدم جواز العمل بنصوص الكتاب والسنة وإن صريحة اذا هي خالفت نص علماء المذهب الذى لا دليل عليه . ولكن نيّر البصيرة لايحار وان كان مقلداً لانهم انما أوجبوا عليه تقليد مجتهد والذين قالوا هذه الاقوال مقلدون والائمة برآء منها فمن عمل بهذه القواعد فى مسائل نطق الكتاب اومضت السنة فيها بخلاف المنقول فى المذهب فقد ترك أصل دينه الأصيل وركنه الركين لقول مقلد يتبرأ منه يوم القيامة لانه يحرم تقليد المقلد ويصدق عليه قوله تعالى « إذ تبرّأَ الذين اتُّبِعوا من الذين اتبَعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب »

(المقلد) : قال صديقي انه لاحجة لهم في هذا المقام الا احتمال النسخ وقد اعجبه قولك ان هذا الاحتمال يأتي فى اقوال الأئمة والفقهاء فان الاقوال التى رجعوا عنها اكثر من الاحاديث المنسوخة وأن معرفة المنسوخ أيسر من معرفة القول المتروك

(المصلح) : الاحاديث التى قالوا بنسخها قليلة جداً وحصرها بعضهم فى واحد وعشرين حديثاً وقد رأيت فى كتاب نقلاً عن حاشية الهداية لابن العز فى مسئلة المحتجم التى ذكرناها فى المجلس الماضي أن ابا حنيفة وصاحبه محمداً يعذران من اخذ فيها بالحديث المنسوخ « افطر الحاجم والمحجوم » خلافاً لابى يوسف . وانى احب ان اذكره لك . ذكر عند قول ابى يوسف بلزوم الكفارة وتعليله بقوله « فان على العامي الاقتداء بالفقهاء لعدم الاهتداء فى حقه الى معرفة الاحاديث » ما نصه :

« فى تعليله نظر فان المسئلة اذا كانت مسئلة النزاع بين العلماء وقد

بلغ العامي الحديث الذى احتج به احد الفريقين كيف يقال فى هذا انه غير معذور ؛ فان قيل هو منسوخ فقد تقدم ان المنسوخ ما يعارضه ومن سمع الحديث فعمل به وهو منسوخ فهو معذور الى ان يبلغه الناسخ ولا يقال لمن سمع الحديث الصحيح لا تعمل به حتى تعرضه على رأي فلان او فلان وانما يقال له انظر هل هو منسوخ ام لا اما اذا كان الحديث قد اختلف فى نسخه كما فى هذه المسئلة فالعامل به فى غاية العذر فانَّ تطرق الاحتمال الى خطأ المفتي اولى من تطرق الاحتمال الى نسخ ما سمعه من الحديث » ثم ذكر قلة المنسوخ وجمع ابن الجوزي كل ما صح او احتمل نسخه فاذا هو لا يتجاوز احد وعشرين حديثاً ثم قال : « فاذا كان العامي يسوغ له الاخذ بقول المفتي بل يجب عليه مع احتمال خطأ المفتى فكيف لا يسوغ له الاخذ بالحديث فلو كانت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجوز العمل بها بعد صحتها حتى يعمل بها فلان وفلان لكان قولهم شرطاً فى العمل وهذا من أبطل الباطل ولذا أقام الله تعالى الحجة برسوله صلى الله تعالى عليه وسلم دون آحاد الأمة . ولا يفرض احتمال خطأ لمن عمل بالحديث وافتى به بعد فهمه الا وأضعاف اضعافه حاصل لمن افتى بتقليد من لا يعلم خطأه من صوابه ويجوز عليه التناقض والاختلاف ويقول القول ويرجع عنه ويحكى عنه عدة اقوال . وهذا كله فيمن له نوع اهلية واما اذا لم يكن له فقرضه ما قال الله تعالى « فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » واذا جاز اعتماد المستفتي على ما يكتب له المفتى من كلامه او كلام شيخه وان علا فلأن يجوز اعتماد الرجل على ما كتبه الثقات من كلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اولى بالجواز . واذا

قدّر انه لم يفهم الحديث فكما لم يفهم فتوى المفتى فيسأل من يعرف معناها فكذلك الحديث » اهـ

(المقلد) : هذا الكلام موافق لما قلته لي من قبل الا الاستدلال بالآية على التقليد فقد منعته انت

(المصلح) : هذا كلام حسن جداً واني وان كنت بينت ان الآية لا تدل على جواز التقليد لانها فى سياق آخر فاني لم امنع الاهتداء بالعلماء والاستعانة بهم على فهم الدين وقد قلت غير مرة ان الأئمة رضى الله تعالى عنهم لم يستنبطوا الاحكام ليصرفوا الناس اليهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم وانما استنبطوها ليعلموهم كيف يفهمون وكيف يستنبطون ولذلك حرموا الأخذ بقولهم من غير معرفة دليله لئلا يفتتن الناس بهم ويتخذوهم شارعين . ولم ينسب لاحد منهم شذوذ فى ذلك الا تلك الكلمة لابى يوسف وقد اوّلها بعضهم كما تقدم وابطل دليلها بعض آخر كما سمعت آنفاً . على ان ابن العز هذا قد نقل عن ابى يوسف مثلما نقل عن ابى حنيفة انه قال « لا يحل لاحد ان يأخذ بقولنا مالم يعلم من اين اخذناه »

اورد هذا عنه صاحب كتاب ايقاظ همم اولي الابصار ثم اورد عبارة اخرى فيها تشديد عظيم وهى قوله بعد ذكر جواز ترك بعض المسائل فى مذهب لرؤية أن دليل المذهب الآخر اقوى :

« فمن يتعصب لواحد معين غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى ان قوله هو الصواب الذى يجب اتباعه دون الائمة الآخرين فهو ضالٌ جاهل بل قد يكون كافراً يستتاب فان تاب والا قتل فانه متى اعتقد أنه يجب على الناس اتباع احد بعينه من هؤلاء الائمة رضى الله تعالى عنهم

فقد جعله بمنزلة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وذلك كفر بل غاية ما يقال انه يسوغ أو يجب على العامي أن يقلد واحداً من الائمة من غير تعيين زيد ولا عمرو اما من كان محباً للأئمة مواليًا لهم يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له انه موافق للسنة فهو محسن في ذلك . والصحابة والائمة بعدهم كانوا مؤتلفين متفقين وان تنازعوا في بعض فروع الشريعة فإجماعهم حجة قاطعة واختلافهم رحمة واسعة . ومن تعصب لواحد بعينه من الأئمة دون التابعين فهو بمنزلة من يتعصب لواحد من الصحابة دون الباقين كالرافضي والناصبي والخارجي فهذه طرق اهل البدع والاهواء » الخ وفيه ذكر ان التعصب للمذاهب كان من أسباب دخول الافرنج الى بعض بلاد المغرب الاسلامية وامتلاكها يعني الاندلس ومن اسباب زحف التتار على بلاد المشرق وتدويخ المسلمين فيها وقد ذكرنا هذا من قبل

وأعجبني قوله « يقلد كل واحد منهم فيما يظهر له انه موافق للسنة فهو محسن » وان كنت أسمي هذا استرشاداً وتعلماً لا تقليداً اذ التسمية لامشاحة فيها لان هذا القول موافق لقوله عز وجل « فبشّرْ عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم أولو الالباب » ومفهوم الآية ان المقلد الاعمى الذى لا يميز بين الاقوال ولا يعرف من اين جاءت ليس ممن هداهم الله ولا من اولي العقول «فليحذر الذين يخالفون عن امره أن تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم » وقد اصيب المسلمون لهذه المخالفة بفتن كثيرة وانواع من العذاب . ولا تزال الفتن تعبث بهم والاجانب تستولي عليهم واكثرهم غافلون عن اسبابها وعللها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

(المقلد) : هل تذكر شيئاً فى النهي عن التقليد للامام مالك بن أنس رضى الله عنه

(المصلح) : نعم روي حافظ المغرب ابن عبد البر عن عبدالله بن محمد ابن عبد المؤمن قال حدثني ابو عبدالله محمد بن احمد القاضي المالكي حدثنا موسى بن اسحاق قال حدثنا ابراهيم بن المنذر قال اخبرنا معن بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يقول : انما انا بشر اخطئ واصيب فانظروا فى رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه . ورواه غيره ايضاً . وروي ايضاً بسنده الى مطرف قال سمعت مالكا يقول قال لي ابن هرمز لا تمسك على شيء مما سمعته مني من هذا الرأي فانما افتجرته أنا وربيعة فلا تمسك به

(المقلد) : ما معنى افتجرته فانني لا اذكر انني سمعت هذه الكلمة

(المصلح) : يقال افتجر الكلام بالجيم اذا اخترقه من نفسه ولم يسمعه ويتعلمه من احد . ويقال افتحر الكلام والرأي بالحاء المهملة اذا اخترعه ولم يتابعه عليه احد واجدر بالمفتجر ان يكون مفتحراً

(المقلد) : ان هذا من محاسن لغتنا ولكنه غير مستعمل

(المصلح) : ان شأننا فى اللغة شبيه بشأننا فى الدين ولات حين كلام فى ذلك فلنمض فى طريقنا الى غايتنا

وروي عن مزين وعن عيسى عن ابن القاسم عن مالك رحمه الله تعالى انه قال : ليس كل ما قال رجل قولا — وان كان له فضل — يتبع عليه . يقول الله « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » وروى سحنون عن ابن وهب قال قال له مالك بن انس وهو ينكر كثرة المسائل : ياعبد

الله ما علمته فقل به ودلّ عليه ومالم تعلم فاسكت عنه واياك ان تقلد الناس قلادة سوء. وجاءه رجل فسأله عن مسئلة فقال له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وكذا. فقال الرجل أرأيت ... فقال مالك « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » الآية. وقال لم يكن من فتيا الناس ان يقال لهم: قلت هذا. كانوا يكتفون بالرواية ويرضون بها — وهنا التفت المصلح الى المقلد وقال: ألم أقل لك من قبل ان عامة اهل العصر الاول لم يكونوا مقلدين يأخذون بآراء العلماء وانما كانوا يأخذون برواياتهم؟ ثم قال

وروى عن عبدالله بن مسلمة القعنبي قال دخلت على مالك أنا ورجل آخر فوجدناه يبكي فسلمت عليه فرد عليَّ ثم سكت عني يبكي فقلت له يا أبا عبد الله ماالذي يبكيك؟ فقال لي: يا ابن قَعنَب أبكي لله على ما فرط مني ليتني جلدت بكل كلمة تكلمت بها فى هذا الامر بسوط ولم يكن فرط مني ما فرط من هذا الرأي وهذه المسائل وقدكان لى سعة فيما سبقت اليه. وفى رواية أخرى فقلنا له ارجع عن ذلك فقال كيف لي بذلك وقد سارت به الركبان وأنا على ما ترى. فلم نخرج من عنده حتى أغمضناه. » أي فكان هذا ما لقي الله تعالى عليه. ومن المشهور عنه رضي الله عنه: كل أحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر. ويشير الى الروضة الشريفة. وفى رواية: كل كلام منه مقبول ومردود الا كلام صاحب هذا القبر. وسنأتي فى المجلس الآخر — ان شاء الله تعالى — عن غير ذلك مما يؤثر عنه وعن اكابر اتباعه ثم ما يؤثر عن غيرهم من الأئمة وأكابر العلماء حتى يتبين لكم انكم ما قلدتم الا من تجزمون بعدم جواز تقليده والله الموفق للصواب. ثم افترقا على موعد

﴿ شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« النبذة السابعة »

ذكرنا فى النبـذة السادسة ان صاحب كتاب الابحاث اورد سبع آيات من القرآن العزيز وحرّفها عن مواضعها لاثبات كتب اليهود والنصارى والزام المسلمين باعتقادها والاخذ بها وبينا فيها تحريفه وكون الآيات حجة للمسلمين على اليهود والنصارى لا العكس بالكلام على ثلاث آيات منها وفى هذه النبذة نتكلم على باقيها

قال « والرابعة تحكم بضلال المسلم الذى لا يؤمن بالتوراة والانجيل إيمانه بالقرآن . » ونقول ان الآية الرابعة هى قوله تعالى « يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل » والمسلمون يعتقدون ان نبيهم جاء بالحق وصدق المرسلين وامرنا بأن نؤمن برسل الله وكتبه السابقة ولكن لم يكلفنا بالعمل بتلك الكتب لانه اغنانا عنها بكتاب اهدى منها لا نحار فى روايته ، ولا نضل فى درايته ، مشتمل على جميع ما فيها من صحيح الاعتقاد — معصوم من التحريف والتبديل — محفوظ من الضياع والنسيان — حاوٍ لما لا يوجد فيها من المعارف الالهية كما سنبينه بعد ان شاء الله تعالى — خالٍ من الاضافات التاريخية والآراء البشرية التى الحقت بما بقي من الكتب السماوية

على ان هـذه الآية قد اختلف المفسرون فى المخاطبين بها فقيل هم المنافقون المؤمنون فى الظاهر المرتابون أو الجاحدون فى الباطن كأنه يقول لهم ايها المدعون الايمان بالله وكتابه ورسوله وسائر كتبه ورسله بافواههم

وظواهرهم عليكم ان تؤمنوا بقلوبكم وتطابقوا بين ظواهركم وبواطنكم . وقيل هم مؤمنوا اهل الكتاب لما روي من ان ابن سلام واصحابه قالوا يارسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه فنزلت الآية . وقيل هم المسلمون مطلقاً ولا يعتد المسلمون بايمان مسلم اذا انكر الانبياء السابقين او كذب كتبهم ولكنهم لا يكلفونه بالبحث عنها والعمل بها لان الله تعالى اغنانا عنها كما قلنا ولأنه قد ضاع بعضها ونُسي كما قال تعالى «فنسوا حظاً مما ذكّروا به» وحرّف بعضها كما قال سبحانه «يحرّفون الكلم من بعد مواضعه» وكيف نأخذ بكتاب نسيَ حظ عظيم منه ربما كان مبيّناً ومفسّراً للباقي او فيه ما ليس فيه مما لا بد منه فيكون اخذنا به على غير وجهه او يكون ديننا ناقصاً ويصدق علينا قوله تعالى فى اهل الكتاب «أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض» الآية ؟ . ونكتفي هنا بالاستدلال على نسيان اهل الكتاب حظاً منه بالقرآن الكريم لان كلامنا مع الخصم فى دلالة القرآن على صدق الكتب وسنثبته بعد بشهادة تلك الكتب واقوال رؤساء الديانة النصرانية

قال « والخامسة تبين ان اهل مكة كانوا يعرفون التوراة والانجيل كما كانوا يعرفون القرآن » ونقول ان هذه الآية هي قوله تعالى « وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه » ولا دلالة فيها على ما ذكر حتى على تقدير ان المراد بالذى بين يديه الكتب المتقدمة لان سبب رفضهم الايمان هو دعوة القرآن ومن جاء به الى ذلك الايمان اي انهم قالوا : اننا لا نؤمن بالكتاب الذى جئت به يا محمد وقلت انه من عند الله ولا نؤمن بالكتب التي قلت انها جاءت قبلك من عند الله .

فأين الدليل فى هذا على ان اهل مكة كانوا يعرفون التوراة والانجيل بذاتهما ويتدارسونهما وهم اميون لا يوجد فيهم بل ولا فى العرب كافة من يكتب الا افراد لا يبلغون طرف جمع القلة (قيل انهم كانوا ستة نفر) والوجه الثانى فى تفسير قوله تعالى « ولا بالذي بين يديه » انه يوم القيامة وما يتلوه من الثواب والعقاب وهو الاظهر

قال « والسادسة تبين اقرار محمد بصحة الكتاب ومساواته اياه بالقرآن » ونقول انه اورد الآية السادسة هكذا : (قل فأتوا بكتاب هو أهدى منهما « القرآن والانجيل » اتبعه) فانظروا ايها المنصفون الى امانة هؤلاء الناس فى النقل والى تحريفهم فى المعنى وهم يخاطبون المسلمين ويعرفون حرصهم على القرآن العظيم وقد أنزل الله تعالى الآية هكذا : « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتَّبِعْهُ ان كنتم صادقين » اي اهدى من القرآن والتوراة لا الانجيل كما زعم مصنف كتاب الابحاث والدليل على ذلك قوله تعالى قبل هذه الآية « ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربّنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين . فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أُوتيَ مثل ما أُوتيَ موسى أولم يكفروا بما اوتى موسى من قبل قالوا ساحران (وفى قراءة سِحْرَان) تظاهرا وقالوا انّا بكلّ كافرون » وحكمة اسناد الكفر بموسى اليهم بيان طبائع الامم وتشابه اطوار البشر حتى كأن الحاضر عين الماضي ولذلك قال الحكماء « التاريخ يعيد نفسه » والآيات حجة على المكابرين وبرهان قاطع لألسنة المعاندين ، وليس فيها ما يدل على المساواة بين القرآن والتوراة فى كل شيء فان تعجيز المشركين بالاتيان بكتاب من

عند الله اهدى مما جاء به موسى ومما جاء به محمد لا يقتضى ان ما جاء به احدهما مساو لما جاء به الآخر . ارأيت لو قيل لجاهل بعلم المنطق ينكر على علمائه وكتبه : ألّف لي كتاباً فيه يكون خيراً من كتاب ايساغوجي وكتاب البصائر النصيرية . أتقول ان هذا القول يدل على ان الكتابين متساويين من كل وجه ؟؟

قال : « والسابعة تبين الاقرار الصريح على ان التوراة صحيحة سالمة فيها حكم الله وان متبعها ليس فى حاجة الى ان يحكم احداً سواها » ونقول ان الآية السابعة هى قوله تعالى « وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله » هذا ما اورده المصنف منها وتمتها « ثم يَتَوَلَّوْن من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين » وهي لاتدل على ما قاله لما نبينه هنا تبييناً

الآية واردة فى التعجيب من حال اليهود الذين يحكّمون النبيَّ صلى الله تعالى عليه وسلم فى بعض امرهم وهم غير مؤمنين به كالذين طلبوا حكمه فيمن زنى من اشرافهم وقالوا ان حكم بالجلد اخذنا بحكمه وان حكم بالرجم فلا نأخذ به مع ان حكم الزاني منصوص عندهم فى التوراة ولكنهم يريدون اتباع الاسهل والاخف . ووجه التعجيب ان هؤلاء القوم ليس لهم ثقة بدينهم ولا اذعان لكتابهم فهم يحكمون صاحب شريعة غير شريعتهم وشريعتهم التى يقولون انها من عند الله وفيها حكمه بين ايديهم ومن العجيب انهم لا يقبلون حكمه اذا هو وافق ما عندهم وهذا نهاية البعد عن الايمان الصحيح الخالص بكتابهم ولذلك قال تعالى بعد استفهام التعجب من تحكيمهم « ثم يتولون من بعدذلك وما اولئك بالمؤمنين » اي ليس ايمانهم بكتابهم صحيحاً لانهم اعرضوا عنه اولاً فتحاكموا اليك يا محمد ثم

اعرضوا عن حكمك الموافق له ثانياً . او النفى لصفة الايمان عنهم بالاطلاق فيدخل فيها ماذكر ويدخل فيها الايمان بالنبى صلى الله عليه وسلم وما جاء به اي انهم فسدت نفوسهم وبطلت ثقتهم بالدين مطلقاً حتى لا يرجى منهم ابداً .

وظاهر ان القول بوجود حكم لله أو احكام متعددة فى كتاب لا يقتضي ان يكون ذلك الكتاب كله صحيحاً سالماً من التحريف مشتملاً على جميع ما انزله الله تعالى . فانى اقول ان كتاب السيرة الحلبية مثلا فيه حكم الله ولا اعتقد ان كل ما فيه من الله تعالى وانه سالم من التحريف ولاحاجة لغيره بل اعتقد مع هذا ان فيه اقوالا اجتهادية وأراء للمؤلف ونقولاً لا تصح واننا فى حاجة الى غيره (يتصل الكلام)

باب التربية والتعليم

(تعليم القراءة والخط والرسم[١])

(المكتوب ٣١) من هيلانه الى اراسم فى ١٥ مارس سنة — ١٨٥ لما يتعلم «أميل» القرآءة ولا يكاد يعرف حروف الهجآء وربما كنت أنا الملومة على ذلك لأنني لم احثه على التعلم الا قليلاً . ذلك أنني لا أنفك أذكر تلك الغضاضة والكراهة للتعليم الاول وما سببه على ما أرى الا الإكراه عليه وهضم ما يجب لطفل صغيرة مثلي من حق الحرية

(١) معرب كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

والاختيار . وارى ان حملي «أميل» على التعلم لان غيره يتعلم كما كان يقال لي جناية عليه لان عاقبة هذه الحجة ان تطبع الناشيء على التقليد الاعمى والاقتداء بالناس فى جميع عاداتهم من غير تفرقة بين الحسن والقبيح . لم نختار ركوب الصعب فى هذا السبيل ولدينا المركب الذلول وهو حمل الطفل على التعلم بالتشويق والتنويه بما فى المطالعة من اللذة فقد يستغني الانسان عن الاشيآء التي يجهل فوائدها ومزاياها

أنا جاهدة فى تلمس الوسيلة التي تنبه اشتياق «اميل» الى الحروف المطبوعة وتبعث فيه الميل الى معرفتها . واذا علم ان القصص العجيبة والاساطير الغريبة التي افكّهه بمُلَحها وافاكيهها كلها مأخوذة من الكتب فلم لا يجدُ به الميل وتحمله الرغبة على ان يأخذ تلك الحكايات من مصادرها ويستخرجها من ينابيعها بنفسه فى يوم من الايام ؟ واذا تولدت فيه هذه الرغبة يوماً ما فكل ما بعدها يتبعها من نفسه وانني لا افتأ انتظر تولدها وانبعاثها الحسن فيه وقد طال تأخرها

لقد صارت القرآءة لنا حاسة سادسة بما رسخت ملكتها فينا ومع هذا لم نحط خبراً بالعقبات التي تحول دون وصول الطفل الى معرفة الحروف الهجائية بسهولة . انا باحثة عما عساه يكون منشأ لهذه العقبات الثابتة الراسخة ويشق عليّ الوقوف عليه . فليت شعري أليس هو مابه الفرق بين علم القرآءة والكتابة وبين سائر العلوم فاننا نرى هذه العلوم يساعد بعضها على معرفة بعض ويُعدُّ متعلمَ احدها ويؤهله لفهم الآخر اذا هو انتقل اليه لما بينها من الصلة واتحاد طرق الدلالة ونرى علم القرآءة والكتابة بخلافها نرى انه لا صلة بين الاشيآء وبين هذه الاشكال والرسوم

الصناعية التى وضعت للدلالة عليها فاذا انتقل المتعلم من مسميات الاشيآء الى اسمائها المرسومة فى الورق ينقطع الاتصال به فجأة . لا يصعب على « أميل » ان يميز فيما يراه من صور الاشخاص المرسومة وجوه أصحابها اذا كان رآها لان الشكل فى الصورة والمصوَّر يكاد يكون واحداً فأما الاسم المكتوب فانه لا يمثل له شخص المسمّى بحال من الاحوال . فهل توجد طريقة لربط هذين النوعين من الاشيآء فى فكره واعني بهما الرسم والكتابة ؛ هذا امر يطلب منك

أنا اكلم « اميل » بالفرنسوية وهو يتكلم مع أهل كورنواي بالانكليزية فهو بهذه الطريقة يتعلم لغتين من اللغات العصرية بلا مشقة بل لا حرج عليَّ اذا قلت بلا شعور منه بذلك . الا انه يغلط فيهما غلطاً غريباً فيمزج احياناً بعضهما ببعض مزجاً يكون من أشد الاضاحيك استضحاكاً . مثل لنفسك غلاماً يقول مخبراً لك بأنه يريد الخروج "Je voudrais to go out?" الست تغرب لهذا الخلط ضحكاً ؟ . لا غرو فما كان تكوُّن اللغات المختلطة فيما سبق الا فى مثل هذه الحالة وهي تجاور جنسين متمايزين واختلاطهما زمناً فى مكان واحد . أنا اعتقد انني أعلم « أميل » وهو فى الحقيقة معلمي لانه قد فتح عيني وهداني الى عدة مسائل ذهب تعبي فى البحث عن حلها فى الكتب سدى . وليت شعري هل تصدقني اذا قلت لك انه يعلمني التاريخ

يعرف « اميل » الرسم والتصوير وان كان لمّا يعرف القرآءة والكتابة فهل وُلِدَ مصوِّراً ورساماً ؟ لا أنكر ان النظر الى خرابيشه (١) يضعف

(١) جمع خرباش أو خربوش وهي الخطوط الفاسدة غير المنتظمة ويقال خربش الخط

هذا الاعتقاد او يذهب به بعيداً ولكنها على كل حال صور آدميين وحيوانات ومساكن وغير ذلك . ولا يكتفي بأن يحاكي بالقلم العادي أو الرصاصي شكل ما يقع عليه بصره بحسب ما يتفق له بل أراه يحاول التعبير عما فى نفسه من الوجدانات وما فى فكره من الحكايات بما يرسمه على هذه الاوراق من خرابيش الخطوط والصور . انظر كيف حاول ان يكتب اليك مكتوباً — استغفر الله قد اخطأت فى كلمة يكتب وكلمة مكتوب وكان ينبغى ان أقول : يرسم لك خطاً ربائياً (١) واني لا اخشى ان يصعب عليك فهم الرسم الذي يرسله اليك فأرجو ان اكون انا فى هذه الدفعة شامبوليون هذا الرسم (٢) فأقول :

« تربية احساس الشفقة والرحمة وحادثة غرق »

يمثل لك الرسم ريحاً عصوفاً هبت لليلتين من شهر ابريل وظلت تعصف الى الليلة الثالثة منه وليس هذا مما يحصل هنا نادراً ولله بيوتنا فانها مبنية بالصوان (وهو الحجر الكثير فى الضواحي) ولولا ذلك لتداعت او لدكت بقوة العواصف والأعاصير الشديدة التى تضطرب لها هنا السماء والأرض والماء على ان البحر لم يُرَ منذ سنين بمثل هذا الاضطراب الذي احدثته هذه العاصفة ولا يجد الواصف لهذه الحالة وصفاً الا ان يقول ان حجاب الروع والفزع قد أُسدل على هذا الكون الذي لا نهاية له لا يسمع من لغط الناس المشؤم فى هذه الحال الا اخبار الغرق

(١) البربائى الخط الذي يوجد على جدران البرابى وهي هياكل ومعابد معروفة فى مصر (٢) شامبوليون هو اول من حل الخط البربائى والهروغليفى بقراءة حجر رشيد المشهور

والغرقى تتردد من ساحل الى ساحل ولم يكن لخفرآء السواحل يومئذ همّ منذ طلع الصباح الا مراقبة البحر الهائج بمناظيرهم المقرّبة للبعيد يصوّبونها الى الافق من على تلك الصخور الوعرة المحيطة بالخليج وكانوا لا يكادون يُرَون فى ضوء ذلك الصباح الملون بخضرة البحر الحوّآء (الضاربة الى سواد) على أن اشعة ابصارهم قد خرقت تلك الحجب الجوّية وعلم الناس أنهم ميزوا من وراء تلك الامواج المتراكبة المصطخبة سواد سفينة على بعد قد وقعت فى شعب مخيف فانكسر صاريها الاكبر وتحطمت جوانبها فسقطت تضطرب كحوت اصيب بجروح عظيمة فصار يتقلب على جنبيه وكان مما يثير ثائر الخوف ان تلك الامواج التى تهيجها العواصف فتعلو فجاة كالجبال كانت تتلاعب بتلك السفينة فتقذفها آناً بعد آن بتلك الصخور الصم . وصار يتسنى للانسان فى ذلك الجو المطبق المحزن ان يميز فى ضوئه السنجابىّ اللون ايدي الناس فى السفينة تحرك قطعاً من الشراع

لم يكن للناس حينئذ من امنية الا نجاة هؤلاء الغرقى على أنهم لم يكونوا يجهلون صعوبة انقاذهم وتعسره . نعم ان اهل كورنواي اولو شجاعة ونجدة ولكنهم مع ذلك اصحاب حذر وفطنة . هدأت الريح قليلاً بعد شروق الشمس كامدة شاحبة والبحر ما زال متمادياً فى طغيانه ، مصراً على عدوانه ، فكان يخيل لرائيه يتحرك بنفسه أنه اخذته حمّى نافض من القاصف فاحدثت فيه هذه القوة العجيبة فى الرعدة والاضطراب . وكان بعض الصيادين المحنكين يرمون بابصارهم الى الامواج يتتبعون حركاتها باعينهم المدرَّبة ثم يُنغضون رؤسهم وتملو وجوههم كآبة اليأس وكان لسان حالهم يقول لا حول لنا ولا قوة على انقاذ هؤلاء المساكين

أتى على الناس نحو نصف ساعة يتراوحون بين اليأس والرجاء كان كنصف قرن . ذلك انهم كانوا يرون بعض اخوانهم بين مخلب الموت ونابه وهم يرجون منهم النجدة ولكنهم لا يجدون لانجادهم سبيلا . وبينما هم فى هذه الحالة اذا بزورق النجاة قد أحضر فصاح الناس صيحة واحدة كانت منبعثة عن جميع الصدور وهذا الزورق يعده الملاحون للدواهي الكبيرة وقد احضر بقوة السواعد والخيول ووضع فى مكان من الساحل يرجى منه الوصول الى الغرقى وما عتّم ان امتلأ بالناس على وهنه وخفته وعظم الخطر فى ركوبه وقد تحمل (قوبيدون) الذى تطوع فى هذه الخدمة منذ سنتين او ثلاث كل مشقة فى الذود عن مكانه وحفظ مجدافه وكان الذين ركبوا الزورق يحسدونه على شرف التعرض لمخاتل المحيط ومخاخه وما نجح فى ذوده ودفاعه هذا الا بقوة حقوقه المكتسبة بسابق هذه الخدمة . أنزل الزورق فى البحر وانحنى المجدّفون الجريؤن على مقاعد تعلو نصفها الامواج واوغلوا فى البحر وكان « اميل » على ما ارى يأسف أنه لم يكن له من السن والقوة ما يؤهله لمساهمة رفيقه قوبيدون فى هذه السياحة الدالة على جراءة الجنان ، وشرف الوجدان ، واراه قد اكتسب فى هذا المشهد من العبرة باخلاص المخلصين ، والأسوة باحسان المحسنين ، ما لا ابيح لنفسي التعبير عنه بالكلام ، ومحاولة شرحه بفصاحة البيان ، لئلا اضعف من قوته ، واشوّه من صورته ، فان حضور المشاهد العظيمة ، ورؤية الأخطار الكبيرة ، تعلمنا بغير كلام ، وتربينا بدون إلزام ،

غاب الزورق ساعات والناس فى قلق مميت واذا بصائح يصيح « ها هو ذا راجع » وكان يقترب من الشاطئ حقاً والناس فى ريب من

نجاحه وما كان اشد شجاعته فى مساورة غضب الامواج الثائرة ! ! أنا لا اشك فى أنك تعرف ما تأتى به صناعة الملاحة من هذه العجائب وتلك الزوارق المنشأة من الهواء والبلوط التى هي فى الخفة كالريشة وفى القوة والمتانة كما يحب الخير ويرضى . كان يخيل للرائي فى كل لحظة ان الفواعل الجوية المصطخبة ستبلع بقوتها هذه الصدفة الخشبية التى تطاولت بجراءتها الى منازعة البحر فى غنيمته ولكنها تطاولت فطالت وحاربت فظفرت فكأن هذا الزّورق كان انساناً يسبح وقد اعطته جنيّة طلسمها ليتقي به مفزعات النوء . وما كان ابدع منظر رجاله والماء يتدفق من فوق قلانسهم المشمعة وثيابهم المزيّنة وهم راجعون اعزاء ظافرين وان كان الموج نال منهم وترك اجسامهم كاجسام الضفادع ونحوها من حيوان الماء وقذف بهم أحياناً فى مهاوي عميقة كبطون الاودية وطفر بهم اخرى الى قنن عالية كشعاف الجبال يظهرون بها للأبصار فى ضوء الشمس السقيم ولو انه نزع مجاديفهم من ايديهم لبادروا لاسترجاعها بقوة ، كما يأخذ الشجاع سلاحه من عدوه

صاح قوم من الملاحين كانوا على صخرة قائلين « نجوا »

فلما سمعت هذا الصياح شخصت ببصري الى الزورق الذى كان يدنو من الشاطئ دنوًّا غير محسوس وانشأنا نميز بين رجال الزورق ثلاثة من الغرقى شاحبي اللون شحوباً مفزعاً وفتاة صغيرة ليس فيها ادنى علامة على الحياة

وصل الزورق بمشقة شديدة ورسا فى مرسى من المراسي المحمية بالخليج فلم ألبث ان تلقفت بعض التفصيل عن حادثة الغرقى فعلمت أن

انقاذ الغرقى كان عسراً خطراً وانهم لقوا الألاقىّ الشديدة ويظن انهم باتوا ليلتين على الطَّوَى . وقد وجدوا معشّشين كالطير البحري حول بقايا ادوات السفينة التى لم يدمرها البحر كلها تدميراً . ولا شك انهم لما صاروا عرضة لجميع شدائد الجوّ تسلقوا هذا الموضع الحرج عند اغتيال الأمواج سطح المركب وثبتوا فيه بخوارق الشجاعة وقد تعب منقذوهم فى تخليص الحبال من ايديهم التى أيبسها البرد وكانوا عاجزين حتى بعد نجاتهم عن مدافعة النعاس الذى اسْرَنداهم ودفع النوم الذى اناخ عليهم بكلاكله

كان الناس يتساءلون : من هم ومن أين أتوا ؟ ومما كان يزيد فى سوء حالهم انهم ما كانوا يحيرون جواباً ، لانهم لايفهمون خطاباً ، فحسبت انهم يعرفون غير الانكليزية فخاطبتهم بالفرنسوية وبالالمانية بل استنفدت جميع ما اعرف من اللغات فلم أر فى وجوههم امارة على فهم شيء منها . وكان فى الميناء بعض الملاحين الروسيين واليونانيين والزوجيين فلم يكونوا أسعد حظاً منى فى مخاطبتهم . تجلت هذه الحادثة بشكل الأُمور الغريبة فكأن هؤلاء الغرقى فى نظر الناس أموات بعثوا ولم يعرفوا لغات الاحياء

وأما الفتاة الصغيرة التى يظهر انها بنت خمس فكانت نجاتها كمعجزة من المعجزات وكانت ابصار الملاحين قد زاغت دونها ولم تهتد فى الضباب الذى اثارته الامواج اليها ولكن قويدون لمح بعينه التى تحاكي عين الفهد شبه كتلة معلقة فى بقايا أدوات السفينة وخاطر بنفسه فى التسلق لاكتشافها أشد المخاطرة فالفاها بنتاً قد لفت فى نسيج ولبوس وعلقت على ارتفاع عشرين قدماً وسط الحبال المتقطعة وكانت مغمى

عليها من البرد والجوع والخوف فاخذها والقاها فى الزورق فظلت فى غيبة نعاسها كذلك الطائر البحريّ الذي يُرى متخدراً طافياً على سطح المحيط أُدرك هؤلاء الغرقى في الوقت الذى يجب انقاذهم فيه اذ لم يمض على ذلك بضع ساعات حتى هاج البحر هيجة حطمت بقايا السفينة وبددت الواحها تبديداً. وكانت القرائن تدل على انه لم ينج من ركابها الا هؤلاء اخذ الغرقى الى ملجأ الملاحين ليساعدوا على ضعفهم وطلبت ان تضم البنت اليّ والفضل كله فى هذا البر لاخلاص قو بيدون. ليت شعري من أي البلاد هي؟ ان ملامح وجهها وشعورها الحالكة وجلدها الذهبي تدل على انها من البلاد الجنوبية. هل هي يتيمة؟ وهل غرق أبواها؟ ومن هو صاحب اليد التى علقتها في بقايا الصارى؟ تلك اسرار محجوبة عني ولكن الظاهر انها ليست لاحد الذين نجوا من الغرقى. ولا بد ان نقف قريباً على خبر السفينة ومن فيها وسأكتب اليك بما اعلمه من ذلك واستودعك الله قائلة: ان من حبك ان اتأثر بمصائب الناس واهتز لها

(حاشية) عرف اسم السفينة وهو (أيا كوكو) وغرقاها من البروفيين الذين يتكلمون بالاسبانية غير الصحيحة هذا كل ماعلم الى الآن عن هذه الحادثة البحرية المحزنة

(ريشة صادق) نذكر هنا بمناسبة كون هذه الرسالة فى موضوع تعليم الخط والرسم مانوهت به الجرائد اليومية من اختراع خليل بك صادق صاحب مكتبة ومطبعة الشعب ريشة للكتابة تفضل امثالها بخصائص منها انها تكتب عدة أسطر بغمسة واحدة فى الحبر وقد اقبل الناس عليها كثيراً

آثار علمية ادبية

« الهدايا والتقاريظ »

(ديوان حافظ) نوهنا بهذا الديوان من قبل ونشرنا مقدمته وقد تم طبعه مشكولاً مفسراً ما يحتاج منه الى الشرح بقلم جامعه الشاعر الاديب محمد بك هلال ورأينا فى باب شكوى الزمان منه صورة مكتوب للناظم كان ارسله من السودان الى فضيلة مفتى الديار المصرية يدل على رسوخ عرقه وطول باعه فى الأدب وكان يومئذ بين المدافع والقواضب ، ومقارعة الجيوش والكتائب ، لا بين الدفاتر والمكاتب ، فرأينا ان ننشره لما فيه من الابداع والدلالة على ان الناظم شاعر فى منظومه ومنثوره وفقاً لمذهبه فى المقدمة قال جامع الديوان :

« وكتب من السودان الكتاب الآتي الى واحد العلماء فى مصر ، وإمام فلاسفة هذا العصر ، نادرة الفلك ومعجزة الزمان الاستاذ الاكبر فضيلة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية وقد اثبتناه هنا وان لم يكن ثم محل للنثر (كذا) لاشتماله على كثير من القريض نضن بضياعه :

« كتابي الى سيدي وانا من وعده بين الجنة والسلسبيل ، ومن تيهي به فوق النثرة والاكليل ، وقد تعجلت السرور ، وتسلفت الحبور ، وقطعت ما بيني وبين النوائب

وبشرت اهلي بالذي قد سمعته ... فما محنتي الا ليالٍ قلائل
وقلت لهم للشيخ فينا مشيئة ... فليس لنا من دهرنا ما نازل

وجمعت فيه بين ثقة الزبيدي بالصمصامة(١) والحارث بالنعامة(٢) فلم أقل ما قال المزلى"(٣) لصاحبه حين نسى وعده ، وحجب رفده ،

* يادارعاتكة التى اتغزل * بل أناديه نداء الاخيذة فى عمورية ، شجاع الدولة العباسية ، وامد صوتى بذكر احسانه ، مد المؤذن صوته فى اذانه ، واعتمد عليه فى البعد والقرب ، اعتماد الملاح على نجمة القطب ،

وقال اصيحابى وقدهالني النوى وهالهم امري متى انت قافل

فقلت اذا شاء الامام فأوبتي قريب وربي بالسعادة آهل

وها انا (ذا) متماسك حتى تحسر هذه الغمرة ، وينطوي اجل تلك الفترة ، وينظر الى سيدي نظرة ترفعني من ذات الصدع ، الى ذات الرجع(٤) ، وتردنى الى وكرى الذى فيه درجت ردّ الشمس قطرة المزن

(١) الزبيدى هو عمر وبن معد يكرب الشجاع الشهير في الجاهلية والاسلام والصمصامة سيفه المشهور (٢) الحارث هو ابن عباد من شيوخ العرب والنعامة فرسه وكان مشهوراً (٣) المزلي هو نديم الخليفة أبى جعفر المنصور العباسى وكان لا يكلمه الا جواباً هيبة واجلالاً واتفق ان وعده بوعد وتثاقل فى الوفاء حتى خرج الى الحج وكان المزلى في حاشيته فمرا يوماً بدار عاتكة بنت عوف فى مكة فقال المزلى للمنصور : يا أمير المؤمنين هذه دار عاتكة التى يقول فيها الشاعر

* يادار عاتكة التى اتغزل * فعجب المنصور كيف بدأه المزلى بالكلام وعلم ان في ذلك نكتة فلما عادا الى بغداد قرا القصيدة حتى انتهى الى قوله :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق اللسان يقول ما لا يفعل

ففطن لاشارته الخفية وذكر وعده فقام بوفائه لساعته (٤) يريد ترفعنى من الارض الى السماء أخذا من قوله تعالى « والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع » والرجع المطر سمي به لان الله تعالى يرجعه وقتاً فوقتاً او لانه يرجع اليها بالتبخر بعد ان ينزل منها قال البيضاوي وعلى هذا يجوز ان يراد بالسماء السحاب . والصدع الشق تنشق الارض بالنبات وبالعيون تتفجر منها .

الى اصلها(١)، وردّ الوفيّ الامانات الى اهلها،

فان شاء فالقرب الذى قد رجوته وان شاء فالعزّ الذى انا آمل
والا فانى قافُ رؤبة لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائل(٢)

فلقد حللت السودان حلول الكليم فى التابوت، والمغاضِب فى جوف الحوت، بين الضيق والشدة، والوحشة والوحدة، لا بل حلول الوزير فى تنور العذاب(٣)، والكافر فى موقف يوم الحساب، بين نارين نار القيظ، ونار الغيظ،

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمره يذيب دماغ الضب والعقل ذاهل
فصرت كأنى بين روض ومنهل تدب الصبا فيه وتشدو البلابل

واليوم اكتب اليه وقد قعدت همة النجمين(٤)، وقصرت يد الجديدين، عن إزالة مافى نفس ذلك الجبار العنيد، فلقد نما ضبّ ضغنه علىّ، وبدرت بوادر السوء منه الىّ، فأصبحت كما سرَّ العدوّ وساء الحميم، وآلامي كأنها جلود اهل الجحيم، كلما نضج منها اديم تجدد اديم، وامسيت وملك آمالي الى الزوال، أسرع من اثر الشهاب فى السماء، ودولة صبري الى

(١) يشير بهذه الجملة الى التعليل الثانى السابق لتسمية المطر بالرجع (٢) رؤبة هو الراجز العربى الشهير وكان اكثر اراجيزه على رويّ القاف الساكنة فضرب بها المثل فى السكون قال المعري:

مالى غدوت كقاف رؤبة قيدت في الدهر لم يقدر له اجراؤها

(٣) الوزير هو محمد ابن الزيات وزير مروان الحمار آخر بني أمية اتخذ الوزير تنور العذاب لتعذيب من يؤمر باعدامه فكان هو اول من عذب فيه بأمر مروان وقصته مشهورة (٤) النجمان هما المشترى والزهرة كانوا يعتقدون ان لهما تأثيراً في التأليف بين القلوب . ذكره شارح الديوان

الاضمحلال ، أحث من حَباب الماء[١] ، فنظرت فى وجوه تلك العباد ، واني لفارس العين والفؤاد ، فلم تقف فراستي على غير بابك

واني اهديك سلاماً لو امتزج بالسحاب ، واختلط منه باللعاب ، لأصبحت تهادى بقطره الاكاسرة ، وامست تدَّخر منـه الرهبان فى الاديرة ، ولأغنى ذات الحجاب ، عن الغالية والمَلاَب[٢] ،

ولا بدع اذا جاد السيد بالرد[٣] فقد يُرى وجه المليـك فى المرآة ، وخيال القمر فى الأضاة[٤] ، وان حال حائل ، دون امنية هذا السائل ، فهو لا يذم يومك ، ولا ييأس من غدك ، فأنت خير ما تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً والسلام » اه

هذا وليس الديوان على أسلوب واحد فان فيه ما جاء على طريقة المعري فيلسوف الشعراء كبعض الحكم والرثاء والشكوى وفيه ما يحاكي اسلوب ابى نواس كبعض الخمريات . ومن هذا الشعر ما لا يود مثلنا من رجال الدين نشره وان كان لا يكاد يخلو كتاب من كتب الادب ودواوين الشعر العربية عن مثله كالقصيدة التى نظمها عن لسان الشيخ الصوفى فى معشوقه شكيب . وثمن الديوان عشرة قروش أميرية فليبادر اليه مريده فانه لا يلبث ان ينفد

(لغة الجرائد) كتب العالم اللغوي المشهور الشيخ ابراهيم اليازجي

---

(١) فسر الشارح احث بأسرع والمعروف في معاجم اللغة ان حثه على الشىء بمعنى حضه عليه ولا يصح هنا (٢) الغـالية اخلاط من الطيب والملاب بالفتح العطر السائل فارسى الاصل (٣) يريد ردّ الجواب واطلاق بهذا المعنى من عرف المصريين (٤) الاضاة بالفتح غدير المآء . وضـبط في الاصل بالضم وجعل على الالف علامة المد وهو غلط بالطبع ولم يفسره الشارح

فى مجلة الضياء مقالات فى انتقاد لغة الجرائد بين فيها ماشاع استعماله بين كتابها بل اكثر كتاب العصر من الاغلاط فى مفردات اللغة وتراكيبها وقد عني الأديب الفاضل مصطفى افندى توفيق بجمع هذه المقالات وطبعها وقد زاد على ما كتب فى الضياء كثيراً من الكلمات والجمل المنتقدة وجعل ثمن المجموعة ثلاثة غروش أميرية وهو ثمن قليل لكتاب نجزم بعظيم فائدته وإن لم تتيسر لنا مطالعته لما لنا من الثقة بمؤلفه

الأخبار التاريخية

﴿ رزء عظيم اسلامى — وفاة أمير الافغان ﴾

نعت البرقيات العمومية فى الاسبوع الماضى الامير عبد الرحمن صاحب افغانستان أعقل امراء المسلمين فى هذه العصور الاخيرة وابصرهم بالسياسة بل أعقل امراء الشرق وملوكه واعلاهم حكمة واشدهم حزماً وابعدهم رأياً ولا استثني ميكادو اليابان الذى ضربت امته مع الاوربيين بكل سهم وطاولت دولته دول الغرب في كل أمر فان أمير الافغان الذى حفظ استقلال بلاده وهي على ما نعلم فى مشكلاتها الداخلية والخارجية لا يقاس به ملك كالميكاد يرتقى عند رعيته الى مرتبة الالوهية ويُخضع له الخضوع الاعمى وليس مطموعاً فى بلاده من اقوى دول الارض كدولتي روسيا وانكلترا الطامعتين فى الافغان . وقد نوهنا بفضل هذا الامير فى اجزاء من المنار وسنلمّ بشىء من تاريخه فى جزء آخر . وقد انتقلت الامارة

لنجله الأمير حبيب الله خان الذي نرجو ان يكون استفاد من تربية والده ودهائه ما يجعله خير خلف له كما نرجو من اخوته وسائر أمراء الافغان ورؤساء قبائلهم أن يكونوا له كما كانوا لأبيه فان التفرق آلة الدمار، وعامل الخسار، ونسأل الله تعالى أن يتغمد هذا الأمير برحمته ويعفو عن زلاته الاستبدادية، التي كانت نتيجتها خيراً للرعية.

«سقوط الشيخ أبي الهدى أفندي»

شاع من بضعة اشهر ان مولانا السلطان أيد الله دولته قد غضب على صاحب السماحة الشيخ أبي الهدى أفندي غضباً لم يغضب عليه مثله وقد حقق مرور الزمن الطويل ذلك ويؤكد العارفون بأسرار الاستانة ان ثقة السلطان به قد زالت من كل وجه حتى انه لا يفض ختم التقارير التي يرفعها اليه وان كتب على ظرفها انها تتعلق بحياة السلطان التي هي أهم الاشياء واجدرها بالالتفات والعناية والتي كان الايهام فيها هو الوسيله العظمى لقرب امثال هذا الشيخ من المقربين الذين باعوا مصالح الامة والدولة بالحظوظ التي ينالونها من شغل مولانا السلطان بها. أما سبب هذا الغضب المباشر فأقرب ما يقوله الناس فيه الى التصديق انه ثبت لمولانا السلطان ان الشيخ كاتب سمو الخديو المعظم وخضع له فى حادثة «شكيب» المشهورة مع انه كان يحاول دائماً اقناع السلطان بأن الخديو طامع بالخلافة. أليس هذا الخضوع مع هذا الزعم اعظم كفران بنعم مولاه؟

«عودة احمد عرابى»

عاد الى مصر من سيلان زعيم الثورة العرابية احمد عرابى (باشا) بعفو من سموّ الخديو المعظم مبنيٍّ على شفاعة ولىّ عهد دولة الانكليز.

ومن عموم الجهل فى القطر المصري ان اكثر اهله لا يزالون فى أمر مريج من الاعتقاد بهذا الرجل فمنهم من يعتقد انه كان يقصد نفع الوطن وخدمته بكل اخلاص وان السبب الأكبر فى فشله وخيبته اعلان السلطان عصيانه وخروجه ومن هؤلاء اكثر العامة ولذلك كانوا تمسحون به تبركاً بعد ان صلى الجمعة فى مسجد السيدة زينب رضي الله عنها وعند ما زار الضريح الحسيني . ومنهم من يعتقد ان سبب فشله هو الجهل بما يحتاج اليه هذا العمل العظيم الذي تصدى له . ومنهم من يعتقد انه كان بينه وبين الانكليز وفاق سري كان هو السبب فى مساعدة قنصل الانكليز له فى كثير من مطالبه قبيل الثورة وفى اثنائها ومنهم من يعتقد ان هذا الوفاق كان بينه وبين الخديو السابق توفيق باشا ودولة الانكليز لأجل استقلال البلاد المصرية وانفصالها من الدولة العلية . ويظهر لنا صحة ما قاله البعض من ان اكثر الخواص يمقتونه على كل حال لانه سبب ضياع استقلال بلادهم

﴿ تصحيح غلط فى الجزء ١٤ ﴾

في السطر الثالث من أسفل الصفحة ٥٤٨ لفظ جاء وصوابه (حباه) وفى (س ٢ ص ٥٥٠) لفظ متحجاً وصوابه (محتجاً) . وفى (س ١٦ منها) لفظ شمس وصوابه (تسمى) وفى (س ١٣ ص ٥٥١) سقطت جملة (يغار عليه) بعد كلمة (بدين) ومنه غير ذلك مما هو ظاهر

﴿ من ادارة المنار ﴾

نرجو من قرآء المنار الافاضل فى تونس ان يرسلوا قيمة الاشتراك حوالة على ادارة البريد باسمنا ونخص بالرجاء من لم يدفع عن السنة الماضية . ونرجو من المشتركين فى الدقهلية الاعتماد على توقيع الدكتور النطاسي نصر أفندى فريد طبيب العيون بالمنصورة والدفع له

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

﴿ مفاسد لا موالد ﴾

لأحد الفضلاء يصف المولد الكبير الاحمدي وبعض ما كان فيه من البدع والمنكرات والتقاليد والعادات

إن صح ما يقوله علماء العمران من أن المعارض معيار تقدم الامم وارتقائها فى الحضارة لانها السوق الذى تعرض فيه بضائعها وما حصلت عليه من علوم وما تحلت به من اخلاق وآداب والزناد الذى باستيرائه يتجلى كامن القوة ويتسنى الانتفاع بما أودع فيه من صنعة الحكيم العليم كان المولد الاحمدي هو أول معيار يعرف به الحكيم الحاذق ما عليه امتنا المصرية من الارتقاء فى سلم المدنية وما أحرزته من مستلزمات الحضارة والسبق فى ميدان تنازع البقاء ويمكنه بعد ان يجول فى انحاء طنطا فى هذه الايام جولة صغيرة أو يجلس فى محل مشرف على طريق عام برهة من الزمن ان يستجمع من الادلة والبراهين التى يشاهدها بعينى رأسه ويسمعها بأذنه ما يكفي لاقتناعه بان يصدر حكماً قد رسخت قواعده على اساس العدل على ما وصلت اليه الامة فى آدابها واخلاقها وهل هي من ذلك فى الدرك الاسفل أو الدرجة العليا واذا كان ممن يعرف شيئاً عن حقيقة الدين الاسلامي تبين مقدار محافظة الامة عليه وقيامها به واعتبر هذا المولد عظة وذكرى لقوم يعقلون

ولكن ما الذى يشاهده ياترى ؟ يشاهد طنطا وقد احتشد فيها انواع

الناس من كل فج وناحية فهي تموج بهم موجاً وقد ضاقت بهم ارجاؤها على رحبها وقد تخلل عشرات ألوف هذا الجمع المزدحم آلاف من الباعة لأنواع الألاعيب وملهيات الاطفال والمناديل وأنواع الخرداوات وسائر المعروضات التي لو سألت عن منشئها ومن أين جاءت لأجبت لاول وهلة انها من واردات البلاد الاجنبية فليس بين ما يعرضه الباعة من المصنوعات المصرية الا النزر اليسير من تافه المبيعات كالزمارات المتخذة من القصب الفارسي ونحو ذلك وما بقي فمعروضات افرنكية فى الحقيقة — وقلما تسمح نفس مصريّ بعرض مصنوع مفيد يكون من ورائه ترقية حال الامة فى زراعتها أو تسهيل الاعمال التى تزاولها من المهن الضرورية على حين نرى فيه الافرنج يتسابقون الى مثل هذه الاحوال فهم يعرضون فى هذا المولد طنبوراً رافعاً للمياه يذكرون من فوائده انه يسهل ريّ الارض بدرجة لم يسبقه بها من الآلات الرافعة الا ما كانت ادارته بقوة الآلات الكهربائية أو البخار

وقد رأيناهم يعرضون فى المولد الذى قبل هذا انواعاً من النوارج ومكينات لفرط الذرة واخرى لغربلة الحبوب وثالثة لطحن البن وما شئت من مصنوعات تضافرت عليها افكار وايدي الانسان فكانت خير نتيجة انتجها الجد وممارسة العلوم وما أُوتيتم من العلم الا قليلا

اذا صرف العاقل نظره عن التأمل فيما يتبادل الناس بيعه وشراءه وتأمل فى هذا الجمع المزدحم رأي اصناف الناس كانما دعاهم داعى النشور فقاموا مسرعين الى موقف فصل القضاء قد اختلط الرجال بالنساء والكبار بالصغار كل آخذ فى سبيله منصرف لما يريد — يرى من بين هذا المزدحم

فئات من الشبان قد التفوا حول غانية هيفاء وقد خرجت متبرجة تبرج الجاهلية الأُولى وبذلت اقصى ما تصل اليه يد امكانها من الزينة لتغري هؤلاء الاغرار باتباعها حتى يصلوا بها الى ملهى من الملاهى ويكون هناك من انتهاك حرمة الآداب ما تقشعر منه الامم العريقة فى الهمجية

يرى الطبول تقرع وكاسات الفقراء ترنّ والرايات الملونة خافقة فى الهواء وحاملوها يتمايلون كانما سرت فيهم كهربائية الولاية

انا جالس الآن اشاهد الطريق الذي يمر منه الخليفة وقد ازدحم الناس على جانبي الطريق والافرنج يشرفون من الكوى والشرفات ليشاهدوا ما يعملهُ المسلمون من شعائر دينهم ومن تحتهم تمر الخلفاء والنقباء وارباب الاشائر وابناء الطرق بالازياء المختلفة وآحاد الناس قد احتضنوا الابناء وعلى رؤسهم الطراطير المخروطية الشكل المختلفة الالوان وهؤلاء الخلفاء (ماعدا خليفة السيد طبعاً) يسير الواحد منهم وهو ممتط فرساً ذلولاً وقد امسك بهذا الشيخ من جوانبه الاربع فئة من مريديه وهو يتمايل على ايديهم ذات اليمين وذات الشمال والى الأمام والوراء وآخران قد امسكا بزمام فرسه وهو على هذه الحال كأنما أُخذ عن حسه واستغرق فى مشاهدة الذات الاقدس والبعض من هؤلاء المشايخ الاقطاب قد اسبل على رأسه وجانب من نصفه الاعلى كساء من الصوف الاحمر او الاصفر او الاخضر او نحو ذلك فلا يرى من بدنه شيء وبعض قد عرى رأسه وجسده الى ما تحت السرة وانحسر اللباس عن رجليه الى مافوق الركبتين فلم يستتر من جسده غير سوأتيه وهو فى تمايله ذاك يخرج من فيه لعاباً يسيل من اشداقه كأنه يتخذ هذه الحال عنواناً على الرقيّ الى حظيرة القدس

او التناهي فى مقام القرب وكونه لم يبق بينه وبين مخالطة الملأ الاعلى وعالم الروحانيات شيء . وأمامه وخلفه ثلة من الشيب والكهول والشبان بغريب الملابس قد استولى عليهم الجذب وشغل حسهم شهود الخالق فى زعمهم فهم يثبون وثبة القرد امره سيده بمحاكاة البرابرة يرقصون فى ملاهيهم فأتمر . والناس يقرأ بعضهم الفواتح والبعض يستغيث بهم والنساء تزغرط وما شئت من هذا الباب واكتلت من هذا الجراب

وبعد ذلك مرت الموسيقى وعلى جماعتها مظلة واحدة يبلغ قطرها ثلاثة امتار ونصف تقريباً وقد نقشت بانواع الاصباغ فكانت مرمى نظر الجميع ثم مر الطبل التركي وخلفه ارباب الحرف وخدمة القهاوى من البلاد المختلفة وقد امتطوا الخيول والبغال والابل على انحاء شتى وعلى رؤسهم الطراطير الموصوفة ولا تسل عن عربات النقل (الكارو) المقلة للنساء والفتيات وقد لبسن الطراطير واخذ الحرُّ مأخذه منهن حتى ان الواحدة ربما لم تجد شيئاً تحرك به النسيم سوى نعلها فتنتزعه من رجلها وتمر به امام وجهها يميناً وشمالاً تموّج به الهواء تنفس عن نفسها وربما فعلت ذلك لتكون اضحوكة

ومر بعد ذلك شخص امامه موسيقي خصوصية وقد اعتلى فرساً وجعل على رأسه كوفية ملونة ولف عليها عقالاً وضرب بفضل اطراف الكوفية على وجهه فلم يظهر منه سوى عينيه وشد على وسطه زناراً ملوناً واحتذى حذاء مما لا يلبسه الا السيدات وحلَّى ساقه بخلخال لامع من الفضة فاختلف الناس فيه اهو مخنث او امرأة تخفى أمرها وبعبارة أخرى (هل هو الرجل الجديد او المرأة الجديدة) ثم مرت شرذمة من

العساكر الفرسان بأيديهم السيوف تتلوها أخرى من الرجالة بأيديهم البنادق ثم غوغاء من الناس يذكرون الله لا يتجاوز الذكر حناجرهم وقد تلجلج بصرهم ذات اليمين وذات الشمال ثم سبعة من كناسي المسجد الأحمدي بأيديهم سيوف أنحى عليها الصدأ وكر الغداة ومر العشيّ وقد لبسوا دروعاً وخوذاً اخلقتها الدهور لاقراع الكتائب والظاهر انها كانت مما يستعمل زمن الحروب الصليبية والناس يزعمون انها كانت لباس الاسرى الذين احتملهم سيدي احمد البدوي من بلاد الكفار وامامهم حاملوا البلط والسيوف الخشبية ثم الخليفة وعلى رأسه التاج المنسوب الى السيد احمد البدوي وبجانبه الحراس من فرسان العساكر والاهالى خيفة أن يختلس التاج اولاد نوح الذين يزعمون انهم أولى به ووراءهم اخلاط المشاة والركبان بالازياء المختلفة والبعض قد ضم اليه طفلاً ألبسه خرقة خضراء وطرطوراً رجاء ان يعيش ويطول عمره تخللهم زعانف آخرين كَحَمَلَةِ المزمار والطبل البلدي والتركي ثم الذين يركبون الابل وقد وضعت بينهم مائدة على ظهر بعير يلعبون عليها بالضمن والكوتشينه والنرد. ثم راكب على جمل قد لبس حلة من شعر المعز وتاجاً اخضر محلى بالقصب المخيش وحلة خضراء وامامه ولد كذلك وامام الولد سفط مغشى بالنسيج الاخضر وغبيط الجمل كذلك وبعد ذلك ثلاثة نفر قد صبغوا وجوههم بألوان من الاسفيذاج والسليقون واللازورد وتزيوا بأزياء مختلفة وبيد كل منهم قرص من السرقين يموج به الهواء ليستنشقه بارداً وبالجملة لا يكاد يمر بالموكب الا من غير زيه وشكله وخلقه وخلقه

هذه بعض صفات المولد الاحمدى الذي يعتقد كثير من الناس انه

من مستثنيات الشريعة الغرآء وان المبادرة اليه من افضل القرب وان من زنى فيه لا بدَّ ان يتوب الله عليه وان موكب الخليفة الموصوف هو مهبط الاسرار الربانية وان ما يقع فيه من الامور المخالفة للشريعة لا يقع الا وقد سبقه الغفران وهكذا تلبس المساوي لباس الآداب الدينية وتلتصق الوثنية بدين التوحيد وتعد المخازي الهادمة للآداب والمروءة من دعائم الحنيفية السمحة تبرأ الاسلام من ذلك وتعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً

اكتب هذه السطور وانا مشرف على موكب الخليفة من جهة يميني وعلى يساري كتاب فيه تاريخ الفراعنة فى وثنيتهم الأُولى اطالع وصف مواكبهم واجيل طرفى فى صورة الموكب فلم اقرأ مثلما يلمح طرفى الآن مما يشوّه وجه الآداب او يناقض سمات الفضيلة نخيل لي ان تلك الوثنية الاصلية أَرقى من جميع الوجوه مما لحق بالاسلام والتصق به من هذه الشعائر الوثنية الطارئة

مررت على بيت فاذا فيه جماعة قد اخذوا بأيديهم المعازف من الدف والمزمار البلدي والأرغول والناي والجميع يعزفون بالانغام ومنهم ضارب على صنجة رنانة من الفولاذ ومعهم جماعة يتمايلون ويوقعون الذكر على هذه الألحان ففي ايّ دين جآء هذا وفى ايّ قرآن شرع وعلى اي رسول نزل ؟ هذا القرآن الذي جآء به محمد صلى الله عليه وسلم ليس فى آياته امر بذكره تعالى فى حال تمايل الذاكر كتمايل الثمل أمال اناء بنت الحان فامالته ولا ان يكون ذكر الله على توقيع الحان المعازف ولم ينقل من احواله صلى الله عليه وسلم شيء من هذا الذي يأتيه اعوان الضلال الذين يتبعون خطوات الشيطان وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً

وهناك قوم آخرون يذكرون الله بأصوات منكرة مزعجة اذكرتني

ما اخبرني به بعض المدرسين بالجامع الاحمدي وهو انه شاهد جماعة من هؤلاء فى سفره الى الحجاز كانوا معه فى قافلة وهم من المصريين فاناخت القافلة فى واد بين جبلين فقام هؤلاء يذكرون (الذكر البيومي) فى جوف الليل فلما علا صوتهم وتردد صداه فى تلك الصحراء هاجت الجمال واخذت فى ارجلها اطناب الخيام وقلعت الاوتاد وذعر النيام وساءت حال القافلة فقام الاعراب ممتشقين السيوف يتساءلون ما هـذا الضجيج فقال لهم ذلك المدرس هـذا ذكر الله فقال له اعرابى جلف : ذكر الله به تطمئن القلوب ولا تهيج منه الجمال

هذا بعض ما رأيته فى هذا المولد ولو كنت ممن يغشى مواطن اللهو لذكرت كيف تراق دماء الآداب باراقة دم بنت العنقود وكيف تنحدر جداول الدراهم والدنانير وتصب فى خزائن باعة المسكرات وكيف يأتون بالبغايا وينصبونهن حبائل لاقتناص الوارثين من ابناء الموسرين وكيف يخرّب هؤلاء الاغرار بيوتهم بايديهم وايدى الخواجات ومن وراء ذلك سوء المنقلب وبئس المصير

وفى الختام اقول ان السيد احمد البدوى رضي الله عنه لو كان حياً يمشي على رجلين وينطق بلسان وشفتين ودعا اهل القطر المصري لعمل من الاعمال الخيرية يعود عليهـم بالخير العاجل والثواب في يوم الجزاء لما لقي منهم الا اعراضاً بل لو قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم الى مثل ذلك لما كانوا له الا كما كان عبد الله بن ابى سلول فالى متى لا نرى من الحكومة الا المساعدة على هذه المنكرات ولا نبصر من العلماء الا الاقرار على هذه الموبقات ؟

ع . ن

الجزء السادس عشر — المجلد الرابع

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و «مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الثلاثاء ١٦ رجب الحرام سنة ١٣١٩ — ٢٩ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠١ ﴾

الاستقلال والاتكال

« بقلم الكاتب الفاضل محمد افندي كرد علي الدمشقي »

يطالع المستفيد مئات من كتب الفلسفة والأدب وعلوم العمران فلا يعتم ان يستقلَّ منها ما يأخذ مأخذه من العقول ويحدث أثراً في النفوس ولا عجب فقد تنصرف وجهة الأُلوف الى خدمة العلم وبث الملكات الصحيحة فاذا فوضل بينهم ووضعت اعمالهم فى ميزان النَّصفة وعلى محك الاستبصار يكثر الشائل ويقلُّ الراجح . والمؤثرون فى الافكار فى كل الاعصار والامصار اندر من الغراب الاعصم والكبريت الاحمر . على ان كل من بذر بذوراً طيبة لا ينفكُّ مثلوجاً فؤاده مهما تأخر نباتها وإيتاؤها لعلمه بأنها ستؤتي أكلها عاجلاً او آجلا اذا لاءمتها طبيعة المنبت واحسنت تعهدها ايدي القائمين عليها

وقد وقع شيء من هذا ان صح حدسي للكتاب الذي ألفه المسيو ادمون ديمولان الفرنساوي وعرّبه احمد فتحي بك زغلول المصري المسمى

« سر تقدم الانكليز السكسونيين » فانه اثر فى الفرنسيس أثراً حسناً
وسرى قول مؤلفه فى بلاد الافرنج منذ نحو خمس سنين فترجم الى لغاتهم
وتناولته السن الناقدين والمسلّمين وعاد بعض المنشئين يرون رأي صاحبه
وينطقون بلسانه ويكتبون بقلمه ودلّ كثير من اهل العلم على مواقع
الفساد من تربيتهم ونقص الاستعداد من عاداتهم واشاروا الى تخلفهم فى
حلبة تنازع البقاء عن جيرانهم الالمان والانكليز والاميركان تخلفاً يخشى
معه ان يبتلعهم الجنس السكسونى فيكون مستقبل العالم له دون سواه

هكذا يقولون : وغير منكر ان الفرنسيس نفعوا الانسانية نفعاً
لا تنكره وكفاهم مفاداتهم بأبنائهم مراراً تخفيفاً من سلطة الملوك ورفعاً
لغشاوة جهالة ظلت مسدولة على اوروبا قروناً جعلتها وراء شعوب الارض
فخلعت ربقة الاستعباد وقررت حقوق الانسان وقواعد الحرية والإخاء
والمساواة . ونشرت المعارف فى الاطراف حتى ابتذلت واشترك فى الاخذ
من بحرها المحيط عامة الطبقات فأصبح الحراث الفرنساوي يقرأ ويكتب
ويفهم اكثر من بعض من ندعوهم بالمنوّرين فى بلادنا . وما يأخذه
الآن بعض علماء الفرنسيس على امتهم ان هو الاّ من باب الاستزادة من
الفضيلة والدعوة الى الكمال والسبق فى ميدان التغلب والسيادة . نعم انه
ليُستنشق من غالب المكتوب رائحة الغرض ويعترض على بعضهم مبالغتهم
فى وصف أعراض الضعف حتى اوشكت الفائدة ان تضيع وينسب كل
ما يخطونه الى التشيع والتحزُّب ويؤيد ذلك ان ما يكتب صادر من بلاد
تأصل فيها الانشقاق الداخليّ وراجت بضاعة الاحزاب وساد فيها تباين
الآراء فلا يكتب الملكي او الكهنوتي الا ويرمي ببصره الى القديم يمجده ،

والتليد يبكيه وينشده ، ولا يجهر الجمهوري الا ويفاخر بما تمَّ على يديه من ارتقاء ونماء ، ولا ينبري الفوضوي او العدمي او الاشتراكي الا ويستدعي الامثلة ويستجيش البراهين اعلاناً بدعوته ، واستتماماً لرغبته ، ولكن فرنسا ما زالت بفضل اساسها القديم أمَّ المدنية وربيبة الحضارة وان تقهقرت فى سياستها واخلاقها فلمرتبتها الميزة على سائر الشعوب الاوربية خلا السكسونيين ولكن صحة الوطنية التى عرف بها مساعير ابطالها ومشاهير رجالها جعلتهم اليوم يفرطون فى النصح والقدح

« استقلالهم »

وبعد فان الامم من حيث كيانها قسمان استقلالية واتكالية فالأُمة الاستقلالية هي التي طبعت على حب الانفراد يعتمد كل فردٍ منها على نفسه لا على حكومة ولا جمعية ولا حزب ولا عشيرة ولا أسرة

وانما رجل الدنيا وواحدها   من لا يعوّل فى الدنيا على رجل

ومثالها الشعوب الانكليزية السكسونية . والامم الاتكالية هي التي يعتمد افرادها على مجموعها من الامة او الدولة فيتوكأ كل فرد على غيره واعظم مثال لها الامم الشرقية حاشا سيدتها الامة اليابانية العظيمة فان التربية الاستقلالية عندها على ما يبلغنا قائمة على اعظم هياكلها وابناؤها ابعد المشارقة عن النشأة الاتكالية

وبديهيٌّ ان العلم وحده لا يكفي فى سعادة الشعوب ما لم يقرن بالعمل وفرنسا وقعت مع من وقع في مثل ذلك من امم الخليقة فزاد فيها التكالب على المصالح الهينة والوظائف اللينة فكثر فيها الموظفون والمحامون والاطباء والمهندسون وأهل الصحافة والأدب بحيث تعذّر قبول من

تخرجهم المدارس العالية باسمها فسدت فى وجوه الناشئة ابواب الرزق لان معظمهم يرى السعادة ان يعيش فى باريس ونحوها من المدن الحافلة ليستمتع برفاهها وأنسها ولو عاش فى قلّ . وزهدوا فى الاشتغال بالصنائع الحرة كالفلاحة والصناعة والتجارة وذلك غير معهود عند من كان دمه سكسونياً اذ لا يرى حطة عليه ان يحترف أية حرفة كانت مهما كان علمه واستعداده ليضمن لنفسه وذويه مرتزقاً فسيحاً وعيشاً استقلالياً لُباباً فان لم يجد ما يعمل فى بلاده يغادرها ليستعمر مكاناً آخر من الكرة ويستوي عنده العيش بلندن او برلين والعيش فى زيلندة الجديدة او مستعمرة الرأس او زنجبار وان شئت فقل فى اقاصي صحاري افريقية حيث الوحوش ضارية والسموم لافح والعيش مرّ المذاق

وتأييداً لذلك انقل هنا ما صرّح به احد علماء الاخلاق من الفرنسيس بهذا الشأن قال : « يزعمون ان شهادة العالمية عندنا باب يدخل منه الى كل سبيل وتسلك بحاملها فى كل مسلك وهي على التحقيق لا تفتح الا ثقباً كبيراً هجم عليه اصحاب الرغبات من كل صوب فاستغرقت الحرف الشريفة ووظائف الحكومة جملة بحيث وجب على الامة ان لا تساعد على شرّ ما برح يتفاقم امره منذ سبعة قرون حتى صار جرحاً نغّاراً وضربة مبرّحة . واعني بذلك الشر داء الاستخدام والتوظف

« لا جرم ان الحركة التي بدأت طلائعها فى فرنسا زمن فيليب الجميل ازعج امرها على عهد لويس الرابع عشر فزاد الحال اشكالاً على اثر عودة الملكية الى فرنسا واستيلاء أسرة بوربون على منصة الحكم وصار على عهد الجمهورية الثالثة الحالية أدهى وأمرّ . فاذا نشأ الابناء على آسال

آبائهم ولم يصلح حالهم يضيعون مجد اسلافهم ويخربون مملكة قويت على الحوادث على حين تعدهم عدتها فى شدتها وبيدهم انقاذها واسقاطها

«فالجيل الفرنساوي الحاضر سيء حاله ومآله وهو الى الكسل والجبن أميل منه الى العمل والنصب حتى يصح ان يقال إنّ البلاد به اضاعت من فتائها، وامست تسير الى فلاة فنائها، ومن الاسف ان فرنسا التي كانت على مرّ العصور فى مقدمة من يحسن الاعمال وأول مثيرة لكل نجاح هى اليوم من حيث تهذيب ابنائها متقهقرة عدة قرون الى الوراء. وكأن تعاليمها الآن هي عينها فى القرون المتوسطة التى تركت ألمانيا وشأنها الى أن علا صوت جهوري من الشاعر كيتي (١) يبين للالمان مواقع الضعف ومزالق المقاتل ومداحض المخاطر ويقود الافكار الى الحملة على كسر القيود ونزع رِبَق الرق وتجديد جِدّة الشباب. ينادى ياقوم هؤلاء الانكليز امعنوا فى حالهم، وانسجوا على منوالهم، فانكم واياهم سواء فى القيم، فما ضرّكم لو باريتموهم فى الهمم؟ عملكم قليل ولاتحسنونه وقلما تنهضون باعبائه وليس لكم نصيب مما أُوتوا من مميز الواجب الشخصي والكفاءة الشخصية وهما دعامتا القوى التى تشتدّ بها سواعد الملل. ولما كان كيتى يصرّح بهذه الافكار كانت المانيا بعيدة عن معاناة التجارة مقطورة فى مؤخر الشعوب ولم تمض على ذلك مئة سنة حتى استولى أنصار ذلك الشاعر الكبير والمتعظون باقواله على محور التجارة فهاج نشاطهم قلق الامة التى حذوا حذوها. وان الانكليز لينظرون اليوم نظر المرتجف الى انبساط ظل النفوذ الالمانى بهذه السرعة والقوة ويزعمون انه لا بد من ان تخلف

(١) كيتي Gœthe اعظم كاتب وشاعر الماني مات سنة ١٨٧٢

طوابع البرد الجرمانية الطوابع الانكليزية قريباً .

«كلُّ هذا نتيجة تغير التربية وانتشار المعارف بين الافراد وكثرة الكفاءات فى كل فروع العمل . فمن العقل والحالة هذه ان يتدرع الفرنسيس بسلاح من العمل مفيد ويعتاضوا من الركوب على متن عمياء بالجري فى طريق جديد من اتقان المبادىء الصحيحة والاخلاق الفاضلة .

« من رقاعة الفرنسيس أن يعتقدوا علوَّ كعبهم فى كل منحى ومنزع . ولو ذهب احدهم الى المانيا ودرس احوالها عن أمم لرأى شعباً كان يشكو مما نشكو منه داءً اصيب به زمناً فشفى نفسه من أوصابه . يرى السكسونية مجسمة بابهى مظاهرها فيقدس « كارلايل »[١] ظهيرها ونصيرها ويقيس حاله بالانكليز على انهم سباق غايات وأصحاب آيات بينات . ثم اذا قضى من تينك المملكتين لبانته ، وعرف بالنسبة اليهما حالته ، يركب البحر المحيط الاتلانتيكي ليتبصر فيما تورثه جُدُدُ الفضائل فى هذا القرن الحديث ويتجلى له الفرق بين رغائبه ورغائب الاميركان .

« لفرنسا نظارة للمعارف العمومية ولاميركا مدرسة للتربية فالاولى تعلم والثانية تربّي . الاولى تلقن ابناءها كلمات يحفظونها والثانية تعلم مبادىء يسيرون عليها . تعد فرنسا أدمغة لحفظ قانون وتهيء اميركا أذرعاً للعمل الاميركان رجال عمل والفرنسيس ليسوا كذلك . يغرس الاميركان فى نفوس ناشئتهم شهامة الارادة التى لا تجدي اجمل الهبات الخلقية بدونها ولا يكون العلم نفسهُ الا عطلاً من النفع مع فقدها وهذا هو القانون الذى سنّه لهم فيلسوفهم

(٢) كارلايل Carlyle كاتب اسكتلندي شهير مات سنة ١٨٨١

اميرسون[1] تلميذ هيكل الالماني[2] القائل في فلسفته : ان الحياة ليست شغلاً عقلياً ولا مناقشة ومهاوشة بل الحياة انما هي العمل . ولقد علق في اعلى باب كل مدرسة باميركا شعار معناه : ان تهذيب الخلق اسمى غاية للمدرسة وعلى الشبان ان يُحسنوا معرفة الحياة بارادة ثابتة . »

ثم توسع الكاتب في بيان نقص تربية ابناء وطنه وعاد يقول

«يلزمنا رجال مهذبون لا رجال متعلمون . وفي فرنسا طبقتان من المدارس اولاهما للصغار وثانيتهما للكبار وبعبارة اجلى مدارس الصناع ومدارس المفكرين . أما حسن التربية الانكليزية السكسونية ورجحانها على التربية الفرنساوية فهي قائمة فيما أوتيه البعض من الصفات الشخصية مثل المروءة وحسن الخلق والحصافة والبداهة والجراة والاقدام على المشروعات والاكتشاف والافتتاح والمخاطر . فبدلاً من ان تنمي فرنسا في نفوس ابنائها هذه الصفات تغرس فيهم ملكات حب التآلف والاجتماع . تبث فيهم التأثر بدل المروءة . وتبثُّ فيهم الحشية من اقوال الناس فيشاكل المرء الجمهور باقواله وافعاله بدل تنشئتهم على خلق يبقى فيه الانسان مستقلا بنفسه . وبدل الحصافة التي يتأتى بها للمرء ايجاد الاشياء بذاته تقوّي فيه ملكة الذاكرة التي تعيد عليه ذكر الاشياء التي يحفظها مما عثر عليها غيره بالتجارب وعوضاً عن البداهة التي يتمكن بها المرء من تطبيق ما اوجده بنفسه تبثّ فيه الثقة فيصبح عرضة لأغراض حكامه . وبدل الجراة تبثّ فيه الحذر وبدل الاقدام على المشروعات والفتوح والاستنفاض (فتح البلاد) تبث فيه

(١) اميرسون Emerson فيلسوف اميركي مات سنة ١٨٨٢

(٢) هيكل Hegel فيلسوف الماني شهير مات سنة ١٨٣٥

ملكة الاقتصاد والسلم وحب السكن . وبدلاً من اقتحام المخاطر تحسن له الرضى بالاستخدام »

ثم اجمل الكلام هنا على الفلاحين والصناع والتجار والعملة من مجموع الامة الفرنساوية وانتقل الى الخيار من قومه وعنى بهم العلماء والفلاسفة واهل البصر فقال مستنداً الى اقوال العلماء :

« ان دماغ الجنس السكسوني متمدد ومحدود وذكاءه تحليلي وجنسه جنس العمل والكد وعلى عكسه دماغ الجنس الفرنساوي فانه موسَّع وذكاؤه تأليفيّ وهو خيالي يعشق التصورات ، وبالجملة يُعنى الجنس الاول ابداً بالحقائق على حين يفضل الثاني الافكار والخواطر . يجيد السكسوني في الغالب القيام على الاعمال المادية وبعض الفرنسيس يحرزون قصب السبق في ميادين الذكاء المتسعة الاطراف

« ألاَ وان قيمة الجنس السكسوني بمجموعه وقيمة الجنس الفرنساوي بخياره فالافرنسي المتوسط لا يساوي الانكليزيَّ المتوسط والافرنسي العالي يساوي اكثر من انكليزيّ عالٍ ولكن الخيار من الفرنسيس لا يشغلون المكانة التي يستحقونها لأنهم مغلوبون للاخلاق الحالية غير مستوفي شروط النفع ولا تامي ادوات التهذيب

«وانجح طريقة يجب على فرنسا سلوكها تحسين تربية خيارها وتربية افرادها ومزج الخاصتين السكسونية والافرنسية وتطبيق تربية جمهور الانكليز على تربية خيار الفرنسيس ليأتي الغد ولفرنسا من وراء هذه التربية شعب صغير كالشعب الآتيني يهب لها فاتحين ذوي افهام ، ورجالاً صحاح الاحلام ، يساوون الجيوش ويوازون كل عدد وعدة ويخدمون

أمتهم خدمة ارخميدس (١) وينقذون وطنهم انقاذ تيمستوكلس (٢) . » اه

« اتكالنا »

بمثل هذا اللسان يخاطب الكاتب الفرنساوي امته ويقرّعها تقريعاً امرّ من الصاب والعلقم لتستفيق من غشية تخشى مغبتها وتفلت من الوقوع فى مخالب اسود السكسون لئلا يكون حظها فى الوجود حظ الامم البائدة كالرومان واليونان والفرس والعرب . وما القصد من ايراد كلامه بنصه الا ليحصل التمثيل بيننا وبين امة نشابهها فى الاعراض وان كانت اعلى منا جوهراً .

ولعله يخيل لبعض سكان هذه الديار ان الفرنسيس مثلهم فى الانحطاط وان لهم بهم قدوة حسنة واعظم سلوى ولكن شتان بين حالنا وحالهم ورجالنا ورجالهم وحضارتنا وحضارتهم . امة تشخص الداء وتفكر فى وصف الدواء او تشعر بنقصها وتسعى الى كمالها وامة موقنة بان داءها عين الصحة لا بأس عليها ولا خشية من ناحية حياتها . يرضيها نقصها فلا تريد استبدال غيره به وكل من محضها النصح رمته بانحلال عقدة الوطنية والمروق من عهود الحمية وصدق التابعية

لا جرم ان الرجل الفرنساوي الراغب فى الاستخدام لا يشبه الرجل المصري أو السوري أو العراقيّ مثلاً فان الأول يستعد ليحسن الاضطلاع

(١) ارخميدس Archimède أحد مشاهير المهندسين القدماء ولد فى سيرا كوس احدى مدائن صقلية حوالى سنة ٢٨٧ ق . م ومات سنة ٢١٢ وحاصر الرومان وطنه فدافع عنه ثلاث سنين بقوة بنايات حيلية او ميكانيكية

(٢) تيمستوكلس Thémistocle قائد آثيني شهير ٥٣٥ — ٤١٠ ق . م

بما يوسد اليه من امر امته ومعظم هؤلاء على نقص فى المدارك وانحطاط فى الفضيلة يطمحون الى السعادة والسيادة بلا سابق معرفة سوى اواصر القربى او التقرب او اواخي المؤاخاة والتزلف او وشائج الدرهم والدينار

ولقد اصبح من الرأي المقرر بين الناس ان كل من ليس له علاقة بالحكام كعضو أصيب بالآكلة لا حيلة فيه الا بالبتر او الموت بيد انه لا تثريب على الفقير اذا رشح ابنه لأي خدمة كانت ليرتفع بها من الدنية ما دامت البلاد صفراً من اصناف المعاش الذي يزعج صاحبه عن العيش الاتكالى" ويورده موارد الاستقلال بل اللوم كل اللوم على رجل يعد من نواصي اهل وطنه وعليتهم وله من العقار والقرى ما يسد عوزه وعوز مئات معه وهو على ما له من الاعتبار بين جيله وقبيله يُسِفُّ الى الاستخدام فى وظيفة ليتباهى بها امام العدو والصديق

اعرف رجلاً فى احدى مدن سورية الحافلة له عراقة فى محتده واصالة بين قومه وسعة من دنياه وتراه مع هذا يصرف نهاره وليله فى نيل الزلفى من الامراء كبتاً لخصومه فيبذل كل عام فى هذا السبيل من الصفرآء والبيضآء ، ما يكفى لإعالة الف نسمة من اصحاب البأسآء ، وكلما طعن فى السن يزداد غلوّاً فى مباديه ، واصراراً على نكاية اعاديه ، وهو دائماً اجول من قطرب واشغل من ذات النحيين ومساعيه ابداً مخفقة وآماله مخيبة . وهكذا حال خصمه اللدود له مال وبنون ومقام بين اهل حيه كريم ولكن لا يهدأ له بال الا بالجلوس على ارائك الحكم ومقاعد التصدر يتلمس لبنيه اذناً بملازمة الدواوين مزاحمة لاولاد الفقرآء ليستأثروا بعد بالرواتب دونهم وينالوا المعالي بنفوذ والدهم عفواً صفواً

ولو عقلا لاستعاضا عن التلهي بهذه السفاسف بادارة شؤون مزارعها الواسعة وتحسين طرقها وتنمية غلاتها وثمراتها ولكن هو حب الرئاسة يستلب الالباب وفى الامثال « يا حبذا الإمارة ولو على الحجارة »

ولطالما سمعنا أن فلاناً غادر سكنه ومسكنه تاركاً دخلاً يكفيه وعياله لأن يعيش عيش الاستقلال فيوكل به من يسرق نصفه لينتظم فى سلك الموظفين ويأخذ من استخدامه مايوازي النصف الذى فقده بغيابه ويغتذي من دماء الأمة سحتاً بحتاً وحراماً محضاً ليقال عنه انه من الموظفين ويخاطب بالفضيلة والسعادة ثم اذا كثر سواد اقرانه يقضى حياته قلق الضمير وربما انفق كل ما يملكه من تراث آبائه ليرتقي الى وظيفة أعلى من وظيفته ويسبق من سبقوه أو هم لاحقوه . وما الموظفون فى الحكومات الاستبدادية براغبين ان يعدوا من ممثليها ليحموا ما يملكونه من اعتداء المعتدى وتسف الظالم كما هي دعواهم بل ليكونوا جلاّدين فى تلك الدولة ويسوغ لهم اتيان كل منكر ارادوه بلا وازع ولا رادع .

ألا وانّ الامثال لكثيرة على من آثروا العيش الاتكالي ورضوا بالاسفاف الى الدنايا كأصحاب الأوقاف ممن يرضون بالكفاف من العيش ويقنعون بدريهمات تأتيهم من وراء أجدادهم . اضف الى زمرتهم من حبسوا انفسهم فى الصوامع والجوامع مثل المدرس والمؤذن والخطيب ممن يكتفون بالنزر من المشاهرات يقبضونها ببذل ماء المحيا ويصرفون لاجلها من الاوقات مالو صرفوه فى بيع الثرى لأثروا به ثم يرقبون مايأتيهم من اجور الطلاق والمناكحات ويتلمظون بطعام الولائم والوضائم ويقنعون بتقبيل الأيدي ومصافحة المريدين . وكذلك حال الرهبان والقسيسين

وسائر من يتصرف باسم الدين وهم فائضون عن الحاجة فكلهم يتقربون بالفاقة الى مولاهم ويستوكفون اكفَّ الصدقات ، وينتظرون قيم الصلوات والدعوات ، وهذا الخلق مستحكم من المسلمين بحكم التربية اكثر منه بغيرهم من الطوائف .

اليك شرح الاتكال المجسم الذى شكا منه كبار الفرنسيس وهو عندنا فى ارقى درجاته ولا نشكو ولا نتبرم واما شكواهم من كثرة المرشحين للحرف الأدبية فيقابله شكوانا من قلتهم اذا لم نقل من فقدهم — يعوزنا الصحفي العلامة والطابع الماهر والطبيب النطاسي والمحامي الحاذق والاقتصادي المدرب والرياضي المنجِّد والطبيعي المتعمق والمهندس الفطن والسائح الثابت والممثل الفاضل ممن تبرم بكثرتهم فى فرنسا صاحب سرّ تقدم الانكليز السكسونيين ولكننا نحن فى غنية عن هذا العدد الدثر من الحاجب والكاتب والمصاحب والجاسوس والمسجل والرئيس والمرؤس بل وأُلوف مؤلفة من أصحاب الرواتب بلا عمل الذين يأكلون مال الامة بالباطل ويعيشون على عاتقها حملاً ثقيلاً فلاهم بوجودهم ينفعونها ولا هم عن مغرمها غافلون .

أين حال الاغنياء والاعيان المتهافتين على المناصب فى بلادنا من اهل تلك الطبقة فى انكلترا مثلاً حيث الحكومة تخطبهم والشعب يطلبهم وشتان بين خاطب ومخطوب

كتب أحد سراة بريطانيا الى صديق له يقول : دع الناس يطلبون الارزاق من الدولة فانا لا انحو منحاهم لانني أقدر ان اكون غنياً بتساميّ عن الدنايا ولا ارتضي أن اشين خدمتي لوطني بفوائد ذاتية فاني اعمل فى

بستاني بيدي واجتزىء بالقليل من النفقة عن الكثير .

وهو كما رأيت كلام من يوقن ان الإمارة ليست بمذهب طبيعي للمعاش بل كلام من ارتقى وتهذب وعلم علم اليقين أن الحكومات ليست الا خادمة للامم وان الشعب فى غنية عنها ولاغنى لها عنه . فمتى يكون مثل هذا القول لسان حال أعيان بلادنا حتى لا يكونوا على امتهم اضر من العثّ فى الصوف والدودة فى الكرمة . ولكن المشارقة انغمسوا فى مضالّ الجهالة منذ قرون حتى اصبحوا يقدسون حكامهم ومن انتسب اليهم وغالوا فى تعظيمهم الى أن بلغوا بهم منازل الالوهية ، وانشأوا يستحلون لهم المحارم ويطلقون عليهم القاب الربوبية .

وما برح الناس يبحثون عن داء المجتمع الانساني ويصفون له الأدوية وهو لايزداد إلا تفشياً وقد أعضل ما يسميه الغربيون بالمسألة الاجتماعية حتى حار فى طبها رجال العلم والسياسة وأصبحت شغلاً شاغلاً لاهل المدارك السامية ولذا قال صاحب سر تقدم الانكليز السكسون : ليست المسألة الاجتماعية عبارة عن مساعدة الافراد كما أن مسألة الحياة لا تقوم بكثرة تناول الادوية والعقاقير اذ ليست المساعدة أو العقاقير من وسائل الحياة الطبيعية وليست الحكمة إلا ما ادت الى الاستغناء عن تلك الوسائل الصناعيـة . وليس من حل للمسألة الاجتماعية الا جعل الافراد بحيث يستطيع كل فرد منهم أن يقوم بامر نفسه وان يرتقي بجده وعمله لان سلامة الاجتماع كالسلامة الاخروية تقوم بكل واحد على حدته وعلى كل واحد ان يسعى اليها . وقولى هذا لا يروق فى اعين الذين اتخذوا السياسة حرفة وغيرهم ممن طلبوا رزقهم من انحطاط الامة وضعف مدارك الطبقات

النازلة وكانت منفعتهم فى بقاء الناس دائماً على حالة يشبهون فيها القاصرين حتى يتيسر لهم ان يكونوا عليهم اوصياء . اه

ونحن لو استشهدنا التاريخ لرأينا اجدادنا كانوا فى منازع حياتهم اشبه بالجنس السكسونى لا يعرفون مع بسطة الجاه واتساع الثروة والملك الا النشأة الاستقلالية بعيدين فى كل اطوارهم عن السرف والترف فقد اشتهر من سيرة الصديق الاكبر رضى الله عنه انه كان يغدو كل يوم الى السوق فيبيع ويبتاع وكانت له قطعة غنم تروح عليه وربما خرج هو بنفسه فيها وربما رعيت له وكان يحلب للحيّ اغنامهم . فلما بويع بالخلافة قالت جارية منهم الآن لا يحلب لنا منائح[1] دارنا فسمعها فقال بلى لعمري لأحلبنها لكم واني لأرجو أن لا يغير بي ما دخلت فيه فكان يحلب لهم . ثم قال ما تصلح أمور الناس مع التجارة وما يصلح الا التفرغ لهم والنظر فى شأنهم فترك التجارة وقيل اراده الصحابة على تركها وأنفق من مال المسلمين ما يصلحه وعياله يوماً بيوم فكان الذى فرضوا له فى كل سنة ستة آلاف درهم وقيل فرضوا له ما يكفيه فلما حضرته الوفاة اوصى أن تباع ارض له ويصرف ثمنها بدلاً مما اخذه من مال المسلمين .

ولما فرض عمر بن الخطاب رضى الله عنه العطاء قال للمسلمين انى كنت امرأ تاجراً يغني الله عيالي بتجارتي وقد شغلتموني بامركم هذا فما ترون انه يحل لى فى هذا المال وعليّ ساكت فاكثر القوم فقال ما تقول يا عليّ فقال ما اصلحك وعيالك بالمعروف ليس لك غيره فاخذ عمرُ قوته .

وان لنا فى غير هذين الامامين من رجال سلفنا الصالح الأسوة الحسنة فى

(١) منحه الناقة جعل له وبرها ولبنها وولدها وهي المنحة والمنيحة

فضيلة الاستقلال وترك الاتكال ولنا الأسوة فى الامم الحية لعهدنا التي نرى آثارها باهتين شاخصين فالعبر بين ايدينا ومن ورائنا وعن أيماننا وشمائلنا ولكننا لا نعتبر

﴿ باب العقائد من الأمالى الدينية ﴾

﴿ الدرس (٣٠) وظائف الرسل عليهم الصلاة والسلام ﴾

المسئلة (٢٨) تمهيد للموضوع — تعرف وظائف الرسل بالاجمال من وجه الحاجة اليهم وتعرف بالتفصيل من النظر فى اديانهم والوقوف على شرائعهم وليس بين ايدينا دين الهي وشريعة سماوية ضبطت كتبها واتصل نسبها بمن جاء بها الا دين الاسلام الذي حفظ كتابه فى الصدور والسطور ونقلت سنة نبيه بالعمل اذ لم يقوَ على اهله شعب دين آخر يضطهدهم ويتلاعب بدينهم وضبط القولي منها بالقول ضبطاً لم يعهد له مثيل فى تاريخ البشر فهو الذي يجب ان يتخذه الباحثون فى طبائع الملل وأصول الأديان وتاريخها ميزاناً لمعرفة وظائف الرسل وبيان الحاجة اليهم فيها ويزنوا به سائر ما نسب الى الانبياء والرسل من الكتب المقدسة فما رجح فيه قُبل ، وما خف وشال ترك وأهمل ، وحمل على انه من تحريف المحرفين ، واضافات العابثين ، فان لم يسلكوا هذا المسلك يروا اختلافاً كثيراً وأموراً لا تنطبق على وجه الحاجة الى الرسل وتلك الجناية الكبرى على الدين بل على بني الانسان اجمعين

هذا المسلك هو ماجاء به الاسلام ، وعمل به النبي عليه الصلاة والسلام ، واتبعه به الراشدون ولم يقصر فيه المسلمون الا بعد ضعف الاسلام وفشوّ

الجهل الذي اغراهم بالخلاف ومناقضة اهل الكتاب حتى شذ بعضهم فحرم طعامهم وهو حل بنص القرآن . وبهذا وقف سريان الدعوة وقلّ انتشار الدين فى اهل الذمة لأن كلام المنابذ المخالف يحمل على الغرض لأول وهلة فينبذ قبل النظر فيه . أولم يقرأ أولئك المسلمون قوله تعالى « قل يا أهلَ الكتابِ تعالَوْا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم » الآية . وقوله عز وجل « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين مَن آمنَ بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » ؟ بلى قد قرأوه وأوّلوه ولم يهتدوا كسلفهم الصالح بالعمل به فى الدعوة الى الاسلام

وجهل هذا التوفيق دعاة النصرانية الذين يتعرضون لدعوة المسلمين بما لهم من الجرأة بالاعتزاز بأوربا فهم يحاولون اقناع الجاهلين من المسلمين بأن الحق محصور فى اليهودية والنصرانية من دون الاسلام ولا نرى لهم دليلا على حقية اليهودية والنصرانية الا قولهم ان الذين جاؤا بهما قد عملوا بعض العجائب ولا يوجد جاهل من المسلمين الا ويحفظ عن آحاد الاولياء من اهل دينه اضعاف ما ينقلونه عن موسى وعيسى عليهما السلام ولا اقول عن بولس وبطرس ويعقوب ويوحنا وهو لا يثق بما ينقلونه اذا لم يؤيده دينه وعلماؤه ويعتقد أن رواية قومه عن اوليائهم اولى بالتصديق من دعواهم التى لا ثقة بروايتها . واذا هو قبل قولهم ووقع فى نفسه صدقهم يقع فى الشك بأصل الدين لأن الدليل على الدينين متفق والمدلول فيهما مختلف ولا وجه للجمع عنده بل لا وجه للجمع مطلقاً الا بتحكيم الاسلام وجعل كتابه كالميزان كما قلنا آنفاً . وقد اهتدي بعض فلاسفة اوربا الباحثون فى

الدين عن اعتقاد الى انه لابد من الاعتقاد بصحة الاسلام والجمع بينه وبين المسيحية فكتبوا فى ذلك وألفوا وجعلوا مدار الجمع على الاصول التى يدل العقل على الحاجة الى الرسل فيها ومدار الاستدلال على كتب الوحي وهي التوراة والانجيل والقرآن

م (٦٩) الوظيفة الاولى — هي بيان ما يجب اعتقاده فى خالق الكون ومقدره، وحكيمه ومدبّره، فقد علم ان هذا الاعتقاد مركوز فى فطرة الانسان بصفة مجملة مبهمة يغلط فيها العقل ويضل فى بيانها الفكر كما تقدم شرحه فى قسم الالهيات وهذه الوظيفة يجب ان تتحد فيها الاديان الصحيحة ويجب على علمائها تأويل الخلاف

م (٧٠) الوظيفة الثانية — بيان ما يجب لهذا الاله العليم، والمبدع الحكيم، من الشكر على آلائه والعبادة التى ترضيه وتقرب روح العبد منه ليبلغ بذلك كماله الروحاني ويستعين به على كماله الجثماني فيرتقي الارتقاء الصوري والمعنوي بحسب استعداده الذي وُهبه ممن أعطى كل شىء خلقه ثم هدى. وقد تقدم فى بيان وجه الحاجة الى الوحي ان هذا شىء لا يستقل به العقل ولا يهتدي اليه بنفسه. وهذه الوظيفة تتفق الاديان الالهية فى معانيها دون صورها

م (٧١) الوظيفة الثالثة — ما يجب اعتقاده فى الدار الآخرة والحياة فى النشأة الثانية فقد بينا من قبل ان الناس يشعرون بأن لهم ارواحاً وان هذه الارواح هي التي بها الحياة ومنهم من أُلهم ان هذه الارواح خالدة ومنهم من عرف ذلك بالاستدلال واقربه ان العدم المحض محال لا يتصوره العقل فاذا كان الجسم يبقى ببقاء عناصره بعد التحليل فالروح الذي به

حياة الجسم ونظامه وحفظه ما دام متصلاً به من الانحلال أولى بالبقاء الاكمل . وهؤلاء المستدلين لا يدرون شيئاً من امر هذه الحياة وهذا الوجود الروحاني" ولكنهم اكثروا من الحرص والظن فيه فذهب بعضهم الى ان للروح حياة مستقلة لا يتصل فيها بجسم يدبره ومنهم من قال بالتناسخ ولم تطمئن القلوب الى شيء الا ما جاء به الدين السماوي بالنسبة لمن اخذوا به . ولا يصح ان يكون بين الاديان الصحيحة خلاف فى جوهر هذه الوظيفة واصولها . فاذا كانت الديانة الاسلامية التى هي القسطاس المستقيم لسائر الديانات تقطع بأن الحياة الاخرى حياة انسانية أي ان ارواح الناس تكون فيها ذات اجساد اكمل من هذه الاجساد لان الانسان خَلْقٌ مركب من روح وجسد لا حياةً روحانية محضة لا حظ فيها للمادة ولا وجود فيها للانسان — فالواجب ارجاع بعض ما يؤثر عن السيد المسيح عليه السلام من كون الحياة الملكوتية روحانية كحياة الملائكة الى ذلك بان يقال ان المراد بكونهم كالملائكة ان الارواح لها هناك السلطان الاكبر كما ان للحظوظ الجسدية السلطان الاكبر فى هذه الحياة وحظوظ الروح مغلوبة لها . وقد جعل المسيحيون الاصل فى دينهم ان الحياة الآخرة ملكية محضة لا إنسانية ملكية أي حكموا بأن الانسان لا يكون له وجود فى الملكوت واوّلوا ما نقل عن المسيح مما يدل على الحياة المادية فى الملكوت كقوله انه يشرب الخمر جديداً فى الملكوت على أن كل كلامه عن الملكوت ظاهر فى ان اهله يكونون أناسيّ لا ملائكة فيجب ان يجعل هذا هو الاصل الذي يؤول غيره ويرجع اليه وما لا يمكن تأويله يقطع بوضع روايته

م (٧٢) الوظيفة الرابعة — تهذيب الاخلاق وتثقيف النفوس بحملها على الاعمال الصالحة بباعث الايمان بالله وابتغاء مرضاته والايمان باليوم الآخر والخوف مما فيه من العقوبة والرغبة فيما للمحسن من المثوبة . وبيان ما فيها من المنافع والمصالح . ولا شك ان هذه الطريقة فى التهذيب هي الطريقة المثلى فان الاعمال هي التى تطبع الملكات والاخلاق فى النفوس . وقد بينا فى درس وجه الحاجة الى الوحي أن الانسان لا يستقل بنفسه ولا يهتدي بعقله المجرد ويصل بسعيه الى التهذيب الذي يصلح به حال الافراد وحال المجتمع الا بتأييد الهدى الالهي لان الحظوظ والرغائب والاهوآء تحسّن القبيح وتقبح الحسن . واننا نرى الناس بعد أن وجد فيهم الارشاد الديني وأمده العلم الاختباري تفسد اخلاقهم بضعف الاعتقاد بالدين فيهم

(له بقية)

﴿ شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« النبذة الثامنة »

فرغنا فى الجزء الماضي من دحض شبهات الفصل الأول من البحث الاول من كتاب أبحاث المجتهدين وهو الذي عقده مؤلف الكتاب لاثبات الكتب التى يسمونها التوراة والانجيل بشهادة القرآن وكنا عازمين على أن نبدأ فى هذا الجزء بابطال شبهات الفصل الثانى الذي عقده لاثبات تلك الكتب بالعقل واذ ورد علينا الجزء الخامس من المجلة البروتستنتية المسماة بشائر السلام فرأينا فيها طعناً شديداً بالاسلام ، وسبحاً طويلاً فى بحار الاوهام ، أحببنا ان نقذف عليه بالحق ، ليدمغه فيزهق ، ونعود ان

شاء الله تعالى الى انتقاد ذلك الكتاب فى الأجزاء التالية . وهذا الطعن محصور فى ثلاث نبذ

« النبذة الأولى عنوانها شجرة النسل المبارك »

هذه النبذة تابعة لمقالة سابقة يمدح فيها بني اسرائيل ويبين فضلهم وقد اعطاهم فوق قدرهم ولكنه ما قدر الله حق قدره — عظمهم وأساء الادب مع الله تعالى مدح الشجرة الاسرائيلية ، وقدح فى مقام الالوهية ، وله فى ذلك كلام « تكادُ السمواتُ يَتفطَّرْنَ منه وتنشقُ الارضُ وتخرُّ الجبالُ هدًّا » فمنه قوله — وحاكي الكفر ليس بكافر — : « أولا تقضي من ذلك العجب ان فاطر السموات والارض يختلي مع بنى اسرائيل فى البرية يخاطبهم ويخاطبونه ويراهم ويرون مجده وبينهم موسى الكليم يتجاذب معه اطراف الحديث ويتبادل فصول الخطاب كالالفين المتآلفين والخليلين المتصافيين » ثم انتقل من هذا الى غمص سيدالمرسلين وخاتم النبيين الذى كمل الله به الدين والى انتقاص جميع العالمين . فقال : « فاسمع ايها القارئ المسلم وابهت وادهش أليس محمد عندك اعظم الخلق فلم يكن اهلاً لأن يخاطب الله رأساً او يسمع صوته او يرى مجده مثل عامة اسرائيل فضلاً عن خاصتهم بل لم يكن خليقاً أن يخاطب جبرائيل (كما قلتم) الا وتغشاه غيبة وغطيط يبلغان منه الجهد ويتفصد لذلك جبينه عرقاً فى اليوم الشديد البرد » انتهى خلطه وخبطه

ونقول ان هؤلاء الناس تأصلت فيهم الوثنية ورسخت جذورها فى اعماق نفوسهم حتى صار انتزاعها متعذراً ما داموا لايقيمون للعقل وزنا ، ولا يرون له فى كتب الدين معنى ، وتفصيل القول فى بيان بطلانهم يطول

ولا تفي به مجلتنا كلها ولذلك نكتفي بالاجمال فنقول بلسان العقل المحض لا بلسان الاسلام ليكون أدعى للقبول

(١) ان المسلمين ينقلون ان نبيهم محمداً (صلى الله تعالى عليه وسلم) صعد الى السماء ورأى من آيات ربه الكبرى بل يقول اكثرهم انه رأى الله سبحانه وتعالى بلا كيف وكلمه بلا واسطة . وموسى (عليه السلام) ومن كان معه من بني اسرائيل انما رأوا بروقاً ، وسمعوا رعداً وبوقاً ، وغشيهم دخان كدخان الأتون وارتجف بهم الجبل فارتعدوا ووقفوا من بعيد « وقالوا لموسى تكلم انت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت» بل قال الرب لموسى « اذهب انحدر ثم اصعد انت وهرون معك وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا الى الرب لئلا يبطش بهم » كل هذا مصرح به فى الباب ١٩ و٢٠ من سفر الخروج وهو يكذب قول المجلة ان عامة بني اسرائيل كانوا يخاطبون الله رأساً ويسمعون صوته فما هذا التمويه والايهام؟ . وورد فى القرآن « وخرَّ موسى صعقاً » وقال فى محمد « مازاغ البصر وما طغى . لقد رأى من آيات ربه الكبرى » فهل من الانصاف ان تقولوا نحن الصادقون لأننا قلنا . .

(٢) ان بنى اسرائيل الذين خصوا بهذه العناية وهرون الذي أذن له الرب ان يصعد مع موسى وحده من دون الكهنة والشعب لم يتمسكوا باعظم الوصايا التى اوصاهم بها الرب يومئذ بل تركوا أولها فى الذكر والرتبة وهى « لا يكن لك آلهة اخري أمامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما » الخ فان هرون بزعمكم وزعم كتبكم هو الذي اتخذ لهم العجل فعبدوه من دون الله . الا يكون هذا الشعب الذى اختص بتلك العناية والتكريم ، ثم كفر

هذا الكفر الجسيم ، جديراً بالغضب والمقت من الله وسلب نعمته عنه وإسباغها على شعب آخر كالشعب العربي" الذي نزع به الوثنية من ملايين من الناس لم تعد اليهم بفضله وكمال نعمته . ومن الأدلة على غضب الرب على شعب اسرائيل ما أوردناه فى النبذة الثالثة (ص ٤١٧ ج ١١) عن كتاب حزقيال . فهل يصح استدلاله بعد هذا على أن الله تعالى وتقدس لا يزال عاشقاً (سبحانه سبحانه) لشعب اسرائيل وغاضباً على سائر خلقه وأن عامتهم أفضل من ... ومن الغريب أنه يستدل بآيات القرآن العزيز على انعام الله تعالى على بنى اسرائيل ولا يستدل بها على كفرهم النعم ورميهم بالنقم !!

(٣) إن القاعدة الاساسية عند المسلمين فى الايمان هي تنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين فاذا ورد فى الوحي لفظ يُنافي ظاهره التنزيه يصرفونه عن ظاهره الى ضرب من التجوز والتأويل . وكأن القاعدة الاساسية عند سواهم هي التشبيه والوثنية لا سيما الذين جعلوا من البشر الهاً فاذا ورد فى كتبهم كلمة تنافي التنزيه يضيفون اليها أضعافها ويتفننون فى القياس عليها . ورد ان الله تعالى كلّم موسى مثلاً فالمسلمون ينزهون الله تعالى عن الصوت وعن الجهة والمكان ويقولون : ماثم الا إعلام" الهي بصفة تليق بجلال الله سماها الله تعالى تكليما وليست كتكليم الناس بعضهم لبعض حتما والا لكان تعالى مشابهاً للمخلوقات وذلك هدم لأصل الدين والايمان . وأما النصارى فيقولون مثلما نقلنا آنفاً عن مجلة بشائر الاسلام « يتجاذب معه أطراف الاحاديث » وانهما كالالفين ونحو ذلك مما هو صريح فى التشبيه . ولاغرو فمن قال ان المسيح آله يقول ان الاله يخلو بموسى ويتبادل معه فصول الخطاب « تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا »

(٤) ان المجلة خلطت فيما ذكرته عن حالة النبي (صلى الله عليه وسلم) عند الوحي لأن ذلك مأخوذ من أحاديث لم يفهمها الكاتب فظن ان كلمة (غطني) فى حديث بدء الوحي من الغطيط الذى هو صوت النائم أو صوت هدر البعير وليس كذلك وإنما معناها (ضمّني بشدة وضغط) ثم خلطها بكلمات من حديث وصف الوحي والتأثر منه . وزعم صاحبها ان عدم التأثر من الوحي أفضل واكمل وهى دعوى افتجرها لا يقوم عليها دليل فاننا نقول انها كانت حالة من حالات الوحي ربما لم يحصل نظيرها لموسى فيتأثر تأثر محمد (عليهما السلام) على أنه يوجد فى المفضول ما لا يوجد فى الفاضل فلو فرضنا أن موسى امتاز على محمد بهذه الفضيلة فلمحمد مزايا كثيرة يفضله بها . ومن التجاوز ان يفاضل مثل هذا الكاتب الذى لا يقدر الله حق قدره بين انبياء الله عليهم الصلاة والسلام بمجرد الهوى وسوء الفهم

﴿ النبذة الثانية من تلك المجلة فى سيدنا اسمعيل ﴾

غمط كاتب المجلة سيدنا اسماعيل عليه السلام فى مقام المفاضلة بينه وبين اسحق . واذا صح قوله ونقله واستدلاله منهما على ان اسحق أفضل وانه هو الذبيح فان هذا لا يضر بدين الاسلام شيئاً . ولا يستحق قوله فى هذا المقام ان يصرف فى نقده شيء من الوقت

« النبذة الثالثة مؤلفوا العهد الجديد والدعوة الى الدين »

جاء فى قسم الاسئلة والأجوبة من المجلة سؤالان احدهما ان أحد اصحابهم المسلمين سألهم : « هل بطرس وبولس ويوحنا وغيرهم من كتبة العهد الجديد هم رسل الله وهل جاء فى العهد القديم نبوة عن ارسالهم

كما جآء عن المسيح » وكان جواب المجلة انهم رسل . ونحن نقول ما كان لمسلم يعرف عقيدة الاسلام ان يسأل هذا لان الرسول فى اعتقاد المسلمين هو النبي الذي أوحى اليه بدين مستقل وأمر بتبليغه للناس والنصارى أنفسهم لا يدعون الرسالة بهذا المعنى لبطرس وبولس وغيرهما من مؤلفي الاناجيل ورسائل العهد الجديد . ولأن المسلمين لا يستعملون لفظ النبوّة بمعنى البشارة كما هي مستعملة فى السؤال . فاما ان يكون السؤال متحلا للإيهام وهو الأقرب وإما ان يكون من مسلم جغرافيّ ليس له من الاسلام الاّ الاسم واللقب والجنسية والنسب . واستدلوا على رسالة من ذكر بالعجائب . وانه ليؤثر عن ولي واحد من اوليآء المسلمين اكثر مما يؤثر عنهم وعن المسيح عليه السلام ولم يقولوا ان الأوليآء رسل

والسؤال الثانى من صاحب لهم آخر وهو : «لم انفرد المسيحيون بارسال المبشرين واستمروا على ذلك من عهد ظهورهم الى الآن» والجواب « ان المسيحية هدًى ومتى كان الهدى فى القلب لا يتمالك صاحبه ان يكاتمه ابناء جنسه او يواربهم فيه» ثم قال ان المسيحيين منفردين بالهدى . ونحن نقول (أولاً) انه ماقام دين من الاديان فى العالم الا بالدعوة وما دعى أحد الى دين الا ووجد له تابعين ولكن منها ما انتشر بقوته الذاتية اي قوة الهداية والسلطان على النفوس كالاسلام ومنها ما انتشر بالاكراه والالزام كالدين المسيحي فانه بقي ثلاثة قرون لايقبله الا افراد قليلون ثم دخل فيه بعض ملوك الوثنيين فصاروا يلزمون الناس به بالاكراه كما سنبينه بعد ان شاء الله تعالى بشهادة التاريخ . و (ثانياً) ان بني اسرائيل شعب الله الخاص الذين نوّه بهم صاحب المجلة ما كانوا يدعون لدينهم لعهد المسيح الذي هو منهم فهل

كانت ديانتهم فى ذلك العهد ضلالة ام هداية ؟ . و (ثالثاً) ان البهائية الذين يقولون فى البهاء المدفون فى عكا كما يقول النصارى فى المسيح يدعون الى دينهم فى كل مكان وجدوا فيه حتى يوشك ان يكون كل واحد منهم داعياً فهل يقول اصحاب هذه المجلة انهم على الهدى وانه يجب عبادة البهاء وترك عبادة المسيح أوالجمع بينهما . و(رابعاً) ان الجواب يستلزم ان يكون كل مسيحي داعياً الى دينه لانه على هدى وصاحب الهدى لا يقدر على كتمانه ولكننا نرى الدعوة محصورة فى أفرادمنهم يأخذون عليها الأجر من الجمعيات الدينية فهم يدعون لأن الدعوة معاش لهم لا لأنها هدى فى قلوبهم يفيضون منه على ابناء جنسهم . و (خامساً) اننا نرى المسيحيين الفضلاء ينتقدون هؤلاء الدعاة المسيحيين المستأجرين ويقولون انهم يضرون المسيحية ولا ينفعونها ومن اصحاب الجرائد من انتقدهم كتابةً . و (سادساً) ان كل صاحب دين يعتقد أنه على هدى والانسان انما ينبعث الى العمل باعتقاد نفسه لا بما عليه الامر فى نفسه ولولا ذلك لم يعمل احد شراً ولم يدع احد الى باطل ، ولكن قد تحول دون الدعوة الحوائل ،

اما الدعوة الصحيحة التي اندفع اليها اصحابها بقوة الاعتقاد فهي دعوة حواريّي المسيح عليه الصلاة والسلام وما آمن معهم الا قليل ودعوة المسلمين عدة قرون آمن فيها الملايين . فقدكان التاجر المسلم يدخل مملكة من ممالك افريقيا او آسيا فتدخل كلها فى الاسلام على يديه . ولم تنقطع هذه الدعوة بالمرة ولكنها ضعفت بضعف الاسلام وفقد التربية الدينية واهمال علومه الحقيقية وضعف المدنية والحضارة واهمال دول الاسلام امر الدين واعتماد المسلمين على ملوكهم وأمرائهم وحكوماتهم على خلاف

ما يفرضه الاسلام عليهم ولا يزال الشيعة والبُهر (الاسماعيلية) يدعون بقدر الطاقة . وهؤلاء الملوك والأمراء هم العقبة الاولى فى طريق الاسلام والعقبة الثانية ملوك اوربا الاقوياء الذين ينصرون دعاتهم ويحمونهم بعد ان يوجهوهم الى الدعوة حتى انهم ليحاربون مملكة بحجة الانتصار لقسيس واحد . فالقوة الاوربية هي أنطقت لسان هؤلاء الدعاة وهى التي أجرت اقلامهم وسددت لرمي مخالفيهم سهامهم . فتبين ان جواب السؤال الصحيح ان المسيحيين يبشرون لأن السياسة تدفعهم ، والجنيهات تتبعهم ، والمدافع تمنعهم ، (اي تحميهم) وأما المسلمون فانهم على ضعفهم العلمىّ والاجتماعىّ والسياسي لا يزالون يدعون الى الدين مندفعين اليه بدافع الاعتقاد ولكن على ضعف تؤيده قوة الحق فيكون انجح واقرب الى القبول وطالما شكا دعاة المسيحيين من تقدم الاسلام فى افريقيا وسبقه للمسيحية مع شدة العناية بنشرها وكان اقرب تعليل لهم فى ذلك ان الاسلام اقرب الى الفطرة والعقل وسننشر بعض كلام القسيسين فى ذلك ان شاء الله

آثار علمية ادبية

«تغزل النساء»

يستنكر ذوو الطباع السليمة تغزل الذكور بالذكور لان عشق الولدان من فساد الفطرة ولا يستنكر احد تغزل امرأة بامرأة وان كان عشقها لها منكراً وقبيحاً على ان الغزل ليس ملزوماً للعشق دائماً . وقد

خرجت يوماً حمدة بنت زياد الاديبة المتصوفة الشهيرة متنزهة بالرملة من واديا‌ش فرأت ذات وجه وسيم أعجبها فقالت :

أباح الدمع اسراري بوادٍ | له فى الحسن آثارٌ بوادي
فمن نهر يطوف بكل روض | ومن روض يطوف بكل وادي
ومن بين الظباء مهاةُ رمل | سبت لبي وقد ملكت قيادي
لها لحظٌ تُرَدِّدُهُ لأمرٍ | وذاك اللحظ يمنعني رقادي
اذا سدلت ذوائبها عليه | رأيت البدر فى جنح السواد
كأن الصبح مات له شقيق | فمن حزنٍ تسربل بالحداد

وما أحسن الابهام فى قولها «تردّده لأمر» . واما تغزل ذوات الحجال بالرجال فأراهم يستملحونه على القول بوجوب كثافة الحجاب . ولا أستثني الذين ينفرون من التغزل المذكر مطلقاً . وكأن الشعور بكون الشعر ، قد برز من وراء الخدر ، يؤثر فى حقيقته وماهيته ، او يغير جهة قضيته ، فيحوّل استقباحه استحساناً ، ويجعل خسْرَه رجحاناً ، فيغلب هذا الوجدان والشعور ، وجدانَ وجوب استخفاء ربات الخدور ، وأما علة الاستملاح ، فى ذوق من لا يقول بضرب الحجاب على الملاح ، فهي موافقة الفطرة ، واجابة دعوة الطبيعة ، ومعظم الاستنكار فى ذلك الضرب من الغزل انما هو باعتبار مصدره ومجلاه ، لا باعتبار حقيقته وفحواه ، ومنه قول حمدة نفسها الذي يوردونه شاهداً فى كتب البديع ويتلقونه بالقبول :

ولما ابى الواشون الا فراقنا | وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنُّوا على اسماعنا كل غارةٍ | وقلّت حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي | ومن نَفَسي بالسيف والسيل والنار

ومن غزلهن المستملح المستحسن قول علية بنت المهدي أخت هرون الرشيد :

انی كثرتُ عليه فی زيارته فملّ والشيء مملولٌ اذا كثرا
ورابني منه أني لا أزال أرى فی طرفه قِصَراً عني اذا نظرا

وهذان البيتان بحيث تراهما من الحسن والبلاغة على انهما لم يتجاوزا حدود الحقيقة ولم يخرجا عن محيط الصدق بل لم يبالغا فی الوصف ايضاً . ويالله ما أحلى الاعتذار فی البيت الاول وما أبلغ حكمته !! ويالله ما أرق الوصف فی البيت الثاني وما أدق بيان موضع الريبة وما ألطف مراعاة شمائل الحبيب واستخراج خبايا نفسه ، من ظاهر حسه ، وناهيك بما تحدث به العينان ، عن خفيّ الشعور والوجدان ، كذلك يجمل بالمحبّ الانصاف والاعتذار ، كما يجمل من الحبيب الجور والنفار ، وفی هذا قالت علية أيضاً :

بُنِيَ الحب على الجور فلو انصف المحبوب فيه لسمج
ليس يستحسن فی شرع الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج
وقليل الحب صِرْفاً خالصاً هو خير من كثير قد مزج

وأي خير فی الحب الممزوج وماهو الامزج السم بالدسم ، وماعاقبته إلا الفناء والعدم ،

ومن نظم علية فی الحنين الى الوطن وكانت خرجت مع الرشيد الى الريّ فلما بلغوا المرج نظمت هذين البيتين وغنت بها وكانت من أحسن الناس غناء وصوتاً فسمع الرشيد فردها الى العراق :

ومغترب بالمرج يبكي لشجوه وقد ضل عنه المسعدون على الحب

اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه تنشق يستشفي برائحة الركب

ومن نظمها فى طبيعة الحب ، وفائدة الهجر والعتب ،

تحبَّبْ فان الحب داعية الحب وكم من بعيد الدار مستوجب القرب
تبصَّرْ فان حُدّثت ان أخا الهوى نجا سالمًا فارجُ النجاة من الحب
وأعذبُ أيام الهوى يومك الذى تروّع بالهجران فيه وبالعتب
اذا لم يكن فى الحب سخط ولا رضى فاين حلاوات الرسائل والكتب

كان الاولى ان تقول « اخا هوًى » . ويروى الثالث « وأطيب أيام الفتى يومه الذى »

أوردنا هذا تفكهة وتمليحاً لبعض القراء الذين يملون الجد الصرف كما قالت علية « والشيء مملولٌ اذا كثر » وليس هذا الغزل بالقول الهزل ، والكلام العُطْل ، فان به يرق الشعور ويلطف الوجدان وتهذب النفس . والفقهاء لا يحرّمون الغزل الا اذا كان فى اجنبي معينَّ أوكان فيه فحش وقد سمع النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الغزل والنسيب حتى فى المسجد ومن ذلك أوائل قصيدة (بانت سعاد) الشهيرة

الهدايا والتقاريظ

(جُذيمة والزّبّاء) قصة تاريخية أدبية تهذيبية تأليف الفاضل محمد أفندي حليم وكيل قلم محاسبة المكاتب بنظارة المعارف العمومية والقصة مسجعة وفى مقدمتها كلام في السجع وشروط استحسانه ومواضع استقباحه وكلام فى الفصاحة والبلاغة . وفى فصول القصة مسائل ومباحث مفيدة اظهر المؤلف فيها رأيه كمسئلة تأثير القصص الغرامية فى نفوس

الناشئة وافسادها الاخلاق وكبحث حجاب النسآء وعدمه والكسل وعلو الهمة والاعتماد على النفس والسعي فى طلب الرزق والكهانة والتنجيم والخمرة وتأثيرها السيء وغير ذلك وكنا نود لو سمح لنا الوقت بقرآءتها كلها ونقدها لان موضوعها مفيد . وهي مطبوعة طبعاً حسناً على ورق جيد وثمنها ٨ غروش وصفحاتها ٦٤

(التربية الحديثة) كتاب جديد للعالم الاجتماعى المربى الشهير الموسيو أدمون ديمولان مؤلف كتاب سر تقدم الانكليز الذي يعرف القرآء مكانته وقد عُنِيَ بتعريبه بعد استئذان المؤلف واذن ملتزم الطبع أحد ضباط الشرطة (البوليس) الفاضل حسن افندي توفيق الدجوي وطبعه فى مطبعة الترقى الشهيرة طبعاً حسناً مزيناً بالرسوم على ورق جيد فبلغ نحو مائتي صفحة ولكنه جعل ثمنه عشرة غروش فقط وسنطالعه ان شاء الله تعالى ونبين للقرآء اهم فوائده ونوهنا به الآن لان شهرة مؤلفه كافية فى الترغيب فيه

(الفرائد الجمانية . فى شرح القصيدة الطنطرانية) القصيدة مشهورة وناظمها الشيخ احمد الطنطرانى مدح بها نظام الملك الوزير الشهير صاحب المدرسة النظامية فى بغداد وهي اغرب ما نظم الناظمون فى تكلف السجع ولزوم ما لا يلزم ومطلعها :

يا خليَّ البال قد بلبلْتَ بالبلبال بالْ ‌ ‌ ‌ بالنوى زلزلتني والعقل بالزِّلزال زالْ

وهى على عدة قواف ومنها :

ياغزالاً قدُّه فى المشي كالارماح ماحْ ‌ ‌ ‌ ريقه راح ومافى غير تلك الراح راح

وماح بمعنى مال . ومنها :

فى عراص الوصل عانى الهجر كالغدّار دار لا تَرَحّل فالحشا من كثرة الاسفار فار

وهـذه القصيدة تدلنا على ان الفساد كان قد دبّ فى اللغة على ذلك العهد وهو اكمل عهد للعلم فى الاسلام . وقد عني بشرح هذه القصيدة بعض الشبان المشتغلين بالأدب وهو « محمد بن الحاج العربى العنابى الملقب بأبى الليل (كذا) أحد طلبة القسم العالى بمدرسة الجزائر » فبين المفردات اللغوية ثم معانى الابيات بعبارة مسجعة وبين أيضاً انواع البديع فيها فعلمنا انه ممن يعدون البلاغة فى الاستكثار من انواع البديع ، ويكلفون بالتسجيع ، فنوجه نظره الى ما هو خير منه من الكلام المرسل الذي لا كلفة فيه والى اعتبار المعانى تابعة للالفاظ وعدم الالتفات الى هذه المحسنات اللفظية الا ما جاء منها عفواً صفواً ملبياً دعوة المعنى والله الموفق

(الشجرة النبوية) للشيخ جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي الحنبلي وهو كتاب مشجّر فى نسب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وآل بيته كأولاده ونسائه اللاتى دخل بهن واللاتى عقد عليهن ولم بين بهن وأولاد بناته واعمامه واكابر اصحابه وأمهاته من الرضاعة وغيرهم . وفيه ذكر ما كان يملكه وذكر خدمه ووقائعه وغير ذلك من الفوائد التى ينبغي لكل مسلم معرفتها وهذا الكتاب قد قرّبها جداً ولكنه على حسنه لا يخلو مما ينتقد فقد نظرنا عند ابتداء اجالة الطرف فى صفحاته صورة نعل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وفى جانبها ذكر منافعها اي منافع الصورة والمثال المرسوم ومنها انه امان من بغي البغاة وغلب العداة والشياطين والحاسدين وانه يسهل الولادة ولا يصح شيء من هذا وان زعم المؤلف انه مجرب . ولكن مثل هذه الجملة الوهمية لا يصح ان يكون مانعاً من الانتفاع بما فى

الكتاب من الفوائد . وقد طبع على نفقة جمعية النهضة الادبية وثمنه ثلاثة غروش صاغ عدا أجرة البريد وهو قليل بالنسبة لما فيه من المشجرات والجداول التى تحتاج الى نفقة كثيرة ويوجد فى جميع المكاتب الشهيرة

(مراقي الترجمة) كتاب أوكتب يشتغل بوضعها ثلاثة من أمهر مدرسي اللغة الانكليزية وعلومها بمدرسة الناصرية الأميرية . ومن أفضل من أنبتت مدرسة المعلمين الخديوية وهم ابوزيد افندي فايد وعبد الحميد افندى الشربيني ومحمود افندى عثمان عطاالله . والغرض من وضع هذه الكتب تعليم الترجمة لتلامذة المدارس . وقد صدر الكتاب الأول منها مطبوعاً فى مطبعة الترقى وهو لتلامذة السنة الاولى والسنة الثانية من تلامذة المدارس الابتدائية وفيه اربعون درساً وثمنه غرشان أميريان . ومن مزايا الكتاب تحرّي بيان الترجمة الصحيحة مع الاشارة الى الترجمة الحرفية فعسى ان يقبل عليه جميع تلامذة المدارس الاهلية مع تلامذة المدارس الأميرية

(الكنيسة الارثوذكسية) مجلة شهرية دينية أدبية إصلاحية تصدرها جمعية سرّية أنشئت حديثاً وسميت « جمعية النشأة السورية الارثوذكسية فى مصر » وقد صدر العدد الأول من هذه المجلة فى أول تشرين الاول الحاضر وجاء فى مقدمتها مانصه : « وبعد فقد رأينا ان الطائفة الارثوذكسية السورية متقهقرة تقهقراً فى سبل العمران لاينكره إلا كلّ مكابر مغرور ورأينا شمل الطائفة متضعضع (كذا) فلا جامعة لنا ولا ألفة بين افرادنا ولذلك كان السبق لغيرنا فى سباق الحياة نخففنا من التلاشي لما فى سنة الكون من تنازع البقاء وبقاء الأنسب ولذلك اجتمعنا واجمعنا على السعي

بما فى الوسع بالدعوة الى الاصلاح والنظر فى مواقع الخلل جمعية (كذا) دعوناها النشأة السورية لأن ليس الغاية (كذا) القاء الضغائن بين أبناء الوطن الواحد شأن الجرائد الدينية الاخرى بل اتباعاً لسنة المسيح فى القاء السلام لان إلهنا اله السلام يدعى »

ونحن نقول ان لمؤسسي هذه الجمعية الفضل الاول على طائفتهم وأهل مذهبهم باعترافهم بتأخرهم عن سائر طوائف النصرانية وسعيهم فى التقدم والترقى . وقد احسنوا فى عزمهم على سلوك سبيل المسالمة خلافاً لجرائد الجمعيات البروتستنتية التى تلقى العداوة والبغضاء بين اهل الأديان والمذاهب حتى اضطرتنا الى الرد عليها ونحن السابقون الى الدعوة الي المسالمة والوفاق ونبذ اسباب العداء والشقاق . واننا لنرجو النجاح لهذه الجمعية ولمجلتها لان الطائفة قد استعدت برؤية العبر لقبول الاصلاح واسعاد الداعين اليه واسعافهم لما فيهم الآن من كثرة المتعلمين والمهذبين ويسرنا ان نرى سريان الاصلاح فى هذه الطائفة التي هى اكثر الطوائف عدداً فى بلادنا لوجوه أهمها حفظ الدين مع العلم فاننا نرى اكثر المتعلمين يتفلتون منه فيكونون من الملحدين وبذلك يبعدون عنا فان الملحد أبعد من الكتابيّ بلا شك ثم نفخ روح المباراة والمسابقة فى سائر الطوائف المتأخرة المتقهقرة حتى اذا ما هبت الطوائف كلها للاصلاح وجارى بعضها بعضاً ترتقى البلاد ويعلو شأنها والتفاوت بين الطوائف عقبة كبرى فى طريق الارتقاء . على ان الاصلاح محبوب لذاته عند الصالحين . هذا ويقول بعض افاضل الطائفة انه لا وجود لهذه الجمعية

(فتح المنان فى تقويم البلدان) رسالة وجيزة فى الفن ألفها الفاضل

محمد افندي ذهني لتلامذة السنتين الاولين فى المدارس الابتدائية وهى على طريقة السؤال والجواب فعسى ان تصادف رواجاً

الاخبار التاريخية

« سخاء السلطان على رجال الدولة والمابين »

نرى كثيراً من الجرائد تعرّض بسوء حال الموظفين فى الدولة العلية وكونهم لا يصلون الى بعض رواتبهم الا بشق الأنفس وتطلق القول فى ذلك اطلاقاً . والذي نعرفه من حال الموظفين الذين يعرفهم مولانا السلطان كالوكلاء ورجال المابين وأمراء الجيش أنهم يأخذون رواتبهم وما يقرب منها او يزيد عليها من الاحسانات الحميدية وله وفقه الله تعالى تفنن فى ضروب الكرم والسخاء ماكان يخطر مثله فى بال حاتم الطائى ولا كعب بن مامة فكثير ما يهب الهبات العظيمة بناءً على حلم يراه فى النوم ومن ذلك ان ناظر الحربية كان نائماً ذات ليلة فأيقظوه قائلين ان رسولاً من قبل مولانا السلطان يطلبك فقام مذعوراً ظاناً أن قد وقعت الواقعة ، واحتيج الى اشد القوة الدافعة ، واذا بالرسول يحمل خمسة آلاف ليرة هدية فاعطاها للناظر وقال ان مولانا يسلم عليك ويقول انه رآك الليلة فى منامه محتاجاً الى الدراهم فعجل لك هذه الهبة

وقد تحرك فى نفسه الكريمة أريحية السخاء ، بعد غضب واستياء ، فيجيب داعيها فيكون سبباً للرضى شبيهاً بالاعتذار كما وقع من عهد قريب عند ما غضب على الشريف امير مكة المكرمة ووبخه بلسان البرق ثم لم

يلبث أن ارسل اليه ثلاثة آلاف ليرة هدية

وقد بنى قصوراً عظيمة لاكثر رجاله وكبار رجال الدولة نذكر منها ما عرفنا موقعه ومبلغ نفقته فمنها بقرب يلدز (١) قصر السر عسكر رضا باشا انفق عليه ثمانية عشر ألف ليرة . و (٢) قصر عثمان باشا الغازي {رح} انفق عليه عشرين الف ليرة . و (٣) قصر احمد عزت بك العابد كاتبه الثاني واقرب الناس منه ولا نعلم ما أنفق عليه ولكننا علمنا انه انفق على نقش غرفة واحدة منه وعلى اثاثها ورياشها خمسة آلاف جنيه . ومنها فى نشانطاش (١) قصرا الصدر الاعظم خليل رفعت باشا أنفق على القديم منه ٥٠٠٠ ليرة وعلى الجديد اربعين الف ليرة . و (٢) قصر زكي باشا مدير الطوبخانة أنفق عليه ١٥٠٠٠ ليرة . و (٣) قصر شاكر باشا رئيس اركان حرب المعية أنفق عليه ثلاثين الف ليرة . و (٤) قصر جواد باشا الصدر الاسبق نفقته عشرون الف ليرة . و (٥) قصر كامل باشا الصدر الاسبق نفقته ١٨٠٠٠ ليرة . و (٦) قصر الباشكاتب تحسين بك نفقته عشرة آلاف ليرة . و (٧) قصر سعيد باشا الصدر الاسبق نفقته ٨٠٠٠ ليرة . و (٨) و (٩) قصر الحاج علي بك الباش مابينجي وقصر سعيد باشا رئيس مجلس الشورى نفقة كل منهما ٥٠٠٠ ليرة . و (١٠) و (١١) و (١٢) و (١٣) قصور لمحمد بك وسعيد بك وامين بك وعارف بك كلهم من مستخدمي المابين أنفق على كل منها ٣٠٠٠ ليرة . و (١٤) قصر محمود بك {المتوفى} ومثله قصر عارف بك فى بكماكوى وكلاهما من مستخدمي المابين أنفق على كل منهما ٤٠٠٠ ليرة . و (١٥) قصر منير بك سفير الدولة فى باريس نفقته ٥٠٠٠ ليرة و (١٦) قصر لطفي اغا الدخاخني نفقته ٨٠٠٠ ليرة . و (١٧) قصر ناظم باشا

محمد افندي ذهني لتلامذة السنتين الاولين فى المدارس الابتدائية وهى على طريقة السؤال والجواب فعسى ان تصادف رواجاً

الاخبار التاريخية

« سخاء السلطان على رجال الدولة والمابين »

نرى كثيراً من الجرائد تعرّض بسوء حال الموظفين فى الدولة العلية وكونهم لا يصلون الى بعض رواتبهم الا بشق الأنفس وتطلق القول فى ذلك اطلاقاً . والذي نعرفه من حال الموظفين الذين يعرفهم مولانا السلطان كالوكلاء ورجال المابين وأمراء الجيش أنهم يأخذون رواتبهم وما يقرب منها او يزيد عليها من الاحسانات الحميدية وله وفقه الله تعالى تفنن فى ضروب الكرم والسخاء ما كان يخطر مثله فى بال حاتم الطائى ولا كعب بن مامة فكثير ما يهب الهبات العظيمة بناء على حلم يراه فى النوم ومن ذلك ان ناظر الحربية كان نائماً ذات ليلة فأيقظوه قائلين ان رسولاً من قبل مولانا السلطان يطلبك فقام مذعوراً ظاناً أن قد وقعت الواقعة ، واحتيج الى اشد القوة الدافعة ، واذا بالرسول يحمل خمسة آلاف ليرة هدية فاعطاها للناظر وقال ان مولانا يسلم عليك ويقول انه رآك الليلة فى منامه محتاجاً الى الدراهم فعجل لك هذه الهبة

وقد تتحرك فى نفسه الكريمة أريحية السخاء ، بعد غضب واستياء ، فيجيب داعيها فيكون سبباً للرضى شبيهاً بالاعتذار كما وقع من عهد قريب عند ما غضب على الشريف امير مكة المكرمة ووبخه بلسان البرق ثم لم

يلبث أن ارسل اليه ثلاثة آلاف ليرة هدية

وقد بنى قصوراً عظيمة لاكثر رجاله وكبار رجال الدولة نذكر منها ما عرفنا موقعه ومبلغ نفقته فمنها بقرب يلدز (١) قصر السر عسكر رضا باشا انفق عليه ثمانية عشر ألف ليرة . و (٢) قصر عثمان باشا الغازي {رح} انفق عليه عشرين الف ليرة . و (٣) قصر احمد عزت بك العابد كاتبه الثاني واقرب الناس منه ولا نعلم ما أنفق عليه ولكننا علمنا انه انفق على نقش غرفة واحدة منه وعلى اثاثها ورياشها خمسة آلاف جنيه . ومنها فى نشانطاش (١) قصرا الصدر الاعظم خايل رفعت باشا أنفق على القديم منه ٥٠٠٠ ليرة وعلى الجديد اربعين الف ليرة . و (٢) قصر زكي باشا مدير الطوبخانة أنفق عليه ١٥٠٠٠ ليرة . و (٣) قصر شاكر باشا رئيس اركان حرب المعية أنفق عليه ثلاثين الف ليرة . و (٤) قصر جواد باشا الصدر الاسبق نفقته عشرون الف ليرة . و (٥) قصر كامل باشا الصدر الاسبق نفقته ١٨٠٠٠ ليرة . و (٦) قصر الباشكاتب تحسين بك نفقته عشرة آلاف ليرة . و (٧) قصر سعيد باشا الصدر الاسبق نفقته ٨٠٠٠ ليرة . و (٨) و (٩) قصر الحاج علي بك الباش مابينجي وقصر سعيد باشا رئيس مجلس الشورى نفقة كل منهما ٥٠٠٠ ليرة . و (١٠) و (١١) و (١٢) و (١٣) قصور لمحمد بك وسعيد بك وامين بك وعارف بك كلهم من مستخدمي المابين أنفق على كل منها ٣٠٠٠ ليرة و (١٤) قصر محمود بك {المتوفى} ومثله قصر عارف بك فى بكما كوى وكلاهما من مستخدمي المابين أنفق على كل منهما ٤٠٠٠ ليرة . و (١٥) قصر منير بك سفير الدولة فى باريس نفقته ٥٠٠٠ ليرة و (١٦) قصر لطفي اغا الدخاخنى نفقته ٨٠٠٠ ليرة . و (١٧) قصر ناظم باشا

والي سورية نفقته ٤٠٠٠ ليرة . و (١٨) قصر ثريا باشا الباشكاتب المتوفى نفقته ٥٠٠٠ ليرة . و (١٩) قصر عصمت بك الاتوابجي باشى نفقته ٢٥٠٠ ليرة . فقيمة نفقة ما علمناه من قصور نشانطاش وحدها يبلغ نحو مائتى الف جنيه

مع هـذا كله ترى هؤلاء الرجال يتدللون على مولاهم ويطاب بعضهم الاستقالة المرة بعد المرة كالصدر الاعظم وناظر المالية الذى لا نعلم مقدار الانعامات المغدقة عليه . أليس هذا السلطان جديراً بأن يحار فى سياسة هذه الدولة واخلاق رجالها وطمعهم ؟؟؟

(فضيلة شيخ الازهر وانتقاد المكتوب)

من فضل الله تعالى علينا أننا لا نكتب شيئاً فى المنار إلا لخدمة العلم والدين ومصلحة الامة العامة . وما ابرّئ نفسى من الخطأ والسهو ولكن اشهد الله على حسن قصدي وإخلاصي بحسب مبلغ علمي بالمصالح والمنافع التى احث عليها والمضار والمفاسد التي أنفر عنها . وقد توهم بعض الناس ان نشر الانتقاد على عبارة المكتوب الذي ارسل من قبل الحبر الاعظم شيخ الجامع الازهر الشريف الى وكيل الداخلية يمنعني من التشرف بزيارة الشيخ بعدها ولذلك اوّلت بعض الجرائد زيارتي الاخيرة له بحسب ما وصل اليه النظر الكليل أو القصد السيء . وزعمت أنني رأيت اكثر الناس غير راضين عن ذلك الانتقاد فحاولت تلافى ذلك . ومالى ولأهل التأويل والتحويل . زرت مولانا الشيخ لانني أحترمه منذ عرفته ولم يتغير ما فى نفسى من سبب احترمه بل زاد بالمنصب الذى ارتقى اليه ولا انكر أنني ألفيته مستاء من نشر النقد وغير راض بالتأويل بل قال ان البلاغة هى مطابقة الكلام

لمقتضى الحال وان ما كتب هو المطابق لحال اهل الدواوين وانه اذا كتب اليهم كلام بليغ لا يفهمونه . ولما قلت له ان صاحب السعادة وكيل الداخلية من اهل العلم والفهم أجاز ذلك وقال ان المكتوب قد يقع فى يد غيره من الكتبة والموظفين فينبغى ان يكون بحيث يفهمه الجميع . . . ولا حاجة لذكر مادار من الكلام فى هذا الموضوع ولكن لابد لى أيضاً ان ابيّن ان السبب فى ترك البسملة والحمدلة فى أول المكتوب وسائر ما يكتب من المشيخة هو تكريم اسماء الله تعالى واسم نبيه لما يتوقع من رمي الاوراق واهانتها .
كذا قال الاستاذ لى وأذن بأن ينشر وصرَّح لى بأنه نهى عن الردّ على المنار

ذكرت لمولانا الشيخ من دليل حسن قصدي فى كل ما كتبت واكتب عن الازهر وفى العلماء والتعليم انني عرضت عليه مرتين أن اذاكره فى كل اريد كتابته فى شأن الازهر واكتب ما يجيزه مما اعرضه عليه لاكون أنا والمنار مشمولين دائماً برضاه وانني كنت فهمت منه انه لم يحفل بذلك فاكّد لي انني فهمت خلاف الواقع وانه قبل ماعرضت عليه من قبل ويقبله الآن فتلقيت كلام فضيلته بالقبول وسأعرض عليه بعد اليوم ما اعزم على كتابته فى شأن الازهر ان شاء الله تعالى وهو الموفق للصواب

﴿ منشورات المفسدين في مصر ﴾

يحاول بعض السفهاء الذين يتلذذون بانهم يفسدون فى الارض ولا يصلحون أن يفتحوا على الجناب العالى الخديوي الباب الذى فتحه حزب تركيا الفتاة على مولانا السلطان الاعظم من تجرئة الناس على الخوض فى شخصه المعظم بالقول والكتابة وشغل فكره الشريف بمكافحة الاشخاص والبحث عن الافراد الذين يكتبون ويتقولون ويمثلون ويصوّرون ثم تلافى ما عساه

ينجم عن كتاباتهم وسعيهم وسعاياتهم فى الاستانة العلية أو الديار المصرية

وقد توسلوا الى هذا المقصد الخسيس بالوشايات القولية والمنشورات السرية ومن ذلك مانوهت به الجرائد اليومية من المنشور الذين يُرجفون فيه بأن بعض زعماء المسلمين وامراءهم قد بايعوا الجناب الخديوى بالخلافة ومن تصوير مولانا السلطان ومولانا الأمير يلعبان على (البلياردو) برأسي ليون فهمى وصالح بدرخان وغير ذلك مما لا نذكره

ونحن نعتقد انه اذا لم يقفل هذا الباب قبل تمادي السفهاء فيه فانه يتعذر إقفاله بعد ذلك او يتعسر ولا وسيلة لإقفاله الا تنزيه سمع مولانا العزيز أيده الله عن سماع كلمة واحدة من كلام هؤلاء السفهاء وتكريم نظره العالى عن التصويب الى شيء مما يكتبون بَلْهَ اشخاصهم الخسيسة ، وذواتهم المنحوسة ، فان مولانا السلطان الاعظم قد اعياه امرهم ، بعد أن راج فى سوق السياسة سحرهم ، وهو صاحب السلطة المطلقة والارادة النافذة والكف الفائضة . ولو انه ايده الله تعالى أيأسهم مِن سماع كلامهم ، والنظر فى مواقع سهامهم ، لاستراح وأراح

ثم ان لمولانا العباس حفظه الله من بُعد النظر وجودة الفكر مايمكنه به ان يقنع مولانا السلطان الاعظم بمصدر هذه الاراجيف اذا فرض انها وصلت الى يلدز . وأما مصر فلا تأثير فيها لشيء من هذا الهذيان الا اذا راج فى المعية السنية وبيد مولانا الامير إبطال هذا التأثير وبيده تربية هؤلاء السعاة المفسدين ، والسفهاء الطامعين ، ولا شك ان جميع رجال حكومته ، ووجوه رعيته ، محبون لمقامه الكريم ، ومخلصون لجنابه الفخيم ، ولا يوجد فيهم من تحدثه نفسه بان يطالبه بمثل ما يطالب ذلك الحزب

المشؤم مولانا السلطان او ينسب اليه تقصيراً فى اعمال الحكومة . ولا يمكن ان يكون لكلام المرجفين ادنى تأثير فى نفس احدمنهم فكيف يؤثر فى نفسه العالية ؟؟ كلا سوف يخسؤن ثم كلا سوف يخسؤن « وسيعلمُ الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون »

« الى الجناب العالى الخديوي »

مولاي : قد كثر فى بلادك نسبة الاشياء الى لقبك الرفيع فلا نرى إلا « الاجزاخانة الخديوية والقهوة الخديوية والمطبعة الخديوية » وغير ذلك مما لا بأس بتشرفه بالنسبة الى هذا اللقب ومما ينبغي تنزيه اللقب عنه وهذه جريدة « بشائر السلام » التي انشئت للطعن بدين الاسلام الشريف تطبع بالاسكندرية فى مطبعة تسمى « المطبعة الخديوية » كما هو مكتوب عليها وربما يتوهم بعض المطلعين عليها من غير هذه البلاد ان المطبعة منسوبة الى سموِّ الخديو فعلا فيعجبون كيف يصدر منها هذا الطعن الفاحش بالاسلام

فاذا كانت حكومة بلادك التى امتازت بالحرية قد غلت فيها الى هذا الحد فى اجازة الطعن فاننا نطلب من حكمة سموك تنزيه لقبك الشريف أن ينسب اليه شيء بغير ارادة رسمية منك كما يفعل مولانا السلطان الاعظم أيده الله وايدك بروح منه بل نطلب بلسان الاخلاص صدور الامر العالى بابطال كل ما نسب الى هذا اللقب أو يستأذنَ صاحبه فتتعلق الارادة بالاذن له

« مأتم الامير عبد الرحمن فى الهند »

جاءنا من وكيلنا فى بومباي انه كان لنعيّ امير الافغان تأثير عظيم فى جميع الممالك الهندية فاضطرب الناس واختلفت الجرائد الانكليزية والهندية فيه فكانت تكذبه تارةً وتصدقه أخرى الى ان صدر الامر من اللورد

كرزون الحكمدار الانكليزى العام بالاحتفال بمأتمه العمومي يوم الاثنين غرة رجب فاحتفل به فى ذلك اليوم فى جميع البلاد الهندية وسواحلها احتفالاً عظيما كالاحتفال بمأتم الملكة بلا فرق . فكان يوماً مشهوداً عطلت فيه دواوين الحكومة ومحاكمها وجميع المدارس وأغلقت محال التجارة . وصلى المسلمون عليه جميعاً مع اختلافهم فى المذاهب كل فرقة فى مسجدها بأمر كبيرها او مجتهدها . (قال) « وصلوا عليه بالامس بعد صلاة الجمعة فى الجامع الكبير وبعد الصلاة ارسل تلغراف التعزية مع التهنئة الى وكلاء الفقيد . ونحن نحمد الله تعالى على انه فات هذا الخطب الجلل ولم ينتطح عنزان على رغم اعداء الاسلام رماهم الله بالخذلان » اه فتأمل فى هذا التأثير العظيم لفقد هذا العظيم فى هذه البلاد

« حرب الانكليز والبوير »

دخلت هذه الحرب فى العام الثالث وهى لا تزال سِجَالاً وقد ادهش ثبات البوير وبلاؤهم جميع الامم والدول لانهم لم يعهدوا من شرذمة قليلة مصادمة دولة عظيمة زمناً يعدّ بالسنين وللحياة الاستقلالية فى الأمم آيات يعتبر بها الاحياء ولا يحس بها الاموات .

﴿ من ادارة المنار ﴾

نرجو من المشتركين الكرام فى البلاد الهندية اعتبار الفاضل الشيخ عبدالله نزيل بيت صديقنا الاستاذ الكامل الشيخ احمد الجيتكر فى بومباي وكيلاً للمنار فى الممالك الهندية وان يدفعوا اليه قيم الاشتراك ويأخذوا منه وصولات مطبوعة مختومة بختم الادارة ومذيلة بتوقيعه أو ختمه

الجزء السابع عشر (المجلد الرابع)

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر فى يوم الاربعاء غرة شعبان سنة ١٣١٩ — ١٣ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠١ ﴾

الشعور والوجدان . وشعائر الامم والاديان

ينبعث المرء الى العمل بشعوره ووجدانه ، اكثر مما ينبعث بفكره وبرهانه ، وبالعمل يسعد ويشقى . وبالعمل يموت ويحيي ، (١)

تأثير الشعور والوجدان ، اقوى فى النفس من تأثير العقل والجنان ، بل لا تنفذ احكام سلطان العقل فى مملكة البدن الا بواسطة الشعور النفسي بالحاجة الى ما حكم به لدفع ألم او تحصيل لذة فكأن الشعور وزير التنفيذ لسلطان العقل وكثيراً ما يستبدُّ هذا الوزير على ذلك السلطان اجابة لداعي عُمَّال الحواس والمشاعر فيزعج الجوارح الى العمل بدون استشارته فتخسر الاعمال ، وتخيب الآمال ، ويسوء المصير والمآل ،

نعني بالشعور أن تحس بألم الحاجة الى الشيء أو بلذته وبالوجدان ماتجده فى نفسك من ذلك الألم الذى يدفعك الى العمل بمايقتضيه اواللذة الداعية الى المداومة على العمل فالمراد بهما واحد ولذلك نكتفي بأحد اللفظين احياناً . ويعبر

(١) راجع العدد الرابع من المجلد الاول

الصوفية عن هذا المعنى بلفظ (الحال) ومن أصول طريقتهم تربية الحال بما ينفخون من روح التأثير بعقيدة من العقائد او فضيلة من الفضائل فى المريد فينبعث الى العمل الذي هو أثر العقيدة او الفضيلة بوجدان صادق ويبالغ فيه ما شاء الله ان يبالغ حتى يكون ملكة راسخة فى النفس وهي ما يسمونه (المقام). يقولون حال التوكل ومقام التوكل وحال السخاء ومقام السخاء. واذا كان المقام عند الصوفية عبارة عما يسميه علماء الاخلاق من غيرهم خلقاً وملكة فهو إذن ما تصدر عنه الاعمال بلا رويّة ولا تكلف

العمل بمقتضى الحال والوجدان يحتاج الى الفكر فى طريق العمل ومقدماته ثم يرتقي الانسان فيه مع التكلف والتأثر الى هذه الدرجة التي يصدر فيها العمل بلا تكلف ولا انفعال ولا ترتيب مقدمات ولكنه مع ذلك يشعر بأنه متمكن من ذلك المقام ويتفكر فى آثاره الحسنة فاذا غاب عنه هذا الشعور والفكر فصار لا رويّة ولا رؤية وانما هي اعمال كالانفاس وحركات الجفون فتلك نهاية الكمال فى المقام. والشيخ محي الدين بن عربي يعبر عن هذا بمقام الترك فيقول مقام التوكل ومقام ترك التوكل ومقام الصدق ومقام ترك الصدق وانما يعني ترك شهوده وتلك غاية الكمال — يصدُق المرء من غير شعور سابق يدفعه الى الصدق عند كل فرد من أفراده وبدون فكر فى مقدمات الصدق ونتائجه ولا ملاحظة لتلبسه بهذه الفضيلة ولا إعجاب بها وبآثارها وليس محالاً ان يرتقي الانسان فى التهذيب الى أن تكون الاعمال الحسنة منه كحركات الجفون لا يتفكر فيها ولا يشعر بها الا اذا ذكّره مذكر او نبَّهه منبه

تلك درجات مرتبة، ومراتب متعاقبة، فالشعور والحال، ثم

الملكة والمقام ، ثم الرسوخ والاطمئنان ، حتى لا شهود ولا عيان ، الا ما كان كومضة برق ، او نبضة عرق ،

كيف ينفخ المربي روح الشعور النافع والوجدان الشريف فى النفوس ليعرج بها الى جنات الفضائل العالية ، حيث تعيش العيشة الراضية ، ؟

يقول الامام الغزالى ان العلم هو الذى يحدث الحال فى النفس والحال هو الذى يحدث العمل وعلى العمل مدار السعادة ، ويقول ان الترتيب بين هذه الثلاثة واجب لا يتخلف بمقتضى اطّراد سنة الله تعالى فى الملك والملكوت . ونرى اكثر علمائنا بل اكثر الناس يقولون ان العلم لا يوجب العمل وقد نازع حجة الاسلام بلفظ (يوجب) بعض من يوصف بالامامة من العلماء الذين لم يفهموا كلامه لتقيدهم بالاصطلاحات الكلامية . وقد صرح هو بانه يريد بالعلم اليقين بأن هذا الشيء ضار او نافع ولا شك ان اليقين او الرجحان عند تعارض اعتقادين فى النفس هو الذى يملك على النفس أمرها ويبعث فيها وجداناً يزعجها الى العمل . وانما نظر القوم الى العلم التصوري او التصديقي الضعيف الذي تتنازعه الشكوك وتعارضه تصورات او تصديقات اخرى هي اقوى منه فلا يصدر عنه اثره وانما يصدر الاثر عن الراجح القوي كما اوضحناه فى مقالة عنوانها تاثير العلم في العمل (راجع العدد الثاني من المجلد الثاني)

ما قاله الامام الغزالي صحيح ولكن العلم الصحيح اليقيني بالمنافع والمضار والمصالح والمفاسد عزيز فى البشر لا سيما مصالح الامم والملل . ثم انّ إيداعه فى النفوس بالتعليم على وجه يغلب تأثير التقاليد والعادات ، والتأثر بما ينافيه من المسموعات والمشاهدات ، أعز واعسر ، واقل

وأندر، فلابد من تعزيز التعليم بالتربية العملية . بل التربية هى الاصل والتعليم يمدّها ويغذيها ، ويثمّرها وينمّيها ، وهذه الطريقة طريقة الدين فانه بعد ان أشعر النفوس عظمة الله وسلطانه ، وفضله واحسانه ، شرع للناس اعمالاً ووضع لهم شعائر ، كان لها السلطان الاكبر على القلوب والضمائر ، فكان إحياء وجدان وشعور ، وبعث همم ونشور ، مقروناً بتعليم قويم ، يهدي الى الحق والى طريق مستقيم ،

شرع الدين لإسعاد الافراد فى انفسها ، وإسعاد الشعوب فى مجموعها ولذلك كان بعض اعماله عبادات تتعلق بتهذيب الأفراد وبعضها شعائر تتعلق بالاجتماع كأعمال الحج والعيدين وصلاة الجمعة والجماعة . وقد كان لهذه الشعائر تأثير عجيب فى الحياة الملية الاجتماعية حيث لم تكن رسماً صوريًّا يؤدى كما تؤدى المغارم والديون على ما هي اليوم . وانني لا انسى ذلك الشعور الاسلامي الذي كان يسوقني وأنا ابن بضع سنين الى مسجد البلد الجامع لحضور صلاة التراويح وصلاة الفجر ولحضور الوعظ بعد العصر فى رمضان ولا انسى تلك اللذة الروحية فى اجتماع الناس لهذه العبادات وامثالها لا سيما ارتفاع اصواتهم بالتكبير قبل صلاة العيد — الله اكبر الله اكبر الله اكبر . لا اله الا الله والله اكبر ، الله اكبر ، ولله الحمد . . . .

هذا الشعور الذى يجده الصغير فى نفسه بمقتضى الفطرة يفقده بعد ان يعتاد هذه الاعمال من غير فهم الا أنْ يُتعاهد بتربية تجدد عنده فى كل طور من اطوار العمر فهما فى هذه الشعائر يبعث فيه شعوراً يليق به . ولولا أن منّ الله تعالى عليّ منذ تعلمت القراءة والمطالعة بعشق كتاب احياء علوم

الدين الذي هو اعظم كتب علماء الاسلام تأثيراً فى النفوس لصارت العبادة عندي عادة لا تأثير لها وانما صرحت بهذا ليكون ارشاداً فعلياً الى الانتفاع بهذا الكتاب وان كان يوجد فيه ما أود حذفه منه ليكون نفعه عاماً

ومن البلاء العظيم الذى نزل بالمسلمين التقصير فى اقامة شعائر الاسلام على اصلها والتوسل بها الى احياء الشعور المليّ فقد نزعت روحها اولا ثم طرأت الامراض على صورها فغيّرتها حتى عافها المترفون واعرض عنها الاكثرون . وكأن الشعائر التى تبعث الشعور وتحرك ساكن الوجدان امر طبيعي فى الامم ولذلك لم يلبث المسلمون بعد ضعف شعائرهم أن استبدلوا بها شعائر أخرى سرت اليهم من الأمم المخالطة ولكنهم صبغوها بصبغة دينهم ولوّنوها بلون شرائعهم وهي الاعياد والمواسم التى يحتفلون بها عند قبور الصالحين وفى بعض الايام الفاضلة فلهذه المواسم تأثير كبير فى نفوس العامة وهو شعور ديني لاينكر ولكنه غير اسلامي وابعدها من الاسلام أشدها تأثيراً وهو ما يسمونه الموالد (راجع باب البدع)

اتبع المسلمون فى هذا سَنن من قبلهم فى الابتداع فان المسيحيين تركوا اعياد اليهودية وهي ديانة المسيح وانتحلوا لانفسهم اعياداً اخذوها عن الوثنيين فان عيد الميلاد المسيحي لم يعرف عندهم الا فى القرن الرابع بعد المسيح . وعيد ميلاد مريم اختلف فيه فقيل ابتُدع فى القرن الخامس وقيل فى السابع وقيل فى التاسع وقيل فى الحادى عشر . وعيد الشهداء لم يعرف الا فى اواخر القرن الرابع فكانوا يقرأون قصصهم وتؤدى عندهم فرائض العبادة وتذبح الذبائح ويولم الاغنياء الولائم فيأكلون ويشربون ويلهون ويلعبون . وأما عيد الرسل فلا ندري متى ابتدع ولكن له

ذكراً فى حوادث القرن الرابع وكانوا يحتفلون به فى رومية عند قبري بطرس وبولس

قلنا ان النصارى اخذوا اعيادهم هذه عن الوثنيين ولوّنوها بلون دينهم وهذا القول قد صرح منهم به كثيرون من رجال التاريخ ورجال الدين وصرحوا بأنهم كانوا يعبدون الشهدآء والرسل وان ذلك سرى فيهم بالتدريج كما قال بيوسوبر فى تاريخ المانيكيين . وجاء فى قصة حياة غريغوريوس توماتورغوس : ان غريغوريوس لما رأى الجماهير الجهلاء البسطاء متمسكين بأصنامهم لما فيها من اللذات الحسية أذن لهم فى اعياد الشهدآء القديسين أن يتلذذوا ويتنعموا رجاء ان ينتقلوا بعد ذلك باختيارهم الى حياة حسنى وطريقة مثلى . وفى (ريحانة النفوس فى الاعتقادات والطقوس) : « ان الذين انحازوا من عبادة الاوثان الى الديانة المسيحية إذ وجدوا بعض أمور فى اعياد الشهداء تشبه ما كانوا معتادين عليه فى اديانهم الأولى فقد نقلوا اليهم ذلك الاكرام الذي كانوا يقدمونه لآلهتهم »

لو لم يوجد فى النصارى من يأوّل لهم عبادة الشهداء ونحوهم لما انتشرت فيهم وعمت بلادهم . واننا نذكر عبارة من تلك التأويلات لاجل تطبيق الحديث الشريف . قال اغوستينوس : اننا نتعلم ان نكرم الشهداء لا أن نعبدهم بل انما نعبد الله وحده الذي تعبده الشهداء لانه لا يجب ان نكون مثل الوثنيين الذين نحزن عليهم لانهم يعبدون الموتى من الناس . ثم اوضح هذا بقوله : اننا لا نتخذهم آلهة ولا نعبدهم كآلهة فاننا لا نعطيهم هياكل ولا مذابح ولا ذبائح ولا يقدم لهم الكهنة القرابين حاش لله فان هذه الامور إنما تعمل لله فقط اه . اقول لكنهم باسم التعظيم

والتكريم الذى اذن فيه وجوزه قد قدموا لهم الذبائح وعبدوهم عبادة حقيقية وان لم يسمها بعضهم عبادة . وهذا هو السبب فى تشديد النبي صلى الله عليه وسلم النكير على تعظيم القبور واتخاذها اعياداً . ولكن هي سنة الكون تنتقل العادات والتقاليد من بعض الملل الى بعض كما فى الحديث الصحيح « لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع . قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال فمن »؟ ؟

تقلد الامم بعضها بعضاً فى الشعائر الدنيوية أيضاً فان اهل الغرب اتخذوا لملوكهم اعياداً لاحياء الشعور الوطني الذي يمثله رئيس الدولة فى الملكية . وللدول الجمهورية منهم اعياد باسم الحكومة التي يعتزون بها ويعززونها . وقد قلدهم الشرقيون فى الاحتفال بأعياد ملوكهم وأمرائهم لارضائهم اذ كانوا لا وطن لهم ولا وطنية ، ولا دول عزيزة بملوكها قوية ، ولا شك ان هذه الاعياد شعائر تبعث الشعور بحب السلطان او الامير فى نفوس الذين يعتقدون فيه النفع للدولة والامة فينتفع بهذا المستبدون ، ويغتر به المغترون ، حتى يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون

يبلغ الشعور فى افراد الامم العزيزة الحرة مبلغاً يعد من الخوارق فى نظر الامم المريضة المستعبدة فقد كثر فى هاتين السنتين عدد المجانين فى انكلترا وقال نطس الاطباء ان سبب ذلك الانفعال الشديد لخذلان الدولة فى حرب الترانسفال . وما دفع البوير الى الاستبسال فى ساحات الوغى الا الشعور القويّ بألم الاستعباد المتوقع الذى استوى فيه النساء مع الرجال ، فكنّ عوناً لهم فى ميادين القتال ، فليعتبر قومنا إن كانوا يشعرون ، او ليموتوا ليحيى الامراء والحاكمون ، نعم قد دب فيهم شيء من الشعور نفرد له مقالة فى جزء آخر

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

ملخص مما املاه في الازهر مولانا الاستاذ الاكبر صاحب الفضيلة
الشيخ محمد عبده مفتي افندي الديار المصرية

وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

قلنا ان الكلام من اول السورة فى القرآن وتفصيل احوال الناس فى الايمان به وعدمه وهذه الآية دليل على عدم الخروج عن هذا الموضوع فى كل ما تقدم وان الآيات متصل بعضها ببعض كحبات من الجوهر نظمت في سلك واحد فانه بعد ما ذكر المتقين الذين يهتدون بالقرآن وعلاماتهم ، وبيَّنَ خصائصهم وصفاتهم ، وذكر الجاحدين المعاندين ، وما هم عليه من العمى عن جلية الحق المبين ، وما رزؤا به من الصم المعنوي حتى لا يسمعون الحجج والبراهين ، وما أصيبوا به من البكم بالنسبة لقول الحق او سؤال المرشدين ، ثم ذكر المذبذبين بين ذلك ، فلا الى هؤلاء ولا الى اولئك ، وذكر فرقهم واصنافهم ، وبين خلائقهم واوصافهم ، وضرب لهم الامثال ، ونضلهم فى ميدان الجدال ، بسهام الحجج النافذة ، وسيوف البراهين القاطعة ، — بعد هذا كله تحداهم بالكتاب الذي يدعو اليه ويناضل عنه ويكافح دونه فقال « وان كنتم في ريب » الخ

اي يا ايها الناس عليكم بعد ان تنسلُّوا من مضيق الوساوس ، وتتسللُّوا من مأزق الهواجس ، وتنزعوا ما طوقكم التقليد من القلائد ، وتكسروا مقاطر ما ورثتم من العوائد ، أن تهرعوا الى الحق فتطلبوه ببرهانه ، وان تبادروا الى ما دعيتم اليه فتأخذوه بر بّانه ، فان

خفي عليكم الحق بذاته ، فهذه آية من آياته ، وهي عجزكم عن الاتيان بسورة مثل سور القرآن من رجل أميّ مثل الذى جاءكم به . وان عجزتم عن الاتيان بسورة من مثله تساوي سوره فى هدايتها ، وتضارعها فى فصاحتها وبلاغتها ، وانتم فرسان البلاغة ، وعصركم أرقى عصور الفصاحة ، وقد اشتهر كثيرون منكم بالسبق فى هذا الميدان ، ولم يكن محمد (صلى الله عليه وسلم) ممن يسابقكم من قبل فى هذا الرهان ، فاعلموا أن ما جاء به بعد اربعين سنة فأعجزكم بعد سبقكم لم يكن الا بوحي الهي ، وإمداد سماوي ،

وعبر عن كون الريب بإنْ للإيذان بانّ من شأن هذا التنزيل أن لا يرتاب فيه لان الحق فيه ظاهر بذاته ، يتلألأ نوره فى كل آية من آياته ، ولكن :

اذا لم تكن للمرء عين صحيحة ... فلا غروان يرتاب والصبح مسفر

والتنزيل من مادة الانزال وتقدم تفسيره الا ان صيغة « نزّلَ » تفيد ان القرآن نزل نجوماً متفرقة وهو الواقع وصيغةُ « أنزل » لا تنافيه

وقوله تعالى « من مثله » فى ضمير مثله وجهان احدهما انه للقرآن المعبر عنه بقوله « مما نزلنا » والثانى انه راجع لعبدنا وهو ارجح بدليل « من » الداخلة على « مثله » الدالة على النشوء . أيْ فان كان احد ممن يماثل الرسول بالأُمية يقدر على الاتيان بسورة فليفعل . قال تعالى : «وادعوا شهداءكم » الذين يشهدون لكم انكم اتيتم بسورة من مثله وهؤلاء الشهداء هم من دون الله تعالى بالضرورة اي ادعوا كل من تعتمدون عليه ليشهد لكم « من دون الله » او ادعوا كل أحد غير الله تعالى ليؤيد دعواكم كما أيد الله تعالى دعوة عبده محمد صلى الله عليه وسلم وانظروا هل يغنيكم

دعاؤكم شيئاً « ان كنتم صادقين » فى دعواكم

أي اذا تجردت نفوسكم وخلصت عقولكم مما انتم عليه من التقاليد والاهواء ونظرتم فى القرآن نظر إنصاف فلايمكن أن يحوّم الريب حولكم ولا أن يدنو الشك فيه منكم ولو فرضنا ان طائفاً منه مسّ قلوبكم فإن امام اعينكم ما يدفعه وهو اعجاز القرآن . وتقدم تقرير هذا ودلالة إن عليه

ثم قال تعالى : « فانْ لمْ تَفعلوا ولن تفْعلوا فاتقوا النار التى وَقُودُها الناسُ والحجارةُ أعدّت للكافرين »

أي فان لم تأتوا بسورة من مثله ، وتجثوا دليله من اصله ، وما أنتم بفاعلين ، لان هذا ليس فى طاقة المخلوقين ، فاتقوا النار التي أُعدت لامثالكم من الكافرين ، الذين يجحدون الحق بعد البرهان المبين ، وقوله تعالى « ولن تفعلوا » جملة معترضة بين الشرط وجوابه وهي مقصودة هنا فى ذاتها لما فيها من تقوية الدليل ، وتقرير عجزهم مع النفي والتسجيل ، ولا يمكن ان يصدر مثل هذا النفي الاستقبالى المؤكد او المؤبّد من عاقل كالنبي عليه الصلاة والسلام فى امر ممكن عقلاً لولا ان انطقه الله الذى خصه بالوحي وهو الذى يعلم غيب السموات والارض ومنه عجزهم عن معارضته

وعبر عن نفي فعلهم بإن وهي التي يعبر بها عما يشك فى شرطه كما قالوا ومقتضى قواعدهم ان يكون الشرط هنا باذا لان المحقق انهم لن يفعلوا كما صرحت به الآية مع القطع بأن الله تعالى منزّهٌ عن الشك . ولكن الآية الكريمة تدلنا على ان القواعد التى تذكر فى علم البلاغة قد ينظر فيها الى حال المخاطب لاحال المتكلم وان المعول عليه هو مايقصد المتكلم ان يبلُغَه من نفس المخاطب ويودعه فى ذهنه . فههنا يخاطب الله المرتابين

والذين هم فى جحودهم وعنادهم كأنهم واثقون خطاباً يؤذن اوله بان عدم الاتيان بما تُحُدُّوا به مشكوك فيه ولازمه ان المعارضة جائزة منهم وداخلة فى حدود إمكانهم . خاطبهم بهذا مراعاة لظاهر حالهم التى تومئ الى القدرة على المعارضة وتشير الى امكان الاتيان بالسورة . ثم كرّ على هذا الايذان بل الايهام بالنقض بلا تلبُّث ولا تريُّث وأبطل مراعاة الظاهر بل حوّلها الى تهكم وتقريع ، وتوبيخ وتشنيع ، بالنفي الذي ذهب بذلك الذماء ، واستبدل اليأس بالرجاء ، كأنه يقول ان اعراضكم عن الايمان ، بعد سماع هذا القرآن ، الذي أفاض العلوم على أميٍّ لم يترب فى معاهد العلم ، واظهر معجزات البلاغة على من لم تكن تعرف منه البلاغة فى نثر ولا نظم ، يدل على انكم تدعون استطاعة الاتيان بسورة من مثله وما انتم بمستطيعين ، ولو استعنتم عليه بجميع العالمين ، « قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »

كان تحداهم بمثل هذه الآيات الصادعة التي تثير النخوة وتهيج الغيرة مع علوّ كعبهم فى البلاغة ورسوخ عرقهم فى اساليبها وفنونها فى عصر ارتقت فيه دولة الكلام ، ارتقاء لم تعرف مثله الايام ، حتى كانوا يتبارون فيه ويتنافسون ، ويباهون ويفاخرون ، ويعتمدون لذلك المجامع ويقيمون الاسواق ، ثم يطيرون بأخبارها فى الافاق ، ومع هذا لم يتصدّ أحد منهم الى المعارضة ، ولم ينهض بليغ من مصاقعهم الى المناهضة ، فلا شك ان الله تعالى قد رفع هذا الكلام الى درجة لا يرتقى البشر اليها وهو تعالى جدّه العالم بمبلغ استطاعتهم ، والمالك لأعنة قدرتهم ،

قال المتكلمون فى بلاغة القرآن اننا نجده لم يلتزم شيئاً مما كانوا

يلتزمون بسجعهم وإرسالهم ، ورجزهم واشعارهم ، بل جآء على النمط الفطري ، والاسلوب العادي ، الذي يتسنى لكل انسان ان يحذو مثاله ولكنهم عجزوا فلم يأتوا ولن يأتى غيرهم بسورة من مثله . ثم نلاحظ أيضاً ان القرآن بهذا الاسلوب قد تحُدِّيَ به كل من بلغه من العرب على تفرق ديارهم ، وتنائى اقطارهم ، وارسل الرسول الى الاطراف يدعو الناس الى الايمان به فعمت الدعوة وبلغت مبلغها ولم يَنبرِ أحد للمعارضة كما قلنا . ألا يدل هذا على نهاية العجز وعمومه واحساس كل بليغ بالضعف فى نفسه عن الانبرآء لمباراته ، والتسامي لمحاكاته ، وعلى ان الله تعالى جعله فوق القُدَرْ ، خارقاً لما يعتاد من كسب البشر ، ؟؟ بلى وان لهذا الاعجاز وجهين احدهما كونه معجزاً بذاته لانه فى مرتبة لا يمكن لبشر ان يرتقي اليها وثانيهما انه جآء على لسان أميٍّ لبث اربعين سنة لم يوصف بالبلاغة ولم يؤثر عنه شيءٌ من العلم . وقد ذكروا وجوهاً اخرى للاعجاز ينطوي عليها القرآن منها قوله هنا « ولن تفعلوا » بنآء على ان المخبر هو الله تعالى عالم الغيب وما يكون فى المستقبل . ومن فائدة هذا القول قبل ظهور تأويله بالنسبة الى من لا يؤمن بالغيب التحريض على المعارضة التى يظهر بها العجز ويقوم البرهان بالاعجاز الملزم بالايمان . وأما من يؤمن بالغيب ويعتقد بالخوارق فما عليه الا ان ينتهي الى عجزه ويبادر الى الايمان

ثم قال تعالى مخاطباً للفريقين بعد تسجيل العجز عليهم « فاتقُوا النارَ » وهي موطن عذاب الآخرة وآلة من آلاته نؤمن بها لأنها من عالم الغيب الذي اخبر الله تعالى به ولا نبحث عن حقيقتها ولا نقول انها شبيهة بنار الدنيا ولا انها غير شبيهة بها وانما نثبت لها جميع الاوصاف التى

وصفها الله تعالى بها كقوله « التى وَقودُها الناس والحجارةُ » المراد بالحجارة الاصنام كما فى قوله تعالى « انكم وما تعبدون من دون الله حصَبُ جهنم » ولا يسبقنّ الى الفهم انها لا توجد الا بوجود الناس والحجارة اذ يصح ان يكونوا وقودها بعد وجودها . والوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم مصدر وَقَدَ وسمع المصدر بالفتح أيضاً

وقال بعضهم فى تفسير (وقودها) ان الناس بأعمالهم وعبادة بعضهم بعضاً وانحرافهم عن صراط الحق المستقيم والحجارةَ بعبادة الناس لها سيان فى ايجاد النار واعدادها لهم فبذلك كانوا كالوقود الذى تضرم به النار وفى الكلام تقديم السبب وهو الناس والحجارة على المسبب وهو قوله تعالى « أعدّت للكافرين » وبهذا التفسير يظهر الحصر فى جملة «وقودها الناس والحجارة» فانها اسمية معرّفة الطرفين . وخصّ الحجارة بالذكر لانها اظهر المعبودات عند العرب

والمراد بالكافرين الذين لا يجيبون دعوة الانبياء عليهم السلام والذين ينحرفون عن اصولها بعد الاخذ بها لبدع يبتدعونها وتقاليد يحدثونها وتأويلات يلفقونها . فهؤلاء هم الذين أعدت وهيئت النار لهم لانهم الذين يستحقون الخلود فيها . ومن وردها وروداً وانتهى الى موطن آخر فذلك الموطن هو الذى أعد له وليس بعد الدنيا موطن الا الجنة جعلنا الله من أهلها بالتوفيق للتقوى او النار نعوذ بالله منها ومما يقرب اليها من قول أو عمل

﴿ شبهات المسيحيين وحجج المسلمين ﴾

« النبذة التاسعة فى كتب العهدين »

جعل مؤلف الابحاث الفصل الثانى من البحث الأول فى اثبات صحة التوراة والانجيل عقلياً وتقرير هذا الدليل ان الله قادر حكيم فلا بد أن يضع دستوراً ويكتب شريعة لمخلوقاته العاقلة كي تعلم نسبتها الى خالقها وواجباتها نحوه وواجبات بعضها نحو بعض وتعرف مصير العالمين وقصاص العصاة وثواب الطائعين المؤمنين لئلا يكونوا فوضى لاوازع لهم ولامشترع كالأنعام يدوس بعضهم بعضاً وكالأسماك يأكل صغيرها كبيرها ويفني الناس بعضهم بعضاً وتستوى الفضيلة والرذيلة وهذا مالا يرضى به القادر الحكيم. ثم قال: « فاذا لم يكن ذلك الدستور وتلك الشريعة هما التوراة والانجيل فقل لي بعيشك ما هما. هل يوجد كتاب قديم مقدس يفي بالغرض المقصود كالتوراة والانجيل؟ كلاً لعمرى »

(المنار) اننا لا نؤاخذ المؤلف على تقصيره فى تقرير وجه الحاجة الى الشريعة اذ يعرف القراء هذا التقصير بمقابلته بما كتبناه وما سنكتبه فى بيان الحاجة الى الوحي من دروس الأمالي الدينية ولكننا نذكره بامور اذا تاملها ظهر له ان حجته داحضة

(١و٢) لماذا ترك الله البشر قبل التوراة أُلوفاً من السنين لانعلم عددها من غير شريعة اذا كان ذلك لايرضيه؟ ولماذا لم تظهر حكمته هذه إلا فى بنى اسرائيل من عهد قريب وكل الناس عبيده والعلة تقتضي العموم؟. هذان السؤالان يردان عليه وعلى جميع اليهود والنصارى القائلين بقوله ولا يردان

على المسلمين لان القرآن حل هذا الاشكال بقوله تعالى فى الرسل «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» فنحن نعتقد ان الله ارسل رُسلاً فى جميع الامم التى استعدت بترقيها الى فهم توحيده لا يعلم عددهم غيره تعالى

(٣) هل كان أهل الصين كالأنعام يدوس بعضهم بعضاً أو كالسمك يأكل كبيرهم صغيرهم بلا وازع ولا رادع أم كانوا اولى مدنية وفضائل قبل وجود بنى اسرائيل وبعدهم ؟ التاريخ يدلنا على انهم كانوا أرقى من بني اسرائيل فى العلوم والمعارف والمدنية والنظام الذى تحتاج الشريعة لاجلها . وكانوا ارقى من النصارى أيام لم يكن عند هؤلاء الا الديانة التى بثها فيهم مقدسهم بولس فما زادتهم الا عداوة وبغضاً واختلافاً وتنازعاً وحرباً واغتيالاً فى تلك العصور التى يسمونها المظلمة . وكان الصينيون فى هدون وسلام، ووفاق ووئام، وما قيل فى الصينيين يقال نحوه فى الهنود . ولا يرد مثل هذا الاشكال على المسلمين لانهم بمقتضى هدى القرآن يجوزون ان يكون الله تعالى بعث فى الصين والهند انبياء ارشدوهم الى ما كانوا فيه من السعادة ثم طال عليهم الامد فمزجوا دياناتهم بالنزغات الوثنية الموروثة حتى حوّلوها عن وجهها تحويلا كما نعتقد مثل ذلك فى النصارى اذ لا شك ان ديانتهم فى الاصل سماوية توحيدية ثم حولوها الى عبادة البشر من المسيح وامه وغيرهما

(٤) ان الاوروبيين قد استغنوا بالقوانين الوضعية عن شريعة التوراة وبالاداب الفلسفية عن آدابها وآداب الانجيل فطرحوا الزهادة ونفضوا عن رؤوسهم غبار الذل . وقد نجحوا بهذا وارتقوا عما كانوا عليه ايام كانوا متمسكين بهذا الكتاب الذى يسمى (المقدس) فكيف تقول انه لا يوجد غيره لهداية البشر وتهذيب اخلاقهم وهذا الواقع يدل على خلافه . وهذا

الاشكال لا يرد أيضاً على المسلمين لانهم يعتقدون ان اليهود والنصارى نسوا حظًّا مما ذكروا به فى الوحي وطرأ على الباقى التحريف والنسخ فلم يعد صالحاً لهداية البشر . ويعتقدون أن الاوربيين اقرب الناس الى دين الاسلام فى اخلاقهم الحسنة كعزة النفس وعلو الهمة والجد فى العمل والصدق والامانة والاهتداء بسنن الكون والاسترشاد بنواميس الفطرة والاخذ بالدليل وغير ذلك وانهم كما اهتدوا الى هذا بالبحث والتوسع فى العلم سيهتدون كذلك الى سائر ما جاء به الاسلام من العقائد والاخلاق والفضائل والاعمال

(٥) ان المسلمين قد ظهر فيهم كل ما ذكره فى وجه الحاجة الى الشريعة على اكمل وجه لم يعرف مثله فى الكمال عند اليهود والنصارى فعرفوا ما يجب لله تعالى وما يجب من حقوق العباد وصلح بالدين حالهم واجتمعت كلمتهم وتهذبت اخلاقهم وسمت مدنيتهم فى كل عصر بقدر تمسكهم به والتاريخ شاهد عدل

(٦) اذا كانت التوراة قد بينت كل ما ذكره من حاجة البشر الى الشريعة فلماذا وجد الانجيل ؟ . واذا كانت ناقصة فلماذا جعلها الله ناقصة لا تفي بالحاجة وكيف يتم له الدليل بناء على هذا القول على اثبات التوراة والانجيل بالعقل ؟ وهذا الاشكال لا يرد على المسلمين المعتقدين بصحة اصل التوراة والانجيل لانهم يقولون ان كلا منهما كان نافعاً فى وقته ثم عدت عواد اجتماعية ذهبت بالنفع والفائدة فساءت حال القوم المنتمين الى الكتابين فجدَّد الله الشريعة بالاسلام ، على وجه فيه الاصلاح العام ، فانقشع بنوره كل ظلام ، وحفظ الله كتابه من التحريف والتبديل ليرجع

اليه الذين يضلون السبيل ،

(٧) اذا كانت التوراة مشتملة على ما ذكره كما تقدم فلماذا تركها المسيحيون فعطلوا شرائعها وضيَّعوا حدودها كما بيناه فى بعض نبذ الرد السابقة ،

(٨) اذا كانت كتب العهد العتيق والعهد الجديد الهية حقيقية فلماذا وجد فيها الاختلاف والتناقض والتهاتر ومصادمة العقل الذى لا يفهم الدين ولا يعرف الا به ، وقد تكلمنا على مصادمتها للعقل قليلا فى بعض النبذ الماضية وسنبين بعد كل ما ادعيناه هنا تبييناً

(٩) اذا كانت هذه الكتب الهية وافية بما ذكره المصنف من حاجة الناس للشرائع فلماذا وجد فيها ما يخل بذلك اصوله وفروعه كتشبيه الله بخلقه ونسبة الفواحش الى الانبياء الذين هم احق الناس واولاهم بالاهتداء بالدين الذى تلقوه عنه سبحانه وتعالى وغير ذلك مما ينافى الآداب الصحيحة كما ألمعنا من قبل وسنزيد ذلك بياناً ونكتفى الآن باشارات أبيات من لامية الابوصيرى رحمه الله تعالى قال فى شأن العهد العتيق واهله

وكفاهم أن مثَّلوا معبودهم ... سبحانه بعباده تمثيلا
وبأنهم دخلوا له فى قبة ... اذ أزمعوا نحو الشام رحيلا
وبأن اسرائيل صارع ربه ... فرمى به شكراً لاسرائيلا
وبأنهم سمعوا كلام الههم ... وسبيلهم أن يسمعوا منقولا
وبانهم ضربوا ليسمع ربهم ... فى الحرب بوقات لهم وطبولا
وبانه من أجل آدم وابنه ... ضرب اليدين ندامة وذهولا
وبأن رب العالمين بدا له ... فى خلق آدم يا له تجهيلا

وبدا له فى قوم نوح وانثنى — أسِفاً يعضُّ بنانه مذهولا [١]
وبأن ابراهيم حاول اكله — خبزاً ورام لرجله تغسيلا [٢]
وبأن أموال الطوائف حُللت — لهموا رباً وخيانةً وغلولا
وبانهم لم يخرجوا من ارضهم — فكأنما حسبوا الخروج دخولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا — لوط فكيف بقذفهم روبيلا [٣]
وعزوا الى يعقوب من اولاده — ذكراً من الفعل القبيح مهولا
والى المسيح وامه وكفى بها — صدّيقة حلت به وبتولا
وأبيك ما اعطى يهوذاً خاتماً — لزنىً بمحصنة ولا منديلا [٤]
لوّوا بغير الحق ألسنةً بما — قالوه فى ليّاً وفى راحيلا [٥]
ودعوا سليمان النبي بكافر — واستهونوا افكاً عليه مقولا [٦]
وجنوا على هرون بالعجل الذى — نسبوا له تصويره تضليلا [٧]

الى أن قال :

الله اكبر ان دين محمد — وكتابه اقوى واقوم قيلا
طلعت به شمس الهداية للورى — وابى لها وصف الكمال أُفُولا

(١) بدا له فى البيت وماقبله اى ظهر له فيه رأى جديد وفى سفر التكوين (٦ : ٦) ان الرب حزن وتأسف لانه خلق آدم ويلزمه البداء والجهل وكذلك فى نوح وقومه
(٢) راجع (١٨ تك) (٣) يريد رمى داود بالزنا بامرأة اوريا (١١ صموئيل ٢) ولوط ببناته راجع (١٩ تك) واما روبيل فيسمونه رؤبين راجع قصة قذفه فى (٣٥ تك)
(٤) فى (٣٨ تك) ان يهوذا زنى بكنته ظناً انها بغي ووعدها بجدي وأعطاها خاتمه وعصابته وعصاه رهناً على ذلك وجاءت منه بتوأم (٥) القصة في (٢٩و٣٠ تك)
(٦) فى (١١ الملوك الاول) ان النساء املن سليمان لعبادة الاوثان (برأه الله)
(٧) راجع (٣٢ خروج)

والحق أبلج فى شريعته التى جمعت فروعاً للهدى وأصولا
لاتذكروا الكتب السوالف عنده طلع الصباح فأطفأ القنديلا
درست معالمها ألا فاستخبروا عنها رسوماً قد عفت وطلولا

ولا يخفى ان هذه المطاعن التى تنافي ماذكره المصنف وغيره من الدليل على حاجة البشر الى الشريعة ولا تليق بالوحي السماوى لا ترد على المسلمين الذين يقولون بحقية التوراة والانجيل لما بيناه فى الجزء الخامس فراجعه

باب التربية والتعليم

﴿ التدريج الفطري فى تعليم الرسم والخط والقرآءة(١) ﴾

(٣٢) من الدكتور اراسم الى زوجته فى ١٨ ابريل سنة — ١٨٥

تلقيت رسم « اميل » فاغتبطت به ولله ما تفضلتِ باضافته اليه من الشرح الذي كان كالمفتاح لمغلقه فلولاه لما نفذ ذهني فى سرّ خطه البربانى . لا شك ان هذه البقعة الكبيرة السوداء تمثّل العاصفة والبحر المضطرب والسماء المظلمة بالسحب وهذه يدي رهن لمن شاء على أنى ارى فيه السفينة الغريقة وان كانت قوانين علم المرئيات لم تراع فى الرسم بالتدقيق . وذلك الشىء الطافي على وجه الماء لا بد ان يكون زورق النجاة . واما هذا الوجه المصبوغ بالمداد فلا وجه للخطأ فى معرفته فهو وجه قوبيدون وكأنى ارى بعين الارتياح فى الصورة الصغيرة الملقاة على الارض تلك الفتاة المغمى

(١) معرب كتاب اميل القرن التاسع عشر فى التربية والتعليم

عليها التي نجت من الغرق . أراك تجدينني قد فهمت ذلك الرسم الذى لا اعرف من آثار ولدي سواه وقد علقته هو وصورته على جدار حجرتي

ان صناعة الاطفال تذكرنا دائماً بطفولية الصناعة وان تصوير بعض اشكال هذا العالم الخارجي هو ملكةٌ غريزية فى نوعنا وربما كانت هي التى تميزنا عن غيرنا من سائر الحيوانات اجلى تمييز فان انسان (الغاب) الوحشيّ الذى لا تعرف لغته ولا تاريخه قد عُلِمَ عنه اليوم انه كان فى زمن ما ينقش بالظِّران (الحجارة المحدَّدة) على الحجر او على قرن الايّل القطبي صوراً سمجة لا اثر للاتقان فيها كصورة الفيل القديم ذي الفروة المسمى بالمَمُّوث كما رسم بعض الحيوانات الأوابد الغريبة التى كان يغالبها فى التسلط على الآجام والغاب

لدينا كذلك برهان على ان مجتمعات الانسان الاولى مارست فنون التقليد من قبل ان تضع لنفسها قوانين ثابتة تكفل لها حاجيات معيشتها

استنتج مما قدمته ان تعليم الاطفال ينبغي ان يبدأ فيه بالرسم وهذه هي الطريقة التى تتلمسينها لنقل الطفل من التصوير الى الكتابة

لقد أحسنت النظر اذ انتبهت الى ان حروف كتابتنا لا صلة بينها وبين ما وضعت للدلالة عليه بشكلها وأنه ما ثمَّ الا المواضعة والاصطلاح فان الطفل ما رأى فى الكون شيئاً هو (ا) او (ب) . ولكن اختراع هذه الحروف هو من اعظم الآثار وضروب فوز العقل الانساني المخلدة فى صفحات تاريخه . واذكري ان الامم القديمة كانت قد استعدت من زمن طويل للحروف الهجائية بممارسة الرسم ثم انتقلت منه اليه فقد استمد الفينيقيون حروفهم من الخط الكهنوتي القديم . واما أبناء هذا العهد فان

هذا الاتصال بين الرسم والخط مقطوع فى نظر الطفل الذي يتعلم القراءة والكتابة بخطهم فانه ينتقل فجأة الى عالم معنويّ لا يجد فيه شيئاً يسترشد به ولا رابطة القياس والمماثلة . وبعد هذا يندهش معلمه من استثقاله ما يراه امامه من العقبات . ليس هو الذى يحق له المعارضة فى مثل هذه الطريقة المضادة للعقل بل ان كل ذى ذوق سليم وحكم صحيح يحق له ذلك

كل ما يتعلق بالخط يحملنا على اعتقاد ان الحروف الهجائية التى اخترعت اولاً قلما كانت الا صوراً لبعض اشياء كانت تنسب اليها اكثر من غيرها والخط ابتدئ باختصار فى الرسم وليت شعري هل محيت تلك الآثار البربائية بتمامها من الحروف الهجائية للغات الحديثة ؟ اقول ان هذا الامر محل للشك وانى اعرف رجلا كيّساً كان يرجع اشكال حروف لغتنا المطبوعة الى بعض الصور الخلقية نعم ان مضاهاته كانت احياناً تشف عن بعض التكلف ولكني أود عن طيب نفس اتباع طريقته للتوفيق فى ذهن اميل بين طائفتين من الاشكال تظهران لأول نظرة متباعدتين كأن بينهما بحراً رهواً . فاذا رسم مثلا سطحاً مستديراً يمثل به الشمس أكتب فى اسفل هذا الرسم اسم هذا الكوكب بالفرنساوية (Soleil) معتنياً باظهار حرف O مكبراً . فاذا كان الرسم « منزلاً » maison او « ثعباناً » serpent او « طريقاً متعرجاً » zigzag او « عيناً باصرة » œil بذلت جهدى فى بيان وجوه الشبه التى عساها توجد بين الحرف الاول من هذه الكلمات والاشياء التى تمثلها فى الذهن فان « اميل » يفهم بهذه الطريقة ان الخط هو كيفية أخرى للرسم بها يبين الانسان مراده باوضح مما يحاوله بالرسم وفى زمن اقل

ان الذي يحير الطفل ويضله هو إلزامه باتباع طريقتنا فى النظر بدل أن نستدرجه من المعلوم الى المجهول استدراجاً سهلا فترينا نبادر الى صب المعاني العقلية فى ذهنه صباً على حين انه لم يكتسب بعدُ ملكة تميز هيآت الاشياء المادية . نضطره الى ذلك بفضل ما لنا عليه من الولاية المعنوية على اختلاف درجاتها فينا ولكني أري اننا بهذه الطريقة نجني على ذهنه جناية تقضي بالاسف فان إلزامه بالتعلم وقهره عليه يسلبان معظم ميله الى الملاحظة والتعلم بنفسه . ان ضرر الاستبداد فى البيوت لم يكن اقل من ضرر استبداد الحكومة

أرى ان الرسم والكتابة والقراءة هي ثلاثة ضروب من التمرين مرتبط بعضها ببعض بحيث لا ينبغي التفريق بينها فى التربية الاولى على ان الرسم هو الذي تجب البداءة به فان فى ذلك مزايا كثيرة أولها كفاية الطفل مؤنة ما للدرس من السآمة والملل فى أول امره فان معظم الاطفال يكرهون الكتب ومن منهم لايميل الى الصور ؟ كلا ان فيهم دافعاً طبيعياً يحملهم فى الغالب على ان يرسموا بأيديهم ما يقع تحت ابصارهم فالرسم عندهم ضرب من اللعب خصوصاً اذا مارسوه بدعوة الغريزة واجتهدوا من انفسهم فى أن يمثلوا أشد الاشياء استمالة لهم . ولا انكر ان ملكة التمثيل والمحاكاة لا يستوي فيها جميع الاطفال ولكن التأسي كافٍ فى تنبيهها غالباً

ليت شعري هل وُلد الانسان رساماً ؟ هذا ما لا اعلمه وانما الذي يثبته لنا التاريخ ان فنون الرسم تقدمت فى جميع الأمم تقدم الكتابة والعلوم واذا كان الامر كذلك فالتاريخ يعيد نفسه فى الاطفال كل يوم بأعيننا . ومن مزايا الرسم ايضاً انه يربى القوة الحاكمة فى نفس الطفل فان فى فتح ابواب

الكون له قبل فتح الكتب أمامه مبادرة لارشاده له الى ينبوع العلم ، فمحاكاة الجماد او الحيوان او النبات توجه نظره دائماً الى الصفات المقومة لماهية ما يحاكيه وان جاء الرسم ناقصاً . الرسم هو تمثيل اشكال الاشياء وحدودها بخطوط فيجب أن يكون الراسم قد رآها وقام فى نفسه معنى ما يميزها عن غيرها من العلامات والصفات الأصلية . وأما الكلمات المكتوبة فانها لا تقتضي هذا العمل فى الملاحظة فانه متى عرف الطفل الهجية وتركيب الحروف يمكنه ان يسمى عدداً لا نهاية له من الكائنات الحية والجمادات التى ليس له بها ادنى معرفة وتوجد له بذلك ملكة غاشة متى قويت وثبتت بالعادة أضلت معظم العقول البسيطة التى لا همّ لها الا القشور

لا يوجد الاستقصاء والتعمق فى معرفة الاشياء الا حيث يوجد القياس والمضاهاة فاذا لم يعتد الطفل التفكر فيما يرى وملاحظته يكون قليل الاهتمام جداً بتفهم ما يقرأه

آخر ما اذكره من مزايا الرسم انه إعداد أوليّ كبير النفع فى تعلم الخط فان اميل بتخطيط صور الاشياء التى يستملحها تخطيطاً حسناً او رديئاً يمرن اصابعه على الحركة ويكتسب نوعاً من الخفة والدقة لتكوين الخطوط التى منها تتألف حروفنا الهجائية . ولكن الغرض انما هو إعداد الذهن للانتقال من الرسم الذي هو كتابة الصور الى الخط الذي هو رسم المعانى فلو أننا تيسر لنا ان نربط فى حكم « اميل » التمثيل الخطي للاشياء المشهورة بالعلامات المعنوية التى تقوم مقامها نكون كأننا وضعنا على البحر الفاصل بينهما جسراً . على انه لا شيء ايسر من تصغير الرسم فى العمل فان « اميل » كلما رسم شجرة او ثمرة او حيواناً اقول له انك قد رسمت حروفاً من

حيث لا تدري غير انه توجد حروف اخرى اصعب من هـذه رسماً وقراءة يكتبها المتعلمون فاذا هجت فيه بهذا القول داعية الشوق وحب الاعجاب هيجاً شـديداً اكتب له الكلمة الموضوعة للشيء الذي رسمه وأحرضه على محاكاتها — أفعل ذلك كله وأنا اضحك

سواء عندي نجح فى ذلك ام لم ينجح مادام يجتهد فى كتابة تلك الكلمة ولا شك انه يجتهد فى ذلك اذا حمُلَ عليه بالحذق والمهارة ولا بد من اعادة الكتابة عدة مرات قبل ان يكتسب شيئاً من ممارستها ولكن الاصل باق على كل حال . وبهذه الطريقة يعرف « اميل » من هذا الحين السبب فى الكتابة وكيف ان الناس قد استبدلوا برسم الاشـياء حروفاً اصطلاحية تدل على ما يدل عليه الرسم وبفضله تكون مساحتها اصغر ووقت وضعها اقصر . هاتان هما مزيتا الخط على الرسم فقط وهما اللتان أطيل له الشرح فيهما لانهما اقرب الى فهمه ، وأدنى من علمه

ان الطفل يجري فى تعلمه تكوين الحروف عادة كما يجري الدولاب فما احسنها طريقة للدخول فى عالم المعقول

نعم انى عرفت بعضاً من المصورين كانوا لا يستصوبون مطلقاً ترك ملكة المحاكاة والتقليد مطلقة بلا قيد فى الطور الاول من الحياة ويرون ان الطفل انما يرسم فى الغالب بالهوى لا بمقتضى الفطرة كما يعتقد وهذا الاطلاق يفسد عليه عمل يده بما تعتاد من عدم النظام . واذا صدقناهم يجب فى تعليم الفنون الجميلة الولاية والتأديب . هذه مسألة يمكن اختلاف آراء الناس فيها كغيرها من المسائل ولكنها على كل حال ليست محلّ نظري فانى أراهن بالف بإزاء واحد . على ان « اميل » لن يدعي استحقاق جائزة رومة على

الرسم فأيُّ وجه لى فى الخوف او الرجاء فى أن يصير بعدُ مصوّراً . ان جل ما ارغبه ان يكون رجلاً ولاشك فى ان الشعور بما يوجد فى الكون يعين على إنماء العقل والطبع . ومهما كانت رداءة رسومه فان اقل ما فيها انها تشهد له ببعض التفاتٍ توجّهَ الى ما يحيط به من الاشكال وهذا يكفيني منه الآن . فاذا كان ممن لهم ملكة حقيقية فى الفنون فلا بد ان تظهر هذه الملكة فيه يوماً مّا . أليس من الشواهد التى تذكر فى هذا المقام ذلك الراعي الصغير الذى كان تعلم الرسم بنفسه اثناء رعي نعاجه ولما تكمّلَ فيه بعدُ بواسطة التعلم فى المدرسة صار (الاستاذ رفاييل)

اني ارى ايضاً ان تعليم الكتابة كان يجب ان يسبق القراءة او ان هذين التمرينين يجب ان يتصل احدهما بالآخر . ان اندروبل ذلك الرجل المستنير الفكر جداً الذى لابد ان تكوني سمعت شيئاً من سيرته فى انكلترا كان يبحث من سنين عديدة عن طريقة معقولة لتعليم القراءة والكتابة . ولما كان فى الهند اتفق انه رأى يوماً من الايام أمام مدرسة فى ضواحي مدراس ثلةً من احداث الهنود يرسمون بأصابعهم حروفاً على الرمل فوقف يلاحظهم ملاحظة المتأمل وبعد ان عرف طريقتهم ضرب بيده على جبهته قائلاً : قد وجدت مطلوبى . ليت شعري كيف كانت هذه الطريقة ؟ هى ولا شك طريقة بسيطة جداً ذلك ان أطفال الهنود لما كانوا اقرب منا الى الفطرة وكانوا لذلك أعمل بمقتضيات العقل كانوا يبتدئون برسم الكلمة التى يرونها مكتوبة ثم يبحثون عن اسماء حروفها ويتهجون مقاطعها ثم ينتهون بقراءتها

أخصّ فائدة اراها فى هذه الطريقة انها تشغل اليد والفكر فان الذى

يتعب الطفل ويسئمه عند ما يقف أمام كتاب انما هو التفاته الذى يطلب منه بلا بصيرة فانَّ عمل الانسان بنفسه وبحثه وتخمينه وسيره من المعلوم الى المجهول طريقة فُضلى فى مخاتلة الضمير وخداعه

لست والحق اقول معجباً كثيراً بطرق التعليم المخترعة فانها تفوق الحصر ومعظمها خيالية لا تنطبق على ما فى العالم الخارجي مطلقاً. يحضرني ان هولانديًّا اعرفه خطر بفكره ان يجمع مجموعة من النعال وأراك تقولين ضاحكة: هذا خاطر غريب. نعم انه غريب ولكنه وقع فان الانسان لا يكون هولانديًّا بلا شيء وقد وجدتُ فى خزائنه المقفلة بالزجاج كثيراً من الانموذجات المفيدة فقيها من جميع الانواع ومن جميع البلدان والاعصر من البابوج ونعل المشخصين الى جرموق الصينيين ومن نعل متوحشي امريكا الشمالية الى بابوج كبراء الترك ففي هذه المجموعة من النموذجات المتعلقة بطبقات التاريخ المختلفة قد نسيَ صنَّاع النعال شيئاً واحداً ألا وهو شكل قدم الانسان. اذا صح ما اقول فربما دعاني الى توجيه مثل هذا اللوم الى واضعي طرق التعليم. ذلك انهم يتعقلون كما ينبغي وبعضهم ليس مجرداً من ملكة الاختراع ولكن ينقصهم شيء من التفصيل وهو فى الحقيقة هين ألا وهو شكل عقل الانسان فى اطوار حياته المختلفة

الطريقة الفذة التى أراها تلائم حالة التلميذ انما هى سلامة ذوق معلمه ولا اقصد بذلك انه لاموصل غيرها يمكننا ان نسترشد به فى التربية بل انى اعتقد ان كثيراً من الطرق العلمية التي استعملتها الاجيال الفطرية ولا يزالون يستعملونها ربما استعملت استعمالاً مفسداً فى تعليم الاطفال فلا شك انك سمعت الحديث عن آلة (الحاسب الصناعى) وانني لم اقف

تمام الوقوف على مزيّة هذه الآلة التي ادخلت فى بعض المدارس لتسهيل بعض عمليات الحساب على التلامذة بواسطة استعمال كرات من العاج ولكني على يقين من اننا أخذناها عن الصينيين وهى الحاسب الكرويّ المسمى فى مملكة السماء (سوان بان)

وعلى كل حال اعوذ بالله ان انتقد مثل هذا الاخذ بل اني آسف من عدم رجوعنا كثيراً الى الطرق الصناعية والممارسات العملية للامم المتأخرة لتسهيل الوصول الى بعض العلوم الاولية على المبتدئين

هؤلاء الاقوام المتأخرون هم اطفال التاريخ . قد عرفت الآن بعض القوانين التى جرى عليها فى جميع جهات الارض تكوُّن اللغات والكتابة والفنون والديانات والصناعة واننا لم نقف عند حد معرفة مناشىء العلوم فقط بل ان البحث فى العلامات التي تظهر فيها المعاني فى اثناء الاطوار الاولى للحضارة قد أدى بنا الى معرفة استعداد العقل البشري وطرق الكتاب فى الوصول الى العلوم فإما ان اكون مخطأ خطا فاحشاً واما ان يكون هذا الترتيب الطبيعي فى التقدم هو الذى ينبغي اتباعه فى تربية الاحداث

ان طرق التعليم عند الامم التى وقفت فيها حركة الترقى والتقدم عبارة عن شؤن دائمة وحالة وجود ومعرفة مستمرة فلا ينبغي أن تكون الا وسيلة وقتية للطفل فانه وان كان فى الاصل جاهلاً مثل هؤلاء الامم لكنه يمتاز كل يوم عن الوحشي والبربري بملكة التحويل التى كأنها مرسومة فى أعضائه فهو يعرج بسرعة على معارج حالت بين الاجيال الدنيئة وبينها عقبات كؤود فلا يقف فى عروجه هذا الا عند الحد الذى تضعه له استعداداته وملكاته الشخصية ونوع القوم الذين يعيشون بينهم وتأثير

الزمن فيه . ان نسبة طرق التعليم الى التربية كنسبة الاوضاع والقوانين الى المجتمع فهى لاتلائم الا حاجة وقتية من حاجات العقل فيجب اعتبارها جميعها وقتية فيكون من الحمق حصر عقل التلميذ فى بعض الاشكال التعليمية كما كان من الجور فى القرن السادس رغبة ابقاء الامم على نظام القرون الوسطى وعقائدها

آثار علمية ادبية

« رثاء الامير عبد الرحمن خان »

كنا نتوقع من شعراء العربية المجيدين فى مصر والشام المباراة فى رثاء فقيد الاسلام واعظم امرائه الذين عزّزه الله بهم فى هذا الزمان الذي خربت فيه الممالك الاسلامية بأيدي امرائها فاذا هم لا يزالون مشغولين بمدح من لا خير فيهم عملاً بقاعدة « احسن الشعر اكذبه » التى هدمها الامام عبد القاهر الجرجانى (راجع المنار ج ٣١ م ٣) فاحتجنا الى الاقتباس من شعراء بلاد الاعاجم فقد قرأنا فى جريدة (أمير الاخبار) الهندية قصيدة لصديقنا العالم الاديب الشيخ احمد جيتيكر يرثى بها الامير عبد الرحمن ضياء الملة والدين رحمه الله تعالى فنشرناها تنويهاً بذلك الفضل العظيم وتنبيهاً لفضلاء الادباء الى قضاء هذا الحق لمستحقه . وهي

يبرق شملة نعيٌ يشمل الجللا[1] فزلزل السهل فى الاقطار والجبلا

(١) لعل (شملة) التى اضاف اليها البرق موضع او جهة من جهات افغانستان مما لا نعرفه والجلل الامر العظيم

أجلُّ اجلُّ ملوك الأرض أروعهم   وأرصف الناس اخلاقاً قضى الأجلا
رزءٌ به انهدَّ للاسلام وأسفى   ركنٌ ركينٌ ونجمٌ للعلا أفلا
يا ويلتاه ضياء الدين عاد عن ال   عيون مستتراً حتى بكت ثكلا
ماذا تقول وانا فى سنين بها   قحط الرجال فقدنا بغتةً رجلا
قرماً هماماً اريباً حازماً ندساً   سميذعاً ليس هيَّاباً ولا وكلا(١)
مهذباً شبَّ فى الاخطاب مقتحماً   مجرَّباً ذلَّل الاخطار مكتهلاً
لله سيف اقام الملك قائمه   فقام هندامه المعوَّج معتدلا
وفارسٌ سبت الاساد هيبته   وأنزل الوعل رُعباً اينما عقلا
بالكافرستان دين الله ضاء به   فراق استانه والكفر عنه جلا(٢)
الالمعيُّ الذي تُضحي لفطنته   ما فى النفوس من الاسرار مبتذلا
من لم يباه بملك قبل حضرته   سرير كابل مسروراً ومتكلا
أتى كغيث بها والأرض مجدبة   حتى اراها خلاها بالثرآء ملا
كلتا يديه من الآيات معجزةٌ   على العجائب كلٌّ منهما اشتملا
ففى يدٍ سحبٌ يحيي الأنام بها   وفى يدٍ شعلٌ يطفي بها شعلا
من لم يزل لترقى القوم مجتهداً   حتى غدوا يتقنون العلم والعملا
اكرم بخيل له - غرٍّ يجرٌّ بها   بحر الحديد يغطي موجه القللا
حامي حمى الهند كلٌّ الهند يشكره   لا ينكر الفضل الا ذو قلىً غفلا

(١) الندس بفتح فضم او كسر الفهم الكيس والسميذع بفتح الذال المعجمة السيد الكريم والشجاع (٢) الاستان بالضم الرستاق . واستانة ناحية بخراسان قال ياقوت أظنها من نواحى بلخ . وبلخ فى حدود الافغان وخراسان من جانب افغانستان الغربي . هذا ما نراه أقرب الى فهم قوله (فراق استانه)

لولا الأمير لامسى الهند مزرعها الا ... مخضلٌ يرعاه خرس الروسيا هملا
اذن اتتها جنود ما لها قبلُ ... وكان خشية بلقيسٍ لها مثلا
عسى الاله يرينا فى خليفته ... اسنى مثال فقيدٍ احسن البدلا
ومن يكن كحبيب الله وارثه ... يرى الممات شباباً رُدَّ مقتبلا
فتىً توارث مجداً عن أبيه وعن ... جدٍّ وكل علاً كالبدر مكتملا
اشبال ليث الشرى ! انا نعيذكم ... بقُلْ وقُلْ ثم قُلْ من عين من فشلا
حتى نراكم كنفس وهي واحدةٌ ... فباتحادكم نستكثر الأملا
ثم لتكن غاية الاصلاح همتكم ... لم يكسب الحمد من لم يصلح الخطلا
مجدٌ بجَدٍّ وجدٍّ ظلّ مجتمعاً ... فلينتظر فُرَصاً وليغتنم دِوَلا
يارب وثّق عُرى الاسلام واحم بهم ... حماه من كل جانٍ بدّد الشُّللا
واغفر لعبدك يارحمن زلته ... وارحمه والطف واكرم روحه نزلا
أمِنْ أديبُ وارّخ عام رحلته ... حان الامير ضياء الدين واجلا

٥٩ ٢٨٢ ٨١٢ ٩٥ ٧١

« انتقاد المقتطف وكتاب القسطاس المستقيم »

عهدنا بالمقتطف الاغر العناية بتقريظ الكتب وانتقادها لا سيما الكتب النافعة بان لايقرظ الكتاب الا بعد قراءته أو قراءة جملة صالحة منه يعرف بها موضوعه ومسلكه فيه . ومما رأيناه فيه وراء حدود الغرابة الانتقاد على كتاب « القسطاس المستقيم » لحجة الاسلام الغزالى عند تقريظه فى الجزء الحادي عشر الاخير حيث قال :

« ومما نراه فى حد الغرابة من هذا الكتاب قول مؤلفه إن سائلاً

سأله عما اذا كان يزن حقيقة المعرفة بميزان الرأي والقياس أو بميزان التعليم فاجاب متنصلا من ميزان الرأي والقياس لانه ميزان الشيطان . فلا نكاد نصدق ان عالمًا فاضلا كالغزالى ينفي ميزان الرأي والقياس ويعتمد على ميزان التعليم فى غير المعرفة الدينية ولذلك نظن ان فى القسم الاول من الكتاب نقصاً وأنه حذف منه ما يحصر المعرفة المقصودة هنا بالمعرفة الدينية والا فاذا اريد بها سائر المعارف كالزراعة والصناعة والطب وكل العلوم والفنون فالاعتماد فيها على الرأي والقياس كالاعتماد على الحس والمشاهدة »

(المنار) لو طالع المنتقد الفاضل الكتاب لعلم انه فى الدين وان السائل سأل عن المعرفة الدينية فلا حاجة الى الظن بان فى القسم الاول منه نقصاً . على انه لا حاجة فى الوقوف على ذلك لمطالعة الكتاب كله فان وصف السائل بانه من اهل التعليم وانه يأمر باتباع الامام المعصوم كاف فى بيان أن السؤال عن حقيقة المعرفة الدينية فحسبُ فما بالك وقد سأل الغزاليُّ الله فيمن يزعم من أصحابه ان القياس ميزان المعرفة ان يكفي الدين شره «فانه للدين صديق جاهل وهو شر من عدوّ عاقل » نعم ان السائل الذي يذكر الغزالى مناظرته فى الكتاب من اهل التعليم الباطنية القائلين بان القلب لا يطمئن فى الدين الا اذا وجد فى كل عصر امام معصوم يرجع اليه فى الخلاف والمشكلات والامام الغزالي انكر ذلك عليه وحاجَّهُ فيه حتى ألزمه وأقنعه . فقوله فى صديق الدين الجاهل بعد ماذكر : ولو رزق سعادة مذهب اهل التعليم لتعلم أوّلاً الجدال من القرآن الكريم حيث قال الله تعالى « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن » الخ يوقع المطلع على الكتاب فى اشتباه ويوهم ان الغزالي من اهل

مذهب التعليم وانما هو خصيمهم ولكن قوله « لتعلم اولاً الجدال من القرآن » ينفي ذلك الاشتباه ويذهب بهذا الوهم فان اهل التعليم لا يتعلمون الا من امامهم المعصوم ويسلمون له بكل ما يقول تسليماً . ولعله سمى مذهب نفسه مذهب التعليم ووصفه بالسعادة استمالةً لخصمه ليقبل عليه فيعرف مراده من التعليم

الغزالي يقسم الناس فى هذا الكتاب الى ثلاثة اقسام (١) الخواصّ الذين لا يعتقدون بشيء حتى يثبت عندهم بالدليل والبرهان وهم الذين يدعون بالحكمة وهم الذين يزنون بميزانها وهو القسطاس المستقيم الذى يذكره بعد . و (٢) العوام السذج وهم الذين يدعون بالموعظة الحسنة ، والاقناعيات . و (٣) أهل الجدال والمشاغبة والمرآء والعناد ولهؤلاء احكام واطوار فتارة يحتاج الى مجادلتهم ويجب ان تكون باحسن الطرق واقربها الى القبول وابعدها من المرآء وتارة يسفهون ويجهلون فيطلب الاعراض عنهم لقوله تعالى « وأعرض عن الجاهلين » وتارة يعتدون على الحق بالقوة ويصدون عن سبيل الله بالسيف فتستبدل المجالدة بالمجادلة ويستدل الغزالى على هذا فى أثناء الكتاب بقوله تعالى فى شأن الرسل « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » يقول : الدعوة بالكتاب مجرداً انما هى للعوام وبالميزان للخواص والمقابلة بالحديد انما تكون للمُحادين المعاندين ، الذين يمارن فى البرهان ، ويعرضون عن البيان ، فتأمل مجمل مذهبه هذا واقرأ ماجاء فى المقتطف الاغر بعد تلك الجملة قال :

« فاذا صح ذلك فميزان المعرفة عند اهل كل دين كتبهم التى يعتقدون

أنها بمنزلة من الهم وعلى هذا النحو قال الامام الغزالى: «انى اعرف واضع هذا الميزان ومعلمه ومستعمله فان واضعه هو الله تعالى ومعلمه جبريل ومستعمله الخليل ومحمد وسائر النبيين». ومتى رسخ اعتقاد الانسان فى نفسه هذا الرسوخ سهل عليه ان يثق ثقة تامة بكل ما فى كتابه واستغنى عن كل دليل وميزان آخر» اه

(المنار) ان المنتقد الفاضل يرى قصارى مذهب الغزالى ان يسلم الانسان بكتابه الدينى تسليما مطلقا ويستغنى به عن كل دليل وميزان آخر وقد علمت مما ذكرنا عنه آنفا من التفصيل والتقسيم والتقييد خلاف ذلك فكيف لو قرأت كتابه كله وتدبرته. وانني احب ان يطالع الدكتور يعقوب افندى صرُّوف هذا الكتاب كله بدقته المعهودة ويصحح ما كُتب عنه فى المقتطف وما أنا بموقن انه هو الكاتب للنقد وان لم يكن احد من البشر مبرَّءاً من السهو والخطأ. وأذكره بالفرق بين القياس فى معرفة الدين الذى ينفيه الغزالي والقياس المنطقي الذى يثبته اذ يقول لا ثقة بعلم من لا يعرف المنطق والقياس فى سائر العلوم وان كان هذا مما يحيط به علمه الواسع

(تصحيح) ذكرنا فى هامش مكتوب حافظ (ص ٥٨٩ ج ٢٥) ان محمداً بن الزيات كان وزير مروان الحمار وهو غلط سبق القلم الى نقله من شرح الديوان مع الغفلة. والصواب انه كان وزيراً للمعتصم العباسى ثم للواثق بالله ثم للمتوكل وعلى عهد هذا اتخذ التنور المشهور الذى قضى فيه ولعلنا نذكر خبره بعد

(جذيمة) كعظيمة وتقدم فى تقريظ قصة (جذيمة والزباء) ضبطه بالتصغير سهواً

الأخبار التاريخية

« الاحتفال بقدوم الجناب العالى الخديوي »

جرت العادة بأن تدعو محافظة مصر الكبراء والوجهاء من اهل العاصمة لوداع سمو الخديو المعظم عند سفره للاصطياف فى الاسكندرية ولاستقباله عند قدومه منها فيلبوا الدعوة . وقد ارتأى بعض المقربين من جنابه العالى أن يحتفلوا لقدومه فى هذا العام بتزيين الطريق من المحطة الى قصر عابدين المعمور فأعلنوا ذلك فى الجرائد وفى مقدمتها جريدة المؤيد الغراء ودعوا الناس الى الاكتتاب وألَّفوا لجنة برئاسة سعادتلو عبد القادر باشا حلمي فاقبل طائفة من الاغنياء والوجهاء على الاكتتاب حتى بلغ ما جمعته اللجنة ألفاً ومائتي جنيه فأنفقوا على الزينة الف جنيه فكانت احسن زينة رآها الناس فى شوارع القاهرة

أنشأوا ثلاثة اقواس احدها عربى فى ميدان المحطة والثاني افرنجي فى ميدان الازبكية بالقرب من تمثال ابراهيم باشا والثالث مصري فى ميدان عابدين وأنشأوا بالقرب من هذا مسلتان بهيئة المسلات المصرية القديمة وزينوا المسلة الكبرى والاقواس بالانوار الكهربائية الملوّنة والنقوش الجميلة ، ونصبوا على جانبي الطريق سلاسل من اغصان الاشجار علقوا فيها قناديل (فوانيس) من الورق وزاد الزينة بهاء وكمالا اصحاب الدكاكين والفنادق والحانات الذين زينوا ابوابهم بالانوار الكهربائية والاعلام واكثرهم من الاجانب كما هو معلوم

وقد اقام المحتفلون سرادقين عظيمين أمام قصر عابدين احدهما

لاستقبال سموه والآخر للعزف والغناء فتشرف الامير اعزه الله ليلا ما أُعِدَّ له اجابة لدعوة المحتفلين واظهر لهم البشر والارتياح واثنى على عملهم وارتياحهم وكانوا قرروا ان ما زاد عن نفقة الزينة من المال الذى يجمع لها يكون اعانة لمدرسة محمد علي الصناعية التى انشأتها جمعية العروة الوثقى فى هذا العام فشكر لهم الامير وضع هذه المساعدة فى محلها وتلك عادته الممدوحة يثني على العاملين ويذكرهم بخير

ثم مر سموه فى شارع الزينة ليلا ذاهباً الى قصر القبة المعمور . وقد حشر الناس الى هذا الشارع من كل صوب وناحية فكان مزدحماً بالالوف من الرجال والنساء والولدان الى ما بعد نصف الليل وكانت تلك ليلة الجمعة التى يستريح الاكثرون فى يومها . وكان فرح الناس بالزينة مختصاً بالاجانب وابناء الطبقة الدنيا من المصريين إذ كانوا يمزقون قناديل الورق ويأخذون الشمع منها حيث لم يجدوا احداً من الشرطة يمنعهم وبهذا فلَّ بهاء الزينة بعد الساعة التاسعة حيث كثر هؤلاء الرعاع المعتدون . واما الخواص فقد كانوا فى همّ وغم لأن يوم الزينة هو اليوم الذى تحقق فيه احتلال فرنسا بقسم من اسطولها وعسكرها فى جزيرة مدللي (متلين) بالقرب من زقاق الدردنيل . اما حكم مثل هذه الزينة شرعاً فلا يخفى على مسلم وربما نكتب عنه بالتفصيل فى جزء آخر

« استدراك على المقالة الاولى من هذا الجزء »

ذكرنا في المقالة الافتتاحية ان الشرقيين اقتدوا بالغربيين فى الاحتفال باعياد ملوكهم وامرائهم وان هذه الاحتفالات لاجل احياء الشعور بعظمة وعزة الدولة التى يمثلها الملك والامير . فاما خبر الاقتداء فقد سبق به القلم

على غير بينة ولا دليل والصواب أن الشرقيين اشد الناس تعظيما لملوكهم منذ القدم وحسبك انهم عبدوهم من دون الله وانهم لا يزالون يقدسونهم بقدر مالهم من السلطة والاستبداد . وأما مسئلة احياء الشعور فنرى بعض الجرائد تنوّه بضدها ذاهبة الى ان هذه الاحتفالات منبعثة عن الشعور بعظمة من احتفل لاجله وحبه وربما يصح هذا من بعض المحتفلين الذين لهم فيه منافع تولد هذا الشعور ولكن الظلم فى اسناده الى الامة مع ان القائمين به افراد معدودون معروفون . وقد علمت من بعض كبار الموظفين من الانكليز بمناسبة ذكر عيد مولد ملكهم ان هذا العيد لا يكاد يعرفه الانكليز ولا فى لوندرة ولا يحتفل به ولا بعيد الجلوس احد الا السفراء والوكلاء عن الدولة فى البلاد الاجنبية فانهم يرفعون الاعلام ويقبلون التهانى من سفراء سائر الدول ووكلائها . وقال ان الملك اذا قدم من سفر الى لوندره لا يستقبله الكبراء والوجهاء فى المحطة كما يستقبل المصريون الجناب الخديوى ولا يزينون له المحطة ولا الشارع الذي يمر منه . فهل كان الانكليز فاقدي الشعور والاحساس وغير مخلصين لملكهم ؟ ؟ كلاّ ان الفرق بيننا وبينهم عظيم .

ولا يخفى ان الكلام عام فى الاحتفالات والشعور الباعث عليها أو المنبعث عنها لا في سمو الخديوى وحب المصريين لمقامه الكريم فان هذا مما لا نزاع فيه

« سفر الجناب العالى الى السودان »

يسافر سموّ الخديوي المعظم فى هذا الشهر الى السودان بصفة رسمية واننا نرى آراء الناس مختلفة فى هذا السفر ومنهم اصحاب الجرائد وسنذكر ذلك مفصلا بعد السفر ان شاء الله تعالى

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

« الموالد والشعور الديني وضرر الخرافات »

كان شهر رجب المنصرم شهر الموالد التي يحتفل بها فى القاهرة وضواحيها باسمآء بعض الأوليآء والأصفياء كمولد الرفاعى والبيومي والسيدة زينب والامام الشافعى فكنت ترى شوارع المدينة واسواقها مزدحمة بالوفود القادمين من الأرياف لحضور هذه الموالد بنسائهم وأولادهم مشاة وركباناً وتسمع النسآء يزغردن ويغنين راكبات على الإبل والحمير وعربات النقل . واما مشايخ الطرق فكنت تراهم فى ملك كبير ، طبول ومزامير ، واعلام مرفوعة ، وكلمة مسموعة ، وازياء رائعة ، ورعية طائعة ،

رأيت شيخاً كبيراً منهم يقود زعنفة فى الطريق وعلى رأسه عمامة حمرآء ، كبيرة عجرآء ، وهو يصيح ويتغنى ، ويتمايل ويتثنى ، وبيده قضيب يهش به على الزعنفة ويشير اليهم بالأمر والنهي وهم له خاضعون ، ولأمره ممتثلون ، بفرح وسرور ، ووجدان وشعور ، لان السلطة روحية دينية ، لا قهرية سياسية ، كسلطة الحكام ، أرباب الاستبداد والإلزام ،

نعرف بالاختبار ان امثال هؤلآء الناس لا يجدون فى صلاة الجمعة والجماعة ولا فى العيدين بعضاً من هذا الشعور الديني والفرح بالاسلام ، وما فيه من سوابغ الآلاء والانعام ، ولا تتحرك قلوبهم للوعظ والتذكير ،

كما تتحرك لسماع الدفوف والمزامير ، ولا يتلذذون فى يوم العيد بالتكبير ، كما يتلذذون فى « الحضرة » بالمكاء والصفير ، والشهيق والزفير ، وهذا الشعور الذى ينسب الى الدين هو اكبر ما بقي فى نفوس هؤلآء من سلطان الدين وتأثيره وقد ارتفع قدر هذه الموالد بسببه وصار الناس ينفقون فيها النفقات العظيمة ويعتقدون ان من اعتاد على حضورها أو انفاق شيء فيها ثم ترك عادته فلا بد ان ينكب وتحل به المصائب والدواهي وقد نقل الينا الثقات الخبيرون ان كثيراً من الناس حاولوا فى بعض السنين القعود عن المولد الذي كانوا يعتادون حضوره فكانت امرأة الواحد منهم تنذره بسوء العاقبة فاذا لم يبال بانذارها تسعى فى ايقاع الضرر أو الهلاك بشيء مما له من حرث أو نسل ليعتقد ان الوليّ تصرّف فيه لعدم حضور مولده ومنهن من توقع بولدها منه والعياذ بالله تعالى فاذا هي لم تسع بشيء واتفق ان نزلت بهم مصيبة - ولا يسلم أحد من المصائب فى نفسه وأهله وماله - فلا يشك هو ولا هي بأن سبب المصيبة عدم حضور المولد

كأن اولياء الله فى اعتقاد هؤلاء الجهلاء ما وجدوا الا لإيذاء الناس وارهاقهم العسر والفتك بهم عند ادنى تقصير فى تعظيمهم ولكنهم لا يغارون على دين الله تعالى اذ لا ينتقمون من الكافرين بالله عز وجل ولا يتصرفون بتاركي الصلاة ولا بمانعي الزكاة ولا يؤذون الزناة والسكارى وشهود الزور والمعتدين على حقوق الناس ! !

هذا الشعور الذى يرى أثره من العامة هو الذى يرضي الكثيرين من العقلاء والفضلاء ببقاء العامة على هـذه البدع ولوم من ينكرها وعذله

والاحتجاج عليه بأن انكارها يفضي الى الشك فى الدين . ولكن هذه السياسة باطلة فان الحق لا يعزز ولا ينصر بالباطل وان السكوت على هذه الاباطيل مصانعةً للعوام يجعل الدين هزواً ولعباً فى نظر الخواص ويطلق ألسنة اعدائه بالطعن فيه على انه وقوع فى مثل ما ارادوا الهروب منه فان ما عليه الناس من البدع والخرافات مضاد للدين ولا شك ان الزيادة فيه والنقص منه سيان . ولو تنبهوا الى مقدار فتك الخرافات فى عقول المعتقدين بها ، وعلموا انها اضعفت استعدادها ، واضلتها عن رشادها ، حتى كادت تفقد قابلية الفهم ، وتحرم من قبول ايّ علم ، لا فرق بين الظن واليقين ، فى امر الدنيا وامر الدين ، - لحكموا معنا بان جناية البدع والخرافات ، هي اعظم الجنايات ، وان طلبت التذكير بالدليل ، فدونك ما يأتى فى التمثيل ،

«وليّ الجيزة او دجالها»

فى الجيزة شيخ من الذين يعتقد الناس فيهم الولاية وينسبون لهم الكرامات وهذا الشيخ متهتك مدمن خمر يجلس فى الحانات التى فى الشوارع العمومية ويشرب فى مجلس واحد اكثر من ثلاثين كأساً . ونقل الينا أن بعض الاغنياء الموصوفين بالصلاح يتقربون الى الله (تعالى وتنزه عن تقربهم) بدفع ثمن الخمرة التى يشربها ويزعمون ان سؤره من الخمر فيه بركة وشفاء فيشربونه بهذه النية وربما يتفل الخمر من فيه عليهم لاجل المباركة عليهم . ويؤكد الناقلون ان هؤلاء الاغنياء الاغبياء معتقدون فى الشيخ حقيقة لا محتالون على السكر باسم الدين .

ومن الناس من يعتقد ان الوليّ اذا تناول خمراً للشرب يتحول الخمر

في يده أو فيه الى مائع آخر وقد كان بعض الدجالين المدعين الولاية كالشيخ الطشطوشى فى مصر يشعوذ ويموّه على الجاهلين — واكثر الناس عندنا جاهلون — بسبب اعتقادهم هذا فيأتى بكأس من الخمر الصافي المسمى بالعرق الذى يبيضُّ بالمزج ويجعل فى فيه ماء من حيث لا يشعر الحاضرون حتى اذا وضع الكأس على فيه مجَّ الماء فيه فيصير ابيض اللون ويقول الاغمار استحالت الخمرة لبناً . وحزب وليّ الجيزة يعتقدون انه يشرب الخمر فتنزل فى جوفه خمراً ولكنه من أحباب الله (حاش لله) الذين لا يؤاخذهم ولا يؤاخذ من ينتمي اليهم ويتصل بهم . وهذا الاعتقاد كفرٌ وخروج من الاسلام بلا خلاف بين الائمة وما أوقع الناس فيه الا الغلو فى اعتقاد الكرامات ، وجعلها كصناعة من الصناعات ، وزعمهم ان السكوت على الخرافات انما هو للخوف من انكار الكرامات على ان انكارها ليس بكفر ولم يقل امام بوجوب اعتقاد كرامة وليّ مخصوص

وهناك فتنة اكبر وهي ان ذلك الدجال يفسر القرآن برأيه الفاسد وجهله الكاسد — استغفر الله انه رائج فى سوق المعتقدين به فهو فى هذا كوليّ الزقازيق الشيخ محمد أبي خليل وقد ورد فى الحديث الصحيح « من فسر القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار » وكل من ليس له دراية صحيحة بالعلوم والفنون التي يتوقف عليها التفسير (راجع ص ٢٠٧ م ٣) فانما يفسر بالرأي والهوى . ونرى هؤلاء الجهلاء يزعمون ان من الكرامة ان تفاض على الولى جميع العلوم فيضاً ولكن العلماء متفقون على ان علوم اللغة والشرع لا تعرف الا بالتلقي والتعلم كما فى فتاوي ابن حجر الحديثية . وفى الحديث « العلم بالعلم والحلم بالتحلم » وسنعود الى هذا البحث ان شاء الله

المنار ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس ١٦ شعبان سنة ١٣١٩ — ٢٨ نوفمبر (ت٢) سنة ١٩٠١)

الاصلاح والاسعاد . على قدر الاستعداد

يرى الباحثون في العمران والمشتغلون بعلم الاجتماع بعد النظر في تاريخ الامم أن كل اصلاح وجد في العالم فانما كان بواسطة رجال فاقوا شعوبهم ببعد النظر وصحة الفكر وعلوّ الهمة وقوة العزيمة والارادة فتقدموهم ثم قدموهم وارتقوا بهم الى المكانة العالية ، والمنزلة السامية ، ولا فصل في هذا بين الاصلاح الديني والعلمي والاصلاح الماديّ والسياسي . ويقول هؤلاء الناظرون ما بال بعض الممالك والاقطار ، تمر عليها القرون والاعصار ، وهي تضعف وتذل ، وتذوب وتضمحل ، ولا ينبُتُ في ارضها رجل عظيم ، ينقذها من هذا الرجز الأليم ، ما بال الشعوب الاسلامية قد تحوّل عزها الى ذل ، وكثرها في كل خير الى قلّ ، وعلمها الى جهل ، ولم يظهر فيها ملك حكيم ، ولا إمام عليم ، يجدد لها مجدها ، ويرجع اليها عزها ، وأين مصداق مايروونه عن نبيهم (صلى الله عليه وسلم) من قوله : «ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدّد لهذه الامة

أمر دينها . » ؟؟،

انما يقول هذا الباحثون فى الظواهر والناظرون فى الصور السطحية . والذين يكتنهون الحقائق ويغوصون فى الاعماق ويفقهون الاسرار ، وتنفذ أشعة بصائرهم الى ما وراء الاستار ، يعلمون انه ما قام مصلح فى أمة من الأمم بعمل من الاعمال تغيرت له حالة الأمة ، وارتقت بهم من الحضيض الى القمة ، الا بعد أن استعدت تلك الأمة لقبول ذلك الاصلاح بتأثير الزمان وتقلب الحدثان ، او بانتشار العلم والعرفان ، فللاصلاح شرطان اولهما استعداد الأمة لقبوله والثانى الزعيم الداعي اليه من طريقه الطبيعي مع الكفاءة والاضطلاع . فاذا ظهر مثل هذا الكفؤ للقيام بالاصلاح فى قوم ورآهم غير مستعدين لقبول اصلاحه فانما يشتغل بالسعي فى إعدادهم وتهيئتهم للاخذ باركان ذلك الاصلاح ولا يدعوهم اليها فى اول الامر وربما يقضي عمره فى ايجاد الوسائل غير بائح بسر من اسرار المقاصد الا ما يودعه فى أطواء الكلام ، من الاجمال والابهام ، كالكناية والتورية ، وما يشبه الالغاز والتعمية ، فاذا هو صرح للقوم بالمراد ، ودعاهم الى خلاف ما هم عليه من التقاليد والعاد ، تقوم عليه القيامة ، وتتوجه اليه سهام الملامة ، بل تنصب عليه قذائف القاذفين ، ولعنات اللاعنين ، وينزل به البلاء المبين ، ويكون فى عمله من الخاسرين ،

المصلح إما داع ذو بيان ، يستصرخ الشعور والوجدان ، ويستنفر العقل والجنان ، دالاً على طريق الاسعاد ، هادياً الى سبيل الرشاد ، واما ملك مستبد ، حكيم مستعد ، على امة خاملة ، ورعية جاهلة ، يحملها بالقهر والإلزام ، على ما يطلب ويرام ، وكل منهما مطالب بمراعاة استعداد

الأمة ودرجة قابليتها ولكن الأول يحتاج من ذلك الى اكثر مما يحتاج اليه الثانى لانه يدعو النفوس الى العمل باختيارها وانما العمل الاختياري ما توجهت اليه الارادة بباعث العلم والاذعان بان فيه اجتناب مفسدة او اجتلاب مصلحة وليس لأحد سلطان على النفوس يفهمها ما لم تستعد لفهمه، ويقنعها بما لا تحيط بعلمه، واذا عجز المستبد عن التسلط على الضمائر، والسيطرة على السرائر، فلا يعجز عن التصرف بالظواهر، بأن يلزم الناس بالأعمال النافعة وان لم يعتقدوا نفعها حتى اذا جاء وقت الجنى والقطوف، عرفوا ما لم يكن بمعروف، فكانوا كمن يقاد للجنة بالسلاسل

ان كون الاصلاح والاسعاد، على قدر الاستعداد، قاعدة عامة شاملة للاصلاح الذي جاء به الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان الله تعالى لم يبعثهم الا معدين، ومصلحين للمستعدين، وقد «كان الناس أمة واحدةً» فى الجهالة والهمجية، والوقوع فى شرك الشرك والوثنية، «فبعث الله النبيين مبشّرين ومنذرين» بعدما استعد بعض الناس لفهم التوحيد وقبول الدين، ورجيَ ان يعدو بإيمانهم الآخرين، ولنقص الاستعداد وضعف العقول أيد الله تعالى الانبياء بالآيات البينات، التي اعتاد الاكثرون على الخضوع لمثلها مما يخالف المألوفات، ولا ينطبق على سائر العادات، ومع هذا كله كانوا يضربونهم ويطردونهم، وفى بعض الأحيان يقتلونهم، ومنهم من لم يؤمن به أحد او الا الرجل والرجلان ومنهم من آمن به العدد الكثير، ثم ارتدوا وفسقوا بعد زمن قليل او كثير، وقد بينا من قبلُ استعداد العرب لبعثة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وما

امتازوا به على الأمم لقبول اصلاحه (راجع ج ٤ م ٣)

انما مثل النوع الانسانيّ في مجموعه كمثل الفرد الواحد من افراده فالشعب الجاهل من شعوبه كالطفل لا يمكن ان تجعله رجلا كاملاً الا بتربيته على اخلاق الرجولية بالتدريج الطبيعي فاذا كلفته بما يكلف به الرجال من عويص المسائل ، وحل عقد المشاكل ، فأمرك لا يطاع ، لانه بما لا يستطاع ، كذلك حال من يكلف شعباً من الشعوب أو أمة من الامم بان تجاري في طور ضعفها الامم القوية ، وتبارى في إبان جهلها من سبقها في جميع الطرق العلمية ، من غير ان يربيها على ذلك بالتدريج الذي عرف من سنن الله تعالى في الأولين كالابتداء بازالة الموانع ، والتثنية بإدالة المنافع ، او بتقديم التخلية على التحلية كما يقول السادة الصوفية . وانما نعنى التقديم والتأخير في المرتبة لا في الزمن

تربيـة الأمم ليست بالمركب الذلول وطريقها ليس بالطريق المعبَّد . وانما هي الحَرون في الحُزُون يتوقع راكبها الهلكة في كل حركة وما كان بسمرك هو المربي لالمانيا والمبـدع للوحـدة الجرمانيـة ولا بيكنسفليد هو المربي لانكلترا ولا غامبتا هو المربي لفرنسا ولا غورچيڨوف هو المربى لروسيا ولا امثال هؤلاء السياسيين من الفلاسفة والعلماء وانما ربى اوروبا كلها اولئك الذين اضطهدوا وأُذلوا وأُبعدوا وصُلّبوا وقتلوا تقتيلا أن دعوا النـاس لاصلاح عقائدهم وعوائدهم وتغـذية عقولهم بلبان العلم والعرفان فأعدوا أقوامهم لكل ماهم فيه الآن من العزة والشمم ، والسيادة على الامم ، اولئك الذين كانوا يرمون بالكفر والزندقة وافساد الاعتقاد والجناية على البلاد والعباد ، فصاروا الآن يوصفون بالامامة ، ويحلهم

التاريخ محل الكرامة ، ويذكرون بالتعظيم والتبجيل ، وترفع لهم الهيا كل وتنصب التماثيل ، وأعظمهم عندي لو تر مصلح الدين ، ومزيل العقبة الكبرى من طريق جميع الاوربيين ،

من اسباب الاستعداد لقبول اصلاح مًّا معاشرة من صلح حالهم به من قبـل ومشاهدة اطوارهم ، والوقوف على اخبارهم ، عند ما وقفوا ببابه ، وانشأوا يأخذون بأسبابه ، . ومن اسبابه ان يتسلط على الأمة من يسلبها ثوب مجدها وينزع عنها تاج كرامتها ويستأثر بمنافعها ويستولى على مرافقها . ومن اسبابه ان يمر عليها حين من الدهر مهدَّدة بقلب كيانها ، وتقويض اركانها ، وازالة سلطانها ، ممن يقدر على ذلك ، من الدول والممالك ، . ومن اسـبابه أن يرى احد شعبين متجاورين أو متمازجين الشعب الآخر قد انسلخ من تقاليده السخيفة ، وعاداته الضارة ، واستبدل بها ما عزَّ به جانبه ، واتسعت فى هذه الحياة مذاهبه ، فصلح حاله ، وكبرت فى السعادة آماله ، وماذا عسانا نستفيد من تعـداد الاسباب اذا كنا نجهل الموانع التى تزاحمها فتحول دون تأثيرها او لم يكن لنا سبيل للخوض فيها ؟

انما عددنا ما عددناه تمهيداً لذكر مثال من امثلة الاستعداد فى الشعوب الاسلامية التى يضرب بها المثـل فى التأخر بعد التقدم والانخفاض بعد الارتفاع وهو ما كان من مسلمي الهند — دخل الانكليز بلاد الهند فكان أقرب الناس الى الاستفادة منهم الوثنيون الذين كانوا من قبل دون المسلمين فى كل علم وعمل فطفق الوثنىّ يتعلم ، والمسـلم يتحسر ويتألم ، أو يشكو فى نفسه ويتظلم ، حتى مرّ الزمن الطويل ، الذى انقرض به جيل وتجدد جيل ، والمسلم يعادي اللغة الانكليزية ، ويكفر متعلم العلوم الاوربية ،

فلما رأى المسلمون نتائج ذلك باتساع ثروة الوثنيين وكثرة الموظفين فيهم واجتماع شملهم ونفوذ كلمتهم استعدّ افراد منهم الى معرفة الحقيقة، ووجوب سلوك الطريقة، ومن فضل الله على الناس انهم كلما استعدوا لشيء يسر لهم اسبابه وافاضه عليهم بها فكان اعلاهم همة واقواهم عزيمة هو الساعي الاول والداعي الى العمل وهو السيد احمد خان فأسس مدرسته الشهيرة فى مدينة عليكده ودعا قومه الى التربية الصحيحة والتعليم القويم، ونبذ ما كانوا عليه من اسباب الخمول القديم، فأجابه النزر اليسير، وكافأه الجماهير بالتفسيق والتكفير، ولولا حماية الحكومة الانكليزية له ومساعدتها اياه لأخرجوه او قتلوه. حتى اذا ما ظهرت فى هذه السنين آثاره وتبين لمسلمي الهند ان الخير انما يرجى لهم من تلامذته، وان السعادة انما تفيض عليهم من ينبوع مدرسته، أشادوا بذكره، وعظموا من امره، واعترف العلماء والجهلاء، والاذكياء والاغبياء، بأنه المصلح العظيم، والمجدد الحكيم، والامام العليم، ولو قام فيهم بهذه الدعوة منذ خمسين سنة لما وجد منهم ملبيا، ولا صادف مصغيا،

هذا هو السيد احمد خان الذي كان السيد جمال الدين الافغانى ممن يتهمه بالمروق من الدين، والتصدي باغراء الانكليز لإفساد عقائد المسلمين، والسيد جمال هو من اعظم المصلحين، والحكماء الراسخين، وقد كان يتهم من بعض الناس فى مصر بمثل ما يتهم به السيد احمد خان من بعض الوجوه. ألا يدلنا هذا على ان مصر أبعد من الهند عن الاستعداد؟ بلى وانني اذكر فى هذا المقام كلمتين احداهما قالها مؤرخ مسيحي وهي: ان السيد جمال الدين جاء قبل وقته بخمسين سنة فالمسلمون لما يستعدوا

لفهمه ، والاسترشاد بعلمه ، . والثانية قالها صاحب اكبر جريدة اسلامية فى الهند وهي : ان المصريين لا يزالون مغترين بمثل ما كان عليه الهنديون منذ خمسين سنة – مغترين بما بقي لهم من الحكام وفضلات الايام فلا ينتبهون حتى يفقدوا كل شيء حتى الاسماء الاسلامية فى كراسي الامارة والحكم كما وقع لاخوانهم الهنديين

اقول وان لم يصح حديث التجديد فى كل مئة سنة : لا يكاد يمر على أمة كأمتنا قرن من القرون يخلو من امام عليم يصلح لتولي زعامة الاصلاح وانما تظهر آثار الرجال باستعداد اقوامهم ولذلك كان فيهم من يكتم علمه لانه لا يجد له حمَلة كما نقل عن بعض الأئمة ومنهم كان يغلبه لسانه او قلمه على الافصاح بشيء من الحق فيقابله الناس بالإعراض ، ويحسبونه من معضلات الامراض ، او يترك سدى ، ويُرمى كالشيء اللَّقَا ، فالامام الغزالي صرح برأيه فى اصلاح المسلمين ، بعد ما بلغ رتبة الامامة فى جميع علوم الدين ، ولكن لم يوجد من يعمل برأيه القويم ، ولا من يزن بما وضعه من (القسطاس المستقيم) ، وكذلك الامام احمد بن تيمية لم يترك بدعة الا وفنَّدها ، ولا سنة الا ودعا اليها وأيدها ، ولكنه لم يؤخذ بارشاده الا بعد قرون حيث جددت الدعوة اليه من قوم مستعدين له من بعض الوجوه . على ان اظهار الحق خير من كتمه واخفائه فان لم يفد فى الاصلاح والاسعاد ، فلا بد ان يفيد فى التهيئة والإعداد ، ولا شك انه يوجد فى كثير من البلاد التى استحوذ عليها الجهل من يصلح للامامة ، وللقيام بالزعامة ، فان لم يقدروا على الاصلاح فلا بد أن يهيؤا الامة له ويعدُّوها لقبوله وربما كان السنوسي السابق وخليفته الحاضر من المعدّين

لا من المصلحين وربما كان أتباعه قد استعدوا لنهضة عملية . أما المصريون فقد ظهر فيهم شيء قليل من بوادر الاستعداد للاصلاح المعنوي والمادي ويرجى نموّه ببقاء الحرية ودوامها .

كما مضت سنة الله تعالى فى جعل الاصلاح البشري والاسعاد الكسبي على قدر الاستعداد جرت سنته كذلك فى التكوين والايجاد فانه قدّر لكل مكوّن من المكونات اجلا محدوداً يستعد فيه للظهور بشكل من الاشكال او صورة من الصور « وكل شيء عنده بمقدار » فاذا جاء الاجل الموعود ، ظهر بذلك الشكل فى الوجود ، وذلك من كمال النظام والحكمة « وخلق كلّ شيءٍ فقدّرهُ تقديراً » نعم انه قدره بالتدريج فى ازمنة متعاقبة عبر عنها بالأيام « الذي خلق السمواتِ والارضَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرشِ الرحمنُ فاسألْ به خبيراً »

﴿ باب العقائد من الامالي الدينية ﴾

﴿ تتمة الدرس (٣٠) من وظائف الرسل عليهم السلام ﴾

المسئلة (٧٣) الوظيفة الخامسة — حدود العقوبات واحكام المعاملات :

خلق الانسان ضعيفاً وارتقى بالتدريج ولما تألفت المجتمعات من البيوت والشعوب والقبائل احتاجت للوازع والمسيطر الذي يمنع ما يولده التنازع فى المصالح والمنافع الاجتماعية من البغي والعدوان ويؤدب الذين تطغى بهم الشهوات فيجنون على انفسهم وعلى الناس . ولذلك اتخذ الناس القضاة والحكام من رؤساء الدين والدنيا ولكن الحاكم والامير اذا لجأ الى رأيه واتبع هواه فى حكمه يضل عن سبيل الحق والعدل فلا تقوم مصلحة الناس

بحكمه وهذه قاعدة طبيعية ثابتة وأقوى أدلتها ظلم رؤساء البيوت لنسائهم على ما بينهم من المودة والرحمة وظلمهم لاولادهم على ما فطروا عليه من الشفقة والحنان عليهم . فمن ثم كان الناس محتاجين الى من يضع لهم احكاماً عادلة ويحدّ لهم حدوداً مؤدِّبة يستوي فيها الناس ، وتوزن حقوقهم منها بالقسطاس ، فكان كل نبيّ يرشد أمته بالوحي الى ما يراها محتاجة اليه من ذلك ويقرها على ما يراها محسنة فيه واكثر اختلاف الشرائع والاديان فى هذه الوظيفة

م (٧٤) ليس من وظائف النبيين بيان طرق الكسب واسباب المعايش ولاتعليم الفنون التي يتوسل بها الى السعة والثروة كالرياضيات والطبيعيات والزراعة والصناعة لان هذه الامور مما يصل اليها البشر بسعيهم وكسبهم بحسب السنن الالهية التي أقام الله بها نظام هذا النوع . وقد اشار النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى ذلك فى مسئلة تأبير النخل بقوله « انتم اعلم بأمور دنياكم »

اذا جاء فى كتب الوحي ذكر السموات وكواكبها والارض وعوالمها فانما يجيء على سبيل الاستدلال على قدرة خالقها ومبدعها وحكمته والتذكير بفضله ونعمته لاعلى سبيل بيان حقائقها فى انفسها وشرح وجوه الانتفاع بها على ان هذا الاستدلال والتذكير مما ينبّه الناس الى التوسع فى العلم بهذه المخلوقات وطرق الانتفاع بها وان لم يكن مقصوداً لذاته

﴿ الدرس ٣١ فى شبهات على الوظائف واجوبتها ﴾

م (٧٥) شبهة على الوظيفة الاولى — يقول قوم ان الاديان التى تنتسب الى الوحي السماوي ثلاثة ونراها لم تتفق فيما يجب اعتقاده فى الله تعالى

فبعضها يصفه بصفات البشر حتى نقائصها كالتعب والندم والجهل والبداء والخوف والتأسف ومصارعة البشر وتسلط الشيطان عليه بالاغرآء والتهييج كتهييجه اياه على ايوب لابتلاءه وكالحلول فى البشر واحتمال اللعن والقتل باختياره ونحو ذلك مما لا يرضى به المرتقون فى الوثنية فضلا عن الموحدين. وبعضها يوجب له التنزيه المطلق والوحدة الحقيقية والمباينة للممكنات ثم يثبت له مع ذلك وجهاً وعيناً وسمعاً وبصراً ويداً وجهة مما يحتمل التأويل ويشهد لتلك الكتب التى وصفته بما لا يحتمل التأويل مما أشير اليه آنفاً. ولما كان الدليل على صحة كتب هذه الاديان واحداً وهو وقوع الآيات الكونية وخوارق العادات على ايدي الذين جاؤا بها يصح لنا أن نقول انها تعارضت ولا شيء يرجح احدها على الآخر فوجب تركها واهمالها كلها

واننا نجيب عن هذه الشبهة بعد تمهيد فى اثبات الدين بخوارق العادات . وهو انه تقدم فى الدرس ٢٩ (ص ٣٧١ م ٤) ان الآيات الكونية التى يسميها المسلمون معجزات ويسميها النصارى عجائب لا تدل على صحة ماجاء به الوحي دلالة برهانية وانما تؤثر فى بعض النفوس فتجذبها الى تصديق من ظهرت على ايديهم فى كل ما يقولون . ولكن المسلمين والنصارى متفقون على ان الآيات لا تعتبر تأييداً من الله تعالى لمن ظهرت على يديه الا اذا كان يدعو الى الحق ويأمر بالخير فالاعتراف بأنها تأييد الهي يتوقف اذن على معرفة حقيقة الدعوة ووزنها بميزان العقل الذي به التمييز بين الحق والباطل والخير والشر .

ففي الباب الثالث عشر من التثنية : «١ اذا قام فى وسطك نبيٌّ او حالم حلماً وأعطاك آية او أعجوبة ٢ ولو حدثت الآية او الاعجوبة التى كلمك عنها

قائلا لنذهب وراء آلهة اخرى لم تعرفها ونعبدها ٣ فلا تسمع لكلام ذلك النبي او الحالم ذلك الحلم لان الرب آلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ومن كل انفسكم » وهذا عن لسان موسى كما لا يخفى

وفى الباب السابع من انجيل متى : « كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك اخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوّات كثيرة ٢٣ فحينئذ أصرح لهم انى لم اعرفكم قط اذهبوا عني يافاعلي الاثم » وفى الباب ٢٤ منه : « لانه سيقوم مسحاء كذَبة وانبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلو لو أمكن المختارين ايضاً » وهذا عن لسان المسيح

اذاً لا بد من معرفة الحق بذاته فاذا وجدنا نصوص الوحي متعارضة أو وجدنا فيها ما يحكم العقل ببطلانه فعلينا أوّلاً ان ننظر فى طريق نقلها فان كان المخالف منها للعقل او سائر النصوص غير متواتر نحكم ببطلانه وعدم صلاحيته لمعارضة العقل او النص المتواتر ونسلم بالقطعيّ الذى يخالفه وان كان النصان اللذان يخالف احدهما الآخر أو العقل متواترين فلا بد من الجمع بينهما بالتأويل فان لم يمكن التأويل فرضاً فالعقل يُعذر اذا هو رفضهما معاً . ولكن هذا الفرض لم يقع اذ لم يوجد نصٌّ فى القرآن يخالف العقل خلافاً لايحتمل التأويل . ولا يثبت الآن كتاب سماوي بالتواتر اللفظى الحقيقي غير القرآن . وما يعد متواتراً من سائر الكتب فانما تواتره معنويٌّ اى انه متواتر فى جملته لا فى تفصيله فلايحتج بكل كلمة وكل عبارة منه

يوجد فيما حفظ من التوراة والانجيل واودع فى أطواء هذه الكتب المعروفة ما يدل على تنزيه الله تعالى على نحو ما يوجد فى القرآن فاذا وجد

فيها ايضاً ما ينافى التنزيه يجب تأويله اذا كان منقولاً عن لسان نبي كموسى وعيسى عليهما السلام وعدم الاعتداد به ان لم يكن كذلك فان لم يمكن تأويله يحكم بعدم صحة اسناده الى النبى الذى نسب اليه وبهذا تتفق الكتب فى اصل الاعتقاد بالله تعالى . اما بيان الآيات القرآنيـة التى تثبت لله تعالى وجهاً وعيناً ويداً فقد تقدم فى الدرس السابع عدم منافاتها للآيات المحكمة الناطقة بالتنزيه (راجع ص ٦٠٣م٢) ويتعذر تأويل كثير مما نسب الى الله تعالى فى كتب العهدين وتقدمت الاشارة الى شىء منه آنفاً (يتصل الكلام)

﴿ المحاورة الثانية عشرة بين المصلح والمقلد ﴾

« نهى الامام الشافعى واصحابه عن التقليد »

لما ضم الشاب المصلح والشيخ المقلد المجلس ١٢ ابتدأ الثانى الكلام فقال (المقلد) : قد قلت لى مرة انك مطلع على نقول كثيرة عن الشافعي واتباعه فارجو ان تكتفي بالمهم منها

(المصلح) : نعم ان ما ورد على الامام الشافعي والائمة المنتسبين اليه فى العلم والاجتهاد فى اتباع الدليل وعدم جواز الاخذ بقول احد من غير معرفة دليله كثير جداً فمنه مافى كتاب الام وهو موجود بين ايديكم في دار الكتب الخديوية وهو قول الامام بمناسبة كلام : « وهذا يدل على انه ليس لاحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول الا بالاستدلال» وروى الحافظ البيهقي بسنده الى الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي وقد سأله رجل عن مسئلة فقال يروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال كذا وكذا (فقال له السائل) يا أبا عبد الله أتقول بهذا فارتعد الشافعي

واصفرّ وحال لونه وقال : ويحك وايُّ ارض تقلني وايُّ سماء تظلني اذا رويت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئاً ولم أقل نعم على الرأس والعين . (قال المصلح) فهذا السؤال ومثله كثير يدلنا على شدة استعداد الناس لتقليد من يشتهر من العلماء الى حد ان يتركوا قول الرسول المعصوم لاقوالهم والائمة رضى الله تعالى عنهم كانوا يصدون الناس عن ذلك ويفتحون لهم باجتهادهم ابواب البحث ولكن الغلبة للاستعداد العام، على قول كل عالم وامام،

وقال الربيع : سمعت الشافعيّ يقول : مامن احد الا وتذهب عليه سنة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وتعزب عنه فمهما قلت من قول واصّلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلاف ما قلت فالقول ما قاله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو قولى — وجعل يردّد هذا الكلام . وروى البيهقى أيضاً بسنده الى الربيع قال سمعت الشافعي يقول : اذا وجدتم فى كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ودعوا ماقلت . فهذا مذهبه فى اتباع السنة . وبه اليه قال : اذا كان الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مخالف له عنه وكان يروى عمّن دون رسول الله (ص) حديثٌ يوافقه لم يزده قوةً وحديثُ رسول الله (ص) مستغن بنفسه وان كان يروى عمن دون رسول الله (ص) حديث يخالفه لم يلتفت الى ما خالفه الخ .

وقال الشافعي أيضاً : اجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله (ص) لم يكن له ان يدعها لقول أحد . وصح عنه ايضاً انه قال : لا قول

لأحد مع سنة رسول الله (ص) — كل هذا من رواية البيهقي فى المدخل . وفى اعلام الموقعين لابن القيم نحوه . ومن احسن تلك الروايات قول احمد ابن عيسى بن ماهان الرازى سمعت الربيع يقول سمعت الشافعي يقول : كل مسئلة صح فيها الخبر عن رسول الله (ص) عند اهل النقل بخلاف ما قلت فانا راجع اليها فى حياتى وبعد مماتى

(المقلد) : حسبي هذا عن الامام نفسه واحب ان اسمع شيئاً عن أصحابه واتباعه

(المصلح) : روي عن الامام احمد رحمه الله تعالى انه قال كان احسن امر الشافعي عندي انه كان اذا سمع الخبر لم يكن عنده قال به وترك قوله . وقال أيضاً : قال لنا الشافعي اذا صح عندكم الحديث فقولوا لى كي أذهب اليه . والامام احمد من اصحاب الشافعي أي انه جرى على طريقته فى الاجتهاد وان استقل بمذهب

وقال الحافظ ابن حجر فى (توالى التأسيس . فى معالى ابن ادريس): قد اشتهر عن الشافعي « اذا صح الحديث فهو مذهبي » قرأت بخط تقى الدين السبكي فى مصنف له فى هذه المسئلة ما ملخصه : اذا وجد الشافعي حديثاً صحيحاً يخالفه مذهبه ان كملت فيه آلة الاجتهاد فى تلك المسئلة فليعمل بالحديث بشرط ان لا يكون الامام اطلع عليه واجاب عليه وان لم يكمل ووجد اماماً من اصحاب المذاهب عمل به فله ان يقلده فيه وان لم يجد وكانت المسئلة حيث لا إجماع قال السبكي فالعمل بالحديث اولى . اه ونحن نقول ان العمل بالحديث متعين حيث لا إجماع ولا حديث يعارضه مما يرجح عليه

وقال ابن القيم فى قول الشافعي « اذا صح الحديث فهو مذهبي » هذا صريح فى مدلوله وان مذهبه ما دل عليه الحديث لا قول له غيره ولا يجوز ان ينسب اليه ما خالف الحديث فيقال هذا مذهب الشافعي ولا يحل الافتاء بما خالف الحديث على انه مذهب الشافعي ولا الحكم به — صرح بذلك جماعة من ائمة اتباعه حتى كان منهم من يقول للقاريء اذا قرأ عليه مسئلة من كلامه قد صح الحديث بخلافها : اضرب هذه المسئلة فليست مذهبه . وهذا هو الصواب قطعاً لو لم ينص عليه فكيف اذا نص عليه وابدى فيه واعاد وصرّح به بألفاظ كلها صريحة فى مدلولها فنحن نشهد بالله ان مذهبه وقوله الذي لا قول له سواه ما وافق الحديث دون ما خالفه ومن نسب اليه خلافه فقد نسب اليه خلاف مذهبه ولا سيما اذا ذكر هو ذلك الحديث واخبر انه انما خالفه لضعف فى سنده او لعدم بلوغه له من وجه يثق به ثم ظهر للحديث سند صحيح لا مطعن فيه وصححه أئمة الحديث من وجوه لم تبلغه فهذا لا يشك عالم ولا يماري انه مذهبه قطعاً وهذا كمسئلة الجوائح (١) الخ

(المقلد) : قد تقدم مثل هذا عن اصحاب ابى حنيفة ايضاً ولك الحق

(١) الجوائح جمع جائحة وهي الآفة السماوية يهلك بها الزرع فمن اشترى ثمرة واخذتها الجوائح قبل قطعها يوضع عنه الثمن . وقد علل الشافعي حديث سفيان ابن عيينة فى وضع الجوائح بانه كان ربما ترك ذكر الجوائح فلم يعول عليه ولكن الحديث صح من غير طريق سفيان . واظهر الروايات فى الباب حديث مسلم وأبي داود والنسائي وابن ماجه عن النبي (ص) انه قال : اذا بعت من أخيك ثمرة فأصابتها جائحة فلا يحل لك ان تأخذ منه شيئاً بم تأخذ مال اخيك بغير حق » فابن القيم يقول ان مذهب الشافعي وضع الجوائح وان علل ما رواه فيها لانه صح من طرق أخرى

فى لوم العلمآء على عدم العمل بهذا الارشاد وعلى اهمال العمل بالحديث وقراءته للتبرك فقط ولكنني اعجب كيف اتفق الاكثرون على هذا

(المصلح) : قد عجب من هذا كل عالم منصف حتى من يقول بالتقليد . قال العز بن عبد السلام الذي كان يلقب بسلطان العلمآء : « ومن العجب العجيب ان الفقهآء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مذهب امامه بحيث لايجد لضعفه مدفعاً وهو مع ذلك يقلده فيه ويترك من شهد الكتاب والسنة والاقيسة الصحيحة لمذهبه جموداً على تقليد امامه بل يتحيل لدفع ظواهر الكتاب والسنة ويتأولها بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلّده وقد رأيناهم يجتمعون فى المجالس فاذا ذكر لاحدهم خلافُ ماوطن نفسه عليه تعجب منه غاية التعجب من غير استرواح الى دليل لما ألفه من تقليد امامه حتى ظن ان الحق منحصر فى مذهب امامه ولو تدبَّره لكان تعجبه من مذهب الامام أولى من تعجبه من مذهب غيره . والبحث مع هؤلاء ضائع مفضٍ الى التقاطع والتدابر من غير فائدة تجذبها وما رأيت احداً رجع عن مذهب امامه اذا ظهر له الحق فى غيره بل يُصِرُّ عليه مع علمه بضعفه وبعده . والاولى ترك البحث مع هؤلاء الذين اذا عجز احدهم عن تمشية مذهب امامه قال لعل امامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتد اليه ولا يعلم المسكين ان هذا مقابل بمثله ويفضل لخصمه ماذكره من الدليل الواضح ، والبرهان اللائح ، فسبحان الله ما اكثر من اعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكرته وفقنا الله تعالى لاتباع الحق اينما كان وعلى لسان من ظهر . وأين هذا من مناظرة السلف ومشاورتهم فى الاحكام ومسارعتهم الى اتباع الحق اذا ظهر دليل على لسان الخصم وقد نقل عن الشافعي انه قال : ما ناظرت احداً الا

قلت اللهم أجر الحق على قلبه ولسانه فان كان الحق معي اتبعني وان كان معه اتبعته » اه

(المقلد) : كلام هذا الامام معقول ولكن تحكيم الادلة فى المذاهب يفضي الى تلاشيها اواستخلاص مذهب واحد ملفق منها ولعل هذا هو ما تريده من توحيد المذاهب الذي سميته الوحدة الاسلامية ولكن نفوس اكثر الفقهاء لا ترضى به لانهم كما قال العز بن عبد السلام جمدوا عليها جموداً غريباً أعمى كل متبع مذهب عن غيره ولا اعرف سر ذلك وحكمته ولعل لله تعالى حكمة فى حفظ الاسلام بحفظ هذه المذاهب

(المصلح) : الاسباب فى جمودهم ظاهرة وقد اوضحها الامام الغزالي والعز بن عبد السلام وغيرهما من الأئمة الذين لا تأخذهم فى الحق لومة لائم فمنها بالنسبة الى بعضهم المباراة والمماراة وحب الظهور وما يتعلق بذلك . ومنها المنافع والمرافق فى القضاء والافتاء والاوقاف والجرايات بالنسبة الى آخرين . ومنها الثقة والاطمئنان بالتربية العملية على المذهب والاقتصار عليه فى التعلم ثم فى التعليم والافتاء ومن طبع الانسان ان مايعتاد عليه زمناً طويلا يملك عليه امره ويؤثر فى نفسه تأثيراً يصرفها عن كل ما عداه الا أصحاب العقول الكبيرة والنفوس العالية الذين تكون الحقيقة ضالتهم والصواب وجهتهم وقليل ما هم . وأما الحكمة فى ذلك فهي ما نشاهد من تفرق المسلمين شيعاً وحرجهم وجعل بأسهم بينهم شديداً ودينهم واحد ينهى عن الخلاف والاختلاف كما قلنا مراراً . ولو اجتمع العلماء فى كل عصر وحكموا الكتاب والسنة فى كل ما استنبطه الأئمة والعلماء وعملوا وأرشدوا الى العمل بالارجح لما خرج بذلك أولئك الأئمة عن كونهم هداة الأمة ،

واصح ما يروى من ان اختلافهم رحمة ، لان الحقيقة تظهر من تصادم الافكار ، والصواب يؤخذ من اختلاف الانظار ، وبذلك يكون كل مسلم مهتدياً بكل امام من أولئك الأئمة من غير توزيع ، ولا قول بعصمة احد او استقلاله بالتشريع ،

(المقلد) : ان العز بن عبد السلام من أئمة الشافعية ويظهر من كلامه هذا انه كان يدعي الاجتهاد المطلق ولكن لم يدوّن مذهباً ولم يتبعه احد

(المصلح) : انه كان شافعياً ثم صار مجتهداً عن اهلية واستحقاق وهو ممن اتفق الناس على قوة دينه وغزارة علمه حتى قال الامام ابن عرفة المالكي : لا ينعقد للمسلمين اجماع بدون عز الدين بن عبد السلام يعني فى عصره لان الاجماع انما هو اجماع المجتهدين كما قالوه فى الاصول . وما كل مجتهد يدوّن مذهباً يحمل الناس على اتباعه وقد قلت غير مرة ان الائمة المشهورين لم يستنبطوا الاحكام ليحملوا الناس على تقليدهم فيها ولكن ليفتحوا لهم باب العلم . والذين ارتقوا الى مرتبة الاجتهاد المطلق بعد تدوين المذاهب وانتشارها أداهم اجتهادهم الى ارجاع الاقوال الكثيرة فى كل مسألة الى قول واحد وهو ما كان دليله اقوى ولو ألفوا فى ذلك لكان لهم مذهب يزيد به الخلاف اذ لا يمكن ان يأخذ به كل الناس ولذلك كانوا يحاولون اقناع العلماء بذلك ولو تسنى لهم هذا الاقناع لجمعوا كلمة المسلمين وهذا مطلب عزيز لا يصل اليه المسلمون الا بعد ان يشتغلوا بالعلم الصحيح مع استقلال الفكر اربعين سنة . ومتى نبتدئ بهذا ؟

وللجلال السيوطى رسالة فى ثلاث مسائل متعلقة بالاجتهاد إحداها هل الاجتهاد موجود الآن ام لا . والثانية هل الاجتهاد المطلق مرادف

للاجتهاد المستقل أو بينهما فرق . والثالثة هل للمجتهد ان يتولى المدارس الموقوفة على الشافعية مثلاً .قال « وكل من المسائل الثلاث جوابها منقول ومنصوص للعلماء بل ومجمع عليه لاخلاف فيه صادر من عالم وانما فيه نزاع ومكابرة من غير العلماء الموثوق بهم »

قال : «اما المسئلة الاولى فالجواب عنها من وجهين احدهما ان العلماء من جميع المذاهب متفقون على ان الاجتهاد فرض من فروض الكفايات فى كل عصر واجب على اهل كل زمان ان يقوم به بعضهم وانه متى قصَّرَ فيه أهل عصر بحيث خلا العصر عن مجتهد أثموا كلهم وعصوا باسرهم . وممن اشار الى ما ذكرناه الامام الشافعي رضى الله عنه ثم صاحبه المزنيّ وصنف اعني المزنى كتاباً فى ذلك سماه (افساد التقليد) وممن نص على ما ذكرناه من الفرضية وتأثيم اهل العصر باسرهم عند خلو العصر عن مجتهد نصاً صريحاً الماوردى فى اول كتابه الحاوي والروياني فى اول البحر والقاضى حسين فى تعليقه والزبيري فى كتاب المسكت وابن سراقة فى كتاب الاعداد وامام الحرمين فى باب السير من النهاية والشهرستانى فى الملل والنحل والبغوي فى اول التهذيب والغزالي فى البسيط والوسيط وابن الصلاح فى آداب الفتيا والنووي فى شرح المهذب وفى شرح مسلم والشيخ عزالدين ابن عبد السلام فى مختصر النهاية وابن الرفعة فى المطلب والزركشى فى كتاب القواعد والبحر . وذكر ابن الصلاح ان ظاهر كلام الاصحاب ان المجتهد المطلق هو الذي يتأدى به فرض الكفاية وأما المجتهد المقيد فلا يتأدى به الفرض

« فهؤلاء أئمة اصحابنا نصوا صريحاً على ان الاجتهاد فى كل عصر

فرض كفاية وان اهل العصر اذا قصروا فيه اثموا كلهم

« وممن نص على ذلك من ائمة المالكية القاضي عبد الوهاب فى المقدمات وابن القصار فى كتابه فى أصول الفقه ونقله عن مذهب مالك وجمهور العلماء والقرافى فى التنقيح وابن عبد السلام المالكي فى شرح مختصر ابن الحاجب وابو محمد بن ستناري فى المسائل المنثورة وابن عرفة فى كتابه المبسوط فى الفقه . وقد سقنا عبارات هؤلاء بحروفها فى كتاب (الرد على من أخلد الى الأرض) فليراجعه من أراد الوقوف عليه

(الوجه الثانى) ان جمهور العلماء نصوا على انه يستحيل عقلا خلو الزمان عن مجتهد الى ان تأتى اشراط الساعة الكبرى وانه متى خلا الزمان عن مجتهد تعطلت الشريعة وزال التكليف عن العباد وسقطت الحجة وصار الأمر كزمن الفترة . وممن نص على ذلك صريحاً الاستاذ ابو اسحق الاسفرايني والزبيري وامام الحرمين فى البرهان والغزالى فى المنخول ونقله ابن برهان فى الوجيز عن طائفة من الاصوليين ورجحه ابن دقيق العيد وابن عبد السلام من المالكيه فى شرح المختصر وجزم به القاضي عبد الوهاب فى الملخص واشار اليه الشيخ ابو اسحق الشيرازى فى اللمع وهو مذهب الحنابلة بأسرهم نقله عنهم ابن الحاجب في مختصره وابن الساعاتى من الحنفية فى البديع وابن السبكى في جمع الجوامع ، وقال ابن عرفة المالكى في كتابه في الفقه : قد قال الفخر الرازى في المحصول وتبعه السراج في تحصيله والتاج فى حاصله ما نصه « ولو بقي من المجتهدين والعياذ بالله واحد كان قوله حجة » قال فاستعاذتهم تدل على بقاء الاجتهاد في عصرهم . قال والفخر الرازى توفى سنة ٦٠٦ — هذا

كلام ابن عرفة

« وقد وجدت ما هو أبلغ من ذلك فذكر التبريزي فى تنقيح المحصول ما نصه : لا يعتبر فى المجمعين عدد التواتر فلو انتهوا والعياذ بالله الى ثلاثة كان اجماعهم حجة ولو لم يبق منهم الا واحد كان قوله حجة لانه كل الامة وان كان ينبو عنه لفظ الاجماع . وقال الزركشي فى البحر : قال الاستاذ أبو اسحق يجوز أن لا يبقى فى الدهر الا مجتهد واحد ولو اتفق فقوله حجة كالاجماع ويجوز أن يقال للواحد أمة كما قال الله تعالى « ان ابراهيم كان أُمة قانتاً » ونقله الصفي الهندى عن الاكثرين وبه جزم ابن شريح فى كتاب الودائع فقال : وحقيقة الاجماع هو القول بالحق فاذا حصل القول بالحق من واحد فهو اجماع . وقال إلكيا الهراسي : اختلف هل يتصور قلة المجتهدين بحيث لا يبقى فى العصر الا مجتهد واحد والصحيح تصوره »

ثم أجاب عن المسئلة الثانية بأن ابن الصلاح والنووى وغيرهما قالوا ان المجتهدين اصناف — مجتهد مطلق مستقل ومجتهد مطلق منتسب الى امام من الائمة الاربعة ومجتهد مقيد وان الصنف الاول فقد من القرن الرابع ولم يبق الا الصنفان الآخران . وأجاب عن المسئلة الثالثة بأن المجتهد المطلق المنتسب والمجتهد المقيد كلاهما يستحقان ولاية وظائف الشافعية مثلا « بلا خلاف بين المسلمين » اه ملخصاً

(المقلد) : أراك مطلعاً على ان أكابر العلماء حكموا بأن باب الاجتهاد المطلق المستقل قد أقفل من القرن الرابع فما بالك تطلب فتحه فى هذا الزمان

(المصلح) : انهم لم يقولوا بأن الباب أقفل وانما قالوا ان المجتهد

المستقل فقد وذلك أن العلماء الذين صاروا مجتهدين قد حصلوا الفقه على طريق الائمة الاربعة اذ لم يوجد غيرها ومنها ارتقوا الى درجة الاجتهاد المطلق فظلوا منتسبين الى الائمة الذين اشتغلوا فى أول الامر بمذاهبهم وقد كشفت لك آنفاً عن السبب فى عدم انشاء مذاهب جديدة لهم . ومن أراد أن يسلك سبل الاجتهاد المستقل من غير التزام طريقة واحد من الاربعة بعينه فعل . ومن هؤلاء الامام محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠ للهجرة ومذهبه أقوى المذاهب المعروفة دليلا ، وأقوم قيلا ،

﴿ باب الاسئلة والاجوبة ﴾

« معجزات الانبياء والاختراعات الجديدة »

(س) من محمد افندي على فى القاهرة : لماذا انحصرت معجزات الرسل فيما لا فائدة فيه للانسانية ؟ ولماذا لم يجر الله على ايديهم المكتشفات والمخترعات الحديثة والتى ستحدث حتى ينتفع بها النوع الانسانى ولايحرم منها اصحابهم والتابعون

(ج) الفائدة المقصودة من تأييد الرسل بالمعجزات هى اخضاع النفوس وجذبها للايمان بهم وفى الايمان بهم سعادتا الدنيا والآخرة وقد كانت المعجزات عقوبة لقوم معاندين كبعض آيات موسى عليه السلام فى مصر ورحمة لقوم آخرين كشفاء المرضى واحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام وكلا النوعين كان لحكمة لا بد منها فى سياسة البشر . واما المعجزة العلمية الادبية كالمعجزة الكبرى لنبينا عليه السلام فمنفعتها اجل المنافع وفائدتها اكبر الفوائد وهى باقية الى ما شاء الله تعالى راجع الدرس ٢٩

واما عدم اجراء الاكتشافات والاختراعات العلمية والصناعية على أيديهم فانها من الامور الكسبية التي يتوصل اليها البشر بجدهم واجتهادهم في عمران الارض وليس هذا من وظائف الانبياء كما علم من درس الامالي السابق . على ان كل اكتشاف واختراع لابد ان يكون مسبوقاً بمسائل علمية وعملية لا تحصل الا بالتدريج كما هي سنة الله تعالى في الخلق . فلو أن نبياً من الانبياء اخبر قومه بالتلغراف وشرح لهم كيفية انشائه لما عقلوه ، ولا تيسر لهم ان يصنعوه ، لانه يتوقف على ما لا يخفى من العلوم والاعمال الطبيعة والرياضية والميكانيكية . وان قلتم كان ينبغي ان يدعوهم الى مبادئ هذه العلوم لينتهوا الى غاياتها ثم يظهر لهم الاختراع . اقول كلا ان الواجب ان لا تضيع اوقات الانبياء في تعليم الناس ما يمكن ان يصلوا اليه بانفسهم بل الواجب هو ما قاموا به من ارشاد الناس الى ما بعثوا لاجله من ترقية الارواح وايداعها معرفة الله تعالى وحملها على عبادته وما يتبع ذلك من تهذيب الاخلاق فبذلك ترتقي عقولهم ويجتمع شملهم فيهتدون بالتدريج الى العلوم والمعارف التى يرتقي بها البشر في الدنيا ولو بعد حين

﴿ الجهر بالذكر والنوبة عند المتصوفة ﴾

(س) من محمد افندى محمود الرافعي في القاهرة : قال بعد ثناء طويل على المنار في خدمة الاسلام وتنبيه المسلمين إن مما أخطأ القوم فيه مسئلة التصوف واهله « وقرأت أخيراً جواباً في ذلك للخير الرملي اردت ان يطير به المنار ويعدنى بما يراه من الصواب » وهو

« سئل عما اعتاده السادة الصوفية رضي الله تعالى عنهم من اجتماعهم بمواطن الذكر وجهرهم بأنواعه وضربهم النوبة ونحوها بقصد التنبيه

فأجاب الخير الرملى ناقلاً بما حاصله : ان الامور بمقاصدها والشيء الواحد يتصف بالحل والحرمة باعتبار ما قصد له . وقد ورد من ذكرني فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه كما فى البخاري والذكر فى الملأ لا يكون الا عن جهر ولا يعارضه حديث « خير الذكر الخفي » لانه حيث خيف الرياء والأذية وطاب الاسرار والاجهار يختلف باختلاف الاشخاص والأحوال. وقوله تعالى « واذكر ربك فى نفسك » فآيته مكية كآية « ولا تجهر بصلاتك »

(ج) ان الذي يتصف بالحل تارة والحرمة أخرى لاختلاف القصد انما هو المباح فى نفسه فالعبادات المشروعة لا تكون حراماً والمعاصي المحظورة لا تكون حلالاً فان ساءت النية فى العبادة كأن راءى بها الانسان فالرياء هو الحرام لا العبادة نفسها وان قصد الانسان بالمعصية فائدة له او للناس فقصده لا يبيح له المعصية الا اذا تعارض ضرران لا بد منهما فيجب ارتكاب اخفهما . وقد اكمل الله تعالى لنا الدين فليس لنا ان نزيد فى عباداته ولا ان ننقص منها لا كماً ولا كيفاً فالاجتماع لذكر الله تعالى ومزجه بالعزف بآلات الطرب كالدفوف والمزمار والشبابة ونحوها بدعة فى الدين وزيادة عبادة لم يأذن بها الله تعالى فلا تباح بحسن القصد كما لا يباح لنا ان نخترع كيفية لصلاة التطوع بأن نسجد فى كل ركعة ثلاث مرات لاجل زيادة الخشوع مثلا . ولقد عمل الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بالدين على اكمل وجوهه فحسبنا ما صح نقله عنهم . واما ما ذكره من الجهر بذكر الله تعالى ودليله فهو حسن والله أعلم

« زيادة عدد النصارى على عدد المسلمين »

(س) من أحمد افندى الألفي في ابو كبير (شرقيه) : لماذا كانت امتنا الاسلامية اقل عدداً من الأمة المسيحية مع كفالة نظام تعدد الزوجات والطلاق عندنا بكثرة النسل . واظن ان انتشار المسيحية قبلها لايكون سبباً فى فقانها عنها فاليهودية قبلهما وعددها لا يذكر فى جانب عددهما

(ج) لا ريب فى ان السبب فى زيادة عدد النصارى هو انتشار دينهم قبل الاسلام وليست بالتوالد وحده فعندما كان المسلمون يعدون على الأنامل كان النصارى يعدون بالملايين ولا شك ان الاسلام نما نمواً لم يعهد مثله فى امة اخرى وذلك بكثرة من دخل فيه وبكثرة النسل فقارب عددالنصارى على اتصال الدعوة عندهم وانقطاعها عندالمسلمين منذ قرون . واما اليهود فانهم لا يدعون الى دينهم لانه خاص بشعب اسرائيل ولا يكاثر شعب واحد شعوباً كثيرة

باب التربية والتعليم

« تربية قوة الخيال . والتلطف فى مخاطبة الاطفال »(١)

(٣٣) من اراسم الى هيلانه فى ٢٢ ابريل سنة — ١٨٥

أرى ان « اميل » على ما وصفته لى قد حبّبت اليه بدائع الخيال وغرائبه وأنا مسرور بذلك مهما بلغت درجته فى نفسه لاني لا احب من الاطفال من كان مشككا مرتاباً فان الارتياب فيهم من دلائل نضوب قوتهم الخيالية وعقمها . ولست ادري ان كان حنين الانسان الى ما وراء

(١) معرب كتاب أميل القرن التاسع عشر من باب الولد

هذا العالم المشهود من اسباب شرفه او من أمارات خسته وكلا الامرين فى نظري سيان اذا كان هذا الحنين يرفع نفسه من حضيض هذا الكون المادي ويسمو بها الى ما يتمثل فى الخيال من معارج الكمال الروحي واني لأقاسمك الاسف على مايضيعه القائمون على الاطفال من قوة الخيال التى كانوا يجوبون بها مفاوز عالم الغيب وهم متعلقون بشعور جنيّاته . ذلك لان لله سبحانه حكمة فى قسمة المواهب بين الناس حتى فيما هو أشدها خطراً وهو المواهب الخيالية فلم يهبها لنا عبثاً فليس لنا أن نسعى فى إماتة قوة من قوانا لمجرد حكمنا عليها بأنها وهمية او خلو من الفائدة بل الاجدر بنا فى شأنها ان نطلب لها ما يقابلها ويوازنها فقوة الخيال مثلا سيأتيها الزمن بما يعارضها من قوة ملاحظة الحوادث الكونية وملكة التعقل والاستدلال فأستحلف المربين بحق الحياة وقدرها فى نفوسهم أن لا يقسروا من قوى الاطفال وأن لا يمحوا منها شيئاً فان الانسان لم يبلغ من الغنى بها حداً تزيد فيه عن حاجته .

ان لنا فى الكون لعبرة فلننظر الى حوادثه فاننا نرى جميع الموجودات فى حركة واضطراب وتغالب وجلاد ونموّ وازدياد ونشاهد أن القوى المتعاندة تزدوج فتولد نظاماً والفواعل المتباينة تأتلف فتوجد ملائمة ووئاماً فأيُّ ضرر يلحق الانسان اذا جرى فى تربية نفسه على هذا المثال . اه

(٣٤) من اراسم الى هيلانه فى ٢٣ ابريل سنة — ١٨٥

اليك مكتوباً « لاميل » فى طيّ مكتوبى لك وهو :

ولدي العزيز :

لقد أبهجني مكتوبك الذى ارسلته الىّ وانشرح به صدرى كثيراً

غير انى أنبهك الى ان هناك طريقة أخرى للكتابة هى الى الكلام اقرب من طريقتك اليه وأحثك على المبادرة الى تعلمها فاسأل والدتك أن تعلمك طريقتها فى قرآءة رسومي القلمية التى تغاير رسومك بعض المغايرة . فى نفسي امور كثيرة اروم الإفضاء اليك بها فهل لديك ماتحب ان تكاشفنى به فاني على عدم تمتعي حتى الآن برؤيتك مشغول الفكر بك عامر الفؤاد بحبك فاذا وافتنى كلمة منك استبشرت بها وهشت لها نفسى ولست ادري كيف اصف ما اجده من الفرح لو منّ الله عليّ بلقائك فضممتك الى صدرى . اهـ

« التعليم فى بلاد سيرالون — مدرسة اسلامية فى فوله »

لاتوجد بلاد اسلامية اعطي اهلها حرية فى التعليم كالبلاد التى استعمرها الانكليز . وقد عرب المؤيد عن بعض الجرائد مقالة عن مسلمي (فوله) من بلاد سيراليون الانكليزية على سواحل القاموس الاطلاطنيقى من غربى افريقيا جاء فيها انهم مجتهدون فى التربية والتعليم وانهم كانوا منذ عامين انشأوا مدرسة صغيرة فنجحت نجاحاً دعاهم الى انشاء مدرسة كبيرة وقد احتفلوا بوضع الحجر الاساسي لهذه المدرسة احتفالا اجاب الدعوة اليه الحاكم الانكليزي العام واركان حربه وعدد كثير من المسلمين وغيرهم فقابل مدير المدرسة ووكيلها الحاكم العامّ بالحفاوة وقدم اليه الاساتذة وأنشد التلامذة أمامه النشيد الوطني ووضع الحاكم الحجر الاول بيده ثم خطب (الفاسنوسى) وكيل المدرسة خطبة شكر فيها للحاكم عنايته بحضور الاحتفال وذكر ان لهذا تأثيراً فى تعظيم شأن المدرسة ثم ذكر ان

مبدأ النشأة العلمية هو ارشاد الدكتور بليدن الذى جاءهم فى سنة ١٨٧١ وحثهم على نشر العلم وهو اليوم مدير المدارس الاسلامية . ثم خطب الحاكم وشكر للخطيب حسن ظنه به وذكر ان تلك الساعة احسن الساعات عنده لرؤيته مبدأ تقدم اهل المستعمرة المسلمين . ومما قاله

« واقول لكم انني اعتبر المسلمين فى هذه البلاد من اكبر العناصر المهمة التي يجب الاعتناء بها لانهم اذكياء ذوو حمية ونشاط ولهم صفات خاصة بهم واخلاق مستحسنة وسجايا مرتقية عن سجايا غيرهم »

ثم صرح لهم بان الحكومة مستعدة لمساعدتهم فى كل وقت على التعليم واعداد أولادهم لخدمة البلاد تحت نظرها ونصح لهم بان يجتهدوا فى ذلك قائلاً « ان الزمن الذى كان يرتقي فيه الانسان بالقوة والسلاح والحسب والنسب قد مضى وجاء الزمن الذى لايفلح فيه الا المتعلم على حسب مايقتضيه ويناسب الامم المرتقية فيه »

ثم وعد بان سيكتب للماجور (ناثان) الذى ساعدهم على تأسيس المدرسة الصغرى مبشراً له بنجاحها لانه يسر بذلك وقد اوصاه بهم عندما لاقاه فى انكلترا . وقال ان الدكتور (بليدن) سيقوم بالواجب عليه من المساعدة « ولكن انتم المسؤلون عن النجاح الحقيقي فانه منكم يطلع ، واليكم يرجع وعليكم يسطع ، فيجب عليكم أن لاتتوانوا ولا تكسلوا فالوقت قصير ، والعمل كثير ، واعتمدوا دائماً على مساعدتى واهتمامي بكم ورغبتى فى خيركم ومصلحتكم »

قال : ولا بد لى قبل ختام القول من الاشارة الى شيء مهم انبهكم عليه وهو انني رأيت المسلمين منقسمين الى أحزاب مختلفة يدابر بعضهم بعضاً ويسؤني ان أرى هذا ولا ارى لي وسيلة لازالته والتوفيق بينكم

لانه ليس من شأن الحكومة فيجب عليكم التدبر فى حل عقد الخلاف باقرب الوسائل لجمع كلمتكم . وما أردت بهذا ان أشعركم بما يؤلمكم لأُ كدّر صفوكم وانما هى فرصة سنحت لانصح لكم وانتم تعلمون ان المسلمين هنا يجب ان يكونوا جسماً واحداً ولا ينبغي ان يكون بين أعضاء الجسم الواحد اختلاف لان كل واحد يؤدي وظيفته لمنفعة الجسم كله . واعلموا انكم اذا اختلفتم وتنازعتم فشلتم وضعفتم واذا اتحدتم واجتهدتم تنجحون ويرتفع شأنكم وتحقق آمالكم وآمال الحكومة فيكم . ثم ختم خطابه بالشكر لهم على حسن استقباله فهتفوا جميعاً بالدعاء له

آثار علمية ادبية

﴿ تهنئة الامير حبيب الله خان ، بامارة الافغان ﴾

لحضرة العالم الاديب الشيخ أحمد جيتيكر من فضلاء بمباي (الهند)

سرى عنكِ الأسى يانفس طيبي ... فقد جاء البشيرُ بنشر طيب
وعادت نضرة الايام حتى الـ ... ـقفار اليوم كالروض الخصيب
وغنَّتْ كل روض بالتغنّي ... بتشبيب المهنئ والنسيب
وتغريد الفواخت مطرباتٍ ... يجاوبها غناء العندليب
نعم عمَّ المراح فراح غمٌّ ... طرا بكوارث اليوم العصيب
ومدَّ يد النشاط بساط بسط ... ونزهت الصدور من الكروب
فيا بشرى بها الآمالُ تحيا ... أتت تشفي القلوب من الوجيب
وطوبى اذ بدا نجم المعالى ... عقيب خفاء نجم فى مغيب

وما نجمٌ له مثلٌ ولكن يعبِّر عن بعيدٍ بالقريب
زها عرش الخلافة اذ علاه (حبيبُ الله) محبوب القلوب
فهلتِ العساكرُ من رجال وخيلٍ قد ملأنَ فضا الجيوب
وكبرت المدافعُ مطلقاتٍ تدندن وهى تغني عن نقيب
وحيَّا كلٌّ حىٍّ بالتهانى وجمعِ الشمل ألخان الخطيب
علا فعلا به العرش الثريَّا بأسنى من سناها والثقوب
فتى جمٌّ المحاسن ليس تحصى ومن يحصي النجوم سوى الحسيب
أغرُّ الوجه ذو صدر رحيب طويل الباع ذو الكف الوهوب
ذكيٌّ الخلق مرضىٌّ السجايا نقىٌّ الجيب عن كل العيوب
محبته سرت فى كل قلب ففاح شذاه كالمسك الرطيب
فتى قد وجهَ الآمال حتى حدقن حوال ناديه الرحيب
ودان له الأدانى والأقاصى وهان له الصعاب من الشعوب
نشا فى معشر خشُن فلانوا لأخشنَ منهمُ كفاً اريب
وأعلمَ بالعواقب والمبادي وأبصرَ بالشواهد والغيوب
وأسخى من اخي طيٍّ عطاءً وأرسخ من همالي[1] فى الخطوب
ارسطو حكمة جمشيدُ جاهاً ورستم حين يُدعى للحروب
تجلى والعفافُ له شعارٌ فآثره على البرد القشيب
تقلد بالامارة وهو سيفٌ يضيءُ فرندُ جوهره العجيب
بهِ شبَّتْ ذوائبها فأعجبْ بعود شبابها بعد المشيب
اتاها وهى من عهد قديم أبت الا مواصلة الحبيب

(١) جبل فى الهند من أعظم جبال الارض

فواصلها وأيدها وزيراً (بنصر الله) ذى الرأي المصيب
هما كالفرقدين بغير فرق وصنوا المجد من اصل نجيب
وكالعينين فى شخص بصير وانسانين فى عيني طبيب
وكالدُّرين من عقد ثمين وكالزهرين من غصن رطيب
وكالشجرين بالوادى استنارا بنور قد علا نور الخضوب
فبورك فيهما أصلا وفرعاً ومَن مِن مغرس ذاك الخصيب
وزاد ضياء (كابل) بالامير الْ حبيب وبالوزير له اللبيب
وعمَّ ممالك الافغان طرًّا سعادة نائب[1] وسنا المنيب
ليهنكما أيا قمران ذا المل ك والتدبير خالدَىِ الرتوب
وزادكما إلهُ العرش ايداً بنصر منه والفتح القريب
وجدَّد فى ظلالكما ارتقاء الْ علوم وسائر الفن الغريب
ولا عدم اعتناءكما مديحي أتيت به باخلاص المنيب
وليس الشعرُ من دأبى ولكن لأمر مَّا وسمت به نصيبي
به الاسلام اخدمه عسى أن يصادف دعوتى نظرُ المجيب
رجائى منكما حث اعتزامي وسنَّى لي الى العليا ركوبى
فدام علاكما بالعز والجا ه ماكرَّ الطلوع على الغروب
واذ فاق الامارة فليؤرخ تفوَّقت الامارة بالحبيب
سنة ١٣١٩ ٩٨٦ ٢٧٨ ٥٥
وقلنا حين زاد الملك حسناً اضاء الملك نصرٌ بالحبيب
سنة ١٣١٩ ٨٠٣ ١٢١ ٣٤٠ ٥٥

---

(١) المراد به الوزير بحسب اصطلاحهم

وقل بالفارسية مستطيباً زهي شاهو خوشا ماهِ جيبي (كذا)

سنة ١٣١٩ ٢٢ ٣١٢ ٩٠٧ ٤٦ ٣٢

اديبُ وآخراً أرّخ دعاءً وفاقُ الملك ضوعف بالحبيب

سنة ١٣١٩ ١٨٧ ١٢١ ٩٥٦ ٥٥

﴿ رثاء أمير افغانستان ﴾

« من نظم الشاعر الناثر مصطفى افندى صادق الرافعي »

يا فاجع الموت ماذا ينفع الحذر وقد عهدناك لا تبقي ولا تذر
جنت يداك ازاهير الورى فهوت كما تناثر من اوراقه الزهر
وما بمانعهم ما قدّروا وقضوا فان كل قضاء فوقه قدر
ليس الجبان بمغنيه تذلله ولا اسود الشرى ناب ولاظفر
وفى الجديدين للاحياء موعظة وما مواعظ دهر كله عبر
يالهف «كابل» اذ فاجأت كافلها وقد تركت قلوب القوم تنفطر
فجعتها وفجعت العالمين بها حتى النجوم وحتى الشمس والقمر
وجئت ضيغمها الضاري بمخلبه فلم يواثبك ذاك الضيغم الهصر
كم كان يُزجي المنايا للعدا زمرا حتى بعُثن له من ربه الزمر
وكان يأتيه ريب الدهر معتذرا فاليوم عنه صروف الدهر تعتذر
والمرء ان عضه ناب الحمام ثوى لا البيض مانعة عنه ولا السمر
وما تبسم للأيام مختبل الا تفجع بالايام مختبر
والدهر يومان يوم كله كدر لاصفو فيه ويوم بعضه كدر
سلوا المآثر عنه فهى خالدة فى كل قلب له من حبه اثر

واستخبروا الشرق ماللشمس كاسفة فما جهينة الا عندها الخبر
وفى ذهاب (ضياء الدين) مظلمة هيهات تكشفها الاوضاح والغرر
ماشبّ فى غيرِ الاحداث فكرته الا أضاءت له الاحداث والغير
ومدفع الغرب فى ايدى عصابته كباتر الهند بالافغان يفتخر
فلو رأى الكوكب السيار خاطره ماكان يسليه الا انه بشر
ولو روى الفلك الدوار حكمته لأمست الشهب فيه كلها سور
ياشامخاً دكه ريب المنون اما اه تز الحطيم وركن البيت والحجر
طارت بنعيك للاسلام بارقة فانهل دمع بنى الاسلام ينهمر
وذي قلوبُ الورى من حرجارحها كأن نار الوغى فيهن تستعر
فما لأنباء هذا السلك خائنة حتى المدامع خانت سلكها الدرر

قضايا غرام ، فهل من محام

قال الشيخ تاج الدين محمد بن عبد المنعم التنوخي المعرى الاصل الدمشقي المتوفى سنة ٦٦٩

ماضر قاضى الهوى العذريّ حين ولي لو كان فى حكمه يقضي عليّ ولي
وما عليه وقد صرنا رعيّته لو انهُ مغمدٌ عنا ظبَى المقل
يا حاكم الحب لا تحكم بسفك دمى الا بفتوى فتور الأعين النجل
وياغريم الأسى الخصم الألدّ هوًى رفقاً عليّ فجسمى فى هواكَ بلي
أخذت قلبى رهناً يوم كاظمة على بقايا دعاوٍ للهوى قِبلى
ورمت مني كفيلا بالأسى عبثاً وانت تعلم انى بالغرام مَلي
وقد قضى حاكم التبريح مجتهداً عليّ بالوجد حتى ينقضي اجلي
لذا قذفت شهود الدمع فيك عسى ان الوصال بجرح الجفن يثبتُ لي

لا تسطونَّ بعسَّال القوام على ضعفى فما آفتى الا من الأَسل
هددتنى بالقلى حسبى الجفا وكفى «انا الغريق فما خوفى من البلل»

ولغيره

عيناه قد شهدت بأنى مخطىء وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتّئدْ فى قتلتى فالخط زور والشهود سكارى

ولنا فى ايام الدراسة والطلب

اتيت قاضى الهوى اشكوه مظلمتى اذ لج بي منه هجران وتبريح
ولي شهيدان قلب خافق فلق ومدمع دافق فاضت به الروح
فقال مالك فى دعواك بينة فالعين نمامة والقلب مجروح

الاخبار التاريخية

«الصدر الاعظم»

توفى الصدر الاعظم خليل رفعت باشا وكان لين العريكة ضعيف العزيمة – او كما قال المؤيد – لم تكن له ارادة مع ارادة مولاه السلطان ونقول على كل حال تغمده الله برحمته التى وسعت كل شيء

وقد أقرّ مولانا السلطان الاعظم أيد الله دولته ، وانفذ بها شوكته، عيون الامة العثمانية إذ عهد بمنصب الصدارة العظمى الى ابن بجدتها وأبى عذرها صاحب الدولة والفخامة سعيد باشا الصدر الاسبق فهو خير وزراء الدولة فى هذا العصر واكبر رجالها والاتراك يكنونه بأبى الامة. وفقه الله تعالى لما فيه نجاح الدولة العلية وترقية الامة العثمانية آمين

« أمنية في اصلاح مراكش »

كنا تمنينا لو يستعين سلطان مراكش على اصلاح بلاده الاداري والحربي بمولانا السلطان الاعظم . ولما اتصلت بنا الاخبار فى هذه الايام عن الاضطراب فى بلاد مراكش وامتداد عنق فرنسا بل يدها اليها وقع فى النفس فجأة أمنية لو تحققت لكانت كافية فى الامداد والاسعاد — تمنينا لو يكون صاحب الدولة مختار باشا الغازي هو الوزير الاول المفوض لسلطان المغرب . فمن لنا بأن يعتقد ذلك السلطان اعتقادنا ويطلب هذا الرجلَ العظيم من اعظم سلاطين المسلمين

« الاحتفال السنوي للجمعية الخيرية الاسلامية »

سيكون هذا الاحتفال فى هذه السنة فى ٢٥ شعبان وهو أنفع الاحتفالات التى تكون فى مصر وأبهجها وابدعها والناس يقبلون عليه اكثر مما يقبلون على غيره من الاحتفالات الأخرى . وهذا من دلائل الشعور بالمنافع العمومية الذى انبثَّ فى نفوس المصريين

واذا كان نجاح الاعمال الاجتماعية ، والسعي فى المصالح العمومية ، هما البرهانان على كمال الرجولية ، فلا شك انه لا يوجد عندنا برهان على رجولية احد الا القائمين بأمر هذه الجمعية . وحظ كل مصري من الكمال بقدر مساعدته لهم ومعاونته اياهم والمساعدة على قدر الاستطاعة وكل امرئ أعلم بمبلغ استطاعته فلينظر فى درجة كماله

« امرأة خير من رجال »

يصفون من تأخر البلاد ويذكرون من ضعف الامة وتقهقرها . والبلاء الذى يخشى ان يفضي الى الفناء لانه مثار كل شقاء هو كون كل

فرد منا لا يفكر الا فى امر نفسه ومن هو كنفسه كزوجته وولده الصغير وعدم الاهتمام بامر الامة والعمل لمصلحة البلاد . وما افضل الناس من ينقطع الى طلب العلم ليعيش به ولا من ينقطع للعبادة ليعظم ويكرم فى الدنيا او فى الآخرة ولا من يسميهم الناس عظماء وامراء وانما افضل الناس انفعهم للناس لأن الانسان خلق اجتماعي فمن يخدم الجامعة تكون ارقى فى الانسانية ممن لا يخدم الا نفسه بل ذلك هو الانسان وما سواه حيوان

ومن البلاء ان من يوفق من اغنيائنا لبذل شيء من المال فى المصالح العامة يضعه فى غير موضعه فاما ان يبنى مسجداً حيث تكثر المساجد وتزيد على عدد المصلين فيكون كمسجد الضرار مفرقاً لا جامعاً وإما ان يبنى زاوية او تكية تكون مأوى للكسالى والبطالين وإما أن يوقف عقاراً على عمل ضارّ يعده الجهلاء نافعاً كبناء الاضرحة والقباب عليها . ومما حدث فى هذه البلاد التى انشأت تستنشق نسيم الحياة الاجتماعية ان امرأة برّةً من ناحية المطيعة التابعة لاسيوط اسمها (الحاجة بخيتة) بنت محمود قد وقفت لأعمال خيرية بذلت فيها المال حيث ينبغى ان يبذل اذ بنت فى بلدتها مسجداً ومكتباً لتعليم القرآن وعقائد الدين وأحكامه ورتبت النفقات الكافية لهما وللعلماء المدرسين فى مدينة أسيوط وأوقفت عشرة افدنة من اطيانها على الجمعية الخيرية الاسلامية مساعدة لها على تعليم أولاد فقراء المسلمين ، واعانة الضعفاء والبائسين ، وقد كتب اليها صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ورئيس الجمعية كتاب شكر هذا نصه :

مصر : فى ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣١٩ عدد ١٧١

حضرة السيدة بخيتة بنت محمود

بلغنا من حضرتى الفاضلين عبد الرحمن بك حسنين النميس وحسين بك فهمى ان الله قد أرشدك وهدى قلبك الى وقف عشرة افدنة على الجمعية الخيرية الاسلامية ليكتبها الله لك فى سجل أعمالك الصالحة الباقية فحمدنا الله تعالى على ان جعل فى بلادنا من النساء الخيرات من يسبقن الرجال فى فضائل الاعمال وانا نشكره جل شأنه على نعمته ونشكرك على عملك الفاضل وقد عرضت هذا العمل على أعضاء الجمعية فكلفونى بان اشكرك بالنيابة عنهم كما شكرتك بالاصالة عن نفسى واسأل الله ان يكثر فى المسلمين من أمثالك والسلام (التوقيع)

من بلّغ المرأة الفاضلة كتاب الرئيس ؟ ذهب صاحب السعادة احمد باشا حشمت مدير اسيوط الى بلدها فى طائفة من اهل الفضل والوجاهة فى اسيوط منهم عبد الرحمن بك النميس وحسين بك فهمى والدكتور احمد افندى السعيد طبيب مدرسة الجمعية الخيرية فى اسيوط والشيخ عبد الرحمن احمد احد أساتذتها والخواجه دوس المطيعى . فتلقاهم اهل البلدة بالحفاوة وساروا بهم الى دار المحسنة الفاضلة فرحبت بهم أحسن ترحيب . وابتدأ المدير بالثناء عليها وفضلها على جميع نساء الوطن وعلى كثير من رجاله . ثم خطب صاحب العزة حسين بك فهمى خطبة نافعة بين فيها للحاضرين مكانة هذه المرأة الفاضلة وفضل عملها المبرور . وقد لقبها صاحب السعادة احمد حشمت باشا (بست البلد) وأمر الحاضرين بأن يطلقوه عليها ثم انفضوا مسرورين . ولنا ان نقول لأغنيائنا الاشحة

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

أمثلة لطفولية الامة

قلنا غير مرة ان أمتنا كالطفل فى الحياة الاجتماعية واوضحنا هذا فى مقالتين نشرتا فى آخر المجلد الثانى من المنار عنوان احدهما «طفولية الامة . وما فيها من الحيرة والغمة» وعنوان الثانية «الحيرة والغمة . ومناشئهما فى الامة» . ومما نقوله كثيرا بمناسبة ذكر التعليم الذى تحيا به الامم : ان أمتنا لما تشرع فى التعليم الابتدائى وانما يصح ان يكون الزمان قد أعد جماعة منها الى مايسمونه (القسم التحضيري) الذى استعد او يستعد للتعلم الابتدائى فى مدارس الاجتماع . وانا نذكر ههنا ثلاثة امثلة على طفولية الامة نلقنها لاهل هذا القسم التحضيرى

(المثال الاول شركة الاقتصاد الاسلامية)

لا شك ان الشركات من اكبر الدروس الاجتماعيـة العملية وقد أراد جماعة من القسم الذى نسميه تحضيرياً أن يبتدؤا بدرس الشركات بعد ماتعلموا العلوم العالية فى مدارس الحكومة وبعضهم تعلم فى أوروبا وأخذوا الشهادات فى اللغات وعـلوم الاقتصاد والحقوق وغيرهما وكان منهم الموظفون والمحامون . فسنوا لهم قانوناً وألفوا شركة وجعلوا لهم جمعية عمومية ومجلس ادارة ثم جمعوا من السهام مبلغاً من المال

ماذا عملوا بعد ذلك ؟ عملوا عمل العجائز والزمنى الذين لا يقدرون على التصرف بانفسهم اذ اشتروا ببعض المال سهاماً من بعض الشركات الاجنبية العاملة كشركة الماء وشركة الاسواق ثم علم بعض المشتركين بان

اسعار السهام قد نزلت بعد حرب الترانسفال فطلب بعضهم مادفعه فاخذه بعد امساك الشركة ما اصابه من الخسارة . وصبر الآخرون راجين ان يقوم مجلس الادارة بعمل آخر يربح ما يعوض الخسارة ولكن المجلس حار ولم يدر ماذا يعمل ثم دعا الجمعية العمومية للمشاورة فى حل الشركة فحلوها على خسارة ثلاثين فى المائة فمن لم يحضر فعليه ان يذهب الى مكتب امين الصندوق عزتلو محمد بك فريد المحامى ويأخذ ما بقي له

وهذه العبرة لا تقضي علينا باليأس من الاعمال الاجتماعية وانما تقوى الرجاء لانه مر علينا زمن لا نفتكر فيه بهذه الاشياء حين كنا كالجنين وقد ارتقينا فصرنا كالطفل يحاول المشي فيقع بين كل خطوة واخرى ولا بد ان يكون رجلا ان شاء الله تعالى

(المثال الثانى مجلة الموسوعات)

سمعنا ان مجلة الموسوعات انشئت لمباراة مجلة المقتطف واغناء المصريين او المسلمين عنها وكان يكتب على ظهرها انه يحررها لجنة من اعاظم الكتاب ولا شك ان لجنة من اعاظم الكتاب اقدر على الافادة والاجادة من كاتب او كاتبين ولكن المجلة سارت الخَوْزَلى ثم القَهْقَرَى ثم عثرت فسقطت . وهذا لا يصح ان يكون ايضاً مدعاة لليأس فما هو الا طفل تحرك بروح حية ويرجي ان يقوم ويمشى بعد ذلك ان شاء الله تعالى

(المثال الثالث رجال الصحافة فى مصر)

الجرائد مدارس اجتماعية واصحابها وكتابها كمديرى المدارس ونظارها واساتذتها . ونراهم على ذلك يتسابون ويتشاتمون ويتخاصمون ويتنازعون

كالاطفال لا كما يكون من اختلاف آراء الرجال ، والعبرة الكبرى فى الحادثة الاخيرة من حوادثهم وهى ان أصحاب الجرائد اليومية اقترحوا على الحكومة ان تأذن لهم بارسال مكاتبين يرافقون موكب سمو الخديوى فى زيارته للسودان ، ليكتبوا أخباره لجرائدهم عن عيان ، واحتجوا على الحكومة بان هذا معهود فى أوربا فارادت الحكومة ان تعرفهم انه لا فرق بينها وبين حكومات اوروبا وانما الفرق العظيم بينهم وبين اصحاب الجرائد فى اوربا فعهدت الى أصحاب الجرائد العربية بانتخاب واحد منهم ينوب عنهم فاجتمعوا أولاً فى ادارة جريدة المؤيد وارتأوا أن يدعوا جميع أصحاب الجرائد الاسبوعية لمشاركتهم فدعوهم واجتمع من حضر فى ادارة جريدة الاهرام فاقترح بعضهم أن يكون المنتخب من اصحاب الجرائد الاسبوعية فتنازعوا واختصموا وخرج البعض مغضباً ثم اجتمعوا فى ادارة المقطم فكانوا اكثر خصاماً ونزاعاً وخلابة وخداعاً ثم انقسموا الى طائفتين خرجت طائفة من المجلس ومنها جميع المسلمين وصاحب جريدة مصر القبطية ومدير جريدة الرائد المصرى السوري واما الذين بقوا فى المقطم فهم سوريون الا صاحب جريدة الوطن فهو قبطي وانما ذكرنا اجناسهم وملاهم لان لذلك دخلاً فى النزاع والاختلاف . ثم انتخبت كل طائفة مندوباً من اصحاب الجرائد الاسبوعية وعرضوا الانتخابين على نظارة الداخلية فارسلته الى حكومة السودان او للحربية لاجل الترجيح ثم استقال كل من المنتخبين واختارا محرر جريدة اسبوعية اخرى فاجاز ذلك منتخبوهما وبذلك انحسم النزاع

الجزء التاسع عشر — المجلد الرابع

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق ﴾

(مصر فى يوم الخميس غرة رمضان سنة ١٣١٩ — ١٢ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠١)

باب المقالات

﴿ فلسفة وعرفان . فى الصيام والايمان ﴾

الصوم والناس . العبادة . معرفة الله . البعث . جاهلية المدنية الاوربية . التكوين حسب العلم العصرى الموافق للقرآن . الحياة والبقاء . الارواح . الحاجة الى الدين . الاسلام والمدنية . شكوى المسلمين . دعوة المرتابين الى الحق

أقبل شهر الصيام فرحّب به المؤمنون ، وتبرَّم منه المنافقون ، واستهان به الزنادقة المارقون ، فالمؤمن فى صيام وصلاه ، وصلة وزكاه ، وبرٍّ ومواساه ، وعكوف على كتاب الله ، والمنافق فى كذب ومداجاه ، واسرار يخالف ما أظهره وأبداه ، يستخفي بافطاره من الناس ولا يستخفي من الله ، كأنه لا يعلم انه يبصره حيث كان ويراه ، والمارق المرتد يجاهر بالافطار ، وتمد له الموائد فى نصف النهار ، فيأ كل الطعام ويشرب العقار ، ويفجرُ مع امثاله من الفجار ، ضلال مع اصرار ، لا ندم يعقبه ولا استغفار ، اولئك هم الفاسقون ، « كلا سوف يعلمون ثم كلا سوف يعلمون »

« قُتِلَ الانسانُ ما أَكْفَرَهُ ، من أيّ شيءٍ خلقه ؟ من نطفةٍ خلقه فقدَّره ، ثم السبيلَ يسّرَه ، ثم أماته فأقبرَهُ ، ثم اذا شآء أنشرَه ، كلاّ لمّا يقضِ ما أمره ، » أمره بالصلاة فكسل ، وأمره بالزكاة فبخل ، وأمره بالصوم فشرب واكل ، ولو عرف الله ، لآثر طاعته على شهوته وهواه ، ولو عرف نفسه لعرف ربَّه ، وابتغى رضوانه وقربه ، وارتقى بذلك عن اللذة الحسية البهيمية ، الى اللذة الروحانية الانسانية ، فصلى طلباً لمرضاته ، وتلذذاً بمناجاته ، وصام ابتغآء وجه ربه الأعلى ، الذي يعلم الجهر وأخفى ، « كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون »

نعم لكل موجود ممكن وجهان — وجهٌ الى عالم الكون والفساد الذي تفنى عن قريب صوره ، ويمحى أثره ، ووجهٌ الى الوجود الحق الذي استفاد وجوده من وجوده ، واستمدَّ ما به بقاؤه من كرمه وجوده ، اذ هو « الذي أعطى كل شيءٍ خلقهُ ثمَّ هدى » ، « أيحسبُ الإنسان أنْ يتركَ سُدًى ، ألمْ يكُ نطفةً من مَنِيٍّ يُمْنَى ، ثم كان علقةً فخلقَ فسوَّى ، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى ، أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ، ؟

بلى . ان الكيماويَّ يحلل بعض الاجسام المركبة ويرجعها الى عناصرها البسيطة فتراها قد فنيت وتلاشت ثم يعيدها بالتركيب الى شكلها الأول فتراها خلقاً جديداً — هذا والكيماويُّ رجل مثلك يشكو الجهل والضعف « وما اوتيتم من العلم الا قليلاً » أفرأيت الحيَّ الذي استمد الحياة منه كل الاحيآء ، القيُّوم الذي قامت بقدرته الأرض والسمآء ، يعجز عن فعل ذلك بك وهو الفعّال لما يريد « أَفَعَيِينَا بالخلق الأول بل هم فى لَبْسٍ من خلق جديد »

هؤلاء الزنادقة المرتابون فى النشأة الأخرى الذين تركوا الصوم والصلاة واتبعوا الشهوات يتوكؤن فى هذا العصر على العلم الطبيعي فى ارتيابهم أو جحودهم وهم أعرق فى الجهل به من امثالهم فى زمن الجاهلية الاولى فان علمهم الطبيعي ينطق بأن العدم المحض محال ، وان الاعدام والايجاد ابطال صوَر واشكال وتجديد صور واشكال ، وان هذه الكواكب السماوية وهذه الارض كانت كلها مادة واحدة منتشرة كالدخان والهباء ثم انفتق رتقها فكانت أجراماً كروية متعددة ثم نشأ فى هذه الارض وهى احداها ما نراه فيها من العوالم الحية وغير الحية. وكان كل ذلك الابداع والاحكام ، بترتيب كامل ونظام ، يدل على انه صادر عن علم وحكمة ، وارادة وقدرة ، « أوَلَم يرَ الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون »

عرفوا قليلا من ظواهر اشكال هذه المخلوقات وقواها وخواصها وعرفوا أن اعلاها واكملها المخلوقات الحية وان اكمل الاحياء منها الانسان أفلا يدلهم هذا على ان الحياة التى بها قوام اكمل المخلوقات ، هى اكمل الموجودات ، وعلى ان كمالها فى مراتب الوجود بالنشوء والارتقاء يدل على رسوخها فيه ؟ واذا عرفوا هذا وضموه الى علمهم بان اجزاء المادة التى لا حياة لها لاتقبل عدم المحض وانما تحل منها صورة فتدخل أجزاؤها فى تكوين صورة اخرى من المخلوقات الحية — الا ينتج لهم مجموع هذه المعارف ان الحياة التى تلابس المادة الميتة فتجعلها خلقاً جديداً تنمو وترتقي أجدر بالبقاء ، واولى بالارتقاء ، لا سيما هذا الانسان ، الذى هو اكمل ما فى هذه الاكوان ، بلى « والتين والزيتون ، وطور سنين ، لقد خلقنا

الانسان فى احسن تقويم . ثم رَدَدناه أسفل سافلين . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون ، فما يكذِّبك بعدُ بالدين ، أليس الله باحكم الحاكمين »

حياة الاحياء معلومة بالضرورة لا تحتاج الى دليل . وان ما به الحياة مجهول فى كنهه وحقيقته معلوم بأثره . وان اكمل مراتب الحياة واعلى درجاتها هو ما كان من اثره العلم والحكمة والارادة وهو مايسمى باللغة العربية روحاً . وان أفراد الارواح متفاوتة فى الارتقاء كما ان أنواع جنسها (وهو مابه الحياة) متفاوتة كما قلنا آنفاً . وان اعلى الارواح رتبة واكملها هو ماكانت علومه ومعارفه اعلى واكمل . وان اكمل المعارف والعلوم هو ما كان موضوعه اعلى واكمل ، واثره انفع وافضل ، وان ذلك هو معرفة الله تعالى الذى منه مبدأ كل هذه الوجودات واليه مرجعها اذ هو الحيُّ القيوم بنفسه الذى حي وقام به غيره لان قيام الاشياء وثبوتها وحياة الحىّ منها لم يكن بالمصادفة والاتفاق ولا يصح أن يكون علة لنفسه لئلا يكون سابقاً عليها ولا ان يكون سببه عدمياً لان العدم لا يتصور فكيف يخلق ويُصوِّر ؟ ويلى معرفة الله تعالى معرفة سننه فى خلقه وشرائعه التى يصلح بها امر عباده فى ارواحهم واجسادهم وهى ما يسمى العمل بها عملاً صالحاً . وانما صلاحه بكونه انفع للناس وافضل كما ثبت بالنظر والتجربة . ولهذا جعل تعالى الفلاح وهو الفوز بسعادة الدنيا والآخرة مقروناً بالايمان وهو معرفة الله تعالى وبالعمل الصالح الذى به تصلح النفوس والشؤون ، « قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون » الآيات

اذا تسنىَّ للانسان ان يعرف بطول الزمان وتقلب الحدثان ما به

تصلح شؤنه الدنيوية فى افراده ومجموعه من غير ان يسترشد بالوحي الذى هو تعليم الهي يفيض من عين الكرم والفضل على بعض الارواح العالية التى يُعدّها الله لذلك فهل له من سبيل الى معرفة ما يصلح به الروح ليرتقى بذلك الى حياة أعلى من هذه الحياة؟ فانه يعتقد بان العدم محال وان الارتقاء سنة من سنن الوجود . ثم ان كل فرد من افراده يوقن مع ذلك بان وجوده الحاضر سيبطل ويفنى أفلاَ يتعين عليه إذن ان يؤمن بنشأة اخرى وحياة ثانية كما اخبر النبيون والمرسلون « أفحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا تُرجعون »

الحق اقول : ان الانسان كان قريباً من العجماوات وانه لم يصعد فى مراقي الوجود بهذا التدريج البطىء الا بهداية أفراد خصهم البارئ الحكيم بالالهام الصحيح واوحى اليهم روحاً من امره اقدرهم به على هداية الناس فى كل طور بقدر استعدادهم . وان هؤلاء الاوربيين الذين يتوهمون هم ومقلدوهم المخدوعون بمدنيتهم انهم وصلوا الى ما وصلوا اليه من معرفة المصالح والمنافع فى شؤن الحياة الدنيا بأنفسهم من غير استرشاد بشىء من الوحي قد كذبوا فى وهمهم وضلوا فى حسبانهم فانهم ما وصلوا الى ذلك الا بعد ما اقتبسوا من الدين اصوله ومبادئه وكثيراً من فروعه ومقاصده واعتبروا بتاريخ الانسان ايام لا هادي له الا الدين وقد صرح بعض فلاسفتهم بأنهم اخذوا استقلال الفكر واستقلال الارادة من الاسلام وهما اصل كل تقدم ونجاح . وكذلك الاعتبار بسنن الكون ونواميس الطبيعة والاعتماد على ثباتها وعدم تغييرها ولا تحويلها فهو مأخوذ من القرآن وان لم يهتد به كما يجب اهل القرآن . وقل مثل ذلك فى الحكومة

الشوروية وجعل الحكومة بمعرفة الامة وتحت سلطتها فهذا اصل ارتقائهم السياسيّ كما ان ما قبله اصل ارتقائهم العلمي وهو مأخوذ من الاسلام وان لم يعمل به المسلمون حتى صاروا حجة على دينهم وعلى كل دين كما تقدم بيانه فى المنار مراراً

اذا كان كل خير أصابه الانسان فى دنياه متصلا نسبه بهداية الدين فهل يستغني هذا الخلق الضعيف عن ارشاد الدين فيما يتعلق بحياته الاخرى أليس له فى هذه الحياة حواس ومشاعر يستعين بها فى شؤونها وليس له مثل ذلك فى اعداد نفسه وتأهيلها لتلك؟ فتبصر يامن اغواه التفرنج فى امرك واعلم انه قد دلاّك بغرور، وقذفك فى تَهوُّر، واستعبدك للشهوات، وهبط بك الى دركة الحيوانات، فقسد بأسك، وضاع وطنك وجنسك، فخسرت الدنيا والدين، وذلك هو الخسران المبين،

أنت تشكو من سوء الحال، وضياع الاستقلال، واختلال الاعمال، وتلتمس لذلك الاسباب، وتطرق للخروج منه كل باب، ولكن الانغماس فى الشهوات جعل على عينيك غشاوة وفى سمعك وقراً فانت الآن لا تسمع ولا ترى فان استطعت ان تكسر من سَوْرة هذه الشهوات وتفل من حدّها وتنفلّت من عقُلها وتنطلق من قيودها فتكون انساناً مستقلاً فحينئذ يسهل عليك ان تعرف كيف ذلّتْ امتك بعد عزها وضاعت بلادها بعد منعتها ويسهل عليك السعي فى تلافى ذلك. ولاسبيل لك الى الخلاص من ذلك الرق والاستعباد الا بالدين فارجع اليه وأقم اركانه، وشيد بنيانه، وها أنت ذا فى الشهر الذى شرعه الدين لتأديب الشهوات، والتغلب على العادات، وجعلِ النفس الأمّارة بالسوء خادمة مأمورة،

وملكة الرذائل والشرور أمةً خاضعة مقهورة ،

شرعتُ فى الكتابة قاصداً بيان فضل الصائمين ، والنعي على المفطرين من المسلمين الجغرافيين ، ثم بدا لي ان المسلم لا يفطر فى رمضان عامداً متعمداً الا اذا كان مرتاباً فى اصل الدين غير مؤمن باليوم الآخر ولهذا أطلت فيه المقال بالنسبة الى هذا المقام فمن كان مؤمناً بالله واليوم الآخر مسلّما بالدين عالماً ان فيه الفلاح والسعادة ، واسترجاع ما فقدنا من السلطان والسيادة ، فليؤدب بالصوم نفسه ويكتسب به ملكة الحكم عليها فبذلك يحفظها فى الدنيا من اكثر الامراض لانها انما تنشأ من الافراط فى الشهوات ويتبع هذا حفظ العرض والمال والاستعانة على تربية الاولاد . ويحفظها فى الآخرة بما يعطيه الصوم من النور الروحانى بمراقبة الله تعالى وحبه ، والرغبة فى رضوانه وقربه ، وبما فى الصوم من تهذيب النفس وتزكيتها واعدادها بهذا الترقي المعنوى لنعيم ذلك العالم الاخروي وقد بينا منافع الصوم الروحية والجسدية فى مقالتين نشرتا فى المجلد الثانى من المنار تحت عنوان (الصيام والتمدن) فليراجعهما من شاء (ص ٦٧٣و٦٩٥)

ومن كان فى شك من دينه فعليه ان يطيل البحث والسؤال ، من غير مراء ولا جدال ، ولا يغرّنه ترك أمته الاوربيين للدين فان الدين الذى تركوه ليس دين زمنهم ولم يكونوا يعرفوه على وجهه الذى كان عليه المسيح عليه السلام لأن دين المسيح هو دين اليهود ما نسخ على لسانه الاقليل من أحكامه وزاد فيه بعض حكم ونصائح فكان ممهداً بذلك للدين العام الذى كان أهم وظائفه البشارة به والذى قال عن صاحبه أنه روح الحق الذي يبين للناس كل شيء . ولا يغرنه أيضاً سوء حال المسلمين المخذولين الفاسدي

الاخلاق فانه ليس لهؤلاء من الاسلام الا الاسم ، ولا حظ لهم من كتابه الا التبرك بالتلاوة والرسم ، فهم بعدم القيام بحقوق القرآن كالذين قال الله تعالى فيهم « مَثَلُ الذين حُمّلوا التوراة ثم لم يَحملوها كمثل الحمار يَحمل أسفاراً بئسَ القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين » والمنار قد بين بعدهم عن الاسلام فى جميع أجزائه فنقم عليه بعضهم أنه يعيب المسلمين وعذره فى ذلك انه يعظم الاسلام ويمدحه ويبين حقيقته وهذا يتوقف على الازراء بمن أهانوه بانتسابهم اليه حتى نفَّروا الناس منه

فى الايمان سعادة الآخرة وسعادة الدنيا فيا أيها الشاكُّون ويا أيها الجاحدون تعالوا أبين لكم الحق واكشف لكم الشبهات عن وجهه لا تَهْلِكوا وتُهْلِكوا امتكم بالاسوة السيئة . اتقوا الله فى انفسكم وفيمن تجرؤهم على هدم اركان الاسلام وانتهاك حرماته وخذوا بالاحتياط ان كنتم تعقلون

﴿ السياسة والساسة ﴾

ما السياسة ومن الساسة ؟ — السياسة من جملة علوم أستاذها الفلك الدائر الذي حضر فى حلقته الأولون والآخرون . واستفاد من نظامه العلماء والجاهلون . فان ارتباط المسببات بالأسباب ما عرف باديء بدء الا بتعريف هذا الاستاذ الاعظم . وليست السياسة الا البحث عن احوال العالم المجتمع وأسباب تغيرها . واتخاذ كل طائفة أسباب السمو على غيرها بحسب اعتبارها . وما الساسة الا علماء هذه الاسباب وخطباء هذه المعاهد

قلت الفلك الدائر . ولعلي اغربت وابعدت . ولكن ليس كل إغراب

محرماً فى شرع البيان . بل أنا لم اغرب ولم ابتدع ولكننى اتبعت المثل السائر الذي شاع ضربه وتصريفه فى ارتفاع قوم وسقوط آخرين . ألم تسمعوهم يقولون : فلك دوار يعلي وينزل .

الفلك لا يعلي ولا ينزل ولكنه كناية عن النواميس والطبائع التى هو ابوها الاقدم . لا تسل ما هو هذا الفلك الدائر . ولكن سل ماهى هذه النواميس والطبائع ؟ — هذه النواميس هى الاحكام الثابتة للكائنات فى بساطتها وتركيبها . هذه الطبائع هى المزايا الراسخة للموجودات على ماهي . هذه هى التى ان ظهرت تمجد آثارها . وان بطنت تسبح اسرارها . هذه التى تجلت للانسان فصار وحيداً بين اقرانه الحيوانات وسلطاناً على عوالم الارض وما الانسان لولا انكشافها له الا كبعض هذه الحيوانات السوائم . بل ما الحيوان لولا انكشاف شيء يسير منها له الا كهذا النبات النامى .

قف عند هذه النواميس ان شئت واصعد ان شئت بعقلك الى بارئها جل جلاله . اسند الآثار اليها ان شئت واسند ان شئت لبارئها تعالى كماله . قل مثلا : النار محرقة او المحرق بارئ النار سبحانه . وقل المطر تنزله الاسباب او تنزله الملائكة باذن البارئ ما اعظم سلطانه . لا نناقشك فى هذا لانا رأيناك لا تمد يدك الى النار خشية من احراقها ووجدناك تتناول الاغذية والاشربة رجاء اشباعها واروائها ولم نرك تأكل وتشرب العبارات . فلا تناقشنا انت على تعبيرنا . بل ان كان قريباً وجب حقه عليك . وان كان غريباً فالامر فى تركه اليك . وان استصعب عليك اخذ المقصود من هذه النبذة فدعها لغيرك وخذ انت غيرها :

السياسة علم احوال الامم . علم احوال الامة الواحدة . علم احوال النفس . ليست هذه ثلاثة علوم متغايرة بل ثلاث درجات متلاصقة . يطلق هذا الاسم على كل واحدة منها . هن ثلاث درجات لا يرسخ العالم فى واحدة منها الا أن يحيط نظره بالباقيتين . ويصح ان يقف فى واحدة منها اذا تمكن فيها قدمه ويكون معيناً لمن وقف فى غيرها

من هذه الدرجات الثلاث يكون رقيّ الامم على ايدي علمائها الى مناط السعادات . ويكون جلى المآرب دانياً لها . والذين عدموا علماء لهذه الدرجات واقفون فى الدون . راضون بالهون . يشرف عليهم الاعلون اشراف الطائر ذي الاجنحة على الدواب الزواحف ومتى شاؤا التقفوها غذاء وزقوا بها افراخهم

هذه هي السياسة وستسألون ايها القوم ما ذا أعددتم منها أمام المناظرين . وستحاسبون وقد احصيت احوالكم ، واستمعت اقوالكم ، وشوهدت فِعالكم ، هل لكم مواقف فى هذه المعارج ؟ هل اقتطفتم شيئاً على هذه المراقي ؟ هل ساوت مناكبكم مناكب اهل المواكب ؟

السلامة جنة فيها غرفات ، والسياسة كسياج فيه ابواب : منها باب التربية والتعليم ، ومنها باب معرفة طبائع الاقاليم ، ومنها باب معرفة الزمان وأهله ، واختبار حلوه ومره ، وحزنه وسهله ، ومنها باب معرفة ما كان ، فى غابر الازمان ، ومنها باب تأليف القلوب ، وجمع القبائل والشعوب ، ومنها باب الحذر من الخصوم ، وقهرهم بالمدافعة او بالهجوم ، ومنها باب المداراة والمداجاة ، ومنها باب التحرش والمفاجاة ، ومنها باب التفقه فى الحكم وهو باب الابواب ، ولب اللباب ، فأنتم مسئولون أي الابواب

معكم مفتاحها ، وأي الغرفات معكم مصباحها ، هل انتم داخل الابواب ام خارجها ؟ هل انتم ضربتم السياج عليكم وغلقتم الابواب ؟ ام ضربوه دونكم وصدكم الحجاب ؟

يسألونك لمن السياسة اليوم ؟ — السياسة لمن علت همتهم فجابوا من الارض البحر والبر ، وعرفوا من الناس الفاجر والبر ، ومن الطبائع النفع والضر ، .. السياسة لمن نفذت عزيمتهم فرضخ لسلطانهم اليمّ ، واستكان لبعض تدبيرهم الجوّ ، وناجتهم الارض دالّةً اياهم على غوامض اسرارها ، وخفايا كنوزها ، وخافتهم النفوس فسكنت لاحكامهم ، وترجتهم العقول فتعلقت بمعارفهم ، .. السياسة لمن يعرفون اسباب القوة ، ويعاؤون التصرف بالضعيف ،

أنا لم أمدح قوماً معينين ولكني عرفت اوصاف الذين بيدهم مقاليد السياسة العظمى فمن وجد ما يعارض به كلامي فليفعل

وأنا لم أنفِ بهذا كل معرفة وخير عن قوم معينين ولكني أبين ولا حرج فأقول : إنا ايها المسلمون اعتدنا ان نستهزئ بالاسباب كثيراً وبهذا خسرنا ما خسرنا

فبينا نسوس الناسَ والأمر أمرُنا اذا نحن فيهم سُوقَةٌ نتنَصَّفُ

أفليس من استهزائنا بالاسباب استهزاؤنا بالافراد الذين يريدون اصلاحاً ؟ وهل الذين نهضوا بالامم الاخرى الا افراد أمثالهم ؟ ومن ظن ان هنالك سبباً لخسراننا غير استهزائنا بالاسباب فليقل فأية سياسة لنا اذا كنا نستهزئ بالاسباب ؟ هذا ما عندي والسلام على النظام العام

دمشق ع . ز (تتبعها مقالة)

القسم الديني

﴿ باب الاحاديث النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

ننشر فى هذاالباب مايعرف به المسلمون اصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التى ذهبت بتركه

«الامراء والحكام ونوع الحكومة الاسلامية»

(١) قال صلى الله عليه وسلم : «من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم ان فيهم اولى بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله وجميع المسلمين» . فهل امراؤنا وعمالنا اعلمنا بالكتاب والسنة

(٢) وقال صلى الله عليه وسلم : «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما احب اوكره مالم يؤمر بمعصية فاذا أمر بمعصية فلا سمع عليه ولاطاعة» افلا يكفر اكثر المسلمين اليوم من يدعوهم الى العمل بهذا الحديث المتفق عليه

(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : لاطاعة لأحد فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم : من ارضى سلطاناً بما يسخط ربه خرج من دين الله

(٥) استقيموا لقريش ما استقاموا لكم فان لم يستقيموا لكم فضعوا سيوفكم على عواتقكم ثم ابيدوا اخضراءهم» . أليست هذه سيطرة فعالة للامة على الامراء والحكام ، فمن اين جاءت السلطة المطلقة فى الاسلام ؟

أليس ملوك المسلمين أولى بان يعاهدوا الامة عند المبايعة على تحكيمها

---

(١) رواه مسلم وابو داود عن ابن عباس (٢) رواه احمد والشيخان واصحاب السنن الاربعة عن ابن عمر (٣) رواه الشيخان وابو داوود والنسائى عن علي (٤) الطبرانى والحاكم عن عبادة ابن الصامت (٥) رواه الامام احمد عن ثوبان

فى دمائهم اذا خالفوا شريعتها من ملوك الانكليز الذين يبيحون لمجلس الامة دماءهم اذا خالفوا قوانين البلاد وتقاليدها المتبعة ؟ بلى لأن المسلمين ملزمين بالعمل بالشريعة وتقييد السلطة للدين والدنيا معاً بخلاف اولئك

(٦) وقال صلى الله عليه وسلم : اسمعوا هل سمعتم ؟ سيكون بعدي امراء (فى غير هذه الرواية هنا زيادة يكذبون ويظلمون) فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم واعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد على الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم ولم يصدقهم بكذبهم فهو مني وانا منه وهو وارد على الحوض

(٧) وقال صلى الله عليه وسلم : «سيكون عليكم ائمة يملكون ارزاقكم يحدثونكم فيكذبونكم ويعملون فيسيؤن العمل لا يرضون منكم حتى تحسنوا قبيحهم وتصدقوا كذبهم فاعطوهم الحق ما رضوا به فاذا تجاوزوا فمن قتل على ذلك فهو شهيد» . فانظروا كيف حكَّم الامة بالائمة والامراء وجعلها هى المعطية وهى المانعة وأمرها بالخروج عليهم اذا لم يرضوا بالحق وعد المقتول فى هذا السبيل شهيداً فهل يقول احد بعد ان نوع الحكومة فى الاسلام غير معروف ؟ ألا يجب تربية الامة على الاستقلال لتقيم به هذا الركن

﴿ آثار السلف ، عبرة للخلف ﴾

(الخطبة الاولى للخليفة الاول رضي الله عنه)

لما بويع ابو بكر صعد المنبر فنزل مرقاة من مقعد النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال . أما بعد ايها الناس فقد وليت عليكم

(٦) رواه الترمذي وصححه والنسائى وابن حبان عن كعب بن عجرة ورواه غيرهم عنه وعن غيره (٧) رواه الطبرانى عن ابى سلالة وله طرق اخرى

ولست بخيركم لوددت ان قد كفانى هذا الامر احدكم

اعلموا ايها الناس أن اكيس الكيس التقى وان احمق الحمق الفجور الا أن الصدق عندى الامانة والكذب الخيانة وان اقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وان أضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه انما انا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فاعينوني وان زغت فقوّموني وحاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا ولا يدع قوم الجهاد الا ضربهم الله بالفقر ولا ظهرت الفاحشة فى قوم الا عمّهم الله بالبلاء فاطيعوني ما أطعت الله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . أقول قولي هذا واستغفر الله لى ولكم . وفى رواية قوموا الى صلاتكم(١)

قوله رضى الله عنه « وان زغت فقوّمونى » قد اقتدى به عمر بن الخطاب رضي الله عنه من بعده فى عبارته المشهورة « من رأى منكم فيّ عوجاً فليقوّمه » وعثمان رضى الله عنه فى قوله « أمري لامركم تبع » وقد روي عنهم مثل هذا كثيراً وكان يوعظون قولاً وكتابة فيحمدون من يعظهم ويأمرهم بالخير . على هذا بنيت الخلافة الاسلامية فهدم ركنها بنو امية وحاولوا جعل السلطة مطلقة أو استبدادية وساعدهم من بعدهم على ذلك بالتدريج وساعد الملوك بعض الفقهاء فجعل لهم من السلطة والتصرف المطلق ما لم يجعله لهم الدين . وكان اول من جاهر بالمنع من نصيحة الملك أو الخليفة جهراً عبد الملك بن مروان فقد قال على المنبر « من قال لى اتق ضربت عنقه » فضعف بهذا امر الشورى وبطلت سيطرة الامة على

(١) ملخص من رواية البيهقى عن الحسن وابن اسحق عن أنس باسناد قال ابن كثير انه صحيح . والدينورى عن عبد الله بن عكيم . و فى بعض الفاظها اختلاف

امرائها فاستبدوا وجعلوا بأس الامة بينها شديداً وحارب بعضهم بعضاً لاجل الفتوح والغاب وازالة سلطة وإدالة اخرى منها حتى حل بالمسلمين ماهم فيه من البلاء المبين

« الخطبة الاولى للخليفة الثاني رضى الله عنه »

عن سعيد ابن المسيّب قال : لما وُلي عمر بن الخطاب خطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس اني قد علمت انكم كنتم تؤنسون مني شدة وغلظة وذلك أني كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عبده(١) وخادمه وكان كما قال الله تعالى « بالمؤمنين رؤف رحيم » فكنت بين يديه كالسيف المسلول الا أن يغمدني او ينهاني عن امر فأكفّ والا اقدمت على الناس لمكان لينهِ فلم ازل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك وأنا به اسعد . ثم قمت ذلك المقام مع ابي بكرٍ خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد علمتم فى كرمه ودعته ولينه فكنت خادمه كالسيف بين يديه أخلط شدتى بلينه الا ان يتقدم اليّ فأكفّ والا أقدمتُ فلم ازل على ذلك حتى توفاه الله وهو عني راض والحمد لله على ذلك كثيراً وأنا به اسعد

ثم صار امركم اليّ اليوم وأنا اعلم فسيقول قائل كان يشتدُّ علينا والامر الى غيره فكيف به اذا صار اليه . واعلموا انكم لا تسألون عني احداً فقد عرفتموني وجربتموني وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت وما اصبحت نادماً

(١) وقع في هذه الرواية لفظ عبد وهو لم يعهد منهم وان كان مفسراً بالخادم فلعله حكي بالمعنى

على شيء اكون احب أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه الا وقد سألته . فاعلموا أن شدتي التي كنتم ترون قد ازدادت أضعافاً اذا صار الامر اليّ على الظالم والمعتدي والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم واني بعدشدتي تلك واضع خدي بالارض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم . واني لا آبى ان كان بيني وبين احد منكم شيء من احكامكم ان امشي معه الى من احببتم منكم فلينظر بيني وبينه احد منكم فاتقوا الله وأعينوني على انفسكم بكفها عني وأعينوني على نفسي بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر واحضاري النصيحة فيما ولاني الله من امركم . ثم نزل[1]

وعن الحسن قال : ان اولّ خطبة خطبها عمر حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بى وخلفت فيكم بعدصاحبي فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا وليناه اهل القوة والامانة فمن يحسن نزده حسناً ومن يسيء نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم[2]

فانظروا كيف وطن نفسه على قبول تحكيم من يريدون منهم اذا كان لأحد عليه حق وكيف وطنها على قبول الامر بالمعروف والنهى عن المنكر . فاذا وفق الله امراءنا وحكامنا للاهتداء بهديهم والسير على سنتهم فان الدين يعتز بالخلف كما اعتز بالسلف ونكون من المفلحين . وظاهر ان هذين الخليفتين العادلين ماسارا هذه السيرة من انفسهما وانما تعلماها من النبى صلى الله عليه وسلم ومن أدلة ذلك الاحاديث السابقة ومثلها كثير .

---

(١) رواه أبو حسين بن بشران فى فوائده وأبو أحمد الدهقان فى الثانى من حديثه والحاكم واللالكائي . (٢) رواه ابن سعد والبيهقي . ولعل كل راو ذكر من الخطبة شيئاً مما حفظه بمناسبة اقتضت ذلك

﴿ باب العقائد من الأمالى الدينية ﴾

تتمة الدرس (٣١) فى شبهات على وظائف الرسل وأجوبتها

المسئلة (٧٦) شبهة على الوظيفة الثالثة — يقولون ان الاديان السماوية الثلاثة لم تتفق أيضاً فى أمر الآخرة فبعضها يجعلها روحانية محضة وبعضها يجعلها للناس انسانيـة يتمتع فيها الناس بلذات الروح والجسد جميعاً وبعضها ينكر الزواج فيها ويخالفه الدين الآخر فيقول ان فيها ازواجاً مطهرة عما يعهد من النساء فى الدنيا وبعضها يقول ان الحساب على الاعمال يكون فى الدنيا وبعضها يقول ان ذلك يكون فى الآخرة بعد الموت

والجواب عن هذه الشبهة يعلم من تقرير هذه الوظيفة ومن الجواب عن الشبهة الاولى ومن مقدمة الدرس (٣٠) وهو تحكيم القرآن المنقول بالتواتر الصحيح كل كلمة من كلماته وكل حرف من حروفه وجعله هو الاصل وتأويل ما يخالفه اذا أمكن والحكم بعدم صحة روايته اذا لم يمكن . فاذا فرضنا صحة ما نقل عن السيد المسيح عليه السلام من قوله عن أهل الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فالمجال فى تأويله واسع من حيث ان كلام المسيح كان أمثالاً وألغازاً وهذه الاناجيل التى تحكي شيئاً من تاريخه وكلامه تدلنا على انه كان يقول القول فلا يفهمه تلامذته فاذا أخذوه على ظاهره يسمعون بعد ما يخالف ذلك الظاهر فيتبين لهم خطأ فهمهم وفى العهد الجديد دلائل كثيرة على ان الدعاة الاول الذين يسمونهم الرسل كانوا يظهرون للضعفاء خلاف ما عليه الامر فى نفسه بحسب العلم . ومنه تصريح بولس فى (٨ كور) بان العلم يقتضى عدم ضرر اكل ما ذُبح للاوثان وان هذا الاكل لا يبعد عن الله وعدمه لا يقرب منه ولكن الاكل يعثر

الضعفاء أي يوقعهم فى عبادة الاوثان . وذكر فى الباب (٩) الذى بعده انه صار لليهود كيهوديٍّ ليربح اليهودَ ويجذبهم الى اعتقاده . فالكتب التى بنيت على هذا الاساس لايصح ان يؤخذ كل شيء فيها على ظاهره وان فرضنا انه نقل عن اصحابها بنصه على انه لم ينقل الا بالمعنى وبعض الاناجيل لاتعرف اللغة التى كتبت بها يقيناً . وهل يصعب على اهل هذا الكتاب الذين أوَّلوا قول المسيح انه ينقض الهيكل ويبنيه فى ثلاثة أيام بانه يموت ويعود بعد ثلاث أن يأوِّلوا قوله لايتزوجون ؟

لتأويل هذا النفي وجوه منها تعيين المراد بلفظ الملكوت فقد ورد هذا اللفظ فى أمثال كثيرة للسيد المسيح عليه السلام واشهرها عند النصارى يوم مجيئه ومحاسبة الناس (يوم الدينونة) ويقولون أنه يكون فى الدنيا قبل فناء عالمها كما تقدم فى الشبهة . وقد اخذوا هذا من ظواهر الاقوال وان لم تصح كلها فقد روى متى انه قال بعد ما ذكر آيات مجيئه « الحقَّ اقول لكم لا يمضي هذا الجيل حتى يكون هذا كله » وهو تصريح بأن الملكوت يأتى قبل انقضاء ذلك الجيل ولم يبهم عليهم الا اليوم والساعة وقال انه لا يعلم بهما أحد الا الله وحده . ثم ضرب لهم مثلاً لذلك أيام نوح والطوفان قال « لانه كما كان الناس فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويتزوجون ويزوّجون الى اليوم الذي دخل فيه نوح الفلك ولم يعلموا حتى جاء الطوفان واخذ الجميع كذلك يكون مجيء ابن الانسان » فالظاهر ان المسيح أراد أن يخوّف الرجل اليهودى الذي سأله عن المرأة التي تزوجت باثنين لايّهما تكون فى الملكوت ويبين له ان ذلك يوم عظيم ينقطع فيه الزواج وانه يجب الاستعداد له ولم يخبره بما يكون بعده من النعيم

لئلا يتمادى فى الغرور . ومن اكبر النعيم ان يكون للانسان زوج يسكن اليها وذلك أولى من شرب الخمر الذي صرح باثباته فى قوله بعد ان اخذ الكاس وشكر واعطاهم وامرهم بالشرب « وأقول لكم انى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى » والحاصل ان للملكوت مبدأ وهو يوم الحساب وهو الذي لا أكل فيه ولا شرب ولا زواج وله غاية وهي كما فى آخر (٢٥ متى) عن المسيح « فيمضي هؤلاء الى عذاب أبدي والابرار الى حياة أبدية » وفى ذلك اليوم يشرب الخمر مع تلامذته وكل ما يناسب الخمر من اللذات الجسدية فحكمه حكم الخمر . وقد ورد فى القرآن العزيز احكام عن ذلك اليوم متناقضة فى الظاهر متوافقة فى الحقيقة لان بعضها محمول على وقت الحساب كقوله تعالى « فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون » وبعضها محمول على وقت آخر كقوله تعالى « فيومئذ لا يُسألُ عنْ ذنبهِ إنسٌ ولا جانٌّ » وللجمع بين الآيتين وجه آخر

ومن وجوه تأويل نفي الزواج فى الآخرة على تقدير صحة نقله انه ليس كما يكون في الدنيا لان الحياة الآخرة طور اعلى من هذه الحياة فتشبيهها بها فى القرآن يشبه ان يكون تمثيلا وتقريباً لها من بعض العقول الضعيفة قال تعالى فى رزق الجنة « وأُتوا به متشابهاً . ولهم فيها أزواج مطهَّرَة » وقال عز وجل « فلا تعلم نفسٌ ما أُخفيَ لهم من قرَّة أعين » وفى الحديث ان فيها مالا عين رأتْ ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . وقال بعض علمائنا ان كل ما ورد فى أمر الآخرة فهو من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها الا الله تعالى

م (٧٧) شبهة على الوظيفة الرابعة — ويقولون ان وظيفة تهذيب الاخلاق وتزكية النفوس مما يجب ان تتفق فيه الاديان الالهية ولا نرى فيه بين المسيحية والاسلامية الا الخلاف فكل من كتب عن المسيح أثبت انه كان يأمر بترك الدنيا والاعراض عنها بالمرة مع ان القرآن يعدُّ الاستخلاف والسيادة فى الأرض أثراً من آثار الايمان والعمل الصالح. وأثبتوا ايضاً ان المسيح كان يأمر باذلال النفس واهانتها والقرآن يعدّ عزة النفس من صفات المؤمنين او من خصائصهم. وأثبتوا ايضاً ان المسيح كان يقول ان الغني لا يدخل ملكوت السموات والاسلام يفضل الغنيّ الشاكر على الفقير الصابر كما رجحه الامام النووي فى شرح صحيح مسلم وغيره — ومثل هذا الخلاف كثير

والجواب عن هذه الشبهة ان نقول ان مجموع تلك النقول الواردة فى المعانى التى ذكر فيها الخلاف تثبت فى الجملة ان السيد المسيح عليه السلام كان يأمر بالمبالغة فى الزهد والتواضع وربما جآء فى بعض العبارات المنقولة عنه بالمعنى ما لم يقله فيخرج بذلك الكلام الى الغلوّ الذي لا يرضاه. والحكمة فى تلك المبالغة ان اليهود الذين بعث فيهم والرومانيين السائدين عليهم كانوا قد غلوا فى حب الدنيا والانغماس فى شهواتها والتهتك فى لذاتها غلوًّا كثيراً وتناهوا فى الكبريآء والعنجهية وعتوا عتوًّا كبيراً. والقاعدة الحكيمة ان من يدعو المتغالي فى شيء الى الاعتدال فيه يبالغ فى ضدّ ذلك الشيء فكان بهذا ممهداً لدين الاسلام الذي وضع قواعد الاعتدال من أول الأمر لأن العالم الانساني فى مجموعه كان قد استعد لذلك فى الجملة. ولا شك ان دين الله تعالى

واحد ومقصد الانبياء الدعاة اليه واحد فاذا أردنا أن نفرق بينهم
ونقول هذا دين مستقل ليس مبنياً على سابقه ولا يتصل به لاحقه فهناك
الجناية على الجميع واذا جعلنا المسيح مصدقاً لما بين يديه من التوراة ومبيناً
لليهود بعض الذي يختلفون فيه بسبب التمسك بالظواهر والمحافظة على الرسوم
والتقاليد وجعلنا محمداً مصدقاً لموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ومبيناً
للناس كافةً حقيقة دين الله تعالى فى كل زمان بفضل زيادة وبيان استعد
لهما بالارتقاء نوع الانسان فتلك هى الخدمة الصحيحة للدين «آمن الرسولُ
بما أُنزل اليه من ربهِ والمؤمنون كلٌّ آمن بالله وملائكتهِ وكتبه ورُسله
لا نفرّقُ بين أحد من رُسله وقالوا سَمِعنا وأطعنا غفرانك ربَّنا واليك
المصير» . «يا أهلَ الكتاب تعالَوْا الى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينكم أن لا نعبدَ
الا اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دونِ الله فان
تولَّوْا فقولوا اُشهدوا بأنَّا مسلمون»

(٧٨) شبهة على الوظيفة الخامسة — ويقولون : ان القوانين الوضعية
هى احسن وأصلح من الشرائع التي تنسب الى الديانات السماوية فان احكام
التوراة لا تصلح لأن تحكم بها الامم المرتقية فى مراتب المدنية والشريعة
الاسلامية كذلك ولولاه لم يتركها الملوك والامراء المسلمون ويستبدلوا
بها القوانين الاوربية فى غير ما يتعلق بالدين والاعتقاد الا الامراء الذين
لا يزالون فى طور البداوة او الهمجية كبلاد مراكش فانهم يحكمون فيها
بالشريعة الاسلامية وهم بذلك أبعد عن العدالة وحفظ الحقوق من اهل
مصر الذين يحكمون بالقانون . وان المسلمين فى مصر يشكون من المحاكم
الشرعية ما لا يشكون من المحاكم الاهلية النظامية

والجواب عن هذه الشبهة ظاهر لمن عرف دين الاسلام وما اشتملت عليه شريعته من العدالة والقسط وما عليه اكثر القائمون عليها من الفساد والجهالة والظلم والغواية . أما الشريعة اليهودية فانما كانت لشعب خاص الى زمن محدود ثم نسخت فلا يحتج بعدم صلاحيتها الآن

الشريعة الاسلامية ترجع احكامها كلها الى حفظ خمسة اشياء يسمونها الكليات الخمس وهي حفظ الدين الذي يهذب الاخلاق ويزكي النفوس وحفظ الدم وحفظ العرض وحفظ العقل وحفظ المال . وهذه الاركان مبنية فيها على اساس العدل والمساواة بين المحكومين بها من غير تفرقة بين من يدين الله بها ومن يدينه بسواها . قال تعالى فى شأن اليهود « وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين » وقال عز وجل « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقربُ للتقوى » اي لا يحملنكم بغض بعض الناس على عدم العدل بل اعدلوا فى العدو والصديق والقريب والبعيد ، وقال تعالى « يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والأقربين ان يكنْ غنياً او فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلوُوا او تعرضوا فانَّ الله كان بما تعملون خبيرا » وسيرة الخلفاء الراشدين شاهدة بأنهم اعدل من حكم فى الدنيا ولم يكن لهم علم الا ماجاءهم به الدين ، لانهم كانوا من قبله أميين ،

ثم احدث المسلمون لعلم الشريعة اصطلاحات وألفوا فيها المصنفات كما هو الشأن فى كل العلوم المدونة واشترطوا فى القضاة ان يكونوا مجتهدين ليستنبطوا الاحكام الجزئية حافظة للعدل والمساواة فى تلك الامور الكلية ، ولكن اكثر المسلمين ابوا بعد ذلك الا ان يقولوا ان الاجتهاد قد اغلق بابه ،

واسدل حجابه ، وان الاحكام انما تؤخذ من عبارات المؤلفين المتقدمين والفاظهم فما وافقها فهو العدل ، وما خالفها فهو الظلم والجهل ، ثم تلاعبت بالكثيرين منهم الاهواء ، واستبداد السلاطين والامراء ، وكان من ذلك ماكان ، وهو مانشاهد اثره الآن ، وهذا الذى قلته لايخفى على بصير عرف التاريخ فان اللورد كرومر وكيل انكلترا السياسي فى مصر قال يوم مشكلة المحاكم الشرعية وعزم الحكومة المصرية على ندب بعض القضاة الاهليين لاصلاح محكمة مصر الشرعية الكبرى ما معناه : انني لااصدق ان فقد العدل من المحاكم الشرعية الذى انطق ألسنة الناس بالشكوى هو من الشريعة الاسلامية فان شريعة قامت بها دول ، واهتدت بها امم ، ووجد من اهلها العلماء والفلاسفة لاتكون الا عادلة وانما منشأ هذا الخلل التقاليد الاكليركية (اى تقاليد رجال الدين) وحسبك بهذه الشهادة من هذا السياسى الكبير

﴿ شبهات المسيحيين. وحجج المسلمين ﴾

« النبذة العاشرة — كتب العهدين أيضاً »

بينا فى النبذة التاسعة التى نشرت فى الجزء ١٧ ماقاله الفاضل صاحب كتاب الابحاث فى اثبات كتب العهدين من طريق العقل وفندنا قوله تفنيداً . ونذكر ههنا انه بعد ماذكر حاول الاحتجاج على استحالة تغيير (التوراة والانجيل) فكانت حجته الداحضة على ذلك أن الديانتين اليهودية والمسيحية كانتا منتشرتين فى الشرق والغرب « وكان الكتاب لاسيما الانجيل مترجماً الى كل لغات الاقوام التى دخل بينهم كالعربية والارمنية والحبشية والقبطية

واللاتينية من اللغتين اليونانية والعبرانية الاصليتين . (قال) فكيف يعقل ان هؤلاء الالوف يجتمعون ويتفقون على تغييره مع اختلافهم فى اللغة والعقيدة سيما ان المسيحيين كانوا شيعاً كل واحدة تناظر الاخرى . ولاشك ان قول المسلمين بتغيير الكتاب هو دعوى بدون دليل والا فليخبرونا اين الآيات المتغيرة وماهي وما اصلها وما الغاية من تغييرها . فان عجزوا ولامراء انهم عاجزون قل لهم كيف جاز لكم هذا الادعاء والعالم الحكيم لا يقدم على امر الا ولديه ماثبت مدعاه» اه

والجواب عن هذه المغالطة سهل على الناظر فى كتب العهدين التي يسمون مجموعها التوراة والانجيل وفى كتب تواريخ الكنيسة والتاريخ العام . واما المسلم الذى لم يطلع على ذلك فيكفيه ان يقول ان كل ماخالف القرآن فهو ليس من التوراة ولا من الانجيل لان القرآن ثابت بالبرهان القطعي ومنقول بالتواتر حفظاً وكتابة وتلك الكتب ليست كذلك ووحي الله لا يخالف بعضه بعضاً الا ما كان من قبيل الاحكام المنسوخة فلا بد من ترجيح القرآن عند التعارض فيما دون ذلك لانه هو الثابت القطعي كما اعترف بذلك كثيرون من علماء النصرانية فقد جاء فى كتاب (السيوف البتارة ، فى مذهب خريستفورس جباره) لمحمد افندى حبيب الذى كان تنصر ثم رجع الى الاسلام بعد ما اختبر غيره : «ان المستر ستوبارت رئيس مدرسة لامارتينيار فى لكنؤ بالهند الانكليزية صرح فى كتابه المسمى (الاسلام ومؤسسه) صحيفه ٨٧ بما يأتى بالحرف الواحد :« عندنا براهين قوية عديدة للتصديق بان القرآن الموجود الآن هو عين ألفاظ النبي محمد الاصلية كما لقَّنَ وأملى بمراقبته وتعليمه » وبهذا قال موير المعدود

فى الوقت الحاضر امهر واحذق واكبر عدوٍّ للاسلام» الى آخر ما استشهد به

اما التغيير والتبديل والتحريف فى كتب العهدين فالمسلمون لا يقولون ان هذه الكتب كلها سماوية منقولة عن الانبياء نقلاً صحيحاً وان اليهود والنصارى غيروها بعد ما انتشروا فى الشرق والغرب ونقلها كل قوم دخلوا فى اليهودية او النصرانية الى لغتهم . وانما البحث فى أصلها وكاتبها فى اول الأمر ومن تلقاها عنهم قبل ذلك الانتشار العظيم وهذا هو الأمر المشكل ، والداء المعضل ، الذي لا يجد اهل الكتاب له دواء ولا علاجاً . من كتب الاسفار الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام ؟ يقولون ان موسى كتبها وأودعها ما كلمه به الرب فكانت تاريخاً له ولشريعته الألهية . كيف يصح هذا الجواب وهذه الكتب تتكلم عن موسى بضمير الغيبة وفى آخر فصل منها ذكر موته ودفنه ؟ يزعم بعضهم ان هذا الفصل كتبه يشوع وأنى يصح هذا وفى الفصل الحكاية عن يشوع وانه امتلأ روحاً وحكمة فسمع له كل بني اسرائيل فهذه حكاية عنه من غيره . ثم كيف يدلّس يشوع ويلحق بكتاب موسى ما ليس منه من غير ان ينسبه الى نفسه ولعلهم استدلوا على ذلك بأن كتاب يشوع قد ابتدئ بواو العطف فان اول عبارة فيه هي : « وكان بعد موت موسى عبد الرب » الخ . وهناك دليل على ان الفصل الاخير ليس ليشوع اقوى من الحكاية عنه ومن تبرئته من التدليس وهو ان فى الفصل المذكور بعد حكاية دفن موسى هذه الجملة « ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم » فهي تدل على ان الجملة كتبت بعد موسى بزمن طويل ولو كانت ليشوع لم تكن كذلك . وحسبنا انهم من ذلك فى شك مريب فكيف يوثق بهذا

الكتاب ويقال انه متواتر وعمّن التواتر والاصل مشكوك فيه

في الفصل الحادي والثلاثين من سفر تثنية الاشتراع ما نصه : « ٢٤ فعند ما كمّل موسى كتابة هذه التوراة في كتاب الى تمامها ٢٥ أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً ٢٦ خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب الهكم ليكون هناك شاهداً عليكم ٢٧ لاني انا عارف تمرّدكم ورقابكم الصلبة . هوذا وانا بعدُ حيٌّ معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحريّ بعد موتي ٢٨ اجمعوا اليّ كل شيوخ اسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض ٢٩ لأني عارف انكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به » الخ

فهذه هي التوراة التي كتبها موسى على حدة في كتاب مخصوص هي كلام الله الذي صدقه القرآن فأين هي . ماذا فعل بها اولئك الذين قال فيهم موسى انهم يفسدون بعده ويزيغون عن طريق الحق الذي هو التوراة وماذا أصاب التوراة من فسادهم وزيغهم وغلظ رقابهم ؟؟ التوراة معناها الشريعة وهذه الاسفار الخمسة كتب تاريخية يوجد فيها من احكام تلك الشريعة مثلما يوجد في كتب السيرة النبوية عند المسلمين من آيات القرآن واحكامه وليست السيرة هي القرآن والشرع الاسلامي . وكما يوجد في السيرة النبوية مع التحري في رواياتها ما يصح وما لا يصح فأجدر بتاريخ موسى وغيره من انبياء بني اسرائيل ان يوجد فيها ما يصح وما لا يصح وهي لم يتحر فيها كاتبها بعض تحري رواة المسلمين لسيرة نبيهم بل قدمنا ان كاتبي تلك التواريخ مجهولون

اعترف صاحب كتاب « خلاصة الادلة السنية . على صدق اصول الديانة المسيحية » استظهاراً بأن نسخة موسى « رُفعت من مكانها مرة ووقعت فى خطر لما غلبت عبادة الاصنام فى ملك منسا وأمون وانقطعت عبادة الله الحقيقيـة بين الاسرائيليين وفى تلك المدة طرحت بين الرثث (١) حيث وجدت فى ملك يوسيا الصالح » ثم قال : « والامر مستحيل أن تبقى نسخة موسى الاصلية فى الوجود الى الآن ولا نعلم ما ذا كان من امرها . والمرجح انها فقدت مع التابوت لما خرب بختنصر الهيكل . وربما ذلك سبب حديث كان جارياً بين اليهود على ان الكتب المقدسة فقدت وان عزرا الكاتب الذى كان نبياً جمع النسخ المتفرقة من الكتب المقدسة وأصلح غلطها وبذلك عادت الى منزلتها الاصلية »

فهل يخدع المطلع على هـذه الاقوال وامثالها بقول صاحب كتاب الابحاث ان الكتاب كان محفوظاً بين الالوف بلغات كثيرة ؟؟ هؤلاء علماء اللاهوت فى مذهبه يعترفون بأن اليهود فقدت منهـم عبادة الله بعد ما تغلبت عبادة الاصنام وان نسخة التوراة الوحيـدة فقدت ويستحيل وجودها . ويعـترفون بأن اليهود كانوا يُقرُّون بأن جميع كتبهم فقدت لانها كانت فى الهيكل وقد خربه الوثنيون واخذوا الكتب وأتلفوها . فلم يبق لهم مستند لاصل دينهم الا زعم يوسيفوس بأن كل سبط من اسباط بنى اسرائيل كان عنده نسخة من التوراة ولكن أين هذه النسخ ؟ . ان صح قوله — وهو رواية واحد بما يؤيد دينـه — فتلك هى النسخ التى اتلفها

(١) الرثث جمع رثة بالكسر وهي سقط المتاع والخلقان كالخرق البالية وغيرها مما يلقى فى احسن مكان ولا يلتفت اليه

بختنصر فيبقى معنا شيء واحد وهو ادعاء ان عزرا الكاتب كتب جميع كتب اليهود كما كانت بل صحح غلطها الاول وكتبها احسن مما كانت . وههنا يسأل المسلمون عن الدليل على ذلك وعن سبب وقوع الغلط فى النسخ حتى احتاجت الى اصلاح عزرا وعن نسخة التوراة التى هى شريعة مستقلة كما كتبها موسى وعن السند المتصل المتواتر الى عزرا بذلك ؟ ثم انهم يقولون اذا جاز أن يصحح عزرا الكاهن خطأ الكتب المقدسة فلم لا يجوز ذلك لمحمد رسول الله وخاتم النبيين ؟ اللهم ان الغرض مرض فى القلب يحول بينه وبين قبول الحق فألهم اللهم هؤلاء الناس بأن يطلبوا الحق بصدق واخلاص وافصل بيننا وبينهم بالحق وانت خير الفاصلين

هل جاء فى كتبهم المقدسة ان عزرا كتب التوراة وسائر الكتب المقدسة كما كانت ؟ كلا انه جاء فى الفصل السابع من سفر عزرا انه فى ملك ارتحشستا ملك فارس صعد عزرا (وذكر نسبه الى هرون وهو يدلي اليه بخمسة عشر أباً) هذا من بابل وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى التى اعطاها الرب اله اسرائيل . وانه جاء الى اورشليم فى الشهر الخامس من السنة السابعة لارتحشستا الملك . قال « (١٠) لان عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم اسرائيل فريضة وقضاء (١١) وهذه صورة الرسالة التى اعطاها الملك ارتحشستا الى عزرا الكاهن كاتب كلام وصايا الرب وفرائضه على اسرائيل (١٢) من ارتحشستا ملك الملوك الى عزرا الكاهن كاتب شريعة اله السماء » الى آخره

هذا هو دليلهم من كتابهم المقدس على ان عزرا كتب التوراة والكتب المقدسة بالالهام بعد فقدها وهو كما ترى لا يدل على ذلك بل

قصارى ما يعطيه انه كان من كتبة الدين او الشرع كما نقول ان فلاناً الصحابي كاتب الوحي فلو فرضنا ان القرآن فقد من المسلمين وانه لم يحفظ في الصدور ثم ادعينا ان معاوية كتبه بالالهام لانه وصف في بعض كتب التاريخ الدينية بانه كاتب الوحي فهل يقبل منا اهل الكتاب هذا الدليل .

ثم ان الملك ارتحشستا الذي شهد لعزرا هذه الشهادة التي لا نعرف سببها أمره مبهم في التاريخ لا ينطبق على روايات العهد العتيق المضطربة في سفر نحميا وسفر عزرا فلا يعرف اهو ارتحشستا الاول الذي هو ازدشير الملقب عند الفرس بزرادشت أم هو ارتحشستا الثاني فانّ ذكر عزرا له بعد داريوس يدل على انه الاول والتاريخ ينقض هذا ولا نطيل في بيان الاضطراب فليرجع اليه من شاء في كتب التاريخ وفي دائرة المعارف ملخص منه وهذا الاضطراب يبطل الثقة بالرواية والمسلمون لا يقبلون خبراً عن نبيهم رووه بالاسناد المتصل القريب اذا كان فيه مثل هذا الاضطراب العجيب (يتصل الكلام)

آثار علمية ادبية

﴿ استنهاض همم ﴾

قصيدة انشدت في الاحتفال الثامن لجمعية ندوة العلماء الهندية المخصوصة بعلماء الدين من نظم صديقنا الاستاذ الفاضل الاديب الشيخ احمد الجيتيكر . قال بعد أبيات في حمد الله والصلاة والسلام على نبيه :

وبعد يا معشر الاسلام مالكمو لاتشعرون وان الخطب قد عظما

عَفّى ديارَ علوم الدين قاطبةً   نسج الدَّبور وأرياح جرت نقما (١)
يا للمدارس اضحت وهي دارسة   يا للمكاتب تبكي العلمَ والعلما
أما سمعتم بكاها وهي صارخة   صُراخ ثكلى على مولودها اختُرِما
هذي المشاعر ضيم الدهر عطّلها   ورُدَّ واردها غيظاً فما كظما
هذي الشعائر لم تبقِ الصروف لها   مقدار عشر العشير الوزنَ والقيما
وارحمتاه لأرض الدين ينقصها   ريب المنون ممدًّا سيلها العرما
وارحمتاه لدين فلَّ عصبتهُ   من كل حام حماه راسخٍ قدما
وارحمتاه لدين لاتَ عُدّته   فمدّ بالنهب ايدي غصبها الخُصَما (٢)
وارحمتاه لدين قال نادبهُ   واللرجال وواسيفاه واقلما
يا للبقية صونوا الدين تنتصروا   يصونكم ويردّ المجد والحشما
اني محذّركم من وقع واقعة   يُمسي الوليد لديها هيبةً هرما
ألا خذوا حذركم في كل آونة   فما اتقى النار الاكيّس حزما
وثقوا عروة الاسلام أوهنها   تفرق فيكمُ قد حل مخترما
هذي اختلافاتكم كم سخَّفت بكمو   وسفّهت عربَ الاسلام والعجما
أليس اكملَ هذا الدينَ ربكمو   أما اتمَّ عليكم فضله النعما
ياليت شعري فيما ذا اختصامكمو   وما الذي بعده ترضونه حكما
كم ذا التنازع ريحَ العز أذهبها   كم ذا التشاجر ويحاً اثمر الندما
كم ذي الفتاوى وكم تكفير اخوتكم   كم ذا التشاتم وَاذُلاهُ واندما
هذا الذي فتَّرَ الاسلامَ نهضتَهُ   هذا الذي قصّرَ الاعزامَ والهمما

---

(١) عفت الريح المنزل درسته ومحته والتشديد للمبالغة (٢) لات زيداً حقه يلوته والاته نقصه اياه «ولم يلتكم من اعمالكم شيئاً» ولاته عن وجهه صرفه وحبسه عنه

هذا الذي حير الاحرار ترقيةً … هذا الذي غيّرَ الاخلاق والشيما
ألله ألله كونوا اصدقاء كما … كانت معاشرةً اسلافنا القدما
ألله ألله ان كنتم لهم خلفاً … فتابعوهم مع الاحسان لا جرما
وثقفوا أودَ الاحداث تربية … حتى تقوم بهم سوق الكمال نُما
ضيعتموهم اذ الاقوام غيرُكمو … حازوا الفنون وفاقوا فى النهى حكما
الى مَ هيهات عنهم تغفلون وكم … لا ترقبون لهم إلاًّ ولا ذمما
غداً سيُسأل كلٌّ عن رعيته … فما جوابكمُ يا معشر العلما
هذا بلاغ فيا قوم اسمعوه وعوا … ويرحم الله من أوعاه معتزما
ثم السلام على من لاذ متبعاً … هدْيَ النبيّ بحبل اللهِ معتصما

﴿ القمر ﴾

زهته الملاحة حتى سفر … وخلى الدلال لذات الخفر
وبات يسامر اهل الهوى … وقد طاب للعاشقين السمر
يحدثنا عن بني عذرة … ويروي لنا عن (جميل) خبر
وليلى وعن حب مجنونها … وعمن وفى للهوى أو غدر
ويذكرنا فعلَات الردى … بأهل البوادى واهل الحضر
لحظ السعيد اذا ماارتقى … وحط الشقيّ اذا ما انحدر
أرى كل شىء له آية … وآية هذي الليالى العبر
فياقمر الافق ما ذا الزما … ن جيلٌ تجلى وجيلٌ غبر
ويومٌ يمرُّ ويومٌ يكر … فآناً نُساء وآناً نُسرّ
بربك هل هذه الباقيات … تقص من الغانيات الاثر

وهل فى فؤاد الدجى لوعة فان غاب عنه سناك اعتكر
كغانية فارقت صبها فأرخت عليها حداد الشعر
اذا ما سهرنا لما نابنا فما للنجوم وما للسهر
أترثي لمن بات تحت الدجى يقلب جنبيه حرُّ الضجر
على لوعة يصطلي نارها وجمر الهوى فى حشاه استعر
وقد بسط البدر فوق الربى بساطاً فقام عليه الزهر
الى أن طوته يمين الصبا وقد بللته عيون السحر
وباح الصباح باسراره فحجبت الشمس وجه القمر

(مصطفى صادق الرافعي)

﴿ نساء المسلمين [1] ﴾

ملخص محاورات بين الكاتبة الفاضلة فاطمة عليه هانم كريمة العلامة جودت باشا أحد وزراء الدولة العلية (رحمه الله تعالى) وبين بعض نساء الافرنج السائحات

ابتدأت الكاتبة هذه المحاورات بمقدمة فى الطور الجديد الذى دخل فيه العالم من الاجتماع وسهولة المواصلات والعناية بالسياحة وذكرت ان السائحين من الافرنج يعنون بمعرفة أحوال المسلمين كما هو شأنهم فى العناية بكل شيء وانها علمت من محاورات نساء الافرنج ومما كتبوه من قصص السياحات أنهم يخطؤن ويَهِمون كثيراً فى اعتقادهم بنساء المسلمين وبيوتهم وأن السبب فى ذلك عدم امكان اجتماع السائحين بالنساء المسلمات

(١) نشرت هذه المحاورات ومقدمتها فى جريدة ترجمان حقيقت التركية منذ سنين وعربت لجريدة الثمرات الغراء تعريباً ضعيفاً ونحن نأتى بملخصها بعبارة أصح من الاول

وكون السائحات قلما يجتمعن الا بالنساء التركيات اللواتى تربين تربية أفرنجية بمعرفة المربّيات المعروفات بلقب (انستيتوتريس) قالت : «فهؤلاء التركيات قد تعلمن اللغة الفرنسوية لا لأجل اكتساب المعارف والعلم ولكن ليكنّ اوربيات خالصات فبجهلهم بالدين ونبذهم العادات الملية ظهريا كان الحديث معهن كالحديث مع أهل البيوت الافرنجية فى (بك اوغلى) — قسم من الاستانة يسكنه الافرنج — فلا يستفيد السيّاح منهن الحقيقة فانهن اذا سئلن عن أحوال المعيشة الاسلامية يسكتن عن بيان استقامة الدين وطهارته ويُفضن فى الكلام بحدة وشدة على مسائل الحجاب فيكنّ بجهلهن سبباً فى طعن الاجانب فى الدين الذي استنرنا بمشكاته ، وتشرفنا باياته »

قالت : « وان من أهل البيوت الاسلامية من يظن ان فى تعليم النساء العلوم والمعارف اثماً فلا يخصُّون بالانكار تعلم اللغة الفرنسوية وانما ينكرون مازاد على الضروري من اللغة التركية ايضاً . ولعمر الحق ان هؤلاء لايعلمون مابلغ اليه الازواج المطهرات والبنات الزاكيات وكثير من العالمات الاديبات فى الصدر الاوّل للاسلام من رفيع الدرجات فى العلم والفضل « ان كشف وجوه النساء غير محرم شرعاً وانما الواجب عليهن ستر شعورهن ولكننا نرى بعضنا يعكس القضية فيسترن الوجه ويكشفن عن الشعر فالحد الوسط مفقود عندنا فنحن بين امواج الحيرة لا ندري أين تقذفنا . ولا شك ان الخير فى الاعتدال فى جميع الاحوال وكلا طرفى قصد الامور ذميم

« والواجب على السياح الراغبين فى الوقوف على الحقائق ان يتعرفوها من اهل البيوت العائشين على الاصول الاسلامية المحافظين على دينهم

وعاداتهم الملية العارفين مع ذلك اللغة الفرنسوية لا من المترجمين الذين يجيبون عن كل ما يُسألون عنه وان كانوا لا يعلمون

« ومعلوم ان الاوربيين لا يعترضون على شيء من احكام ديننا الموافقة للعقل والحكمة وانما يتخيلون ويظنون ان نسآء المسلمين مظلومات مهضومات فيبالغون فى المؤاخذة على ذلك . وقد اطلعت على اوهامهم فى اثنآء محاوراتى لبعض السائحات الوجيهات ورأيت نفسى مضطرة الى بيان ما دار بيننا فى ذلك على الوجه الآتى

« المحاورة الاولى »

فى يوم من شهر رمضان الشريف أخبرنا ان نبيلةً اوربية تدعى مدام ف . . . وراهبة زاهدة ترغبان مشاهدة طعام الافطار فى منزلنا وفى اصيله جاءتا وبعد ان طافتا فى حديقة الدار الخارجية نصف ساعة استأذنتا فى الدخول فذهبت لاستقبالهما لان وظيفة الترجمة فى الدار مفوضة الى هذه العاجزة وصحبني جاريتان لتحملا ردائي الزائرتين ومظلتيهما . وعند دخولهما حييتهما باللغة الافرنسية وصافحتهما . ومدت يدها مدام ف . . الى الجارية التى كانت بجانبي لتصافحها فلم يكن من الجارية الا ان أخذت المظلة من يدها وهذه الجارية هي رئيسة الخدم عندنا وأخذت الجارية الأخرى رداءيهما وبرطلتيهما ودخلنا بهما الى غرفة الضيوف ثم عرفتهما بربة البيت وافراده حسب العادة المتبعة وقدم اليهما الحلوى والقهوة على النسق التركي (وذكرت الكاتبة هنا سنهما وعدم زيارتهما الاستانة من قبل)

ثم ان مدام ف . . طلبت ان ترى غرفة مفروشة على الطراز التركي

فعجبتْ أنها لم تر فيها غير مقعد بسيط ثم رغبت الي ّ أن اطوف بها على سائر الغرف ففعلت مظهرة لها الارتياح لذلك . وفى أثناء ذلك التفتت الى رئيسة الخدم وكانت واقفة امامها وقالت : انى عند الدخول مددت يدي لهذه السيدة فلم تقبلْها وانما أخذت المظلة من يدي واراها الآن واقفة لا تجلس معنا فما سبب ذلك ؟ قلت انها جارية قالت وما شأن البنات اللواتى بالقرب منها ؟ قالت هن مثلها

ف .. : حسن جداً ولكنني أيتها السيدة أرى فى اذنيها قرطين ثمينين وفى اصبعها خاتماً وعلى صدرها ساعة جميلة وسلسلة حسنة وكنت حسبتها سيدة وقد ادهشني امتيازها بالحلي على غيرها من الجواري فهذه الفتاة الواقفة فى الجانب الآخر لا تتحلى الا بقرط ليس بذي قيمة وهذه الجارية الاخرى لها الا ساعة عادية فما سبب هذا التفاوت

أنا : ان الجارية التى حسبتها سيدة هى رئيسة الخدم عندنا اى انها بمنزلة مديرة لسائر الجوارى تعلمهن القيام بشؤنهن وخدمة انفسهن فى اللباس والنظافة والزينة حتى يحسن ّ ذلك بانفسهن وربة البيت تلقى تبعة كل تقصير منهن عليها . وقد أهداها سيدها ماترين من الحلي لكثرة خدمتها وهى تعلمت من رئيسة كانت قبلها وهذه الجارية الفتاة جاءتنا وهى بنت اربع ولها عندنا عشر سنين ولما تكلفْ بعمل وستكلف بعد اليوم وهذان القرطان قد اشترتهما مما اقتصدته من مرتبها الشهري وكذلك صاحبة الساعة وهى أحدث عهداً من هذه

ف .. متعجبة مستأذنة فى طلب التفصيل : اين رئيسة الخدم السابقة ؟

أنا : قد انتهت وظيفتها وقد زوجناها ولها ثلاثة اولاد وهي فى بيت زوجها

ثم سألت ف . . عن انتخاب رئيسة الخدم وعن الرواتب للجواري والهدايا للقديمات وعن كيفية ابتياعهن وسنبين فى الجزء الآتى الجواب عن الاخير لانه كان تمهيداً للبحث فى الرق والاماء والتسرّي وغير ذلك من الفوائد

البدع والخرافات والتقاليد والعادات

« اختلاف العوائد فى التسحير »

نشرنا فى مناري رمضان من السنة الماضية الاحاديث الموضوعة فى رمضان وفى الصوم وبعض البدع التى فشت بين الناس فى هـذا الشهر الشريف . ومما عده صاحب كتاب المدخل (رحمه الله تعالى) من البدع تسحير المؤذنين وذكر انه ينهى عنه ثم عقد فصلا مخصوصاً لاختلاف عادات البلاد فى التسحير قال فيه ما ملخصه مع حفظ حروف الاصل

« اعلم ان التسحير لا أصل له فى الشرع الشريف ولاجـل ذلك اختلفت فيه عوائد بعض الاقاليم . ألا ترى ان التسحير فى البلاد المصرية بالجامع يقول المؤذنون تسحروا وكلوا واشربوا وما اشبه ذلك مما هو معلوم من اقوالهم ويقرأون الآية الكريمة « يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيامُ » الخ ويكررون ذلك ثم يسقون على زعمهم ويقرأون من قوله تعالى « ان الابرار يشربون من كأس » الى قوله « انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا » . والقرآن العزيز ينبغي أن ينزه عن موضع بدعة او على موضع بدعة » وذكر انشاد القصائد ثم قال

« ويسحرون ايضاً بالطبلة يطوف بها اهل الارباع وغيرهم على البيوت ويضربون عليها . هذا الذي مضت عليه عادتهم وكل ذلك من البدع . وأما اهل الاسكندرية واهل اليمن وبعض اهل المغرب فيسحرون بدق الابواب على اصحاب البيوت وينادون عليهم قوموا كلوا وهذا نوع من البدع نحو ما تقدم وأما اهل الشام فانهم يسحرون بدق الطار وضرب الشبابة والغناء والهنوك والرقص واللهو واللعب وهذا شنيع جداً ... وأما اهل المغرب فانهم يفعلون قريباً من فعل اهل الشام وهو انه اذا كان وقت السحور يضربون بالابواق سبعاً او خمساً فاذا قطعوا حرم الاكل اذ ذاك عندهم »

ثم اطال فى التشنيع على المغاربة كما انه شنع على اهل الشام على ان ماذكره عنهم غير معروف اليوم ولا سمعنا به . وذكر من عادات المغاربة العجيبة انهم عند ما يمرون بالنفير والابواق على باب مسجد يسكتون احتراماً لبيت الله . ثم انهم يفعلون ذلك فى منار المسجد فى شهر التوبة والعبادة . ثم حذر من التمادي فى البدع بالانس بالعادة وردَّ على من قال ان التسحير بدعة حسنة ثم قال

« واذا كان كذلك فينبغي ان ينهى الناس عما اعتادوه من تعليق الفوانيس التي جعلوها علماً على جواز الأكل والشرب وغيرهما ما دامت معلقة وعلى تحريم ذلك اذا انزلوها وذلك يمنع فعله لوجوه » وذكر اربعة وجوه (١) ان النبي صلى الله عليه لم يرض إيقاد النار ولا ضرب الناقوس ولا النفخ بالقرن للاعلام بالصلاة ورضى بالاذان فكان علامة للصلاة وللصوم . و (٢) ان فى ذلك تغريراً لجواز ان تنطفي بنفسها فيراها من يكون مضطراً لنحو أكل او شرب فيمتنع ويتضرر . و (٣) انه قد

ينساها او ينام عنها الموكل بها حتى يطلع الفجر . و (٤) انها قد تشتبك ولا يقدر الموكل بها على خلاصها

ونحن نقول ان المؤلف رحمه الله تعالى قد شدَّد جداً حتى جعل بعض العادات بدعاً دينية والبدعة انما تكون حراماً اذا كانت فى الدين وأما التفنن فى العادات المباحة فليس بمحرم الا اذا فعل باسم الدين او ظنه الناس من الدين . ولا شك ان صرف اموال الاوقاف لا يجوز فى غير مشروع

«مستقبل الاسلام فى رأي المسلمين الجغرافيين»

عثرنا بالمصادفة على مقالة فى جريدة اللواء عنوانها (مستقبل الاسلام) وهي لرجل جزائري منحته الجريدة لقب (العالم) وذكرت ان مقالته نشرت فى (مجلة المسائل السياسية والاستعمارية) ويظهر لمتصفح المقالة ان كاتبها تلقى خواص الاسلام ومزاياه من المسلمين الجغرافيين لا من الكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح ولذلك لم يفده ذكاؤه فى التمييز بين ما هو من الاسلام وما هو من جماهير المنتسبين اليه اليوم فغلط كثيراً ونسب للاسلام ما هو بريء منه

فمن ذلك قوله ان الذي يعتنقون الاسلام يتولاهم «اضطراب داخلي عظيم فتقف عندهم كل حركة وتدخل اعضاؤهم فى دور ملل شديد» ونحن نقول معاذ الله ان يكون هذا صحيحاً فان الذي يدخل في الاسلام يزول من قلبه كل اضطراب «الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب» ويدخل فى دور من النشاط كما نشط المسلمون في العصر الأول لكل عمل مفيد

ومنه زعمه ان مميزات المسلم «قنوعه بالقليل وعدم طموح أنظاره نحو الامور العالية البعيدة .. وتفضيله الحياة المتوسطة المصحوبة بالسكون والراحة على الحياة الرفيعة المقرونة بالمشاغل والمتاعب» وزعمه ان زهادة المسيح لا توجد الا فى المسلمين . وكل هذه الصفات مما رزئ به المسلمون الجغرافيون ولكن الاسلام انما يمدح من القناعة ما يزكي النفس من الطمع فيما فى ايدى الناس بالباطل ولم يسلم منه المسلمون الجغرافيون وانما وجدت عندهم قناعة الكسل التى هى ضد الاسلام بدليل المباينة بين اهل الصدر الاول فى جدهم وكدهم وعدم رضاهم بما دون السيادة على جميع الامم . وما عرفوا بالسكون عن طلب المعالى والسيادة ولا بحبّ الراحة التى غلبت علينا فى هذه القرون النحسة التى ضاع فيها الاسلام والمسلمون

ومنه زعمه ان المسلم غير ميال للسياحة وهو انما يصدق على المسلم الجغرافىّ ايضاً أما الاسلام الحقيقى فقد وصف الله تعالى أهله بقوله «والسائحين والسائحات» وأمرهم بالسياحة فى آيات كثيرة من كتابه ولم يأمرهم بالوضوء للصلاة الا فى آية واحدة «قل سيروا فى الارض فانظروا * أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور»

ولا انكر ان هذا الكاتب أصاب فى بعض ما كتبه لا سيما تنديده بما وقع فيه المسلمون من الجهل وقبول الخرافات والاوهام وقوله انهم لا ينقرضون وان انقرض الرومان والفراعنة من قبلهم وعلل ذلك بان الامم التى لها دين سماوي لا تنقرض واستدل على ذلك باليهود . وإن أدري أعالمٌ مسلم كتب تلك المقالة أم هي دسيسة اسندت الى هذا اللقب لتروج

بين المسلمين ويطمئنوا الى تلك المزايا الضارة والاخلاق القاضية بالضعف والخمول . وانت ترى ان بحثها ليس فى مستقبل الاسلام وانما هو فى وصف المسلمين الا الكلمة الاخيرة فى عدم الانقراض

﴿ نبي الطب الجديد ﴾

كتب ايضاً الى تلك الجريدة من مديرية القليوبية : ان فى مركز نوى رجلاً يدعى انه اوحى اليه جبريل عليه السلام فى المنام فلقنه الطب وعلمه مداواة العلل والاسقام مهما اختلفت انواعها . واشترط عليه ان يأخذ عن كل مريض يطببه خمسين قرشاً فقيراً كان أو غنياً ذكراً أو انثى وليداً اوكهلا . ويدعي أن الوحي أباح له الخلوة مع الرجال خمس دقائق فقط ومع النساء أربعين !!! ويعلل ذلك بان سائر النساء مريضات بالبواسير ولا يمكن استئصال هذا الداء منهن في أقل من تلك المدة . وهناك حالات استثنائية يخلو فيها مع المرأة (دون الرجل) اكثر من أربعين دقيقة وذلك اذا كان بها ريح يمنعها الحمل على زعمه . ومن الناس من اغتر بهذه الدعاوى الباطلة فصدقوها

(المنار) ان الاعتقاد بوقوع خوارق العادات على الوجه الذي يتلقفه الناس بعضهم من بعض واعتقاد ان كل من يأتي بامر غريب لا يعهدونه فهو مؤيد من الله هما الاعتقادان اللذان أعدا الناس لقبول الدجل والانخداع للحيل وان ذهب بذلك دينهم ومالهم وانتهكت اعراضهم . وقد ذكرت الجريدة من اقبال النساء والرجال على هذا المتنبي المحتال . ولكن له امثالا من مدعى الولاية لا ينفر عنهم احد .

الجزء العشرون — المجلد الرابع

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ رمضان سنة ١٣١٩ — ٢٧ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠١)

باب المقالات

(السياسة والساسة — من نحن ومن غيرنا)

« الرسالة الثانية »

سيقول الذين يرونني مغرماً بالحقائق بعد أن يسمعوا كلامي في الرسالة الاولى : أوَأنت ايضاً راضٍ عن السياسة واهلها وضارب فيها بسهم ، ومشترك بها مع حزب ؟ وهل تقدر أن تحب الحقائق وتحزب ؟ على سؤالهم بنيت هذه الرسالة الثانية :

لا تبحث عن ماضي الانسان الذي اوصله الى هذا الحاضر بل اكتفِ بمعرفة حالته الحاضرة

لا يفتح الانسان عينيه على شيء في هذا الوجود قبل الثدي الذي يدرُّ عليه اللبن ، ولا يعشق شيئاً من هذا الكون قبل المحسنة عليه بهذا الدر — لا تسل ما هو إدراك الانسان وكيف عشقه للاشياء فذلك مما لم يدرك بعدُ . ولكن صوِّرْ في ذهنك وليداً وطاوه حجر الأمّ ،

وغطاؤه ذراعاها ، وغذاؤه ما يفيض به ثدياها ، أوّل ما يناغي هتّافٌ باسمها ، ودعاءٌ لرحمتها ، مَن يكون معبوده غير معبودها وقد علمته اسمه أول ما تكلم ، واسناد كل شيء اليه أول ما ميز ، ومحبة حزبه وكراهية مناظريه وأعاديه أول ماودعه حضانها ، واستقبله تدريبها ، وكيف لا يقبل ذهنه غراسها ومعها والده وجده ، وعمه وخاله ، وعمته وخالته ، والخوادم وأهل الحيّ اجمعون

أترى هذا الولد اذا كبر وترعرع ، وعظم ادراكه واتسع ، ينظر مالم ينظر والداه فى المعتقدات ؟ قل هيهات هيهات !

حدَّث التاريخ عن نفر من هذا القبيل ، ولكنهم قليل ، وهب انه رأى ما رأى فهل تخال انه يستطيع ان يظهر ، وأن يقول ويجهر ؟ قل هيهات هيهات . حصل شيء من هـذا فيما غبر ، ولكنه اقلّ وأندر . ثم هب انه ظهر ، وقال وجهر ، فمن تظن انه يستمع له ؟ والكل جازمون ايَّ جزم ، ان ما ذهب اليه الآباء هو الحزم ، ومخالفته نقص فى المروءة والعزم . نعم كان شيء من هـذا فى القرون ولكنه ان أثمر على قلة فبعد موت الغارس . ومن ذا الذى يسمح ان يعذب ويهان على غراسه فى حياته ، وينتظر ان يمدحه الدائسون عليه بعد مماته ؟

اذا فهم هذا من فهم فلا جناح علينا ان نقول : ان الانسان اذا كان عاقلا عارفاً فلم يعذر نفسه فى هـذه المداخل لا ينصف اذا هو لم يعـذر غيره ممن لا عقل لهم كعقله ، ولا همة لهم كهمته ، بل الطامع ان يكون الناس كعقل رجل واحد ومسلكه لا يصح ان نسميه عاقلا عارفاً بعد ان قرأنا فى سنن الوجود ناموس الاختـلاف والتضاد الذى عرفناه راسخاً

ثابتاً وان لم نعرف حكمته حتى اليوم

والعاقل لا يملك نفسه من ان يتعجب كثيراً من الاغلاط وشيوعها ولكن تعجبه هو محل التعجب لأننا لم نر مبصراً يتعجب من اعمى ولا حياً من ميت ولاصحيحاً من مريض . وما هذا التعجب الا اثراً من نسيان هذا الناموس وتفرعاته

ثم هو ان تعجب أو لم يتعجب عائش فى مجتمع فلا بد من ان يجد سبيلا معهم من للسكوت او الموافقة او المخالفة بالمعروف اذا رأى من زمانه دولة للبرهان . فهو فى ايّ سبيل سلك محتاج للسياسة

افرض أمامك شخصين ينسب احدهما الى الفُرْس والآخر الى الروس أفرأيت ان قلتَ للفارسيّ هل تكره الروس الذين هم بشر مثلك ومثل قومك فقال لك لا فقلت له لمَ تحزب مع الفرس على الروس وهم امثال بعضهم عندك فقال لا استطيع التوفيق بين مصلحتيهما المختلفتين ، ولا بد لي من التحزب مع احد الفريقين ، ولا يرتاب احد ان الأَولى بي ، تحزبي مع الذين منهم أمي وأبى ، وفيهم داري وعقاري ، وحليلتي وصغاري ، واعرف لغتهم ويعرفون لغتى ، وقضيت بينهم شطراً كبيراً من عمري . أتقول له هذا ينافي الحكمة والفلسفة ، ويباين حب السلام والفضيلة ، ويغاير العدل والحقيقة ؟ وأرأيت ان قلتَ له يمكنك ان تكون بينهم ولا تحزب معهم فحجك بأن الاجتماع يقتضي الاشتراك . أتقول له هذه القضية غير مسلمة وان اقام لك عليها البراهين وأورد الامثال ؟

ثم أرأيت ان قلت للروسي هل تكره الفُرْس فقال نعم . فقلت له لماذا فقال لانهم ليسوا على ديني . فقلت له فما دينهم إذن فقال لا اعلم

ولكن هكذا سمعت ابي وجدّي . أفتحاجّه انت وتجادله بعد ما برهن منطقه على ان الانعام اعقل منه ؟ وهل الفارسيّ اعقل منه اذا اجاب كما اجاب هذا وكان مذهبه التقليدى فيه مذهب هذا المقلد المسكين فيه ؟

بنو هذا النوع شأنهم فى الاختلاف عجيب واعجب شيء ان اكثرهم لا يعلمون حقيقة المذهب الذى ينتسبون اليه فضلا عن مذهب المخالف فهم انما يقاتلون عن اسماء المذاهب لا عن حقيقتها وكنهها . . . وقد ضربت هذا المثل ليعلم كل واحد ان العقلاء الحكماء معذورون فى التحزب فضلا عن الحمقى والغافلين لان الشاذ فى قومه الذى لا يرجو ان ينال نصيباً ماديًّا او ادبيًّا من فوزهم اذا فازوا لا يأمن ان يكون له نصيب من بأسائهم اذا خابوا وقُهروا لان الخصم لا يُميز بل أنصباء الفوز يُخص بها فريق دون آخرين ، واما انصباء البأساء فانها تتوزع على الكل ، وقد قيل من قديم : « الرحمة تخصص والبلاء يعم » هذا اذا ترك الشاذ وشأنه من قبل الجمهور وهيهات . على انه ليس مجهولا ان أولي العزم من الحكماء يحاربون الاغراض السافلة مهما حالت ، ويحازبون المقاصد السامية حيث وُجدت ، وتراهم يصبرون حتى يفوزوا وتحيي بهم السعادات العامة التى ما زالت تستفاد من ارشادهم او يقضوا كراماً مخلدين ذكراً فى العالمين جميلاً مأسوفاً عليهم كثيراً

قلت ان اكثر بني هذا النوع الذين هم العوام وهم كل البشر الا قليلا لا يعلمون حقيقة المذهب الذى هم عليه . وبرهان هذا الكلام من اوضح الواضحات لمن استقرأ لانه صادر عن الحس والمشاهدة ونضرب نحن الامثال بالمسلمين الآن :

هؤلاء المسلمون فرق شتى يكفر بعضهم بعضاً وكلهم يقولون آمنا بأن النبي الذى اسمه محمد (عليه السلام) جاء من عند الله بكتاب اسمه القرآن ثم اكثرهم لا يعلمون ما هو ذلك الكتاب الذى جاء به لأنهم إما اعاجم لا يعلمون ذلك الكتاب العربى وان تعلموا قراءة حروفه ، وإما اعراب أميون لا يقرأون الكتاب الا قليلا . واذا نظرت الى الفرق واحدةً واحدةً تجد الامر كذلك . . . هؤلاء العوام قاطبة تسال احدهم ما مذهبك فيقول لك حنفي او شافعي او مالكي او حنبلي او . . او . . فاذا سألت الحنفي مثلا ما هو مذهب الحنفية تجده يقول لك لا اعرف وانما قدكان أبي حنفياً فصرت مثله . فهو إذن لا يعرف الا اسم المذهب وربما لا يعرف اسم الرجل الذى انتسب هذا المذهب لاسم بنته «حنيفة» ولقد بلغ الجهل ببعض العوام ان سألني : ايُّ شىء كان النبى (صلى الله عليه وسلم) أهو حنفي ام مالكي ام . . ام . . وما اظن ان امثال هذا السائل الجاهل قليلون ولا اتعجب من ذلك . وقلت يوماً لبدويّ من «عَنَزَة» مامذهبكم فقال لى لو سألت غيرى لقال لك نحن موالك (يعني مالكية) ولكن الصحيح الذى عليه المعول لامذهب لنا ولا كتب عندنا وانما قد سمعنا ان المالكية لا يعتبرون الكلب نجساً فأحببنا هذا القول لان الكلاب تطوف على اوانينا كثيراً

ماتت الفرق الاسلامية التى اساس مذاهبها العلم فقط كفرق المعتزلة والجبرية المحضة مثلاً ولم يبق منها الا احاديث مذاهبها فى كتب العقائد يحارب اسماءها قراء هذه الكتب . اما الفرق التى اساسها اغراض سياسية فهى حية باقية والموجود منها اليوم هذه : (١) اهل السنة ومذاهب

هؤلاء وطرائقهم واختلافاتهم وعددهم اكثر من باقى الفرق لأنهم اخذوا من الكل وحشوه فى كتبهم فكل مشتهٍ يجد فيها شهوته وسموا انفسهم على اختلافهم اهل السنة (٢) شيعة العجم والعراق (٣) شيعة اليمن والحجاز (٤) دروز وهم فرقة قليلة العدد بالنسبة لباقى الفرق (٥) نصيرية وهم اكثر من الدروز (٦) اسماعيلية وهم اقل منهما وهذه الفرق الثلاث متقاربة كلها باطنية . وربما اعترض المسلمون بعدّ هؤلاء معهم . اما نحن فنراعي الظاهر هنا (٧) اباضية (٨) وهابية .

سلنى هل تعرف كل فرقة من هؤلاء حقيقة مذهب الثانية كلاً بل تلعن كل واحدة الاخرى من غير معرفة . واغرب ما فى الباب جهل الذين انتحلوا لانفسهم اسم السنة بحقيقة الوهابية الذين هم دعاة الكتاب والسنة كما يعرفه كل مختبر احوالهم ومستمع اقوالهم

لا تنكر علينا التطويل بهذا فمنه استبانت لك حقائق مهمة تفيدك فى هذا الموضع ومواضع اخر . ومنه تعرف عذرنا اذا بحثنا عن احوال الامم واحوال هذه الامة واحوال نفوسنا . سمّ هذا البحث بالسياسة او باسم آخر فقد عرفت أننا روّاد معانٍ لا روّاد ألفاظ

وهل علينا بعد هذا من حرج اذا قلنا نحن كذا وغيرنا كذا بعد الايمان بأن الغيرية طبيعية وان لها احكاماً .

سيبقى فى نفوس القراء شوق لمعرفة من نحن فنوصيهم ان لا يتعرفوا أنانيتنا (اى حقيقتنا) من اسماء اشخاصنا ولا من الاسماء التى ننتمي اليها فالذى تسميه امه سلطاناً مثلاً لا يجب ان يصير سلطاناً بالفعل بل عليهم ان يتعرفونا بما نقول ، وان يسألوا عنا ما لديهم من العقول ، فمن عرف الحق

بالرجال شطط ، ومن عرف الرجال بالحق بلغ المحط ،

على انه لا بأس ان نبين فى فهرست اجمالىٍّ من نحن ومن غيرنا ليكون كمؤنس لمن سأل عن سياستنا قبل سماع قضاياها :

(١) نحن بشر نرى ان الميزان فى درجات البشر العلم والعمل فمن كانت فى كفتهم العلوم النافعة ، والاعمال الرافعة ، كانوا اعلى ، وبسياسة الانام اولى ، ومن كانت فى كفتهم الجاهليات والاعمال الرديئة كانوا محتاجين للتعليم لئلا يطغوا فى الارض .

(٢) نحن اولو مصالح معاشية يهمنا ان تحميها سلطنة عادلة قوانينها ، موافقٌ رئيسها ،

(٣) نحن اهل مدن نرى حاجتها للمعارف واصلاح الاخلاق والعوائد

(٤) نحن جماعة متعاونون داعون الى الاصلاح وبه متذاكرون

والسلام على النظام العام ع . ز

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

« مقتبس من دروس مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية »
« فى الجامع الازهر »

« وبشّرِ الذينَ آمنوا وعمِلوا الصالحاتِ أنَّ لهمْ جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ كلمارُزقوا منها من ثمرةٍ رزقاً قالوا هذا الذي رُزقْنا من قبلُ وأُتوا بهِ متشابهاً ولهمْ فيها أزواجٌ مطهرةٌ وهم فيها خالدون »

لما بيَّن فى الآية السابقة ما اعدَّهُ للكافرين الذين قامت عليهم الحجة

فجحدوا بها اراد ان يبين فى هذه الآية نصيب مقابل هؤلاء وهم الذين ظهر لهم الدليل فآمنوا ولاح لهم نور الهداية فاهتدوا فالكلام متصل بعضه ببعض ولذلك عطف الجملة على ما قبلها لانها متممة لفائدتها اذ لا بد بعد بيان جزاء الكافرين من بيان جزاء المؤمنين والارشاد ترهيب وترغيب . والخطاب يصح ان يكون للنبيّ صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة وان يكون عاماً لكل من يسمع الامر من اهله وقالوا ان الاخير هو المعروف فى لسان العرب والمفهوم عندهم من امثال هذا الخطاب كقوله تعالى «نبئ عبادي* واضرب لهم مثلا ..» فهو فى عمومه جار مجرى الامثال .

قال تعالى «وبشر الذين آمنوا» ولم يذكر بماذا آمنوا لأن متعلق الايمان كان معروفاً عند المخاطبين وهو الله تعالى وصفاته التى ورد بها النقل الصريح ، واثبتها العقل الصحيح ، والوحي ومن جاء به والبعث والجزاء فهذه هى الاصول التى يدعو اليها الانبياء عليهم الصلاة والسلام فمن صدقهم فيها كان مؤمناً ويصدق بما يتبع ذلك من التفصيل . ولا بد فى تحقق الايمان من اليقين ولا يقين الا ببرهان قطعي لا يقبل الشك والارتياب ولا بد ان يكون البرهان على الألوهية والنبوة عقلياً وان كان الارشاد اليهما سمعياً . فاطلاق الايمان وذكر المؤمنين وما أعدّ لهم من غير وصله بذكر المؤمَن به معهود فى القرآن لان المتعلَّق معلوم للسامعين كما قلنا وهو بالنسبة لمن لم يؤمنوا مادعاهم اليه النبي صلى الله عليه وسلم اجمالاً من الاصول واما المؤمنون فقد عرفوه مفصلاً تفصيلاً

ثم وصف المؤمنين الذين يستحقون البشارة بقوله «وعملوا الصالحات» وأطلق فى هذا ايضاً كما اطلق فى كثير من الآيات لان

العمل الصالح معروف عند الناس بالاجمال وذلك كافٍ فى الترغيب فيه وجعله تابعاً للايمان متصلا به ولازماً من لوازمه و بين الاعمال الصالحة بالتفصيل فى آيات كثيرة كقوله تعالى « ليس البرَّ أن تولُّوا وجوهكم قِبَلَ المشرق والمغرب » الخ وكالآيات فى اول سورة (المؤمنون) وآخرها وآيات سورة المعارج وغير ذلك . كأن الله تعالى يقول ان العمل الصالح معروف عند الناس لانه أودع فى نفوسهم ما يميزون به بين الخير والشر ولكن بعضهم يضل بانحراف يطرأ على نفسه فيخرجها عن الاعتدال الفطري ثم يضل بضلاله آخرون فتكون التقاليد والعادات الناشئة عن هذا الضلال هى الميزان عند الضالين فى معرفة الصلاح والفساد والخير والشر لا اصل الهداية الفطرية ولذلك قال عليه الصلاة والسلام « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه او يُنصّرانه او يمجّسانه » يعنى ان الانسان لو ترك ونفسه لاهتدى الى الحق ما دام بعيداً عن التقاليد والعادات . وقد بلغ فساد الطباع وانحراف الفطرة فى بعض الامم مبلغاً كادوا يخرجون به عن طور البشر كمتنطعي البراهمة وبعض كفرة العرب اذ زعموا انه لا خير الا فى اللذة ولا شرّ الا فى الألم فالسعادة والكمال فى البعد عن الآلام البدنية والتمتع بالشهوات الحسية . فمثل هؤلاء المرضى النفوس المحرومين من الكمال الروحي والعقلي كمثل من غلبت عليه الصفراء فصار يذوق الحلو مرًّا وإن من المرضى من يشتهي فى طور النَّقَهِ ما لا يشتهى فى حال الصحة والاعتدال وكذلك الحبالى فى مدة الوحم

يرى الجبناء ان الجبن حزم وتلك خديعة الطبع اللئيم

فالخير والشر والصلاح والفساد والحق والباطل والفضيلة والرذيلة –

كل ذلك معروف فى الجملة حتى عند الاشرار ولذلك يدَّعون الخير والصلاح الخ فاطلاق القول بذكر الاعمال الصالحات ليس مبهماً عندهم ولا خطاباً بغير مفهوم وانما يحتاج معتل الفطرة الى التفصيل فى ذلك وذكر الامارات والدلائل التى تميز بين الصالحين والفاسقين والمحقين والمبطلين ولهذا نزلت آيات البيان والتفصيل التى أشرنا الى بعضها آنفاً وبها ينقطع تلبيس الاغبياء واعتذار الجهلاء . وحق القول بأن الذى يستحق هذه البشارة هو من جمع بين الايمان والعمل الصالح الذى ترشد اليه الفطرة السليمة ويهدي الى تحديده الكتاب العزيز

البشارة هى « أَنَّ لهم جنَّاتٍ » ورد لفظ الجنة والجنات كثيراً فى مقابلة النار والجنةُ البستان وليس المراد بهما مفهومهما اللغويّ فقط وانما هما دارا خلود فى النشأة الآخرة فالجنة دار الابرار والمتقين ، والنار دار الفجار والفاسقين ، فنؤمن بهما بالغيب ولا نبحث فى حقيقة امرهما ولا نزيد على النصوص القطعية فيهما شيئاً لان عالَم الغيب لا يجري فيه القياس .

ومما وصف الله تعالى به الجنات قوله « تجري مِن تحتها الأنهارُ » والمناسبة ظاهرة فان البساتين حياتها بالانهار . وهل سميت دار النعيم جنة وجنات على سبيل التشبيه وذكرت الانهار ترشيحاً له ام سميت بذلك لانها مشتملة على الجنات تسمية للكل باسم البعض ؟ الله اعلم بمراده

ثم ذكر من شأن اهل تلك الجنات فيها أنهم «كلما رُزقوا منها من ثمرةٍ رِزقاً » كلمة من هنا للابتداء مع التبعيض أى كلما رزقوا من الجنات رزقاً من بعض ثمارها « قالوا هذا الذي رُزقنا من قَبلُ » أى هـذا الذى وعدنا به فى الدنيا جزاءً على الايمان والعمل الصالح فهو كقوله تعالى :

(وقالوا الحمدُ للهِ الذي صدَقنا وعدَه وأورثنا الجنةَ نتبوَّءُ منها حيث نشاء)
وذهب الجلال وغيره الى أن معناه تشبيه ثمرات الآخرة بثمرات الدنيا لأنها مثلها فى اللون والشكل والرائحة وان كانت تفضلها فى الطعم فقوله تعالى «وأُتوا به متشابهاً» بيان لسبب القول على هذا التفسير اي اتوا بما ذكر من الرزق فى الدنيا والآخرة متشابهاً بعضه يشبه بعضاً ومحصّله انهم عند مايؤتون برزق الجنة يبادرون الى الحكم بانه غير ما وعدوا به وأنه عين رزق الدنيا لان التشابه يكون سبب الاشتباه عليهم ولكنهم يعرفون الفرق بعد ذلك بالطعم لان فرقاً عظيماً بين لذة رزق الدنيا ورزق الجنة . والتعبير بكلما ينافى هذا التفسير لان الاشتباه انما يكون فى المرة الاولى ثم يعرفون معرفة تذهب به وتمنع من الحكم بان هذا عين ذاك أما بالنسبة لافراد النوع الواحد من الثمار فبالاختبار واما بالنسبة لما بعد النوع الاول من الانواع فبالقياس عليه . وما ذهب اليه الجلال مناف للبلاغة فى المعنى ايضاً لان تشابه رزقي الدنيا والآخرة فى الالوان والروائح واختلافه فى الطعم فقط ليس فيه كبير تشويق لان اللذة فى التنقل . نعم ان اطوار الجنة مخالفة لاطوار الدنيا ولكن التشويق للناس انما يكون بحسب ما عهدوا واعتادوا والفوا . واننا نعلم ان الاكل فى الدنيا لاجل حفظ البنية من الانحلال ولا انحلال فى دار الخلد والبقاء فلابد ان يكون الاكل والشرب هناك على ما ورد لحكمة اخرى لا نعرفها لانها من احوال عالم الغيب وانما نؤمن بما ورد ونفوض أمر حقيقته وحكمته الى الله تعالى ومما ورد انه لذة اعلى من لذات الدنيا

وذهب بعض المفسرين الى ماقلناه اولاً من ان ذلك الرزق هو عين ماوعدوا به جزاء على اعمالهم فكلما رزقوا ثمرة منه يذكرون الوعد الالهي

شكراً لله على توفيقهم لذلك العمل الذى له هذا الجزاء كما تفيده آية « وقالوا الحمد لله » التى ذكرناها آنفاً فهو من قبيل ارتباط الموعود به بالموعود عليه كأن الاعمال عين الجزاء (فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وقوله تعالى بعد ذلك « وأُتوا به متشابهاً » تأكيد وتقرير لما تضمنه قولهم وهذا هو الراجح

ثم قال « ولهم فيها أزواجٌ مطهَّرة » اي مبالغ فى تطهيرهن وتزكيتهن فليس فيهن مايعاب من خبث ولا درن لانهن طهرن بكل نوع من انواع التطهير . ونساء الجنات من المؤمنات الصالحات وهن المعروفات فى القرآن بالحور العين وصحبة الازواج فى الآخرة كسائر شؤنها الغيبية نؤمن بما اخبر به الله تعالى منها لانزيد فيه ولاننقص منه ولانبحث فى كيفيته وانما نعرف بالاجمال ان أطوار الحياة الآخرة اعلى واكمل من اطوار الحياة الدنيا كما تقدم ونحن نعلم أن الحكمة فى لذة الازواج بالمصاحبة الزوجية المخصوصة هى التناسل ونموّ النوع ولم يرد ان فى الآخرة تناسلاً فلا بد ان تكون لذة المصاحبة الزوجية هناك أعلى وحكمتها اسمى واننا نؤمن بها ولا نبحث فى حقيقتها كما تقدم فى بحث رزق الجنة

ثم قال « وهم فيها خالدون » اي لا يخرجون منها ولاهى تفنى بهم فيزولوا بزوالها وانما هى حياة ابدية لانهاية لها وفقنا الله لما يجعلنا من خيار اهلها من العلوم الصحيحة والاعمال الصالحة التى ترتقي بها الارواح وتستعد لذلك الفلاح

﴿ باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر فى هذا الباب ما يعرف به المسلمون اصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التى ذهبت بتركه

﴿ الامراء والحكام ونوع الحكومة الاسلامية(*) ﴾

(٨) وقال صلى الله عليه وسلم : « خيارُ أئمتكم الذين تحبونهم ويُحبونكم وتصلُّون عليهم ويصلون عليكم وشرارُ أئمتكم الذين تبغضونهم ويُبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم » وفى رواية الترمذي عن عمر رضى الله عنه وتدعون لهم ويدعون لكم وهى بمعنى تصلون عليهم ويصلون عليكم هنا . ولو علم أمراءُ المسلمين اليوم مكانتهم فى قلوب الأمة لا سيما الخاصة منها وماذا يقولون فيهم لعرفوا من ايّ الفريقين هم . على ان منهم من يعتقدون أن الامة عدوة لهم ولذلك اتخذوا عليها الجواسيس والعيون

(٩) وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من امير يلي امر المسلمين ثم لا يجتهد لهم ولا ينصح الا لم يدخل معهم الجنة »

(١٠) وقال صلى الله عليه وسلم : « من وليَ من امر المسلمين شيئاً فلم يحطهم بنصيحته كما يحوط اهل بيته فليتبوأ مقعده من النار »

(١١) وقال صلى الله عليه وسلم : « أيّما والٍ وليَ شيئاً من امر أمتي فلم ينصح لهم ولم يجتهد لهم كنصيحته وجهده لنفسه كبَّهُ الله تعالى على وجهه يوم القيامة فى النار » فمن لنا بمن يوصل مثل هذا الحديث الى الامراء الذين يهملون أمور الرعية ويصرفون هممهم كلها الى تنمية ارزاقهم

(*) تابع لما فى الجزء التاسع عشر (٨) رواه مسلم عن عوف بن مالك (٩) رواه مسلم عن معقل بن يسار (١٠) رواه احمد عن معقل بن يسار (١١) رواه الطبراني عن معقل بن يسار ايضاً

وتكثير غلاتهم والادّخار لعيالهم ليعتبروا به ان كانوا مؤمنين

(١٢) وقال صلى الله عليه وسلم : « أيّما راعٍ استرعي رعية فلم يَحُطها بالامانة والنصيحة ضاقت عليه رحمة الله التى وسعت كل شيء »

(١٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من امير عشرة الا وهو يؤتى به مغلولاً يوم القيامة حتى يفكّهُ العدل او يوبقه الجور »

(١٤) وقال صلى الله عليه وسلم : « أيّما رجل استعمل رجلا على عشرة انفس علم ان فى العشرة أفضلَ ممن استعمل فقد غش الله وغش رسوله وغش جماعة المسلمين » . وهذا الحديث بمعنى الحديث الاوّل فى النبذة الماضية الذى هو فى صحيح مسلم والمراد بالافضل هنا من يزيد على غيره فى العلم بالعمل الذى استعمل لاجله فان كان العمل حربياً يجب ان يولّى الأعلم بفنون الحرب وكذلك ان كان علمياً او اداريًّا ويعتبر مع العلم الهمة والاخلاق التى من اثرها العمل بالعلم ومن اكبر اسباب ضعف المسلمين ان أمراءهم صاروا يولون العمال بالهوى لما اعطوه من السلطة المطلقة التى تخالف ما جاء به الاسلام . قال عمر رضى الله عنه : من استعمل رجلا لمودة او قرابة لا يستعمله الا لذلك فقد خان الله ورسوله والمؤمنين

(١٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « كلكم مسئول عن رعيته فالامام

---

(١٢) رواه الخطيب فى التاريخ عن عبد الرحمن بن سمرة (١٣) رواه البيهقى عن ابى هريرة بهذا اللفظ ورواه بألفاظ اخرى فيها بعض اختلاف فى اللفظ دون المعنى كثيرون منهم سعيد بن ابي منصور وابن ابى شيبة واحمد وعبد بن حميد والطبرانى عن سعد بن عبادة وابن عساكر عن ابى الدرداء (١٤) رواه ابو يعلى فى مسنده عن حذيفة ورواه غيره (١٥) رواه احمد والشيخان وابو داود والترمذي عن ابن عمر

راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى اهله وهو مسئول عن رعيته والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته والرجل راع فى مال ابيه وهو مسئول عن رعيتـه وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . ولا يخفى ان الامام هو الامير الحاكم والمسئولية فى الدنيا بمعنى المطالبة شرعاً باقامة العدل والامانة فى العمل فمن خالف يعاقب ولو بالعزل وفى الآخرة يسأله الله ويجزيه الجزاء الاوفى

(١٦) وقال صلى الله عليه وسلم : « انه سيفتح لكم مشارق الارض ومغاربها وان عمالها فى النار الاَّ من اتقى الله وأدّى الامانة »

« احتجاب الامراء والحكام »

(١٧) وقال صلى الله عليه وسلم : من ولي من امر الناس شيئاً فأغلق بابه دون المسلمين او المظلوم او ذوي الحاجة اغلق الله دونه ابواب رحمته عن حاجته وفقره افقر ما يكون اليه »

(١٨) وقال (ص) : « من ولاه الله شيئاً من امور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم احتجب الله عنه يوم القيامة دون حاجته وخلته وفقره »

(١٩) وقال (ص) : « من ولي من امر الناس شيئاً فأغلق بابه دون ذوي الفقر او الحاجة اغلق الله عن فقره وحاجته باب السماء »

---

(١٦) رواه احمد عن رجل من محارب . ورواه ابو نعيم عن الحسن مرسلا
(١٧) رواه احمد وابن عساكر عن أبي الشماخ الأزدي عن ابن عم له من الصحابة
(١٨) رواه ابو داود وابن سعد والبغوى عن أبى مريم الأزدى وكذلك الطبرانى وابن قانع والحاكم والبيهقي (١٩) رواه ابو سعيد النقاش فى القضاة عن أبي مريم

(٢٠) وقال (ص) : « من ولى من امر المسلمين شيئاً فاحتجب عن ضعفة المسلمين واولى الحاجة احتجب الله عنه يوم القيامة »

(٢١) وقال (ص) : « من احتجب عن الناس لم يحجب عن النار »

ومما فتن به امرآء المسلمين عند ما استبدوا بالسلطة المطلقة بدعة الاحتجاب دون الرعيـة لا سيما الفقرآء وذوي الحاجة فطغوا واستكبروا وعتوا عتوًّا كبيراً حتى سلط الله عليهم الامم الاجنبية فصارت تنتزع ملكهم من ايديهم واغلق الله دونهم ابواب رحمته فى الدنيا فلم يجدوا حيلة لاعادة سلطتهم المطلقة « ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون » وسنبين بعدُ الاحاديث الواردة فى هلاك الأمة بظلم أئمتها وامرائها

« آثار السلف عبرة للخلف »

روى ابن المبارك وابن راهويه ومسدّد عن عتاب بن رفاعة بن رافع قال بلغ عمر بن الخطاب ان سعداً اتخذ قصراً وجعل عليه باباً وقال « انقطع الصُّويتُ » فأرسل عمر محمد بن مسلمة وكان عمر اذا احب ان يؤتى بالأمر كما يريد بعثه فقال ائْتِ سعداً واحرقْ عليه بابه فقدم الكوفة فلما أتى الباب أخرج زَنْده فاستورى ناراً ثم احرق الباب فأتى سعدٌ فأخبر ثم وصف له صفته فعرفه فخرج اليه سعد فقال محمد : انه بلغ امير المؤمنين عنك انك قلت « انقطع الصويت » فحلف سعد بالله ما قال ذلك فقال محمد نفعل الذى أمرنا ونؤدى عنك ما تقول . واقبل (أي سعد) يعرض عليه ان يزوّده فأبى ثم ركب راحلته حتى قدم المدينة فلما ابصره عمر قال : لولا حسن الظنّ بك ما رأينا انك أدّيتَ . وذكر (أي محمد) انه اسرع

(٢٠) رواه احمد والطبرانى عن معاذ (٢١) رواه ابن مندة عن رباح

عقوبة غرورهم يئسوا من كل شيء أن ينالوه بانفسهم وسجلوا على انفسهم هذا اليأس وختموه بختم الدين وطبعوه بطابعه حيث زعموا انه من اشراط الساعة وان الضعف اذا وقع بالمسلمين لا يرتفع الا ما يكون من النهضة على يد المهدي المنتظر القصيرة المدة وانما تكون بالخوارق والكرامات لا بالاستعداد والعصبية القومية ثم هي كايماضة الخمود للذبال لا تلبث ان تزول سريعاً وتزول الدنيا فى اثرها بعدقليل . وقد مر فى المنار تحقيق الحق فى هذه التقاليد وبيان ضررها ، وان الساعة مغيَّب عنا امرها ، « يسألونك كأنك حفيّ عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون »

فعلمنا مما تقدم ان امراض المسلمين الاجتماعية التى جعلتهم وراء الامم كلها حتى التى كانوا يسودونها ترجع الى داء واحد وهو ﴿الغرور فى دينهم وفهمه على غير وجهه﴾ وان شفاء هذا الداء ليس بمحال ولا متعذر وانما المتعذر إصلاحهم مع بقائه وان الدواء الذي يذهب به هو السير بالتربية والتعليم على سنن الكون واصول الاجتماع التى اشرنا اليها فى صدر المقالة واقناعهم بان ارتقاء المسلمين بدينهم فى القرون الاولى لم يكن اسر خفيّ فى الدين ، ولا لحب الله تعالى لذوات الذين تسموا بالمسلمين ، لان الله منزه عن عشق الذوات والاعيان ، وأفعاله لا تعلل بالاغراض كافعال الانسان ، وإنما ارتقوا به لأنه ارشدهم الى سنن الارتقاء ، وهداهم الى الصفات والافعال التى بها السموّ والاعتلاء ، فهو كما تقدم هداية أُخذت على وجهها وحقيقتها ، فادت الى غايتها وانتجت نتيجتها ، فلما اختلفت الكيفية ، انعكست القضية ، كما يهتدى بالحواس والعقل اقوام ويضل آخرون ، « وخلق الله السموات والارض بالحق ولِتُجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون . أفرأيت

من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ، »

اول اركان الاصلاح الاسلامى هو التوحيد الخالص الذى يصقل العقول من صدأ الخرافات والاوهام ويفك الارادة من أسر الدجالين ، ويعصم النفوس من حيل المحتالين ، ثم الاذعان بان سنن الله تعالى لا تتبدل ولا تتحول فمن سار عليها وصل ومن تنكبها هلك « وان ليس للانسان الا ما سعى وانّ سعيه سوف يُرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى » حكم عام للآخرة والاولى . ثم الاعتقاد بان كل عمل ينافى مصلحة الامة او يحول دون منفعتها موجب لسخط الله تعالى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم تصدي طائفة للاحتساب قولاً وعملاً والدعوة الى ما به حياة الامة من علم وعمل ومباراتها للامم العزيزة الى غير ذلك مما فصلنا القوْل فيه من قبل وسنعيد البحث فيه ان شاء الله تعالى . « ولتكن منكم أمةٌ يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهونَ عن المنكر وأولئك هم المفلحون » ،

ولنا الثقة بان الكون وما فيه من الآيات ، وما اكتشفه الناس من اسراره وما يكتشفونه فيما هو آت ، كل ذلك خدمة لاظهار دين الفطرة على كل دين ، « ولتعلمنّ نبأه بعد حين » ، وان دعوة الحق ستكون هى الفضلى ، وطريقة الاصلاح هى الطريقة المثلى ، ولكن لا يمكن تعيين الزمن بالتحديد ، « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اولم يكف بربك انه على كل شىء شهيد » . لمثل هذا فليعمل العاملون ، لكل نبأ مستقر وسَوف تعلمون »

السير وقال قد فعلت وهو (أى سعد) يعتذر ويحلف بالله ما قال . فقال عمر هل أمر لك بشيء قال ما كرهت من ذلك ان أرض العراق أرض رقيقة وان اهل المدينة يموتون حولي من الجوع فخشيت ان آمرلك بشيء فيكون لك البارد ولي الحار أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يشبع المؤمن دون جاره » اه ولعل فى آخر الكلام حذفاً أو تحريفاً

وروى ابن سعد عن موسى بن أبي جبير عن شيوخ من اهل المدينة قالوا كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : أما بعد فانى فرضت لمن قِبَلي فى الديوان[1] ولذريتهم ولمن ورد علينا بالمدينة من اهل المدينة وغيرهم ممن توجه اليك والى البلدان فانظر من فرضت له فنزل بك فاردد عليه العطاء وعلى ذريته ومن نزل بك ممن لم افرض له فافرض له على نحوٍ مما رأيتني فرضت لاشباهه وخذ لنفسك مائتى دينار (أى فى السنة) فهذه فرائض اهل بدر من المهاجرين والانصار ولم أبلغ بهذا احداً من نظرائك غيرك لانك من عمّال المسلمين فألحقتك بأرفع ذلك وقد علمت ان مؤناً تلزمك فوفِر الخراج وخذه من حقه ثم عفّ عنه بعد جمعه فاذا حصل اليك وجمعته اخرجت عطاء المسلمين وما يحتاج اليه مما لا بد منه ثم انظر فيما فضل بعد ذلك فاحمله اليّ . واعلم ان ما قبلك من أرض مصر ليس فيها خمس وانما هي أرض صلح وما فيها للمسلمين فيء تبدأ بمن اغنى عنهم فى ثغورهم واجزأ عنهم فى اعمالهم ثم نقص (كذا فى نسخة كنز العمال ولعلها تفيض) ما فضل بعد ذلك على من سمى الله

« واعلم يا عمرو ان الله يراك ويرى عملك فانه قال تبارك وتعالى فى

(١) الديوان الكتاب يكتب فيه اهل الجيش وأهل العطية والصلة

كتابه « واجعلنا للمتقين اماماً » يريد ان يقتدى به وان معك اهل ذمة وعهد وقد اوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم واوصى بالقبط فقال « استوصوا بالقبط خيراً فان لهم ذمةً ورحما » ورحمهم ان ام اسماعيل منهم . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من ظلم معاهدا او كلفه فوق طاقته فانا خصمه يوم القيامة » احذر يا عمرو ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لك خصماً فانه من خاصمه خصمه . والله يا عمرو لقد ابتليتُ بولاية هذه الامة وآنست من نفسي ضعفاً وانتشرت رعيتى ورقّ عظمي فاسأل الله ان يقبضنى اليه غير مفرّط . والله انى لأَخشى لو مات جمل بأقصى عملك ضياعاً ان اسأل عنه يوم القيامة »

فانظروا أيها المسلمون وتأملوا سيرة سلفكم الذين ملكتم بهم الأَرض وكيف اكل خلفهم الاموال وظلموا اهل الذمة والمعاهدين حتى دالت لهم الدولة مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم « اذا ظُلم اهل الذمة أُديل للعدو » أَى عادت لهم الدولة

باب التربية والتعليم

« الصحة فى تغيير الهواء . وتربية الخيال والذاكرة بمحاسن الغبراء » (*)

(٣٥) من هيلانه الى ارسم فى ٢٠ يونيه سنة — ١٨٥

كان « اميل » عليلا وكنت مشفقة عليه فى بداية مرضه من الحمى الحصبية ولكنه لم يصب بالحصبة والسبب فى عدم اخبارك بذلك هو ان

(*) معرب من باب الولد من كتاب اميل القرن التاسع عشر

الدكتور كان قد تعهد بان يكاشفك بسير المرض ثم انه لما لم يجد فيه ادنى خطر عليه رأى من العبث ان يوقظ ما نام من همومك ويحرك ما سكن من دواعي قلقك ولقد عجلت اليه العافية فلم يمض عليه خمسة عشر يوماً حتى رد له لباس الصحة وثابت اليه أوابد القوى واما انا فكان شأني غير ذلك لان ماقاسيته من التعب فى ليالي سقمه التي لازمت فيها السهاد وماكان يساورني فيها من الحزن والاشفاق قد تزعزعت له صحتي ووهت به عافيتي وللطب الانكليزي فى مثل حالتي هذه دواء لا بد ان يكون هو سيد الادوية على ما ارى وسندي فى هذا الرأي ما اراه من ثقة الاطباء به فى وصفه لمرضاهم ومن إذعان هؤلاء له طيبة به نفوسهم وهذا الدّواء هو تغيير الهواء

نعم ان الهواء الذي نستنشقه فى مرازيون جيد غير ان اخص مايعول عليه اطباء الانكليز فى ايصائهم المرضى بتغيير الهواء لتجديد قواهم انما هو الانتقال من مكان الى آخر والنظر فى مجالي الكون ومشاهده وتغيير ماالتزموه من عاداتهم واني والحق اقول قد اعجبت بهذا الرأي بعض الاعجاب لاني اعلم ان ضواحينا التي يتوارد عليها السياح كثيراً غاصة بضروب المحاسن الحقيقية ولهذا السبب لم اعارض فى هذا الرأي بل اذعنت له اذعان المريض المطيع الذي يجل احكام العلم ويكبرها .

لم تكلفنا معدات السفر كبير عمل ولا مزيد عناية فان السيدة وارنجتون بفضل خبرتها بطرق البلاد وجهاتها قد تكلفت بان تُشْرِعَ لنا طريق السير وسقط قو بيدون على مركبة عتيقة من المركبات المكشوف مقدمها مرت عليها ايام كانت فيها اسعد حالا باصحابها وعلى فرس مُذْكٍ (كبير السن)

لا يزال فيه على كآبة منظره من القوة ما يقدره على احتمال مشاق الصعود والهبوط فى انجاد هذه الجهة واغوارها الكثيرة فاستأجرناهما باجرة قليلة وفى صبيحة يوم ظعننا استوى الزنجي البار على كرسيّ المركبة استواء السائق المختال المعجب بنفسه

كان وجه « اميل » وقد زال شحوبه وعاد اليه لونه يتلألأ فرحاً ويزهر بشراً وطلاقة لانه لا شيء يلذ للاطفال كتوقع الحوادث ولكنا لم نصادف فى طريقنا شيئاً منها نقص عليك حكايته فلم نلاق سلبَةً ولا وحوشاً ولا اسارى مقيدين فى مغارات الصخور مع اننا قد جبنا ارضين مقفرة تحدها سواحل محلة مهجورة معرضة لجميع مايطرأ من ضروب هياج البحر وطغيانه

لم يكن خروجي الى التنزه لمحض التداوي بتغيير الهواء بل كنت ارمي الى غرض آخر ايضاً وهو ان ينفعل « اميل » بما يشاهده من المناظر الحلوية وصورها المدهشة فتنتعش لها فى نفسه آثار حية فانه يقال ان اول شيء بعث فى نفس بايرون[1] تباشير ولعه ولهجه بالشعر انما هو منظر مايوجد فى هضاب ايقوسيا من البحيرات وقمم الجبال ولست اعتقد ان « اميل » سيكون بايرون عصره بل لا اجد شيئاً من الحق فى التطلع الى ذلك ولكني اتكدر واحزن ان رأيته من حيث هو انسان لا يتأثر بما هو مسطور فى صفحات الكون من جيّد الشعر وبديعه

قد وهمت فيما علقته على هـذا السفر القصير من الامل الكثير فى

(١) بايرون هو اللورد بايرون الشاعر الانكليزي مؤلف القصص الكثيرة التي منها قصة الغلام هارولد وقصة الدون جوان ولد فى سنة ١٧٨٨ ومات سنة ١٨٢٤

تنبيه القوى الحاسة فى « اميل » وها أنا ذه اعترف لك بخطأي صاغرة اذ قد تبين لي اني تعجلت فى هذا الامل فاني رأيته لا يشوقه الا النظر الى الجزئيات واستطلاع وقائع الخلوات وهو من حداثة السن بحيث يصعب عليه ادراك الاشياء فى جملتها ومجموعها

ارى ان الطريقة المثلى فى تنبيه الاطفال وبث روح الملاحظة فى نفوسهم ان لا تطلب منهم الملاحظة ولا يحملون عليها وقد سرت على هذه الطريقة فى سياستي « لاميل » فلم أشذ عنها الا مرة واحدة . ذلك اننا كنا فى راس ليزارد[١] وما اكثر عجائبه وان اردتَ تخيلها فمثل لنفسك صخوراً هائلة على جميع الاشكال بعضها قائم وبعضها ساقط وشيء منها متصل وآخر منفصل يهيج بينها البحر ويصطخب ومنها ما غمره البحر فطوّق جيده بقلادة من الزبد ولم يبد منه سوى رأس مخروطيّ املس مصقول لا تفتأ الامواج تغسله ثم تصور ان بصرك يتتبع من بعيد خط السواحل فيرى ما يتخللها من نقطة الى اخرى من الصدوع العظيمة والوهاد والمغارات المظلمة فاذا وقف الانسان وسط هذه المشاهد الكبرى كانت حيرته فى اختيار المكان الذى يشرف منه عليها . وقفت انا و « اميل » تجاه (كينانس كوف) وهو احد الخلج التى يُرى فيها البحر اجمل ما يكون وسط الاطلال وقطع الصخور واخذت بيده ثم قلت له انظر الى هذا المكان نظراً بليغاً وانقشه فى حافظتك فلعلك لن ترى هذا المنظر بعد اليوم

كأني بك تقول هل القوة الذاكرة مما يأتمر بأمرنا فنأمرها بالحفظ والذكر ؟ فأجيبك بأن لى بعض الحق ان اعتقد هذا اذا رجعت الى مادلتنى

(١) هو رأس من رؤس سواحل انكلترا فى الطرف الجنوبى الغربي لقومتيه كورنواي

عليه تجربتي . ذلك اني ايام كنت فيما يقارب سن « اميل » سافر والدي الى مقاطعة اوفرني[١] واخذاني معهما وفي يوم من ايام اقامتنا هناك صعدنا على احدى شعاف الجبل المسمى مَنْدُر وهناك نشدني الله والدي جاهراً بصوته ان لا انسى ما كنت اشاهده في تلك الساعة ما دمت حية ولا اراك الا سائلي عن نتيجة هذا الإقسام فاعلم ان جميع ما كان ينبسط امام ناظريّ في ذلك الوقت من المشاهد المحدقة بي وهي مشاهد الجبال والربى والوديان لا يزال مرسوماً في لوح ذاكرتي ومن هذا تعرف السبب الذي حملني على اتباع هذه الطريقة مع « اميل » ثم ان والديّ قد اوصياني بعد هذه المرة بحفظ منظر آخر لا اذكره الآن فلم يجد ذلك شيئاً في الحفظ . وأنا استنتج من ذلك انه اذا تيسر في وقت ما ان يكون للمربي شيء من السلطان على حافظة الاطفال فان هذا السلطان من الأمور التي لا ينبغي الافراط في استعمالها

اذا وُكل « اميل » لنفسه كان دهشه بالاشيآء التي يراها اكثر من اعجابه بها وهذا مما يحملني على اعتقاد انه لا بد في رؤية الامور على حقيقتها كمال الرؤية من شيء من الخيال . خذ لذلك مثلاوهو ان الطفل لا يعرف من البحر سوى دائرة الافق التي يحويها بصره وهي دائرة ضيقة بالنسبة للواقع فان حجاب المسافات يحول بينه وبين ما ورآءها من بقية البحر فاذا كان الشاعر يفنى عن شهوده وترتفع نفسه اذا وقف امام مشهد المياه الجليل فذلك لانه ينظر بفكره الى ماورآء الافق من امتداد المحيط فانه متى

(١) مقاطعه اوفرني هي اقليم قديم من اقاليم فرنسا قاعدته كليرمونت فيراند الفت منه ومن جزء من الهوت لوار والكروز مقاطعتا كانتال وبوى دودوم

انفك ساعة من ربقة عجز المشاعر الظاهرة تتسع فى خياله حدود العالم المشهود فيضيف الى هذه البقعة المائية المضطربة التى لا يرى منها الاجزا حقيراً مهما كانت دقة لبصره صورة عدم التناهى والجلال وكلاهما من مدركات العقل لا دخل للحس فيهما وبالجملة فانه يرى الجلال والعظم فى ماهية البحر ومعناه الذهني لا فى صورته المرئية

ان خلو نفس « اميل » من ملكة التفكر التي لا بد ان تظهر فيه بتقدمه فى السن يكشف له سر عدم اكتراثه بما يراه من مناظر الكون بل تقليده غيره فى الاعجاب بها كما يبين لى من انبعاث شوقه الى بعض جزئيات ماكانت تخطر ببالى مطلقاً ولهجه بها لهجاً شديداً ذلك ان معظم الصخور التى يتكون منها رأس اليزارد ولندس اند (طرف الأرض) وضع لكل صخرة منها اسم خاص بها كأنه يخاطب الخيال ويوقظه فيريك الدليل الخرّيت منها صُورَ العمود وعرين الأسد والمطبخ والمنافيخ والمقلاة والفرس وراس الدكتور جونسن ووجه الدكتور مسنتاكن وغيرها فمن هذه الاسماء ما ينطبق ولا شك على مناسبات خرافية تختلف درجة قربها او بعدها من الحقيقة غير ان منها أيضاً ماهو مبنيّ على وجود وجوه شبه ظاهرة للعيان بين مسمياته الاصلية وبين تلك الصخور التى وضع لها ومن المحتمل ان تكون هذه الألعاب الكونية والصور الاتفاقية والحجارة التى تمثل هيأة الانسان او شكل شيء من الاشياء مع عدم نحتها بالمنحات هى التى بعثت فى نفوس الأولين فكرة صناعة التماثيل ومهما كان اصل هذه الصناعة فان هذا الفن الفطري الاضطراري الذى نقشته على الصوان يد الخالق القادر هو من الغرائب غير المألوفة التى هاجت شوق «اميل» الى معرفتها فانه كان يجتهد من نفسه

فى ادراك ما بين قطع الصخر وبين بعض الاشياء المعروفة له تمام المعرفة من وجوه الشبه التى لم تعرب ايضاً (كما تدل عليه اسماء تلك القطع) عن فكر صيادي السواحل السذج البسلاء .

من عهد ان رأيت جميع النموذجات الاصلية لفن العمارة ظاهرة فى المغارات وسلاسل الصخور لم يسعني الا الارتياب فى ان هذا الفن من مخترعات الانسان . ذلك لانك تجد فيها اصل النافذة القوسية والقباب بما يقومها من الارتفاع والانحناء والدعائم الثقيلة والعمود الرفيع المخطط والشبابيك الطويلة المقبوة والعماد وغيرها من الاشكال الكثيرة فليس على الخيال الا ان يتوجه الى هذه الكتل الصخرية المتراكمة حتى يميز النظر من بينها مثُلاً لمعابد عتيقة وصفوفاً من تماثيل صخرية ذات وجوه ناقصة وزخرفاً رمزياً ووحوشاً خرافية لو فصلت من الصخر لكانت شخوصاً مستقلة

انى على كوني لست من العلماء ولا من الاثريين كان بودي ان اعلم « اميل » فى هذه الفرصة الجميلة بان القي فى ذهنه معنى للآثار السلتية[١] التي لاتخلو منها بعض جهات كورنواي واكثرها شيوعاً هو كما تعلم الدوائر القسّيسية[٢] والاحجار الطويلة القائمة فى الارض على قواعدها كالمسلات والرؤس الصوانية الطبيعية التى صارت بعد عمل صناعي قليل هى الحصون الاولى للبلاد تحميها من لصوص البحر ولقد كان اشد هذه الآثار استمالة لى مدرّج بيدين فى رأس ليزارد

(١) السلتية نسبة الى السلت وهم شعوب قديمة من الناس كانوا يقطنون بلاد الغول وشمال ايطاليا وبريطانيا العظمى وايرلاندا (٢) نسبة الى القسيسين لانهم هم الذين كانوا مختصين بهذه الدوائر فلا توجد فى غير محالهم

ومما يحمل على الظن بأن يد الانسان هي التي نحتت هذا المدرج فى الصخر ما يشاهد فى بعض ارجائه من آثار اعمال تلك اليد الفطرية التى محا نصفها كرور العصور وما نبت من الاعشاب الدقيقة على سطح الصخور ومن الاقوال المروية فى شأن ذلك المدرج ان الدوائر العظيمة الناتئة فى سمك الحجر كانت فيما غبر من الزمن صفوف درجات وان السلت قد انتهزوا حينئذ فرصة وجود منحنى خطته يد الفطرة ووهدة يزيد البحر فى قاعها فجعلوها مسرحاً لابصار النظار وعملوا لجمعهم حولها . اذا صحت هذه الرواية فليت شعري ما ذا كان المنظر الذى كان يحشر الناس له فى هذا المكان ؟ ان كان ذلك هو الكون وعظمه فانه مشهد جدير باثارة وجدان الاعجاب والاكبار خصوصاً فى هذه البقعة ولكنى أرجح ان ذلك الاجتماع كان لقضاء بعض المناسك الدينية لوجود جملة من الصخور السوداء ناهدة على سطح الامواج تجاه المدرج يقال ان القسيسين كانوا يتخذونها مذابح للقرابين وتلك شعائر اقل ما فيها العظم والجلال

يوجد ايضاً فى هذه الناحية حجارة عمودية يتألف من تناسقها دوائر متناسبة الاجزاء تسمى بالكروملك يكتنفها نبات الخلنج الأدكن المحزن فيورث رائيها الغم والخوف ولكن أنى « لاميل » ان يكون له كبير اشتغال بمثل هذه الآثار القديمة وهى خلو من اثر صناعة النقش ومجهولة التاريخ وكيف يرجى منه الاهتمام بها ؟ على انى ارى ان نفسه قد انفعلت بآثار كامنة فيها لما شاهدناه ستظهر فيه يوماً من الايام وانى أستند فى هذا الامر على امر صبيانى جداً غير ان كل شيء فى عالم الطفولية هو اكبر مما يظن به ودونك قصة هذا الامر :

كان يوم ١١ يونيه عيد ميلاد « اميل » فاراد ان يشهر هـذا اليوم العظيم بمأدبة خفيفة موافاة لما تقضي به عادة اهل البلد الذى نسكنه وفوق ذلك فانه فى هذا العيد قد عمد الى اختراع افتحره افتحاراً فقد اخذ بثوبى وسار بى الى بستان فرأيت فيـه وأنا فى غاية الدهش كوماً من الاحجار المتوسطة فى الحجم مرتبة ومرصوفاً بعضها فوق بعض بنوع من الحذق والصناعة وعددتها فوجدتها سبعة فعلمت من ذلك انه قد استفاد من مدرسة قدماء السلت فانه لما فهم من الآثار التى زرناها على طول الساحل انها أقيمت تذكاراً لحادثة من الحوادث طبق ما رآه على نفسه فاصبح كما ترى وله أن يقول ماقاله هوراس[1] من قبله وهو « قد رفعت لنفسى اثراً »

على انى أسائل نفسي لماذا يسمى سن « اميل » بسن التميز والتعقل ؟ فليت شعري أىّ شىء يتعقله الطفل فى السابعة من عمره ؟ لا اراه يتصور الجزئيات فانه لم يعمر من الزمن ما يكفيه لتصورها ولا يدرك الكليات فانه يجب لادراك هذه ان يكون العقل قد وصل الى حد معلوم من الرشد وانى اذا حكمت بمقتضى ما أدّتنى اليه تجربتى واختبارى اقول ان « اميل » لا يزال اكثر انبعاثاً الى العلم بالاشياء منه الى الحكم عليها فالذى يهمه ويشغله انما هو كيفيات الموجودات الظاهرة وبعض دلائل الفكر وأماراته وسأبين لك مرادى بمثل آخذه من ضروب تسلينا فانتظره فى المكتوب الآتى . اه

(١) هوراس هو شاعر لاتينى شهير ولد فى سنة ٦٨ ومات فى سنة ٨ ق م

آثار علمية ادبية

﴿ رمضان ﴾

فديتك زائراً فى كل عام … تحيّي بالسلامة والسلام
وتقبلُ كالغمام يفيض حيناً … ويبقى بعده اثر الغمام
وكم فى الناس من دنف مشوق … اليك وكم شجيّ مستهام
رمزتَ له بألحاظ الليالى … وقد عجز الزمان عن الكلام
فظل يعدُّ يوماً بعد يوم … كما اعتادوا لأيام السقام
ومدَّ له رواقُ الليل ظلاًّ … يرفُّ عليه اجنحة الظلام
فبات وملءِ عينيه منامٌ … لتنفض عنهما كسل المنام
ولم أرَ قبل حبك من حبيب … كفى العشاق لوعات الغرام
فلو تدري العوالم ما درينا … لحنَّتْ للصلاة وللصيام
وما كلُّ الانام ذوي عقول … اذا عدُّوا البهائم فى الانام
بني الاسلام هذا خير ضيف … وقد يغشى الكريم ذرى الكرام
يلمُّكمُ على خير السجايا … ويجمعكم على الهمم العظام
فشدُّوا فيه ايديكم بعزم … كما شدَّ الكميُّ على الحسام
وقوموا فى لياليه الغوالي … فما عاجت عليكم للمقام
وكم نفر تغرهم الليالى … وما خلقوا ولا هيَ للدوام
وخلوا عادة السفهاء عنكم … فتلك عوائد القوم اللئام
يحلونَ الحرام اذا أرادوا … وقد بان الحلالُ من الحرام

ومن روّته مرضعة المعاصى فقد جاءته ايامُ الفطام

« حسن التعليل فى التمثيل »

بنو آدم اعداءٌ على السراء والضرا
وما حياك باسمهم وان ابدى لك البشرا
ففى الصدر حزازاتٌ تكاد تمزق الصدرا
ولو كادوا النجوم هوت من الخضراء للغبرا
فما الدنيا اذا فكرّْ تَ غير جهنم الصغرى
ألست ترى بها أمماً وكلٌّ تلعن الاخرى
لقد جربّت اهليها فلم أر فيهمُ خيرا
(ومثّلهم لنا الكفرا وي والصبانُ والفرّا)
فعمرو ضاربٌ زيداً وزيدٌ ضارب عمرا

مصطفى صادق الرافعي

« تشطيران للاديبة المصرية الشهيرة السيدة زينب فواز »

« ومصباح كأن النور منه يحاكي ثغره البسام جهلا
زها منه ضياءٌ كي يضاهى « محياً من أحب اذا تجلى »
« أغار على الدجى بلسان افعى فبدّد شمله خذلاً وذلا
وبارز كوكب الجوزاء منه « فشمر ذيله فرَقاً وولّى »

« أمنت الى هذا وذاك فلم اجد من الخلق من أرجوه فى عالم الحس
وما رمت من ابناء دهرٍ معاندٍ « أخا ثقة الا استحال الى العكس »

«فاصبحت مرتاباً بمن شطّ او دنا» ولوكان فى المريخ او جبهة الشمس
وأيقنت أن لا خل فى الكون يرتجى «من الناس حتى كدت أرتاب من نفسى»

﴿ قصيدة بدوية سليقية ، فى واقعة سياسية ﴾

كتب الى جريدة الاهرام الغراء من مسقط مانصه

صرف القنصل الانكليزي زمناً طويلا وهو يحاول الوصول الى منجم للفحم الحجري فى صور فبذل لذلك كل مسعى وحبط فى المرتين الاولى والثانية ولكن حبوطه لم يثنه عن عزمه وظل متلعاً عنقه الى المنجم وفاتحاً عينيه للقبض على المغنم وسار ثالث مرة فوقف الاعراب فى وجهه فى وادي رفصه وردوه فاتفق مع سلطان عمان على أن ينجده بالهدايا والاموال فجاء السيد فيصل يحمل التحف ليغوي بها الاعراب فهبت على مركبه ريح صرصر فابتلع البحر الهدايا وضاعت من يده ولكنه اتكل على المال الذى أعطاه اياه الانكليز فوزع على مشائخ القبائل مبلغاً جسيما فرضي بعضهم بان يسمح للقنصل بالوصول الى المنجم والوقوف عليه وأبى الآخرون وسار القنصل مخفوراً فلما كاد يصل ظهرت ألوف العربان وأطلقت البنادق ولكنهم أقنعوا بان القنصل لا يريد الاستيلاء على المعدن أو الارض بل هو يريد رؤيته فسلموا له بذلك بعد مال وفير قسم بينهم وما مكث القنصل عند المنجم سوى بضع ساعات اذ وقف على حاله وعمقه وموقعه وأشار عليه المشائخ الذين يخفرونه بالقفول سريعاً مخافة العطب والقصة كلها نظمها أحد مشائخ الجعليين شعراً وهذا الشيخ المسن أعمى لا يرى وهو ينظم الشعر عفواً ارتجالا والكتاب تتلقاه عنه وتسطره وهذه هي

القصيدة وفيها الدلالة الكافية ننشرها على علاتها كالفكاهة ولأنها الآن أنشودة كل عربى وبدوى فى تلك الاصقاع

حدث أخي عن العجب — وعن العلا وعن الحسب
وعن الخيانة انها — عار قبيح فى العرب
طلب النصارى [1] أرضنا — بمكيدة يوماً طلب
متعللاً بسياحة — وقناصة تقضي الأرب
فاقام منا عصبة — فى رده حتى ذهب
لما دعا عيسى [2] أجب — ناه لحيا من وثب
فمضى ونحن أمامه — لنضم شملاً للعرب
جئنا لجعلان فلم — نلق خلافاً مقتضب
فتواثقوا وتعاقدوا — فى منعه عما طاب
وبنومشرف [3] قابلوا ال [4] — بالوز بالمنع الالب
منعوه من أمرار رف — صتهم فرد على العقب
وسليل [5] تركيٍّ تهد — دهم فلم يخشوا عطب
لله درهم ودر — رئيسهم حين انتدب
فرأى النصارى اننا — فى البأس كالسيف العضب
فغدا وكاتب فيصلاً — فاجابه لما كتب

(١) كلمة اصطلح عليها بمعنى الانكليز لاغير لان النصارى الآخرين فى عرفهم أعداء الانكليز (٢) اى عيسى بن صالح شيخ قبيلة الحرث غزا مسقط سنة ٩٥ وأخذ من أهلها دية كبيرة (٣) اي المشارفة لهم قلعة الرفصة على مضيق فى جبال المنجم (٤) اى الباليوز وسيأتي بالياء وهنا بدونها للضرورة وتحقيراً للاسم والمسمى وهو القنصل بلغة من لغات الهند (٥) اى فيصل بن تركى صاحب مسقط ويقال له

فأتى الى صور لكى ‏ ‏ يقضي لهم ذاك الارب
في مركب قد جاءها ‏ ‏ وله متاع قد ذهب
قد سلط الله على ‏ ‏ ما عنده بحراً لجب
ودعا القبائل كى يخا ‏ ‏ دعهم بمال او نشب
فنما الينا أمره ‏ ‏ وأتى الينا المحتسب
عيسى واصحاب له ‏ ‏ جاؤا لنا بالمنترب (١)
ووراءهم جند كثـ ‏ ‏ ـير كالتراب اذا حسب
حرث وحجريون والـ ‏ ‏ ـهشم الغضارفة النجب
مع آل حبس (٢) او وهيـ (٣) ‏ ‏ ـبة او رواحة (٤) تنتدب
ندب (٥) ورحبيون ايـ ‏ ‏ ـضاً والسيابي المنتصب
مع آل اسود إن دُعوا ‏ ‏ يتواثبون على الميب (٦)
او عامر (٧) وبنو ريا ‏ ‏ م والقبائل نجتنب
من غافريٍّ او هنا ‏ ‏ ويٍّ (٨) تراهم كالشهب
فأتى الينا داعياً ‏ ‏ لنرد فيصل للعقب
فرأى البسالة فى وجو ‏ ‏ ه القوم منا تلتهب
سرنا لنحمى الدار عن ‏ ‏ أهل المعاصى والريب

السيد وقد تلقب بعض أسلافه بالامام وهو يدعي انه سلطان ولا احد فى بلاد العرب يوافقه ولا سيما لصغر نفسه مع الانكليز ولو كان سلطاناً حقاً لباع منهم مملكته

(١) قرية من الشرقية التى هى قطر من عمان (٢) أى الحبوس (٣) أى آل وهيبة (٤) اي بنو رواحة (٥) اى الندابيون (٦) جمع الميبه وهي في عمان المتراس كناية عن المساكرة (٧) أي العوامر (٨) أسماء الحزبين المتشاق اليهما قبائل عمان

حتى نزلنا بالفليـ ج(١) من المكان المنتخب
سرنا وصادفنا العدو ومكانه منا قرب
لله وقفتنا بأمّـــــم اللخم(٢) اذ حمي اللهب
وترى التفّاق(٣) موجّها ت للعدو المضطرب
وترى الكماة من الرجا ل كأسد غاب تنتشب
وترى المنايا فى وجو ه القوم تلمع كالشهب
والشمس فى كبد السما ء على القماحد تلتهب
والارض تشعل نارها وحصاؤها شبه الحطب
وهلال نجل سعيدنا(٤) أورى الحروب لنا وشب
لما غدا متقحما لجج المنون ولم يهب
فهناك بان اخو البسا لة والجبان المكتئب
لو لم يكن عيسى أرا د العفو عنهم او احب
لرأيتهم جزر السبا ع مقطعين أرب أرب
فتصير أم اللخم أم اللحم مهما تنتسب
أو يرجعون كأنهم شعر تساقط عن جرب
وتحامت العربان طرّ اً عن ضياع ينتسب
الا الصوايع(٥) كالأُلى قد صوّعوا بين العرب
لبسوا متى نصروا النصا رى كل عار مكتسب
فتشخصوا أشرافهم يتصارعون على العطب

---

(١) قرية (٢) اسم مكان (٣) جمع تفق أي بندقية مأخوذ من تفنك العجمى
(٤) هلال بن سعيد شيخ الحجريين (٥) فخذ من قبيلة بنى ابى حسن

ويسوسهم رجل (١) على | حال الضلال نشا وشب
جاؤا وقنصلهم أما | مهم كصنم منتصب (٢)
كانوا كراماً يحسبو | ن من الكرام أولى الحسب
فغدوا عبيداً للنصا | رى فانظرنْ هذا العجب
واستثن من اشرافهم | قوماً لهم فينا رتب
جند الامير ومن غدا | عند الامير متى وثب
أعنى سعيداً نجل سا | لم المهذب اذ ندب
فهو الذي قد كان في الا | أعداء سهماً قد وصب
فى عصبة نصروا الالا | ه مع الذي فيه احتسب
فأتى بجمع من بني | حسن (٣) غضاريف نجب
فاشتد عند وصولهم | حبل الهدى من غير جب
فلهم اذا طاب الثنا | طيب الثنا بين العرب
اذ هم غدوا اخواننا | قد ساعدونا فى الوصب
وانزاح عن افكارنا | بوصولهم كل التعب
واذكر محمداً بن شا | مس (٤) الذي فى المجدخب
أو ما رأيت ثباته | يوم الزلازلُ تضطرب
فلقد سما بتقدم | يوم الحؤنُ قد انقلب

(١) عامر بن سالم شيخ الصوايع (٢) تعريض بكبره وافتخاره فهو طويل القامة وله أنف طويل اعوج به لقبته العرب أبا منقار وهو مكروه عندهم كرهاً شديداً فهو والسيد فيصل فى المحبة كالاخوين وكذلك رتبتهما فى اعتبار العرب (٣) اي بنى ابى حسن (٤) هو من اعيان قبيلة المشايخ

وغدا عبيد البالبو ز كمثل نمل في سرب (١)
قد ورّثوا أبناءهم ثوب المذلة والعطب
فلسان كل الخلق تهدي نحوهم شتماً وسب
والحمد لله الذي رد الاعادى للعقب
في خيبة من سعيهم خابوا وخاب المنقلب

﴿ الهدايا والتقاريظ ﴾

(مقدمة التفسير وتفسير الفاتحة ومسائل افعال العباد والغرانيق وزيد وزينب)

الفاتحة يحفظها كل مسلم لانها جزء من صلاته وينبغي له ان يفهم معناها وفهمها من كتب التفسير يصعب على غير العلماء لانها ممزوجة بالاصطلاحات العلمية والاعراب وقد فسرها الاستاذ الإمام مفتى الديار المصرية تفسيراً دينياً خالصاً يسهل على كل قارئ فهمه ونشرنا تلخيص ذلك في المنار

ومسئلة إسناد افعال العباد اليهم تارة والى الله تعالى تارة أخرى من اعظم المشكلات الاعتقادية وقد فسر الاستاذ الامام الآيات التى توهم التناقض فيها بما يرفع الاشكال ونشرناه في المنار

---

(١) تعريض بأن القنصل ومن معه وصلوا المكان المعروف باسم اللخم السابق ذكره وهو قريب من معدن فحم كان يقصده القنصل ووعده السيد فيصل باعطائه اياه فاذا بالعرب اظهروا انفسهم فوق الجبال واطلقوا بنادقهم الى السماء بقصد التخويف لا غير الا ان بعض المطلقين اخطأوا بحيث وقع بعض الرصاص بقرب من القنصل ومن معه فألقوا انفسهم من فوق مراكبهم الى الأرض ودبوا الى الغيران وشقوق الصخور ولبدوا فيها الى أن اتاهم شيوخ العرب وسكنوا خوطرهم ثم ساروا بهم الى مكان الفحم فردوهم الى الوراء

ومسئلة الغرانيق التى هى اكبر الشبهات على الوحي ومسئلة زيد وزينب التي هى اكبر مطعن للمخالفين على النبي صلى الله عليه وسلم قد اضطرب فى تفسير الآيات التى اتخذت شبهة فى المسئلتين المفسرون فقسرها الاستاذ الامام فى مقالتين نشرتا فى المنار ايضاً

وقد رأيت ان يطبع تفسير الفاتحة وتفسير الآيات المتعلقة بهذه المسائل على حدة ليعم نفعه فانفذت ذلك وساعدنى على الطبع والنشر صديقي الفاضل الشيخ احمد عمر المحمصانى ويطلب الكتاب من ادارة المنار ومن سائر المكاتب الشهيرة وثمنه قرشان ونصف قرش

(كتاب غاية البيان . لما به ثبوت الصيام والافطار في رمضان)

اهدانا هذا الكتاب الوجيز من تأليفه الاستاذ الفاضل الشيخ محمود محمد خطاب السبكي احد المدرسين فى الجامع الازهر — ألفه لبيان ان الكتاب والسنة وما صح عن الأئمة هو ان الصيام والإفطار انما يكونان برؤية الهلال او إكمال العدة وانه لا يجوز العمل بقول الحاسب والمنجم . وقد أورد النقول من كتب الفقه فى المذاهب الاربعة حتى كتب الشافعية الذين يقول بعضهم ان للمنجم والحاسب العمل بعلمه فى حق نفسه فقط وجاء المؤلف بما يضعف هذا القول الذى اعتمده بعض الفقهاء وقد قرظ الكتاب جماعة من علماء المذاهب الاربعة وأولهم شيخهم الاكبر شيخ الجامع لهذا العهد

(الرسالة البديعة . فى الرد على من طغى نخالف الشريعة)

وأهدانا الاستاذ المذكور هذه الرسالة ايضاً فى الرد على اهل الطرق الذين لم يوافقوا فى ذكرهم الكتاب والسنة وهى جواب سؤال عرض عليه وقد وافقه فى الجواب جماهير علماء الازهر وفى مقدمتهم شيخهم الاكبر لهذا

العهد وكان يومئذ شيخ السادة المالكية . وقد بين فى هذه الرسالة احكام الانشاد فى الذكر والسماع والرقص والطبول والدفوف والمزامير التى يستعملونها وشدد النكير على ذلك وذكر بعض شبهاتهم على اباحة هذه البدع وبين بطلانها . وذكر ايضاً بدعهم فى تشييع الجنائز ثم شرب الدخان فى مجالس القرآن وغيرها . ثم تكلم فى البدع والعادات القبيحة المحرمة التى يأتيها الناس فى ليلة الزفاف وقد ذكر أموراً غريبة جداً ما كنا نظن قبل قراءتها انه يوجد فى البشر مثلها فهي مما يستحي الانسان لاسيما المسلم من سماعه او قراءته فكيف انتهى الناس فى التسفل الى فعله

(تحفة الابصار والبصائر . فى كيفية السير مع الجنازة الى المقابر)

وأهدانا هذا الاستاذ ايضاً هذه الرسالة له وموضوعها معروف من اسمها وعليها تقريظ شيخ الازهر الاسبق الاستاذ الشيخ حسونه النواوى واشهر شيوخ الازهر ومنهم الاستاذ شيخ الازهر لهذا العهد . وسنقتبس شيئاً منها ايضاً ان شاء الله تعالى . واننا نشكر لهذا الاستاذ الهمام عنايته بالكتابة فيما ينفع الناس وهم فى أشد الحاجة اليه ونسأل الله ان ينفع به وبتآليفه

(كتاب محك النظر) من الترقى فى العلم اليوم انتداب بعض الفضلاء لطبع كتب الائمة الاولين من علماء الاسلام . ومن هذه الكتب (محك النظر) فى المنطق للامام الغزالى وهو يخالف كتب الفن التى بين أيدينا فى ترتيبه وتقسيمه وتعبيره واسلوبه فانه يتكلم على التصديقات قبل التصورات لانها المقصود الأهم ويقسم الكلام فيها الى ثلاثة فنون . الفن الاول فى السوابق وفيه فصول فى الالفاظ والمعانى والقضايا واحكامها والفن الثانى فى محك القياس من المقاصد وهو طرفان احدهما فى نظم القياس والثانى فى

محك النظم وشرطه والثالث فى مادة القياس الخ

أما اسلوبه فاسلوب الكتاب البلغاء وحسبك ان تقول اسلوب الغزالى المعهود فى الاحياء وغيره من القوة والسهولة والبيان والبسط والتمثيل: أذكر من بيانه قوله فى تعريف اليقين: « اما اليقين فلا تعرفه الا بما أقوله وهو ان النفس اذا اذعنت للتصديق بقضية من القضايا وسكنت فلها ثلاثة احوال (احدها) ان تتيقن وتقطع به ويضاف اليه قطع ثان وهو ان يقطع بان قطعه به صحيح ويتيقن بان يقينه لا يمكن ان يكون فيه سهو ولا غلط ولا التباس ولا يجوز الغلط لا فى تيقنه بالقضية ولا فى تيقنه الثانى بصحة يقينه ويكون فيه آمناً مطمئناً قاطعاً بانه لا يتصور ان يتغير فيه رأيه ولا ان يطلع على دليل غاب عنه فيغير اعتقاده ولو حكي نقيض اعتقاده عن افضل الناس فلا يتوقف فى تجهيله وتكذيبه وخطأه بل لو حكي له ان نبياً مع معجزة (كذا ولعل الاصل ذا معجزة) قد ادعى ان ما تيقنه خطأ ودليل خطأه معجزته فلا يكون له تأثير بهذا السماع الا أن يضحك منه ومن المحكي عنه فان خطر بباله انه يمكن ان يكون الله قد أطلع نبيه على سر انكشف له (لعله به) نقيض اعتقاده فليس اعتقاده يقيناً » اه ومثل ببعض اليقينات البديهية فانت ترى ان هذا البسط ضروري فى كتب التعليم وتعلم ان الذين لا يأخذون العلم بمثل هذا الايضاح يكون علمهم دائماً مبهماً مظلماً لا تنكشف به الحقائق. الا ترى ان اكثر الذين يتعلمون المنطق بكتب المتأخرين المبهمة الموجزة لا يفرقون بين الظن واليقين وان احدهم يتوهم ان سكونه للتسليم بقول فلان العالم وثقته به عين اليقين وهو مع ذلك اذا ثبت له ان ذلك العالم رجع عن ذلك القول يرجع هو عنه ايضاً وذلك شأنهم فى

العلم والدين فاين علم اليقين وحقّ اليقين

وغاية ما أقول فى تقريظ هذا الكتاب انه ينبغي لكل طالب علم ان يطالعه ليميز بين العلم الحيّ الذى تتغذى منه العقول وبين غيره . وقد طبع على نفقة الفاضلين الشيخ محمد بدر الدين النعسانى الحلبي والشيخ مصطفى القبانى الدمشقى ويطلب من المكاتب الشهيرة فى مصر

الأخبار التاريخية

(رحلة سمو الخديو الى السودان وخطبته)

كنا وعدنا قبيل سفر سمو العزيز الى السودان بأن نكتب شيئاً من آراء الناس فى هذه الرحلة بعد السفر ولما أن نشرت الجرائد خطبة سموّه لم نر حاجة لذكر رأي آخر ولكننا ننشرها دون خطبة السردار التى هى ترحيب بسموّه واعراب عن الامل بترقي عاصمة السودان وتدرجها فى العمران حتى تصير عاصمة عظيمة ومتّجراً كبيراً فى السودان . وقد كانت خطبة سعادة السردار والحاكم العام للسودان باللغة الانكليزية وقد اجابه سمو الخديو بالعربية وفى بعض الجرائد ان خطبة سموه كانت مهيأة من قبل وهذا نصها :

ياسعادة السردار وحاكم السودان العام ويا حضرات الضباط والعساكر والموظفين وعلماء ومشايخ وأعيان وأهالى السودان . انى أشكركم على الخطاب الذى حييتمونى به وانى أؤكد لكم بانى أعد من اعظم المسرات لى رؤيتى اياكم فى هذه البلاد الشاسعة التى قربتنا منها السكة الحديدية

العجيبة التى ملأتني ارتياحاً وابتهاجاً الآن . وقد رأيت هذه البلاد وعرفت الصعوبات والمشقات التى لاقاها من كانت لهم يد فى الحملات التي كانت نتيجتها محو سلطة عبدالله التعايشى واعادة العدل والراحة والسكون فى جميع انحاء السودان (العلمان الانكليزي والمصري اللذان يخفقان بجانب بعضهما هما اشارة الى الحكومة المشتركة التى أخذت على عاتقها حماية الاهالى من الوقوع فى شرك اهل الظلم والفساد وابتداء عصر هناء وسعادة فى هذه الديار) ولقد سرنى أيضاً ما اشاهده من تقدم مدينة الخرطوم فى العمران واعتقدوا انى سأحفظ لكم أحسن ذكرى لاحتفائكم بى فى هذه الزيارة الاولى . وانى ليشملني السرور كلما سمعت بتحسن أحوالكم وتقدمكم فى الرفاهة التى أرى شواهدها بدت فى كل الارجاء . هذا وانى أنعم الآن بكل ارتياح ببعض النشانات على بعض كبار علماء الدين وسأنعم بها فيما بعد على الضباط والموظفين والاهالى الذين يعرض عنهم لى سعادة السردار والحاكم العام بناء على التقارير السنوية التى ترد له من المديريات ثم اكرر لكم تشكرى على احتفائكم بى احتفاء صادراً عن حسن نية وخلوص طوية اه

« فتنة الكويت »

كان من امر هذه الفتنة أخيراً ان الدولة العلية رفعت رايتها على بناء الامارة فأنزلها الانكليز المرابطون هناك فى البحر ورفعوا مكانها راية شيخ الكويت أو اميره وذلك عدوان عظيم . وقد كتب الينا من مكة المكرمة ما نصه : « يدور عندنا فى بعض الاندية (ولا نادى) الحديث فى فتنة الكويت التى نخشى ان تطير منها شرارة الى الحجاز فتثير الكامن وتظهر

الحقيقة ويجلى المجاز فما تنفع القوات وأساسها خراب ، وما تنفع الطاعة وصاحبها فى خلاب ، » وهذه العبارة تثير كامن الوساوس ، وتبعث ميت الهواجس ، وتدل على ان هناك امراً خفياً ، واتفاقاً سرياً ، ولعله يكون امراً فرياً ،

« مدرسة محمد علي الصناعية »

يسرّ كل غيور على امته أن جمعية العروة الوثقى الاسلامية هبت فى هذا العام لانشاء مدرسة صناعية تنسب الى اسم محمد علي باشا الكبير . وقد جعل الاكتتاب لتأسيسها تحت رياسة وزير مصر الشهير صاحب الدولة مصطفى رياض باشا وكان أول المتبرعين مولانا الخديو المعظم تبرع بمائة جنيه . وقد تبرع اخيراً جناب اللورد كرومر بمائة جنيه انكليزي ارسلها لدولة الوزير مع كتاب شكر على هذا العمل النافع الذي يحث المصريين عليه دائماً وقد بلغ الاكتتاب زيادة عن خمسة آلاف وثلاثمائة جنيه فنحث اهل الغيرة على البذل فى هذا العمل العظيم لان البلاد فى أشد الحاجة اليه

عني صديقنا الكاتب الفاضل رفيق بك العظم بتأليف تاريخ سماه (اشهر مشاهير الاسلام فى الحروب والسياسة) يمثل فيه المدنية الاسلامية بطريقة لم يسبقه اليها مؤرخ مسلم وقد صدر الجزء الاول منه فى سيرة الخليفة الاول وقائده الحربي الشهير خالد بن الوليد رضي الله عنهما وجعل ثمنه ٦ قروش ليسهل اقتناؤه وسنقرظه فى الجزء الآتى ان شاء الله تعالى

نرجئ منار غرة شوال الى نصف الشهر وقد علم القراء من قبل حكمة ذلك . وقد ضاق هذا الجزء عن نبذة (نساء المسلمين) والموعد ما بعده

الجزء الحادى والعشرون المجلد الرابع

المنار ١٣١٥

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و«مناراً» كمنار الطريق)

(مصر فى يوم الاحد ١٦ شوال سنة ١٣١٩ — ٢٦ يناير (ك ٢) سنة ١٩٠٢)

« باب المقالات »

حياة امة بعد موتها

« جمعية اليهود الصهيونية »

أفلمْ يسيرُوا فى الأَرض فتكون لهمْ قلوبٌ يعقلونَ بها أو آذانٌ يسمعونَ بها فانها لاَ تَعمَى الأبصارُ ولكنْ تعمى القلوبُ التي فى الصدُورِ

كنا نتحدث فى ايام العيد مع صاحب الدولة رياض باشا فى حال المسلمين وما يحتاجونه من الاصلاح فجاء ذكر اليهود عند ذكر ركن كل اصلاح وتقدم وهو (المال) وذكرنا الجمعية الصهيونية ومساعيها فى اعادة السلطة والملك الى شعب اسرائيل فقال الوزير انه اطلع فى هذه الأيام على كتاب لبعض الأوربيين المحادّين لليهود ألَّفه صاحبه للوقيعة والازراء بهم فكان كله تعظيماً فى الحقيقة وتبجيلاً . ومما فيه ان ازمة المنافع فى باريس او فرنسا بأيدى اليهود . وقد رغب الى بعض افاضل المصريين بتعريبه لا ليستاء الاسرائيليون ولكن ليعتبر المسلمون

أنّى يعتبر المسلمون بأحوال البشر ، وما فى الأرض من الآيات والعبر ، وعلى ابصارهم غشاوة وفى آذانهم وقر وقلوبهم فى اكنةٍ لا يصل اليها وعظ الواعظين ، ولا تنبيه المنبهين . فالعبرة بعيدة عنهم ما دامت هذه الحوائل والموانع بينهم وبينها وسننبه عليها فى هذه المقالة وان كنا فصلنا القول فيها من قبل فان اكثر قومنا ينسون النافع ويحتاجون الى التكرار

لو كنا نسمع اخبار الامم سماع تدبّر ، او نعقل الحوادث بحكمة وتبصّر ، لما كنا نضرب المثل الى اليوم بذل اليهود وضعفهم ونخشى ان نكون فى يوم من الايام مثلهم ونحن لا نعرف انفسنا ولا نعرفهم . لا نعرف من فضلنا عليهم فى الحياة الاجتماعية الا ان بعض بلادنا لا تزال تحت رياسة امرآء منا وانهم محرومون من السلطة . ويا ليتنا كنا نبصر الطريق التي تسير فيه امراؤنا بتلك البقايا من البلاد لنعلم أهو طريق سلفنا العدول الصالحين الذين ورثوا الأرض لانهم صالحون لعمارتها ؟ أم هو طريق خلفهم المستبدين الجائرين الذين اضاعوا اكثر الممالك الاسلامية حتى لم يبق لنا منها الا ذلك البعض الذى أعمانا الغرور به على ما نشاهد من استبداد الاجانب علينا فيه .

ثم يا ليتنا كنا نبصر الطريق الذي يسير اليهود فيه الآن لنعلم هل هو طريق سلفهم الذين كانوا مغرورين بالنسب الشريف (سلالة الانبيآء) واللقب الضخم (شعب الله — أبنآء الله واحباؤه) والاعتماد على بركة التوراة فى الاستفتاح على الأمم والانتصار على المناصبين من غير عمل بما ترشد اليه من الاتحاد والاعتصام ؟ أم هو طريق آخر اعتبروا فيه بسنن الله فى خلقه فحافظوا على لغتهم وجامعتهم الملية مع تشتتهم فى جميع اقطار

الأرض وتقربَ بعضهم من بعض بالتعاضد والتعاون واخذوا بجميع علوم العصر وفنونه النافعة وبرعوا فى جمع المال الذى هو اساس القوة والعزة فى هذا العصر ؟ أليس هذا هو الطريق الذي استقام عليه الاسرائيليون فى هذا العصر فنبتت شوكتهم المخضودة ، وعادت عزتهم المفقودة ، ولا ولا ينقصهم ان يكونوا اعظم امة على سطح الأرض الا الملك وهم يسعون اليه من طريقه الطبيعي" . وان اليهودي الواحد اليوم اعز من ملك من ملوك الشرق فان أية دولة أوربية تهدّد اعظم سلطان شرقي" بالقول والفعل وتحمله بالقوة على ان يهين نفسه وقد حاولت دولة فرنسا ان تهين رجلاً يهودياً فقامت عليها القيامة وكادت تشب فيها الحروب الداخلية المجتاحة لولا ان تداركتها وذلك فى مسئلة دريفوس التي لم ينسها احد ممن عرفها

لليهود جمعيات ملية كثيرة — ولا نجاح للأمم الا بالجمعيات — ولم نسمع بذكر الجمعية الصهيونية الا من نحو خمس سنين وهي جمعية سياسية غرضها الاستيلاء على البلاد المقدسة لتكون مقر ملكهم وعرش سلطانهم وقد جاء ذكر هذه الجمعية فى العدد السادس من منار السنة الاولى (ص ٤٤ و ٤٥) وفيه ان حركة هذه الجمعية ظهرت فجأة فى النمسا والمانيا وانكلترا واميركا . ولم تكن تظهر فى اول الامر طلب الملك وانما كانت تتظاهر بحب نقل فقراء اليهود المهاجرين والمخرجين (المنفيّين) الى بلاد فلسطين ، ليعمروها ويعيشوا فى ظل السلطان آمنين ، وكأنها وثقت بقوتها الآن ، فخرجت من مضيق الكتمان ، وقد بعثت منذ اشهر المستر اسرائيل زنفويل من لندره الى الاستانة للمساومة فى شراء القدس الشريف ويقال انه لقي من الحضرة السلطانية التفاتاً وانعطافاً . وبعد رجوعه خطب

فى الجمعية فقال ما مثاله بالعربية :

« ان اليهود سيرجعون بكثرة الى فلسطين مملكتهم القديمة التي لا يمكن ان تغرب شمسها من سماء افكارهم وسيبلغ عددهم فيها سنة ٢٠٠٠ أي آخر القرن العشرين المسيحي مائتي ألف ألف (مليونين) نفس . وسيجعلون تلك الأراضي جنات عالية قطوفها دانية وينشؤن فيها حدائق ذات بهجة ويصلون اطرافها وارجاءها بالسكك الحديدية ويقيمون فيها حكومة منتظمة خاصة بها تكون نموذج الكمال ، لجميع الأمم والاجيال ، فيكون شعب اسرائيل مناراً على جبل صهيون تهتدي به الامم كلها الى المدنية الفضلى فى الأحوال الاجتماعية والسياسية والقضائية والأدبية والزراعية وسائر الشؤن المعاشية . ومن قوانينه تتعلم دول أخرى طرق الرشاد فى تدبير الممالك كما تتعلم الامم والشعوب من نظامه الاجتماعي حقيقة المدنية ، ومن سيادته الروحية معنى الديانة الحقيقية ، »

قال : « وبالجملة فانى معتقد بنجاح الآمال فى امتداد ملة اليهود بعد رجوعهم الى فلسطين ويمكن ان يقال انه منذ زمن المسيح الى هذا العهد لم يطلع العالم على شيء من حياة الاسرائيليين واعمالهم . وقد كانوا مضطهدين من المسيحيين والوثنيين فى كل مملكة فكان ذلك هو السبب فى بقائهم بما قرّب بعضهم من بعض وألف بين قلوبهم ومنعهم من مخالطة غيرهم والتزوج ممن سواهم »

ثم قال : « وغاية مايرمى اليه اليهود هو جمع النقود الكافية لابتياع أرض فلسطين من السلطان الذي ستكون الحركة الكبرى تحت سيادته وقد بلغ ماجمع الى الآن ألف الف ريال اميركانى (مليون) وفى كل مدينة

وكل قرية يتبوءها اليهود فى مشارق الارض ومغاربها فرع من الجمعية الصهيونية يجمع المال لهذا الغرض . وكل ماجمع فهو من الفقراء لان الاغنياء مشغولون بمنافعهم الشخصية عن اعطاء هذا المشروع حقه من العناية والاهتمام . على ان تهاون الاغنياء لايخمد نار الحمية الملية فى نفوس الفقراء . يدل على ذلك جمع النقود بسرعة من كل صوب وانهمار صيّبها من كل افق ويرجي ان نوفق فى بضع سنين لجمع مقدار من النقود يكفى لبلوغ الغاية ونيل الامنية » الخ

أظن ان الخطيب مبالغ فى نسبة اغنياء اليهود الى عدم العناية بمساعدة الجمعية الصهيونية ولعل الحكمة فى ذلك تنشيط الفقراء والمتوسطين على البذل بقدر الامكان ثم يكون الاغنياء هم الذين يتمون العمل اتماماً . والا فمن ينكر كرم البارون هرش والانفاق من سعته على شراء المستعمرات لقومه . ومتى بسط مثل هذا الغني السخيّ يده لمساعدة هذه الجمعية فقل قد قرب مجيء ذلك اليوم العظيم

جمع فقراء اليهود ألف الف ريال لهذاالعمل ولديهم مزيد وهذا بعد ماعمموا المعارف فى طائفتهم فهل ينشط المسلمون فى مصر وهم يقربون من عدد يهود الارض لمساعدة الجمعية الخيرية بجمع ألف ألف قرش على انشاء مدرسة كلية فى القطر المصرى ؟ ؟

هذا — ومن تصريح الجمعية الصهيونية بمقاصدها السياسية على رؤس الاشهاد الصحيفة العبرانية الفرنساوية التى نشرها فرع الاسكندرية فى غرة الشهر لدعوة اليهود الى سماع الخطب والمناقشات ليلاً فى قاعة الملهىَ العباسى وقد افتتحت بما معناه بالعربية الصحيحة :

« دعوة صهيونية ليهود الاسكندرية »

« ايها الاخوان : ان شعبنا مابرح يعلل النفس بان تكون له أمة (دولة) ولم يتوان فى السعى ولن يتوانى مهما عارضته الصوارف ، وناهضته الصوادف ، وقد مضى على اولئك الذين دافعوا الدفاع الاخير عن بيتنا المقدس ألفا سنة كانت الايام فيها تساورنا وتحاول محونا من لوح الوجود فعجزت بابنائها عن زلزال عقائد اسرائيل . وان قواعد ديننا واحكام شريعتنا تقضي علينا بان نستمسك بعروة وطننا القديم ونعتقد ان سيعود الينا مجدنا التليد ومكانتنا السامية . تمزق شعب اسرائيل كل ممزق وتفرق شمله فى الارض ولكن بلاد صهيون كانت معهد الارتباط بين أفراده فهى مأمن السرب ، وفرجة الكرب ، وبسببها بقينا حافظين للعهود ، محافظين على سنن الآباء والجدود ،

« ان أعاصير الظلم والاضطهاد ، وعواصف التعصب والعناد ، التي تعصف باليهود لتمسكهم بدينهم قد اضطرتنا الى العمل بما تكنه السرائر ، واظهار ما انطوت عليه الضمائر ، والخروج من مضيق الاستعداد ، الى فضاء الايجاد ، فالمشروع الصهيونى يطالبنا الآن بالمبادرة الى العمل ، والمسارعة الى اتخاذ الحيل ، ويحذرنا عاقبة الفتور والكسل ، حسبنا اننا مخرجون (منفيون) من كل مكان ، مبغضون من كل انسان ، يرمينا الشانئ بذلك الوصف الشائن الذى نبزنا من أجله بلقب (اليهودي التائه) على حبنا للاصلاح وخدمتنا الجليلة لكل بلاد تبوأناها واعلاء شأن المدنية فى كل مملكة استوطناها . اذاً لاعلاج لهذا الامتهان إلا الاتحاد والاعتصام لتأييد النهضة الملية التى تأسست فى النمسا من أفاضل شعبنا

لحفظ حقوقنا المقدسة . وقد اشرعنا الطريق للسير ومابقى علينا الا ان نسلكه

اخواننا : عليكم نعتمد فى نجاح المشروع الصهيونى فى ارض مصر فلنسلك مسالك اخواننا فى الاقطار البعيدة فقد مهدوا لنا السبيل ، فاذا عضدناهم فساعة الفوز آتية بعد زمن قليل ، ويناجينا الشعور بحاجة بعضنا الى بعض بان ستبادرون الى اجابة دعوتنا وحضور ليالتنا لسماع الخطب فى ملهى (منفراتو) الساعة ٩ من مساء السبت ١١ الشهر (الافرنكي) ونحن فى انتظاركم شاكرين لكم سلفاً محبة صهيون »

قسم جمعية بارخورشبا

الاسكندرية

ماذا عسانا نقول الآن فى تنبيه قومنا الى الاعتبار باتحاد اليهود وسعيهم لاسترجاع مجدهم بل لأن تكون لهم مملكة تقتدي بها جميع الممالك فيكونوا أمة للعالمين ؟ نعيد بعض ماقلناه فى العدد السادس من السنة الاولى عند ذكر خبر الجمعية ولم يكن احد يذكر عنهم انهم يطلبون الملك الا ما اشرنا اليه فى ذلك العدد من انفسنا . ذكرنا يومئذ خبر هذه الحركة الصهيونية عن مجلة المقتطف الغراء لفوائد بيناها هنالك نذكر منها هنا الفائدة الثالثة وهى :

(٣) إيقاظ قوم قد رزؤا بالخمول ، وكاد يعمهم الذهول ، واستلفاتهم (كذا) الى الروابط المحكمة بين اليهود مع تفرقهم فى الممالك وتشتتهم فى الاقطار وكيف يمدون سواعدهم لمساعدة اخوانهم ومعاضدة قومهم من وراء البحار وشعوف الجبال . ولم يصدهم تنائى الديار ، عن المواصلة فى الأفكار ، والتعاون بالدرهم والدينار ، الذى يحقق به كل أمل ، ويناط به

كل عمل ، فيأيها القانعون بالخمول أقنعوا رؤسكم (ارفعوها) وحدقوا ابصاركم وانظروا ماذا تفعل الشعوب والامم . اصيخوا لما تحدث به العوالم عنكم . أترضون ان يسجّل فى جرائد جميع الدول ان فقرآء اضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادها هم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه بحيث يقتدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها وجعل أربابها أجرآء ، واغنيائها فقرآء ، . . . تفكروا فى هذه المسئلة واجعلوها موضوع محاورتكم لتتبينوا هل هي حقة أمْ باطلة ، صادقة ام كاذبة ، ثم اذا تبين لكم انكم مقصرون فى حقوق اوطانكم وخدمة أمتكم وملتكم فانظروا وتأملوا وتفكروا وتذاكروا وتحاوروا وتناظروا فى مثل هذا الأمر فهو أخلق بالنظر من اختلاق المعايب ، وانتحال المثالب ، والصاقها بالبرآء . واحرى بالمحاورة من التذقح والتجني على اخوانكم فان فى الخير شغلا عن الشر وفى الجد مندوحة عن الباطل « وما يتذكر الا من ينيب » اه

هذا ماقلناه من نحو اربع سنين فماذا نقول اليوم ؟ لا ينفع القول مهما بالغ المنذر فى البيان ، وأدلى بالحجة والبرهان ، او يزول ذلك الوقر من المسامع وتزاح تلك الغشاوة عن الابصار وأعني بالوقر ما ملأ أسماع الناس وقلوبهم من أطراء الأمرآء والحاكمين واقناع النفوس بأن سعادة الامة انما تفيض من سماء عظمتهم فما عليها الا الاتكال عليهم وتعظيمهم وبذل النفس والنفيس فى التقرب اليهم ، واعنى بالغشاوة تلك التمويهات التى يغشّون بها الجمهور ليطمئن الى الاقوال ، ويغفل عن نتائج الافعال ، وليس من موضعنا بيان نتائج سياسة كل أمير من امراء المسلمين فمجموعها ما نحن فيه فان لم يكونوا هم المبسلين للأمة والمضيعين لها بسلطتهم المطلقة فلا شك انهم لم

يحفظوها من الإبسال والهلكة . ولا نريد من مقالنا هذا ان تخرج الامة عليهم فان هذا يكون عوناً للاجانب على سرعة الإجهاز علينا ولكننا نريد ان لا تعتمد الامة عليهم بل تسعى بكل مافى طاقتها لتحصيل العلوم النافعة والثروة الواسعة والتربية الرافعة فمن كان من امرائهم محسناً كانت الامة عوناً له اذ هى قوام الملك وعماده ، وعدته وعتاده ، ومن كان مسيئاً جبروا نقص اساءته بأحسانهم حتى اذا صاروا أمة حقيقية لها رأى عام قوّموه أو قوّموا خلفه بتقييده بالشرع والشورى سالكين فى ذلك الطرق الحكيمة التى لا تخشى مغبتها ، ولا تحذر عاقبتها ،

﴿ باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون اصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التى ذهبت بتركه

« الامراء والحكام — بلاء الامة بهم »

(٢٢) قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ان الله تعالى زوى لي الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وان ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها وأنى أعطيت الكنزين الاحمر والابيض . وانى سألت ربى تعالى لامتى ان لا يهلكوا بسنة عامة ولا يسلط عليهم عدوًّا من سوى انفسهم فيستبيح بيضهم وان ربى عز وجل قال : يا محمد انى اذا قضيت قضاء فانه لا يردّ وانى اعطيتك لامتك أن لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوًّا من سوى انفسهم فيستبيح بيضهم ولو اجتمع عليهم مَن بين اقطارها حتى يكون بعضهم يفني بعضاً . وانما اخاف على امتى الأئمة المضلين » الحديث .

(٢٢) رواه احمد ومسلم وابوداود والترمذى وابن ماجه عن ثوبان

السنة القحط والبيضة حوزة الشيء وأصل القوم ومجتمعهم وعشيرتهم ويقال لجماعة المسلمين بيضة الاسلام . واذا سألنا التاريخ يخبرنا بان الاجانب لم يستولوا على بلاد إسلامية ولم يستبيحوا بيضة طائفة من المسلمين الا بمساعدة المسلمين فأهل مراكش كانوا عوناً لفرنسا على أخذ الجزائر والافغانيين اعانوا الانكليز على الهنود والجند المصري فتح السودان ورفع الراية الانكليزية عليه . وما كان المسلمون ليفعلوا هذا الا بأمر أئمتهم اى امرائهم ولذلك كان يخاف النبي عليه السلام على امته الائمة المضلين

(٢٣) وقال صلى الله عليه وسلم : « لست أخاف على امتي غوغاء تقتلهم ولاعدوًا يجتاحهم ولكني اخاف على امتي ائمة مضلين ان أطاعوهم فتنوهم وان عصوهم قتلوهم » . فى هذا الحديث شيء من بيان معنى الخوف فى الذي قبله . ومن البلاء أننا لانرى أميراً مسلماً ينزع من نفسه عن الاستبداد ويقيد نفسه بالشرع والمشاورة حتى تكون الاجانب هى التى تغل يده وتقيده

(٢٤) وقال (ص) : « لاتبكوا على الدين اذا وليه اهله ولكن ابكوا عليه اذا وليه غير أهله » وقد عرفنا اهله من الاحاديث التى أوردناها فى الجزئين السابقين من المنار

(٢٥) وقال (ص) : « لكل شيء آفة تفسده وآفة هذا الدين ولاة السوء » وذلك انهم يستعينون على افساده بعلماء السوء الذين يفتونهم بما يهوون ويعظمونهم على ظلمهم وفسقهم فيقتدى الناس بهم فيفسد عليهم دينهم

---

(٢٣) رواه الطبرانى عن ابى امامة (٢٤) رواه احمد والحاكم عن أبى ايوب

(٢٥) الحارث عن ابن مسعود

(٢٦) وقال (ص) : « صنفان من امتي اذا صلحوا صلحت الامة الامراء والفقهاء » وهذا مؤيد لتفسير الحديث قبله

(٢٧) وقال (ص) : « لايزال هذا الامر فيكم وانتم ولاته مالم تحدثوا اعمالاً تنزعه منكم فاذا فعلتم ذلك سلط الله عليكم شرار خلقه فالتحوكم كما يلتحى هذا القضيب » وهذا تصريح بان الملك لاينزع من المسلمين الا بواسطة امراء السوء ولكن الأمير مهما كان ظالماً لايعدم أعواناً يحسّنون عمله ويغشون الامة به مادام أميراً فلا تظهر سيئاته للناس كلهم الا بعد موته يوم لاينفعهم ظهورها ولو شئنا لذكرنا شهادات التاريخ الماضى . وتاريخ هذا العصر الجرائد واكثرها خاطئة كاذبة ، مماثلة مواربه ،

(٢٨) وقال (ص) : ان الامير اذا ابتغى الرّيبة فى الناس أفسدهم » وهذا الحديث مختصر مما بعده ومصداقه ظاهر مشاهد

(٢٩) ستكون من بعدي امراء فادُّوا اليهم طاعتهم فان الامير مثل المِجَنّ يتقى به فان صلحوا واتقوا وامروكم بخير (وفى نسخة بمعروف) فلكم ولهم وان أساؤا وامروكم به فعليهم وانتم منه براء وان الامير اذا ابتغى الريبة بالناس أفسدهم » اي هذا شأنه ومن طرق الافساد مايبينه الحديث الآتى . وقوله عليه السلام فلكم ولهم ظاهر فان سعادة الامير على حسب سعادة الرعية وفى الحديث تقديم ذكر الرعية على ذكر الامير لانها الاصل

---

(٢٦) ابو نعيم في الحلية وابن النجار عن ابن عباس (٢٧) احمد والطبرانى والحاكم عن ابى مسعود الانصارى (٢٨) ابو داود عن جبير بن نفير وكثير بن مرة والمقدام وابى امامة (٢٩) الطبرانى عن شريح بن عبيد . قال اخبرنى جبير بن نفير وكثير ابن مرة وعمرو بن الاسود والمقدام بن معديكرب وابو امامه .

واما قوله عليه السلام « فعليهم » اي اذا لم تطيعوهم كما هو الحكم الشرعى وذكرنا بعض الاحاديث فيه من قبل

(٣٠) وقال (ص) : « انك اذا ابتغيت عورات الناس افسدتهم اوكدت أن تفسدهم » ومن امرائنا من يتخذ العيون والجواسيس للبحث عن عيوب الناس وتتبع عوراتهم وقد افسدوا بها كثيراً وأضلوا كثيرا

(٣١) وقال (ص) : « سيكون بعدي سلاطين الفتن على ابوابهم كمبارك الابل لا يعطون أحداً شيئاً الا اخذوا من دينه مثله »

(٣٢) وقال (ص) : « اذا كانت امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم وأموركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها . واذا كانت امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم وأموركم الى نساءكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها » اى فعليكم ان تستميتوا فى نصر الحق وتأييده غير وجلين من الموت لأنه خير من حياة كهذه .

(٣٣) وقال (ص) : « ستكون امراء تعرفون منهم وتنكرون فمن ناواهم نجا ومن اعتزلهم سلم اوكاد ومن خالطهم هلك » . ناواهم أى عاداهم أو عارضهم وفى رواية نابذهم قال العلماء : يجب الانكار على من أمن على نفسه فان خاف ان يقتلوه يسقط الوجوب ويبقى الجواز فان قتل فتلك الشهادة الفضلى وورد فى الحديث ما يؤيد ذلك . وقال فى المعتزل « سلم أوكاد » لأن اعتزالهم قد يتضمن إقرارهم على ماهم فيه من الجور والمنكر .

---

(٣٠) رواه ابوداود عن معاوية (٣١) الطبرانى والحاكم عن عبدالله ابن الحرث مرفوعاً وله شواهد موقوفة ومرسلة (٣٢) الترمذى عن ابي هريرة (٣٣) ابن ابي شيبة عن ابن عباس

واعظم الجور ان تكون سلطتهم فوق شرع الله تعالى. قال الغزالى فى المعتزل:
سلم من اثمهم ولكن لم يسلم من عذاب ان نزل يعمّه معهم

(٣٤) عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «كيف بك يا أبا عبد الرحمن اذا كان عليك امراء يطفئون السنة ويؤخرون الصلاة عن ميقاتها» فقلت فكيف تأمرني يارسول الله؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يسألني ابن أم عبدٍ كيف يفعل لا طاعة لمخلوق فى معصية الله» وقد أطفأ امراؤنا من عدة قرون السنة حتى خرجوا عن هديها فى الغالب واحيوا فى هذا الزمان سنة الافرنج حتى التهتك الذى يفسد أخلاق الأمة كالمراقص وما فى معناها وقصورهم حانات خمور يتقربون بذلك الى الافرنج الا من عصمه الله تعالى (راجع حديث ٢٥)

﴿ آثار السلف . عبرة للخلف ﴾

(١) روى ابو بكر بن أبي شيبة والبخاري والدارمى والحاكم والبيهقي فى السنن عن قيس بن ابى حازم قال: «دخل ابو بكر على امرأة من احمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال مالها لا تتكلم فقالوا حجت مصمتة فقال لها: تكلمى فان هذا لايحل هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت قالت: ما بقاؤنا على هذا الامر الصالح الذى جآء الله به بعد الجاهلية بعد النبي صلى الله عليه وسلم؟ * قال: بقاؤكم عليه ما استقامت بكم أئمتكم. قالت وما الائمة؟ قال: أما كان لقومك رؤس واشراف يأمرونهم ويطيعونهم؟ قالت بلى. قال فهم امثال اولئك يكونون على الناس». ما كانت هذه

---

(٣٤) عبد الرزاق في الجامع واحمد (*) بعد النبى متعلق ببقاؤنا

الاعرابية الفاضلة تعلم أن سيكون للمسلمين مدنية لها رؤساء مكلفون باقامة شعائر الدين والقيام بشؤن النظام العام فضرب لها المثل برؤساء القبائل فى بداوة الجاهلية

(٢) روى البيهقي عن ابن اسحاق قال فى خطبة ابى بكر يومئذ (أي يوم البيعة) : « وانه لا يحل ان يكون للمسلمين أميران فانه مهما يكن ذلك يختلف امرهم واحكامهم وتتفرق جماعتهم ويتنازعون فيما بينهم . هنالك تترك السنة وتظهر البدعة وتعظم الفتنة وليس لاحد على ذلك صلاح . وان هذا الامر فى قريش ما اطاعوا الله ورسوله واستقاموا على امره قد بلغكم ذلك وسمعتموه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين »فنحن الامراء وانتم الوزراء اخواننا فى الدين وانصارنا عليه .

« وفى خطبة عمر بعده : نشدتكم الله يامعشر الانصار ألم تسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم او من سمعه منكم وهو يقول .« الولاة من قريش ما اطاعوا الله واستقاموا على امره » . فقال من قال من الانصار بل الآن ذكرنا — قال فانا لا نطلب هذا الامر الا بهذا فلا تستهوينكم الاهوآء فليس بعد الحق الا الضلال فأنى تصرفون . »

اذا كان شرط بقاء الامر فى قريش طاعة الله ورسوله والاستقامة على ذلك فمن اين جاءت لمن عداهم السلطة المطلقة التى يضعون بها القوانين المخالفة للشرع ويصدرون الأوامر بالعفو عمن أمر الله بأقامة الحدود عليهم ؟ ولماذا يطبق المنتصرون للدين بالقول الآيات الواردة فيمن لم يحكم بما انزل الله على القضاة وحدهم وينسون الامراء والملوك الذين شرعوا لهم

ما لم يأذن به الله وولوهم القضاء والزموهم الحكم بتلك القوانين ؟

(٣) « روى البخاري وابو عبيد وابن سعد والبيهقي عن عائشة قالت : لما استخلف ابو بكر قال : لقد علمت قومى أن حرفتى لم تكن تعجز عن مؤنة اهلى وقد شغلت بأمر المسلمين فيأكل آل ابى بكر من هذا المال وأحترف للمسلمين فيه »

(٤) « روى ابن سعد عن عطاء ابن السائب قال : لما بويع ابو بكر أصبح وعلى ساعده أبرادٌ وهو ذاهب الى السوق . فقال عمر اين تريد ؟ قال السوق. قال تصنع ماذا وقد وليت امر المسلمين قال فمن اين اطعم عيالى؟ فقال عمر: انطلق يفرض لك أبو عبيدة . فانطلقا الى ابى عبيدة فقال:أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا بأوكسهم وكسوة الشتاء والصيف اذا أخلقتَ شيئاً رددته واخذت غيره » . فى هذا الأثر فوائدجمة منها فضل الاحتراف الذى ترفع عنه كبراؤنا حتى افتقر كثير من البيوتات لذلك . ومنها ان الحاكم العام ليس له ان يحترف لئلايشغله ذلك عن المصلحة العامة . ومنها ان سنة الراشدين ان لا يفرض الامام الاعظم لنفسه شيئاً حتى تكون الامة هي التى تفرض له وعليه الرضى بحكمها . ومنها ان العدل ان يُفرض له ما يكفى للمعيشة المتوسطة بالنسبة الى صنفه فيكون قريباً من كل طبقات الامة فى حاله . من اعطى امراء المسلمين بعد ذلك ان يأكلوا أموال الامة بغير حساب ويهبوا منها بحسب اهوائهم وشهواتهم ؟ . ايصح ان يكون رئيس جمهورية سويسرة وقومه أقرب الى العمل بسنة سلفنا من ائمتنا وامرائنا إذ فرضت له الامة راتباً يكفيه ان يعيش كالمتوسطين فى بلده . ومن ذلك انه يركب فى الدرجة الثانية اذا اراد السفر وقد

اشترطت الامة عليه ذلك فاذا خالف لايعيدون انتخابه — ديننا وضع هذه الاصول الإصلاحية وغيرنا يتمتع بسعادة العمل بها ويفوز بثمراتها . ونحن نقدس امراءنا الذين اضاعوها ونقول لجهلنا : ما بالنا ننكسر والاجانب ينتصرون ، ما بالنا نذل وهم يعزون ، ما بالنا نفتقر وهم يستغنون ، ما بالنا نستعبدُ وهم يسودون ، « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون » القرى الامم والمراد بالظلم الشرك والكفر كما ورد فى الحديث الصحيح وقد اوضحنا اسباب هلاك الامم بالعقل والنقل فى المجلد الأول من المنار فليراجع

(٥) وفى رواية البيهقي عن الحسن ان ابا بكر لما غدا الى السوق فمنعه عمر « قال قد جاءك ما يشغلك عن السوق . قال سبحان الله يشغلني عن عيالي . قال نفرض بالمعروف . قال : ويحَ عمر انى أخاف ان لا يسعني ان آكل من هذا المال شيئاً . فأنفق سنتين وبعض أخرى ثمانية آلاف درهم فلما حضره الموت قال : قد كنت قلت لعمر انى اخاف ان لا يسعني ان آكل من هذا المال شيئاً فغلبني فاذا انامت خذوا من مالي ثمانية آلاف درهم وردوها فى بيت المال . فلما أُتيَ بها عمر قال : رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده تعباً شديداً

﴿ شبهات المسيحيين . وحجج المسلمين ﴾

« النبذة الحادية عشرة — عصمة الانبياء والخلاص »

(ليسَ بأمانيّكم ولا أمانيّ أهلِ الكتاب ، من يعملْ سوءاً يُجزَ به ولا يجدْ له من دون الله وليّاً ولا نصيراً * ومن يعملْ منَ الصالحات من ذكرٍ أو أنثى وهوَ مؤمنٌ فأولئكَ يدخلونَ الجنة ولا يظلمونَ نقيرا)

ذكرنا فى نبذة سابقة أننا طلاب مودة والتئام وان المناقشات فى الأديان والمذاهب قليلة الجدوى وربما اضرت ولم تنفع لان اكثر الناس مقلدون وما اضيع البرهان عند المقلد!! وقلنا ان هؤلاء المبشرين الانجيليين اضطرونا الى الرد على تمويههم بما يرسلون الينا من الكتب والجرائد التي تطعن فى عقائد المسلمين ويلحون علينا بأن نرد عليها وقد انضم الى الحاحهم طلب كثيرين من المسلمين يقولون ليس فى القطر مجلة اسلامية انشئت لخدمة الدين مع العلم الا المنار فيجب عليها ردّ الشبهات التي توجه الى الاسلام. فبهذا وذاك صار من الواجب علينا بحكم ديننا الرد على هذه الكتب والجرائد ونأثم شرعاً بتركه

«كلما داويت جرحاً سال جرح» كنا نرد على آخر كتاب لهم جمع خلاصة شبهاتهم واذا نحن بجريدة بشائر السلام ترد الينا من غير طلب ولا سبق مبادلة. ثم فى هذه الأيام أرسلت الينا جريدة (راية صهيون) الانجيليـة مكتوباً عليها: «ارجو الاطلاع على مقالة خطيـة الانبياء والرد عليها»

تكاثرت الظبآء على خراش فلا يدري خراش ما يصيد

ولكن القليل من آيات الحق يكفى لازهاق الكثير من الباطل لذلك نقول:

ابتدآء هذه المقالة «ان المسلمين يقولون ان الله أرسل أنبياء كثيرين الى العالم واعظمهم ستة وهم آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى أي المسيح ومحمد. وكثيرون يقولون بأن كل هؤلآء الأنبياء كانوا بلا خطية ولذلك كانوا قادرين على ايهاب الخلاص لتلاميذهم ولكن لو كانوا خطاة فما كانوا يتيسر لهم ذلك اذ لا يمكن للخطاة ان يخلصوا الآخرين من الخطية» هذا

ما قاله بحروفه ثم تعقبه بدعوى ان من عدا المسيح من هؤلآء الانبياء كانوا عصاة مذنبين مستدلا بما جآء فى قصصهم فى كتب العهد العتيق

فأما معصية آدم فمعروفة . وأما نوح فذكر انه شرب الخمر واعترف الكاتب بأن التوراة لم تذكر له خطيئة غير هذه ولكنه جزم بأنه لا بد ان يكون خاطئاً . وأما ابراهيم « فقد ورد عنه انه كذب مرتين من باب الخوف من الناس » . واما موسى فذكر الكاتب من خطيئته انه « حينما أمره الله ان يذهب الى فرعون قد اظهر خوفاً عظيماً وجبناً زائداً جعل الله ان يغضب عليه . وحينما كان بنو اسرائيل فى البرية بعد خروجهم من ارض مصر قد فرط موسى مرة بشفتيه حتى ان الله لم يسمح له نظراً لهذا الذنب ان يدخل الى أرض كنعان بل جعله ان يموت فى القفر » . واستدل على خطيئاتهم من القرآن العزيز بما ورد من الآيات فى طلبهم المغفرة الا المسيح فانه لم يرد عنه ذلك . وختم المقالة بعد كلام طويل فى الثنآء على السيد المسيح عليه الصلاة والسلام بدعوة المسلمين الى الايمان به (وهم المؤمنون به حقاً) والاتكال عليه فى خلاصهم (وهم لا يتوكلون الا على الله وحده) ويعني بالايمان به ان يكون موافقاً لمذهب بروتستنت فانه كتب نبذة فى الصفحة الأولى من هذا العدد بأن سائر الطوائف « مسيحيون بالظاهر واما فى الحقيقة فليسوا كذلك » وان الله سيلقيهم فى النار التى لا تطفأ . أما الردّ على المقالة فمن وجوه

(الأول) ان افضل الانبيآء عند المسلمين نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام ويسمونهم أولي العزم وليس آدم منهم لقوله تعالى « ولم نجدْ له عزماً » ومن العلمآء من منع التفاضل بين الرسل

وقال ان ذلك لا يعرف الا بالوحي

(الثاني) ان المسلمين لا يعتقدون ان الانبيآء هم الذين ينجون الناس بسبب عصمتهم من عذاب ويدخلونهم بجاههم في رحمته . وانما يعتمدون على الله تعالى وحده في ذلك ويعتقدون ان سبب النجاة الايمان الصحيح والعمل الصالح وان الانبيآء ما أرسلوا الا مبشرين ومنذرين فهم يُعلمون الناس الايمان الصحيح المقبول عند الله تعالى والعمل الصالح الذي يرضيه فمن آمن وعمل صالحاً ترجى له النجاة بفضل الله تعالى الذي وفقه وهداه ومن كفر بعد بلوغ الدعوة بشرطها فلا يزيد الظالمين كفرهم الا خسارا

(الثالث) ان هؤلاء المعترضين لم يعرفوا معنى عصمة الانبياء عند المسلمين فتوهموا انهم يقولون بذلك لاثبات ان الانبياء ينجون الناس لانهم معصومون . فنجيبهم بان المسلمين قام عندهم الدليل العقليّ على ذلك وهو ان الله تعالى جعل الانبياء هداة ومرشدين ليقتدى بهم فلو ابتلاهم بالمعاصي التي هي مخالفة الشريعة التي يأتون بها لما كانوا اهلاً للهداية لان الله اودع في فطرة البشر ان يقتدوا بالافعال اكثر من الاقوال وقد اخبرونا أن الله تعالى امر بالاقتداء بهم فلو كانوا يرتكبون مخالفة أمره لكان في امره بالاقتداء بهم تناقض وأمر بالشر وهو محال . وليس معنى عصمتهم انهم مخالفون للبشر في جميع اطوارهم فلا يخافون مما يخيف في الدنيا ولا يتألمون مما يؤلم ولا يتوقون الشر (سنوضح المقام في الامالي الدينية بعد)

(الرابع) انه لم ينقل عن سيدنا نوح في العهد العتيق الا شرب الخمر وفي هذه الاناجيل ان المسيح شرب الخمر أيضاً . فان قلنا بان من لم ينقل عنه انه عصى يصلح ان يكون مخلّصاً للناس فنوح يصلح لذلك كالمسيح بل

ان من صالحي هذه الامة المحمدية كثيرين لم تحفظ عليهم معصية

(الخامس) ما نقله عن سيدنا ابراهيم مصرح بانه كان للضرورة وارادة التخلص من شر وظلم اكبر من كذبة فى الظاهر لها تأويل فى نفس القائل كقول ابراهيم عن زوجته: هذه اختى يعنى فى الدين. ومن القواعد المعقولة والمشروعة انه اذا تعارض ضرران يجب ارتكاب اخفهما فاذا حاول ظالم ان يغتصب امرأتك ليسترقها او يفجر بها وقدرت ان تنجيها منه بكلمة كاذبة وجب عليك ذلك وتكون الكذبة معصية فى الصورة طاعة فى الحقيقة

(السادس) ان ماذكره عن سيدنا موسى من الخوف ليس فيه معصية لله ومخالفة لشريعته وانما هو شأن من الشؤون البشرية الجائزة وهو خوف هيبة واجلال للوظيفة العظيمة التى كلف بها

(السابع) اذا لم يصح الدليل العقلى على عصمة الانبياء فعدم نقل المعصية عن المسيح لاينافى وقوعها منه لانه لايلزم من عدم العلم بالشىء عدم وجوده فى نفسه

(الثامن) ان طلب الانبياء المغفرة من الله تعالى لايدل على انهم كانوا بعد النبوة عصاة مخالفين لدين الله تعالى ولكنهم لمعرفتهم العالية بالله تعالى وما يجب له من الشكر والتعظيم يعدون ترك الافضل اذا وقع منهم فى بعض الاوقات ذنباً وتقصيراً. الم تر ان للمقربين من الملوك والسلاطين ذنوباً غير مخالفة القوانين يطلبون من الملوك العفو عنها «ولله المثل الاعلى» وسيأتى ايضاح ذلك فى الأمالي الدينية

(التاسع) اذا فرضنا ان دليل المسلمين على عصمة الانبياء غير صحيح فلا حجة للمسيحيين عليهم فى شىء وانما ذلك شبهة على الدين المطلق

« طهارة الاعطار ذات الكحول . والرد على ذي فضول »

بعد ما انتشر الجزء الثالث عشر الذي ذكرنا فيه بحث طهارة الاعطار الافرنجية كتب الينا عالم فاضل من الصعيد : أعجب العلماء والفضلاء بما كتبتموه فى مسئلة الاعطار الافرنجية ولكن اكثر الناس لا يقتنعون الا بكلام الميتين ولو أقمت لهم سبعين دليلاً . وجئت بالله والملائكة قبيلاً ، لذلك اذكركم بأن العلامة ابن العماد الفقيه الشافعي صاحب كتاب المعفوات قد صرح بطهارة الخمر فى كتابه (رفع الإلباس . عن وهم الوسواس) فلو ذكرتم نص عبارته لاطمأن لها أولئك المقلدون الخ

وما كان يخطر فى بال ذلك الفاضل ان بعض العوام الذين يقلدون كل مؤلف ميت وينكرون على كل حيّ يتطفل على موائد العلم ويلفق رسالة مخصوصة فى الردّ على المنار . فقد أرسل الينا السائل عن الاعطار الافرنجية ورقات فى ذلك بامضاء (مختار بن احمد مؤيد باشا بن نصوح باشا العظمى) تصفحناها وان كنا نعرف ان ملفقها ممن لا ينبغي اضاعة الوقت فى شيء مما يكتبه لأنه عامي مغرم بالشهرة العلمية يجرئه على التأليف لقبه (بك) ولقب أبيه وجده (باشا) ومداهنة المتملقين من المتعممين للاغنياء وتصحيحهم له ما يكتب . وانما تصفحناها على طولها (وهي ١٦ صفحة) ومعرفة مكانة ملفقها ثم رفعنا من قدرها بالرد عليها لئلا يكون علق بذهن السائل الذى ارسلت اليه شيء من اوهامها

الرسالة مؤلفة من الفضول والتعريض المبني على سوء الظن بغير شبهة ولا دليل والتطويل بما ليس من الموضوع كالكلام فى تحريم الخمر وفى كون كل مسكر محرّماً وفى ان المسكرات مضرة وانه يحرم بيعها ونحو هذا

مما لانزاع فيه . وأنى لمثل ملفقها ان يحرّر محلّ النزاع فى مسئلة ويتكلم فيه . ومن العجيب تبجحه بانه أراد الاختصار وانه لو اراد الرد بالتفصيل على جواب المنار لاحتاج الى تأليف كتاب اكبر منه ! ! وياليت هذه الورقات كانت فى الرد على المنار فاننا لو حذفنا منها السؤال والجواب المنقولين من المنار والنصوص المنقولة من الكتب فى تحريم شرب الخمر وبيعه وعبارات الدعوى والتعريض وتحريف بعض الآيات لم يبق منها صحيفة ترتقي الى أن تكون من الشبهات على الموضوع واننا نستخلص ذلك ونبين فساده لانه مما يخطر فى بال العوام او يغتر به من يسمعه منهم

اما محل النزاع فهو ان جواب المنار فى مسئلة الاعطار الافرنجية من وجهين (احدهما) اجتهادي مبني على الرجوع الى الكتاب والسنة فى مسائل الدين وهو أن المجيب لم يطلع فيهما على دليل يعتد به فى نجاسة الخمر فضلاً عن الاعطار التى فيها جزء كيماوي مما يوجد فى الخمر . (ثانيهما) تقليدي مبني على التسليم بقول اكثر الفقهاء الذين قالوا بنجاسة الخمر وبيان ان قولهم هذا لايستلزم ان يكون العطر الذي فيه جزء كيماوي من الخمرة خمراً نجساً مثلها وهذا بيان موضح بتسعة وجوه . واما الامور التي تتعلق بالموضوع من رسالة سعادة مختار بك فهي مع بيان الحق فيها :

(١) زعمه أني اسأت الظن بالائمة الاربعة (رضي الله تعالى عنهم) وزعمت انهم حرموا على الامة شيئاً بغير برهان من الله ورسوله . وزعمه هذا يقتضي ان كل من خالف أحداً في رأيه او قوله فهو مسيء للظن به فكل عالم له قول او راي مسيء للظن بجميع الأئمة والعلماء المخالفين له فيه . كلا ان الذي يتبع الدليل يقول ما ظهر له ويعذر مخالفه ويعلم انه لم يذهب الى

ما ذهب اليه الا بدليل ظهر له وانه معذور ومأجور وان لم يوافق الحق ويرى انه مكلف بما ظهر له بعد البحث بقدر الطاقة لا بما ظهر لمخالفه

(٢) دعواه ان الاجماع قد انعقد على نجاسة الخمر : وهو معذور على هذه الدعوى لأن بعض من ألف فى الفقه ذكرها وغاية ما يصل اليه علم مثله ان يرى فى كتاب شيئاً فيسلم به تسليما . اما الوصول الى التحقق من الدعوى والى وجه كون الاجماع حجة فهو بعيد على مثله من العامة . واذا سلمنا بذلك وبطل الطريق الاول من جوابنا فى اثبات طهارة الاعطار الافرنجية فهل تنفعه هذه الدعوى فى اثبات ان العطر الذى يقول الكيماويون ان فيه مادة الكحول هو خمر بالاجماع . الاجماع لا يعرف الا بالنقل الذى لا معارضة فيه ولا نقل فى هذه الاعطار فتعين ان تكون مسئلة اجتهادية ان كان هناك وجه للقول بنجاستها

والتحقيق ان دعوى الاجماع غير صحيحة . وما الوصول الى معرفة الاجماع على قول الجمهور بامكانه ووقوعه بالامر السهل . قال حجة الاسلام فى كتابه (فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة) ما نصه : « ولو انكر ما ثبت بالاجماع فهذا فيه نظر لان معرفة كون الاجماع حجة قاطعة فيه غموض يعرفه المحصلون لعلم اصول الفقه وانكر النظام كون الاجماع حجة اصلاً فصار كون الاجماع حجة مختلفا فيه » . وقال فى فصل آخر منه : « واما ما يستند الى الاجماع فدرك ذلك من اغمض الاشياء اذ شرطه ان يجتمع اهل الحل والعقد فى صعيد واحد فيتفقوا على امر واحد اتفاقاً بلفظ صريح ثم يستمروا عليه مدة عند قوم والى تمام انقراض العصر عند قوم . او يكاتبهم امام فى اقطار الارض فيأخذ فتاويهم فى زمان واحد بحيث تتفق اقوالهم

اتفاقاً صريحاً حتى يمتنع الرجوع عنه والخلاف بعده . ثم النظر فى ان من خالف بعده هل يكفر ؛ لأن من الناس من قال اذا جاز فى ذلك الوقت ان يختلفوا فيحمل توافقهم على اتفاق (اى مصادفة) ولا يمتنع على واحد منهم ان يرجع بعد ذلك وهذا غامض ايضاً » :

ولهذه الصعوبة والغموض قال بعضهم ان الاجماع غير ممكن وقيل انه ممكن ولكن لا يقع وقيل بل يقع ولكن لا سبيل الى العلم به ثم اختلفوا فى الاحتجاج به بعد فرض العلم بوقوعه واشترط القائلون بكونه حجة قطعية نقله بالتواتر وليس هذا بيسير ايضا فكم من مدَّع للاجماع قد خولف وأنكر عليه . واقرب الطرق الى معرفة الاجماع والتواتر نقله بالعمل وابعدها ما كان موضوعه الترك فاذا نقل الالوف عن الالوف عملاً دينياً فهو دليل على انه مشروع اما نقل الترك بالاجماع فمتعذر لانه امر عدمي ومعرفة سببه ان نقل فى غاية الغموض . وقد صدق الامام الغزالى فى قوله ان العلم بالاجماع لا يحصل بمطالعة تصنيف ولا تصنيفين . وانّى لعاميّ مثل مختار بك بهذا الاطلاع

وقد قال بطهارة الخمر نفسها فقيه المدنية الامام ربيعة الرأي شيخ الامام مالك كما فى شرح المهذب للامام النووي وكذلك الامام داود . قال العلامة الفقيه احمد بن العماد فى كتابه (رفع الإلباس عن وهم الوسواس) [1] ما نصه: « ومنه الخمر وهي نجسة خلافا لربيعة شيخ مالك وداود فانهما قالا بطهارتها

(١) ابن العماد توفى سنة ٨٠٨ وتوجد نسخة من كتابه هذا فى دار الكتب الخديويه بخط يحيي بن محمد المناوي كتبت سنة ٢ ٩ — كذا فى الفهرس ولم اتبين ذلك من الكتاب

كالسم الذى هو نبات والحشيش المسكر وحكى الغزالى وجها فى المحترمة ووجها فى ان باطن حبات العنب المستحيلة خمرا طاهر . وحكى الشيخ تقي الدين رحمه الله فى شرح الموطأ طهارة (بياض فى الاصل) والمحترمة هي التى اعتصرت بقصد ان تتخذ خلاً » ثم ذكر القول بان ما اعتصره اهل الكتاب من المحترمة أي بناء على عدم تكليفهم بفروع الشريعة فكل خمور اهل الكتاب طاهرة على هذا الوجه

(٣) بحثه فى كون الكحول مفسدة واستدلاله بثلاثة امور

(الأمر الأول) كونه من المسكرات وكون كل خمراً نجساً . ويرده (أولاً) ان الكلام فى العطر لا فى الكحول والعطر ليس شراباً مسكراً ووجود الكحول فيه لا يجعله خمراً لانه موجود فى اللبن الحامض الطاهر بلا خلاف وفى النبيذ الحلال الطاهر فى مذهب الامام ابى حنيفة الذى ينتمي اليه المعترض وان لم يعرف مذهبه وفى غير ذلك كما ذكرنا فى وجوه جواب السؤال . و (ثانياً) ان الكحول نفسه ليس معدًّا للشرب لانه من المواد المحرقة كما قال . و (ثالثاً) ان ابا حنيفة خصّ الخمر بالنيء من ماء العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد وسكن عن الغليان واكتفى صاحباه بالغليان والاشتداد . وما عدا الخمر من المسكرات كالباذق والمنصف والطلا فقد اختلف الحنفية فى نجاسته هى هل مغلظة كالخمر ام مخففة وفى ظاهر الرواية ان نجاستها خفيفة حتى يعتبر فيها الكثير الفاحش فلو فرضنا ان هذه الاعطار مثلها فلا يحكم ببطلان صلاة من تعطر بها الا اذا بلغ تضمخه بها ربع الثوب فاكثر وهذا لا يكاد يوجد

(الأمر الثانى) كون هذا الكحول من المواد المحرقة والعناصر القابلة

الالتهاب . قال : « وما كان كذلك فتأثيره فى الجسم امر مسلم » ولم يذكر ماهو التأثير المسلم وظاهر السياق ان العطر الذى فيه الكحول يضر بجسم من يتطيب به اذا اصابه وهى دعوى تكذبها التجربة وللكحول منافع فى الطب كثيرة يعرفها اهلها (الامر الثالث) كون «كل ذى ذوق سليم يحكم بافضلية اعطار البلاد الشرقية على هذه الاعطار الافرنجية » وفيه ان الحكم بافضلية الاعطار الشرقية يقتضي الحكم بفضيلة الاعطار الافرنجية لا بأن فيها مفسدة ولعله لم يفهم ان العبارة تفيد هذا المعنى لانه حجة عليه . على ان هذه مسئلة اقتصادية وكلامنا فى حكم الطهارة والنجاسة لذاته لا لأهل الشرق خاصة فان اهل الغرب مكلفون بالاسلام وفيهم الآن مسلمون

(٤) تحريفه الوجه التاسع من وجوه جواب المنار وهو انه ثبت في الكيمياء ان مادة الكحول توجد فى غير هذه الاعطار من الاكل والشرب والدواء لاسيما المتخمر منها كالعجين واللبن الحامض فاذا حكمنا بنجاسة ذلك كله نوقع الامة فى الحرج المنفي بالنص . فجاء المعترض ينفي الحرج فى استبدال الاعطار الشرقية بالاعطار الافرنجية ونحن لم نقل ان الحرج فى الاستبدال . وإن أدرى اذلك عن سوء قصد أم عن سوء فهم

(٥) ايراده حديثاً ورد فى آنية أهل الكتاب وهو « ان وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها وكلوا فيها » واستدلاله به على انه لا ينبغي ان نخدع لأوانى الاعطار الافرنجية المزخرفة فقد نهينا عن أوانيهم . واحسن فى كونه لم يستدل بالحديث على نجاسة اوانيهم مع ان ابا ثعلبة (رضى الله عنه) السائل عن الاوانى ذكر انهم يأكلون الخنزير ويشربون الخمر . اما كون الحديث ارشاداً للكمال فى المعاملة والاستعمال

وغير دال على النجاسة فادلته كثيرة واعظمها حل طعامهم بنص القرآن في سورة المائدة وهي آخر ما نزل . ومنها ماثبت في الصحيحين من انه صلى الله عليه وسلم توضأ من مزادة مشركة واكل من الشاة التى اهدتها اليه يهودية خيبر ومنها انه أكل من الجبن المجلوب من بلاد النصارى رواه احمد وابو داود واكل من خبز الشعير والإهالة لما دعاه اليه يهودى رواه احمد (له بقية)

باب التربية والتعليم

(مشروع التعليم باللغة العامية المصرية)

نحن ولا كفران لله كما قد قيل في السَّارب اخلى فارْتعَى
اذا احسَّ نَبأةً رِيعَ وان تطامنت عنه تمادى ولها
نهال للخطب الذى يروعنا ونرتعي فى غفلة اذا انقضى

اذا ازعج الصائح الغنم السائمة بنَبأةٍ شديدة تجفل مرتاعة وتترك الرعي هنيهة ثم لاتلبث ان تعود اليه بعد سكوت الصائح فاذا عاد الى الصيحة عادت ، فاذا طامن لهَتْ وتمادت ، ذلك مثلنا فى رأي ابن دريد قاله من نحو ألف عام أيامَ كنا فى اوج مجدنا ، وبحبوحة عزنا ، وهو انما يصدق علينا في هذه القرون الاخيرة التى غلبت علينا فيها المعيشة الفردية ، وان كانت خسيسة بهيمية ، وجهلنا معنى الامة ومقوّماتها ، والحياة الاجتماعية وحسناتها ، فلا يبالي الواحد منا بما ينزل بالامة ، الا اذا آلمه هو وأهمه ، وانا لنعد انطباق مثل السائمة علينا مبدأ ارتقاء ، وشعور جديد في الدهماء ،

ما اكثر النبآت والهيعات التى اجفلت المصريين فى غضون هذه السنين، ولكنها لم ترتق بهم الى تدارك الخطب، وترك اللهو والعب، الم تر ان نبأة المحاكم الشرعية القارعة، وصيحة إصلاحها الصادعة، كانت قد راعت الناس واعتقدوا أن غرض الحكومة سيطرة المحاكم الأهلية على المحاكم الشرعية. اوادغامها فيها لتمحى بالكلية، ولما سكت الصائح عاد اهل هذه المحاكم الى ما كانوا عليه لا يصلحون عملاً، ولا يقومون دراً ولا يقيمون عوجا، وسكت عنهم الناس الذين اجفلتهم الصيحة الاولى لا ينذرونهم بعودة الافتيات، ولا يوصونهم بالاستعداد لما هو آت، فماذا ينظرون، اذ ظلوا فى غفلتهم يعمهون، ؟ «ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يَخِصّمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون» ولكل شيء قيامة، اذا حلت لا تنفع الندامة،

وهذه صيحة استبدال اللغة العامية السخيفة، باللغة الصحيحة الشريفة، — استبدال الذى هو ادنى بالذى هو خير — قد طرقت المسامع، وآلمت الطبائع، استغفر الله انه لم يؤلم الطبائع الا هذا السجع ولكن الصيحة حركت الالسنة والاقلام، الى تفويق سهام الملام، وإقامة الحجة على الصائح بأنه يقصد منفعة قومه لا منفعة الذين يدعوهم الى ترك لغة دينهم وشريعتهم وعلومهم وآدابهم التى ضعف بضعفها فيهم كل مقوّم من مقومات حياتهم. وفى محوها من الواح التعليم محو امتهم من لوح الوجود الاجتماعى. وما ذا عسى يفيد الاحتجاج بالقول اذا لم يؤيده العمل والسعي فى ترقية اللغة الصحيحة وجعلها لغة التخاطب والتعامل؟ اراأيت ايها القارىء اذا اتخذنا جفول اهل الشعور من هذه الصيحة وسيلة لاستنجاد القائمين على تعليم

اللغة والالحاح عليهم بوجوب اصلاح التعليم بحيث يستعمل المتعلم اللغة فى القول والكتابة ايقولون ان هذا لُباب النصيحة ام يقولون إنه اهانة للعلماء والمدرسين وانما حياتنا بتعظيمهم وتبجيلهم والرضى بكل ما يكون منهم سوآء اغتُنمت الفرصة ام فاتت ، وعاشت لغة القرآن ام ماتت ، ؟ ؟

اعني بصيحة اللغة كتاباً ألفه المستر ويلمور المستشار فى محكمة استئناف مصر الاهلية باللغة الانكليزية يدعو فيه الى جعل اللغة العامية المصرية لغة التعليم العامة بدلا من اللغة العربية الصحيحة ويحاول اقناع المصريين بان هذا خير لهم واقوم سبيلا . وما هي بالصيحة الاولى وانما هي ترجع لصوت (ولهلم سبتا) بك الالمانى امين دار الكتب الخديوية من قبل (المتوفى سنة ١٨٨٣) فانه وضع حروفاً افرنجية للغة العامية المصرية لاجل احيائها والف كتاباً فى صرفها وكتاباً فى امثالها وقصصاً عامية ونشر ذلك باللغتين الألمانية والفرنسوية ليرغب اوروبا فى تنفيذ مشروع تعليم اللغة العامية بالحروف الافرنجية وجعلها لغة العلم والتعليم . وقد انتدب بعض اغنياء الافرنج منذ سنين لذلك وارصد له مالاً جماً ونشرتْ يومئذ كراسة فى الحث عليه وترغيب الآخذ به بالمال ووزعت هذه الكراسة مع الجرائد اليومية الكبرى حتى المؤيد وكتبنا وقتئذ مقالتين مطولتين فى الرد والتنفير عن المشروع فندّنا فيهما وجوه الخديعة والخلابة وكشفنا الغطآء عن ضروب التدليس والتلبيس فى الموضوع بلهجة شديدة فليرجع اليهما من شآء فى العددين ٥ و ٦ من السنة الأولى

لم نكتف فى المقالتين بتفنيد وجوه منافع المشروع التجارية والتعليمية والوطنية التى زعمها ناشر الكراسة يومئذ ولكننا نبهنا أيضاً على تقصيرنا فى

احياء اللغة الصحيحة ونشرها بالتعليم القويم حتى كادت تمحى وتزول وحتى صار بعض الناس يعتقد ان احياءها محال وعلى الخطر الذي يتهددها اذا تمادينا فى اهمالنا واغفالنا ولكن قومنا لايروق لهم الا القدح والطعن فى الاجانب ومدح انفسهم واذا لم يضرهم هذا لما منحهم الاجانب من الحرية فانه لا ينفعهم ولا يقيهم من سهام الاجانب وانما الذي يقيهم وينفعهم هو النظر فى تقصير انفسهم والتبصر فى عيوبها ثم الرجوع عليها باللائمة وحملها على اتقاء السهام التى تصوبها اليهم حرب تنازع البقاء بالجِنّ الدافع ، والتدبير النافع ،

ليت المؤيد الأغر لم ينشر مقدمة كتاب المستر ويلمور لاجل عرضها على الكتاب للرد عليها فقد كان الاولى ان يبطل شبهاته من غير ان ينشرها ويقررها فان من الناس من يلتاث بالشبهة وان كانت تتضاءل افتضاحاً ، وتدق فى نظره الحجة وان كانت تتبختر اتّضاحاً ، على انه لاخوف على المصريين من الانخداع لتلك الشبهات مهما موهها صاحبها مادامت شبهات قولية كما انه لارجاء فى اقتناع المستر ويلمور وامثاله بما نكتب ونقول وانما العبرة بالاعمال ومن الناس من اذا قال فعل وبعضهم يقول مالا يفعل

واراك تفعل ماتقول وبعضهم مذق اللسان يقول مالا يفعل

لهذا ختمنا المقالة الثانية من تينك المقالتين بهذه العبارة :

« اذا القي ماشرحناه على المتحذلقين من المصريين يُنغِضون رؤسهم ، ويحدجون بابصارهم ، ويقولون : اكبارٌ وتهويل ، وصياح وعويل ، وماهو الا كلام بكلام . اما العقلاء فيعلمون انه كلام حق وان الافرنج اذا قالوا

فعلوا ، واذا عملوا ادركوا ، وأنهم مادخلوا قرية ولا خالطوا امة الا أفسدوا كيانها وجعلوا عزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون . ان نفوس سكان الولايات المتحدة نيف (كذا) وسبعون مليوناً وليس فيهم هندي من السكان الاصليين . لا أبعد عليك فى المثال . هذه بلادك التي تسكنها ايها العاقل انظر فيها ان كان لك بصر واعقل ان كان لك لب ثم ارجع الي باللوم والتفنيد ، او بالشكر والتحبيذ »

أرأيت يامن نسي الصيحة الاولى كيف تبعتها الرادفة فتدبر وتفكر واعلم ان الخَطْب لا يدفع بخطب الخطباء ، ولا بكتابة الادباء ، وان كان لابد من قول ينفع اذا ضر السكوت وخيفت مغبته وانما يجب العمل لاحياء اللغة العربية بالفعل فاذا صدقنا فى العمل لحفظ لغتنا المقدسة فلا يقدر احد على اضاعتها مهما بلغت قوته ، وعلت صيحته ، ومن اضاع حقه فلا يلو منّ الناس على اضاعته أو هضمه لمنفعة أنفسهم

اذا ما اهان امرؤ نفسه فلا اكرم الله من يكرمه

فعلى من يدعي الغيرة على لغة دينه وملته وقد رأى المعاول هيئتْ لتقويض أركانها ، وهدم بنيانها ، ان يجدّد لها بيتاً معموراً ، ويجعل عليها حجراً محجوراً ، فاذا قال كلمة فى الهادمين ، فليقل عشرا فى البنائين ، لأنك اذا انصفت — وغير الانصاف لا يفيد — لا يمكنك ان تقول فى محاول الهدم الا انه يفعل ذلك لمصلحة قومه وامته لا لمصلحتنا ولك مع المكلف بالبنيان كلام كثير اذا احسن البناء ، وكلام كثير اذا ابى أو أساء ، وأقترح الآن شيئاً واحداً وهو تعوُّد متعلمي اللغة الكلام العربىّ الصحيح واستنجاد مشيخة الازهر الشريف وطلب مساعدتها على ذلك ليكون

علماؤنا هم القدوة لنا فى إنقاذ لغة الدين من مخالب المغتالين . وذلك بأن تلزم المدرسين والمتعلمين بالنطق بالعربية الصحيحة فى الدروس ثم فى غير الدروس وان لزهآء عشرة الاف متعمم لتأثيراً كبيراً فى احياء هذه السنة التي هى حياة جميع الفروض والسنن

اما اصلاح التعليم لترتقي به اللغة فقد كتبنا فيه مراراً كثيرة ولو كان لنا مساعدون يطالبون بالقول والكتابة لنفع القول وافاد ، وبلغنا به المراد، وان لنا لحملة على معلمي العربية فى المدارس فان اكثرهم مقصر فى اداء ما يفرضه عليه ديوان المعارف وكان الواجب عليهم ان يجتهدوا فى الزيادة عليه اذاوجدوا اليه سبيلا

آثار علمية ادبية

﴿ نساء المسلمين ﴾

تابع المحاورة الاولى بين فاطمة عليه هانم كريمة جودت باشا وبعض نساء الافرنج

ذكرنا فى آخر ما أوردناه فى الجزء التاسع عشر ان مدام ف . . . سألت مؤلفة المحاورات عن رواتب الخدم وكيفية انتخاب رئيستهن وعن كيفية ابتياعهن ووعدنا بالجواب عن الاخير لفائدته . اما الانتخاب والراتب فاخبرتها ان ربة البيت تختار أمهر الجواري وأذكاهن لرياسة الخدم وان سيدهن يعطيهن رواتب شهرية زيادة على مؤنتهن ويجهز الجارية التي تشب وتريد التزوج بجهاز لائق وربما اقترن هو بها . اما الابتياع فقد اجابت عنه بما كتبته وهو : « ان ثمن الجارية يدفع للبائع فلا تستفيد هى منه

وانما هو لسيدها الاول أو اقاربها والدين الاسلامي جعل للجواري علينا حقاً يجب اداؤه ولذلك نكافئهن بما علمت

« ف . . : يظهر ان الجواري من نوع الخوادم

انا : نعم انهن يشبهن اللواتي يخدمن بالمشاهرة أو المسانهة وانما تكون الخادمة باجرة معينة الى أجل محدود لان الاجارة تكون فاسدة مع الجهل بالاجرة أو مدة العمل واما الجارية فان مدة خدمتها غير معلومة وكذلك ماينفق عليها فى اثنائها فهى شبيهة بالاجارة الفاسدة ولكن التعامل جرى بهذا وما ينفق عليها يكون بحسب سعة سيدها وصدقها فى الخدمة فهى قيمة تعرف بالعُرْف والعادة المتبعة . والشريعة توجب علينا عتق الجارية بعد تسع سنين فى حال السعة وبيعها فى حال الحاجة من ذوى مروءة يعتقها (١) على ان العرف والعادة قضيا بالعاب والذام على الذين يمسكون الجواري بعد سبع سنين ولا يعتقونهن

أما اهل المروءة والدين من ذوى البتوتات فلا يمسكون الجارية اكثر من سبع سنين لان فى الدين اسباباً كثيرة تقضي بعتق الرقيق . فمن ذلك ان من يقول : اذا اصبتُ كذا فعليّ ان اعتق عبداً فيصيب ذلك يجب عليه العتق وفاء بالنذر ، ومن الناس من تصيبه النعمة فيعتق قياما بفضيلة الشكر ، ومن ذلك ان من افسد صوم يوم واحد من رمضان وجب عليه ان يعتق عبداً اذا قدر فان لم يستطع فعليه ان يصوم شهرين متتابعين (وفى كلامها ٦١ يوماً) . ومن العادات المتبعة عندنا ان الجارية التى تخدم الطفل الصغير يعتقها سيدها فى اليوم الذى يرسل فيه ذلك الولد

(١) لاندري من أين جاءت الكاتبة بهذا الحكم الذي نسبته الى الشرع

الى المدرسة واكثر الصغار يرسلون فى السنة الرابعة فكأن مدة رق المربيات اربع سنين

ف — : ما أحسن ما تقولين الآن الخادمة تخدم حيث تشاء والجارية مكرهة على البقآء فى منزل سيدها وان كان ظالما

أنا : ان تبرمت الجارية من منزل وارادت تركه يكفي فى ذلك ان تقول بيعونى فيجاب طلبها وقد جرت العادت بان لا تباع لمن لا يلائمها. واما الشرع فانه اوصى بالارقاء وحسن معاملتهم وحرم الظلم والجفاء فمن ظلم رقيقه فالحاكم الشرعي يجازيه بما تفرضه العدالة متى وصل الأمر اليه

ف — : يستفاد من هذا انه لا فرق بين الجواري والخوادم

أنا — : كلا انه ليس للخوادم علينا من الحقوق مثلما للجوارى فليس للخادمة الا أجرها الشهري واذا استغنينا عنها نأذن لها بان تذهب حيث تشاء وهي التى تعدّ لنفسها الجهاز اذا ارادت الزواج واذا فارقها زوجها فلسنا مكلفين بها فهي التي تبحث لنفسها عن منزل تخدم فيه لتعيش . والجارية التى يفارقها زوجها تعود الى دار سيدها كأنه بيت ابيها وهو يختار لها الزوج الملائم كما انه يتولى أمر اولادها ويربيهم ويعلمهم ومن يظلمها زوجها ترجع الى سيدها ليدافع عنها وينصرها . واذا توفيَ زوجها ولم يترك لها مايكفيها ترجع باولادها الى بيت سيدها كهذه الجارية التى ترينها من الكوّ (النافذة الكبيرة) آخذة بيد ولدها الصغير طائفة به فى فناء الدار . وكفالة المعتوق اذا عجز عن القيام بامر نفسه واجبة شرعاً على سيده يلزمه بها القاضي اذا هو امتنع . وفى مقابلة هذا اذا مات العتيق عن مال يكون للمعتق نصيب منه فهو اذن معدود من أهل البيت وافراد الاسرة (فات الكاتبة ان

تذكر هنا حديث : «مولى القوم منهم» والمولى العتيق ويطلق على السيد وهو الاصل) . واننا فوق هذا كله نأتمن الجواري على مفاتيح صناديقنا ولا نأتمن الخوادم الى هذا الحد لأن شدة صلة الجارية بسيدها تمنعها من الخيانة كما لا يخون الاولاد والديهم الا نادراً . ولهذه العناية لم يتفق ان جارية أبقت تاركة كنف سيدها ولجأت الى أهلها مع انهن مطلقات السراح يذهبن حيث شئن

مدام ف .. — : لاجرم ان هذا لنفورها من اهلها الذين باعوها

انا — : عفواً ايتها المدام فان سمحت انبأتك بالحقيقة

ف .. — : عجباً تستأذنين فى شيء انا ارجو بيانه بكل رغبة فان ما سمعته منك فى الارقاء يباين ما كنت اعلمه من كل وجه فارجوك ايتها السيدة مواصلة الحديث

انا — اذا ولد للجراكسة بنت جميلة ينوّمونها بالهمهمة والتغريد وأغانيهم لهؤلاء البنات مشتملة على ذكر مستقبلهن فى الاستانة كقولهم انك ستكونين فى الاستانة زوجة لأحد الباشوات فلا تنسي الاهل والاقربين كطريقة الافرنج فى ذلك اذ يسمعون أطفالهم لقب « جنرال ومارشال » لينشّؤهم على حب الجندية . ومتى صارت البنت الجركسية تفهم القول يملؤن سمعها بذكر سعادة عمتها وخالتها فى الاستانة فيشتغل خيالها بذلك ويكون قلبها متعلقاً بقرب يوم السعادة الموعود حتى اذا قاربت الإعصار أو الإرهاق وصارت تستحيي من الكلام مع والديها بذلك تكاشف به لداتها وأترابها شاكية من ارجاء إرسالها الى الاستانة . فكلٌّ من البنت والوالدين ينتظر ذلك اليوم الذي يظفرون فيه بخاطب لا يكلفهم نفقة

ولاجهازاً بل هو الذى يمطر على تلك الغادة الحليّ والجواهر ويغمرها بالسعادة والنعيم فتفيض على اهلها من فضل نعمتها ماتفيض . فهى تنفصل منهم ببسالة وشهامة ولسان حالها يقول بعزة وصلف : « انني لا احملكم عناء فى اختيار زوج لي فان جمالي البارع الذى أراه فى المرآة هو الذى يختار لى وسترون كيف اكافئكم على عنايتكم بى الى بلغت هذا الطول » . وظاهر ايتها المدام انهم اذا لم يرسلوها الى الاستانة فانها تكون لهم عدوًّا وحزنًا (لهابقيه)

الهدايا والتقاريظ

(اشهر مشاهير الاسلام فى الحروب والسياسة)

لنا كلمة فى كتب التاريخ العربية قلناها منذ سنين وهي ان هذه الكتب جمعت مادة من جزئيات الحوادث والوقائع لمن يريد ان يؤلف فى علم التاريخ وذلك ان العلم احكام وقواعد كلية تستنبط من الجزئيات واول من اهتدى الى علم التاريخ او فلسفة التاريخ هو الحكيم العربى ابن خلدون الشهير فوضع مقدمته فى فلسفة التاريخ بعد جمع مواد تاريخه كلها اي بعد تسويده على ما اعتقد وكان ذلك فى عصر تدلي العلم والمدنية فى الامة الاسلامية لهذا لم يكن لتلك المقدمة النفع المنتظر حتى دالت العلوم الى الغرب فنقلوها الى لغاتهم وكانت الأصل لعلوم العمران والسياسة والاجتماع التي توسع الافرنج فيها ما شاؤا وكانت كتب التاريخ هي المنبع لهذه العلوم بما نقحوها وهذبوها واوردوا الحوادث فيها مقرونة بعللها واسبابها موصولة بذكر آثارها ونتائجها . وطالما تمنينا على الفضلاء ومنّينا انفسنا

بوضع تاريخ اسلامى على هذا النسق فحقق الله رغبتنا بما وفق صديقنا الحميم الكاتب الفاضل رفيق بك العظم الشهير لتاليف كتاب مطول فى ذلك وهو ما رأيت اسمه فى العنوان ونوهنا به فى آخر الجزء الماضي

رأى المؤلف ان يبرز هذا التاريخ الاسلامي فى لباس كتب سير الرجال ومناقب العظماء ليكون اقرب الى القبول والتأثير فجعله تاريخاً لأشهر علماء المسلمين فى السياسة والحرب من الخلفاء والملوك والقواد الذين شادوا للاسلام صروح العز والمجد .

ويذكر بمناسبة كل شأن من شؤنهم فى اخلاقهم واعمالهم ما لذلك الشأن فى نفسه من التأثير فى العمران وما ينبغي ان يكون وما ينبغي ان لا يكون . وقد اطلق لقلمه الحرية فى بيان ما يراه حقاً وصواباً مع النزاهة فى التعبير ، والتلطف فى التصوير ، والتنبيه على موانع الاعتبار ، وطرق الاستبصار ، وجعل الكتاب اقساماً لكل دولة كبيرة قسم يمثله فى سيرة أعظم رجالها وقد صدر الجزء الأول من القسم الاول المخصوص بدولة الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وفيه سيرة الخليفة الأول وقائده الشهير خالد بن الوليد رضي الله تعالى عنهما

وفى هذا الجزء من المباحث المفيدة بحث الخلافة وبحث الردة وحقيقتها وانها ليست كما يتوهم الكثيرون ان الذين قاتلهم الصديق كانوا قد تركوا الاسلام ورجعوا الى الشرك وبحث السياسة الاسلامية وبحث القضاء فى الاسلام وبحث الحكومة الاسلامية والعمال والكتاب وبحث الالقاب والرتب وبحث حكم اهل الذمة وأصل الامتيازات التي للنصارى فى البلاد الاسلامية وغير ذلك من الفوائد التى لا توجد فى غير هذا الكتاب . وقد رغب

الينا صديقنا المؤلف ان ننتقد الكتاب كما هو شأن من يكتب لينفع فنعده بانا بعد ان نتم مطالعته نظهر ما عساه يظهر لنا انه يستدرك عليه لتكون الخدمة اكمل واتم . ونحث كل قارىء بالعربية ان يقرأ هذا الكتاب لينتفع به ويكون عوناً للمؤلف على تأليف بقية الاجزاء ونشرها .

﴿ الفقه والتصوف ﴾

مجموعة مؤلفة من ثلاث رسائل فى انتقاد كتب الفقه والاصول والتصوف لكاتبها العالم الفاضل الشيخ عبد الحميد افندى الزهراوي . وقد كنا نشرنا الرسالة الاولى فى المنار وطلبنا من العلماء والفقهاء ان يكتبوا الينا رأيهم فيها وذكرنا ان لشيخ الاسلام بن تيمية رسالة فى اسباب الخلاف تصلح ان تكون جواباً على هذه الرسالة وانا سننشرها او ملخصها فى المنار ثم وردت علينا الرسالة الثانية مع رسالة التصوف فلم نشأ نشرهما على احترامنا حرية البحث والنقد واعتقادنا ان العلم لا يرتقى الا بها وذلك لان مثل هذا النقد لا يكون مفيداً الا اذا تناوله الخواص بالمناظرة المعتدلة وانا نرى اهل العلم الديني يلجؤن فى بلاد الاستبداد الى مقاومة من يخالفهم بالقوة ونراهم فى بلاد الحرية لا يحفلون بما يدور بين حملة الاقلام وغيرهم من امثال هذه المباحث ولا يردون على ما يرونه منكراً منها لانهم بمعزل عن العالم وسيره وقد صرحنا عند نشر الرسالة الاولى بان السبب فيه اطلاعهم على بعض ما يدور بين الكتاب ليكونوا على بينة منه فلم يفد .

ولا سعة عندنا فى الوقت لتعقب كل كاتب وابداء رأينا فيما يكتبه وقد كتبنا رأينا فى الفقهاء والصوفية فى السنة الاولى ونتذكر اننا قرأنا ذلك يومئذ على فضيلة شيخ الازهر وبعض علمائه فقال الشيخ فى المقالة ان

كلامها شرعي لايعترض عليه . وذلك اننا ذكرنا محاسن القوم وذكرنا ما لايوافق الشرع أو المصلحة العامة مما يوئثر عن مجموعهم . ولكن رسالة الفاضل الزهراوي مخصوصة بالمساوي ولذلك كان يجب ان لا يطلع عليها الا الخواص فطبعها خطأ وان كان قصد مؤلفها حسنا فنحن نجل غيرته ونحترم حريته . ونمدح شجاعته ،على انه افرط فيها . ونتمنى ان يطلع العلماء على رسالته وينتقدوها

« استدراك على مقالة السياسة والساسة الاخيرة »

فاتنا ان نستدرك فى الجزء الماضي على هذه المقالة بعد العزم على ذلك فان فى بعض القول مجالا للوهم ، لايهتدى فيه كل فهم ، فمن ذلك قوله : « ماتت الفرق الاسلاميـة التى اساس مذهبها العلم فقط كفرق المعتزلة والجبرية المحضة مثلا» يتوهم بعض الناس ان الكاتب يرجح هذه المذاهب وينفي العلم عن سواها وليس كذلك وانما يعنى ان قوامها البحث العلمي بدون اخذ الامرآء والحكام بها وتأييدهم اياها . وفيه ان بعض الخلفاء العباسيين انتصر لبعض عقائد المعتزلة وكانه لم يعتد به لأن المنتصرين لم يكونا هما السبب فى القول بما انتصرا له ولم يطل الامد على ذلك . وفيه ايضاً ان عقيدة الجبر المحض لم تمت على ما فيها من الجهالة والضرر فان كان الذين اخترعوها ودعوا اليها ودافعوا عنها قد انقرضوا فقد قام بنصرها من هم اقوى منهم تأثيراً واعز نصيراً وهم اكثر فرق المتصوفة ولا تكاد تجد الآن عامياً من المسلمين الا وهو يجادل فى هذه العقيدة ويؤيدها بالعقل والنقل وكأن الكاتب لم يعتد بهذا لان هؤلاء الجبرية لا يتمسكون بهذه العقيدة ويناضلون دونها الا بالنسبة لما يطاب منهم من الكمالات الشخصية

والمنافع العامة والاعتذار عن تقصيرهم فى التمسك بدينهم وخدمة أمتهم .

ومن ذلك عدّه اهل السنة فى المذاهب التى اساسها الأغراض السياسية يذهب الوهم الى انهم غير مؤيدين بالعلم بقرينة قوله فى المعتزلة والجبرية ولكنه قال هناك « فقط » وظاهر ان اهل السنة هم الذين نبغوا فى كل العلوم الاسلامية والوهم فى عبارته واضح وقد سماهم فى الاصل « الحشوية » وحذفت هذه الكلمة من الاصل باذن من جاء بالرسالة ولعل الكاتب يرى ان اهل السنة هم اهل الحديث وان الذين يسمون بهذا الاسم غير متبعين السنة ولذلك وقعوا فيما وقعوا فيه من الخلاف وآثاره . ويظهر من كلامه بعد انه يرى ان الوهابية اقرب من غيرهم الى هذا اللقب لان مذهبهم الحديث ويظهر أيضاً انه ليس مقلداً لمذهب معين والله اعلم

من قصيدة للشاعر المجيد الشيخ مصطفى المنفلوطي يهنىء بها فضيلة مفتى الديار المصرية بالعيد

رويدك ما بعد الذى نلت غاية ... ترام لمرتاد فاين تريد
ورحماك بالحساد ان نفوسهم ... تقَطَّعُ احشاءً لها وكبود
يريدون مالا يرتضي المجد والعلا ... وما الله والاسلام عنك يذود
ومالك ذنب غير انك سيد ... وهل يذنب الانسان حين يسود
ألست الذى أعلى بنا العلم بعدما ... هوى وأجار الحق وهو طريد
وقام بامر الدين يحرس مجده ... ويكلأه والحارسون هجود
وجاهد فيه وحده وكأنما ... له عُدد من بأسه وعديد
فبينه للناس أبلج واضحاً ... منيراً وآيات الكتاب شهود

(تصحيح) وقع تحريف فى السطر الاول من (ص ٧٧١ ج ٢٠) والنص « واورثنا الارضَ نتبوّأ من الجنة حيث نشاء » فليصحح

الجزء الثاني والعشرون المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا اولو الالباب

المنار ١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الالباب

(قال عليه الصلاه والسلام : ان للاسلام صوى و« مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاحد غرة ذي القعدة سنة ١٣١٩ — ٩ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٢)

« باب المقالات »

نساء المسلمين وتربية الدين

« ورأيا كاتبة اوربية . واميرة مصرية »

يقولون لا يصلح حال المسلمين الا اذا صلح حال نسائهم لان النساء نصف الامة الذي يربّي كل افرادها التربية الاولى التي هي أساس وأصل لما بعدها . وهذا القول صحيح لاخلاف فيه وانما الخلاف فيما يصلح به حال نساء المسلمين

يقول قوم انه يصلح بالتعليم ولذلك رغب الجماهير فى هذا العصر بتعليم البنات ولكننا نرى اكثر المتعلمات شراً من غير المتعلمات مازدن بيوت آبائهن ثم بيوت بعولتهن الاشقاء وتعاسة جد بما يكلفهم من اعباء الازياء وأوزار الزينة وأثقال الحلية والماعون وآصار الاثاث والرياش وما يرهقهم من العسر فى امورهم ، وما يدفعن من الكيد فى نحورهم ، ومن غير هؤلاء المتعلمات محصنات غافلات حافظات للغيب بما حفظ الله . رأيت

منهن بنتاً فقيرة تمشى في شارع العباسية وقت الغروب فمد يده اليها شاب من مجّان الافندية فصاحت به : ويلك أيها الوغد الاثيم ، والعُتُلّ الزنيم ، أتعرف الى من مددت يدك ؟ كنت مارًّا فسمعت صوتها فرميت ببصري الى حيث سمعت الصوت فرأيت فتاة عليها جلباب اسود خَلَق وقناع كأنه ملحفة زيّات ورأيت مالم يره صاحب اليد الخاطئة — رأيت على رأسها تاجاً من العزة والامانة ، وعلى عاتقها حللا من العفة والصيانة ، ورثتها مما ترك الامهات والجدات من خشية الله تعالى وحفظ ما امر بحفظه

لا أقول ان التعليم ضارٌ بذاته لذاته وانما ينفع التعليم اذا كان معه تربية قويمة فاذا كنا محتاجين الى مثقال من التعليم فنحن احوج منه الى قنطار من التربية ولا تربية الا بالدين وآدابه وفضائله . ارأيت تلك البنت الفقيرة البائسة التى كان من امر استقلالها وسلطان عصمتها ما سمعت انها لأحسن تربية من اللائى تعلمن او اخذن الشهادات من المدارس ان كان فيهن من تربت فى بيت ابيها . وانني ذاكر لك واقعة عنهن بازاء واقعة البائسة الفقيرة. أخبرنا رجل غريب نبيه انه دخل مكتبةً فى مصر يشتري شيئاً فالفى بعض بنات المدارس يبتعن بعض ادوات الدراسة والفى صاحب المكتبة يغازلهن ويناغيهن حتى بلغ من تماديه فى غيه ان مد يده الى صدر احداهن يعبث بثديها فكأنهن وقفن انفسهن على العلم والتعليم حتى أبحن صدورهن لمن يتعلم فنّ الثديّ الفوالك والكواعب والنواهد

هذا المسَنُ والفنوك والمجون والتهتك والتخنث هو الذي اقام قيامة الناس فى مسئلة الحجاب ، ورأوا طلب التخفيف فيه من العجب العجاب ، فذهبوا فى النظر والاستدلال ، مذاهب الوهم والخيال ، وطال المراء

والجدال ، ولعمري ان فتاة العباسية كانت سافرة وفتيات المكتبة كنّ متبرقعات ولكن بمناديل الشفوف ، لا بحجاب الشرع المعروف ، « فعليك بذات الدين تربت يداك »

فى مصر الآن كاتبة من عقائل الفرنساويات السائحات لها عناية بالوقوف على شؤن نساء المسلمين وقد اقامت فى الاستانة العلية زمناً طويلاً ومقامها فى هذه السنين بالجزائر وهى تكتب نتائج اختبارها فى قصص مما يسمونه (رومان) مبينة فيه رأيها وقد كان من تأثير قصة منها طبعت ونشرت أن أصدر مولانا السلطان الاعظم (أيده الله تعالى بالنصر والتوفيق) امره بمنع المسلمين من اتخاذ النساء الاوربيات خادمات ومربيات فاشاع بعض الاتراك ان السبب فى المنع ان هؤلآء المربيات والخوادم ينقلن الأخبار الشفاهية بين وجهاء الاستانة وكبار الموظفين وانه لم يبق لهم غير هذه الصلة الامينة فعلم بها السلطان فقطعها حتى تقطّع بينهم والصواب ان السبب فى المنع هو ما جآء فى تلك القصة التى نشرتها تلك الكاتبة على ما قالت لبعض وجهآء مصر

ذلك انها قالت فى القصة : ان ما يظنه الأَوربيون من ان خدور نساء المسلمين او ما يسمَّى عندهم (الحرم) هو عبارة عن ماخور خفي او بيت فجور سرّي هو ظن آثم، وحكم ظالم، ولقد سبرت الاغوار، ونبثت البئار، ووقفتَ على ماورآء الاستار ، فعلمت بعد طول الاختبار ، ان النساء المسلمات، هن المحصنات الطاهرات ، وان ما وجد فى بعض البيوت من لوث فى الاعراض فانما هو فى البيوت التى تعلم النساء فيها عند الاوربيين او دخل فيها الخوادم والمربيات الأوربيات فهؤلاء المسلمات تركن بهذا التعليم

الناقص آداب دينهن وفضائله المؤثرة فى اصلاح النفوس فأمسين عابدات الهوى لاوازع لهن من انفسهن . قالت الكاتبة : وعندى ان يستحيل إصلاح حال المسلمين الا بارجاع الدين الى البيوت . تعني تربية النساء تربية دينية إسلامية ، ويا لها من حكيمة زكية

زارت هذه الكاتبة العاقلة احد فضلاء المسلمين فى مصر لتسأله عن أحكام دينية تريد الكلام عنها فى قصة تشتغل بتأليفها الآن على وجه الصواب ومما قالته انها عرفت بعض الاميرات فى مصر فارادت ان تستعين بها على السعي فى تربية البنات تربية دينية فضلّ سعيها وخاب املها . كتبت الى الاميرة كتاباً تذكر فيه تأثير دين الاسلام فى اصلاح النفوس وتهذيب الاخلاق وتقيم الحجج القيّمة والبراهين الناصعة على ان حال النساء لايصلح الا بالدين وحال البيوت لا يصلح الا بالنساء وحال الامة لايصلح الا بالبيوت التى تتألف الامة منها . ثم تستنجد بها على السعي فى « إرجاع الدين الى البيوت » بعبارات تبعث الشعور ، فى سكان القبور ، وتلين لها الجنادل والصخور ، وان كان لا يلين قلب الختّار الكفور ، فأجابتها الاميرة الخطيرة سليلة محمد على الكبير : انك ايتها المدام تحاولين ان ترجعي بنا الى رق الرجال وأسرهم وان تسلبينا مامنحته الحرية من اطلاق السراح وتعيدي أرجلنا الى تلك المقاطر والقيود وتجعلي فى أعناقنا تلك الأوهاق والاغلال فكيف نرضى بان نترك الحرية للعبودية ، ونستبدل الهمجية بالمدنية ، ؟ هذا معنى ما كتبته الاميرة بالفرنسوية فليعتبر المسلمون بامرائهم واميراتهم

ان بركان الفساد والفجور ، لم ينفجر الا من تلك القصور ، وقد القى بقذائفه الخبيثة على ما جاور القصور وقاربها من البيوت العالية ومنها تعدى

الى البيوت الصغيرة، ثم الى الخيم والاكواخ الحقيرة . ذلك ان مدار التربية العمومية والمذاهب الاجتماعية على التأسي والقدوة وسنة الكون فى الاسوة ان تقتدي كل طبقة بما فوقها وفى الامثال السائرة « ان السمكة تنتن من رأسها » فكما أفسد الامرآء رجال الامة وأماتو استقلالهم الشخصي الذى هو اصل استقلال الامة كذلك فعل نساؤهم بنساء الامة — عَلَّمْنَهُنَّ الترف والسرف والمخيلة والانغماس فى النَّعمة وابدآء الزينة وحببن اليهنّ الخلاعة والتهتك بل اغوينهنّ بشرب الخمرة ام الخبائث ومنبع الفتن وآفة العفة والصيانة فكيف يرجى منهن بعد هذا كله ان يهد من كل ما بنين ويسعين ببناء صالح جديد يكون منبعاً لكل صلاح الا وهو اعادة الدين الى البيوت بعد ما فارقها حزيناً مهيناً ؟؟

لقد جرى القلم بسائق الامتعاض والانفعال الى ميدان لم يكن من القصد جريه فيه فلنمسك بعنانه ونصرفه عنه وان لنا لعودة الى بيان هلاك الامم بالترف والسرف نفصل القول فيه تفصيلاً . اما تربية النسآء بالدين او ارجاع الدين الى البيوت كما تقول الكاتبة الفرنسوية الفاضلة فهو عضلة العقد واكبر المشكلات لان الطريقة المثلى التي تجب لا يعرفها الا الاقلون ولا بد لها من كتب مخصوصة تجمع بين السهولة والتأثير لتعين عليها فهل يتعب نفسه العارف بوضع كتب فى ذلك وينفق فضل ماله فى طبعها وهو يعلم انها لا تروج فى المدارس لان الحكومة لا عناية لها بالدين وان المدارس الاهلية لا غرض لها الا التجارة وهي دون مدارس الحكومة فى كل شيء ؟؟ نعم لو ان فى البلاد عدداً كبيراً من اهل العقل والغيرة يعرفون قيمة هذا العمل ويوازرون من يقوم به ويعملون بما يرشد اليه فى

بيوتهم لوجد القائم به ولكن قومنا مشغولون عن كل هذا باللهو واللعب يبذل الغني ماله فى طلب لقب ضخم يتبجح به او وسام لامع يزين به صدره يوم لقاء الامير فى العيد وهم غافلون عمَّا فى بيوتهم من معاول الخراب، وعن سير امتهم فى طرق العدم والانقراض، ولخادعيهم المكانة الاولى عندهم «وقد يستفيد الظنة المتنصح»

« المسلمون فى أفريقيا لقسيس انكليزي(١) »

قرأ (القسيس اسحاق طيلر) بالامس صحيفة قال فيها ان الاسلام من حيث هو دين تبليغي (أي جعل اساسه على تبليغ عقائده الى الناس بطريق الدعوة واقامة الدليل والحجة وتفويض الامر للنظر والفكر فى الوصول الى المطلوب علمه من تلك العقائد ولم يجعل اساسه على الالزام بما لا يعقل بطريق جبري) قد نجح فى قطعة أرض عظيمة من العالم نجاح الديانة المسيحية (تحير من السامعين)

الداخلون فى الاسلام من الوثنيين لا أقول فيهم انهم اكثر عدداً من الداخلين منهم فى المسيحية فقط بل ازيد على ذلك ان المسيحية تخنس بالفعل بين يدي الاسلام والمساعى المبذولة لتنصير الامم المسلمة ترجع الى الخيبة رجوعاً ظاهراً . ليس امرنا واقفاً عند العجز عن احداث مواطيء

(١) للقسيس اسحق طيلر الانكليزى الذى توفى من عدة اشهر خطب وكلام عادل عن الاسلام والمسلمين نشر في الجرائد الانكليزية منذ سنين فكان له دوي عظيم وقد عرب بعضه ونشر في ثمرات الفنون الغراء وقد رأينا ان ننشر مانقف عليه من ذلك وننشره فى المنار بالتدريج وهذه المقالة معربة عن البال مال غازيت الانكليزية من بضع عشرة سنة

جديدة لاقدامنا فقط ولكن المقام الذى نحن فيه قد نعجز عن حفظه أيضا. ان دين الاسلام قد انتشر آنفا من (مراكش) الى (جاوا) ومن زنجبار الى الصين وهو الآن ينتشر فى افريقية بسرعة لا يأتى عليها الوصف فقد ضرب هذا الدين بجرانه فى ارض (كونغو) و(زمبيسى) و (اوغاندا) فهذه المملكة القوية الزنجية صارت محمدية من زمن قريب. التمدن الاروبى الذى يهدم الوثنية الهندية فى الهند انما يوطىء طريقاً جديداً للدين الاسلامى فان فى ارض الهند مائتين وخمسة وخمسين مليوناً من السكان فيهم خمسون مليوناً مسلمون وليس بينهم من المسيحيين الا النزر اليسير والمسلمون من هالى افريقيا يزيدون على نصف سكانها. لا يتعلق بغرضنا الآن بيان كيفية انتشار الدين الاسلامى فى بدايات امره ولكن علينا ان نبين حالته فى ثباته ودوامه واخذه بقلوب المستمسكين به فان الديانة المسيحية اقل سطوة منه على القلوب لذلك ترى القبيلة الافريقية تدخل فى الدين الاسلامي ثم لا ترتد الى الوثنية قط ولا تتنصر ابداً

نرى الاسلام أوفق ما يكون لتهذيب الامم المتوحشة وترقية حالها اما الديانة المسيحية فهي ابعد من ان تنالها عقول السذج وهي على مانعلم من دقتها. الاسلام قدنفع التمدن اكثر من المسيحية (تعجب من السامعين) انظروا فى تقارير ارباب المناصب من الانكليز او العامة من السائحين تقفوا على فوائد الدين الاسلامي فى اصلاح الاعمال البشرية فان الديانة المحمدية اذا دخلت فى قبيلة زنجية محت من بينها الديانة الوثنية وعبادة الشياطين ورفعتها عن السجود للاباطيل وكرهت اليها اكل لحوم البشر وذبح الانسان وقتل الاولاد ونزهتها عن معاطاة السحر وهيأت لها من

ذلك كله خلاصا ابديا وأول مايبتدىء به الوحشيون بعد الدخول فى الاسلام لبس الثياب والنظافة ثم تنشأ فيهم عزة النفس ويكسوهم الوقار ويصير قرى الضيف بمنزلة فريضة شرعية ويندر السكر وينقطع القمار ولا يبقى اثر للمراقص المخزية ويحظر اختلاط الرجال بالنساء وتعد العفة فى فى الاناث من خلائق التقوى ويبدل الكسل بالعمل وتأخذ الشريعة مكان الاهواء وتحكم النظام والكياسة ويحرم سفك الدماء وظلم العبيد والبهائم ثم يفشو التناصح بالاحسان والاخوة والاحساس بالوجدان الانسى . اما الاسترقاق وتعدد الزوجات فيأخذان وجها من الترتيب وتمحى مساويهما

الجمعية الاسلامية هى المستعلية على الكل بشدة قواها واجتنابها للمسكرات اما انتشار التجارة الاروبية فليس الا انتشار السكر والقبائح والاخلاق السافلة والاسلام يروج بين الناس تمدنا في رتبة غير سافلة لاحتوائه على تعلم القراءة والكتابة وستر العورة والنظافة والصدق والحياء. ان رواج الاسلام وحمله الناس على التمدن من العجائب وما اقل مانجد لو طلبنا عوضا للمبالغ الوافرة من الاموال التى اسرفنا فى تبذيرها فى افريقيا فالمتنصرون يعدون بألوف والداخلون فى الاسلام يعدون بملايين .تلك احوال يسؤنا مرآها وجهلها حماقة

فيجب علينا ان نتبصر امرا وهو ان الدين الاسلامى لايناقض الديانة المسيحية بل يتفق معها فان ذلك الدين صوت ايمان ابراهيم وموسى عليهما السلام وفيه كثير من الاصول المسيحية وهو يخالف اليهودية فى انها كانت خاصة وهو دين عام لايختص بامة واحدة بل يعم كل العالم

المسلمون يعترفون باربعة مرشدين كرام. ابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى كلمة الله ومحمد رسول الله . ولسيدنا عيسى مقام جليل فى الاربعة ولو فرضنا ان الديانة الاسلامية لاترمي مرامي تعليمات القديس بولس فهى لا تخالف المسيحية بل هى قريبة منها وخير من اليهودية لاقرارها بمعجزات المسيح ونبوته . كان فيما ينسب الي الديانة المسيحية موضوعات خيالية وضعها بعض الرؤساء من عند انفسهم فصارت بها الاقوام مشركين فى اعمالهم يعبدون جماعة من القديسين والشهداء والملائكة وظنوا من بعض احكامها ان الوساخة من خصال القديسين فجاء الاسلام وكسح مجموع هذه المفاسد والاباطيل واظهر الاحكام الاساسية الدينية وهى توحيد الله وتعظيمه وبدل الرهبانية بالانسانية وارشد الناس الى الاخوة الصحيحة ومعرفة الحقائق الاساسية للطبيعة الانسانية . الدين الاسلامى لا يفرض على الناس خلع سلطان الطبيعة البشرية من مقامه الفطري كما تفرض ذلك الديانة المسيحية (فى نحو الامر بمحبة الاعداء مثل محبة الاصدقاء وبالتجرد عن قنية الاموال وبادارة الخد الايسر لمن ضربك على الخد الايمن وما شابه ذلك) لكن يطالب العقول بما تحتمله كالاعتدال والنظافة والعفة والقسط والثبات والشجاعة واكرام الضيف فاذا اكسبهم هذه الخصال سهل لهم طريق الفضائل السامية وجنبهم جميع الرذائل والكبائر . الدين المسيحى يطالب بمؤاخاة الناس كافة وتلك غاية لا تنال لكن الاسلام ينادي بمؤاخاة فعلية يستوى فيها المسلمون عامة وهذه الاخوة جعالة عظيمة يقدمها الاسلام للداخلين فيه فمن قبل الاسلام دخل فى جمعية مؤتلفة القلوب على الاطلاق وصار عضواً لمجمع اخوة عددهم (١٥٠,٠٠٠,٠٠٠)

والداخلون فى الديانة المسيحية جديداً لا ينظر اليهم بين النصارى بنظر المساواة لكن الاخوة الاسلامية امر حقيق (هذه اخلاق أهل الاسلام فى افريقيا كما قال القس طيلر وهى الجدير بها المسلمون كافة ولكن من الاسف ان المسلمين فى جهات كثيرة فقدوا هذه الاخوة الحقيقة)

عندنا يا اخوتى كثير من الاحبة فى منبر الكنيسة لكن قليلا ما نشاهدهم فى المعيشة اليومية. (ضحك) حق ان القرآن بشر بجنة جسمانية لكن لها فى الفضائل الإنسية التى لابد منها فى هذا العالم اقوى تأثير. الاسلام لا ينقطع بالانسان الى الروحانية المحضة كما ترشد اليه التعاليم المسيحية لكنه المكتب الفرد الذى يمكن ان يتربى فيه الافريقي

العقبتان العظيمتان المانعتان من تنصر اهالى افريقيا هما تعدد الزوجات والاسترقاق اما الاسترقاق فليس من لوازم العقيدة الاسلامية لكن رخص فيه الشرع المحمدي لانه شر اضطراريّ كما رخص فيه موسى ومار بولس ويد المسلم فيه ارفق والين من يد المستعبدين فى الممالك المتحدة. تعدد الزوجات اصعب المسألتين على انه لم ينه عنها فى شرع موسى وعمل بها داود عليه السلام والانجيل لم يصرح بمنعها مع مخالفتها لاصوله. محمد (صلى الله عليه وسلم) جعل حداً معيناً لعدد الزوجات فخف شره ووجدت له منافع كثيرة فهو الذى نسخ قتل الاناث واقام لكل امرأة قيما شرعياً وبسببه خلصت البلاد المحمدية من الفواحش الرسمية وهى اعظم شناعة فى المسيحية من تعدد الزوجات فى الاسلامية. تعدد الزوجات على قواعده المنتظمة عند المسلمين انجح تأثيراً فى صيانة النساء عن الرذائل واخف ضرراً على الرجال من مخالطة امرأة واحدة لرجال كثيرين تلك لعنة البلاد المسيحية ولا وجود لها فى بلاد الاسلام

(انظر وتأمل) الانكليز الذين يجوّزون توارد رجال كثيرين على امرأة واحدة فى المواخير (اى محلات الفواحش) لا يليق بهم ان ينكروا على المسلمين الناكحين مثنى وثلاث ورباع (انصتوا انصتوا) فلنخرج الجذع الكبير من اعيننا قبل ان نهتم باخراج القذى من عيون اخواننا

ان اسقف لاهور فى رؤساء آخرين أقدم على السماح لقوم بالتنصر مع ابقاء زوجاتهم اللاتى كن فى عصمهم قبل النصرانية لان من الظلم الفاحش ان يكلف المتنصر بترك زوجته وقد تزوجها بنكاح صحيح فى شريعته وجأت منه باولاد . ايجوز ان امهات اولاد الرجل يطلقن ويتركن للمعيشة فى الرذائل. لا يمكن لرجل يليق بان يكون مسيحياً ان يقدم على عمل ظالم مخالف للفطرة مثل هذا

ان الشرور الاربعة التى نعدها فى البلاد المحمدية وهى تعدد الزجات والاسترقاق والتمتع بالاماء واباحة الطلاق ليس من خصائص الاسلام بل كان معمولاً بها على اشنع صورها فى الممالك المتحدة وهي ارض مسيحية وسكانها من الاخوة الانكليز

ان المعامين الاروبيين لا يستطيعون ان يدخلوا افريقيا فى النصرانية فهذا شيء جُرّب فلم يفد فعلينا ان نعدل عن تهييج الخصام بيننا وبين المسلمين وتكذيب نبيهم وتكفيرهم ونجتهد فى تفهيمهم ان المسيحية لا تخالف الاسلام بل تشابهه جداً وعلينا ان نذكر ان الدين الاسلامى اشد تأثيراً في اخضاع النفوس لمشيئة الله وردعها عن السكر وحملها على الصدق وتمكين عرى الالفة والاخوة الايمانية بينها وانفذ فعلاً مما عندنا فلنا فيهم اسوة حسنة اذا اقتدينا بهم حسنا

ان الاسلام قد نسخ السكر والقمار والبغاء ثلاث لعنات اهلكن البلاد المسيحية (فليعتبر المقامرون حاسبهم الله) الاسلام قريب جداً من المسيحية والمسلمون كأنهم مسيحيون فتعالوا بنا نساعدهم على الكمال فى دينهم ولا نسعى سعياً عبثاً لابطاله لعلنا نجد فى الاسلام مسيحية ونجد محمداً (صلى الله عليه وسلم) آخذاً بعضد المسيح فى دينه (بشاشة من الحاضرين)

القسم الديني

﴿ المحاورة الثالثة عشرة بين المصلح والمقلد ﴾

« التقليد والوحدة الاسلامية في السياسة والقضاء »

نهى الامام احمد واتباعه عن التقليد. ترك التقليد ليس غمطاً للأئمة والعلماء. أحكام الشرع قسمان روحانى لاتقليد فيه ودنيوي يتبع فيه اولو الامر المجتهدون. الوحدة الاسلامية فى المعاملات السياسية والقضائية، المشاورة والاجماع. تفويض الشارع أمر الاحكام لأولى الامر المجتهدين. تقديم الحكم بالمصلحة الموافقة للقواعد العامة. نكاح المتعة. الحكم بالاستحسان عند الحنفية. حكم القاضى بعلمه. اسباب الحكم ليست تعبدية. حكم القضاء على الظاهر وحكم الدين على الباطن. العدل هو مايوصل الى الحق. اقتراح على اهل الحل والعقد ان يؤلفوا كتاباً فى السياسة والقضاء يوافق المصلحة الاسلامية في هذا العصر

اجتمع الشيخ المقلد والشاب المصلح لاتمام المحاورة والمناظرة بعد فترة طويلة وابتدأ الشاب الكلام فقال

(المصلح) : الاولى لنا أن نورد شيئاً مما يؤثر عن ناصر السنة الامام احمد بن حنبل رحمه الله تعالى فى النهي عن التقليد ليعلم الذين ركنوا الى تقليد هؤلاء الأئمة الاربعة انهم ليسوا على هديهم فى هذا التقليد. وقد

كان هذا الامام الجليل متأخراً قليلاً عن الثلاثة وان أدرك بعضهم وصحب أحدهم وكان قد رأى بوادر التزام تقليد الذين تكلموا فى الاحكام وكتبوا فيها وعلم ان الامام مالكاً رحمه الله تعالى قد ندم قبل موته أن نقلت اقواله وفتاويه ولذلك لم يدون مذهباً واقتصر على كتابة الحديث ولكن اصحابه جمعوا من أقواله واجوبته واعماله ما كان مجموعه مذهباً كما قال العلامة ابن القيم. وسأله ابو داود عن الاوزاعي ومالك ايهما اتبع فقال لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فخذ به وذكر ان الرجل مخير فى التابعين

(المقلد) : اذاكان خير فى اتباع التابعين فتلك رخصة بتقليدهم

(المصلح) : انه كان يفرق بين الاتباع والتقليد قال ابو داود سمعته يقول الاتباع ان يتبع الرجل ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم هو من بعد فى التابعين مخير. وقال أيضاً : لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الشافعيَّ ولا الاوزاعيَّ ولا الثوريَّ وخذ من حيث أخذوا . فالتقليد هو الاخذ بقول أحد من غير معرفة دليله واتباع النبي صلى الله عليه وسلم لا يمكن الا بعد العلم بسنته فاتحد الدليل والمدلول . واما الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقد اختلف الأئمة فى الاخذ بالموقوف عليهم فمنهم من يقول به كاحمد ومنهم من يقول هم رجال ونحن رجال ومنهم من فصّل وليس هذا من غرضنا الآن ولكننا نفهم من عبارة الامام احمد ان مراده الاهتداء بعمل الصحابة وسيرتهم لا تقليد واحد منهم بعينه فى كل ما يقول وانما خير فى التابعين لأن المختار من لا يتبع الهوى فى اختياره وانما يسترشد بمن يراه أقوى دليلاً ، واقوم قيلاً ،

(المقلد) : اليس هؤلآء الائمة الاربعة خيراً من كثير من التابعين فلماذا لاتختار اتباعهم ونكون آخذين برخصة الامام احمد فى ذلك بالاولى ؟؟

(المصلح) : أن الائمة الاربعة اولى بأن يُتبعوا فى سيرتهم العلمية والعملية من كثير من التابعين وقد اتبع احمد الشافعيّ فى طرق الفهم والاستنباط وفضله فى حداثة سنه على الشيوخ الذين كان يُرحل اليهم ولكنه لم يقلده تقليداً . روى الحاكم بسنده الى الفضل بن زياد العطار انه قال : سمعت احمد بن حنبل يقول « ما مس احد محبرة ولا قلماً الا وللشافعي فى عنقه منّةٌ » ولولا ان المتأخر من العلمآء يهتدي بهدي المتقدم لما ارتقى علم فى الدنيا ولو ان المتأخر يأخذ بكل مايقوله المتقدم لما ارتقى علم فى الدنيا

(المقلد) : اذا كان الامام قد نهى نهياً صريحاً عن تقليده فلماذا دوّن اصحابه له مذهباً مستقلاً وحملوا الناس على العمل به ؟

(المصلح) : هذا السؤال يرد على سائر المقلدين فان الائمة الثلاثة نهوا عن التقليد أيضاً كما قلنا فى مجالسنا السابقة وقد كان اتباع الامام احمد ابعدهم عن التقليد المحض واقربهم الى ما كان يسميه امامهم اتباعاً واهتداًء وذلك انه لا يزال مذهبهم الحديث والفروع الفقهية عندهم مدلّلة باتباع السنة فى الغالب ولذلك كان اكثر الحفاظ والمحدثين من اتباعه وليس فيهم من يترك الحديث لقوله كما يفعل سائر فقهاء المذاهب الاخرى وهم اكثر الناس نعياً على التقليد والمقلدين

قال الحافظ ابن الجوزي الحنبلي فى كتاب (تلبيس ابليس) : إعلم ان المقلد على غير ثقة فيما قلد وفى التقليد ابطال منفعة العقل لأنه خلق للتأمل والتدبر وقبيح ممن أعطي شمعة يستضيء بها ان يطفئها ويمشي فى الظلمة .

واعلم ان عموم اصحاب المذاهب يعظم فى قلوبهم التفحص عن ادلة امامهم فيتبعون قوله وينبغى النظر الى القول لاالى القائل كما قال عليٌّ رضى الله عنه للحارث بن عبد الله الاعور بن الحوطي وقد قال له اتظن ان طلحة والزبير كانا على الباطل — فقال له : ياحارث انه ملبوس عليك ان الحق لا يعرف بالرجال اعرف الحق تعرف أهله .

وقال ابن القيم العلامة المحدث المشهور بعد كلام فى النفس الامارة ثم النفس المطمئنة : « فاذا جاءت هذه بتجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم جاءت تلك (اي الأمّارة) بتحكيم آراء الرجال واقوالهم فأتت بالشبهة المضلّة بما يمنع من كمال المتابعة وتقسم بالله ما مرادها الا الاحسان والتوفيق والله يعلم انها كاذبة وما مرادها الا التفلت من سجن المتابعة الى فضاء اراداتها وحظوظها وتريه (اي ترى صاحبها) تجريد المتابعة للنبي صلى الله عليه وسلم وتقديم قوله على الآراء فى صورة تنقص للعلماء واساءة الادب عليهم المفضي الى اساءة الظن بهم وأنهم قد فاتهم الصواب فكيف لناقوة بأن نرد عليهم او نحظى بالصواب دونهم وتقاسمه بالله ان ارادت الا احساناً وتوفيقاً . « اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم فأعرض عنهم وعِظْهُمْ وقل لهم فى انفسهم قولاً بليغاً » . والفرق بين تجريد متابعة المعصوم واهدار اقواله والغائها ان تجرد المتابعة لا تقدم على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم قول احد ولا رأيه كائناً من كان بل ينظر فى صحة الحديث أولاً فاذا صح نظر فى معناه ثانياً فاذا تبين له لم يعدل عنه ولو خالفه من بين المشرق والمغرب . ومعاذ الله ان تتفق الامة على ترك ما جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم بل لا بد ان يكون فى الامة من قال به ولو خفى عليك فلا تجعل

جهلك بالقائل حجة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم فى تركه بل اذهب الى النص ولا تضعف واعلم انه قد قال به قائل قطعاً ولكن لم يصل اليك علمه

« هذا — مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وأمانتهم واجتهادهم فى حفظ الدين وضبطه فهم رضى الله عنهم دائرون بين الأجر والاجرين والمغفرة ولكن لايوجب هذا إهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها بشبهة أنه اعلم منك فان كان كذلك فمن ذهب الى النصوص أعلم فهلاً وافقته ان كنت صادقاً . فمن عرض اقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ماخالف النص لم يهدر أقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فانهم كلهم امروا بذلك بل مخالفتهم فى ذلك اسهل من مخالفتهم فى القاعدة الكلية التى امروا بها ودعوا اليها من تقديم النص على اقوالهم . ومن هذا تبين الفرق بين تقليد العالم فى جميع ماقال وبين الاستعانة بفهمه ، والاستضاءة بنور علمه، فالاول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولاطلب دليله من الكتاب والسنة والمستعين بافهامهم يجعلهم بمنزلة الدليل الاول فاذا وصل استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره . فمن استدل بالنجم على القبلة لم يبق لاستدلاله معنى اذا شاهدها . قال الشافعي: من استبانت له سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد

« ومن هذا تبين الفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المأوّل الذي غايته ان يكون جائز الاتباع بان الاول هو الذى انزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم متلواً أو غير متلوّ اذا صح وسلم من المعارضة وهو حكمه الذى ارتضاه لعباده ولا حكم له سواه . وان الثانى

اقوال المجتهدين المختلفة التي لايجب اتباعها ولايكفر ولايفسق من خالفها فان اصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله قطعاً وحاشاهم عن قول ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم النهي عنه في قوله: « واذا حاصرت اهل حصن فارادوك على ان تجعل لهم ذمة الله وذمة رسوله فلا تجعل لهم ذمة الله ولاذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة اصحابك فانكم ان تخفروا ذممكم وذمة اصحابكم أهون من ان تخفروا ذمة الله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) واذا حاصرت اهل حصن فارادوك على ان تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن انزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله ام لا » اخرجه الامام احمد في مسنده ومسلم في صحيحه من حديث بريدة . بل قالوا اجتهدنا رأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ولم يلزم احد منهم بقول الأئمة . قال ابو حنيفة هذا رأيي فمن جاء بخير منه قبلته . ولوكان هو عين حكم الله لما ساغ لابي يوسف ومحمد وغيرهما مخالفته فيه . وكذلك قال مالك لما استشاره هرون الرشيد في ان يحمل الناس على مافي الموطأ فمنعه من ذلك وقال : قد نفر اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاد وصار عند كل قوم من الاحاديث ما ليس عند الآخرين . وهذا الشافعي نهى اصحابه عن تقليده وكان يوصيهم بترك قوله اذا جاء الحديث بخلافه . وهذا الامام احمد انكر على من كتب فتاويه ودونها وكان يقول : لا تقلدوني ولا تقلدوا فلاناً وفلاناً وخذوا من حيث اخذوا » اه

قال المصلح بعد ايراد هذه الجملة الصالحة من كلام بن القيم : انى سقت هذا الكلام بطوله لاذكرك بخلاصة مامر من النقول والدلائل وقد رأيت هذا الكلام اليوم واعجبني جداً

(المقلد) : حاصل ما فهمته منك ان مذهبك مذهب المحدثين ولكن ماذا تفعل بالحديث اذا خالف مذاهب اهل السنة كلهم كحديث احمد ومسلم الذى ورد في آخر كلام بن القيم الذى يثبت الحكم لغير الله تعالى فى قوله « أنزلهم على حكمك » ؟ واهل السنة يقولون لاحكم الا لله وحكمت المعتزلة العقل

(المصلح) : انما سمي اهل السنة بهذا الاسم لانهم يتبعون السنة اذا صحت وهذا الحديث صحيح عند أئمتهم فى الحديث والفقه فمن خالفه منهم فقد خرج عن السنة فى هذه المسئلة واذا اخذ به المعتزلة فهم على السنة فيها . وكأنى بك لا تزال مصرًّا على ان مذاهبكم هي الاصل الذي يعرض عليه الكتاب والسنة فان وافقاه قبلا وإلا رُدَّا بضروب من التأويل ومن اعتقد هذا فهو بعيد عن السنة بل هو بعيد عن الاسلام . وانا اقول معاذ الله ان تكون مذاهب اهل السنة مخالفة لهذا الحديث ولكن عليك بالفهم ولا تؤاخذنى بهذه الكلمة فقد آلمني قولك هذا بعد كل ماتقدم

اما احكام الدين فهى لله كما قال اهل السنة والجماعة أخذا من قوله تعالى « إن الحكمُ الا لله امر ان لاتعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون » ولكن احكام الله تعالى على قسمين قسم لايستقل العقل بمعرفة اصوله ولافروعه وهو الروحانى المحض الذى يتقرب به الى الله تعالى وانما يفهم العقل فائدته ومنفعته الدنيوية فى جملته ويفوض الامر فى منفعته الاخروية الى الله تعالى كالايمان بالغيب من امور الآخرة وما يتعلق بها وكالعبادات ومواقيتها ومقاديرها فهذا القسم يؤخذ عن الشارع ولا يتصرف العقل فيه بزيادة ولا نقص وقد تقدم الكلام

عليه فى بحث الوحدة الاسلامية فى العبادات وما فى معناها . وقسم يستطيع العقل ان يعرف وجه المصلحة فيه بالتأمل والنظر وبالاختبار والقياس ولكنه يكون عرضة للخطأ والضلال فى بعض مسائله لضعفه تارة ولميله مع الهوى تارة اخرى فوضع له الشرع قواعد عامة ليبني احكامه الجزئية عليها ويرجعها اليها وهذا هو قسم المعاملات الدنيوية المبنية على اساس دفع المضار وجلب المنافع وارتكاب اخف الضررين عند تعارضهما وتحتم وقوع احدهما وهذه المسئلة لازمة لما قبلها وكلاهما مجمع عليه . وهذا القسم هو الذي يجب تقليد العامة فيه لأولى الامر الذين يجب ان يكونوا مجتهدين فى علوم الدين والدنيا ولذلك سماهم الشرع أئمة

(المقلد) أذكر أن الوحدة الاسلامية التي ذكرت من قبلُ فى شأن القسم الروحانى من الدين هي أن يكون ما أجمع عليه المسلمون الذين يُعتد باسلامهم هو الذي يدعى اليه وهو الذي يلقن للجماهير بحيث يعرفه ويفهمه كل من يدخل فى الاسلام وتكون المسائل الخلافية الدينية كالمسائل العلمية لا تنافى الاخوة الاسلامية فى شيء يتبع العالم فيها ما صح عنده من غير ان يعيب مخالفه فيها واذا عرضت للعامي يسأل من يثق بدينه وعلمه عن حكم الله فيها فان كان عنده شيء من الكتاب والسنة ذكره له والا توقف كما كان أئمة السلف وعامتهم يفعلون. اذا تحققت الوحدة الاسلامية فى هذا القسم بما ذكرت فكيف يمكن ان تحقق فى القسم الثانى الذي جعلت مدار جزئياته على اجتهاد أولى الامر وهم لا بد ان يختلفوا كما عرف بالاختبار وهل من دليل على تفويض الاحكام اليهم من السنة غير حديث احمد ومسلم الذي تقدم

(المصلح) أما جمع الكلمة وتحقق الوحدة الاسلامية بذلك فبوجوب طاعة أولى الامر اذا حكموا بأمر او قرروه وأمروا به أي مما يتعلق بالمصلحة فى المعاملات فاننا استثنينا الامور الدينية المحضة لان الله تعالى اكملها أصولاً وفروعاً كما تقدم شرحه ولما كانت هذه وظيفة أولى الأمر اشترط فيهم ان يكونوا من العلم فى مرتبة الاجتهاد المطلق وفرضت عليهم المشاورة وجعل اجماعهم حجة شرعية بالنسبة الى الجمهور المكلف بقبول احكامهم لئلا تنشق العصا وتستباح البيضة بالخلاف والتفرق. واما الادلة على تفويض الامر اليهم غير ما تضمنته الآية والحدبث السابق فاحاديث منها ما رواه احمد والبخاري فى تاريخه والدورقي وغيرهم عن علي كرم الله وجهه قال: قلت يارسول الله اذا بعثتني في شيء اكونُ كالسكة المحماة ام الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال. «بل الشاهد يرى مالا يرى الغائب». يدل الحديث على ان مراعاة المصلحة هو الاصل فيمن عهد اليه بشيء من امر الناس لا الاخذ بظاهر قول الشارع فى الجزئيات وان فرض عدم انطباقه على المصلحة ويصلح الحديث حجة للحنفية على تقديم الاستحسان على القياس الجليّ المقدَّم على خبر الواحد ان اريد بالاستحسان ما نفهمه من انه ما يوافق المصلحة العامة من الاحكام فان ذلك هو الذى يوافق القواعد الاصلية الثابتة بالنصوص القطعية. وهذا ظاهر فى الاحكام الدنيوية والمعاملات المعاشية لانها ليست تعبديَّه ولذلك تسري على المؤمن والكافر ويحكم فيها العرف الذي يختلف باختلاف الزمان والمكان. وهذا الاستقلال الذي يدل عليه الحديث لا ينافى وجوب المشاورة فى الامر الثابتة بنص القرآن. كما لا ينافى اتباع سائر القواعد الشرعية التي هي اصول الاستنباط

والاجتهاد بل يستلزمها بدليل آخر

(المقلد) : ان قولك هذا يناقض ما اطلت به واوردت عليه نصوص الأئمة من انه لا يجوز لأحد ان يرغب عن السنة اذا صحت عنده

(المصلح) : ان هذه المعارضة هي اقوى شيء راجعتني فيه منذ تكلمنا فى هذا الامر والجواب عنها انها مسلمة فى الامور الدينية المحضة وهي التي لم نجعل فيها رأياً لامام ولا حاكم . واما الامور السياسية والقضائية فهي محل الشبهة والجواب عنها انه يجب العمل بالحديث الصحيح فيها اذا لم يناف المصلحة والمنفعة فان فرض انه وجد حديث لا ينطبق على المصلحة فاننا نعتبر هذا الحديث معارضاً للأصول العامة القطعية المؤيدة بالكتاب والسنة العملية والقولية ايضاً كحديث « لا ضرر ولا ضرار » ونحوه ولا شك ان هذه الاصول مرجحة على ذلك الحديث الذي فرضنا وجوده لانه لا يكون الا من احاديث الآحاد التي لا تفيد الا الظن فلا يقال حينئذ اننا تركنا السنة بتركه او رغبنا عنها وانما رجحنا منها ما هو أولى بالترجيح . على ان الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد قضى فى مسائل كثيرة بخلاف ما كان على عهد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كمسئلة الطلاق الثلاث التي تكلمنا عنها بالتفصيل فى شرح المقدمة الحادية عشرة من المحاورة السابعة . ومنها مسئلة المتعة اخرج مسلم وغيره من حديث جابر قال كنا نستمتع بالقبضة من الدقيق والتمر الايامَ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر وصدراً من خلافة عمر حتى نهانا عنها عمر فى شأن حديث عمرو بن حريث . وروى عبد الرزاق فى مصنفه ان ابن عباس كان يراها حلالاً ويقرأ « فما استمتعتم به منهن » قال وقال

ابن عباس فى حرف أبيّ بن كعب « الى اجل مسمّى » قال : وكان يقول يرحم الله عمر ما كانت المتعة الا رحمة رحم الله بها عباده ولولا نهي عمر لما احتيج الى الزنا ابداً » وهو صريح بأن عمر نهى عنها اجتهاداً منه

(المقلد) : ان نكاح المتعة محرم باجماع اهل السنة ولولا خلاف الشيعة فيها لكان فاعلها كافراً ويروون ان ابن عباس رضي الله تعالى عنهما رجع عن اباحتها وورد فى الاحاديث الصحيحة النهي عنها

(المصلح) : مهلا ان كان هناك اتفاق من المتأخرين فسببه امتثال المسلمين لقول عمر وهو اقرار له على الحكم بتحريم شيء كان احل للضرورة فخاف عاقبة توسع الناس فيه ورأى المصلحة فى ابطاله وهو مأمور ان يحكم بمقتضى المصلحة فهو بذلك ممتثل امر الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم فيما فوّض اليه وعهد الى امانته فلا يقال انه خالف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لان من تعارض عنده قولان فعمل بارجحهما لا يقال انه غير متبع . واما الصحابة فقد نقل عنهم الخلاف فى المسئلة فروى ابن حزم تحليلها عن جماعة منهم ابن عباس وابن مسعود وجابر بن عبد الله ومعاوية وعمرو بن حريث وابو سعيد وسلمة ابنا امية بن خلف ومنهم اسماء بنت ابى بكر الصديق رضى الله عنهم اجمعين . وروي عن جابر انه قال بعد ماذكر ان عمر نهى عنها فى آخر خلافته : انه انما انكرها اذا لم يشهد عليها عدلان فقط . قال ابن حزم : وقال بها من التابعين طاوس وعطاء وسعيد ابن جبير وسائر فقهاء مكة. وما ورد من الاحاديث فى النهي عنها ثم الاذن فيها ثم النهى عنها فبعضه ضعيف وبعضه صحيح . وصرّح بعضهم بان الاذن محمول على حال الضرورة بنحو سفر وعزبة والمنع محمول على حال الاقامة

ولوكان النهي قطعياً عاماً مؤبداً لما جهله الصحابة الذين استمروا على استباحة المتعة طول حياته عليه السلام ومدة خلافة ابي بكر ومعظم خلافة عمر حتى نهاهم عنها

(المقلد) : لقد شهدت لك ايها الشاب الفاضل بسعة الاطلاع وطول الباع ولو لم يكن من مضرة التقليد الا عكوفنا على كتب اصحاب مذهبنا واهمالنا النظر فى كتب السنة لكفى وانني والحق احق ان يتبع لأدرى ماذا اقول لك وان كان فى نفسي حرج من بعض ماتقول واخشى ان تكون مخادعي بقوة عارضتك فبينا انت تقيم البرهان على انه لايجوز العمل بقول احد غير المعصوم اذا بك تنهض بالحجة على ترك الحديث لاجتهاد المجتهدين نعم انك جعلت لكل محلاً بحيث لايعترض عليك لاسيما وقد وافقت فى كل قول اماماً من الائمة فان الامام ابا حنيفة واصحابه يقدمون الاستحسان على القياس وعلى خبر الواحد وقد انشرح صدرى لتفسيرك الاستحسان ولكنني اعنى بالمخادعة ان من يسمع منك أحد الكلامين لايخطر له على بال انك تقدر على الاحتجاج للثانى . وقدكان وقع لكلامك شيء فى نفسى من الاستحسان والقياس

(المصلح) : احسنت فيما ذكرت من مضرة التقليد فانه الحجاب الاعظم دون العلم والفهم ولو شئت لزدتك من ذكر الاحكام التى حكم فيها عمر رضي الله عنه بمثل ماحكم فى الطلاق الثلاث ونكاح المتعة ولكن الوقت قد ضاق فان احببت الاستزادة فشرفنى مرة اخرى ازدك ان شاء الله تعالى . وأريد الآن ان أقرأ عليك جملة نفيسة قالها الامام الشوكاني فى بحث خلاف العلماء فى قضاء القاضي بعلمه وهى :

« والحق الذي لا ينبغى العدول عنه أن يقال : ان كانت الأمور التى

جعلها الشارع اسباباً للحكم كالبينة واليمين ونحوهما اموراً تعبدنا الله بها لايسوغ لنا الحكم الا بها وان حصل لنا ماهو اقوى منها بيقين فالواجب علينا الوقوف عندها والتقيد بها وعدم العمل بغيرها فى القضآء كائناً ما كان وان كانت اسباباً يتوصل بها الحاكم الى معرفة المحق من المبطل والمصيب من المخطئ غير مقصودة لذاتها بل لأمر آخر وهو حصول ما يحصل للحاكم بها من علم او ظن وانها أقل مايحصل له ذلك فى الواقع فكان الذكر لها لكونها طرائق لتحصيل ماهو المعتبر فلا شك ولاريب أنه يجوز للحاكم ان يحكم بعلمه لان شهادة الشاهدين والشهود لاتبلغ الى مرتبة العلم الحاصل عن المشاهدة اوما يجرى مجراها فان الحاكم بعلمه غير الحاكم الذى يستند الى شاهدين او يمين ولهـذا يقول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم « فمن قضيت له بشىء من مال اخيه فلا يأخذه انما أقطع له قطعة من النار » فاذا جاز الحكم مع تجويز كون الحكم صواباً وتجويز كونه خطأ فكيف لا يجوز مع القطع بأنه صواب لاستناده الى العلم اليقين ؟ ولا يخفى رجحان هـذا وقوته لان الحاكم به قد حكم بالعدل والقسط والحق كما امر الله تعالى » اه المراد منه على ان له فضل بيان

(المقلد) : ان احكام المعاملات عندنا من الدين ونحن متعبدون بها

(المصلح) : نعم انها من الدين بمعنى ان الدين ارشدنا الى اتباع الحق واقامة العدل فيها وهى أحكام يتحرى فيها الحاكم ذلك فان اصابه فقد اصاب حكم الله كما ورد « حيثما وجد العدل فهناك حكم الله » ولذلك يقول الفقهاء : فله كذا او الحكم كذا قضآء لاديانة او ديانة لا قضآء . والاصل فى هذا حديث « انما انا بشر وانكم تختصمون اليّ ولعل بعضكم ان يكون

ألحنَ بحجته من بعض فاقضى بنحو ما أسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئاً فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار » رواه احمد والستة عن ام سلمه (الألحن بالحجة هو الافصح بها والاظهر احتجاجاً) فالحق ثابت فى نفسه لا يتغير اخطأه الحاكم ام أصابه وكذلك العدل لأنه إصابة الحق

(المقلد) : العدل هو ما وافق الحكم الشرعى والجور والظلم ماخالفه لقوله تعالى « ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون »

(المصلح) : ان الظالمين الذين لا يحكمون بما انزل الله هم الذين لا يحكمون بالعدل لان الذى انزله الله تعالى وجعله آلة الحكم بين الناس هو العدل قال تعالى « واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل » وقال عزوجل « هو الذى انزل عليك الكتاب بالحق والميزان » فالله تعالى لم ينزل آيات قرآنية بعدد الوقائع التى تحدث للناس وقال احكموا بها فانها العدل وانما اعطانا ميزاناً نعرف به الحق الراجح من المرجوح وهو ما ارشدنا اليه من القواعد العامة التى يكون بها الترجيح واشرنا الى بعضها في كلامنا السابق . أرأيت ان العرب عند ما كانوا يسمعون الأمر بالحكم بالعدل يفهمون منه ان العدل هو احكام فرعية منصوصة يجب العمل بها ؟ ارأيت ذلك الرجل الذى قال « يا محمد اعدل » يريد احكم بالفروع التي جئت بها وجواب النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم له « ويلك ومن يعدل اذا لم اعدل ؟ لقد خبتُ وخسرت ان لم اكن اعدل » يريد به ذلك ؟ والحديث رواه احمد ومسلم عن جابر وسببه انه عليه السلام كان يعطي الناس شيئاً من الفضة عند منصرفه من حنين . نعم ان ما ورد فى الكتاب وصح فى السنة من الاحكام فكله عدل وقسط ولكن الاحكام الاجتهادية التى استنبطها الفقهاء منها ومنها

ولذلك وقع فيها الاختلاف والحق فى نفسه واحد سواء أكان الذى اخطأه مجتهداً معذوراً، ام مقصراً مأزوراً، والعدل هو مايحفظ الحق اويوصل اليه من غير ميل مع احدى الريحين، الى جانب أحد الخصمين، وهو المقصود بالذات، وان تعددت الطرق والدلالات، واختلفت باختلاف الازمنة والامكنة والحالات، ارأيت اذا وضع القاضي متهمين فى بيت ووضع عندهما حافظة الصوت (فونغراف) فتكلما فى كيفية ارتكابهما الذنب وائتمرا فى كيفية الانكار فنطقت بذلك الآلة أمام القاضي الا يكون موقناً بذنبهما وهل يأتى مثل هذا اليقين فى شهادة الشاهدين ؟

وحاصل ما اريد بالوحدة الاسلامية فى السياسة والقضاء ان يجتمع اهل الحل والعقد من العلماء والفضلاء ويضعوا كتاباً فى الاحكام مبنّيا على قواعد الشرع الراسخة موافقاً لحال الزمان سهل المأخذ لاخلاف فيه ويأمر الامام الاعظم حكام المسلمين بالعمل به وهذه هى وظيفته فان لم يقم بها لأنه ليس اهلا لها فعلى العلماء ان يقوموا بها ويطالبوه بتنفيذها فان لم يفعلوا فيجب على كل مسلم ان يعرف ان الامراء والعلماء هم الذين اضاعوا الدين، وفرقوا كلمة المسلمين، وليستعدوا لتقويمهم ان كانو مؤمنين اه،

طهارة الاعطار ذات الكحول، والرد على ذى فضول (تتمة)

ذكرنا فى الجزء الماضى ثلاثة أمور مما يتعلق بموضوعنا من رسالة مختار بك المؤيد وهاؤم الباقى

(٤) دعواه الاجماع على ان الصلاة لاتصح من متنجس البدن أو الثوب أو المصلىّ. وما اسهل دعوى الاجماع على مثله. قال فى نيل الاوطار مانصه: « وهل طهارة ثوب المصلى شرط لصحة الصلاة أم لا ؟

فذهب الاكثر الى انها شرط وروي عن ابن مسعود وابن عباس وسعيد ابن جبير وهو مروي عن مالك أنها ليست بواجبة . ونقل صاحب النهاية عن مالك قولين احدهما ازالة النجاسة سنة وليست بفرض وثانيهما انها فرض مع الذكر ساقطة مع النسيان . وقديم قولي الشافعي ان ازالة النجاسة ليست بشرط » ثم اورد ما استدل به الجمهور على الشرطية وبيَّن عدم صحة الاستدلال لان ما كان من حديث صحيح فى ذلك فهو آمر بازالة النجاسة أو مرشد اليها بالعمل من غير ذكر ما يفيد انها شرط للصلاة كالآية الكريمة «وثيابك فطهر» الاحديث «تعاد الصلاة من قدر الدرهم من الدم» ولو صح لكان مفيداً للشرطية لكنه باطل لان فى اسناده روح بن غطيف وقال بن عدي وغيره انه تفرّد به وهو ضعيف . وقال الذهلي اخافُ ان يكون هذا موضوعاً . وقال البخاري حديث باطل . وقال بن حبان موضوع . وقال البزار اجمع اهل العلم على نكرة هذا الحديث . قال الحافظ ابن حجر وقد أخرجه بن عدى فى الكامل من طريق اخرى عن الزهري لكن فيها ابو عصمة وقد اتهم بالكذب .

وقد استدلوا على الشرطية بما هو حجة عليهم كحديث خلع النبي صلى الله عليه وسلم نعله فى الصلاة لانه علم ان بها خبثاً وهو يدل على عدم الشرطية لانه لم يستأنف الصلاة والشرط ما يلزم من عدمه عدم المشروط ومنها حديث أمره عليه السلام بغسل لمعة الدم من الكساء بعد ما صلى فيه ولو كانت طهارة الثوب شرطاً لاعاد الصلاة . وقد قال الامام الشوكانى بعد ما اورد ادلة الجمهور واعلَّها ما نصه : « اذا تقرر لك ما سقناه من الادلة وما فيها فاعلم انها لا تقصر عن افادة وجوب تطهير الثياب فمن

صلى وعلى ثوبه نجاسة كان تاركا لواجب واما ان صلاته باطلة كما هو شأن فقدان شرط الصحة فلا لما عرفت » اه

(٥) انكاره على المنار القول بأن الكحول لم يكن موجوداً فى زمن التشريع وازمنة الأئمة الاربعة فينص فيه على شيء وزعمه ان ذلك دعوى بغير دليل وان عدم ذكره ليس دليلاً على طهارته . وما كتبه المؤلف العامي فى هذا المقام دليل على انه لم يفهم كلام المنار فاننا لم نستدل بعدم ذكر الأئمة له على طهارته وانما اردنا انه ليس فيه عنهم نصٌّ فيأخذ به مقلدهم فهو على اصل الطهارة وما قاله بعض المقلدين من المتفقهة المعاصرين فى نجاسته فمردود بالوجوه التي ذكرناها فى المنار

(٦) انكاره تعليل المنار عدم وجود الكحول فى زمن التشريع بعدم وجود الكيمياء وقوله ان الاحكام الشرعية لا تتوقف على وجود هذا العلم ثم استدلاله على وجوده بوجود علم الطب والتصوير عند جميع الشعوب المتمدنة (كذا) . وهذا اللغو ايضاً من سوء الفهم فاننا نحن الذين صرحنا بأن الاحكام الدينية لا تبنى على المسائل الكيماوية وعنصر الكحول لم يعرف الا من الكيمياء . واستدلاله بالطب والتصوير على وجود علم الكيمياء فى زمن التشريع من اغرب ما يحتج به من يفتحر الكلام افتحاراً ولو كان يعلم كما نعلم ان علم الكيمياء الحديث من اختراع جابر بن حيان الصوفى المتوفى سنة ١٦١ لملأ الدنيا لغطاً وتبجحاً لان زمنه زمن الأئمة المجتهدين ولكن صاحب الفهم السليم يعلم ان ذلك لا ينافى كلامنا . وأما الكحول فالذي اكتشفه هو ابو بكر الرازي الفيلسوف الطبيب المتوفى ٣١١ أي بعد الأئمة المجتهدين ويعترف لنا فلاسفة الافرنج بهذا السبق .

ولم يكتشفه الاطباء والمصورون الاقدمون كما زعم المؤلف العامي

(٧) زعمه سقوط استدلال المنار على ان نجاسة الكحول لا يصح ان تؤخذ من اللغة لانه ليس قذرا قال « فأي قذارة فى الخمر والميسر والانصاب والازلام التي أمرنا الله بالنص باجتنابها » الخ ونحن قد سبقناه الى القول بأن رجسية هذه الاشياء معنوية أي انها مضرة ولذلك وجب اجتنابها وليست رجسية حسية يجب تطهير الثياب منها كالعذرة مثلاً فمن مس الانصاب او لعب الميسر او استقسم بالازلام وهو رطب اليد لا يجب عليه غسل يده ولو صلى قبل الغسل لا تجب عليه الاعادة وكذلك الخمر لان حكمها فى الآية حكم الميسر والانصاب والازلام . فهذا المؤلف العامي يرد على نفسه من حيث لا يدري

(٨) انكاره قول المنار ان الكحول يوجد فى غير الخمرة من الاشربة والادوية وغيرهما وزعمه انه « لا وجود له فى الطبيعة البتة بل هو عنصر يتولد بالتخمير » الخ . ومن سهل عليه ان يقول فى الدين بغير علم فاحرِبه ان يقول فى الكيمياء بغير علم. وزعمه ان لا وجود له فى الطبيعة يقتضي انهم يوجدونه من العدم بالتخمير وليس فى الدنيا كيماوي ولا طبيعي يقول بأن شيئاً ما يوجد من العدم بأعمال كيماوية او غير كيماوية . وقد اعترف المؤلف العامي بأن الكحول يستخرج من الثمرات والفاكهة والخضر والحبوب والخشب ولكنه زعم ان ذلك بالتخمير والصواب انه يستخرج من الخشب وغيره بالاستقطار بآلات حديدية مخصوصة . فهو يصدق المنار ويؤيده من حيث لا يفهم، ثم يرد عليه من حيث لا يعلم،

(٩) قوله «تذكرت فى هذا المقام جواباً لجناب الاستاذ » وذكر

حديثاً شريفاً فى الانكار على اليهود اذابة الشحوم المحرمة وبيعها . وهذا الحديث ليس جواباً لنا وانما يصح ان يكون جواباً منا لاننا نقول ان الاحكام الدينية يجب تؤخذ عن الشارع من غير تأويل ولا حيلة وهذا الحديث ينكر التأويل والحيلة على اليهود فلماذا لا يحتج به على الفقهاء الذين يبيحون الحيل فى الامور الشرعية حتى ما يتعلق بأركان الاسلام كالزكاة . وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ثمن الكلب والامام ابو حنيفة يجوزه . فهل رأى المؤلف الاميّ ان يجعل العطر من الخمر ويحتج علينا بالحديث ولا يحتج به على المحتالين على هدم اركان الاسلام بالحيل ومخالفة النصوص الصريحة لان الموت جعلهم مقدسين او معصومين وذنبنا اننا أحياء . أنا اجلّ الامام ابا حنيفة عن تجويز الحيلة فى الدين وان كان من المنتسبين اليه من ألف فى الحيل حتى كاد يبطل بها كل شيء

(١٠) قوله ان النصوص مصرحة « بأن كل مسكر يدخل تحت اسم الخمر واحكامه حكماً لا تقليداً ولا اجتهاداً ولا استنباطاً وان كل خمر نجسة العين » . ونحن نقول اذا صح قوله هذا فهو حجة على أئمة الحنفية لا علينا فان الخمر عندهم ما عرفت فى النبذة الأولى من الرد أي لا تكون الا من عصير العنب والاعطار الافرنجية ليست من المسكرات . ونقول على قاعدته انه يسيء الظن بالامام ابى حنيفة ويزعم انه مخالف لاحكام الدين من غير اجتهاد ولا استنباط (حاشاه من جهل هذا المؤلف العامي)

(النتيجة) ان الخمر مختلف فى نجاستها عند علماء المسلمين وان الخلاف فى غير عصير العنب اذا غلا واشتد وقذف بالزبد أقوى وان النبيذ طاهر عند الامام ابى حنيفة وفيه الكحول قطعا وان الكحول ليس خمراً

وان الاعطار الافرنجية ليست كحولاً وانما يوجد فيها الكحول كما يوجد فى غيرها من المواد الطاهرة بالاجماع وانه لا وجه للقول بنجاستها حتى عند القائلين بنجاسة الخمر والله اعلم واحكم

باب التربية والتعليم

مؤتمر التربية والتعليم فى الهند

ليس للمصريين عبرة يعتبرون بها ولا أسوة يتأسون بها كأخوانهم الهنود الذين مرت عليهم السنون وهم يجهلون نعمة الحرية التى هى للأمة كالعافية للافراد وكالشمس فى الطبيعة لاحياة طيبة الا بها ثم عرفتهم بها المصائب التى نزلت بهم لتركـ الشكر عليها بالتربية والتعليم والعمل النافع. لهذا نرى ان أفضل ماينشر فى المؤيد الاغر هو أخبار المسلمين فى بلاد الهند. وقد كتب فى الشهر الماضي كلاماً عن (ندوة العلماء) التى اوجس منها حكامهم الانكليز خيفة لانها مؤلفة من رجال الدين حتى ان الحاكم الانكليزى للولاية التى هي فيها عرّض بها بل صرح فى خطبة له فقام بعض فضلآء المسلمين يرد عليه بأن الجمعية لم تؤلف لغرض سياسي (ومتي كان علماء الدين سياسيين) تخشى مغبته الحكومة وانما هى لمحض ترقية العلوم الدينية والصلة بينها وبين العلوم الدنيوية لاجل ترقية المدنية. فهل عرف المصريون كنه حرية الانكليز كما عرفها اخوانهم الهنديون ام يزالون يسيئون الظن بهم انخداعاً لوسواس شياطين الوطنية الكاذبة فلا يقدمون على عمل نافع

خوفاً من ايقاع الانكليز بهم ووقوفهم فى طريق عملهم ؟ ؟ ان كانوا كذلك فهم من خوف الذل فى الذل

ثم انه (اى المؤيد) نشر خبر انعقاد المؤتمر الاسلامي المرة الخامسة عشرة بالتفصيل فجاء فيه انه انعقد السنةَ فى مدينة مدراس (وكان ينعقد فى كلكتا برياسة فاضل الهند وعاقلها القاضي امير علي) واتفق انه لم يوجد من أعضائه المسلمين فى مدراس من يصلح لرياسة الاجتماع فكان الرئيس القاضي بودام الانكليزي فألقي خطبة افتتاحية تلقاها جميع المسلمين بالاستحسان والاعجاب وهى جديرة بذلك

ابتدأ الخطيب كلامه بأظهار التأسف لانهم لم يجدوا مسلما يصلح لرياسة الاجتماع يشعر بما يشعرون به ويتألم مما يتألمون ويخاطبهم بما يفهمون ويثقون بما يقول ثم باظهار الرجآء بان يكون انعقاد المؤتمر فى عاصمة ولاية مدراس سبباً فى ازالة الشقاق والخلاف من المسلمين وجمع كلمتهم واتحادهم على ما ينفع امتهم وبلادهم . وذكر انه قبل الرياسة مضطراً بعد تردد وانه يؤمل ان ينفع المسلمين بذلك

واثنى على المرحوم السيد احمد خان مؤسس المؤتمر ومدرسة عليكده الشهيرة وذكر انها تربى رجالا عليهم مدار نجاح المسلمين فى الحال والاستقبال بما تعرفهم من شأن الاعتماد على النفس والسعي بالنفس وعدم الاتكال على الحكومة وعدم الخوف من معارضتها اذاهم جدوا واجتهدوا وتركوا الخمول والكسل وهبُّوا من نومهم الطويل وذكرهم بان هذه الصفات التى عرف بها المسلمون هي التى تقضى عليهم اذا لم يستبدلوا بها اضدادها من النشاط والنباهة وعلو الهمة فان هذا العصر يتخلف فيه الظالع

ويسبق الضليع ويبتلع فيه القويّ الضعيف . وقال انه لايشك احد فى ان هذا المؤتمر يؤدي للمسلمين أنفع خدمة لانه يجمع بين التربية العصرية وعلوم المشرق وآدابه المشهورة وحاديه الاعتماد على النفس عند السعي بالنفس :

ثم ذكر الخطيب وجه الامل فى نجاح المسلمين مع اعترافه بانهم باتوا وراء جميع الامم وان الذين نقهوا منهم او ابلُّوا من المرض الاجتماعى وحاولوا مجاراة الامم الاخرى فى مضمار الحياة يتهادون فى مشيتهم تهادياً والامم امامهم توجف وتوضع ، وتعدو وتسرع ، وهو ان لهم فى المدنية قدماً عالية ، وانهم كانوا امة راقية سامية ، وانهم كانوا ارباب السيف والقلم ، ومنبع العلوم والحكم ، اشتهروا بالفلسفة والآداب والفنون الرياضية والطبيعية وكانت لهم المدارس الشهيرة فى القاهرة وبغداد وسمرقند وكانت بلاد الاندلس بهم ارقى بلاد العالم فى العلم والمدنية (قال) : ومن العدل ان تذكروا هذا المجد القديم وتنشدوه ، لاتفتخروا بالعظم الرميم وتقدسوه ، ولكن لتقتدوا بتلك الهمم العالية ، وتبعث فيكم تلك الروح الزاكية ، والا فالنسيان اولى

ثم انتقل الى السؤال عن طريق الوصول الى هذه الغاية واجاب بان الوسيلة الفضلى والطريقة المثلى هى الجمعيات الاسلامية كذلك المؤتمر لان المسلمين يجتمعون بواسطتها من البلاد الكثيرة فى صعيد واحد يأتمرون بينهم ويتحاورون فى شؤن التربية ومستقبل الامة ، وكيفية الاتحاد واجتماع الكلمة ، ومتى اجتمعوا واتحدوا ، ادركوا مما املوا وقصدوا ،

ثم ذكر مدارس الحكومة فى الهند وقال ان زعماء الاصلاح من المسلمين يرون أن نظام التربية فيها غير صالح لهم ولا يؤدي الى الغاية التى

يرمون اليها فى مستقبلهم وانه يجب التوسل لجعل التربية والتعليم صالحين موصلين الى المقصد . (قال الخطيب الرئيس) ويجب أن ينتشر هذا الرأي بينكم فاز مدارس الحكومة لاتني بكل حاجتكم

ثم طفق يتكلم على التربية مايؤثر منها فى حسن العمل ، واصلاح الخلل ، ومالا يؤثر ثم قال ما خلاصته :

تبين لكم مما قلته ان خير المدارس لتعليم اولاد المسلمين ماجمع بين التربية الدينية والعلوم العصرية اذ تهذب اخلاقهم ويقتبسون الفضائل فى زمن تلقى العلوم النافعة لهم فى مستقبل حياتهم . هذا هو رأيي واظن انكم تجيزونه . وأزيد على ذلك ان الطريقة التى تسيرون عليها فى التربية الدينية غير مؤدية الى الغاية لانها ليست سوى صور لبعض معلومات العقائد والاحكام تلقى فى الاذهان فلايكون لها التأثير المطلوب فى التهذيب فاذا جعلتم التربية النفسية مدغمة فى دروس العلوم العصرية تصيبون الغرض مع الاقتصاد فى الزمن ولكنكم اذا بدأتم بالتعليم الديني وحده وانفقتم فيه الزمن الطويل ثم عكفتم على العلوم العصرية يضيع منكم زمن تسبقكم فيه ابناء الطوائف الاخرى الى اخذ الشهادات العالية والانتظام فى سلك العاملين للحياة والمبرزين فيها فيكون مثلكم معهم كمتسابقين الى غاية يسير احدهما فى قاع صفصف والآخر فى حزون ذات تضاريس وعواثير . لهذا ارى ان مدرسة عليكده هى خير مدرسة للمسلمين لانها تسير على مثل النظام الذى ذكرته وياليت لكم فى كل ولاية مدرسة مثلها وماكانت خيراً لكم وافية بحاجتكم الا لأنها مدرسة اسسها المسلمون بانفسهم لانفسهم ولابد لكم من مدارس اهلية مثلها تسير على النظام الذي

ترونه نافعاً ناجحاً ويجب ان يكون فيها مساكن للطلاب ليكونوا دائما تحت هيمنة الاساتذة الفضلاء الذين يتولون أمر التربية ويكونون ائمة فيها يُقتدى بصفاتهم واعمالهم

ولا تحسبوا ان الحكومة أو طائفة من الطوائف تصدكم عن هذا السبيل او تعيقكم عنه اذا انتم سرتم بجد واجتهاد ناشئين عن ألم الشعور بالحاجة الذى لا تجتمع مع الفتور والونى. الحق اقول لكم انهم اذا رأوكم هكذا يعجبون بكم ان لم يكونوا من انصاركم فالهندوس وسائر الطوائف يسرهم ان يروا اخوانهم فى الوطن ناجحين ليتكون من المجموع عمال ينهضون بالامة الهندية ويسيرون بها فى جادة السعادة ويبلغون بها غاية الكمال

لا تيأسوا ولا تستبعدوا الغاية ولا تعتذروا بالفقر ولا تطلبوا من الحكومة ان تكون وصية عليكم وقائدة لكم بل اعتمدوا على انفسكم واعلموا ان الحكومة لا تتأخر عن مساعدتكم اذا رأتكم تعملون لانفسكم.

ثم ذكر ان الشرق كان مشرق انوار المعارف وان دولة العلوم دالت بعد ذلك الى الغرب فيجب أخذ العلوم منه لاسيما على قوم حكومتهم غربية وذكر ان من المسلمين قوماً يخافون على الدين الاسلامي من العلم وان هذا الخوف فى غير محله. قال: الاسلام باق لا يتأثر بشيء لانه دين ليس فيه مايعارض العلوم وهو يحث على ترقى العقل فالترقي فى العلوم العصرية يساعد على تقويته فى النفوس ووضعه فى المكانة التى تليق به وسيبقى فيكم من علمائه من يحافظ عليه دئما. ثم ختم الكلام بفائدة المؤتمر فى اتحاد المسلمين وارتقائهم والنصح لهم بان ينشؤا له فروعاً ثابتةً فى كل مدينة وان يكون اعضاؤه من الخواص الذين تحقق بهم الوحدة الاسلامية ليكون المسلمون

فى الهند لجسد واحد اذا اشتكى له عضو تألم جميعه . واقترح عليهم القيام باكتتاب عام دائم لاجل انشاء المدارس الاهلية مساعدة لمدرسة عليكده ثم اكد لهم القول السابق بان الحكومة لاتساعدهم الا اذا بذلوا النفس والنفيس فى خدمة انفسهم وإحكام رابطتهم وحثهم على العمل وترك المرآء والجدل قال « لتشهد لكم الحكومة والطوائف الاخرى ويعترف العالم كله بان مسلمي الهند ليسوا امة خاملة جاهلة » وفى هذه النصائح اكبر عبرة لمسلمى مصر وافصح معرف لهم بحرية الانكليز التى لايساويهم فيها احد فليعملوا لحياتهم فى ظل هذه الحرية الظليل مثل اخوانهم الهنديين ان كانوا يعقلون . ولينشؤا لهم مؤتمراً كمؤتمرهم لعلهم يرجعون

« العربية الفصحى والعامية المصرية — مناظرة »

من خير الجمعيات العلمية الأدبية جمعية فى القاهرة مؤلفة من الشبان الذين اتموا دراستهم فى انكلترا . وقد بلغنا ان هذه الجمعية دعت المستر ويلمور الداعى الى استبدال العامية المصرية بالعربية الفصحي[١] لحضور اجتماعها الاخيرة للمناظرة والمناقشة الأدبية فى موضوع كتابه الذي ألفه فى هذا الشأن فأجاب الدعوة وتلقاه اعضاء الجمعية بالترحيب والشكر وبعد ان بين ملخص موضوع الكتاب دارت المناقشة ومنها ان الاستاذ الفاضل

(١) مما لاحظناه فى كتابة المتمصرين للغة انهم كانوا يشكون من « استبدال اللغة الفصحى باللغة العامية » ومعنى هذه العبارة باللغة الفصحى ان تكون هي بدلاً من العامية لا ان تكون العامية بدلاً منها وهذا من الخطأ المشهور الذى ينبغى اجتنابه بحكم اللغة الفصحي فان الباء تدخل على المبدل منه لا على البدل قال تعالى « اتستبدلون الذى هو ادنى بالذي هو خير » وقال عز وجل « ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل »

الشيخ عبد العزيز جاويش سأله قائلاً ما مثاله :

هل خطر فى بال المستر ان يدعو قومه الانكليز الى توحيد لغتهم بأن يجعلوا لهجة العاصمة (لندن) لغة المملكة كلها كما يدعو المصريين الى ذلك فانه يعلم كما علمنا بالاختبار ان بين لهجة اهل لندن ولهجات سائر الولايات الانكليزية من التفاوت مثلما بين لهجة القاهرة ولهجات الوجه القبلي والوجه البحرى او اشد مثل كذا وكذا وضرب بعض الامثلة : فقال المستر ويلمور ان هذا غير ممكن فانه يضيع علينا تاريخ لغتنا فان كل لهجة من اللهجات فى بلاد الانكليز وكل اختلاف فى المفردات او الاساليب فهو مأخوذ من شعب من الشعوب التي سادت على انكلترا . قال الشيخ ان هذه الغائلة التى تحذرونها هى بعينها محذورة من ابطال لهجات ارجاء القطر المصري ماعدا لهجة القاهرة المذبذبة فان قبائل العرب الفاتحين ضربوا فى كل رجا من ارجاء القطر وتبوأت طائفة من كل قبيلة جهة من الجهات غلبت لهجتها عليها وضرب لذلك بعض الامثلة. وانتقل الشيخ بهذه المناسبة الى الاستدلال على غلط المستر فى قوله ان لغة القطر المصري لغة مستقلة دون العربية الصحيحة بعيدة عنها كل البعد . وبين انها ليست الا لغة عربية دخلها بعض التحريف والدخيل وان اكثر ما يظن انه مناف للعربية من لهجاتها هو من العربية وانه اذا لم يوافق لهجة قريش الفصحى فانه ربما يوافق لغة بعض القبائل الاخرى وأورد امثلة فى ذلك وفى التحريف فيها مقنع

ثم ذكر ايضاً شيئاً كثيراً من عيوب اللغة الانكليزية كالخلاف بين ما ينطق وما يكتب وكالحروف الاثرية الزائدة فى كثير من الكلمات حتى ان متعلم هذه اللغة يضطر الى حفظ لفظ كل كلمة وحفظ صورتها

فى الرسم لان الأَول لا يدل على الثانى فى الوف من الكلمات حتى يصح ان يقال انه لا قياس فى هذه اللغة . وسأل القاضي لماذا لا تصلحون هذه العيوب ؟ فقال لان ذلك اخلال بتاريخ لغتنا ومانع من الانتفاع بالكتب الكثيرة التي اودعت علوم سلفنا ومجدهم . فقال الشيخ ان هذا المانع نفسه هو الذى يمنعنا من استبدال خط لغتنا بخط آخر كما يمنعنا من التدلى من الصالح منها الى الفاسد الذي لا يرجى اصلاحه لانه يتغير كل يوم فاقتنع القاضي وكان عادلاً فى قبول هذه الادله والبراهين . ثم ختم الشيخ الكلام بقوله:

« اذا نبذنا اللغة الفصيحة ظهريا وقبلنا ان يكون التعليم باللغة العامية المصرية التى لا كتب فيها ولا قواعد لها انتقل الى دور آخر فى تعذر الاصلاح واستحالة التعليم والتربية بهذه اللغة الفقيرة وهو الدور الذى احتج فيه اللورد ماكولي على وجوب تعليم الهنود باللغة الانكليزية .

اللورد ماكولي احد اعضاء الجمعية التى ذهبت الى الهند فى اوائل استقرار السلطة الانكليزية هناك لأجل تنظيم شؤن البلاد المالية والادبية وقد قال فى مناقشة من مناقشات الجمعية فى امر المعارف والتعليم : اننا جئنا لنعلم امة لا تصلح لغتها لا تكون واسطة لتعليمهم ماعندنا من الفنون والعلوم لتعدد اللهجات غير المضبوطة وعدم سبق تأليف شىء من الكتب العلمية والفنية فى لغتهم فيجب علينا اذن تعليمهم لغة اوربية . ثم اطنب فى مدح اللغة الانكليزية ما شاء وقال . فان قيل ان اللغة العربية قد الف فيها كثير من الكتب فى كل علم وفن لا سيما الرياضيات والطبيعيات ايام ارتقاء العرب فى الحضارة والمدنية وضخامة دولتهم وهذه اللغة لا تزال مألوفة لكثير من الشعوب الهندية فلما ذا لا ننقل اليها ما الف فى لغات اوربا من

العلوم والفنون ونجعلها لغة التعليم . قلنا ان هذا صحيح ولكن الحكومة التى تتولى امر التعليم فى هذه البلاد ليست عربية ولا من مصلحتها التعليم بالعربية ولا بد فى هذا التعليم من تعريب كتب العلم والمالُ المخصص للتعليم لا يفي بنفقات التعريب وايجاد الكتب العربية والمعلمين العارفين بها فالأقصد الاقرب ان يكون التعليم باللغة الانكليزية . اه

ومايشعرناذا قبلنا ترك العربية الصحيحة ذات الكتب والفنون وجعل التعليم باللغة العامية ان يقول لنا المحتلون القابضون على زمام التعليم : ان المال المخصص للتعليم لا يفى بالانفاق على تأليف كتب تعليمية فى هذه اللغة وفى ايجاد المعلمين فأقرب الطرق وأقصدها ان تكون التعليم كله باللغة الانكليزية وبذلك نفقد اللغة الفصيحة والعامية . فلا يبقى عندنا تاريخ للسلف ولا للخلف ولا لغة ولا كتب . فسرّ المستر ويلمور بكلام الشيخ واخوانه واكد لهم انه ما اراد الا خيراً وانه اقتنع بكلامهم ويرجو ان يحضر اجتماعهم مرة أخرى يزداد به الموضوع ايضاحاً فتلقوا كلامه بالقبول وودّعوه بالشكر والاحترام.

هذا بعض الآراء والمسائل التى وصلت الينا من المناظرة ولكننا لم نقف على ترتيب الكلام وكل ما قيل فى المجلس وفيما اثبتناه غناء وفائدة ودلالة على فضل اعضاء الجمعية وقوة حجتهم وعلى انصاف القاضى ويلمور وعدله بالاعتراف بالحق . ولكن كل هذا لا يغنى عن اللغة العربية شيئاً اذا لم ننهض لنشرها وتعميمها ولو بين اهلها . ومن فوائد هذا الكتاب انه احدث حركة فى الافكار لاحياء اللغة ويتفكر بعض الفضلاء فى تأليف جمعية لذلك فعسى ان يكون العمل قريباً

وصف الشام — من قصيدة لشاعر مصر حافظ افندي ابراهيم يخاطب بها صديقاً

شجتنا مطالع اقمارها فسالت نفوسٌ لتذكارها
وبتنا نحنّ لتلك القصور واهل القصور وزوّارها
قصور كان بروج السماء خدور الغواني (بادوارها)
ذكرنا حماها وبين الضلوع قلوب تلظَّى على نارها
فمرت بارواحنا هزَّة هي الكهرباء بتيارها
وأرض كستها كرام الشهور حرائر من نسج آذارها
اذا نقطتها اكفّ الغمام أَرتك الدراري بازهارها
وان طالعتها ذكاء الصباح أَرتك اللجين بانهارها
وان دب فيها نسيم الاصيل أَتاك النسيم باخبارها
وخلٍّ اقام بارض الشآم فباتت تُدِلّ على جارها
واضحت تتيه برب القريض كتيه البوادي باشعارها
وللنّيلُ اولى بذاك الدلال ومصر احق بمهيارها
تشمر وعجّل اليها المآب وخل الشام لأقدارها
فكيف لعمري اطقت المقام بارض تضيق باحرارها

لشاعر امير مصر احمد بك شوقي

ارى طوفان هذا الغرب يطفى واهل الشرق سادتهم نيام
فان لم يأتنا نوح بفلك على الاسلام والشرق السلام

نشرت البيتين جريدة (المناظر) البرازيلية الغرآء وسألت : هل مولى الشاعر من هؤلآء السادة النيام ام لا ام هو مستثنى؟ ونحن نجيبها عنه بأنه يريد بنوح مولاه . ويرجو منه الاتيان بفلك النجاة ،

الجزء الثالث والعشرون — المجلد الرابع

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الاثنين ١٦ ذى القعدة سنة ١٣١٩ — ٢٤ فبراير (١١ شباط) سنة ١٩٠٢ ﴾

باب المقالات

﴿ الخمر ام الخبائث ﴾

يا أيُّها الذينَ آمنوا إنما الخمرُ والميْسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمَلِ الشيطانِ فاجتنبوه لعلكُم تُفلحُون * إنَّما يُريدُ الشيطانُ أنْ يُوقعَ بينكمُ العَداوةَ والبغضاءَ في الخمرِ والميسرِ ويصدَّكم عَنْ ذِكرِ اللهِ وعن الصَّلاة فهل أنتم منتَهُون

خلق الله الحيوان محدود الشهوة وما به قوام حياته وأعطاه ادراكا محدوداً بحسب حاجته . وخلق الانسان ذا شهوات ممدودة ، ورغائب غير محدودة ، وجعل منافعه وحاجاته غير متناهية فوهبه ادراكا غير محدود ولا متناهٍ وهو العقل الذي يفضل به سائر الحيوان فيسخره لمنافعه ويستعمله في حاجه . كما يسخر القوى الحيوانية التي في نفسه ويحكم فيها بعزته وسلطانه فيوقفها في موقف الاعتدال ويربأ بها عن حدي التفريط والافراط .

هذه وظيفة العقل الكامل فى الانسان ولكنه لم يوهب العقل

كاملا وانما يكمل فيه بالتربية الصحيحة المعتدلة ولا بد للتربية من قانون وقد وهب الله الانسان قانون الفطرة والطبيعة ليستفيد منه ما يربي به عقله الذي يربي نفسه ولكن هذا القانون كسائر القوانين والشرائع يحتاج الى مرشد وأستاذ يعلمه وسلطان ينفذ أحكامه لأن الناس لايفهمون من القوانين بدون المعلم الا قليلا ولا يعملون بكل مايفهمون الا اذا كان عليهم سلطان يحملهم على العمل ،ووازع يزعهم عن الزلل ، لذلك وهبهم الله الدين الذي هو أهدى مرشد وأعدل سلطان بل هو سلطان السلاطين وأحكم الحاكمين لأنه حكم فاطر السموات والارض الذي أنزله لتربية الفطرة الانسانية التي هي أكمل المخلوقات فى عالم الملك

كيف يتربى العقل بالطبيعة حتى يقوى على طغيان الشهوة وفى الطبيعة ما ينصر الشهوة عليه حتى تظفر به وتقتله أو تعقله ثم تعيث فى الارض فساداً فتهتك الاعراض ،وتسفك الدماء ، وتبذر الاموال ، وتضيع العيال ، فايّ عاصم للعقل من ذلك النصير للشهوة وهو أقوى منه باسا ، وأصعب مراسا ، وهل يستطيع العقل ان يساور الخمرة وهي غوله ، وبها خسوف بدره أو افوله ، ؟ كلا إنه ينشأ ضعيفاً فتسطو عليه الشهوات فاذا أراد أن يستعين عليها بما يستفيده من حوادث الطبيعة تسلط عليه الخمرة فتثل عرشه وتنكث فتله ويكون النصر للبهيمية على الانسانية ولا يقوى على الخمر الا سلطان الدين ، اذا كان صاحبه منه على يقين ،

اذا لم يكن للخمر جناية على الأعراض ، ولم تكن مولدة للأمراض ، ولم تكن ملقية للعداوة والبغضاء ، ولم تكن صادة عن ذكر الله وعن الصلاة ، فحسبها خبثاً ورجساً جنايتها على سلطان العقل الذي فضل به الانسان

الحيوان وبفقده يكون الحيوان أهدى منه وأبعد عن الاضرار بنفسه ، والإيقاع بأبناء جنسه ، وربما وصل شارب الخمر الى حالة يكون بها شراً من المجنون .

العقل أفضل نعم الله على الانسان فما ذهب به فهو أخس الاشياء وأقبحها . واذا كان خبث الرذائل وقبحها مما يوزن بميزان المضارّ والمنافع فالخمرة جديرة بكنيتها المعروفة عند المسلمين وهي « أم الخبائث » وحقيقة بأن تسمى باعتبار أثرها أكبر الكبائر وان يعاقب معاقرها بأشد العقوبات . وكأن الشريعة جعلت حدّ السكر أخف من حدي الزنا والقتل مع انهما كثيراً ما يكونان بعض آثارها لانها اذا أفضت الى جريمة يعاقب المجرم عقابين عقاب السكر وعقاب تلك الجريمة

للخمر غوائل ومضارّ كثيرة تكفي كل واحدة منها لتحريمها والبعد منها فكيف بها اذا اجتمعت وانا نعد ما يحضرنا منها من غير شرح طويل

(الغائلة الاولى) ذهاب العقل وهبوط السكران الي دركة المجانين والصبيان كأن الافراط فى حب اللذة ينفّر هذا الانسان الضعيف من كل ما يحكم عليه بالاعتدال فيها والحذر من غوائلها فيسعى فى مقاومته وان كان فيه سعادته وكماله كما يتمنى الجناة هلاك القضاة والحكام والأطفالُ البعد عن المربي القاسي والمعلم الجافي . وعجيب ممن يعتاد السكر كيف يحتقر المجانين والاطفال وهم ما أعطوا العقل ثم انسلخوا منه باختيارهم كما هو شأنه فهو أولى منهم بالاحتقار ولقد أحسن ذلك المجنون فى جوابه للملك الذي شرب الخمر وعرض عليه أن يشربها حيث قال : « أنت تشرب لتكون مثلي فأنا أشرب لاكون مثل من ؟ » وفاتحة المقالة كلها فى هذا النوع من

مضرة الخمر وهو أصل أكثر المضرات الأخرى وأكثر الذين طرأ عليهم الجنون هم من السكارى والحشاشين ومن كان فى شك فليسأل قيم البيمارستان

(الغائلة الثانية) الخمول والخمود اللذان يعقبان زيادة التنبه التي يعدونها من فائدة الخمرة . فأفضل حالات الانسان أن يكون على اعتداله الطبيعي في جسمه وعقله وأن لا يتخذ شيئاً يزيد فى قوتهما لأن هـذه الزيادة لابد أن يعقبها نقص بحكم قاعدة (ردّ الفعل) المعروفة . وهذا النقص يستدعي معاودة اتخاذ ما زاد القوة أولا لأن من لم يرض بقوته المعتدلة فأجدر به أن لا يرضى بها اذا نقصت عن الاعتدال . واذا عاد الى اتخاذ ذلك السبب المقوّي يرى أنه محتاج الى مقـدار منه يزيد على المقدار الأول لأن الحاجة زادت بما طرأ من الضعف برد الفعل فيزيد فى المقدار ويكون من أثر ذلك زيادة الضعف عقيبه . ثم لا يزال يزيد منه ويزيد ضعفاً حتى يكون حرَضاً أو يكون من الهالـكين

ولسـنا نعني بقولنا يرى أنه محتاج الى الزيادة فيزيد ان ذلك يكون عن فكر وروية وانما هو شيء تقتضيه طبيعة هذا الشيء فيكون الاندفاع اليه بعلم ضروري لا بعلم نظريّ وترتيب مقدمات . وهذه الغائلة من غوائل الخمر تحقق فى كل ما هو بمعناها من المخدّرات كالحشيش والافيون . وكذلك الدخان وقهوة البن عند المفرطين فيهما لـكن اثرهما أخف .

ومثل ذلك المقويات الجسدية التي تتخذ لتقوية المعدة أو الباه فان أثرها فى رد الفـعل يضر بالجسم كما تضر المسكرات والمخـدّرات بالعقل وكل هؤلاء الحمق يطلبون زيادة اللذة فيقعون فى النقصان بعد ردّ الفعل ترى مدمن الخمر أو الحشيش ونحوهما كاسف البال ممتقع اللون كئيب

الوجه ضيق العطن شرس الاخلاق فالشر لايزايله وانما يلعب به كما يلعب الصبيان بالكرة يقذفه من جانب الافراط الى جانب التفريط ولا خير ولا راحة ولا سعادة الا في الاعتدال وأنى لمن يتربى على مجاراة اللذة والانقياد للشهوة أن يفقه هذا ؟ وهل من سبيل الى استقامة ميزان اللذة وتأديب عامل الشهوة الا بتربية الدين ؟؟

(الغائلة الثالثة) فساد الاخلاق فان الاخلاق الفاضلة نتيجة اعتدال القوى النفسية وسلطان هذه القوى العقل وقانونه الشرع . والسكر اعتداء على هذا السلطان وعلى قانونه ونبذ لسلطتهما . ومتى ذهب الحاكم والقانون كانت المملكة فوضى . أي حاجة الى تعليل إفساد السكر للاخلاق كما هو مشاهد بعد العلم بان ضعف العقل سبب بديهي لهذا الفساد وهو الغائلة الاولى للخمر على مابينا وان ضعف المزاج سبب له كما يشاهد في أخلاق المرضى وهذا الضعف من غوائل الخمر على ما نبين . السكر يذهب بالعفة والوقار ويجعل الحليم سفيهاً والحكيم جهولا والحيي وقحاً والنزيه بذيئاً والأمين خؤناً والشجاع متهوّراً أو جباناً . فهذه أمثلة من أصول الاخلاق فقس بها غيرها مما تشاهد أثره ، وتعرف مصدره ،

(الغائلة الرابعة) فساد المزاج واختلال الصحة فالانسان روح وجسد مرتبط أحدهما بالآخر فما يطرأ على الاول من ضعف يتعدى أثره الى الثاني ومايصيب الثاني ينتقل الى الاول ولهذا قال الحكماء « العقل السليم في الجسم السليم » . وليس إفساد الخمر للمزاج محصوراً باضعافها للروح على ماتقدم شرحه في الغوائل الثلاث فقد تقرر في الطب انها تحدث أمراضاً كثيرة وادواء معضلة كداء السل الذي أعيا علاجه أطباء العالم كله .

ولاشك ان السكر يُعدّ المزاج لقبوله ، ويكون من اسباب حصوله ، وقد قيل ان سبع الوفيات في العالم من السل وان ستين في المئة من اموات أبناء العشرين الى الاربعين من المسلولين . وكأمراض الكبد والقلب والرئتين والكليتين وقد قال بعض الاطباء ان تسعة أعشار المصابين بهذا المرض من السكارى والسكر هو السبب فى مرضهم . ومنها أمراض الدماغ والحبل الشوكي والعضلات والاوعية الدموية وفقر الدم (الانيميا) وتلبك المعدة وآثاره وذلك ان شارب الخمر يكثر أكله ويقل هضمه . وأقبح ادواء الخمر الخُمار الذى يدعو الشارب الى المعاودة والإدمان وهو نوع من التسمم وثم أنواع أخرى

(الفائلة الخامسة) ارتكاب الفواحش البهيمية والمنكرات الوحشية فالسكران يفجر حتى بالاقارب لان التميز يزول والطبيعة تطغى والايمان يذهب ولذلك ورد فى الحديث الصحيح « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » فأي رادع يردع من فقد كل وازع من نفسه ؟ قال الشاعر:

لاترجع الانفس عن غيها مالم يكن منها لها زاجر

والسكران يعتدى على من لايقدر عليه ، ويحاول مالا سبيل اليه ، لأنه لايخاف عقابا ، ولايحسب للعاقبة حسابا ،

(الفائلة السادسة) انطلاق اللسان بما يجب السكوت عنه كإفشاء السر الذى هو من اقبح الرذائل واشدها فضيحة للمرء فى نفسه واهله ولاسيما اذا كان من اسرار الامراء والسلاطين اوالدول والحكومات فرب كلمة يقولها سكران تكون سبباً فى انكسار جيش وإذلال امة باسرها . وكالغيبة والنميمة والفحش والبذاء وغير ذلك من آفات اللسان

التي اوصلها بعض العلماء الى سبعين آفة

(الغائلة السابعة) الاسراف والتبذير فكم افقرت الخمرة غنيا وخربت بيتاً عامراً وذلك لانها تفضي الى جميع انواع الاسراف

(الغائلة الثامنة) قلة النسل فان مدمني الخمر كثيراً مايصابون بالعقم ومن يولد له لا يكون نسله كثيراً ويرث من والده اكثر ادواء السكر الجسدية والعقلية والنفسية فيجيء قميئاً قشعوما وأبلها اومعتوها فان اعقب فولده يكون شراً منه وهكذا يتدلى النسل حتى ينقرض البيت . ولذلك قال غير واحد من ساسة الاوروبيين وحكمائهم : ان انقراض الامم المتوحشة سيكون بفتك الاشربة الروحية فيهم. ذلك أنهم يشربون من غير عقل ولا قانون ولا معرفة بمداراة الصحة فتغتالهم غوائل الخمر كلها بخلاف أهل الحضارة فانهم يتقون تلك الغوائل بما يعطيهم العلم ولذلك يقل السكر فى امم الغرب عاما بعد عام وكثرت فيهم الجمعيات المقاومة للمسكرات ولو كان عندهم دين يتربون عليه وهو يحرم الخمر قطعا لكفى تلك الجمعيات كثيراً من العناء والنفقات . وقد ظهر أثر السكر والزنا فى تقليل النسل فى فرنسا على مافيها من علم وحكمة والسكر والسفاح من أسباب ذلك قطعا

(الغائلة التاسعة) فساد تربية العيال والجناية على عفة النساء . سمعنا غير واحد من الواقفين على أسرار البيوت والمراقبين سير التربية يقولون انه لا يكاد يوجد مدمن خمر عفيف المرأة مربيّ الولد ولا يسعنا الآن أن نطيل فى هذا الموضوع

(الغائلة العاشرة) العداوة والبغضاء وقطع الارحام وصلات الصداقة والوداد وهذا أيضا ظاهر مما تقدم لانه نتيجة لذهاب العقل وفساد الاخلاق

ولذلك اخرناه . وهـذه الغائلة اضر الغوئل الفرعيـة لتعدّي أثرها وهى مشاهدة ولذلك نصّت عليها الآية الـكريمة

(الغائلة الحادية عشرة) الصد عن ذكر الله وعن الصلاة ويقال فى هذه الغائلة مثلما تقدم فى التى قبلها من حيث هى نتيجة ومعلولة لبعض الغوائل المتقدمة وكون هذا هو السبب فى تأخيرها فى الذكر . ومن لاحظ تأثير الصلاة اذا اقيمت على وجهها وتأثير ذكر الله تعالى فى النهى عن الفحشاء والمنكر يفهم السر في تنصيص الآية الـكريمة على هذه الغائلة الدينية

فهذه احدى عشرة غائلة منها عقلية ومنها نفسية ومنها بدنية ومنها لسانية ومنها منزلية (عائلية) ومنها مالية ومنها اجتماعيـة ومنها دينية ولو اردنا ان نبسط غوائل الخمرة ومضارها بالتفصيـل ونذكر مايتفرع عمـا ذكرناه ونشرحه لاحتجنا الى تأليف كتاب ضخم .ولابد ان نضم الى ماذكرناه غائلة اخرى عارضة في مثل هذه البلاد وهي اضر من كثير من الغوائل الذاتية وهى :

(الغائلة الثانية عشرة) الذهاب بثروة البـلاد التى يجلب الخمر اليها الاجانب من الخارج ويبيعونها من اهلها كالبـلاد المصرية فان الخمور ترد اليها من أوروبا والذين يبيعونهـا كلهم من الاجانب كالروم والتليانيين . فاذا كانت قيمة الوارد منها تقدّر ببضع ملايين من الجنيهات كما هو مشهور وكان الربح فيها مضاعفا كما هو معـلوم فلا شك أن تجار المسكرات من الاجانب يأخذون من ثروة البلاد فى كل عام اكثر مما تأخذه الحـكومة من الخراج والضرائب .وكل هذه الاموال تدفعها الامة الفاسقة باختيارها ولاتشعر به .وهي مع ذلك تطالب من الحـكومة ان تربى أولادها وتعلمهم

من فضل المال الذى يتوفر في صناديقها وترى جل هؤلاء المتعلمين او كلهم يطلبون ان يعيشوا بمال الحكومة بما يعملون لها . والحكومة عاجزة عن تعميم التعليم والامة قادرة عليه لو اقتصدت هذه الاموال التي تبذلها في الخمرة فقط فما بالك بما يتبع الخمرة من الفسق والفجور

كل هذه المضرات والغوائل معروفة للخواص وان كان يصعب على الاكثرين استحضارها في وقت واحد وبعضها معروف للعوام والتُّحوت أيضاً ولكن أكثرهم مدمن سكر لانه عبد الشهوة وأسير اللذة فلا يصده عن الانهماك فى لذته خوف الله ولا مصلحة الامة ولا حفظ الذرية ولا صيانة العرض ولا أدب الاجتماع ولا الحرص على المال

أما السبب الاكبر فى فشوّ هذا المنكر الذى هو مثار جميع ماعلمت من الفواحش والمنكرات فهو مجاهرة الامراء والحكام به واطلاق الحرية لمرتكبه . وقدمضت سنة الاجتماع فى تقليد الناس لامرائهم وكبرائهم فكل ماراج فى سوقهم يروج فى اسواق الامة . واذاكان حديث « الناس على دين ملوكهم » لم يعرف له سند يصل نسبه ويرفعه فمعناه صحيح وهو ضروريّ الوقوع فى الحكومات المطلقة الاستبدادية واننا نعلم ان اكثر امرائنا يجعلون الخمر من متممات الموائد الرسمية يحيون بها ضيوفهم ويتقربون بها الى الاجانب ولو شئت لصرحت باسماء بعض الذين يحبون الظهور بلباس الدين منهم وذكرت من وقائعهم لانهم لمجاهرتهم لاغيبة لهم ولكن لاغرض لنا بذكر الاشخاص على ان أكثر الناس يعرفون ذلك منهم بالمشاهدة او بالاخبار المستفيضة والمتواترة

وأما علاج هذا الداء الخبيث فهو التربية الدينية العملية . وما أصعب

هذه التربية فى أمة فسق امراؤها وكبراؤها، وضعف هداتها وعلماؤها، ومرض أساتها وأطباؤها، وبخل مثروها واغنياؤها، وجمح مساكينها وفقراؤها،

على أننا لانيأس من روح الله فهو القابض الباسط الذي يغير ولا يتغير واذا أراد الله أمراً هيأ اسبابه، حتى يبلغ نصابه، ولا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم. وانما يغير الناس مابأنفسهم بارشاد المرشدين، وسعي المصلحين، وتقديم الاهتداء بهم على التزلف للامراء والسلاطين، والله ولي المتقين، «وكان حقاً علينا نصر المؤمنين»

القسم الديني

﴿ باب تفسير القرآن العظيم ﴾

﴿ مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر ﴾

« إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أن يَضْرِبَ مَثَلاً مابعُوضَـةً فما فَوْقَها . فأَمَّا الذينَ آمنُوا فيعَلمونَ أنَّه الحقُّ من ربهم . وأَمَّا الذين كَفَرُوا فَيقُولونَ مَاذا أَرَادَ اللهُ بهذا مَثَلاً ؟ يُضِلُّ به كثيراً ويَهْدِي به كثيراً وما يُضِلُّ بِهِ الا الفَاسِقِينَ »

الآيات متصلة بما قبلها لم يختلف النظم ولم يخرج الكلام عن الموضوع الاصليّ وهو الكتاب الذي لاريب فيه وحال الناس في الايمان به وعدم الإيمان . ولا فصل في صحة هذا الوصل بين أن يكون الكلام رداً على اليهود الذين انكروا ضرب الأمثال بالمحقّرات كالذباب والعنكبوت كما

يروي عن ابن عباس أو رداً على المنافقين الذين أنكروا الأمثال في الآيات السابقة بمستوقد النار والصيّب من السماء زاعمين انه لا يليق بالله ضرب الأمثال اويكون المراد بالمثل القدوة تقريراً لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم . أما على الأول فيقال انه انما نص هنا على نفي الاستحياء من ضرب أيّ مثل ولم يذكر ذلك هناك عند تمثيل الأولياء الذين اتخذوهم من دون الله بالذباب وبالعنكبوت لأن المقام هنا مقام ذكر الاعتراض الموجه على القرآن فيكون هذا مقام رد شبه المكابرين عنه . وأما على الثاني والثالث فهو أظهر . على أنه لا حاجة في فهم الآية الى ماقالوه في سببها فان لم تكن رداً لما قيل فهي ردٌّ لما قد يقال . أو يجول في خواطر أهل المكابرة والجدال . والمجاحدة والمحال ،

والاستحياء قال صاحب الكشاف إنه من الحياء وهو انكسار وتغير في النفس يلمّ بها اذا نُسب اليها أو عرض لها فعل تعتقد قبحه وفي الحالة الثانية يكون مانعاً من الفعل الذي يعرض . يقال فلان يستحي أن يفعل كذا أي ان نفسه تنكسر فتنقبض عن فعله . ويقال انه استحيا من عمل كذا أي ان نفسه انفعلت وتألمت عند ماعرض عليه عمله فرآه سيئاً أو ناقصاً . ويقال حي بهذا المعنى كأنه أصيب في حياته كما يقال نسي اذا أصيب في نساه وهو عِرْق في الانسان وحشي اذا أصيب في حشاه . وقالوا ان الانكسار ضعف في الحياة بما يصيب موضعها وهو النفس . فمعنى عدم استحياء الله تعالى انه لا يعرض له ذلك الانكسار والانفعال ولا يعتريه ذلك التأثر والضعف فيمتنع من ضرب المثل بل هو يضرب من الأمثال الهادية والمطابقة لحال الممثل به مايعلم انه يجلي الحقائق ويؤثر في القلوب

ولكن صاحب الكشاف وغيره أرادوا أن يجعلوا الآية دليلاً على اتصاف الله تعالى بالحياء فقالوا : ان النفي خاص ومثله اذا ورد على شي يدل على أن ذلك الشيء قابل للاتصاف بالمنفي فمن لاقدرة له على شيء لاينفى عنه . لاتقول ان عيني لاتسمع وأذني لاترى . وقالوا ان معنى نفي الاستحياء هو ان الله تعالى لايرى من النقص أن يضرب مثلاً بعوضة فما دونها لأنه خالق كل شيء . وقد ورد في الحديث نسبة الحياء الى الله تعالى والنافون له يأولون ماورد بأثره وغايته

والمثل في اللغة الشبه والشبيه وضربه عبارة عن إيقاعه وبيانه . وهو في الكلام أن يذكر لحال من الاحوال ماينا‌سبها ويشابهها ويظهر من حسنها أوقبحها ما كان خفياً ولما كان المراد به بيان الاحوال كان قصة وحكاية واختير له لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وهيج الانفعال كأنَّ ضارب المثل يقرع به أُذن السامع قرعاً ينفذ أثره الى قلبه، وينتهي الى أعماق نفسه ، ولكن في الكلام قلباً حيث جُعل المثلُ هو المضروب وانما هو مضروب به . هذا الذي قاله الاستاذ هو أبلغ في المعنى من جعل الضرب للمثل كضرب القبة والخيمة أو ضرب النقود

واذا كان الغرض التأثير فالبلاغة تقضي بأن تضرب الأمثال لما يراد تحقيره والتنفير عنه بحال الاشياء التي جرى العرف بتحقيرها واعتادت النفوس النفور منها ومثل هذا لايخفى على بليغ بل ولا على عاقل ولذلك قال بعضهم ان المنكرين لم يروا في القرآن شيئاً يعاب فتمحلوا بقولهم هذا

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً إنه لدميم

وجروا في ذلك على عادة المتحذلقين المتكيّسين (المتكلفين الحذق

والكيس أي الظرف) إذ يتحامون ذكر الألفاظ التي مدلولاتها حقيرة في العرف واذا اضطروا لذكرها شفعوها بما يشفع لها كقولهم (أجلكم الله)

واذا كان شأن المثل ماذكرنا وكان ذكر الاشياء التي ينفر منها من ذكرنا في الأمثال التي يراد منها التنفير هو الأبلغ في التأثير الذي هو روح البلاغة وسرها كان قوله تعالى « ان الله لايستحيي أن يضرب مثلاً مابعوضة فما فوقها » مبيّناً لشأن من شؤون كماله عز وجل في كتابه العزيز وقاضياً على الذين يتحامون ذكر البعوضة وأمثالها بنقص العقل، وخسران ميزان الفضل،

والمراد بما فوق البعوضة ماعلاها وفاتها في مرتبة الصغر كالحيوانات الذي لاترى الا بالنظارات المكبّرة (ميكرسكوب) وكانوا يمثلون بمخ النملة . وفي كلام بلغائهم : أسمع من قراد وأطيش من فراشة وأعز من مخ البعوض

ثم ذكر تعالى ان الناس فى ذلك فريقان « فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم » لأنه ليس نقصاً فى ذاته وقد جاء فى كلامه تعالى فهو ليس نقصاً فى جانبه وإنما هو حق لأنه مبين للحق ومقرّر له وسائق الى الاخذ به بما له من التأثير فى النفس وذلك ان المعانى الكلية تعرض للذهن مجملة مبهمة فيصعب عليه ان يحيط بها وينفذ فيها فيستخرج سرها والمثل هو الذى يفصل اجمالها، ويوضح ابهامها، فهو ميزان البلاغة وقسطاسها، ومشكاة الهداية ونبراسها،

« وأما الذين كفروا » فيجادلون فى الحق بعد ماتبين، ويمارون بالبرهان وقد تعين، فيخرجون من الموضوع ويعرضون عن الحجة

ويتتبعون الكلم المفردة حتى اذا ظفروا بكلمة لايستمذ بها ذوق المتظرفين ، ولا تدور على ألسنة المتكلفين ، أظهروا العجب منها ، وطفقوا يتساءلون عنها ، قائلين « ماذا أراد الله بهـذا مثلا » ، ولو انصفوا لعرفوا ولكن كان الانسان اكثر شيء جدلا ، يذهب به جدله الى قياس رب العالمين ، بمتنطعي المتأدبين ، وينكر على ربه المثل والقياس ، ولا ينكره على نفسه وعلى الناس ،

قال تعالى فى جوابهم : « يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً » أي يضل بالمثل او بالكلام المضروب فيه المثل الذين يجعلونه شبهة على الانكار والريب . ويهدي به الذين يقدرون الاشياء بغاياتها ، ويحكمون عليها بحسب فائدتها ، وأنفع الكلام ماجلّى الحقائق ، وهدى الى أقصد الطرائق ، وحمل النفوس بقوة التأثير . الى حسن المصير . « وتلكَ الامثالُ نضرِبها للناسِ وما يَعقلها الا العالمون » فهؤلاء العالمون هم الفريق الاول الذين يقولون (آمنا) فى التفصيل السابق وهو قوله : فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم الخ . وهم المهديون في هذه الآية . والفريق الثاني في التفصيل وهم الذين قالوا : ماذا أراد الله الخ اي الذين ينكرون المثل لكفرهم هم الضالون فى هذه الآية وقد بيّن شأنهم بقوله تعالى : « وما يضل به الا الفاسقين » فعرفت علة ضلالهم وهي الفسوق أي الخروج عن هداية الله تعالى في سننه في خلقه التى هداهم اليها بالعقل والمشاعر وفى كتابه أيضاً بالنسبة الى الذين أوتوه وليس المراد بالفاسقين ماهو معروف فى الاصطلاحات الشرعية فانه لايصح هنا وهى حادثة بعد التنزيل . وقد كان التعبير بيضل مشعراً بان المثل هو منشأ الاضلال والهداية بذاته فنفى ذلك بهذه الجملة ليبين ان منشأ الضلال راسخ فيهم وفى أعمالهم وأحوالهم

ثم ان الآية تشعر بأن المهتدين فى الكثرة كالضالين مع أن هؤلاء أكثر وكأن الحكمة فى التسوية افادة ان المؤمنين المهديين على قلتهم اجل فائدة واكثر نفعاً واعظم آثارا من اولئك الكفار الفاسقين الضالين على كثرتهم لأنهم كما قيل * قليل اذا عُدُّوا كثير اذا شدوا * ولذلك جعل الواحد فى القتال بعشرة فى حال القوة والعزيمة وباثنين فى حال الضعف — قيل هو ضعف البدن وقيل بل ضعف البصيرة . ولقد كان من اثر ذلك العدد القليل من المؤمنين الاولين ، ان سادوا على جميع العالمين ،

ولم أر أمثال الرجال تفاوتا   الى المجد حتى عُد الف بواحد

ان الكرام كثير فى البلاد وان   قلّو كما غيرهم قُلٌّ وان كثروا

واما وجه تقديم الاضلال على الهداية فلأن سببه ومنشأه من الكفر متقدم فى الوجود وانما جاءت الآيات المبينة بالامثال لاخراجهم مما كانوا فيه من ظلمات الباطل الى نور الحق فزادت الفاسقين رجساً على رجسهم لان نور الفطرة قد انطفأ من نفوسهم بتماديهم فى الاعمال السيئة المذكورة فى قوله تعالى بوصفهم: « الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه » الخ .

هذا — وان ما تقدم تقريره فى ضرب المثل وضلال قوم به وهداية آخرين هو مبنى على ان المراد المثل الكلامي كما عليه الجمهور أخذاً مما ورد فى سبب النزول .

وذهب البعض الى ان المراد بالمثل في الآية القدوة الذى يؤتم به ويهتدى بهديه وهذا المعنى للمثل معروف وقد نطق به القرآن قال تعالى « فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين » وقال تعالى « ولما ضُرِبَ ابنُ مريمَ مثلاً اذا قومك منه يصدّون » وقال فيه (إنْ هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارضِ يخلُفُون) فهذه الآية تهدينا الى فهم قوله تعالى « ان الله

لايستحي ان يضرب مثلاما » وان المراد بها دحض شبهة الذين أنكروا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وصلاحيته لان يكون مثلا يقتدى وهى انه بشر يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق . وقد حكى هذه الشبهة عنهم فى آيات كثيرة . كانهم يقولون اذا كان بشراً مثلنا فكيف يدعى انه رسول من الله يجب اتباعه ومثل ضرب للاقتداء به « أأنزل عليه الذكر من بيننا » ولايّ شيء لم يرسل الله ملكا . ومنهم من قال « لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا »

وقد اقام الله الحجة على هؤلاء بقوله « وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا » الخ . واتبعها بوعيد من أعرض عن الايمان بعد قيام البرهان . وهم الكافرون وبشارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهم المؤمنون ، وبعد تقرير الحجة وهى تحديهم بسورة من مثله كر على الشبهة بالنقض وهى استبعاد ان يكون بشر رسولا من عنده ومحصله ان الله تعالى خالق كل شيء فيجعل ماشاء من المنفعة والفائدة فيما شاء من خلقه ويضرب به مثلا للناس يهتدون به . وليس هذا نقصاً في جانب الالوهية فيستحي من ضربها مثلا بل من الكمال والفضل ان يجعل في المخلوقات الضعيفة والمحتقرة في العرف كالبعوض فوائد ومنافع فكيف يستنكر ان يجعل من الانسان الكامل الذي كرمه وخلقه فى أحسن تقويم مثلا وإماما يقتدي به قومه ويهتدون بهديه . وبقية الكلام في الآيتين على هذا الوجه فى معنى المثل هو نحو ماتقدم تقريره اوظاهر منه أتم الظهور

وقد عهد من اهل البصيرة الاقتداء بالحيوانات والاستفادة من خصالها واعمالها . ويحكى عن بعض الصوفية انه قال تعلمت المراقبة من القط وعن بعض حكماء المسلمين انه قرأ كتابا نحو ثلاثين مرة فلم يفهمه فيئس

منه وتركه فرأى خنفسة تتسلق جداراً وتقع فعد عليها الوقوع فزاد على ثلاثين مرة ولم تيأس حتى تمكنت بعد ذلك من تسلقه والانتهاء الى حيث ارادت فقال لا ارضى ان تكون هذه الخنفساء اثبت مني واقوى عزيمة فرجع الى الكتاب فقرأه حتى فهمه . ويقال ان تيمورلنك كانت تحدثه نفسه بالملك من اول نشأته على فقره ومهانته فسرق مرة غنما (وكان لصاً) فقطن له الراعي فرماه بسهمين اصابا كتفه ورجله فعطلاهما فآوى الى خربة وجعل يفكر في مهانته ويوبخ نفسه على طمعها بالسلطة ولكنه رأى نملة تحمل تبنة وتصعد الى السقف وعند ما تبلغه تقع ثم تعود وظلت على ذلك عامة الليل حتى نجحت في الصباح فقال في نفسه والله لا أرضى بان اكون اضعف عزيمة واقل ثباتا من هذه النملة واصر على عزمه حتى كان من امره ما كان .

﴿ باب الأخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

ننشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدنيتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

حرمة الخمر (*)

[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن » . وفي رواية للنسائي زيادة «وذكر رابعة

(*) كنا ابتدأنا في هذا الباب بذكر نوع الحكومة الاسلامية وشأن الامراء وكنا نريد ان نتبع هذا البحث بعد اتمامه ببحث القضاء ولكننا ذكرنا ما ورد في الخمر بمناسبة المقالة الافتتاحية . (١) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة

فنسيتها فاذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه فان تاب تاب الله عليه » فليتأمل المسلمون لاسيما المصريون في هـذا وما في معناه ليعرفوا منه ومما تقدم من الاحاديث في الامراء السبب في حرمانهم من السيادة والعز الذى أعطاه الله لسلفهم بالاسلام وجعلهم بدينهم فوق جميع الآنام

وقال (ص) : « من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة »[٢]

وقال (ص) : « كلّ شراب أسكر فهو حرام »[٣] . ومن جهل بعض مدمني الخمر أنهم يقولون انه لادليل على تحريمها ويأولون قوله تعالى « فاجتنبوه » وهو أمر بالترك يقتضي التحريم بحسب قواعـد أصول الفقه . وقوله تعالى « فهل أنتم منتهون » يحملونه على الاستفهام الحقيقي وهو جهل أو استهزاء بكتاب الله تعالى . فان كانوا لايرون دليـلاً على الحرمـة الا لفظ (حرام) فماذا يقولون في هـذا الحديث الصحيح ؟ أيستدلون به على التحريم أم يأخذون بقول تلك المجلة التي سألها مسلم مصري عن دليل تحريم الخمر فأجابه محررها (وهو مسيحي) انه لادليل في الدين على تحريمها ولـكن أمر باجتنابها لما فيها من المضرات . وليس أمر هذا المفتي في هذه المسئلة بعجيب ولـكن العجيب أمر المستفتي !!!

وقال(ص) : « ليشربنّ أناس من أمتي الخمر يسمّونها بغير اسمها»[٤]

وقال (ص) : « ستشرب أمتي بعدي الخمر يسمونها بغير اسمها[٥]

---

(٢) احمد والشيخان والنسائي وابن ماجه عن ابن عمر (٣) احمد والشيخان وابن عدى عن عائشة (٤) رواه احمد وابوداود عن أبي مالك الاشعرى وغيرهما عن غيره. (٥) ابن عساكر عن كيسان .

يكون عونهم على شربها أمراؤهم » . ولولا الأمراء لمافشاشربها واستبيح جهراً . ولا يخفى ان معتقد حلّ الخمر كافر باتفاق الائمة والفقهاء

وقال (ص) (٦) « لعن الله شارب الخمر وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها » . وقد احتمل أكثر المسلمين في مصر كل هذه اللعنات الا اللعنة الاخيرة فانهم حملوها للأجانب وأعطوهم أجرة حملها الملايين من الجنيهات والالوف من فدادين الاطيان . يدخل الرومي البلد من القطر المصري لايملك الا بعض زجاجات من الخمر فلا يمر عليه زمن حتى يكون سيد البلد وبيده زمام زراعتها وتجارتها، واليه مرجع أغنيائها وسادتها، « ربّنا إنا اطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلّونا السبيلا . ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيراً »

وقال (ص) (٧): « ثلاثة قد حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة — مُدْمِنُ الخمر والعاقّ (أي المؤذي لوالديه) والديوث الذي يقرّ في أهله الخبث »

وقال (ص) (٨): « ثلاثة لايدخلون الجنة أبداً — الديّوث والرجلة من النساء ومُدمِنُ الخمر » قالوا يارسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث ؟ قال « الذي لايبالي مَن دخل على أهله » قلنا فما الرجلة من النساء ؟ قال « التي تَشَبَّهُ بالرجال »

(٩): عن ابن عمر ان أبا بكر وعمر وناسا جلسوا بعد وفاة النبي صلى

---

(٦) ابو داود والحاكم عن ابن عمر . ورواه الطبراني والحاكم والبيهقي والضياء عن ابن عباس بلفظ « أتاني جبريل فقال يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها » الخ (٧) أحمد واللفظ له والنسائي والبزار والحاكم وصححه . (٨) الطبراني بسند قال الحافظ المنذري : لا أعلم في رواته مجروحا (٩) الطبراني بسند صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

الله عليه وسلم فذكروا أعظم الكبائر فلم يكن عندهم فيها علم فأرسلوني الى عبد الله بن عمرو (بن العاص) أسأله فأخبرني ان أعظم الكبائر شرب الخمر فأتيتهم فأخبرتهم فانكروا ذلك ووثبوا اليه جميعاً حتى أتوه في داره فأخبرهم ان رسول صلى الله عليه وسلم قال: « ان ملكا من ملوك بني اسرائيل أخذ رجلا فخيّره بين أن يشرب الخمر أو يقتل نفساً أو يزني أو يأ كل لحم الخنزير أو يقتلوه فاختار الخمر وانه لما شرب الخمر لم يمتنع من شيء أرادوه منه » وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « مامن أحد يشربها فتقبل له صلاة أربعين ليلة ولا يموت وفي مثانته منه شيء الا حرمت بها عليه الجنة فان مات في أربعين ليلة مات مِيتة جاهلية ». وورد في هذا المعنى كثير ولكن في أ كثره جرحاً أو نكارة

(حد الخمر وعقوبة السكر)

(١٠) عن أنس « أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الخمر بالجريد والنعال. وجلد أبو بكر أربعين ».

(١١) وعن السائب بن يزيد قال: « كنا نؤتي بالشارب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي إمرة أبي بكر وصدرا من امرة عمر فنقوم اليه نضربه بأيدينا ونعالنا وارديتنا حتى كان صدرا من امرة عمر فجلد فيها اربعين حتى اذا عتوا فيها وفسقوا جلد ثمانين »

(١٢) وعن حصين بن المنذر قال: « شهدت عثمان بن عفان أُتيَ بالوليد قد صلى الصبح ركعتين ثم قال أزيدكم فشهد عليه رجلان أحدهما حمران

---

(١٠) احمد والشيخان. (١١) احمد والبخارى (١٢) رواه مسلم.

أنه شرب الخمر وشهد الآخر أنه رآه يتقيؤها فقال عثمان إنه لم يتقأها حتى شربها. فقال ياعليُّ قم فاجلده فقال عليٌّ قم ياحسن فاجلده . فقال الحسن: ولِّ حارَّها من تولَّى قارَّها فكأنه وَجَدَ عليه فقال ياعبد الله بن جعفر قم فاجلده . فجلده وعليٌّ يعدّ حتى بلغ أربعين فقال أمسك . ثم قال جلد النبي صلى الله عليه وسلم أربعين وأبو بكر أربعين وعمر ثمانين وكلٌّ سنة وهذا أحب اليَّ » الظاهر ان الاشارة الى مافعل بين يديه وهو الأربعون

(١٣) وعن علي أنه قال: « ما كنت لاقيم حداً على أحد فيموت وأجد في نفسي منه شيئاً الا صاحب الخمر فانه لو مات وَدَيْتُه وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسنّه » . قال فى منتقى الاخبار: يعني لم يقدّره ويوقته بلفظه ونطقه . أقول ولم يلتزم عدداً بعمله

(١٤) وعن معاوية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: « اذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثم اذا شربوا فاجلدوهم ثم اذا شربوا الرابعة فاقتلوهم » .

(١٥) وعن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتي برجل قد شرب الخمر فجلد بجريدتين نحو أربعين . قال وفعله أبو بكر فلما كان عمر استشار الناس فقال عبد الرحمن أخف الحدود ثمانين فأمر به عمر »

والحاصل ان مجموع الأحاديث الصحيحة يدل على أن عقوبة الخمر من التعزيرات المفوضة الى مايراه الامام أصلح بالمشاورة . ولكن الفقهاء أجمعوا بعد ذلك على الحدّ المعين

---

(١٣) احمد والشيخان . وهو لابى داود وابن ماجه وقالافيه (لم يسن فيه شيئاً إنما قلناه نحن) (١٤) رواه احمد واصحاب السنن الا النسائى وقال الترمذى منسوخ وقد اتي النبي (ص) بمن شرب الرابعة بعده فلم يقتله. (١٥) احمد ومسلم وابو داود والترمذى

آثار السلف ، عبرة للخلف

(قصة ابى محجن)

قال الحافظ ابن حجر في (أسد الغابة) إن ابا محجن الثقفي كان يشرب الخمر لايتركها خوف حد ولا لوم وان عمر حده مراراً ونفاه الى جزيرة في البحر وبعث معه رجلا فهرب منه ولحق بسعد بن أبي وقاص وهو بالقادسية يحارب الفرس . « فكتب عمر الى سعد ليحبسه فحبسه فلما كان بعض أيام القادسية واشتد القتال بين الفريقين سأل أبو محجن امرأة سعد ان تحل قيده وتعطيه فرس سعد البلقاء وعاهدها انه ان سلم عاد الى حاله من القيد والسجن وان استشهد فلا تبعة عليه فلم تفعل فقال :

كفى حزناً ان ترتدي الخيل بالقنا ... وأُترك مشدوداً عليَّ وثاقيا

اذا قمت عنّاني الحديد وأُغلقت ... مصارع دوني قد تصم المناديا

وقد كنت ذا مال كثير وإخوة ... فقد تركوني واحدا لا اخاليا

حُبِسنا عن الحرب العوان وقد بدت ... وإعمال غيري يوم ذلك العواليا

فلله عهد لا أخيسُ بعهده ... لئن فرجت إن لا أزور الحوانيا(١)

فلما سمعت سلمى امرأة سعد ذلك رقت له فخلّت سبيله وأعطته الفرس فقاتل قتالا عظيماً وكان يكبر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد . وكان يقصف الناس قصفاً منكراً فعجب الناس منه وهم لايعرفونه ورآه سعد وهو فوق القصر ينظر الى القتال ولم يقدر على الركوب لجراح كانت

---

(١) لا اخيس — لا اغدر وانكث والحواني جمع حانية وهي الدكان او حانّة بالتشديد وهي الخمر والخمّار وخفف . ويروى بعده :

فان مت كانت حاجة قد قضيتها ... وخلفت سعداً وحده والامانيا

به وضربان من عرق النسا فقال : (١) لو لا ان أبا محجن محبوس لقلت هذا أبو محجن وهذه البلقاء تحته فلما تراجع الناس عن القتال عاد الى القصر وأدخل رجليه في القيد فأعلمت سلمى سعدا خبر أبي محجن فأطلقه وقال اذهب لا أحدك أبداً فتاب أبو محجن حينئذ وقال : كنت آنف ان اتركها من أجل الحد » اه وفي رواية لغيره انه قال « وأنا والله لا أشربها أبداً انما كنت أشربها إذ كنتم تطهرونني »

وفي الكامل لابن الأثير أنه قال حين رجع الى القيد :

لقد علمت ثقيف غير فخر · بأنا نحن أكرمهم سيوفا
وأكثرهم دروعاً سابغات · واصبرهم اذا كرهوا الوقوفا
وأنا وفدهم في كل يوم · فان عمُّوا فسل بهم عريفا
وليلة قادس لم يشعروا بي · ولم أشعر بمخرجي الزحوفا
فان أحبس فذلكم بلائي · وان أُترك اذيقهم الحتوفا

وزعم ابن الأثير ان سلمى سألته فيم حبسه سعد فخاف انه ليس بحرام اكله او شربه . قال « ولكني كنت صاحب شراب في الجاهلية وانا امرؤ شاعر يدب الشعر على لساني فقلت »

اذا مت فادفني الى جنب كرمة · تروّي عظامي بعد موتى عروقها
ولا تدفنني في الفلاة فانني · أخاف اذا مامت ان لا أذوقها

فلذلك حبسني » اه والأول هو الصحيح ويدل عليه قوله

ألم ترني ودّعت ما كنت أشرب · من الخمر إذ رأسي لك الخير أشيب

---

(١) في غير هذا الكتاب ان سعداً كان يقول : اما الفرس فالبلقاء واما الشدات فشدات ابي محجن . وكان الناس يقولون لو أن الملائكة تقاتل لقلنا انه ملك

وكنت أروّي هامتي من عقارها إذا الحدّ · أخوذ واذا أنا أُضرب
فلما دَرَوْا عني الحدود تركتها وأضمرت فيها الخير والخير يطلب
وقال لي الندمان لما تركتها أأجدٌّ هذا منك ام أنت تلعب
سأتركها لله ثم أذمّها وأهجرها في بيتها حيث تشرب

(الاعتبار في الأثر) يقرأ بعض الفساق او يسمع بأن مثل أبي محجن رضى الله عنه كان يشرب الخمر فيغش نفسه بأن الأمر ليس بعظيم وان حسبه ان يكون كابي محجن فى مدخله ومخرجه ودنياه وآخرته وياليت الهوى يصدق صاحبه ويعز جانبه . واننا نذكر من وجوه العبرة فى الأثر مايقطع اسباب الأماني ويحل عرى الاهواء وذلك من وجوه.

(الاول) ان أبا محجن كان مدمنا للخمر في الجاهلية ومدمنها يصاب بداء الخمار على ماأشرنا فى المقالة الأولى فيصير مغلوبا على أمره لأنه مريض . ولما أسلم وعلم ان في الشرب حداً اذا أقيم على الشارب سقطت عنه العقوبة فى الآخرة رجح احتمال عقوبة الحدعلى احتمال ألم مرض الخمار الذى يزعجه الى الشرب فلم يكن فى شربه متهاونا بالدين ولا مستخفا بعذاب الآخرة ولذلك جرد حسام العزيمة على مرض الشهوة فجندله عندما قال سعدانه لايحده وفى ذلك من قوة الايمان مايعلو الاهواء ويلاشي الادواء وهو الذى يجب ان يكون عبرة للمعتبرين وقدوة لهم ان كانوا مؤمنين

(الثانى)ان أمر سيدنا عمر بابعاد ابي محجن الى جزيرة فى البحر بعد ان حده سبعا أو ثمانيا على مافى (أسد الغابة) يرشدنا الى ان أمير المؤمنين يجب عليه ان يلاحظ الآداب العامة ويبعد عنهم مايكون قدوة سيئة . وقد وافق رأيه هذا بعض فلاسفة أوربا فقال ان المجرمين الذين انطبعوا

على الجرائم وتمكنت منهم يجب ابعادهم الى جزائر في البحر ومنعهم من التزوج لبزول عن الناس شرهم وينقطع نسلهم الذي يرث منهم الاستعداد لمفاسدهم . ولكن اذا كان امراء المسلمين هم الذين يعلمونهم السكر ويدعونهم اليه كما هو معلوم الآن من اكثرهم فمن الذي يمنع هذه المنكرات « ما يصلح الملح اذا الملح فسد » ؟

(الثالث) لم ينقل ان احداً انكر على سعد رضي الله عنه ترك حده اوعزمه على ذلك وهذا يدلنا على أنهم كانوا يرون ان العقوبة على الخمر من التعزيرات كما تقدم وهذه مفوضة الى رأي الحاكم بالنسبة الى الافراد واما التقدير لها فهو من وظائف الامام التي يقررها بمشاورة اهل الرأي كما فعل عمر رضي الله عنه . وتقدم ان الفقهاء اقروا ماقدره عمر وجعلوه حداً ثابتاً لايزيد ولا ينقص .

باب التربية والتعليم

﴿ تعليم التاريخ الطبيعي بتمثيل الفانوس السحري (*) ﴾

(المكتوب ٣٦) من هيلانه الى اراسم في ٢ نوفمبر سنة — ١٨٦

فرغت من إقامة معهد التمثيل الصغير الذي كنت حدثتك عنه في بعض مكاتيبي السابقة ولي أن أقول ولا فخر انه ناجح مؤدٍ الى الغاية المقصودة

استحضر لي الدكتور وارنجتون من لوندرة فانوساً سحرياً وهو آلة جميلة معدة لان تجلى فيها المناظر المتعاقبة بواسطة الضوء واللون ومن خواصها انها تكبر مايمثل فيها من الاشياء تكبيراً في غاية المناسبة وترسم على حجابها الذي هو من القماش صوراً لا يمكن ان يرى أظهر ولا أوضح منها لذلك تراني قد قمت بما أخذته على نفسي من رسم معظم الصور وتلوينها على زجاجها مختبرة ما يكون للوهم من الأثر في النفس عند النظر اليها وقد بدا لي أيضاً أن من المفيد ان أولف بين ماتمثله هذه الآلة من المشاهد المختلفة بتنسيقها وجعلها على شكل قصة وجيزة تجعل التمثيل مرتباً متواصل الأطراف يستميل النفوس ويبهج الانظار . ولما انتهيت من هذا العمل

(*) معرب كتاب اميل القرن التاسع عشر في فن التربية من باب الولد

دعوت الى المعهد في الشتاء الماضي عشرين طفلا من الولدان والولائد مخالفة في ذلك سنة الكومتيس ديسكاريانياس فانها كانت تشخص في بيتها القصص الهزلية وتأمر بوابها بأن لايدخل أحداً وسبب هذه المخالفة اني أعتقد ان الانسان لايمكنه ان يلتذّ بشيء من مروحات النفس الا اذا كثر عدد حاضريها وانهم اذا كانوا اطفالا تكون الاستفادة أعظم . والنفع أتم

ابتدأت التمثيل بعرض أشياء فى غاية البساطة كداخل ضيعة او طاحون والمعيشة في سفينة ثم مثلث هذه السفينة فى يوم آخر وقد نقلتنا الى بلاد بعيدة كان ابعدها عن اخلاقنا وعوائدنا ادعاها الى اثارة الاستغراب وتهييج الشوق فى نفوس النظار الصغار فكانوا يحبون ان يروا بيوتاً بنيت على خلاف طريقتنا فى البناء وشوارع وساحات ورحبات عامة فيها رجال ونساء غريبو الازياء والهيئات وكان فيما عرضته عليهم صورة صيد الحيوانات الوحشية خصوصاً اضخمها واضراها كالفيل وفرس البحر والكركدن والاسد والنمر فلم اعدم منهم تحمساً فى الدهش والاعجاب بها ثم أريتهم قافلة تجوب الصحراء فشاقهم منظرها كثيراً . ولقد كفتني هذه التجارب في الاقتناع بان فى فانوسيَ السحريّ عزيمة «ياسمسمة انفتحي» (١) واني ان لم استعن به على فتح ابواب المجهولات لاصدقائي الاحداث كنت مخطئة ملومة

يتشوف الاطفال كثيراً الى معرفة كيفية تكوُّن الحيوانات والنباتات والصخور وتتشوق نفوسهم الى معرفة طريقة نشوء جميع مايشاهدونه كل يوم من ذلك لقد أذنت جماعة النظار جهراً باننا سنمثل على الدوام قصة ذات بهجة وجلال مؤلفة من عدة فصول تسمى تاريخ الارض

استعنت عشية هذا التمثيل بجميع مافي الفانوس من قوة الاستعداد وبصور اعتمدِ فى رسمها على آراء علماء طبقات الارض من الانكليز وبقليل ماحصلته من العلم بمطالعة الكتب واستقر رأيي على ان أجعل في التمثيل لفواعل الكون وقوى الطبيعة لساناً تفصح به عن الحقائق والحوادث وهو تجوّز يمكن ان يسمح به فى قصص الغناء والتلحين الشعرى على انه لم يكن المقصود من ذلك قرض الشعر بحال بل كان الغرض منه ايضاح مالم تكشف آثار الضوء والالوان المتنوعة فى اظهاره على الحجاب اظهارا تاما بعبارات في غاية السهولة . مثال ذلك ان أقول للنظار : أتدرون ماذا كان يقول

(١) عزيمة سحرية خرافية لفتح الابواب المقفلة ذكرت فى كتاب الف ليلة وليله

المحيط الذي هو أصل الاشياء لما غمر سطح عالم أزهقت روحه مياهه ؟ الحق أقول انى لم أقف على كلامه ولكنى اخال انه كان يدعو الحياة دعاء الانبياء ويسألها أن تزيل الوحشة من اعماقه المظلمة ولجحه القاحلة

ولا جرم فقد بدا في أشعة الضوء السحري أقدم ماعرف من أشكال الحيوانات كالاوداميا (١) واللنجولا (٢) والاورتوسيراتيت (٣) طاغيـة البحار السيلورية (٤) والتريبوليت (٥) وغيرها من مخلوقات الكون الاولى التى رسمت صورها اعتماداً على بقاياها الأثرية او على ما انطبع على الصخور من تلك البقايا

ثم تلا ذلك ظهور أول ارض انحسر عنها الماء فنهدت على سطحه وكانت طوائف من الجزر . كان يخيل للنظار بواسطة المغالطة البصرية انهم يشاهدون الاعشاب الشجرية تنبت منها وذلك كالسيجيلاريا (٦) والاستجماريا (٧) وغيرهما من المُثـُل الاصلية للنباتات القديمة ولست انكر ان جميع هذه المناظر هى صور في نهاية الحقارة بالنسبة لما تمثله من المشاهـد الكبرى للكون في عصره الاول ولو ان انساناكان قدر له ان يشهد خلق الاشياء حضر فى معهد تمثيل تلك الصور لما وسعه الا ان يضحك منها لانها ليست الااشباح لاعب ولكن لايغرب عن ذهن هذا الساخر ان هذا التمثيل انما جعل للاطفال وان القصد منه هو تعليمهم وهو غرض جليل يجب الاغضاء عن حقارة مايتخذ من الوسائل للوصول اليه .

كان يتلو كل عصر من عصور تاريخ الارض فترة جهالة عمياء وسكوت عام كانت

---

(١) الأوداميا حيوان هلامي من المكونات الاولى توجد آثاره ولا تعرف أخباره

(٢) اللنجولا حيوان رخو ذو محارة مخروطية مستطيلة يشمل جنسه عدة أنواع بادت ولم تبق الا آثارها وأعضاء الحركة فى هذا الحيوان توجد في رأسه .

(٣) الاورتوسيراتيت حيوان هلامي رخو يقوم فيه الذراعان مقام الرجلين محارته ذات فلقتين يشتمل جنسه على عدة أنواع بعضها عائش وبعضها باد فلم يبق الا آثاره

(٤) السيلورية نسبة الى بلاد السيلور وهم أقوام كانوا يقطنون بلاد الغال في بريطانيا العظمى (٥) التريبوليت حيوان رخو محارته ذات فلقتين

«٦» السيجيلاريا نوع من النباتات البائدة التى لايوجد منها الا آثارها يحتوى على نحو ستين صنفاً ويوجد فى الطبقات الفحمية من الارض «٧» الاستجماريا نوع آخر من تلك النباتات

تدل « كما نبهت النظار اليه » على اشتغال الدهر بعمله البطيء الخفي

ظهر في الفصل الثاني من القصة سلسلة مناظر مختلفة آذنت بحصول بعض الحوادث الكبرى على سطح الارض منها ان جزراً نتأت من الماء وتواصلت فكانت بدايا تكوّن القارات المستقبلة ومنها ان ظهرت نباتات وحيوانات جديدة لم يكن عهدها وجود في العالم الى ذلك الحين • وأخص ما أثار دهش النظار من تلك الحوادث وهاج اعجابهم دور ظهور الزواحف وقد حملني ما رأيته من ذلك على اعتقاد ان بين طفولية الكون وطفولية الخيال مناسبة ومطابقة لما خلته من ارتياح نفوس تلامذتي الصغار لمشاهدة صور تلك المملكة الحيوانية الفانية فاني قدمثلت لهم اللبيرانتودون (١) وهو ضفدعة كالثور في الضخامة والاختوزيور (٢) ذو العين الهائلة والبليزيوزيور (٣) الذي عنقه كعنق الثعبان والميغالوزور «٤» فيل الزواحف الذي رأسه كرأس الضب والهيليوزور «٥» ذو الظهر الشائك وصنوف الحيات الطيارة المسماة بالبترودا كتيل التي تشابه ذلك الوحش الخرافي ذا الاجنحة الذي وجهه وجه امرأة وجسمه جسم عقاب واسمه الهاربي فاثارت دهشهم واكبارهم لها بمقادير أجسامها الهائلة وقوة الدفاع فيها ثم تلاشت نوعا بعد نوع كما تتلاشى الاحلام

كان النظار يعتقدون ان جميع هذه المخلوقات كانت عائشة على وجه الارض لاني كنت اؤكد لهم ذلك بذمتي وكان هذا التأكيد مصدر استغراب جديد لهم على اني ما قصدت اضلال احد منهم ولا التمويه عليه بل قصصت عليهم بالايجاز كيفية معرفتي اياها وبينت لهم ما اضفته من عندي الي ما عرف حق المعرفة من تركيبها وتاريخها ولو ان سائلا منهم سألني عن سبب امحائها من على وجه الارض لأعضلني سؤاله على اني كنت اجيبه اننا معاشر الموجودات قد زج بنا في محيط الدهر زجّا شديداً والدهر كما تعلم منشأ التقلب وقد وجد في طبائعنا الاستعداد لجميع ما قدر لنا من ضروب تصاريف الحياة واستحالاتها فمهما كان عمر الزواحف القديمة طويلا فلا بد انها قد مرت بما قدر للكون من النظام العام كما كانت تمر أشباحها الممثلة على الحجاب المعد لقبولها

«١» اللبيرانتودون هو نوع من الزواحف البائدة أثبت وجوده العالم الانكليزي المسمى اوين بما عثر عليه من رفاته (٢) الاختوزيور نوع من الضب فني فلم تبق الا رفاته (٣) البليزيوزيور نوع آخر منه «٤» الميغالوزور نوع ثالث منه أضخم من السابقين «٥» الهليوزيور نوع من الزواحف الهالكة وجدت رفاته في أرض انكلترا

آذن الفصل الثالث من القصة بمناظر خلوية اجتهدت في أن أمثل فيها بعض آيات العصر الذي يسميه علماء طبقات الارض فجر حياة الارض الحالية (ايوسين) وظهر بعد الزواحف الضخمة جسام الحيوانات الثديية كالميجاتيريوم (١) الهائل والدينوتيريوم (٢) مارد المردة في عصرها والمستودونت (٣) كبير الحيوانات البائدة الصفيقة الجلود وغيرها مما لم أذكره وان كان من أغربها ٠ أحضرها سحر الفانوس فعرضها على الانظار برهة ثم لما رأت ان هذا الكون الذي نعيش فيه لم يخلق لها حتى ماكان منه في حيز الوهم والمغالطة لم تلبث ان لبّت دعوة العدم فزالت على التعاقب كما بدت

على ان ما تلا هذه العصور الاولى من الاستحالات والانقلابات في النباتات والحيوانات التي كانت موجودة فيها قد آذن بأن الارض صائرة الى أحوال العصور الحالية فأنشأ الاطفال يتدرجون في الشعور بأنهم في أرض يعرفونها مع ماكان لايزال يوجد من التباين بين ما فيها وبين ما يعرفونه من أرضهم ٠ كانت تجلى امامهم غابات تقارب أشجارها أشجار غاباتنا تجول فيها أيِّلٌ ضخمة الاجسام تعدو ورآها السباع التي لايزال نسلها يفترس فرائسه الى اليوم في الصحارى والقفار

لم يكن البرد الى ذلك الحين قد كدر صفاء هذه المشاهد التي كان يسبح فيها ضوء الشمس ممزوجا بحرارتها القوية ولكن في آخر العشية بدت تباشير الثلج فكان لها مناظر محزنة متعاقبة استعنت في ابرازها للعيان بكل ما فى فانوسي من قوة الاستعداد ففهم منها النظار ان حيوانات العصور الاولى قد أهلكتها هذه المؤثرات المبيدة أو انها اوت الى أقاليم أخرى أشد حرارة من أقاليمها الاولى وكان صاحب السلطان على هذه الاقاليم الباردة هو الوعل القطبي والفيل ذو الفروة المسمى بالمموث ٠ كان يخيل للاطفال ان الارض صائرة الى الفناء وخلتنى أطالع فى عيون أكثرهم التفاتاً آيات القلق والحيرة ولم أر من الضروري ان أسري عنهم هذا القلق فقد تكفلت بذلك الحوادث — أستغفر الله بل صور الحوادث ٠

بدت امامهم مغارة نحتتها يد الفطرة فى سمك الصخور فكانت ملجأ اوت اليه الحيوانات الوحشية كالدب والضبع الذى هو نوع من الكلب وغيرهما من النزلاء التي ترجع في نسبها الى أنواع من الحيوانات قد أصبحت اليوم مستأنسة ثم ظهر لهم خلق جديد هو عجيبة الكون ذلك هو الانسان رأوه على ضوء نار أوقدها لنفسه فى جانب

---

(١) نوع من الحيوانات الثديية انقرض وبقيت رفاته (٢) نوع آخر منها ارقي من الفيل توجد رفاته في الارض الرملية والحجريه (٣) نوع من الزواحف البائلة الهائلة

منزل من الارض وهو شبه حي عرف كيف يختطه لنفسه فليت شعري ماهو ذلك الخلق ومن اين هو؟ لاشك ان مثل هذين السوآلين هما من الاسئلة المعضلة التي يحار الانسان فى الجواب عنها والمناقشة فيها امام اطفال لاتتسع عقولهم لها على اني لست متثبتة فى العلم بالاجابة عنهما من أجل ذلك رأيت من الحزم ان اطفئ فانوسي وأكف عن الخوض فيهما

اجابة لطلب العموم كما يقال في اعلانات معاهد التمثيل قد استعد معهدنا لايجاد عدد عظيم من المشاهد ستمثل في قصتنا •

عقدت النية على الاستمرار فى دروس التمثيل هذه وعلى أن أحكي لاصدقائي الاحداث بواسطة الفانوس تاريخ الانسان ومغالبته لفواعل الكون وما اتخذه من آلات صيده أو أدوات عمله الاولى وتجاربه الصناعية مذ كانت الصناعة في مهد طفوليتها ثم أبين لهم بعد ذلك بهذه الطريقة عينها ما عرف من المجتمعات القومية والعوائد القديمة وآثار الفنون الاولى فاني أرى انه لاشيء الا ويمكن ان يفهمه الاطفال على شرط اطلاعهم على كل ما نحدثهم به من الاشياء والنزول معهم في التعبير الى الحد الذي تطيقه أذهانهم

لست أغبى عن قيمة صناعة رسم الاشباح ولا أجهل ما تساويه تلك الألاعيب الخيالية ولا خفاء في اني لا أدعي انى اذا استعرضت امام (اميل) بعض صور لما كانت عليه الارض والناس في عصورهم القديمة أكون قد علمته علم الطبقات الارضية أو علم التاريخ واني أعلم أيضاً ان كثيراً من الصور السحرية لاتلبث أن يزول أثرها من أذهان الاطفال كما يزول من حجاب الفانوس ولكن كل هذا لاشيء فيه فحسبي أن يثبت في أذهانهم صورة أو صورتان فان تم ذلك رجوت لهم في مستقبلهم أن يجتهدوا في تحصيل العلم بأنفسهم من المدرسة الكونيـة أو من مدارسة الكتب وعلى كل حال فليس الغرض من تعليمهم في الصغر أن يحصلوا العلم وانما الغرض منه ان تبعث فيهم روح الشوق والميل الى المعرفة اه

﴿ الاميرة ناظلي هانم وتربية البنات ﴾

لو ان تلك الكاتبـة الفرنسوية التي تدعو المسلمين الى ارجاع الدين الى البيوت عرفت صاحبة الدولة الاميرة ناظلي هانم افندي واستعانت بها على ما تريد لرجونا أن تلقى أذناً واعية وجوابا مرضيا فان هذه الاميرة هي أعقل أميرة في أسرة محمد علي الكبير ولها عناية بالشؤن العمومية وقد قالت مرة اننا نحن المسلمين لانجاح لنا الاّ بالتمسك بالاسلامية • وعسى ان تهتم الاميرة بهذا الامر من نفسها وتستشير أهل العقل والبصيرة في اتخاذ الوسائل لارجاع الدين الى البيوت ليحفظ لها التاريخ بذلك ذكراً خالداً

آثار علمية ادبية

﴿ تقاريظ ﴾

(فيصل التفرقة · بين الاسلام والزندقة)

توسع بعض الفقهاء في مسائل التكفير وما يكون به المسلم مرتداً حتي اننا اذا سلمنا بكل ما قالوه لا يكاد يسلم لنا أحد نسميه مسلما في هذا العصر · وللامام حجة الاسلام الغزالي كتاب وجيز سماه (فيصل التفرقة ...) حقق فيه مايجب التعويل عليه في هذا الباب ، ولا غرو فكلام هذا الامام لباب اللباب ، وقد وفق الله تعالي صاحبنا المهذب الشيخ مصطفى القباني لأحياء كتب حجة الاسلام التي أماتها الجهل وسوء الاختيار وقد طبع في هذه الايام هذا الكتاب في مطبعة الترقى على ورق جيد ووضع فى ذيله حواشي تزيد في فائدته وطبع معه رسالة أخرى للمصنف في الوعظ والاعتقاد فجزاه الله عن حجة الاسلام وعن المسلمين خير الجزاء ووفقهم لقراءة هذه الكتب النافعة · والكتاب يطلب من مكتبة الترقى ومن غيرها

(جواهر العلوم) لم ينس القراء كتاب (ميزان الجواهر) الذى قرظناه في الجزء الخامس ولم ينسوا أن مؤلفه هو الاستاذ الفاضل الشيخ طنطاوي جوهري مدرس البلاغة والانشاء فى المدرسة الخديوية وهذا كتاب جواهر العلوم للجوهري أيضاً فصاحب الميزان هوصاحب الموزون فمن اطلع في ذاك على الجواهر في ميزانها فعليه أن يطلع عليها في هذا مجردة قائمة بنفسها · رعى الله هذا المؤلف فلقد سلك في كتابيه الطريق القويم ، وهدى الى الحق والى طريق مستقيم ، اذ دل الناظرين في العلوم الكونية على خالق الاكوان ، وقرب هذه العلوم من غير الناظرين فيها بأعجوبة من سحر البيان ، كأن الغاية من انشاء مدرسة دار العلوم قد تجلت في هذا المؤلف في أبهى مظاهرها · وقد نظم هذا الكتاب في سلك القصص فهو حكاية شاب عرف العلوم والآداب وضرب في الارض يطلب فتاة كمثله ليتخذها زوجاً يسكن اليها فان النفس لا يسكن اضطرابها الا لمن يشاكلها ويقاربها · وفيه ثلاثه أبواب أحدها في عجائب الارض والثاني في عجائب السموات والثالث في آيات من القرآن محيطة بكل ذلك (والله من ورائهم محيط ، بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) وقد طبع الكتاب على نفقة الاستاذ

المرشد والواعظ المنفرد الشيخ على ابي النور الجربي والفاضل المهذب محمد توفيق افندي الكاشف فيطلب منهما ومن مكتبة الترقى

(قصة ورده) نشر الجزء الثاني من هذه الاسطورة التاريخية التى تمثل أخلاق المصريين وعاداتهم وكيفية حكومتهم ومبلغ علمهم ومدنيتهم في عهد رعمسيس الثاني وقد ذكرنا في تقريظ الجزء الأول ان مؤلفها هو الدكتور جورج إيبرس الألماني اقتبس مادتها من العاديات المصرية وأوراق البردي وان معربها هو الكاتب الشهير محمد افندى مسعود أحد محرري المؤيد وقلما توجد اسطورة جمعت من اللذة والفائدة ما جمعت هذه القصة وهي تطلب من معربها ومن المكاتب المشهوره

(الانشاء العصري) ان أكثر الذين يتعلمون القراءة والكتابة لا يعرفون رسوم الكتابة في الشؤن الودادية ولا في المعاملات المعاشية وقد ألف الأديب الفاضل محمد افندى عمر نجا البيروتي كتابا سماه الانشاء العصري لم يغادر شيئاً مما يحتاجه هذا الفريق الاكثر من رسوم المكاتبات الادبية والتجارية الا هداهم اليه لذلك يرجى أن يكون هذا الكتاب من أكثر كتب العصر رواجا لأن السواد الاعظم يحتاجه ويرغب فيه وقد طبع في بيروت طبعاً حسنا

(نوادر الادباء) كتاب جديد يشتمل على نوادر وحكايات لطيفة مما يعزى في كتب الأدب والتاريخ الى الخلفاء والملوك والحكماء والزهاد والادباء جمعه الفاضل ابراهيم افندي زيدان وطبع بنفقة صديقنا الفاضل متري افندى زيدان مدير الهلال الأغر طبعاً جميلا وثمن النسخة منه خمسة قروش صحيحة وهو يطلب من مكتبة الهلال وغيرها

(الشرق المصور) مجلة عثمانية علمية أدبية فنية صناعية مصورة تصدر فى ١٠ و ٢٥ من كل شهر عربي وقيمة الاشتراك فيها ٤٠ قرشا صحيحا في مصر و ٥٠ في غيرها منشئها ومديرها الفاضل احمد بك كامي وقد صدر منها خمسة أجزاء مملوءة بالفوائد الادبية والتاريخية والرسوم الجميلة فعسى أن تصادف من الرواج والانتشار ماتستحقه

(الطب الحديث) مجلة علمية طبية خاصة بالاطباء والصيادلة يصدرها رصيفنا البارع الدكتور عيد افندي صاحب مجلة طبيب العائلة الغراء وهي حاوية زبدة المباحث الطبية والفوائد العملية والاكتشافات الفنية فنحث عليها الاطباء الافاضل

(ألف ليلة وليله المصور) هذا الكتاب اشهر القصص الشرقية وأعذبها ، لان أعذبها أكذبها ، وله مكانة عند الافرنج عالية فقد نقلوه الى لغاتهم وزينوه بالصور

والرسوم وقد رأيت طبعة منه بالانكليزية تساوي النسخة منها ٢٤ جنيها . وقداعتنى صديقنا الفاضل جرجي افندى زيدان صاحب الهلال المنير بطبعه مزينا بالرسوم والصور وحذف منه الكلام المجوني الصريح وهو يصدره أجزاء يزيد الجزء منها على مائتي صفحة وثمنه عشرة قروش وقد صدر منه جزآن يطلبان من مكتبة الهلال

﴿ نساء المسلمين ﴾

تابع المحاورة الاولي بين فاطمه علية هانم كريمة جودت باشا وبعض نساءالافرنج بعد مابينت الكاتبة حال البنات الجركسيات الجميلات قالت في تتمة الجواب .

« وأما غير الجميلات من أولئك البنات فانهن مضطرات الي انفاق العمر فى بلادهن بالاعمال الشاقة كالزرع والحصاد لا بخدمة البيوت فقط ولكن اذا لم يكن النظر في المرآة يطمعهن في دار السعادة فان لهن فيها مطمعاً آخر وهو الرسائل والمكاتيب التي تجئ من بنات أعمامهن وعماتهن وأخوالهن وخالاتهن وصواحبهن الجميلات فانها تحدث عندهن أملا في ترك الشقاء في بلادهن واصابة حظ من السعادة والنعيم في الاستانة اذ يسمعن في تلك المكاتيب ان الجارية فلانة قد كافأها سيدها على حسن الخدمة ببيت وزوجها برجل ملائم لها . واذا رزقت الجارية بغلام تبشر أهلها ثم ترسل علامة سلامه اليهم بأن تلوث أصبعه بالحبر وتضعه فى ذيل المكتوب . فهذه الأخبار تملأ خيالات البنات فينفرن من بيوتهن ويستثقلن المعيشة فيها ثم تثقل عليهن الخدمة التى كن تعودنها بل يستبشعن الذي تربين عليه ويستحوذ عليهن الخمول والكسل فيلقين لذلك ضروباً من اهانة اهليهن كقولهم « ان الخبز لا يؤكل بدون تعب » فحينئذ تناجي الواحدة منهن نفسها : أليس من البلاء ان اضطر الى الحرث والزرع والحصاد لأجل الوصول الي لقمة من الطعام ؟ أليس الاتصال بأحد الافندية في الاستانة خيراً لي يأتيني رزقى رغداً ولا أكلف الا بخدمة البيت وهي يسيرة تعلمنى كيف أدبر شؤن منزلي اذا أنا صرت سيدة . فهذه الخيالات والتصوّرات تبعث فيها الرغبة الصادقة فى أن تكون جارية في الاستانة عدة سنين ثم تكون سيدة ناعمة العيش طول حياتها . تلح بها الرغبة في الهجرة على حبها الطبيعى لوالديها ولوطنها ولكن بعض الحب يغلب على بعض . ذكرت لك الواقع ايتها المدام

من غير حكم عليه بخطأ ولاصواب فما هو رأيك في رغبة مثال هذه الجركسية أبجامع حب الأهل والوطن أم هو من الافراط فى حب الذات ؟

ف — : أراك قد عرفت الرق تعريفاً لطيفا يكاد يجعل كل انسان يود أن يكون رقيقاً

انا — : كلا انه لاينبغى لنا أيتها المدام ان نكثر الارقاء فان ذلك يستلزم قلة حماتهم

وبينا كنا نتضاحك من موضوع القول كانت الراهبة لاتزال معرضة عن حديثنا وربما لم تكن فطنت له كما تدل على ذلك ملامحها . ثم اني انتبهت الى كلام المدام انتباهاً جديداً لم يكن من قبل فقلت :

« ان ما ذكرته لك عن الجوارى والارقاء هو مبنى على قواعد الشرع وعلى عادات البيوت والأسر المتأدبة بآداب الدين والعمل باحكامه وهذا لاينافي ان يكون في الناس من ينحرف عن جادة الدين والانسانية في أمر الرق فان الدهر بالناس قُلَّب وكثيراً مايفضى تقلبه بهم الى تحويل الحسن الى ردئ واستبدال الذي هو أدنى بالذى هو خير . ومن ذلك ان بعض الاباء يبيعون بناتهم اللاتي يرغبن عن العزبة ويفضلن المعيشة في أعشاشهن التي نشأن فيها ليتنفعوا بثمنهن . ومن الموالى من يعامل الجارية التي يشتريها بما تأباه المروءة ولاترضى به الشريعة فيستخدمها ثلاثاً أو خمسا ثم يبيعها من آخر ابتغاء الربح . أليس من المعهود فى الناس قلب المنافع الى مضار وتأويل انفع القوانين وأعدلها ميلا مع الهوى والغواية وارتكاساً بين امواج الضلالة ؟ والذي يمسك بالنفس ان تذهب عليهم حسرات انهم قليل ومعدودون من الشذّاذ فليس لمذهبهم في تأويل الشريعة وسوء استعمال العرف والعادة تأثير فى مجموع الامة لانهم ساقطون من نظر الخواص

مدام ف — مظهرةً الاعجاب بالقول والعناية به : انه كثيراً مايطرأ على المروءة مايذهب بأثرها من المودة والرحمة والرعاية والحرمة بين أهل البيت من الوالدين والاولاد والازواج فيتقطع بينهم وهذا حاصل ومعروف في اوربا . ومفاسد الرق معروفة عندنا وقد كتب فيها كثير ولكنا كنا نجهل من تعريفها وشؤنها عند المسلين ماعرفته منك وأنا به مغبوطة وشاكرة . وأسألك رأيك في الذين يبيعون أطفالهم قبل التميز

انا — : ان هؤلاء اشد رغبة في سعادة بناتهم فلا يكتفون بان يكن سيدات بجاه أزواجهن بل يتشوفون الى تعليمهن وتربيتهن في دار السعادة . اتدري من يشترهن

ف — : ان تصور بيعهن راعنى وأذهلنى عن التفكر فيما عداه كالمشترى وغيره

انا — : لعله لايذهلك عما أقوله وهو أن ممن يشترى هؤلياًّ الجواري العقماء والعُقَّر (جمع عاقر للرجل والمرأة) فيكنَّ لهم كالاولاد . ومن الناس من يشترى الجميلات

وربيهن تربية بنات الوجهاء في المدن ليبيعهن الى العظماء وهل يقصر في تربية الجارية من يبيعها بخمسمائة ليره او الف ليره ؟ واكثر أصحاب البيوتات يشترون الجواري من هؤلاء المربيات المتعلمات لاجل الاقتران بهن . ومنهم الذين يربونهن ليتزوج بهن ابناؤهم اوليكن أترابا مؤنسات لبناتهم فلكل فتاة من الاسر الكريمة تربُّ من الجواري تتعلم معها وتربي تربيها وتعتق يوم تتزوج الفتاة فيكثر الراغبون في الاقتران بها من خيار الناس

ف — : يخيل الي من كلامك انى ضللت فى سفري فوقعت في غير تركيا

أنا — : السبب في هذا ان السائحين منكم لا يعرفون من دار السعادة الافنادق (بك اوغلى) وطرقات المدينة وأسواقها فأكثر مافى كتبهم اغلاط وأوهام يتلقفونها من المترجمين الجاهلين بحال المدينه واننا نظن عند قرائتها اننا نقرأ عن عالم مجهول

وبينا نحن نتكلم دخلت علينا جارية حبشية كانت منذ دبّت الى أن شبّت متوقة فى الزينة منشأة فى التطرس والتطرز فلما رأت مدام ف .. زيها وحليها قالت بدهشة وروعة: من هذه التى تعلو رئيسة الخدم زينة وحلياً ؟

انا — : انها جارية تربت عندنا وأبت الحرية فأعطيناها كتاباً بأن أمر حريتها لها

ف .. — : نادت الحبشية وسألتها بواسطتى عن السبب فى اباء الحرية فقالت . انى متي جاءني زوج أرتضيه اعتق نفسي وأتزوج به والا فأنا فاكهة فى نعمة لا أجد مثلها . فسألتها كيف يكون الزوج الذي ترضينه ؟ فقالت هو من يطعمها كما تأكل فى بيت سيدها ويكسوها كما تكتسى ولا يحملها خدمة أكثر مما تحمله الآن (لها بقية)

الأخبار التاريخية

﴿ مدرسة محمد على الصناعية ﴾

دعا صاحب الدولة رياض باشا العظماء والوجهاء في مصر الى داره للمذاكرة في وسائل إنجاح مشروع المدرسة الصناعية فتكلم الوزير فى فائدة الصناعة وشدة حاجة القطر اليها وشكا من قبض الاكف وغل الايدي وطلب من حاضرى المجلس ابداء رأيهم . فتلاه صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية في القول وكان مما قاله إنه

يجب أن يكون رجال الدين من الدعاة الى الاكتتاب والعاملين في ترويج المشروع لان المدرسة تنفع في الدين كما تنفع في الدنيا فان أكثر الفقراء والمساكين محرومون من العلم والعمل والدين . واذا لم يكن للفقير دين ولا عمل فهو شر محض على قومه وعلى الناس الذين يعيش معهم . وضرر هؤلاء يكون على اشده في البلاد التي تقطعت فيها الروابط الاجتماعية فامسى كل واحد من الغوغاء يرى نفسه كوناً مستقلا لا يوقر من هو اكبر منه ولا يستحي منه ولا ممن هو في طبقته . فالمدرسة تعلمهم دينهم وتشغلهم بالعمل عن الوقوع في مزالق الزلل . ثم أقر الحاضرون على تأليف لجان تسعى في الاكتتاب وابتدأ بعض الحاضرين في ذلك بانفسهم .

علم الناس ان نحو ثلثي ما اكتتب به الى الآن هو من الاجانب ونحو الثلث من المصريين الذين يراد انشاء المدرسة لهم والاجانب في البلاد يعدون بالالوف والمصريون يعدون بالملايين ولكن الاجانب يعرفون قيمة الاعمال الاجتماعية وأكثر المصريين يجهلون ، ومن يعرف منهم قيمة العمل فهو اما فقير الاب والجد فهو على بخل موروث ودناءة ربي عليها فلم يقو ما اوتيه من علم على استئصالها لان تأثير التربية غالب دائماً على تأثير التعليم واكثر الاغنياء سفهاء الاحلام ، غارقون في غمرة من الاوهام ، يبذلون المال الكثير ، لنيل لقب كبير ، او التزلف الى أمير ،

نعم ان أصحاب البيوت القديمة ، والاسر الكريمة ، لم يفتقروا جميعاً ولم يعمهم الجهل ولم يدمرهم فساد التربية وفي البلاد فئة قليلة من العصاميين الاخيار فهؤلاء وهؤلاء محل الرجاء ولكنهم بالنسبة الى المجموع قليل عددهم ولا يقدرون على القيام بالمشروعات اللازمة لحياة البلاد الا بمساعدة الآخرين لهم . فاين أهل الدعوى ، أي محبوا الشهرة ، « فهذا اليوم فيه صبغ الدعاوي يحول »

الدول في سلطنة مراكش

جاء في برقيات هافاس من طنجة في ١٩ يناير أنه وصلت اليها بارجة تحمل مندوب الجمهورية الفرنساوية لدى سلطان مراكش وستصل غدا دارعة انكليزية تحمل رجال السفارة الانكليزية وأما السفارة النمسوية فستسافر في ٢٦ يناير .

وقد تحقق ان صاحب مراكش استحضر ضباطاً من الانكليز يعلمون عساكره الفنون العسكرية وأنهم يعلمونهم باللغة الانكليزية لتبقى القوة العسكرية المراكشية في أيديهم يوجهونها كيف ارادوا ولا يمكنها أن تحارب الا بهم وهذا تسليم معنوي للبلاد

« وكل من لايسوس الملك ينزعه » والمانع لصاحب مراكش أن يستعين بأخيه صاحب القسطنطينية على التعليم والتمرين العسكري التنازع على لقب (خليفه) الذى أهلك الاسلام في السلف والخلف وماكان أهله ليعتبروا * ولايترك رؤساؤنا الحرص على هذا اللقب الذى لم يبق له معنى حتي لاتبقى سلطة لمسلم على وجه الارض والله يفعل مايشاء

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

﴿ الرقص والعفة والحجاب ﴾

رحم الله المتنبي حيث قال « لِهوَى النفوس سريرةٌ لا تُعلم » فان هذه الحكمة تصدق على الذين ملأوا وادى النيل صراخا وعويلا ، وتنديداً وتهويلا ، أن قام رجل منهم يقول ربوا البنات وعلموهن ثم خففوا الحجاب عنهن بحيث لايبدين من زينتهن الا ماظهر منها وهو الوجه والكفان على مايقول بعض المفسرين وهم مع ذلك يحضرون بدعة رقص النساء ويأذنون لنسائهم بالتفرج عليها من غير تحرج ولا تأثم ولا نكير بل منهم من يثني على هذه البدعة الذميمة حتى بالكتابة في الجرائد

بدعة الرقص وما أدراك ماهيَهْ ! هي الوباء الذى يصطلم العفة اصطلاما ، ويستأصل جراثيم الصيانة استئصالا ، قال راوي المنار : دعاني غير واحد من الفضلاء الى الكتابة في التنفير عنها والانكار على فاعليها الفاسقين ومنهم من قال ينبغي ان تشاهدها مرة لتكتب عن بينة وشعور بوجه ضررها فقلت ماكان لمثلي من خدمة الدين ان يقف في تلك المواقف النجسة وان كان القصد طاهراً والغرض شريفاً . وقال آخر ان هذا الرقص يكون في مكان شريف ... في بعض أيام السنة ويتسنى لك ان تشاهده هناك وفاته ان هذا الشرف اعتباري لا حقيقي وانه خسيس عند الله ورسوله وصالحي المؤمنين ، فماذا تغنى عنه شهادة المبتدعة والفاسقين ، ثم اتفق لي ان دخلت « الاوبرا الخديوية » ليلة الاحتفال بجلوس الجناب الخديوى من هذه السنة لأشاهد كيفية تمثيل الافرنج للقصص واختبره فاني قرأت في كثير من الكتب والجرائد ان تمثيلهم ركن من اركان التهذيب وأصل من أصول التأديب ، وماكنت اعلم ان سيكون في خلاله رقص ولكنه كان ، وشاهدت هذه البدعة التي هي افتك عوامل الافتتان ،

برز في معهد التمثيل زهاء عشرين او ثلاثين بنتاً كواعب أترابا من أجمل من أنبتت أرض الشمال وعليهن من لبوس الزينة ماعليهن وطفقن يرقصن بنظام غريب لايحيط به الطرف، فيحيط به الوصف. على اني لو شئت لقلت في ذلك قولا يقرب بالخيال من ذلك الجمال، ويطير بالقلب في عالم المثال، ولكنني أخشى أن اكون بذلك من دعاة الفتنة، وأنصار هذه المحنة. وكان يلقى على الراقصات شعاع كهربائي يلون بالوان مختلفة فتارة يكون أبيض ناصعاً وطوراً يكون ضاربا الى الصفرة كنور الشمس وآنا يرى مشوبا بحمرة زاهية، وآونة تمازجه زرقة صافية. وكان الناس حيارى، تساوى في الدهشة غير السكارى بالسكارى، اما هؤلاء فكانوا كما قيل

سكران سكر هوى وسكر مدامة فمتى يفيق فتى به سكران

وأما كاتب هذه السطور فكان كما أجاب رجلا بجانبه رآه ممتعضاً فسأله ما بالك ألست معجباً بهذا المنظر الرائع ،والجمال البارع. فقلت في جوابه اني في هذه الليلة كالحاسديرى نعمة المحسود عيني في جنة وقلبي في نار. قال وما الذي اوقدفي قلبك هذه النار، فقلت احتكاك الافكار، الا تراني كيف ادير الطرف وأرمي به الى المتفرجين والمتفرجات، اكثر مما أرمي به الى الراقصات، أنظر الى هؤلاء الكهول المفتونين بهذا المنظر وامثل في خيالي مايثير في نفوسهن من الشواغل وأنفكر في أثر ذلك وعاقبته في معاشرة نسائهم وصحبة زوجاتهم اذا لم يكنَّ بارعات الجمال وقد فهمت السر في افتتان اغنيائنا بأوربا واضاعة أموالهم وأوطانهم بل ودينهم وايمانهم في سبيل ترف أوربا وزخرفها. — أنظر الى هؤلاء الشبان الذين ترقص أعينهم وقلوبهم مع الراقصات، وتذهب نفوسهم عليهن حسرات، وأنفكر في أمر مستقبلهم، ومستقبل البلاد والأمة بهم، — أنظر الى هؤلَيّا (تصغير هؤلاء) الولدان والجواري (البنات) الصغيرات وأمثّل في ذهني نفوسهم بالواح صقيلة ترسم فيها هذه النقوش والصور وأنفكر في مغبة هذا الرسم والتصوير، عند ما تعصر الصغيرة ويراهق الصغير. — أنظر الى تلك المقصورات في المقصورات، (أي النساء المحبوسات في الغرف التي يسمونها الالواج) وياليتهن كن من القاصرات، فاني لا أراهن الا يلتمعن التياعا، وتطير نفوسهن شعاعا، ويملن الى محاكاة هؤلاء المائلات المميلات، الكاسيات العاريات، وقد تذكرت حديثاً شريفاً من أعلام النبوة وهو قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: « صنفان من أهل النار لم أرهما — قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات على رؤسهن كأسنمة البُخْت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها

وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » رواه مسلم وغيره وقدم على العلماء قرون لايعرفون تأويله حتى كان منهم من فسر «كاسيات عاريات» بانهن كاسيات من نعم الله تعالى عاريات من شكره وحتى قالوا في معنى «مائلات مميلات» انهن يمشين متبخترات ومميلات لأكتافهن أو انهن يمشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا • وأنت ترى ان الحديث صريح في دولة (الكرباج) القريبة العهد في مصر ودولة التهتك التي لاتزال في نموّ وارتقاء ، بتعزيز الامراء والاغنياء ، ومن أين كان يخطر في بال علمائنا السالفين رضي الله عنهم بل من أين كان يخطر في بال مثلي قبل هذه الليلة ان النساء يلبسن سراويلات حازقة (ضيقة ضاغطة) بلون البدن وغلائل من الشفوف (الثياب الرقيقة) التي لاتحجب ماوراءها ولا يكتفين بذلك حتى يكشفن نحورهن واكتادهن وأيديهن الى الاكتاف ؟ وأما القبعة المرتفعة التي تحكي سنام الجمل فقد رأيناها من زمن بعيد •

هذا ماكنت أحدث به جاراً لي في الجلوس ولعمري انني كنت أتصوراته قلما يخرج رجل متزوج من ذلك المكان وهو راض بحليلته وقلما تخرج امرأة الا وهي مفتونة بهذه الصناعة ، عازمة على تقليد هذا التهتك والخلاعة ، ومن يمتلئ دماغها بهذه الخيالات ، وتنفعل روحها بفعل هاته السيئات ، فهل يحفظ عفتها ، ويحمي صيانتها ، منديل رقيق على أرنبتها ، تلاعبه الأنفاس ،وتخترقه أشعة عيون الناس ،؟؟

عجيب ممن يسمح لأهله بحضور هذه المخازي ، ويغفل عن هذه المغازي ، وعجيب من الذين يدعون الغيرة على الأعراض . كيف تعميهم عن هذه الفضائح الحظوظ والأغراض ، فهم يملأون الصحف تنديداً بكلمة تقال، ثم يحثون الناس على هذه الفعال ، أليس الواجب أن يضرب دون هذه الفضائح الف حجاب صفيق ، اذا وجب أن يكون على فم المرأة منديل رقيق ، بلى ولكن الهوى هو الذي يكتب ويتكلم ، ولهوى النفوس سريرة لاتعلم ،

﴿ مطل قراء الجرائد ﴾

المشتركون في الجرائد هم خواصّ الامة في الفكر والعلم او المتشبهون بالخواص وأعنى بالعلم علم الحياة الاجتماعية وما يتعلق به فانه أعلى العلوم • وأصحاب الجرائد التي

يقصد بها ترقية الامة في حياتها الاجتماعية هم أعلم الناس بحال الامة وبدرجة ترقي الفكر فيها وقوة الحياة أو ضعفها في أفرادها. الكثيرون من هؤلاء الخواص يبذلون كل يوم ما يقدرون على بذله في السفاسف ويصعب على أحدهم أن يبذل في السنة جنيهاً أو نصف جنيه قيمة الاشتراك في الجريدة أو المجلة التي يعتقد منفعتها ، ويشهد بفائدتها ، فاذا خرج منه شيء لايخرج الا نكداً بعد الحاح في الطلب ، ومراوغات في الهرب ، ومنهم من يعتذر بأعذار جديرة بالعظة والاعتبار ، من أغربها معرفة صاحب الجريدة أو ادعاء صحبته !! يقول أحدهم انني لا أدفع قيمة الاشتراك فى هذه الجريدة لانني عرفت صاحبها وصار لي معه صحبة • فهل يحكم هؤلاء على صاحب الجريدة بأن يتخذ نفقاً فى الارض فيتوارى به عن الناس لكيلا يعرفوه ، وأن يقابلهم مقابلة سوأى اذا هو رآهم لئلا يصحبوه . فيكون بذلك جديراً بأن يعطى حقه ، ويعان على عمله ، فلما تروج جريدة فى هذه البلاد اذا لم يكن لصاحبها أصدقاء كثيرون ينوّهون بجريدته ويرغبون الناس فيها فان لم يفعلوا هذا فليسوا بأصدقاء وليت شعري كيف يرضى انسان أن يسن سنة يحرم بها صديقه من منافع كثيرة بل يؤذيه بها ويضره ليوفر على نفسه شيئاً قليلا من المال لايبخل به كريم النفس على غير صديق بغير حق ؟ أعنى بهذه السنة كون الصديق لا يدفع قيمة الاشتراك • فاذا كان لي مائة صديق في مصر فصاحب السنة يوجب علي أن أخسر مائة اشتراك فى كل سنة لاجل أن يوفر هو على نفسه قيمة اشتراك واحد !!! أظن انه لاتوجد لغة ولا عرف يجيزان أن يسمى مثل هذا صاحباً وصديقاً وان فرضنا انه يسعى في نشر الجريدة وترويجها فكيف به اذا كان لايفعل ؟؟

ومن الناس من يمتنع من دفع الاشتراك لأنه كبير يجب التقرب اليه بتقديم الجريدة مجاناً • وكذلك العلماء قلما يوجد فيهم من يدفع قيمة الاشتراك • والفقراء ربما يعجزون وهم أقرب الى العذر الحقيقي • فاذا كان العالم والكبير والصديق لايؤدون هذا الحق فمن ذا الذي يؤديه ؟؟ انهم لايفتكرون فى هذا لان الامة في طفولية فكبيرها صغير وعاقلها أفين وهي لما تعرف معنى الحياة القومية الاجتماعية ومقوماتها ، والحقوق الانسانية وواجباتها ، الا قليلا من أهل الفضل والمروءة يؤدون الحقوق ويسعون فى سبيل المنافع القومية ولكن اذا لم يقدروا على جذب الجماهير ، فياسوء العاقبة وبئس المصير ،

الجزء الرابع والعشرون — المجلد الرابع

المنار

١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر الا أولو الالباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

﴿ قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق ﴾

﴿ مصر في يوم الثلاثاء غرة ذي الحجة سنة ١٣١٩ — ١١ مارث (٢٧ شباط) سنة ١٩٠٢ ﴾

﴿ إصلاح الدولة العلية — رأي يستحق النظر ﴾

ضمنا في هذه الايام سامرٌ من سُمَّار أهل الفضل ومحبي الاصلاح فطفق القوم يتحدثون في شؤن المسلمين في مراكش والجزائر وتونس ومصر والدولة العلية وايران والهند والافغان وبلاد العرب فكان من رأيهم ان المسلمين في كل قطر من أقطار الارض متشابهون في أخلاقهم وأطوارهم وقابليتهم للإصلاح . وان كل ما أصابهم من البلاء والشقاء فهو من أمرائهم وحكامهم لأنهم يخضعون لرؤسائهم خضوعاً أعمى . وأنه متى صلحت حال حكومة اسلامية تصلح بذلك أحوال الأمة التي تحكمها لا محالة . وأن للبلاد العثمانية عامة ولبلاد مصر خاصة مزية لا تشاركها فيها بلاد إسلامية أخرى وهي ان الإصلاح الحقيقي اذا وجد في أحدهما أو كليهما فان أثره يتعدى الى جميع الأمة الاسلامية وبه يكون مجد الاسلام الحقيقي وذلك لاتصالهما بالحرمين الشريفين وكونهما قلب البلاد الاسلامية وتفضل الحكومةُ العثمانيةُ الحكومةَ المصريةَ بأن أكثر المسلمين في العالم يعتقدون أن رئيسها هو خليفة المسلمين وإمامهم الديني وبأنها سيدة مصر وحاكمة

الحرمين الشريفين وبأنها مستقلة استقلالاً يمكنها أن تفعل ما تشاء من الإصلاح بدون سيطرة الاجانب . ونتيجة هذا كله ان الإصلاح الاسلامي اذا التمس من حكومة فانه محصور في الدولة العلية لأن حكومة مراكش في أقصى الاطراف وحكومة الافغان كذلك في طرف بعيد لا تأثير له الا في موضعه وحكومة إيران لا تلتئم مع سائر المسلمين لاختلاف المذهب وبقية البلاد الاسلامية تحت سيطرة الاجانب

ثم أنشأوا يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون ، وهو الاصلاح وإمكانه وكيف يكون ، قالوا إنه ممكن واختلفوا في كونه مرجواً ومأمولا أم لا فقال بعضهم ان الشعب التركي لا يحسن الاستعمار ولذلك بقيت الشعوب التي استولى عليها حافظة لغاتها وتقاليدها وعاداتها حتى كانت كلما آنست من الدولة المتغلبة عليها غرة خرجت عليها وحاولت نبذ سلطتها وما زالت تناوشها وتثور عليها الى ان تمكن أكثرها من الاستقلال بعد ضعفها ولولا أن العنصر العربي أكثره يدين بالاسلام فيرتبط معها برابطة الدين لاستقل دونها كما استقل غيره وكبر جهلا منها أن بقيت متعصبة لجنسيتها التركية فان المسلمين لا رابطة لهم ولا جامعة ولا وحدة الا في دينهم فلو انها ساوت بين التركي والعربي كما ساوى بينهما الدين وعملت لاحياء بلادهم وعمارتها وجعلت لسانها الرسمي لسان القرآن لاستولت بهم على جميع المسلمين وكان لها منهم قوة لا تغالب

كيف يرجى الإصلاح الاسلامي من الترك وأهل الحل والعقد منهم لا يرون لانفسهم صلاحاً الا بتقليد الافرنج في كل شيء والنشء الجديد المتعلم أوربي النزعة في كل شيء حتى في جعل الدين آلة من آلات السياسة

فاذا أتيح لهم أن يحفظوا استقلالهم وتكون لهم حكومة منتظمة وأمة مرتقية فانما يكون ذلك بحصر سلطتهم في البلاد التركية المحضة بأن يجعلوها كأمة من أمم أوربا في جميع شؤنها وأطوارها. واذا هم سلكوا هذا المسلك وارتقوا هذا الارتقاء الجنسيّ على الطريقة الاوربية فلا يمكن أن يكون لهم نفوذ وسلطان في سائر العالم الاسلامي . وهذا سبب من أسباب التنازع المستمر بين مولانا السلطان عبد الحميد وبين النشء التركي الجديد والحق فيه معه وان كان لهم وجه من طرف آخر وهو طلب تقييد السلطة بالشورى والشرع والقانون . وان لي صديقاً من غير هذه البلاد كان ولا يزال يقول ان الترك لا ينقرضون ولا بد أن تكون لهم دولة منتظمة في بلاد الاناضول

وقال آخر : ان دولة الترك بقوتها العسكرية وموقعها الجغرافي وسلطتها الدينية لها تأثير كبير في انعاش قوى المسلمين سواء أحسنت الاستعمار وحكمت الديار أم لا فسقوطها (والعياذ بالله تعالى) يوقع المسلمين في يأس وقنوط ولا يمكن أن يجتمع شملهم بعد ذلك الا بدعوة اسلامية مؤيدة من الله تعالى كدعوة المهدي الذي ينتظرونه وأني لهم بذلك

ثم بعد اتفاق الآراء على ان اصلاح الدولة خير للمسلمين على كل حال خاض القوم في كيفية الاصلاح فذكر بعضهم رأيا ربما ينكره الكثيرون بادي الرأي ويحسبون انه من الخواطر الخيالية التي تسنح للاذهان في بعض الأحيان فيبادر اللسان الى ذكرها إعجاباً بغرابتها . والصواب انه رأيٌ تمخضت به الحلوم لا الأحلام ، وولدته الافكار الصحيحة لا الخيالات والاوهام ، وانني أعرف من دون أصحاب سامرنا الذين وافقوا قائله عليه رجلين من أعلم الناس بالعلم الاجتماعي جزما بصحته

جزما، وقالا بوجوبه حتما،

ذلك الرأي هو تغيير عاصمة السلطنة واستحسن صاحب الرأي ان تكون العاصمة مدينة بورصه وقال ان تغيير البيئة (الوسط) يسهل على الدولة سبيل الخروج من كثير العادات الضارة والتقاليد التى أرهقتها من أمرها عسراً . وقد اعترض بعض السمار على هذا الرأي فأجابه غير واحد بما أقنعه

أما القسطنطينية العظمى فيجب حينئذ أن تكون معسكر الدولة الاكبر، وينبوع قوتها الأغزر، حفظاً لموقعها الحربي وأمنا عليها من اختلاف العناصر وكثرة الاجانب . وأما ما في قصور السلاطين من الذخائر وآنية الذهب والفضة ونحو ذلك فيجب أن يباع منه كل ما لا يعد من الآثار التاريخية التي في حفظها فائدة وتستعين الدولة بذلك على الاصلاح الإداري والحربي فان الشرف الحقيقي خير لها من الشرف الوهمي

استحسن اخواننا السامرون أن نعرض هذا الرأى في المنار على الباحثين في الاصلاح فعرضناه لتصقله الافكار وتستنبط فوائده القرائح حتى اذا ما عنّت الفرصة المناسبة لانفاذه توجهت اليه النفوس وطالبت به الناس عن بينة وبصيرة . ولسنا نعنى ان هذا الانتقال هو عين الاصلاح وإنما نريد انه مقدمة من مقدماته ربما ترتقي الى أن تكون شرطاً يلزم من عدمه عدم الاصلاح ولا يلزم من وجوده وجوده وإنما يسهل سهولة كبرى تكاد تكون سبباً . واننا نعرض على الأفكار ثلاث فوائد إجمالية ونكل التفصيل فيها الى أفكار الباحثين

(الفائدة الاولى) البعد عن تأثير الاجانب وسيطرة السفراء وافتياتهم وهذه الفائدة لا يعرفها حق المعرفة الا الواقف على أحوال الاستانة

وأحوال بلاد الاناضول بحيث يفرق بين طبيعة البيئتين فمن كان يهمه هذا الأمر فليبحث عنه حتى يصيب المطلوب منه . ولعل بعض الباحثين يقول بعد التأمل أن يجب أن تكون العاصمة أبعد عن البحر من بورصه وأشد إيغالاً في البلاد لاسلامية

(الفائدة الثانية) الاقتصاد في المال فان حال أهل الاستانة وتقاليد البيت السلطاني وتقاليد الحكومة تقتضى نفقات عظيمة تذهب بالجزء العظيم من بيت المال ولا سبيل الى تخفيف ذلك الا بالانتقال الى عاصمة أخرى .

(الفائدة الثالثة) ترك التقاليد والعادات والرسوم الضارة والاقتصاد فى الاعمال فان كثيراً من هذه التقاليد حكمت به طبيعة البيئة ومجاراة الغربيين الذين يمازجون الاتراك أشد الممازجة فى هذه المدنية الاوربية ولا يمكن التفصى منها الا بمغادرتها الى بيئة لم يستحوذ عليها التنوق فى الترف والتغالي فى تقاليد المدنية الاوربية . وحسبنا الآن هذا التنبيه والله الموفق

الاسلام والمسلمون

(المقالة الثانية للقس اسحاق طيلر)

كتبها بعد ماجاء مصر ليختبر حال المسلمين اذ قيل له انه مبالغ في مدح دينهم ونشرتها جريدة سنت جمس غازت الانكليزية تحت العنوان المذكور بتاريخ ١٨ افريل سنة ١٨٨٨

انى ذهبت الى مصر أحد أقطار الاسلام ومقصدي الوحيد أن أطلع فى ذلك المكان على الاعمال المجموعة فى القرآن من الآداب والاخلاق والتقوى والمعرفة وأعلم بقدر الإمكان ماهي العقائد الحقيقية المتعلقة بالمسلمين

ذوى التربية . . مالقيت ماذا المقصدي هذا لأني لم أكن مجاهداً لاربح تلامذة .

أقول الحق ان المسلمين تأثروا عما يتهمون به عناداً وان أمرهم الظاهر قد شُبّه على النصارى فكيف نحكم نحن معشر النصارى عليهم بالكفر بعد ان نسمع قولهم لنا « آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن مسلمون » . لماذا يسألوننا تسلطت على قلوبهم حزازة أبدية كهذه (كذا)

انى أقر وأعترف بأني تعجبت غاية التعجب لما رأيت المسلمين راضين بأن يتكلموا معنا عن موضوع عقائدهم وحاضرين للاعتراف بذنوبهم . قال لي أحد علماء الاسلام الذي هو عالم بكتبنا وبالقرآن ككثيرين من أمثاله : نحن لانرى من المعصية البحث في الدين بل هو محبوب عندنا لان الحق انما يظهر به ويتبين الرشد من الني . تعالوا نبحث فى هذه المادة حتى تروا في أي شيء نوافقكم وفى أي شيء نخالفكم عسى أن لا يكون اصلاح ذات البين أمراً صعباً . لاريب انه حدث عندنا ما كان يجب علينا تركه لانا زدنا أشياء كثيرة على ديننا الطاهر الموجود فى كتابنا الالهي . كذلك فعلتم أنتم من قبلنا حتى انقلبت الامور عليكم من تهاونكم فى حفظ الدين عن الشوائب . أكثر عقائدنا الاعتيادية وأعمالنا ليس لها سند من القرآن أكثر مما للنصارى فى أناجيلهم من السند بالنسبة الى سجودهم للتماثيل وعبادتهم لمريم عليها السلام . ان رجعنا الى خالص تعليم نبينا صلى الله عليه وسلم كما فى كتاب الله ورجعتم الى خالص تعليم عيسى عليه السلام وحوارييه كما فى الانجيل الاصلي فلا نجد ما يفرق بيننا وبينكم . مسيحيتكم السابقة ليست مردودة عندنا ولكننا نعتقد ان تعليمات عصر عيسى (عليه السلام) والحواريين غشيتها الاباطيل منذ أيام قسطنطين الاول ورفض تلك الاباطيل

واجب . سيأتى زمان تترك فيه هذه المفاسد كلها ويبقى على الارض دين واحد خالص كل انسان يقدر على قبوله.

انى قبل ذلك كنت قد رأيت القبط فى عبادتهم لمريم واعتكافهم للتماثيل الذين يتعلم منهم المسلمون المصريون عقائدهم المخصوصة المتعلقة بالمسيحية ولذلك ظننت ان صديقي كان مدركا لقضيته وحسب ان الانكليزي المتمدن بالنسبة الى المسلم العاقل مشابه للقبطي الجاهل . لايدخل فى العقل ان نترقب ان المسلمين سيتركون عقائدهم وصور عباداتهم التي تربوا فيها بمحض أمرنا وارادتنا ويقبلون رسومات مرسلي النصارى الضيقة الذين يجتهدون أن يردوهم عن دينهم الى احدى العقائد المتناقضة الموجودة بين الرومانيين أو البروتستانيين . المسلمون يسهل عليهم أن يقبلوا كتب العهد الجديد أو الاناجيل لكن لهم الحق كالبروتستانيين في أن يفسروا أو يأوّلوا تلك الكتب كما يشاؤن وهم يرفضون رفضاً تاماً كل صور العقائد المخترعة كالبنود التسعة والثلاثين المتعلقة بالكنيسة الانكليزية واعتراف الكنيسة الوستمنسترية أو القضايا المثلثة الاسنان وأمثال ذلك

كل مسلم يؤمن بالله الواحد القهار النافذ أمره في السماء والارض وبرسالة عيسى (عليه السلام) الملقب عندهم بالمسيح ومعجزاته ويؤمن بوجوب الصلاة وببقاء النفس فى الآخرة إما فى الرحمة وإما فى العذاب وبالهامية الكتب المنزلة من قبل . أمة محمد (صلى الله عليه وسلم) متقية جداً وبعض أدعيتهم وصور مناجاتهم حسنة للغاية حتى انه لايمكن لاحد من المستحقرين أن يجدفيها كلمة واحدة يعترض عليها وهي أقل صعوبة لكثيرين

منا يوافقونهم فيها من بعض الادعية الشفاهية البروتستانية لله أو الصلوات الرومانية لمريم . خذ الفاتحة مثلا لك وهي دعاء يدعو بها المسلمون ربهم وقت الصلاة أو اقرأ هذا الدعاء . اللهم انصرنا وارحمنا واهدنا الى الصراط المستقيم . انا نؤمن بك ونتوب اليك ونستعينك ونتوكل عليك ونقر بأنك أصل الخيرات كلها انا نشكرلك ولا نزال نرى آلاءك علينا لك نسجد ولا نمشي مع الذين يخالفون ارادتك اللهم اياك نعبد وأمامك نركع وبين يديك نقدم صلواتنا وتسبيحاتنا نسألك من رحمتك ونخاف من غضبك الجدير به المسيئون(١) . دعاء آخر يسمى عندهم دعاء داود النبي وهو هذا : ربّ هب لي من محبتك هب لي أن أحب الذين يحبونك أوزعني أن أعمل صالحاً ترضاه اجعل محبتك أحب الي من نفسي وأهلي وأعز من الغنى والذّ من الماء البارد . لا يصعب ان يؤلف من صحف أدعية المسلمين كتاب صلاة ان لم يذكر مأخذها يكون مقبولا فى البلاد المسيحية

ان كل عقيدة من العقائد الاسلامية قد أخذ بها بعض الاحزاب المسيحية والمؤلفين المسيحيين . مثلا المسلمون كلهم من دون مضايقة لا يقدرون ان يقبلوا توصيف الله الموجود لدى الكنسة الوستمنسترية واعتقادهم بمسألة التقدير وافتدار الله تعالى كاعتقاد القسيس كالفين فى ذلك .

---

(١) هكذا عربت عبارته الانكليزية والظاهر انه اخذ هذا من دعاء القنوت المأثور وهو « اللهم انا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك ونثني عليك الخير كله . نشكرك ولا نكفرك . ونخلع ونترك من يفجرك . اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد . واليك نسعى ونحفد . نرجو رحمتك ونخاف عذابك ان عذابك الجد بالكفار ملحق » نحفد نسرع وملحق بكسر الحاء بمعنى لاحق . وانما أوردته لانه اشتهر عند بعض اصحاب المذاهب دون بعض

ورأيهم فى المؤاخاة الايمانية عين رأى الوسليين . وفى مسألة القداسه والكهنوت او الامامة هم يشابهون الهزهازيين ومستر بريت . وفى مسألة التثليث رأيهم كرأي الموحدين منا ومستر شمبرلين . وفي العشر والزكاة مذهبهم مذهب لوردسلبورن ومستر برست فوردهوب . وعقيدتهم فى الوحى والالهام عين عقيدة الحبر الشستري وأفكارهم فى عذاب الآخرة كأفكار دوكتر بوسى وبالنسبة الى دوامه يميلون الى عقيدة ارشديقون فراد وهم أسرع من بعضنا فى قبول عقائد دوكتر كمينك فى مجيء عيسى الثانى او فى قبول عقيدة القسيس بودى فى أعمال الملائكة فى الارض . لهم الوفاق التام مع أحسن الالهيين الانكليز فى ان المقصود من الصلاة ليس ان نتبع ارادة الله لارادتنا بل ارادتنا لارادته . ان مرسليهم ودعاتهم وهم اكثر شرفا من جند النصرة بيننا كحزب الجنرال بوذينادون بتعليم واحد مخصوص وهو الخلاص بالايمان ويصرون فى ايجاب عمل واحد وهو الامتناع عن السكر . مامن عقيدة من عقائد الاسلام الا ونراها قد تمسك بها بعض الذين يسمون عندنا مسيحيين وما يمكن أن نرى أحداً من المسلمين قد تمسك بمفتريات او أباطيل كثيفة كالموجودة بين فلاحي جنوبي ايطاليا .

فى المسائل المختلف فيها بيننا وبينهم يستدل المسلمون لها بالكتب المقدسة العبرانية فى اثبات حقية عقائدهم وأعمالهم . مثلا هم يثبتون اباحة تعدد الزوجات وأخذ الاماء الواردة فى القرآن بما فعل داود وسليمان ويعقوب وابراهيم والانبياء العظام اولو الاحترام عليهم السلام . وان لمتهم على الاسترقاق اجابوك كالامريكانيين المستعبدين فى ايامنا ان ذلك غير منهي عنه حتى فى الاناجيل لان فليمون كان مالك

عبد أبق منه الى القديس بولس وهو رده الى مولاه وكان يأمر العبيد ان يكونوا خاضعين لساداتهم. لكنهم مع كونهم متمسكين بتعدد الزوجات وبنكاح الاماء والاسترقاق لانها غير منهيٍ عنها فى القرآن والتوراة وكذا الانجيل فعدد كثير منهم يعتقدون بالجزم انها غير مفيدة اى لعدم تحقق شروط اباحة تعدد الزوجات الآن من العدل بينهن والتسوية الخ

أما الحروب المقدسة الاولى التى حصل منها ظفر المسلمين فهم يبرهنون عليها محتجين بما فعل بنو اسرائيل فى فتح كنعان ويسألوننا: أما كان الخلفاء ارحم من يوشع بن نون عليه السلام او من صموئيل النبي عليه السلام حين امر بقتل اجاج والعمالقة أو من الياس النبى عليه السلام اذ قتل اربعمائة وخمسين كاهناً لبعل وان اعترضت عليهم ان هذه الوقائع انما هى مذكورة فى تاريخ اليهود أجابوك بان تاريخ النصارى لايخلو أيضاً من الحروب الدينية أو ان الدين المسيحي انتشر بالسيف . يصعب على الانسان أن يجد فى تاريخ الاسلام ما يساوي استئصال الجبليين على يد البوسطانيين اوتعميده الاجبارى لسبعين الف وثني فى اسيا الصغرى . او نأتى الى زمان أقرب ونقول لا يمكن أن يلام الاسلام على تعديات فظيعة مثل ما ارتكب اينوسنت الثالث على الالبيجيين أو كقتال سنت برتالمو او كمحاربات شارلمين الاستئصالية للسكسونيين او كاجلاء المغربيين والمورسقين من اسبانيا او كتعديات الاعصر الوسطى على اليهود . فلنقس قتل الصليبيين لعشرة آلاف من المسلمين حين سخروا تلك البلدة أو قتل سبعين الف نفس من المسلمين حين فتح كودفرى دى بويلون لاورشليم بالرحمة التى اظهرها عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) حين فتحها المسلمون أول مرة أو حينما استردها

صلاح الدين من الصليبيين ثانى مرة . ما أكبر الفرق! المسلمون يدعون — وأنا افتكر انهم على الحق — ان تواريخهم اقل تلويثاً بالدماء من تواريخ النصارى . وان قلت ان الصليبيين قد مضى تاريخهم قالوا وكذا مضى تاريخ الهلاليين

لكن هذه المسائل التى فاتت فوت العمد من فكر القسيس مكوم مكول نتركها له ان يشتغل بها فى مقالته الآتية التى سيكتبها فى الاسلام والتمدن فى جريدة كونتمبورى . انى اقر بانى احب كثيراً ان اكون حاضرا حين وقوع البحث بين ذلك المجادل الماهر وبعض خلانى المسلمين الذين لا يكونون اقل مهارة منه ولا ادنى علماء الشرف المقسوم فى ظنى متوقف على فصل القاضي بين الخصمين

هناك تهمة أخرى وهى ان الاسلام غير متقدم . لكن هذا شئ يمكن القول به في حق كل الاديان الشرقية . وهى مسألة جنسية أو اقليمية لا دينية . الكنيسة القبطية أبطأ في تقدمها من الاسلامية — كتب صلواتهم وسبك عباداتهم وترتيب سعيهم هى عين ما كان فى القرن الثالث من دون أدنى تغير . فى ظنى ان التقدم بين القبط هو اقل جداً مما حصل بين المسلمين . ومثل ذلك يقال في الهنود واصحاب بدها واتباع كونفوسيوس وغيرهم لعل أهل الشرق مبرؤن من حرصنا . لكن القسيس ملكوم مكول لا يحسب هذا شيئاً وينسب الفرق الى الدين ويوضح الكل بفرضه ان كل تقدم للمسلمين خارج عن دائرة القرآن نوع من الكفر (أى على زعمه) . سلمنا ان هذه عقيدة القسيس ملكوم مكول . لكنها ليست من عقائد المسلمين انفسهم . هم يقرون علانية انهم كسائر الشرقيين متأخرون فى

اكتساب العلوم الجديدة لكنهم يفتخرون بتلك النهضة العلمية المتعلقة بايام العرب المضيئة . والرغبة الى التقدم والتربية ليست عندهم من النوادر

ان شيخ مدرسة الازهر الذى مقامه كمقام الويس شنسلر فى مدارسنا الكلية سأل وزير المعارف فى مصر حديثاً أن يهيء وسيلة لتربية الفٍ ومائتين من تلامذة العلوم الالهية فى الفنون الدنيوية . سمعت من محمدي عالم كان مدرساً في احدى مدارس الحكومة انه ذات يوم أعلن في بعض الجرائد الوطنية أن له النية أن يعطي درساً لبعض تلامذة مدرسة الازهر وفى أسبوع واحد جاء أكثر من ستمائة طالب يستأذنونه بالدخول فى الصف

لعل التعليم الانفع لهؤلاء التلامذة معرفة التواريخ لكن الصعوبة في هذه هى عدم وجود كتب متينة صالحة تحكى عن الدينين بروح الانصاف والمحبة . سألت يوماً تلميذاً من تلامذة الازهر هل قرأت كتب التواريخ . قال نعم عندي كتاب لكني لا أحبه قلت له لماذا أجاب لانه يتهضم نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله الباطل انه كان مفترياً . ظهر ان الكتاب كان عمل بطرس بادلى وهب له من أحد المرسلين الامركانيين فلا عجب انه لم يحبه . هل نحب نحن أن يهب المرسلون الاسلاميون كتباً لتلامذة مدارسنا الالهية مكتوباً فيها ان مؤسس بنيان المسيحية كان مفتريا

اني أترك لمقالتى الآتية بيان المذاكرة في موضوع دين المسيح وذكر رغبة كثير من المسلمين فى اصلاح الحال حتى قال لي أحدهم لا يبعد ان يحصل بين المسيحيين والمسلمين مودة تامة وتماسٌ بايدي الصداقة والاخوة وزوال أسباب الحرب ان شاء الله

اسحق طيلر

القسم الديني

﴿باب تفسير القرآن الحكيم﴾

مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمدعبده مفتي الديار المصرية في الازهر

الذينَ ينقُضونَ عهدَ اللهِ من بعْدِ ميثاقِه ويقطعُونَ ما امرَ اللهُ به ان يوصلَ ويُفسدُونَ في الأرْضِ اوُلئكَ هُم الخاسرون

وصف الضالين بالفسوق ثم بين من حال فسوقهم نقض العهد الموثق وقطع ما يجب أن يوصل والافساد في الأرض وسجّل بذلك عليهم الخسران وحصرهم فى مضيقة ، بحيث لا يسلم منه الا من رجع عن فسوقه

أما العهد فلفظ مجمل لم يتقدم الآية ما يشعر به ولم يتلُ فيما تلاها ما يبينه . وكذلك ما أمر الله به أن يوصل ليس فى سابق الآية ولا في لاحقها ما يفسره ويبين المراد منه . فما هو المعنى الذي يتبادر منه الى أفهام المخاطبين ، ويصح أن يؤخذ من حال اؤلئك الفاسقين ، الذين أنكروا على الله أن يضرب مثلا يقتدى به من البشر أو من العرب او أنكروا الوحي أن جاءت فيه الامثال القولية بما يعد حقيراً من المخلوقات فى عرف المتظرفين منهم ؟ دل ذكر العهد والسكوت عما يفسره واطلاق ما أمر الله به بدون بيان ما يفصله على ان الله تعالى ماوصفهم الا بما هم متصفون به ولا حاجة الى بيان المجمل بالقول اذا كان الوجود قد تكفل ببيانه ، والواقع قد فسره بلسانه

يرشد الى فهم العهد الالهيّ هنا ماقلناه فى معنى الفسوق فان الفاسقين هم « الذين ينقضون عهد الله » فاذا كان معنى الفسوق الخروج عن سنن

الله تعالى في خلقه التي هداهم اليها بالعقل والمشاعر وعن هداية الدين بالنسبة الى الذين أوتوه خاصة فعهد الله تعالى هو ما أخذهم به بمنحهم ما يفهمون به هذه السنن المعهودة للناس بالنظر والاعتبار والتجربة والاختبار أو العقل والحواس المرشدة اليها وهي عامة والحجة بها قائمة على كل من وهب نعمة العقل وبلغ سن الرشد سليم الحواس ونقضُه عبارة عن عدم استعمال تلك المواهب بها استعمالا صحيحاً حتى كأنهم فقدوها وخرجوا من حكمها كما قال تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون » وكما قال فيهم أيضاً « صم بكم عمي فهم لا يعقلون » — هذا هو القسم الاول من العهد الالهي وهو العام الشامل والاساس للقسم الثاني المكمل الذي هو الدين فالعهد فطري خلقي وديني شرعي فالمشركون نقضوا الاول وأهل الكتاب نقضوا الاول والثاني جميعاً وأعني بالناقضين من أنكر المثل من الفريقين .

والميثاق اسم لما يوثق به الشيء ويكون محكماً يعسر نقضه . وان الله تعالى قد وثق العهد الفطري بجعل العقول بعد الرشد قابلة لادراك السنن الالهيـة في الخلق ووثق العهد الديني بما أيّد به الانبياء من الآيات البينات ، والاحكام المحكمات . وقد وثق العهد الاول بالعهد الثاني ايضاً فمن أنكر بعثة الرسل ولم يهتد بهديهم فهو ناقض لعهد الله فاسق عن سننه في تقويم البنية البشرية وانمائها وابلاغ أعضائها حد الكمال الانساني

وأما قطع ما أمر الله به أن يوصل ففيه من الاجمال نحو ما في نقض العهد وليس هو بمعناه على طريق التأكيد وإنما هو وصف مستقل جاء متمماً لما سبقه . والامر نوعان أمر تكوين وهو ما عليه الخلق من النظام

والسنن المحكمة وقد سمّى الله تعالى التكوين أمراً بما عبر عنه بقوله (كن) وأمرُ تشريع وهو ما أوحاه الى أنبيائه وأمر الناس بالاخذ به. ومن النوع الاول ترتيب النتائج على المقدمات، ووصل الأدلة بالمدلولات، ومعرفة المنافع والمضارّ بالغايات، فمن أنكر النبي بعد ما قام الدليل على صدقه، أو أنكر سيطرة الله على عباده بعد ماشهدت له بها آثاره فى خلقه، فقد قطع ما أمر الله به أن يوصل بمقتضى التكوين الفطري. وكذلك من أنكر شيئاً مما علم انه جاء به الرسول لانه ان كان من الأصول الاعتقادية ففيه القطع بين الدليل والمدلول وان كان من الاحكام العملية ففيه القطع بين المبادئ والغايات لان كل ما أمر الدين به قطعاً فهو نافع ومنفعته تثبتها التجربة وكل ما نهى عنه حتما فلا بد أن تكون عاقبته مضرة . فالذين ينقضون عهد الله بعد ميثاقه هم الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل بغايته أما بالنسبة الى الايمان بالله تعالى وبالنبوة فيقطعون ما أمر به بمقتضى التكوين والنظام الفطري وأما بالنسبة الى الاحكام فيقطعون ما أمر به في كتبه أمر تشريع وتكليف

اذا كان مشركو العرب قد نقضوا عهد الفطرة وقطعوا ما أمر الله به أن يوصل بمقتضاها بتكذيبهم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالمكذبون من أهل الكتابين قد قطعوا صلات الأمرين كما نقضوا العهدين فان الله تعالى قد بشرهم فى الكتب المنزلة على أنبياءهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لأنه ذكر للمبشر به صفاتٍ وأعمالاً وأحوالاً تنطبق عليه أتم الانطباق فحرفوا وأوّلوا واجتهدوا فى صرفها عنه وهم متعمدون «وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» ومنهم من يحمل تلك الصفات والعلامات

على غيره ومنهم ينتظر مبعوثاً آخر يجيء به الزمان

التعبير بالقطع هنا أبلغ من التعبير بالنقض ولذلك جاء بعده متمماً له كأن عهد الله تعالى الى الناس حبل محكم الطاقات موثق الفتل وكأن هذا الحبل قد وَصَلَ بحكمة أمر التكوين وحكم أمر التشريع بين جميع المنافع التي تنفع الناس فلم يكتف أولئك الفاسقون المنكرون للمثل الذي ضربه الله لعباده بنقض حبل العهد الالهي وحلّ طاقاته ونكث فتله حتى قطعوه وأفسدوا بذلك نظام الفطرة ونظام الهداية الدينية ولذلك عقّب القول بقوله « ويفسدون فى الأرض » وأيّ إفساد اكبر من إفساد من أهمل هداية العقل وهداية الدين . وقطع الصلة بين المقدمات والنتائج وبين المدلولات والمطالب والادلة والبراهين. من كان هذا شأنه فهو فاسد فى نفسه ووجوده فى الارض مفسد لأهلها لأن شره يتعدى كالاجرب يعدي السليم ولذلك ورد فى السنة النهي عن قرناء السوء والمشاهدة والتجربة مؤيدة للسنة ومصدقة لها خصوصاً اذا قعدوا فى سبيل الله يصدون عنها ويبغونها عوجاً فان فسادهم يكون أشد انتشاراً وأشمل خساراً

ولما كان إفساد هؤلاء عاماً للعقائد والاخلاق والأعمال لان علته فقد الهدايتين هداية الفطرة وهداية الدين سجّل عليهم الخسران وحصره فيهم بقوله « اولئك هم الخاسرون » بالخزي فى الدنيا والعذاب فى الآخرة أما خسرانهم فى الدنيا فهو ظاهر لارباب البصائر الصافية والفضائل السامية ولكنه يخفى على الاكثرين ، بالنسبة الى الاغنياء من أولئك الخاسرين ، يرونهم متمتعين بلذات الدنيا وشهواتها فيحسبون أنهم مغبوطون سعداء فيكون هذا الحسبان من آلات الافساد . ولو سبروا اغوارهم ، وبلو

أخبارهم ، لادركوا ان ما هم فيه من ظلمة النفس وضيق العطن وفساد الاخلاق ينغص عليهم اكثر لذاتهم ويقذف بهم الى الافراط الذى يولد الامراض الجسدية والنفسية ويثير فى نفوسهم كوامن الوساوس ويجعل عقولهم كالكرة تتقاذفها صوالجة الاوهام . وان حب الراحة يوقعهم فى تعب لا نهاية له وهو تعب البطالة والكسل أو العمل الاضطراري ومن لا يذوق لذة العمل الاختياري لا يذوق لذة الراحة الحقيقية لان الله تعالي لم يضع الراحة فى غير العمل . وانما سعادة الدنيا بصحة الجسم والعقل وأدب النفس الذى يرشد اليه الدين فمن فقد هذه الاشياء فقد خسر الدنيا والآخرة و « ذلك هو الخسران المبين »

﴿ باب الأخبار النبوية وسيرة السلف الصالح ﴾

(القضاء فى الاسلام — الترغيب والترهيب)

(١) قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : « القضاة ثلاثة واحد فى الجنة واثنان فى النار فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به . ورجل عرف الحق وجار فى الحكم فهو فى النار ورجل قضى للناس على جهل فهو فى النار » . ومن أجدر بالنار ممن يقضي بغير الحق فيضيع على الناس حقوقهم بجهله أو بهواه ؟ . والحق هو ما كان عليه الأمر في نفسه فالمبطل من الخصمين من يخفيه والمحق من يطلب إظهاره وإصابتُه فى الحكم هي العدل فالحق والعدل لايعرفان من كلام المصنفين والمؤلفين وانما كلام

(١) رواه ابو داود وابن ماجه وغيرهما عن بريدة وله الفاظ أخرى

العلماء يبصر القاضي ويهديه الى طريق الحق وهو يصل اليه باجتهاده وتحرّيه وتوفيق الله تعالى . واستدلوا بالحديث على أن القاضي لا يكون الا رجلا

و(٢) (٣) عن أبي ذرّ رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله ألا تستعملني قال فضرب بيده على منكبي ثم قال : « يا أبا ذرّ إنك ضعيف وإنها أمانة وانها يوم القيامة خزيٌ وندامة الا من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها » وفي حديث آخر انه قال له « يا أبا ذر اني أرك ضعيفاً واني أحب اليك ما أحب لنفسي لا تأَمَّرنّ على اثنين ولا توَلَيَنَّ على يتيم » في الحديث دليل على أن الضعيف لا يولَّى القضاء والضعف على اطلاقه فيشمل ضعف الرأي وضعف العزيمة والارادة وضعف النفس بأن يكون ممن يغلب عليه الخجل والحياء من الصدع بالحق أو يكون سريع التأثر والانفعال قريب الانخداع ومن الضعف ان يكون مهيناً عند الناس غير محترم ولا موقر لحال فيه تقتضي ذلك كالافراط في الدعابة والالمام بالخسائس والمحقرات

(٤) وقال صلى الله عليه وسلم « من جُعِلَ قاضياً بين الناس فقد ذبح بغير سكين » . الحديث تمثيل لخطر المنصب وحرج الموقف فان القاضي اذا جار وظلم كان له الخزي وسوء الاحدوثة في الدنيا وسخط الله وعقوبته في الآخرة وإن عدل أسخط نصف المتقاضين كما قيل

ان نصف الناس أعداء لمن وُلِّيَ الاحكام هذا ان عدل

(٢ و٣) رواهما احمد ومسلم (٤) رواه أحمد وأصحاب السنن الا النسائي عن أبي هريرة ورواه غيرهم أيضاً

هكذا حمل أكثر العلماء الحديث على التنفير من القضاء وبيان الخطر فيه وقالوا ان قوله « بغير سكين » تهويل للذبحة وبيان لشدتها لان أهون الذبح ما كان بسكين فان كان بمحدد آخر كالظرّان كان أشبه بالخنق وسخروا من قاض قال ان ذلك اشارة الى الرفق واراحة المذبوح . ولهذا الحديث وأمثاله كان أهل الدين والورع من السلف يتحامون القضاء ويفرون منه فكان ذلك سبباً في جعل هذا المنصب المعظم في أهل الطمع والدهان للامراء والسلاطين وكانت هذه السنة من أقتل أمراض المسلمين، وأفتك ادوائهم فى الدنيا والدين

وحمل أبو العباس أحمد بن القاص الحديث على جهاد النفس وترك الهوى وقال انه لايفيد كراهية القضاء وذمه واستشهد لذلك بأحاديث ذكر فيها الذبح وأطال في بيان ذلك وأيده بما ورد فى تعظيم شأن الحكم بين الناس في الكتاب والسنة وانه وظيفة الانبياء عليهم السلام وذكر من ولي القضاء من الصحابة عليهم الرضوان . ولا حاجة الى هذا كله في تأويل الحديث فان الترهيب له أهل وقد علم قاضي الجنة من قاضي النار وقال (ص) : « من ابتغى القضاء وسأل فيه الشفعاء وكل الى نفسه ومن أكره عليه أنزل الله عليه ملكا يسدّده »[٥] . وفي حديث الصحيحين الوارد في مطلق الامارة لم يشترط الاكراه عليها وهو قوله صلى الله عليه وسلم « ياعبد الرحمن بن سمرة لاتسأل الامارة فانك ان أعطيتها من غير

(٥) رواه ابو داود والترمذى عن أنس وقال حسن غريب وفي رواية «واستعان عليه بدل « وسأل فيه الشفعاء . وبدل كلمة الاكراه «ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه» ويشهد لها حديث الصحيحين

مسئلة أعنت عليها ، وان أعطيتها عن مسئلة وُكِلتَ اليها ، » وهذا الاطلاق هو الظاهر وتؤيده الرواية الاخرى لأن الذين يتهافتون على القضاء والامارة هم الذين يبتغون بالمناصب المال والجاه لا إقامة العدل وتعزيز الحق ولذلك يطلبونها بالشفعاء وقلما يسأل المستعد للشيء الطالب للحق شفيعاً يوصله اليه لأنه يعتمد فى الغالب على استعداده الا اذا كان في أمة وحكومة ضاع الحق بينهم وحينئذ يفضل البعد والهرب من المناصب غالبا

وقال (ص) ان الله مع القاضي مالم يحِفْ عمداً » (٧) وقال (ص): « ان الله مع القاضي مالم يجُرْ فاذا جار تبرأ الله منه ولزمه الشيطان » ونكتفي بهذا القدر من أحاديث الترغيب والترهيب فمقام القضاء مقام رفيع وعلى قدر الارتفاع يكون خطر السقوط . وسيأتي بيان آدابه وأحكامه فى الاجزاء التالية ان شاء الله تعالى

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

خبر سلمان الفارسي واسلامه رضي الله عنه (*)

روى ابن أبي شيبة في مسنده عن سلمان رضى الله عنه أنه قال : كنت من أبناء أساورة فارس وكنت في كتّاب ومعي غلامان وكانا اذا رجعا من عند معلمهما أتيا قسيّساً فدخلا عليه فدخلت معهما فقال ألم أنهكما أن

(٦) أحمد عن معقل بن يسار والطبراني عن ابن مسعود (٧) الترمذى وابن ماجه وابن حبان وغيرهم عن عبد الله بن أبى اوفي (*) ذكرنا في هذه المرة الآثار في غير معنى الاخبار النبوية وسنعود الى طريقتنا الاولى في الأجزاء التالية

تأتياني بأحد فجعلت اختلف اليه حتى كنت أحب اليه منهما فقال لي اذا سألك أهلك عن حبسك فقل معلمي واذا سألك معلمك فقل أهلي . ثم انه أراد أن يتحول فقلت له أنا أتحول معك فتحولت معه فنزلت بقرية فكانت امرأة تأتيه . فلما حُضِرَ (٢) قال يا سلمان احضر عند رأسي فحضرت عند رأسه فاستخرجت جرّة من دراهم فقال صبها على صدري فصببتها على صدره فكان يقول « ويل لاقتنائي » ثم إنه مات فقلت للرهبان من لي برجل عالم اتبعه فدلوني على رجل فأتيته فقلت ما جاءني الا طلب العلم قال فاني والله ما أعلم اليوم رجلا أعلم من رجل خرج بأرض تيماء وإن تنطلق الآن توافقه وفيه ثلاث آيات يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وعند غضروف كتفه اليمنى خاتم النبوة مثل بيضة الحمامة لونها لون جلده فانطلقت حتى مررت بقوم من الاعراب فاستعبدوني فباعونى حتى اشترتني امرأة من المدينة فسمعتهم يذكرون النبي صلى الله عليه وسلم فقلت لها هبي لي يوماً قالت نعم فانطلقت فاحتطبت حطباً فبعته وصنعت طعاماً فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم وكان يسيراً فوضعته بين يديه فقال : ما هذا ؟ قلت صدقة فقال لاصحابه « كلوا » ولم يأكل قلت هذا من علامته . ثم مكثت ما شاء الله ان أمكث ثم قلت لمولاتي هبي لي يوماً قالت نعم فانطلقت فاحتطبت حطباً فبعته باكثر من ذلك وصنعت طعاماً فاتيت به النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس بين أصحابه فوضعته بين يديه فقال : ماهذا ؟ قلت هدية فوضع يده فقال لاصحابه « خذوا بسم الله » وقمت خلفه فوضع رداءه فاذا خاتم النبوة فقلت أشهد انك رسول الله . قال وما

---

(٢) حضر واحتضر مجهول أي حضره الموت

ذاك فحدثته عن الرجل ثم قلت: أيدخل الجنة يا رسول الله فانه حدثني انك نبي « قال: لن يدخل الجنة الا نفس مسلمة »

وفي كتاب محاضرة الابرار ومسامرة الاخيار المنسوب للشيخ محي الدين بن عربي بعد ذكر الاسانيد ما نصه:

« عن ابن عباس قال حدثني سلمان قال كنت رجلا فارسياً من أهل أهل أصبهان من قرية يقال لها (جي) وكان أبي دهقان في قريته وكنت من أحب الخلق اليه فما زال حبه إياي حتى حبسني في بيت كما تحبس الجارية وكنت قد اجتهدت مع المجوسة حتى كنت قَطِنَ النار أوقدها لا أتركها تخبو ساعة اجتهاداً في ديني وكان لابي ضيعة في عمله وكان يعالج بيتاً له في داره فدعاني فقال: أي بنيّ انه قد شغلني بنياني كما ترى فانطلق الى ضيعتي هذه ولا تحتبس عليّ فانك إن احتبست عليّ كنت أهم اليّ من ضيعتي ومن كل شيء وشغلتني عن كل شيء من أمري . قال فخرجت أريد الضيعة التي بعثني اليها فمررت بكنيسة من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم وهم يصلّون وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ماذا يفعلون فلما رأيتهم أعجبتني صلاتهم ورغبت في أمرهم فقلت والله هذا خير من الدين الذي نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غابت الشمس وتركت ضيعة أبي فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين فقالوا بالشام

قال: ثم رجعت الى أبي وقد بعث في طلبي فشغلته عن عمله كله فلما جئته قال يابني أين كنت ألم أكن عهدت اليك ما عهدت ؟ قال قلت يا أبي مررت بناس يصلون في كنيسة لهم فأعجبني ما رأيت من دينهم

فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال أبي : اي بنيّ ليس في ذلك الدين خير بل دينك ودين آبائك خير . قلت كلا والله انه لخير من ديننا . قال نخافني وجعل في رجلي قيداً ثم حبسني في بيتي

قال : وبعثت الى النصارى فقلت ان قدم عليكم ركب من الشام فاخبروني . فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فأخبروني قلت اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم اعلموني بهم . قال فالقيت الحديد من رجلي ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام . قلت من أفضل هذا الدين علما قالوا الاسقف في الكنيسة فجئته فاعلمته انى قد رغبت فى هذا الدين واكون معك أخدمك فى كنيستك وأتعلم منك وأصلي معك قال فافعل وادخل فدخلت معه فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا له شيئاً كنزه لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً فما لبثت أن مات فعرفت النصارى بأمره قالوا وما علمك بذلك قلت أنا أدلكم على كنزه فأريتهم موضعه فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وفضة وورقاً فلما رأوها قالوا والله لاندفنه وصلبوه ثم رموه بالحجارة

ثم جاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه فما رأيت رجلا فى ملته أفضل منه وأزهد في الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ونهاراً قال فاحببته حباً لم أحب شيئاً كان مثله فأقمت معه زماناً ثم حضرته الوفاة . قلت له يا فلان انى كنت معك وأحببتك حباً لم أحب شيئاً كان قبلك مثله وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى فالى من تامرني ألحق به قال يابني والله ما اعلم أحد اليوم على ما كنت عليه لقد هلك الناس وبدلوا كثيراً ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه

فالحق به . فلما غيّب لحقت بصاحب الموصل فقلت يافلان ان فلاناً اوصانى عند موته ان الحق بك وأخبرنى انك على أمره . فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث ان مات فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان ان فلاناً أوصاني اليك وأمرني باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ما ترى فالى من توصيني قال والله اني ما أعلم رجلا على ما كنت عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيّب لحقت بصاحب نصيبين فجئته وأخبرته خبرى وما أمرني به صاحبي فقال أقم عندي فوجدته على أمر صاحبه فأقمت معه فكان خير رجل فوالله ما لبث ان نزل به الموت فلما حضرته الوفاة قلت يا فلان ان فلاناً أوصاني الى فلان وأوصاني فلان اليك فالى من توصيني وما تأمرني . قال أي نبي ما أجد أحداً بقي على أمرنا آمرك أن تأتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل أمرنا فان أحببت فأته فلما مات وغيّب لحقت بصاحب عمورية وأخبرته خبري فقال أقم عندي فأقمت عنده فوجدته خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم

قال : ثم اكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ثم نزل به أمر الله تعالى فلما حضرته الوفاة قلت له يا فلان اني كنت مع فلان فأوصاني الى فلان ثم أوصاني فلان الى فلان ثم أوصاني فلان اليك فالى من توصيني وتأمرني قال أي بنيّ والله ما أعلم على ما كنا عليه أحدا من الناس آمرك أن تأتيه ولكن قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا الى أرض بين الحرتين بها نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة بين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق

بتلك البلاد فافعل

ثم مات وغُيب ومكثت بعمورية ماشاء الله ان أمكث ثم مرّ بي نفر من كلب تجار فقلت أتحملوني الى أرض العرب وأعطيكم بقري هذا وغنيمتي هذه فاعطيتهم اياها وحملوني معهم حتى اذا قدموا بي وادى القرى ظلموني وباعوني من رجل يهودي فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت ان يكون البلد الذى وصفه لي صاحبي فبينما أنا كذلك اذ قدم ابن عم له من المدينة من بني قريظة فابتاعني منه وحملني الى المدينة فوالله ماهو الا ان رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بمكة ما أقام لاأسمع له بذكر على ما أنا عليه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فبالله اني لفي رأس عذق لسيدي اعمل فيها بعض عمله وسيدي جالس تحتي اذ أقبل ابن عم له فوقف عليه فقال يافلان قاتل الله بني قيلة والله أنهم الآن مجتمعون بقبا على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعم انه نبي . قال فلما سمعتها أخذتني العرواء حتى ظننت أني ساقط على سيدي فنزلت عن النخلة وجعلت أقول لابن عم سيدي ماتقول فغضب سيدي فلطمني لطمة شديدة ثم قال لي مالك ولهذا أقبل على عملك قلت لأي شئ اردت تستبين عماقال . وكان عندي شئ قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت المسجد عليه فقلت له بلغني انك رجل صالح معك أصحاب لك غرباء ذو وحاجة وهذا شئ عندي للصدقة فرأيتكم احق به من غيركم ثم قربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا وأمسك يده ولم يأكل فقلت في نفسي هذه واحدة

ثم انصرفت عنه فجمعت شيئاً لما تحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجئته فقلت له أني رأيتك لاتأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها . فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أصحابه فأكلوا معه . فقلت في نفسي هاتان ثنتان

ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد تبع جنازة رجل من أصحابه عليه شملتان فسلمت عليه ثم استدبرته انظر الى ظهره هل ارى الخاتم الذي وصف لي صاحبي فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف أني استثبت في شئ وصف لي فألقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فأكببت عليه أقبله وأبكي . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين

يديه فقصصت حديثي كما حدثتك يا ابن عباس فاعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يسمع أصحابه

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كاتب ياسلمان » فكاتبت صاحبي على ثلاثمائة نخلة احيها بالفقر وباربعين اوقية من ذهب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعينوا أخاكم » فأعانوني بالنخل الرجل بثلاثين والرجل بخمسة عشر والرجل بقدر ماعنده حتى جمعوا ثلاثمائة ودية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أذهب ففقّرها فاذا فرغت اكون أنا أضعها بيدي » قال ففقرت لها فأعانني أصحابه حتى اذا فرغت جئته فاخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معي اليها فجعلنا نقرب له الوديّ ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة حتى فرغنا فوالذي نفس سلمان بيده ما مات منها ودية واحدة . فأديت النخل وبقي عليّ المال فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب فقال : مافعل الفارسي المكاتب ؟ فدعيت له فقال « خذ هذه فادها بما عليك ياسلمان » قلت ما تقع هذه يارسول الله مما عليّ ؟ قال « خذها فان الله سيؤدي بها عنك » فاخذتها فوزنت لهم منها والذي نفسي بيده اربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتق سلمان فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق واحداً ثم لم يفتني اه

(تفسير الغريب) قوله : قَطِن النار قال شمر أي خادمها وخازنها وقال ابن الاثير اراد انه كان ملازما لها ويروى بفتح الطاء جمع قاطن . فَقَر الارض وفقّرها حفرها والفقير حفير يحفر حول الفسيلة اذا غرست . وفقير النخلة حفيرة تحفر للفسيلة اذا حولت لتغرس فيها وفي الحديث قال لسلمان اذهب ففقر الفسيل أي احفر لها موضعاً تغرس فيه . الودية فسيلة النخل جمعها ودي اه لسان العرب والعُرَواء رعدة تأخذ الانسان عند الحمى والفزع ونحو ذلك

(المنار) اوردنا هذه الرواية بطولها اجابة لرغبة بعض الفضلاء ولأنها ممثلة للانحراف عن الدين كيف يكون في الامم حتى يبقى المستمسكون بالحق معدودين يعرف بعضهم بعضاً على تنائي الدار ولا يعرفهم سائر الناس بخصوصيتهم . وفي هذا عبرة للذين يعرفون الحق بكثرة القائلين ، ان كانوا بمثله معتبرين ،

باب التربية والتعليم

تعليم السباحة . وتربية العضلات (*)

(المكتوب ٣٧) من هيلانه الى اراسم في ١٤ يوليه سنة — ١٨٥

لقد زها « اميل » بالمكتوب الذى ارسلته اليـه وأعجب به اعجاباً كثيراً وكان فيما رأيته شديد الحنق من عجزه عن قراءته بنفسه وهو على انتظاره بلوغ اهلية الترسل قد طلب الىّ أن اكتب اليك بما لقفناه من أخبار حادثة الغرق بعد الذى أخبرناك به فأقول : قد ابتلي ملاحو السفينة بضروب المحن وأنواع الشدائد ثم اخـترمتهم المنية فلم يبق منهم الا واحد انشأ يستجم ويستجمع ما تبدد من قواه وتيسر التفاهم معـه بواسطة رُبان اسپانيولى يعرف لغته ومما استفيد من أقواله أن السفينة الغريقة المسماة (أتيا كوكو) كانت لرجل من الملاحين فى بلاد البيرو (١) شحنها بضاعة وقصد بهـا انكلترا فمـا هو الا أن أحاط بها ريح عاصف من أشد ما يمكن تخيله من العواصف فاغرقها ومما يوجب الأسف ان غرق ذلك الرجل أصبح مما لاسبيل للريب فيه وقد كان استصحب بنته وهي في الخامسة من عمرها لاسباب لاتزال في طي الخفاء وكان من في السفينة يدعونها لولا وهو اسم مختزل فيما أظن من دولوريس

عهدت الى بعض الناس هنا بمراسلة أهل الفتاة في بلدهم ولما يجبه أحـد منهم ويقول الملاحون انها فقدت والدتها من بضع سنين وليس لها أخ ولا أخت ولم يبق من ذوي قرباها الا أباعدهم ويؤخذ من كلامهم ان صاحب السفينة كان من المثرين ولكن ما أدرانا ان ثروته لم تكن قصورا في اسپانيا (٢) لان البيرو هي اسبانيا وراء البحار

اثار في نفسي سوء حظ هذه الفتاة عواطف الرحمة والحنان فأمسكتها حتى يأتيني فيهـا أمرك وأنا على يقين من ان عملي هـذا لايقع منك الا موقع الرضا نعم انى قد

(*) معرب من كتاب اميل القرن التاسع عشر فى التربية والتعليم من باب الولد

(١) بلاد البيرو وهي جمهورية في أمريكا الجنوبية عاصمتها ليما وسكانها ٣٠٠٠٠٠٠ نفس

(٢) يشير بقصور اسبانيا الى المثل الفرنساوى المشـهور وهو قولهم « ان فلانا يبني قصوراً في اسبانيا » يضربونه لمن يتعلل بالاماني الباطلة ويحلم بادراك المقاصد الخيالية

لاحظت فى أحوالها وهيأت أفعالها شيئاً من الجفاء والوحشة ولكننى أرى على هذا الجفاء الصبيانى مسحة من الحسن والطلاوة كما ان وجهها تبدو عليه مخايل الجمال والنضرة وهى الآن تعلم «اميل» ما تعرفه من الاسبانيولية على قلته وهو أيضاً يعلمها الفرنساوية والانكليزية ولا غرو فان الاطفال يتفاهمون بالنزر من الكلم أسرع ما يكون اه

(المكتوب ٣٨) من هيلانه الى ارام في ١٧ يوليو سنة — ١٨٥

اني مع اشتغالي بتربية عقل «اميل» أرى ان اخص ما يجب الاشتغال به في سنه هذا ان تعد فيه لاحتمال متاعب الحياة اعضاء سليمة قوية من أجل ذلك تجدنى أحثه على ممارسة الرياضات البدنية والاكثار من قبض عضلاته وبسطها اختيارا واقتحام العقبات التي لا يخرج عن وسعه اقتحامها. نعم ان لى رجاء قويا في ان لا يصير من المصارعين ولا أحب أن أرى فيه مثالا صغيراً لذلك المصارع الشهير المدعو ميلون دوكرتون وان أوتيت من أجله انفس شيء في الدنيا ولكنى أرى ان كل ضعف يلحق الانسان بدنياً كان او عقلياً يصير سبباً من أسباب استعباده

قد بدت على قوبيدون منذحين سمات الكدر لكون «اميل» لايزال جاهلا بالسباحة ولما كان يفضى الي بأسفه من ذلك كنت اعترض عليه بأنه لايزال من حداثة السن بحيث لا يستطيع ان يمسك نفسه على الماء وهو اعتراض لم يكن له قيمة لانه اذا كان ما يعترى الانسان من الخوف عند وجوده في مكان مجهول له هو اكبر العوائق التى تعطل جري حركاته في هذا المكان فلا يكون تقدمه في السن الامن أسباب ازدياد هذا الخوف وقوته • والذى يستفاد من كلام الزنجي البار انه كان يسبح من عهد ولادته وهو يقصد بذلك ولا شك انه لا يذكر تعلمه السباحة كما انه لا يذكر تعلمه المشى على الارض لان هذين النوعين من الرياضة هما في نظره من الامور الفطرية • انتفت عنى شكوكي ومخاوفي بتأكيده ان لا خطر على «اميل» من تعلمه ذلك الفن وقد رأيت أن من مزايا تعلمه انماء العضلات وتقويتها وكانه يوسع مجال حرية الانسان في حركته ومرحه فى برزخ يصل بين عنصري التراب والماء وهو فوق ذلك وسيلة من وسائل النجاة ومن هذه الجهة يكون تعلمه فرضاً علينا لانفسنا ولنظرائنا . على انى كنت أعرف في قوبيدون انه وان كان يغلب عليه التهور في تعريض نفسه للخطر يحرص كل الحرص على حياة «اميل» فلا يعرضها لما يخشى منه ولو سبقت له في ذلك

الدنيا بحذافيرها .

يوجد على مقربة منا شبه بحيرة صغيرة ناشئة من اجتماع مياه غـدير يصرفه عن الانصباب في البحر ما يعترضه من الشعاب والكثبان فرآها قوبيدون موافقـة لتعليم « اميل » مبادئ السباحة فأنشأ يعلمه فيها غـير متخذ له منطقة من الفلين ولا مثانة مملوءة بالهواء ولا غـيرهما من الآلات الاخرى التي تستعمل احيانًا ان لم أكن واهمة لمساعدة قوى المبتدئين في السـباحة ولما كان يقال له في ذلك كان يجيب بلسانه الساذج قائلا يجب أن يكون الطفل فلينة نفسـه . وأرى ان طريقته في التعليم سهلة جداً على حسب ماتيسر لي من الحكم عليها فأهم شيء بنيت عليـه هو بث روح الثقة في نفس المتعلم وقد أكد لي من رآه في وقت التعليم انه من أجـل أن يكون قدوة في ذلك لتلميذه كان يستلقي على ظهره في الماء ناظرا الى السماء سادا فاه متنفساً بأنفه وقد برز جزؤه من الماء فكان لسان حاله وهو في هذا الوضع يقول لناظريه ها أنتم أولاء ترون أن الانسان لا يصح أن يغرق وانه اذا غرق بعض الناس فانما يغرقون مختارين .

لم يلبث هذا الاستاذ ان ابدى كثيراً من التيه والفخر بتقدم تلميذه غير انه كان يرمي في سبيل نجاحـه الى غاية أبهر من ذلك وأظهر فكنت اسمعه يهمهم متهكما بالسباحة في البحيرة قائلا: ما أحسنها من سباحة في مغتسل دعني من البحيرات وحدثني عن البحر تجدي أذنا صاغية فهو الذي يمسك من يسبح فيه ويسنده ويزيد في قواه ولكني كنت أعارضه وأنهاه عن الذهاب « بأميل » اليه وعن تجربة سباحته فيه لما كان يخامر قلبي من الروع والفزع المنبعث عن المبالغة في توهم ما عسى أن يكون في ذلك من الاخطار لاني أكبر هذا الخلق العظيم وأجـله اجلالا مشوباً بالروع فانه كثيراً ما اغتال اناساً في نواحينا ولابد أن أقول ان « اميل » أيضاً كان يشاركني في هـذا الروع بعض المشاركة لان البحر خلق حيٌّ مضطرب يرتفع ويجذب السابح فيه اليه مصطخبا وفي كل صفيحة من صفائح أمواجه شخص بل عدو لذلك السابح عامل على اهلاكه وفي دوام روحات هذه الامواج وجيآتها مايمثل للانسان اضـطراب بحر الأزل بعوالم المخلوقات ويقوم له منه أكبر موعظة وذكرى تنبهه الى ضعفه وعجزه

لم يطل عهد نفور « اميل » من البحر وخوفه منه وها أنذا مبينة لك السبب الذى قمع ذلك النفور وشرد هذا الخوف فاقول .

انه يفهم من سجنك معنى مبهما ولم أرد ان أكشف له حقيقة هذا الامر الذي

يهيج الكلام فيه ساكن آلامي ويثير كامن أشجاني لسببين اولهما انه يصعب عليه فهم مرادي من الكلام (فماذا عسى أن يفهمه من قولي له ان والدك سجن بسبب سياسي) وثانيهما ان سوء ادراكه للحوادث التي حصلت قد يبعث في نفسه نقص فرانسا وعداوتها لذلك تراه قد جره امساكي عن الخوض في هذه المسألة الى ان يخترع لها حكاية يملها بها فهو يتوهم انك أسير في قبضة جنية أو غول اوتنين وانك رهين قلعة يحصنها البحر وربما كان الباعث له على هذا وجوده يوماً مافوق صخرة وغشيان المد إياه واحاطة الامواج به احاطة ذلك الكلب الخرافي ذي الرؤس الثلاثة المقول في أساطير الاولين بانه حارس جهنم ومهما كان الحامل على ذلك الاعتقاد فانه قد وطن نفسه على ان يحمل حملته الاولى لتخليصك مصاحبا لعزم كعزم اشراف المائدة المدورة (١) او كعزم شاب باسل قتال للوحوش غلاب للاغوال على أني لا يسعني الاتهام الزنجي الخبيث بأنه زين له اوهامه وحبب اليه خداع نفسه ليحمله على مشايعته في آرائه وموافقته لافكاره

دخل عليّ البيت كلاهاذات يوم ووجه قوبيدون تعلوه قترة الريبة وقد غلب على «أميل» مايغلب على كل ظافر بطلبته من الفرح فلم ألبث ان فطنت الى المكان الذى جاء امنه وهاج غضبي عليهما الى حد ان صار وجهي احمر كالجمر وعنفتهما على مخالفتهما لامري فلم يتزعزع «اميل» لهذا الهياج بل انه تلقاه بثبات الشجعان وأجابني وقد بدا على وجهه من الاصرار مالم أعهده فيه من قبل فقال اني اريد ان أتعلم السباحة لافك والدي من أسره وآتيك به فما سمعت منه هذه الكلمة وشاهدت لحظه المعرب عن حرية ضميره وخلوص طويته ورأيت ثقته بنفسه المنبعثة عن سذاجته وعلمت مقاصده النبيلة حتي سكنت ثائرتي وكفت بادرتي فبششت في وجهه بعد العبوس وتبسمت له وضممته الى صدري واشبعته تقبيلا في جبينه الذي كان لايزال مندى بماء البحر اه

(م٣٩) من هيلانة الى أراسم في ١٨ يوليه سنة — ١٨٥

اذا صح مانشرته الجرائد الانكليزية وما ذاع من الاشاعات في الهواء لم تبق حاجة «لاميل» في أن يتسلح تسلح الاشراف ولا أن يطوى البحار ليخلصك من قبضة التنين

(١) اشراف المائدة المدورة هم رهط من الاشراف عددهم اثنا عشر يجعلهم كتاب القصص القديمة من رفقاء ارتوس وهو شجاع قصصي من شجعان بريطانيا العظمى

الذي يعتقد انك في أسره لان الناس هنا يتكلمون بحصول عفو سياسي واني كنت اتمنى ان يحصل لك من الحكومة فوق هذا العفو عمل يكون جزاء لما لحقك من الضرر وتحقيقاً لمقتضى الانصاف ولكني لم أطلب لك شيئاً من ذلك فلا تعجل بالرفض واعلم ان قلبي يرقص طرباً كلما فكرت في وقت التلاقي اه

(م٤٠) من الدكتور وارنجتون الى هيلانه ...

ايتها السيدة

عامت الليلة في لوندرة خبراً أبادر بابلاغك اياه ذلك ان زوجك قد منح نعمة الحرية وفي الختام لك مني السلام والاحترام اه

آثار علمية ادبية

سوانح وبوارح

من نظم الشاعر العصري الاديب الاستاذ الشيخ محيي الدين الخياط البيروتي

ذكرت بالفضاء ربعاً وداراً — فهي تأبى دون الفضاء ديارا
ذكرت ظعنها فهاجت وهامت — فهي تأبى التهويم الاغرارا
خلها للظعين تفري الفيافي — تقتري أثره وتبري القفارا
هزها الشوق والغرام حداها — فهي تأبى دون القرار قرار
نزعت تضمر الرهان بقفر — هي فيه لن تبلغ المضمارا
ملعب دونه الصوافن حسرى — مثلما دونه القلوب حسارى
أيها الصافن الجري رويداً — صافنات الافكار ليست تجارى
تبتغي قبة الاثير مجالاً — لخطاها فاحذر عليها العثارا
يرجع الطرف خاسئاً عن مداها — حيث لا يدرك المجلي الغبارا
هي ترجو كشف السرار ولكن — اين منها ان تدرك الاسرارا
موقف عنده الانام حيارى — وسكارى وماهم بسكارى
موقف كم به خواطر شتى — خطرت وهي ترقب الاخطارا

ولجت في محيط لج نخاضت ... في دجاه الخُضارم ازخارا
ركبت صهوة الفضاء فزلت ... ثم راحت تستصرخ الآثارا
فلكا دائراً وشمساً وبدراً ... ونجوماً منازلا أدوارا
روضة من بنفسج عقد الأفـــق عليها من زهره أزهارا
خيمة من زمرد أو غدير ... سندسي يموج بالشهب نارا
يالنهر على المجرة يسقى ... نرجس الافق من سناه جمارا
سرطان يعوم فيه وحوت ... وترى النسر حام يبغي وجارا
ويصب الميزان بالشط منه ... ما عهدنا كنهره أنهارا
والثريا كطائر من نضار ... او لجام بمحفل الافق دارا
وسهيل ظمآن يبغي وروداً ... او مشوق يستطلع الاخبارا
زهرة الزُّهر بين ريّا الخزامى ... ذكرتنا زهر الربى والعرارا
وكأن الجوزاء شجرة تبر ... حولها الفرقدان طيران طارا
وكأن السماك في رمح نار ... ثار يبغي من الدجنة ثارا
وذُكاء سبيكة من لجين ... في زجاج تذوّب الانوارا
وهلال كمخلب من عقاب ... منجل الافق يحصد الاعمارا
وبنات السماء تحمل نعشاً ... مستديراً فوق الرؤس استدارا

***

رب ورقاء فوق خوطة بان ... جددت لي بسجعها تذكارا
ذكرت إلفها فحنت وأنت ... وتغنت تهيج الأطيارا
أعربت لحنها فكادت بشجو ... وشجون تستنطق الاشجارا
بلسان الزمان تطلب مني ... شرح حالي وحالتيه جهارا
قلت ذات الهديل هيهات عني ... أن تميطي او تهتكي الاستارا
حالتي لو عقلت ياذات طوق ... لأختصرت المقال فيها اختصارا
أو تفكرت فى المنى والمنايا ... لنسيت الآمال والأفكارا
أبنات الغدير غادرت طرفي ... ذا شؤون ولم يكن غدارا
رددي النوح ياحمام فقلبي ... بين نوح الحمام والوجد طارا
حدثي النفس فالحديث شجون ... عل منك الحديث يشفي الأُوارا
عل منك الهديل يرجع قلباً ... قُلباً بالغرام طار فحارا

لبس بدعاًان حار فالكون هادٍ   مرشد والأنام فيه حياري
أم حالها عجيب ودنيا   هي منهم والله أعجب دارا
فى فيافي الوجود تاهوا قديماً   وهم الآن يقطعون القفارا
يعجب الدارس الحقائق عنهم   وهو يتلو من خلقهم أطوارا
لو يؤوبون للضمير جميعاً   لرأينا الملائك الأبرارا

***

غرّ منا الأغرار عصر حديث   سل بالاحداث الظبي والغِرارا
ملك اللب حيّر الأفكارا   أدهش السمع أذهل الابصارا
لقبوا علمه بعلم الترقى   صح هذا لولم ندنسه عارا
شوه الله وجه علم علينا   شوه الدين شوش الافكارا
ليت شعرى ماذا جنينا منه العلْم   وماذا جنى بنوه ثمارا
هل جنينا غير التفنن بالأز   ياء والبذخ والفجور اختيارا
ام جنينا منه التفنن بالمكسيم   والرشاش الذى لايبارى
بل فقدنا الاخلاق والدين فيه   وعدمنا عفافنا والوقارا
ولبسنا ثوب الغواني دَرِيساً   وخلعنا عذارنا للعذارى(١)
ان تُقِرّ الحريةُ اليوم هذا   فابك يارق واندب الأحرارا
أبهتك السِتار سدنا البرايا   أم بذات الخمار شدنا الفخارا
انماري حكم النواميس جهراً   ونواري الحقائق استكبارا
ونساوي من لايساويه شيء   أو يساوي الأضداد والأغيارا
اويعيد الاوضاع وضعا جديداً   أو يخطِّي الوجود والاقدارا
نعرف الداء والدواء ولكن   لم نراع الأزمان والأدوارا
لم نراع الأخلاق والاطوارا   لم نراع الأجسام والأفكارا
نعرف الداء والدواء وننسى   ان داء الأساة زاد انتشارا
نعرف الداء والدواء وننسى   ان جرح الأساة امسى جُبارا(٢)
نعرف الداء والدواء ونبغي   اخذه صُبْرة وننسى البوارا(٣)
أينـُاجَي من شأنه أن يناغى   ام يُمارى من شأنه أن يُجارى

(١) الثوب الدريس هو الخلق البالى (٢) الجبار الهدر أى ان جرح الاساة وهم الاطباء لا قصاص فيه (٣) أخذه صبرة أى بلاوزن ولا كيل

أيها العصر أي علمك أجدى دعـة راحـة ذماماً ذمارا
أنت عصر العلوم لكن عليه قـذف الجوّ ريحـه اعصارا
لانذم العلوم منك ولكن سـنذم الآثام والاوزارا
أيها المنكر المكابر عفواً كبرت يُوح بالضحى ان توارى (٤)
ان أردت الدليل دون انحياز ابلجاً ناصعا يضاهي النهارا
هـذه الناس والشعوب جميعاً لك كالدرس فاختبرها اختبارا
وانتخب أعرق الجميع علوما ونفوذاً وسـطوة واقـتدارا
ثم قابـل أعماله والترقي بعلوم الاخلاق تلق اعتبارا
غمض حق ونقض عهد وجورا وفجوراً وأثرةً وختارا
لايرى غـيره من الناس الا مثلما قد يرى الهصور الفرارا (٥)
كل حكم له شذوذ وخرق الـحكم في الخلق سنة لا تبارى
وبحكم المجموع حكم البرايا وعليه لا تنكر الاخيارا

***

حكمت سنة البقاء قـديماً ان تجاري الشعوب من كان جارا
وتضحّي على هيا كل ضعف هكذا الضعف يقصف الاعمارا
لا تُرَعْ أيُّها اليراع فعـهدي ان تروع المهنـد البتارا
انّ فوق الطروس منك صريراً يستـتيل الغضنفر الزآرا (٦)
واذا ماجـرى خميسك بالخمـس يفـل العرمرم الجرارا

**

زعموا الدين والترقي محالا زعموا باطلا وقالوا كبارا
ان اسـفار كل دين دليـل ان أرادوا فلينظروا الاسفارا
ان آثار ديننـا هي فيهـم ان أرادوا فلينظروا الآثارا
ولْيُحَيُّوا وسْطى القرون وما قبـل فقد يحمد السراة السرارا
دار مصر والقيروان وغرنا ط وفاس وبصرة عمت دارا
وسمرقند من دمشق وبغدا د عليك الديار تبـكي الديارا
أعب ذكرنا القـديم وهزؤ انمـا ذكره يعـد اعتبارا
ليس يجدي المجد القديم ولكن يتأسى من ينشـد الاشعارا

(٤) يوح اسم الشمس (٥) الفرار البهم الكبار واحدها فرفور والهصور الاسد يهصر فريسته أي يجذبها ويكسرها (٦) الغضنفر الاسد ويستتيل يوقفه ليبول اى يخيفه ويفزعه

الأخبار التاريخية

جمعية الكتاب المصريه

تألفت جمعية من أرباب الاقلام المقيمين في مصر سميت « جمعية الكتاب المصرية » الغرض منها ترقية الكتابة والادب ورفعة شأن الكتاب وقد انتخبت في احدى اجتماعاتها لجنة لادارة شؤنها رئيسها العالم الفاضل سليمان افندى البستاني ونائب الرئيس صاحب هذه المجلة (المنار) وكاتب السر اسكندر افندى شلهوب صاحب جريدة الرأي العام الغراء وأمين الصندوق ابراهيم بك رمزي صاحب جريدة التمدن الغراء وباقى أعضاء اللاجنة هم محمد افندى مسعود واحمد حافظ افندى عوض من محرري جريدة المؤيد الغراء وأضيف اليهما فى اجتماع آخر داود بك عمون المحامي الشهير . ولاشك أن الكتاب أجدر الناس بالاجتماع الذى هم دعاته ومرشدو الناس اليه . وقد اتفق رأي الجمعية فى اجتماع عام من اجتماعها على اختيار أعلم العلماء وأكتب الكتاب الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية رئيس شرف لهذه الجمعية وعهدت الى جماعة من الاعضاء بأن يفدوا على الاستاذ ويعرضوا عليه رغبتهم وكذلك كان . فنسأل الله تعالى ان يوفق هذه الجمعية لخدمة الامة والبلاد

(مفتى صيدا) علمنا ان منصب الافتاء في صيدا قد اسند الى صاحب الفضيلة صديقنا الاستاذ الشيخ سعد الدين افندى الصالح الشهير بالاستقامة والدراية فهنئه بما هو الاجدر به، بل نهنئ البلاد بعلمه واستقامته وأدبه .

(كتاب اميل القرن التاسع عشر) قد علم القراء المعجبون بهذا الكتاب ومباحثه العلمية فى فن التربية العملية ان اراسم هو والد « اميل » الذي وضع الكتاب فى كيفية تربيته على اصول العلم والحكمة التي انتهت اليها معارف القرن التاسع عشر وانه كان مسجوناً بذنب سياسي وقد رأوا الان فى المكتوبين الاخيرين المنشورين في هذا الجزء انه قد عفي عنه واطلق من سجنه فبقية مباحث الكتاب في التربية تبرز في الاجزاء الاتية بأسلوب آخر غير اسلوب المكاتبة بين ام « اميل » وأبيه وهي أكثر فائدة مما تقدم لانها في التربية والتعليم في سن التمييز الى سن الرشد . ومنها أيضاً مكاتيب أراسم التى كتبها في السجن ولم يرسلها وفيها ما تلذ قراءته وتعظم فائدته .

﴿ سجل جمعية أم القرى ﴾

كتب فى صدر هذا السجل الذى سننشره في المجلد الخامس كما ترى فى الخاتمة ما نصه أيها الواقف على هذه المذاكرات ·

اعلم انها سلسلة قياس لا يغنى أولها عن آخرها شيئا وانها حلقات معان مرتبطة مترقية لا يغنى تصفحها عن تتبعها · فان كنت من أمة الهداية وفيك نشأة حياة ودين وشمة مروءة فلا تعجل بالنقد حتى تستوفي مطالعتها وتمي الفواتح والخواتم ثم شأنك ورأيك · أما اذا كنت من أمة التقليد وأسراء الاوهام بعيداً عن التبصر لاتحب أن تدري من أنت وفي أى طريق تسير ، وما حق دينك ونفسك عليك والى ماذا تصير ، فتأثرت من كشف الحقائق ، ودبيب النصائح ، وشعرت بعار الانحطاط وثقل الواجبات ، فلم تطق تتبع المطالعة، وتحكيم العقل والنقل في المقدمات والنتائج ،فأناشدك الاهمال الذى اقتضاه ان تطرح هذه المذاكرات الى غيرك ليرى رأيه فيها (الامضاء)

(اريحية ، ومأثرة علمية) زار الاديب الفاضل جاد بك عيد مدرسة صاحب العزة مصطفى بك خليل الشهير في فاقوس فسر من اجتهاد الاساتذة ،ونجاح التلامذة ، فتبرع بارسال مئة نسخة من كتاب تفسير الفاتحة والآيات المشكلة فى القرآن الى المدرسة لتوزع على التلامذة لما فيها من الفائدة الدينية وتقويم اللغة العربية ، ومن علم ان هذا المتبرع من نابغي الشبان المسيحيين ، علم اننا في عصر ترجى فيه الاخوة الحقيقية بين جميع الشرقيين ،

البدع والخرافات
والتقاليد والعادات

﴿ الاستهزاء بالعلم والعلماء واهانة القرآن العزيز ﴾

جرأت فوضوية المطبوعات في مصر كثيراً من الجاهلين على مقام الصحافة فأنشأوا الجرائد للخوض في أعراض الناس الا ان يرضخوا لهم بشيء من المال وعهدنا بهم النيل من الاغنياء والامراء الذين يطمعون في أموالهم ثم انتقلوا الى الطعن في العلماء وبمناسبة ذلك انتقل بعض أهل هذه الحرفة الى الكلام في بعض المسائل الدينية عن

جهل ومنهم من زاد على ذلك أيراد بعض آيات القرآن في مقام الهزء والسخرية ومثل هذا يحكم العلماء بكفر مرتكبه وخروجه من الاسلام . وانما نذكر بعض نصوص فقهاء الحنفية في ذلك. جاء في شرح الطريقة المحمدية للعلامة الخادمي (ص ١٧١ ج ٢) مانصه : « قال في الاشباه الاستهزاء بالعلم والعلماء كفر . وعن منية المفتي تخفيف العلم والعلماء كفر . وعن الخزانة من أذل العلماء ينفى من البلد بعد تجديد الايمان . وعن مجموع النوازل اهانة علماء الدين كفر . وعن المحيط ان شتم عالما فقد كفر فتطلق امرأته وهكذا وهكذا » أي ويأتي في حقه سائر احكام الردة كالقتل اذا لم يتب وكتجديد عقد النكاح اذا تاب الخ. وفي مختصر الفقيه يحي بن ابي بكر الحنفي وهو موجود في دار كتب الازهر الشريف من الفصل الثالث مانصه : « ومن أنكر آية من القرآن أو استهزأ بها أو قال ذهبت بجلد « قل هو الله أحد » أو قال أخذت بذيل « الم تنزيل » أو قال أنا أقصر من « انا أعطيناك » او قال لمن يقرأ عند الميت يس لا تضع في فم الميت يس والقرآن . أو قرأ على ضرب الدف والبربط وغيرهما من آلات الملاهي يكفر في جميع ذلك . ولو ملأ القدح فقال « كأساً دهاقا » أو أفرغها فقال « فكانت سرابا » أو قال عند الكيل والوزن بطريق الاستهزاء « واذا كالوهم أو وزنوهم يُخْسِرون » يكفر . أو قال اجعل البيت مثل « والسماء والطارق » أو قال تعممت بعمامة « ألم نشرح » يعنى ابتدأت العلم أو رأى جماعة مجتمعين فقال بطريق الاستهزاء « وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا » يكفر في ذلك كله » . ثم قال . « ولو تخاصم اثنان فقال احدهما لاحول ولا قوة الا بالله فقال آخر « لاحول » لاينفع أو قال أيش أعمل بها أد حتى يكفر . ولو قال قشرت بجلد سبحان الله أو سمع الغناء فقال اذ كر اسم الله تعالى يكفر . ولو أكل طعاما حراما فقال بسم الله يكفر . ولو قال بعد الفراغ الحمد لله لايكفر عند بعض المشايخ ولو قال عند شرب الخمر وغيرها من المحرمات بسم الله يكفر بالاتفاق » . ثم قال « أو أذن بطريق الاستهزاء يكفر بالاتفاق »

وقال في الفصل الرابع مانصه . « ولو قال لولم يأكل آدم الحنطة ماوقعنا في هـذا البلاء يكفر عنـد بعضهم . ولو قال لعلماء الدين . العلم الذي يتعلمه هؤلاء اساطير وخرافات أو قال كل مايقولون هباء وكذاب ايش اعمل بمجلس العلم لايترد في القصعة يكفر في ذلك كله » . بل شدد بعض هؤلاء الفقهاء في مسئلة اهانة العلم والعلماء حتى قال بعضهم من صغر بابوج العلم يكفر وكل هذا التشديد العظيم لاجل حماية شرف الدين أن تناله ألسنة الجاهلين فاذا لم يصح كون مثل هذا التصغير كفرا فلا أقل من أن يكون معصية ولم يسلم من هزء بعض الجرائد الهزلية المعروفة قرآن ولا علم ولا دين . ولاشك

ان كل قارئ لهذه الجرائد وكل مشترك فيها وكل مبتاع لها فهو شريك لصاحبها في الاثم لان الذي يعين على الشئ كفاعله • وان كثيراً من الناس ليفضلون قراءة هذه الجرائد وان ملئت بالكفر وقول الزور وثلب الاعراض واشاعة الفواحش ويتحملون مقت الله وغضبه وافساد أخلاق الامة لاجل أن يضحكوا عند قراءتها، ورحم الله الامام الشافعي حيث قال. «نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون السنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وان السفيه ينظر الى أخبث شئ في انائه فيحرص ان يفرغه في اوعيتكم» وفي الحديث الشريف «وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لايلقي لها بالا (وفي رواية ليضحك بها الناس) يهوي في جهنم سبعين خريفاً»

(خيانة الخدم)

رب خادم خائن يؤذي مخدومه الايذاء الكبير لينال بعض النفع الحقير واكثر من يبتلى بهؤلاء الخدم أهل الاستقامة والتقوى لانهم لسلامة باطنهم يسلمون لمن يستخدمونه تسليما لاياتي من سواهم ومن هؤلاء الرجال الوجيه الفاضل أمين بك الشمسي الشهير فقد كان ابتلى بكاتب زوّر امضاءه وكتب ورقة عن لسانه اخذ بها خمسمائة جنيه من احد المصارف في الاسكندرية وضبطته الحكومة في طنطا قبل أن ينفق جميع المال وحوكم • وقد جرت عادة امين بك ان يأخذ ورقة اذن من مصلحة سكة الحديد بالسفر في قطاراتها مدة سنة وفي ابتداء كل سنه يجدد هذا الاذن ويدفع عن السنة كلها مبلغاً معينا لكثرة سفره وقد جاء في بعض الجرائد من عهد قريب ان بعض المفتشين رأى ان ورقة الاذن التي في يد سعادة أمين بك مزورة بتغيير التاريخ من سنة ١٩٠١ الى ١٩٠٢ ثم ذكرت الجرائد أن مصلحة السكة الحديدية تبين لها براءة سعادة البيك من هذا العمل وظهر انه كان أمر كاتباً عنده بالذهاب الى المصلحة لتجديد ورقة الاذن فذهب وغير التاريخ وأكل الدراهم التي أخذها ليدفعها الى المصلحة ومن البديهي ان مثل هذا الرجل السليم القلب لايخطر في باله مثل هذه الخيانة ليدقق النظر في التاريخ حتى انه لولم يغيره بالمرة كما فطن له • وقد وجد المبلغ مقيداً في دفاتر البيك المنتظمة في وقته وقد أعلمت النيابة بأمر الكاتب ليحاكم ويعاقب على مافعل

(كتاب اسد الغابة) هو للحافظ عز الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري المعروف بابن الاثير لا لحافظ ابن حجر كما ذكر في الجزء الماضي سهوا

﴿ خاتمة سنة المنار الرابعة ﴾

بهذا الجزء يتم المجلد الرابع من المنار وقد صدرت اجزاؤه فى سنة وشهرين لان بعضها أخر عن موعده عمداً لتوافق اول سنة المجلة اول السنة الهجرية الشريفة. وقد زاد هذا المجلد عما قبله زهاء مائة صفحة. وقد رأينا أن نجعل خمسي المنار بحروف صغيرة في السنة الخامسة وأرينا القراء نموذج ذلك فى هذا الجزء وما قبله وهي زيادة في الفائدة وسعة فى المادة

أما مباحث المنار ومسائله فهى مارسمناه وحددناه بالاجمال فى فاتحة السنة الأولى وفصلنا القول فيه بالتدريج تفصيلا. فقبلة المنار الاصلاح الديني وامامه القرآن ومذهبه السنة وسيرة السلف الصالحين والائمة المجتهدين وهو خصم ألد لجميع البدع والخرافات والتقاليد والعادات التي الصقت بالدين ،والتي تـاثت بنفوس جماهير المسلمين . وفي يقينه ان الشرق لايصلح الا بصلاح المسلمين وان المسلمين لايصلحون الا بالرجوع الى سيرة السلف الصالح فى دينهم من غير زيادة ولانقصان ومجاراة الامم الحية فى دنياهم واخذهم بجميع فنونها وعلومها وصنائعها. فالاصلاح الديني هو لذي ينفخ فيهم روح الاتحاد الاجتماعي بعقائده المرقية للعقول ، وآدابه المزكية للنفوس ، ومجاراة الامم الحية هى التى تعطيهم قوة مادية يحفظون بها وحدتهم ، ويعززون بها ملتهم ، ولمثل هذا فليعمل العاملون

ونعد القراء الكرام بأننا سننشر في أجزاء السنة الخامسة مباحث كتاب (أم القرى) وهو كتاب لم يكتب مثله فى الاصلاح الاسلامي فقد جمعت فيه آراء جميع المصلحين بقلم حكيم من حكمائهم ، وعالم اجتماعي من أفضل علمائهم ، يسمى في الكتاب بالسيد الفراتى كاتب سر (جمعية أم القرى) والكتاب سجل مذاكرات الجمعية في ١٢ اجتماعا من اجتماعاتها في مكة المكرمة . وأعضاء الجمعية او (مؤتمر النهضة الاسلامية) الذين يحتوي هذا السجل على مذاكراتهم ٢٢ رجلا كل رجل نائب عن قطر من الاقطار الاسلامية من المشرق والمغرب. والاقطاب التي دارت عليها مباحثهم ثلاثة وهى حالة المسلمين الدينية وحالتهم الاجتماعية وحالتهم السياسية وبيان اسباب ضعفهم في هذه الاحوال وما يعالج به هـذا الضعف لاعادة القوة ولكن في القسم

السياسي" كلاما لبعض أعضاء الجمعية في الدولة العلية (أيدها الله تعالى) نحذفه عند الوصول اليه لانه لايؤلم أكثر الناس ، ولا ينبغي ان يعرفه الا الخواص ، ولاجل ذلك اغتالت الكتاب بعد ماطبع الاغوال ، واسدلت عليه أستار الليال ، وفي آخر الكتاب (قانون جمعية تعليم الموحدين) التي اقترح المؤتمر انشاءها وهو مؤلف من ٤٨ قضية. وقد وعدنا جامع الكتاب بتنقيح النسخة التي سننشرها في المنار ، وباضافة زيادات اليها هدت اليها الحنكة والاختبار ،

وانا سننجز فى السنة الخامسة ما كنا وعدنا به من اتمام مباحث مدنية العرب ومبحث الكرامات وسنجيب عن جميع الاسئلة المشكلة الدينية التى سألناو يسألناعنها المشتركون الكرام ونوسع دائرة المباحث العلمية العصرية بعبارة سهلة ولا نزيد فى قيمة الاشتراك شيئاً فكل من قبل الجزء الاول من السنة الخامسة فاننا نعتبره مشتركا الى مدة سنة كاملة بخمسين قرشاً اميريا نتقاضاها منه وان رد الجزء الثانى أوشيئاً مما بعده فمن لم يقبل بهذا الشرط فايرد الجز الاول الينا لان فقد جزء واحد فقد لأجزاء السنة كلها كما لايخفى . وهذا الشرط عام لطلاب العلم وتلامذة المدارس ومن كان منهم فقيراً ويود أن نسمح له ببعض القيمة لفقره فعليه أن يطلب ذلك منا مشافهة أو مكاتبة قبل صدور الجزء الاول من السنة الخامسة

هذا واننا بعد الشكر لله على توفيقه وهدايته نشكر لأولئك الفضلاء الذين وازرونا على القيام بفريضة الدعوة الى الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر السعي في نشر المنار وتكثير سواد قارئيه فقد تضاعف عدد المشتركين فى هذه السنة من غير وكلاء ولادعاة الا دعاة الخير لانه خير وكثر في هذا الشهر طلب الاشتراك من السنة الخامسة وهذا من المبشرات بنمو الحياة الملية في جسم الامة وتحقيق لرجائنا الذي افصحنا عنه فى فاتحة السنة الاولى .

وفي الختام نسأل الله تعالى ان يوفقنا فى السنة الآتية ، لخير ماوفقنا في السنة في السنين الماضية ، وان يوفق أمراءنا وحكامنا للعدل في العباد ، واصلاح حال البلاد ، وعلماءنا للهدي والارشاد ، وأغنياءنا للبذل والامداد ، وان يوفق الوالدين لتربية الاولاد ، وينفخ فى الجميع روح الاجتماع والاتحاد ، وسلام على المرسلين ، ومن تبعهم من المصلحين ، والحمد لله رب العالمين ،

Author
Title al-Manār
AP

For Reference
Not to be taken from this room
NO.705

Oct. 8/94
FEB 22 1995 D
FEB. 13/95 PAID
FEB 27 1995 D